

(١٤٤٢)

كان والدي

حديث الأبناء عن الآباء

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"٦٩٠ – حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي ، ثنا إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم ، قال : سمعت إبراهيم بن علي بن عاصم المقرئ ، يقول سمعت محمد بن سمويه المقرئ الخفاف ، يقول : سألني موسى بن عبد الرحمن بن مهدي حاجة ، فالتقيت معه في الطريق ، فقال لي : يا أبا حفص ، أيش عملت في الحاجة ؟ قلت : ما قصرت فيها ، ولكن لم يأذن الله في قضائها ، فقال : **كان والدي** عبد الرحمن بن مهدي يقول : « اللهم ما قدرت لي من رزق فيسره لي ، وما لم تقدره لي فضع عني مؤونة الطلب »." [1]

"مقالتي فأداها إلى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع وتحت قوله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما

وقد **كان والدي** رحمه الله في سكرة الموت وهو يقول لي يا أبا عبد الله ما لي في الدنيا حسرة غير إني مشيت في ركاب الشيوخ وترددت إلى مجالسهم وسافرت إلى أماكنهم بالحجاز واليمن والشام وديار مصر وغيرها وها أنا أموت ولم يؤخذ عني ما سمعته على الوجه الذي أردته

وحق له والله ذلك

فهي درجة ما فوقها درجة ومرتبة علية ما عليها مزية وقد تموت

." [2]

"

"هذا البيت متعلق بقضاء الحقوق عن الغير، والواجبات منها ما لا يدخله النيابة، فلا يتصور فيه أن يقضي إنسان عن غيره ذلك الواجب، مثل: "الصلاة" هل يتصور أن يصلي إنسان عن غيره، هذا الأمر أو هذا الواجب لا تدخله النيابة، ومن، ثم لا يصلي إنسان عن غيره.

النوع الثاني من الواجبات: ما تدخله النيابة، ويتمحض أن يكون عبادة مثل "الحج" فهنا لا يجوز للإنسان أن يؤدي هذا الفعل عن غيره إلا إذا أذن، أو كان المؤدى عنه ميتا، لا يجوز أن تجح عن والدك الحي إذا لم يأذن لك، وإذا لم تأخذ منه الإذن، ولو **كان الوالد** عاجزا، ولا يستطيع الحج، ما دام عقله معه.

النوع الثالث من الحقوق: الحقوق التي لا تتمحض أن تكون عبادة مثل "النفقة"، ومثل "سداد الدين" فحينئذ هل إذا أدى الإنسان عن غيره واجبا من هذه الواجبات، هل يستحق ما أداه؟ نقول: لا يخلو من

---

(١) أخبار أصبهان، ٣/٧١

(٢) مشيخة الشيخ الأجل أبي عبد الله محمد الرازي، ص/٧١

أحد حالين:

إذا أدى عن غيره حقا وهو لا ينوي الرجوع إليه، سدد عنه الدين ولا يقصد أن يرجع إليه، فحينئذ لا يحق له أن يطالب بسداد أو بذلك الدين، لماذا؟ لأنه عندما أدى الدين لم يقصد الرجوع إليه، ودليل ذلك: أن هذه هبة لزمت بالقبض؛ لأنه لا ينوي الرجوع، والهبة إذا لزمت بالقبض حرم الرجوع فيها؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – " والعائد في هبته كالكلب يقيء، ثم يعود في قيئه " .

النوع الثاني: أن يؤدي هذا الواجب الذي لا يتمحض أن يكون عبادة، قد يفعل على جهة العبادة، وقد يفعل على جهة غير جهة العبادة بإذن ممن عليه الحق، فهذا يجوز له الرجوع بالإجماع؛ لأنه إنما تصرف بإذنه فهو بمثابة الوكيل.

النوع الثالث: أن يؤدي الحق عن غيره ناويا الرجوع إليه بدون إذنه، فهذه اختلف الفقهاء فيها، والحنابلة يرون أنه يجوز له الرجوع إليه، وهو اختيار المؤلف هنا، وظواهر النصوص تدل عليه، مثل قوله – عز وجل – ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) هذا محسن.

---

(١) – سورة الرحمن آية : ٦٠.." (١)

"ص –١١٧–...اجلدك مائة سوط فامرأته طالق قال لا يجلد غلامه ولا تطلق امراته هذا من خطوات الشيطان

واما من بعد التابعين فقد حكى المعتنون بمذاهب العلماء كأبي محمد بن حزم وغيره ثلاثة اقوال في ذلك للعلماء واهل الظاهر لم يزالوا متوافرين على عدم لزوم الطلاق للحالف به ولم يزل منهم الائمة والفقهاء والمصنفون والمقلدون لهم وعندنا بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها عن جماعة من اهل العلم الذين هم اهله في عصرنا وقبله انهم كانوا يفتون بها احيانا فأخبرني صاحبنا الصادق محمد بن شهوان قال اخبرني شيخنا الذي قرات عليه القران وكان اصدق الناس الشيخ محمد بن المحلى قال اخبرني شيخنا الامام خطيب جامع دمشق عز الدين الفاروقي قال **كان والدي** يرى هذه المسأله ويفتي بها ببغداد

واما اهل المغرب فتواتر عمن يعتني بالحديث ومذاهب السلف منهم انه كان يفتي بها واوذي بعضهم على ذلك وضرب وقد ذكرنا فتوى القفال في قوله الطلاق يلزمني انه لا يقع به طلاق وان نواه وذكرنا فتاوى اصحاب ابي حنيفة في ذلك وحكايتهم اياه عن الامام نصا وذكرنا فتوى اشهب من المالكية فيمن قال لا

---

(١) نظم القواعد الفقهية، ص/١٣٧

مراته ان خرجت من داري أوكلمت فلانا ونحو ذلك فأنت طالق ففعلت لم تطلق ولا يختلف عالمان متحليان بالانصاف ان اختيارات شيخ الاسلام لا تتقاصرعن اختيارات ابن عقيل وابي الخطاب بل وشيخهما ابي يعلى فإذا كانت اختيارات هؤلاء وامثالهم وجوها يفتي بها في الاسلام ويحكم بها الحكام فلا اختيارات شيخ الاسلام اسوة بها ان لم ترجح عليها والله المستعان وعليه التكلان." (١)

"هذا البيت متعلق بقضاء الحقوق عن الغير، والواجبات منها ما لا يدخله النيابة، فلا يتصور فيه أن يقضي إنسان عن غيره ذلك الواجب، مثل: "الصلاة" هل يتصور أن يصلي إنسان عن غيره، هذا الأمر أو هذا الواحب لا تدخله النيابة، ومن، ثم لا يصلي إنسان عن غيره.

النوع الثاني من الواجبات: ما تدخله النيابة، ويتمحض أن يكون عبادة مثل "الحج" فهنا لا يجوز للإنسان أن يؤدي هذا الفعل عن غيره إلا إذا أذن، أو كان المؤدى عنه ميتا، لا يجوز أن تجح عن والدك الحي إذا لم يأذن لك، وإذا لم تأخذ منه الإذن، ولو كان الوالد عاجزا، ولا يستطيع الحج، ما دام عقله معه.

النوع الثالث من الحقوق: الحقوق التي لا تتمحض أن تكون عبادة مثل "النفقة"، ومثل "سداد الدين" فحينئذ هل إذا أدى الإنسان عن غيره واجبا من هذه الواجبات، هل يستحق ما أداه؟ نقول: لا يخلو من أحد حالين:

إذا أدى عن غيره حقا وهو لا ينوي الرجوع إليه، سدد عنه الدين ولا يقصد أن يرجع إليه، فحينئذ لا يحق له أن يطالب بسداد أو بذلك الدين، لماذا؟ لأنه عندما أدى الدين لم يقصد الرجوع إليه، ودليل ذلك: أن هذه هبة لزمت بالقبض؛ لأنه لا ينوي الرجوع، والهبة إذا لزمت بالقبض حرم الرجوع فيها؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – " والعائد في هبته كالكلب يقيء، ثم يعود في قيئه " .

النوع الثاني: أن يؤدي هذا الواجب الذي لا يتمحض أن يكون عبادة، قد يفعل على جهة العبادة، وقد يفعل على جهة غير جهة العبادة بإذن ممن عليه الحق، فهذا يجوز له الرجوع بالإجماع؛ لأنه إنما تصرف بإذنه فهو بمثابة الوكيل.

النوع الثالث: أن يؤدي الحق عن غيره ناويا الرجوع إليه بدون إذنه، فهذه اختلف الفقهاء فيها، والحنابلة يرون أنه يجوز له الرجوع إليه، وهو اختيار المؤلف هنا، وظواهر النصوص تدل عليه، مثل قوله – عز وجل – ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) هذا محسن.

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ١٢٠/١٠

(١) – سورة الرحمن آية : ٦٠.." (١)

"فهذه الصورة الصواب أنها جائزة؛ لوقوع إجماع الصحابة عليها، وهذا العقد كان في الزمان الأول بيعا، ثم لما لم يسدد انتقل إلى كونه هبة، فهنا العقدان لم يجتمعا في زمان واحد؛ ولهذا السبب أرى أن عقد الإجارة المنتهي بالتمليك عقد جائز؛ لأنه إجارة في الزمان الأول، وعند تسديد الثمن ينتقل إلى كونه بيعا، العقدان لم يجتمعا في زمان واحد، والممنوع منه اجتماع العقدين في زمان واحد.

لكن لا بد أن يلاحظ أن تتطبق أحكام الإجارة على هذا العقد في الزمان الأول، وتطبق أحكام البيع في الزمان الثاني، فلو تلفت السلعة قبل سداد جميع الثمن لكانت مضمونة للمالك الأول المؤجر؛ لأن هذا هو مقتضى عقد الإجارة، ولا تكون بيعا إلا بسداد جميع الثمن. نعم.

من أدى عن غيره واجبا له الرجوع عليه

ومن يؤد عن أخيه واجبا

له الرجوع إن نوى يطالبا

هذا البيت متعلق بقضاء الحقوق عن الغير، والواجبات منها ما لا يدخله النيابة، فلا يتصور فيه أن يقضي إنسان عن غيره ذلك الواجب، مثل: "الصلاة" هل يتصور أن يصلي إنسان عن غيره، هذا الأمر أو هذا الواجب لا تدخله النيابة، ومن، ثم لا يصلي إنسان عن غيره.

النوع الثاني من الواجبات: ما تدخله النيابة، ويتمحض أن يكون عبادة مثل "الحج" فهنا لا يجوز للإنسان أن يؤدي هذا الفعل عن غيره إلا إذا أذن، أو كان المؤدى عنه ميتا، لا يجوز أن تجح عن والدك الحي إذا لم يأذن لك، وإذا لم تأخذ منه الإذن، ولو **كان الوالد** عاجزا، ولا يستطيع الحج، ما دام عقله معه.

النوع الثالث من الحقوق: الحقوق التي لا تتمحض أن تكون عبادة مثل "النفقة"، ومثل "سداد الدين" فحينئذ هل إذا أدى الإنسان عن غيره واجبا من هذه الواجبات، هل يستحق ما أداه؟ نقول: لا يخلو من أحد حالين:." (٢)

"تعد هذه الأعمال صورة حية من صور إبداع الأستاذ إبراهيم الكتاني في الفكر الإسلامي، عاكسة للدقة العلمية والروح الدينية التي كان ينعم بها، كما تصور تاريخ الاجتهاد في الفكر الإسلامي، وصورتين

(١) منظومة في القواعد الفقهية، ص/١٣٧

(٢) شرح منظومة القواعد الفقهية- الشثري، ص/١٣١

مشرقتين لمثالين من الأندلس وتونس والمغرب، أعيد نشرها تعميما للفائدة، وخدمة للتراث الإسلامي، ووفاء لمؤلفها الذي طالما استفدت منه وتبركت بمجالسه وأنا صغير السن، يوم **كان والدي** الدكتور الشهيد علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله يصحبني معه لزيارته والاستفادة من مجالسه، فكنت أرى فيه مثالا من أمثلة السلف الصالح علما وجهادا وهديا...

أما عملي في هذه الأبحاث فلم يعد الترتيب والتهييء للطباعة، مع كتابة مقدمة حول تاريخ الاجتهاد في الإسلام تضع القاريء في الصورة، وترجمة للمؤلف نقلتها عن كتابي: "النجم الثاقب بتراجم من مضى من أعلام الكتانيين وصلحائهم وذوي المناقب" يسر الله إتمامه.

وكتبه:

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

الرباط ليلة الجمعة ٢٩ ذو الحجة الحرام عام ١٤٢٤

ترجمة المؤلف الأستاذ الإمام محمد إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني(١)

أبو المزايا، أستاذ الأجيال، إمام علامة بحاثة مشارك، أحد مؤسسي الحركة الوطنية بالمغرب، والمجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي، ورواد إحياء التراث المغربي.

---

(١) المراجع: "العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني: حياة علم وجهاد"، ""أعلام المغرب العربي""ج١ تأليف عبد الوهاب ابن منصور، "إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين" تأليف محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي ص١٣٥،." [١]

"الأشباه والنظائر

مقدمة المصنف

للفضل بعيده وقريبه شفاء لما في الصدور ووفاء لما للعلم في ذمة بني الدهور وصفا يروق به موارد السرور ، واكتفى بما تعلق به الرجاء من عظائم الأمور ، أولا لا يحتاج إلى ثان ومكملا ليس عنه ثان ، ومؤئلا للطلبة ليس عليه إلا مثن –وقضى السجع بأن أقول : ثان كأنما صعد صاحبه السماء وأخذ بدرها أو غاص البحار واستخرج درها ، لا والله– بل بعثر القلوب وأفشى سرها ، ثم جمع الإمام العلامة صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل١ كتابا في الأشباه والنظائر في الفروع طاول فيه الفراقد وحاول المعالي فسهر في طلبها

---

(١) الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب، ١٧/١

، وخلف ألف راقد وتناول النجم قناداه لسان الإنصاف. ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد ولقد جاوز قدر كل ذي قدر ، وزاحم الرءوس في مجالس المعالي ، ويد الحق تضع في الصدر الصدر وتضايق القوم حيث فسح له وأنشد : لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ضاق بها وهي في مجالس العلم الصدر ، ولكن صدر الدين وراق بها ربعها وإن بعد عهده فلا يتغير ، وإن غير النأي المحبين وساق منه هديا لحفظه التقي فنسيانه ضلال مبين ، وساق منه كتابا يتلقاه ذو المعرفة باليمين ، فما هاج شوقي إلى ما أنا بصدده إلا كتابه لا حمامه ، ولا بعث على هذه الكلمات سواه لما سمعت كلامه ، فلقد بعثني [فأقام]٢ على ليلي من الفكر القيامة لأني مع استحسانه وجدته محتاجا إلى تحر في تحريره ، وممر عليه من أوله إلى آخره لكونه مات وهو مجموع مفرق ؛ لتبذيره من غير تدبيره ، منسوب في نفسه إلى قصوره غير منسوب إلى مصنفه ، وقد عارضته المنية إلى تقصيره.

فعمدت إلى هذا الكتاب فاجتلبت زبده وقذفت في بحر فوائد زبده وجمعت عليه من الأشباه نظائر كالأرواح جنودا مجندة وحررته في الدجى بشهادة النجوم ولاقيت عسره

---

١ محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد ، يقال عبد الصمد بن أبي بكر بن عطية الشيخ الإمام العلامة ذو الفتوق صدر الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الإمام الخطيب زين الدين أبي حفص العثماني المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل. ولد بدمياط في شوال سنة خمس وستين وستمائة ، وقال السبكي في طبقاته : **كان الوالد** يعظمه ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة. توفي في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة بالقاهرة.

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٣ ، ابن السبكي ٦/ ٢٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٨٠ ، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٤ حسن المحاضرة ١٥/ ٢٣٧.

٢ في ب : "وأقام".

صفحة ٧ | ٤٦٦." (١)

"الأشباه والنظائر

باب في الألغاز

قالوا : فلا يقع طلاق ، لأنها أخبرته بما خرجت إليه من الزنا ، وصدقته وإن أوهمته بدلالة اللسان وكثرة

---

(١) الأشباه والنظائر . السبكي، ١/١٦

التشعيث أنها إنما خرجت لزيارة أخت لها ؛ فهذه من حيل النساء.

لكن إذا كان القصد التعيين والتعريف فأقول : لا ينجيها هذا. والله أعلم.

مسألة :

إذا قال : له علي اثنا عشر درهما ودانقا –بالنصب في دانق– ما يلزمه ؟ وما الذي يلزمه عند الرفع والخفض ؟

الجواب : "قال صاحب التتتمة : يلزمه بالرفع والخفض اثنا عشر درهما وزيادة دانق واحد ، ويكون الدانق معروفا على الاثني عشر".

قلت : والعطف في الخفض غير متضح إلا أنه يغتفر اللحن.

قال : "وفي النصب إذا فسر كلامه بثمانية إلا دانقا يقبل تفسيره ولا يلزمه الزيادة.

قال : وإنما قلنا ذلك ؛ لأن قوله : ودانقا يجوز أن يكون عطفا وأن يكون تفسيرا ؛ فإذا كان عطفا اقتضى وجوب زيادة على الاثني عشر من الدراهم والدوانيق ، وغاية ما ينطلق عليه اسم الدوانيق خمسة ؛ لأن ما زاد عليه يسمى درهمان فيجعل خمسة من العدد دوانيق ويبقى سبعة دراهم ، فيكون المبلغ ثمانية إلا دانقا ، فهذا التقرير يقين ، وما زاد مشكوك فلا يلزمه بالشك شيء" انتهى.

وقوله : "إن ما زاد على خمسة دوانيق يسمى درهما" يعني في العرف ستة دوانيق بكل درهم هذا شأن لغة العرب لأن درهما أخصر من قولك : ستة دوانيق ، والاختصار مع البيان شأن العرب.

قلت : ويؤيد هذا قول أصحابنا : لو باع بنصف وثلث وسدس دينار لم يلزمه دينار صحيح ، بل له دفع شق من كل وزن ؛ فهذا ما وجدته –من كلام الأصحاب– مؤيدا لصاحب التتمة وإن **كان الوالد** رحمه الله ذكر في "شرح المنهاج" في مسألة البيع : إن هذا إذا صرح بالدينار المضاف في الجميع أما إذا حذفه كما في الصورة المذكورة فيلزمه دينار.

قلت : وهذا وإن خالف إطلاق الأصحاب يشهد له نظيره من الطلاق إذا قال : أنت طالق نصف وثلث طلقة لا يقع إلا طلقة واحدة ، ولو كرر لفظ طلقة تكرر لفظ الطلاق على الأصح.

صفحة : ٣٣١ | ٣٩٩." [١]

"كانت ملامح الشعبين: القحطاني (أهالي اليمن بخاصة) والعدناني (أهالي نجد والحجاز بخاصة)– واضحة المعالم في الجاهلية، وإلى جانب ذلك وجدت تجمعات عربية في غير تلك البقاع تعيش في طور

---

(١) الأشباه والنظائر . السبكى، ٢/٣٣٤

تشكيل شعوب عربية، ولاسيما في العراق والشام ومما يدل على ذلك الطور تمايز الجاهليين بالانتماء إلى أوطان كبيرة أفصح عنها الشعراء الجاهليون ومنها العراق والشام إلى جانب اليمن والحجاز ونجد(١).

وقد أدرك الجاهليون – على الرغم من تمايزهم بالنسب **والمكان والدين** وطرائق المعيشة –أنهم ينتمون إلى تجمع كبير متآلف يشملهم، ولا يلغي تعددهم، لقد أدركوا أنهم عرب؛ ومن ذكر العرب في أشعارهم قول دريد بن الصمة يمدح عبد الله بن جدعان(٢):

رحلت البلاد فما إن أرى ... شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن ذكر الانتماء إلى العرب في الشعر قول امرئ القيس(٣):

.... نوى عربيات يشمن البوارقا

وقول النابغة الجعدي(٤):

وما علمت من عصبة عربية ... كميلادنا منا أعز وأكبرا

ونسب حسان بن تبع الحميري حين أراد أن يغزو الفرس والروم قوله(٥):

---

(١) انظر هذه الدراسة ص ١٨٤، ١٨٨-١٩١ وقد تولد لدى بعض الجاهليين شعور بوجود فارق بين القحطانيين المقيمين في اليمن، والقحطانيين المقيمين في العراق والشام، ومما يدل على ذلك أن عامر بن الطفيل العامري أنكر على يزيد بن عبد المدان أن يفخر بالمناذرة ودعاه إلى الفخر بقومه القريبين منه في اليمن فحسب، (انظر ديوان عامر ص ١٣٩، والأغاني ١٢/١٤-١٥).

(٢) ديوان دريد ص ٣٣، ولذكر العرب في الشعر انظر أيضا ديوان حسان ص ٢٢٥،٢٩٢-٢٩٣، والأغاني ١٤/١٤٧.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٩٥، والنوى: الوجه الذي يقصد ويراد، ويشمن: ينظر أين وقع السحاب وفيه البرق.

(٤) شعر النابغة ص ٥٠

(٥) الأغاني ٣١٧/٢٢." [١]

"فلما بلغت هذا الفصل من تأليف هذا الكتاب دخل علي عشرة نفر من الكتاب قد شملهم معروفك، ورفع مراتبهم جميل نظرك، فهم من طاعتك والمحبة لك على حسب ما أوليتهم من إحسانك وجزيل فوائدك، فأفاضوا في حديث من أحاديث الحسد، فشعب لهم ذلك الحديث شعوبا افتنوا فيها - والحديث ذو شجون - فما برحوا حتى أتتني رقعة أناسية من الحساد فيها سهام الوعيد، ومقدمات التهديد والتحذير والتخويف، للطعن على ما ألفت من الكتب إن أنا لم أضمن لهم الشركة فيما يجرى علي، فدفعت رقعتهم إلى من قرب إلي منهم، فقرأها ثم قال: " قاتلهم الله! أبظلم يرمون النيل ويلتمسون الشركة في المعروف! لنزع الروح بالكلاليب أهون من بذل معروف بترهيب " . وأنشأ يقول:

أبقي الحوادث من خلي ... لك مثل جندلة المراجم

قد رامني الأعداء قب ... لك فامتنعت من المظالم

ودفعها إلى من قرب منه فقرأها. وقال الثاني: " صكة جلمود، لكل مرعد حسود، يمستطر العرف بالتهديد. خل الوعيد، يذهب في البيد " . وأنشأ يقول:

أبرق وأرعد يا يزي ... د فما وعيدك لي بضائر

ودفعها إلى الثالث فقرأها وقال: " سألوا ظلما، وخوفوا هضما، لقوا حربا ولقيت سلما " . وأنشأ يقول:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع

ودفعها إلى الرابع فقرأها وقال: " قول الذليل وبوله سيان " . وأنشأ يقول:

ماضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

ودفعها إلى الخامس فقرأها وقال: " نهيق الحمار، ودم الأعيار جبار جبار " . وأنشأ يقول:

ما أبالي أنب بالحزن تيس ... أم لحاني بظهر غيب لئيم

ودفعها إلى السادس فقرأها وقال: " إذا علقتك الأمجاد، فليهن عليك الحساد " . وانشأ يقول:

إذا أهل الكرامة أكرموني ... فلا أخشى الهوان من اللئام

ودفعها إلى السابع فقرأها وقال: "كيف يخاف الصرعة، من هو في ذي المنعة " . وأنشأ يقول:

كم تنبحون وما يغني نباحكم ... ما يملك الكلب غير النبح من ضرر

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٩/٢

ودفعها إلى العاشر فقرأها وقال: " نوكى هلكى، لم يعرفوا خبرك، ولا دروا أمرك " . وأنشأ يقول:

فلو علم الكلاب بنو الكلاب ... بحالك عند سيدنا لذلوا

وعندي صديق لي من السوقة له أدب، فقال لي بعقب فراغهم مسرا: إن هؤلاء الكتاب قد أظهروا الاستخفاف بقول الحساد، وضربوا الأمثال في هوانهم عليك، وعرفوا أنك في منعة من عز أبي الحسن أطال الله بقاءه، ومعقل لا يسامى ولا ينال. وأنا أقول بالشفعة:

توق قوما من الحساد قد قصدوا ... لحط قدرك في سر وفي علن

فقلت له: إني أقول بيتين هما جوابك وجواب الحساد:

إن ابن يحيى عبيد الله أمنني ... من الحوادث بعد الخوف من زمني

فلست أحذر حسادي وإن كثروا ... ما دمت ممسك حبل من أبي الحسن

فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتاب، باستهانتي للحساد عند اعتلاقي حبائلك أعزك الله، أنشأ متمثلا بقول نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... ياذا المعارج لا تنقض لهم أحدا

إن يحسدوني على ما قد بنيت لهم ... فمثل حسن بلائي جر لي الحسدا

وليس العجب أن يكثروا وأنا أنعق بمحاسنك، وأهتف بشكرك، ولكن العجب كيف لا تتفتت أكبادهم كمدا.

وكان بعضهم يقول: اللهم كثر حساد ولدي؛ فإنهم لا يكثرون إلا بكثرة النعمة.

فإن كان والدي سبق منه هذا الدعاء، فإن الإجابة كانت مخبوءة إلى زمان عزك؛ فقد رأينا تباشيرها، وبدت لنا عند عنايتك غايتها.

وكان بعض الصالحين يقول: اللهم اجعل ولدي محسودين، ولا تجعلهم مرحومين؛ فإن يوم المحسود يوم عزة، ويوم الحاسد يوم ذلة.

ويقال: إنه لما مات الحجاج سمعوا جارية خلف جنازته وهي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يحسدنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا." (١)

"من بني الصفار المنتمين إلى بني مغيث مولى بني أمية، وهو بيت عظيم بقرطبة. وكان هذا الشيخ باقعة قد أخذ نفسه بالوقوع في الأعراض مأخذ ابن حيان على ما تقدم، وتركته بتونس، فنعي إلى سنة أربعين

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٨١

وستمائة، ولم أر أعجب من شأنه فإنه كان أعمى، معطل اليدين والرجلين، شنيع الخلقة، لا يزال لعابد يسيل ووجه يهتز، وإذا جاذبته أهداب الآداب رأيت منه بحرا زاخرا. وكان آية في الحساب والفرائض مقدما على أعراض الملوك والوجوه، وحسبك أنه لما قال أبو زيد الفازازي كاتب المأمون بن المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن قصيدته التي أولها: " الحزم والعزم منسوبان للعرب " وكان أنصاره عرب جشم، قال ابن الصفار في مناقضتها قصيدته التي منها في ذكر المأمون عم يحيى بن الناصر ومخاصمة على الخلافة:

وإن ينازعك في المنصور ذو نسب ... فنجل نوح ثوى في قسمة العطب

وإن يقل أنا عم فالجواب له ... عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة، وبلغت المأمون فحرص على قتله، فلما كبس مدينة فاس وفر أمامه منها يحيى بن الناصر وكان ابن الصفار في خدمته اختفى عند عجوز في خوص على قارعة الطريق، وقامت بحاله لما رأته عليه من الأعذار الموجبة للصدقة، وأمر المأمون المنادين في الأسواق بالبحث عنه وتحذير من كتمه بإراقة الدم والإحسان لمن أظهره، وأذكيت العيون عله، فستره الله إلى أن سكنت تلك النائرة، ولحق بإفريقية، فأحسن إليه سلطانها أبو زكريا بن عبد الواحد وأجرى عليه مشاهرة، وجالسه، إلى أن كرهه لما شاهده من كثرة وقوعه في الأحياء والأموات، فحجبه عن مجلسه، ولم يقطع الإحسان عنه.

وسايرته يوما فأنشدني لنفسه قوله:

لا تحسب الناس سواء متى ... ما اشتبهوا فالناس أطوار

وانظر إلى الأحجار في بعضها ... ماء وبعض ضمنه نار

وقوله:

يا طالعا في جفوني ... وغائبا في ضلوعي

بالغت في السخط ظلما ... وما رحمت خضوعي

إذا نويت انقطاعا ... فاعمل حساب الرجوع

ومن نثره: لا يتهلل عند سؤاله ولا يأخذ رائده من أدبه ولا ماله. أيها الغبي المتعثر في ذيول جهله وجاهه، الأشوس الطرف من غير حول، والرافع أنفه دون شمم، الساري إلى العلياء سرى العين، الذي لا يظفر منه قاصده المخدوع بغير التعب والمين وعض اليدين. من دلك علي، ومن هداك إلي، متى استدعيتني إلى ربعك، وتكلفت من التجمل لحضور الفضلاء ما ليس في طبعك، وما العجب منك حين رغبت عن كنيف في تلطيخ بطيب، بل العجب ممن كان في طيب، فجاء يتلطخ بكنيف. وكأني بك في منزلك العامر

بالحرمان، الغامر من الفضل والإحسان، وقد قعدت في بهوه، ونفخت شخصك الضئيل في زهوه. ومنه: ذو اللحية الطويلة، والجثة الضئيلة، الوسخ الأثواب، العرى من الآداب، المرسل لسانه في كل عرض، الآخذ في كل قبيح بالطول والعرض.

ومنه: ثم قلت لي ابدأ بمذهب أبي حنيفة أو بمذهب امرئ القيس فكدت والله أضرط ضحكا، ولا أخاف في تبعة الأدب دركا. فاتق الله بستر نفسك، ولا تكن في غدك أجهل منك في أمسك.

الأديب أبو محمد

عبد الحق الزهري القرطبي

من حفاظ مؤرخي الأندلس وأدبائها، جالسته كثيرا في إشبيلية ومالقة، **وكان والدي** يكرمه لحفظه، والذي في ذكري الآن من شعره قوله من قصيدة في ذم بني هود حين خلعوا عن إشبيلية:

كأنما الراية السوداء قد نعبت ... لهم غرابا ببين الأهل والولد

مات الهدى تحتها من فرط روعته ... فأظهر الدهر منها لبسة الكمد

علماء الفلسفة

سعيد بن عبد الرحمن بن محمد

بن عبد ربه القرطبي

هو ابن أخي أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد، ذكره صاعد في كتاب طبقات الأمم وأخبر أنه فصد يوما، فبعث إلى عمه المذكور راغبا في الحضور عنده، فلم يسعفه، فكتب له:

لما عدمت مؤانسا وجليسا ... نادمت بقراطا وجالينوسا

وجعلت كتبهما شفاء تفردي ... وهما الشفاء لكل برح يوسى

فجاوبه عمه:

ألفيت بقراطا وجالينوسا ... لا يأكلان ويرزآن جليسا

فجعلتهم دون الأقارب جنة ... ورضيت منهم صاحبا وأنيسا." (١)

"من كتاب ابن حيان: أن ابن أبي عامر قلده القضاء بعد خاله، قال: والناس ينسبون بني ذكوان إلى برابر فحص البلوط. وهم يزعمون أنهم من بني سليم من موالي بني أمية. واتصلت ولايته إلى قيام الفتنة، وسعى عليه ابن القطاع فعزل، ثم رد إليها، واعتلت منزلته في مدة المظفر بن أبي عامر وأخيه الناصر، وقلده

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٢٤

الناصر الوزارة، وكان يكتب عنه من الوزير قاضي القضاة، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس. فلا كان قضاء القضاة من خطط الدولة المروانية، لأنهم لم يفوضوا أمر القضاة إلى قاض في وقت من الأوقات. ومال إلى البرابر في الفتنة، فقبض عليه واضح مولى أبي عامر مدبر دولة هشام أسوأ قبض، ونفي إلى بر العدوة في وقت تنكر البحر، فسلمه الله إلى وهران إلى أن قتل واضح. فاسترجع إلى قرطبة، ولم يقبل خطة القضاة بوجه. وكان السلطان لا يقطع أمرا دونه، وصحبته الرياسة بقية مدته إلى أن مات على تلك الحال، فدفن صلاة العصر من يوم الأحد لتسع بقين من رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، بمقبرة العباس مع سلفه، ولم يتخلف عنه كبير أحد من الخاصة والعامة، وشهد الخليفة يحيى بن علي ابن حمود جنازته.

أبو المطرف

عبد الرحمن بن محمد بن فطيس

من كتاب ابن حيان أنه ولي القضاء بين مدتي أبي العباس بن ذكوان. وهو أحد الأعاظم من وزراء السلطان في أحد البيوت المولوية التي انتهى إليها الشرف. وممن جمعه إلى ذلك الارتسام بالعلم والرواية الواسعة، والتقدم بالعمل في الحكومة بالمظالم والشرطة. وكان مشهورا بالصلابة في الحق، وإعزاز الحكومة، إلا أنه كان يخلط صرامته ببطش وعجلة وحدة لا تليق بالأحكام. وكان الغالب عليه الرواية والبصر بطريق الحديث. وصاهره ابن القطاع صاحب الدولة العامرية، وكانت وفاته صدر الفتنة، فدفن يوم الثلاثاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة.

ومن كتاب نجوم السماء في حلى العلماء

أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني

المعروف بابن الهندي

ذكره ابن بشكوال في كتاب الأعلام، وأخبر أنه روى عن أبي علي صاحب الأمالي، وعن قاسم بن أصبغ، وكان حافظا لأخبار أهل الأندلس، بصيرا بعقد الوثائق، وله فيها ديوان كبير كثير المنفعة.

ولا عن زوجه بالجامع في قرطبة في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، فعوتب في ذلك، وقيل له: مثلك يفعل هذا؟! فقال: أردت إحياء سنة.

قال ابن بشكوال: وكانت وفاته في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وصلى عليه القاضي أحمد بن ذكوان. ومولده لعشر بقين من محرم سنة عشرين وثلثمائة.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الرابع من الكتب التي تشتمل عليها

الكورة القرطبية وهو

كتاب الوردة في حلى مدينة شقندة

كانت في قديم الزمان مدينة، ثم خربت وصارت قرية، وهي مطلة عليها مجاورة لها. منها:

أبو الوليد الشقندي

وحسبه من التنبيه على محله في الأدب رسالته التي تقدمت في صدر كتاب الأندلس، وكان شاهدا عدلا يتولى القضاء في مثل بياسة وأبدة، وتفنن في العلوم القديمة والحديثة وارتقى إلى أن كان ممن يحضر مجلس منصور بني عبد المؤمن، **وكان والدي** يقدمه، وأبصرته في إشبيلية في مدة ابن هود، وبها توفي بعد سنة سبع وعشرين وستمائة.

له في مطلع قصيدة في منصور بني عبد المؤمن وقد نهض للنصارى عام الأرك:

إذا نهضت فإن السعد منتهض ... ترمي السعود سهاما والعدا غرض

لك البسيطة تطويها وتنشرها ... فليس في كل ما قد رمت معترض

وأنشد الوزير ابن جامع قصيدة فيها:

استوقف الركب قد لاحت لك الدار ... واسأل بربع تناءت عنه أقمار

لا خفف الله عني بعد بينهم ... فإنني سرت الأحباب ما ساروا

ألا رعى الله ظبيا في قبابهم ... منه لهم في ظلام الليل أنوار

غدا أنيسا بهم لا شيء يذعره ... لكنه عن جنابي الدهر نفار

فقال له الوزير: يا أبا الوليد! هذا الظبي نفارك، فمن تواقك؟ فخلج. وله:

عللاني بذكر من همت فيه ... وعداني عنه بما أرتجيه." (١)

"الأديب الأستاذ

أبو الحسن علي بن جابر الدباج

شيخ جليل القدر، قدمه أهل إشبيلية للصلاة بهم في جامع العدبس، مشهور بالفضل، وهو مع هذا في

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٥٥

نهاية منن اللطافة، والمداعبة للغلمان والتندير في شأنهم، قرأت عليه بإشبيلية، ومن شعره قوله:

لما تبدت وشمس الأفق بادية ... أبصرت شمسين: من قرب ومن بعد

من عادة الشمس تعشي عين ناظرها ... وهذه نورها يشفي من الرمد!

وقوله في المجبنات:

أحلى مواقعها إذا قربتها ... وبخارها فوق الموائد سامي

إن أحرقت لمسا فإن أوارها ... في داخل الأحشاء برد سلام

وتركته في قيد الحياة.

؟؟الطبيب الفيلسوف

أبو الصلت أمية بن أبي الصلت الإشبيلي

يقال إن عمره كان ستين سنة: عشرون في إشبيلية، وعشرون في المهدية، وعشرون في مصر محبوسا في خزانة الكتب.

ومن الخريدة: كان واحد زمانه، وأفضل أوانه، متبحرا في العلم، منشئا للمنثور والمنظوم، وله الباع الطويل في الأصول، والتصانيف الحسنة، منها كتاب الحديقة، على أسلوب كتاب اليتيمة، وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة في المحرم. وأحسن ما وقفت عليه في ديوانه قوله:

لا غرو أن سبقت يداك مدائحي ... وتدفقت جدواك ملء إنائها

يكسي القضيب ولم يحن إثماره ... وتطوق الورقاء قبل غنائها

وقوله:

تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا ... في كل قلب للطعان قليبا

ومنها:

تعطى الذي أعطتكه سمر القنا ... أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

وكان قد خرج من إشبيلية، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين، وتوجه في رسالة إلى مصر، فسجن في القاهرة في خزانة البنود، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب، فأقام بها نحو عشرين سنة، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة، من حديثة وقديمة. وصنف كتاب الحديقة، على منزع كتاب اليتيمة، في فضلاء عصره، وصنف الرسالة المصرية، وصنف في الطب والتنجيم والألحان، وعنه أخذ أهل إفريقية الألحان التي هي الآن بأيديهم. وعاد إلى المهدية، فجل قدره، وعظم عند ملوكها ذكره، وأعقب هنالك عقبا نابها. وقد تقدمت

أبياته في بركة الحبش والأهرام. ووجدت في ديوانه منسوبا له:

أشهر الصوم ما مثل ... ك عند الله من شهر

على أنك قد حرم ... ت فينا لذة الخمر

وقرع الكاس بالكاس ... ورشف الثغر للثغر

وإني والذي شر ... ف أوقاتك بالذكر

لمسرور بأن تفنى ... على أنك من عمري!

الأديب

الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم

حافظ إشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، و **كان والدي** يتعجب منه، ومن أعجب عجائبه أنه كان يملي على شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجال دون توقف. وتنبه ذكره في مدة مأمون بني عبد المؤمن، وكتب له مدة، وقد نشأ بينه وبين فلاح من أهل الشرف ما ذكره:

تعرض لي بالبدو أهوج طائش ... أتى مسرعا نحوي تأبط لي شرا

وذكرى عجوزي وهي تبكي تأسفا ... علي بكا الخنساء ذكرني صخرا

فبادرت من حيني صفاة كقلبه ... فإن يفتتح باعا فتحت بها شبرا

فأقسم لو لا أن نحوت له بها ... لقد كان لي زيدا وكنت له عمرا

وقوله وقد نظر إلى باب غني معمورا وبابه إلى جانبه خاليا:

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة ... باب الغني كذا حكم المقادير!

وإنما الناس أمثال الفراش فهم ... بحيث تبدو مصابيح الدنانير!

الطبيب الوشاح أبو الحجاج يوسف بن عتبة

اجتمعت به في إشبيلية، وكان طبيبا أديبا وشاحا مطبوعا، ثم سافر إلى إفريقية، ثم إلى مصر، فمات في مارستان القاهرة قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ومن شعره قوله، وقد شرب مع ندمائه تحت قصب فارسي:

انظر إلى القصب الذي تهفو به ... ريح الصبا وتميله نحو الكئوس

أو ما كفاه شربه من طله ... أولا فلم جعلت ذوائبه تنوس

أسهمه من أكوابنا ولو أنه ... سكران يطفح حق ما لثم الرءوس." (١)

"وقوله وقد قعد إلى جانبه غلام وسيم، فقام وقعد مكانه أسود قبيح:

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم ... فها أنا أشقى بعد ما كنت أنعم

وما كان إلا الشمس حان غروبها ... فأعقبها جنح من الليل مظلم

مملكة مالقة

كتاب خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب السابع من الكتب التي يشتمل عليها كتاب غرب الأندلس وهو

كتاب خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة

مملكة بين مملكتي إشبيلية وغرناطة، على بحر الزقاق، وهي كثيرة التين واللوز وينقسم كتابها إلى: كتاب النفحة الزهرية في حلى مدينة رية كتاب الترييش في حلى مدينة بليش كتاب نخبة الريحانة في حلى مدينة بزليانة كتاب الراية في حلى مدينة لماية كتاب فرحة المسرور في حلى حصن مورور

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الأول من الكتب التي يشتمل عليها كتاب المملكة المالقية وهو

كتاب النفحة الزهرية في حلى مدينة رية

المنصة

من المسهب: تعرف الآن بمالقة، وفي القديم برية، وهي بحرية برية ولها الوادي الربيعي الذي يأتي زائرا مغبا، فيزداد أهلها فيه غبطة وحبا، وعلى مذانبه المتفرعة كسبائك اللجين، ما ترتاح بمرآه النفس والعين، وفيه أقول:

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٦٦

بوادي رية عرج فإني ... رأيت الحسن عنه لا يميل

وهات الخمر صرفا دون مزج ... بحيث الماء والظل الظليل

غدا متقسما في كل وجه ... كما سلت على خز نصول

تجول لواحظي ما دمت فيه ... بحيث ترى مذانبه تجول

ولمالقة مما فضلت به ما حفها من شجر اللوز وشجر التين، إذ هو بها طوفان لا تزال تحمل منه الركاب والسفين، وهو مفضل على سائر تين الأندلس، إلا شعري إشبيلية، فإن بعضهم يفضله، ولا سيما في دخوله في الأدوية ومنفعته. ويكفيها عن ال إطناب ما يتضمن شرح اسمها، إذ معنى رية عند النصارى: سلطانة فهي سلطانة البلاد. ولها القلعة المنيعة التي تتقلد من المجرة بنجاد. قال ابن سعيد: دخلت مدينة مالقة وأقمت فيها إقامة أرضت الشباب، وأمتعت مجالس الآداب. **وكان والدي** يفضلها ويعجب بها ولا سيما في أيام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين، ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدة منفعته، فعددنا ذلك من أيام النعيم، إذ بياض أبراجها في خضرة شجرها مع تناسقها وكثرتها كما قال الكاتب أبو العباس الشلبي:

نظرت لمالقة مرة ... وقد زينوا أرضها بالبروج

فقلت سماء بدت زهرها ... تضاهي نجوم السما والبروج

وخمر مالقة مشهورة بالأندلس مفضلة، وفيها من ضروب الوشي العجائب، ويصنع بها الفخار المذهب والزجاج، ولأبي الحسين بن مسلمة موشحة في واديها، وهي:

بوادي رية ... اخلع عذار التصابي

أما تراه مفرع

مثل الصباح المرصع

بالروض عاد مجزع

سقاه ريه ... من صفو ماء السحاب

عليه حث المدامه

وانظره في شكل لامه

خاف الرياض حمامه

فكم خطيه ... مدت له كالحراب

دعني من العشق دعني

فكم به هاج حزني

فالآن أعشق دني

وأقصي ميه ... مع الممنى والرباب

الكاس أعشق عمري

لله ساعات سكرى

ما بين ورد وزهر

فما لي نيه ... في غير هذا الحساب

إلا إذا كان شادن

يسبيك منه محاسن

حلو الهوى متماجن

ينادي سيه ... يا عم إحرز ثيابي

وهذه من اصطلاح الصبيان الذين يسبحون هنالك.

التاج

أول من ثار بها في مدة ملوك الطوائف عامر بن الفتوح، وخدعه على بن حمود، فأخذها منه، فصارت قطبا لخلافة ولده حين أخرجوا من قرطبة. وأشهرهم بها إدريس بن يحيى بن علي الملقب بالعالي. وصارت إلى باديس ابن حبوس صاحب غرناطة. ثم تداولت عليها ولاة الملثمين وولاة المصامدة وولاة ابن هود. وهي الآن لابن الأحمر ملك غرناطة.

السلك." (١)

"يأهل أندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه، وأرى ... ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

الفقيه أبو القاسم بن الخياط

من المسهب: أقام خمسين سنة على العفاف والخير، لا تعرف له زلة، فلما أخذ النصارى طليطلة، حلق وسط رأسه وشد الزنار، فقال له أحد أصحابه في ذلك وقال له: أين عقلك؟ ! فقال: ما فعلت هذا إلا بعد ما كمل عقلي.

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٠٠

وقال شعرا منه:

تلون كالحرباء حين تلون ... وأبصر دنياه بملء جفونه

وكل إلى الرحمن يومي بوجهه ... ويذكره في جهره ويقينه

ولو أن دينا كان نفيا لخالقي ... لما كنت يوما داخلا في فنونه

وذكر ابن اليسع له رسالة كتبها عن أذفونش ملك النصارى إلى المعتمد بن عباد بالإرهاب.

المنجم مروان بن غزوان

كان متصلا بعبد الرحمن الأوسط، وخرج في بعض سفراته، فبشره بالسلامة، وافتتاح ثلاثة معاقل من بلاد العدو، فكان ذلك، وأعطاه ألف دينار.

وكان قد هجا هاشم بن عبد العزيز وزير محمد بن عبد الرحمن، فأغراه به، وأنشد لمحمد أبياتا كان مروان قد قالها متغزلا في محمد لما كان غلاما:

أعلل نفسي بالمواعد والمنى ... وما العيش واللذات إلا محمد

بذاك سبى عقلي وهاج لي الجوى ... ولم يسبه حور أوانس نهد

ولكن غزال عبشمي سما به ... أب ماجد الآباء قرم ممجد

فأمر له بمائة سوط لكل بيت، وسجنه.

الطبيب

أبو إسحاق إبراهيم بن الفخار اليهودي

ساد في طليطلة، وصار رسولا من ملكها النصراني أذفونش إلى أئمة بني عبد المؤمن بحضرة مراكش، **وكان والدي** يصفه بالتفنن في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق وقد أبصرته في إشبيلية وله جاه عريض وأنشدني لنفسه قوله في أذفونش:

حضرة الأذفونش لا برحت ... غضة أيامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة ... في ثراها إنها قدس

ومن كتاب مصابيح الظلام في حلي الناظمين لدر الكلام.

غربيب بن عبد الله الطليطلي

من الجذوة: شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير، ومما يتداول الناس من شعره:

يهددني بمخلوق ضعيف ... يهاب من المنية ما أهاب

وليس إليه محيا ذي حياة ... وليس إليه مهلك من يصاب

له أجل ولي أجل وكل ... سيبلغ حيث يبلغه الكتاب

وما يدري لعل المؤت منه ... قريب أينا قبل المصاب

لعمرك ما يرد الموت حصن ... إذا انتاب الملوك ولا حجاب

لعمرك إن محياي وموتي ... إلى ملك تذل له الصعاب

الحلة

عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي

من الجذوة: كان ابن القاسم يجله ويكرمه، وروى عيسى عنه، وكان إماما في المذهب المالكي، وعلى طريقة عالية من الزهد والعبادة، ويقال إنه صلى أربعين سنة الصبح بوضوء العتمة، وكان يعجبه ترك الرأي والأخذ بالحديث وقيل إنه كان قد أجمع في آخر أيامه على أن يدع الفتيا بالرأي ويحيل الناس على ما رواه من الحديث، فأعجلته المنية في سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الأهداب

الغرض من موشحات ابن بقى موشحة له مشهورة

ما الشوق إلا زناد ... يوري بقلبي كل حين نيرانا

ومن بلي بالفراق ... يبت به ليل السليم حرانا

دنيا تجلت عروس ... على بساط السندس

فاشرب وهات الكوس ... فهي حياة الأنفس

وإن أتيت العروس ... فاعطف بها ولتجلس." (١)

"أخبرني والدي: أنه كان في أول حاله، يخدم الرشيد أبا حفص بن يوسف بن عبد المؤمن فلما سخط على الرشيد أخوه المنصور وضرب عنقه طلب أصحابه فكان ابن عياش في جملتهم، فاختفى مدة، وقاسى شدة، وقال:

بئس الحياة لخائف مترقب ... لم يلف في تخليصه من مذهب

قد غلقت أبواب كل شفاعة ... في وجهه جورا ولما يذنب

ما ذنب من وفى بخدمة من بهعرف النعيم وذاق عذب المشرب

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١١٠

يا شمس قد أثرت في بدر الدجى ... وخسفته لا تحفلن بكوكب

فوقف المنصور على هذه الأبيات، فعملت فيه، وعفا عنه، واستكتبه. قال والدي: وأنشدني لنفسه:

قالوا حبيبك أقلح ... فقلت ذلك أملح

وكيف ينكر روض ... غب الندى قد تفتح

وكان والدي يصفه بالمروة ويثني عليه.

الكاتب أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني

ذكر والدي: أنه من صدور الكتاب، كتب عن أبي زيد بن بوجان ملك تلمسان. وله من رسالة يخاطب بها ابن عياش المذكور: يا سيدي ولا ينادي غير الكرام، وعمادي ولا يعتمد إلا على من يصرف صروف الأيام، نداء من يمت بالجوار القديم، ويشفع بنسب الأدب الذي لا يرعاه إلا كريم، مع ولاء لو والى به الصباح ما غرب عن ناظره، وصفاء لو صافى به الدهر ما كدر من خاطره.

وأحسن شعره قوله:

قم هاتها ذهبية ... تجلو دجى الليل البهيم

تجلى كما تجلى العرو ... س وفوقها عقد نظيم

حلب الكروم وما يخ ... ص بشربها إلا كريم

ما زلت فيها باذلا ... نشبي الحديث من القديم

وأعدها ذخرا لما ... ألقى من الألم الأليم

عجبا لها تشفي السقا ... م ولونها لون السقيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب العاشر

من الكتب التي يشتمل عليها:

كتاب مملكة جيان

وهو:

كتاب الفرائد المفصلة، في حلي حصن تاجلة

من عمل بسطة على وادي المنصورة

الكتاب

أبو القاسم بن طفيل

سكن مالقة، وكان يكتب عن ولاتها من ملوك بني عبد المؤمن، اجتمع به والدي، ومما أنشده من شعره قوله في رثاء جارية:

أمسيت أندب في الفراش مكانها ... وكأنه ما كان منها عامرا

وكأنني لم أجن منها روضة ... وكأنني لم أثن غصنا ناضرا

وكأنني والليل أرخى ستره ... لم يبد لي منها هلالا زاهرا

عبد الله بن ابي بكر بن طفيل

أبو محمد عبد الله بن العالم أبي بكر بن طفيل

من كلام والدي فيه، من أعيان كتاب الأوان، ومشاركهم في الأدب والبيان، وله تواليف، منها تأليفه معجم بلده الأندلس على منزع الحجاري، وكتب عن عادل بني عبد المؤمن. ومن نثره:

أيها الفريق الذين تمسكوا بالضلال، ولم يصغوا نحو موعظة ولا توقعوا فجأة نكال، تيقظوا لما آثرتموه، وأصيخوا لما دعوتموه، فكأني بخيل الله تصبحكم وساء صباح المنذرين، فتتركم في دياركم جاثمين، هنالك يخسر المبطلون، ويتلهف المفرطون، وهذا طل يتبعه وابل، وحركة يعقبها زلازل.

ومن شعره قوله:

وغدونا بكل خير ولكن ... ليس في كفنا سوى الترهات

وهم ألكن الأنام بهاك ... وهم أفصح الأنام بهات

العلماء

الطبيب الفيلسوف أبو بكر محمد بن طفيل." (١)

"وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب، وهذبه عبد الملك وزاد عليه، ثم عقبه بعده، فكان منه هذا الكتاب على ما تقدم ذكره، وكان ولى عهده والمقدم على جنده:

أبو عبد الله محمد بن عبد الملك

وكان مقدما عند يحيى بن غانية في مدة الملثمين، ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال إشبيلية وأعمال غرناطة

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٢٣

وأعمال سلا وعلى يديه بني الجامع الأعظم بإشبيلية وقد مدحه الرصافي شاعر الأندلس في عصره بقصيدته التي منها:

إن الكرام بني سعيد كلما ... ورثوا العلا والمجد أوحد أوحدا

قسموا المعالي بالسواء وفضلوا ... فيها عمادهم الكبير محمدا

ولم يسمع من نظمه إلا قوله:

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامناولا تركبن بالغيظ في مركب وعر

ولا تبحثن في عذر من جاء تائبافليس كريما من يباحث في ،العذر

وكان مولده سنة أربع عشرة وخمسمائة، وتوفي في غرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

وإلى الآن القلعة بيد بني سعيد، منهم فيها عبد الملك بن سعيد.

السلك

سائر بني سعيد

أبو بكر محمد بن سعيد

صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين.

من المسهب: حسب القلعة كون هذا الفاضل منها، فقد رقم برد مجده بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجية القابلة أعلى سبب، وله من النظم ما تقف عليه، فتعلم أن زمام الإحسان ملقى في يديه. أنشدني لنفسه قوله:

يا هذه لا ترومي ... خداع من ضاق ذرعه

تبكي وقد قتلتني ... كالسيف يقطر دمعه

وقوله:

فخرنا بالحديث بعد القديم ... من معال تواترت كالنجوم

نحن في الحرب أجبل راسيات ... ولنا في الندي لطف النسيم

وقوله:

لقد صدعت قلبي حمامة بانة ... أثارت غراما ما أجل وأكرما

ورق نسيم الريح من نحو أرضكمولطف حتى كاد أن يتكلما

أبو جعفرأحمد بن عبد الملك بن سعيد

هو عم والدي، وأحد مصنفي هذا الكتاب، **وكان والدي** كثير الإعجاب بشعره، مقدما له على سائر أقاربه، واستوزره عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة، فقال شعرا منه :

فقل لحريص أن يراني مقيدابخدمته: لا يجعل الباز في القفص

وانضاف إلى ذلك اشتراكهما في هوى حفصة الشاعرة، وكان عثمان أسود اللون، فبلغه أن أبا جعفر قال لها: ما تحبين في ذلك الأسود وأنا أقدر أشتري لك من السوق بعشرين دينارا خيرا منه؟ ثم إن أخاه عبد الرحمن فر إلى ملك شرق الأندلس ابن مرذنيش، فوجد عثمان سببا إلى الإيقاع بأبي جعفر، فضرب عنقه.

وأول حضور أبي جعفر عند عبد المؤمن أنشده:

عليك أحالني داعي النجاح ... ونحوك ح◌ثني هادي الفلاح

وكنت كساهر ليلا طويلا ... ترنح حين بشر بالصباح

وذي جهد تغلغل في قفار ... شكا ظمأ فدل على القراح

دعانا نحو وجهك طيب ذكر ... ويدعو للرياض شذا الرياح

وأنشده وهو بقصره في رباط الفتح أمام سلا على البحر المحيط، قصيدة منها:

تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهروما لسواك الآن نهي ولا أمر

ومنها:

ألا إن قصرا قد بدا لي بأفقهمحياك أهل أن يخر له البدر

أطل على البحر المحيط مرفعافختمه الشعري وتوجه النسر

ووافت جيوش البحر تلثم عطفه ... مرادفة لما تناهى به الكبر

وما صوتها إلا سلام مردد ... وفي كل قلب من تصع◌◌دها ذعر." (١)

"إن شئت تعرف أحوال الأنام فخذعن عالم بهم بحاث أسرار

الناس في هذه الدنيا كما نشروايوم القيامة معيارا بمعيار

شخص من الألف في عدن محلته ... وسائر الناس في بحبوحة النار

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٤٢

الكتاب السادس

من الكتب التي يشتمل عليها:

كتاب مملكة المرية

وهو:

كتاب البهجة، في حلي مدينة برجة

البساط

كان والدي متولعا بالفرجة فيها، لما خصها الله به من حسن المنظر، أخبرني أن الجنات محدقة بها، وهي على نهر بهيج، يعرف بوادي عذراء، وفيه الفواكه الجليلة، وبها معدن الرصاص.

العصابة

تارة يتكرر عليها الولاة من المرية، وتارة من غرناطة، ولكن الأغلب ولاية المرية، فلذلك أثبتناها في مملكتها.

السلك

القو ا د

القائد

أبو محمد عبد الله بن سوار

أخبرني والدي: أنه من بيت رياسة وإمارة، وكان أبو محمد مع سلوك طريق آبائه في الجندية، مزاحما لأهل الفضل. ومن شعره قوله:

أتاني كتاب منك رق وراقني ... وكان كعرف قد تنشق عن زهر

كأن معانيه وألفاظ نثره ... كؤوس وقد نمت بصافية الخمر

وقوله:

لقد طال عتبي للزمان لأنه ... يقصر عما يقتضيه نصابي

وإني لأخشى أن يكلفني النوى ... فتتعب في نيل العلاء ركابي

ومن الكتاب

أبو بكر بن عمار

كاتب المتوكل بن هود سلطان الأندلس

اجتمعت به في غرناطة، وكان له حظ من الأدب، واشتهر قوله:

قل لمن يشهد حربا ... تحت رايات ابن هود

ثم لا يقدم فيها ... مثل إقدام الأسود

حرم الحظ من الدن ... يا ومن دار الخلود

؟ومن العلماء

أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله

بن شرف

والده أبو عبد الله أديب القيروان، ذكر الحجاري: أنه ولد له في برجة، وقد قيل إنه دخل به الأندلس صغيرا. ومن الذخيرة: ذو مرة لا تناقض، وعارضة لا تعارض، وذكر أنه حي في عصره بالمرية، واشتهر بمدح المعتصم بن صمادح . الغرض مما أنشده من نظمه قوله من قصيدة فيه:

مطل الليل بوعد الفلق ... وتشكى النجم طول الأرق

وألاح الفجر خدا خجلا ... جال من رشح الندى في عرق

جاوز الليل إلى أنجمه ... فتساقطن سقوط الورق

واستفاض الصبح فيها فيضة ... أيقن النجم لها بالغرق

وقوله:

رأى الحسن ما في خده من بدائعفأعجبه ما ضم منه وطرفا

وقال لقد ألفيت فيه نوادرافقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله:

ألا فاسقنيها والصباح كأنهعلى الأفق الشرقي ثوب ممزق

ومن القلائد: الناظم الناثر، الكثير المعالي والمآثر، إن نثر رأيت بحرا يزخر، وإن نظم قلد الأجياد درا تباهي به وتفخر. ووصفه بمعرفة علم الأوائل. وله تصانيف. ومن حكمه: العالم مع العلم كالناظر للبحر، يستعظم مايرى والغائب عنه أكثر – الفاضل في الزمان السوء كالمصباح في البراح، قد كان يضيء لولا الرياح – لتكن بالحال المتزايدة، أغبط منك بالحال المتناهية، فالقمر آخر إبداره، أول إدباره – لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك، فإن الحي برجليه أقوى من الميت على أقدام الحملة، وهي ثمان – المتلبس بمال

السلطان كالسفينة في البحر، إن أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه – ليس المحروم من سأل فلم يعط، وإنما المحروم من أعطي فلم يأخذ. وأحسن م ا أثر له قوله:." [1]

""""""""" صفحة رقم ٤٦ """"""""

وكان لذلك أسباب : منها أنه صرف ما غرم على القبة بالشافعي من مال الديوان – وكان تقرر صرفه من مال الديوان الكاملي . ومنها أنه كشف على الأموال التي أنفقت في تجهيز الملك المسعود إلى اليمن ، وكانت جملة عظيمة ، فأنكر عليه ذلك ، وفعل به ما فعل .

وعرضت الوزارة على القاضي الأشرف : أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم ، فتوقف عنها . ثم خوطب فقال : **كان والدي** في الأيام الناصرية لا يكتب في الدولة . فأجيب إلى ذلك ، واستقرت القاعدة أنه يتحدث في الأموال بلسانه ، دون قلمه . ورتب القاضي عماد الدين بن جبريل صاحب ديوان الدولة ، ورتب شمس الدين أبو القاسم بن التبني وزير الصحبة .

وفيها في شهر المحرم ، صرف قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمن ، ابن عبد العلي بن علي السكري – عن القضاء بالديار المصرية . وكان سبب ذلك أن السلطان عقد مجلسا بحضوره بسبب وقف المدرسة – ا لتي أوقفها إبراهيم بن شروه ، وولي القطب ، قاضي قوص ، النظر عليها – فلم يمض القاضي عماد الدين الوقف . فقال السلطان : هذه القضية أنا أعرفها وأشهد بها . فامتنع من إثباتها . فغضب السلطان ، وأشهد على نفسه بعزله في المجلس . ثم صرف عن الخطابة بالجامع الحاكمي ، وولاها الشيخ بهاء الدين بن الجميزي لأربع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة .

ولما عزله السلطان عن القضاء ، استشار شيخ الشيوخ : صدر الدين أبا الحسن بن حمويه ، فيمن يوليه القضاء . فأشار أن يقسم العمل شطرين : قبليا وبحريا ، وأن يولي." [2]

"حباني من ذخائره بسيف ... به لم يبق للأحزان جيد والقصر الفارسي من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة، وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون في قصيد ضمنه من منتزهات قرطبة ما تقف عليه، وكان قد فر من قرطبة أيام بني جهور، فحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الأنسية مع ولادة التي كان يهواها ويتغزل فيها، فقال (١) :

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى ... فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى وستأتي هذه القصيد في هذا

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٦١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٤٦/٢٩

الباب، كما ستأتي قصيدة أبي القاسم ابن هشام القرطبي التي أولها:

يا هبة باكرت من نحو دارين ... وفيها كثير من منتزهات قرطبة.

قال ابن سعيد: **كان والدي** كثيرا ما يأمرني بقراءتها عليه، ويقول: والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل، قال: وكان أبو يحيى الحضرمي يحفظها، ويزين بها مجالسه، ويحلف أن لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم، أو حاسد لا ينصف في الاهتزاز لها، وإنه لجدير بذلك، وإنها لمن كنوز الأدب.

ثم قال: والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز، أخبرني والدي أنه حضر في زمان الصبا بهذا المرج على راحة، ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي (٢) والمسن ابن دريدة (٣) المشهور بخفة الروح، قال: فسبحت أمامنا إوز، وجعلت تمرح وتنثر ما عليها من الماء فوق المرج،

---

(١) ديوان ابن زيدون: ١٥٨.

(٢) أبو الحسين الوقشي، سيذكره صاحب النفح، وكان ذا صوت بديع عارفا بالألحان؛ وقد مر ذكره في المغرب (١: ٢٢٠) في مجلس مع والد ابن سعيد.

(٣) في بعض النسخ: الحسن؛ وفي نسخة: دويدة؛ وقد ذكره ابن سعيد في المغرب ٢: ١٨١ وأورد بعض نوادره؛ وهو قلعي أي ينسب إلى قلعة بني سعيد؛ وفي ج: ودريده.." [1]

"وخفوت، وكان أديبا شاعرا ذواقا لأطراف العلوم، انتهى.

٨٣ - ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالأندلس - مع البلاغة والبراعة - أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب (١) ، وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر، من عمل بلنسية، وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن، ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الأندلس، وربما استوزره في بعض الأحيان، قال ابن سعيد: وهو ممن **كان والدي** يكثر مجالسته، ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه في مجالسته، وكان شديد التهور، كثير الطيش، ذاهبا بنفسه كل مذهب، سمعته مرة وهو في محفل يقول: تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه فأهوى له شخص له قحة وإقدام، فقال: يا أبا جعفر، فأرنا برهان ذلك، ما أظنك تعني إلا نفسك، فقال: نعم، ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه (٢) إليه متقدم، ولا يهتدي لمثله متأخر:

يا هل ترى أظرف من يومنا ... قلد جيد الأفق طوق العقيق

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٧٣/١

وأنطق الورق بعيدانها ... مرقصة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى ... في الروض (٣) إلا بكؤوس الشقيق فلم ينصفوه في الاستحسان، وردوه في الغيظ إلى أضيق مكان (٤) ، فقلت له: يا سيدي، هذا هو السحر الحلال، فبالله إلا ما زدتني من هذا النمط، فقال:

أدرها فالسماء بدت عروسا ... مضخمة الملابس بالغوالي

---

(١) ترجمته في اختصار القدح: ١١٤ وعنه ينقل المقري، وانظر المغرب ٢: ١٣٦ والمقتضب من التحفة: ١٥٧ والإحاطة ١: ٢٤٤.

(٢) القدح: لم يهتد؛ دوزي: لم ينته.

(٣) ب ودوزي: الأرض.

(٤) القدح: إلى أشد مما كان." [1]

"للدين والدنيا وللشيم العلا ... والجود إن شح الغمام السافك

عند الهياج ربيعة بن مكدم ... في الفضل والتقوى الفضيل ومالك (١)

ورث الجلالة عن أبيه وجده ... فكأنهم ما غاب منهم هالك

فجياده للآملين مراكب ... وخيامه لقاصدين أرائك

فغذا المعالي أصبحت مملوكة ... أعناقها بالحق فهو المالك

يا فارس العرب الذي من بيته ... حرم لها حج به ومناسك

يا من يبشر باسمه قصاده ... فلهم إليه مسارب ومسالك

أنت الذي استأثرت فيك بغبطتي ... وسواك فيه مآخذ ومتارك

لا زلت نورا يهتدي بضيائه ... من جنه للروع ليل حالك

ويخص مجدك من سلامي عاطر ... كالمسك صاك به الغوالي صائك (٢) الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيرا، وجعلك للعرب أميرا، وجعل اسمك فالا، ووجهك جمالا، وقربك جاها ومآلا، وآل رسول اله صلى الله عليه وسلم لك آلا، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب سيادتها وكبرائها، وأهنيك ما منحك الله تءالى من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى، إذ جعل خيمتك في هذا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٠٧/٣

المغرب على اتساعه، واختلاف أشياعه، مأمنا للخائف، على قياس (٣) المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك والقلوب إلى حبك، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك، ولقد كنت أيام تجمعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا، وطوع الأمل سالكا، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء، والشيم الدالة على العلياء، وزكاء الأصول وكرم الآباء، **وكان والدي** – رحمه الله تعالى – قد عين للقاء

---

(١) الفضيل بن عياض ومالك بن دينار (وقد يكون: مالك بن أنس).

(٢) الغوالي: الطيوب، مفردها غالية؛ صاك: خلط ومزج.

(٣) الاستقصا: على كثرة.." [1]

"على مثل قولي:

يا هاجري ... هل إلى الوصال منك سبيل

أو هل يرى ... عن هواك سال قلب العليل وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة، قال ابن سعيد: **كان والدي** يعجب بقوله:

إن سيل الصباح في الشرق ... عاد بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادب الورق ... أتراها خافت من الغرق فبكت سحرة على الورق ... واشتهر بإشبيلية لذلك العهد أبو الحسن ابن الفضل، قال ابن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا ابن الفضل، لك على الوشاحين الفضل، بقولك:

واحسرتي لزمان مضى ... عشية بان الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضى ... وبت على جمرات الغضا

أعانق بالفكر تلك الطلول ... وألثم بالوهم تلك الرسوم قال: وسمعت أبا بكر ابن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول " لله درك " إلا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ... ما لليل المشوق من فجر خمد الصبح ليس يطرد ... ما لليلي فيما أظن غد

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٠١/٦

... صح يا ليل أنك الأبد ...

أو تفضت قوادم النسر ... فنجوم السماء لا تسري." [١]

""""""""" صفحة رقم ١٩٢ """""""

الملائكة وقال كل منهم إن ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يبعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) . . حكاية : قال بعض الصالحين رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به . . . لوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) فسأله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعادي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه . . . حكاية : قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل على النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر ، وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفا وخمسمائة صنم تعبد من دون الله ، فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت فقال محمد رسول الله فسألته عن مسائل فأجابها فقالت إكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت هذا لمن يطلب الفردوس قليل فلما ماتت طرحوها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فكفنها وصلى عليها ثم قال والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة ثم جاء جبريل وقال يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) اللهم بحق يوم عرفة اصرف عني هذه الكلاب فخضعت له فقال عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم إن

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٠/٧

ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يبعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) . . حكاية : قال بعض الصالحين رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به . . . فائدة : أكرم الله هذه الأمة بصيام عرفة وأكرم فيه أربعة من الأنبياء أكرم آدم بالتوبة وموسى بالتكليم ومحمد بالحج وإكمال الدين وإبراهيم بفداء الذبيح وهو إسماعيل كما تقدم في باب المحبة قال النيسابوري في تفسيره هربت هاجر من سيدتها سارة فقال لها ملك إلى أين قالت أهرب من سيدتي قال ارجعي واخضعي لها فإن الله تعالى يكثر ذريتك وستحبلين وتلدين ولدا إسمه إسماعيل يكون عين الناس فلما أمر إبراهيم بذبحه في المنام لأن منام الأنبياء وحي وقيل أن الله تعالى أمر جبريل بذلك فقال يا رب بيني وبينه صداقة وهو شيخ كبير وما بشرته إلا بخير فلا أبشره بهذا فحوله الله تعالى في المنام ليلة عرفة فلما أصبح ذبح مائة من الغنم فجاءت نار فأكلتها فظن أنه في فقيل له ليلة الأضحى خليل الرحمن قرب ولدك إسماعيل فلما أصبح قال لأمه إغسلي رأسه وادهنيه ففعلت فلما خرج جاء الشيطان وقال يا هاجر إن إبراهيم يريد ذبح إسماعيل قالت ولم قال زعم أن الله تعالى أمره فقالت سلمنا الأمر لله فلحق إسماعيل وقال له كما قال لأمه فرد عليه كما ردت عليه أمه ثم قال يا إبراهيم تريد ذبح ولدك قال نعم قال جاءك شيطان في المنام فقال إليك عني يا عدو الله فلما وصل إلى الجبل قال يا بني إني أريد أن أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ولكن إذا أضجعتني فشد وثاقي لئلا يصيبك من دمي وكن على البلاء صابرا وادفع قميصي إلى أمي ليكون لها تذكرة وأقرئها السلام مني وإن سألتك عني فقل تركته عند من هو خير منك ومني فقال إبراهيم يا رب إرحم ضعفي وكبر سني فإن لم ترحمني فارحم هذا الولد الصبي الصغير الذي لا ذنب له وكان عمره سبع سنين وقيل ثلاثة عشر فضجت الملائكة بالبكاء وفتحت أبواب السماء فصرعه على وجهه ووضع السكين على أوداجه فلم تقطع شيئا ، وقيل أوحى الله تعالى إلى جبريل أدركه إن قطعت السكين منه شيئا لمحوتك من ديوان الملائكة قال النسفي رحمه الله تعالى أن إبراهيم ألقى السكين مغضبا فقالت أي السكين لم تغضب قال لأنك لم تقطعي شيئا فقالت له كيف النار لم تحرق منك شيئا قال خرج النداء من قبل الله يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم فقال وأنا خرج لي سبعين مرة لا تقطعي شيئا وأن إسماعيل

قال لأبيه حل وثاقي لئلا يقول الناس ذبحه قهرا ولا يعلمون أني أبذل روحي طائعا مختارا ، ثم قال يا أبت أنا أكرم منك أم أنت." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٣ """""""""

كان لي أخ إسمه كاسمك فركب والدنا في البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه قال كيف كان إسم والدك قال فلان قال وأمك قال فلانة فترامى عليه وقال أنت أخي ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدها في هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة قال لها أيتها المرأة ما الذي رأيت من هذين فقالت أيها الملك دعهما يذكران كلامهما البارجة فذكرا ذلك فوثب الملك عن سريره وقال أنتما والله ولدي وقالت المرأة والله أنا أمهما وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فسبحان من فرقهم وجمعهم . . . حكاية : رأيت في القنية للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول حول الكعبة : شعر : هـ وصارت الجزيرة بلدا وصار الرجل كبيرها فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته فقصده وقربه ولم يعرفه ثم سمع ولده الآخر فقصده وقربه أيضا ثم سمع زوج امرأته الذي صارت الزوجة إليه فتوجه بها إليه فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة في المركب ودخل عليه ومعه هدية فقربه وقال له نم عندنا الليلة فقال تركت امرأتي في مركب وعاهدتها لا أكل أمرها إلى غيري فقال أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة فلما دخل عليها قال أحدهما للآخر قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة ونخاف من النوم فاذكر لي وأنا أذكر لك ما رأينا من الأخبار فقال أحدهما كان لي أخ إسمه كاسمك فركب والدنا في البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه قال كيف كان إسم والدك قال فلان قال وأمك قال فلانة فترامى عليه وقال أنت أخي ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدها في هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة قال لها أيتها المرأة ما الذي رأيت من هذين فقالت أيها الملك دعهما يذكران كلامهما البارجة فذكرا ذلك فوثب الملك عن سريره وقال أنتما والله ولدي وقالت المرأة والله أنا أمهما وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فسبحان من فرقهم وجمعهم . . . حكاية : رأيت في القنية للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول حول الكعبة : شعر :

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم . . . يا كاشف الضر والبلوى مع السقم .

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١٩٢/١

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا . . . وأنت يا حي ويا قيوم لم تنم

هب لي بجودك ما أخطأت من جرم . . . يا من إليه أشار القوم بالكرم

إن كان عفوك لم يسبق لمجترم . . . فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال يا حسن أدركه فإذا هو رجل حسن الوجه إلا أنه قد شل جانبه الأيمن فقال أجب أمير المؤمنين فجاء يجر شقه فقال من أنت قال من العرب وكان والدي يتهاون عن المعاصي فلطمته على وجهه فركب ناقته وأتى الكعبة وقال : شعر :

يا من إليه أتى الحجاج من بعد . . . يرجون لطف عزيز واحد صمد

هذي منازل ما قد خاب قاصدها . . . فخذ بحقي يا رحمن من ولدي

فسل منه بجود منك جانبه . . . يا من تقدس لم يولد ولم يلد قال فما فرغ حتى أصابني ما ترى فلما رجع ورآني في هذه الحالة سألته أن يدعو لي في الموضع الذي دعا علي فيه بعد أن رضي عني فخرج على ناقته فسقط عنها فمات فقال علي رضي الله عنه أفلا أعلمك دعاء سمعته من النبي (صلى الله عليه وسلم) وسمعته يقول ما دعا به مهموم إلا فرج الله عنه وهو هذا : اللهم إني أسألك يا عالم الخفية يا من السماء بقدرته مبنية . ويا من الأرض بقدرته مدحية . ويا من الشمس والقمر." (١)

"إن تمكن الأيام منك وعلها ... يوما يكل لك بالصواع الزائد

وقد يكون سرهنك هذا من الفرسان المذكورين مقدما في الأكراد، إلا أنه كان شابا وجمعة رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة.

في صدر الإسلام

وذكرت بفعلة سرهنك ما فعله مالك بن الحارث الاشتر رحمه الله بأبي مسيكه الايادي.وذلك انه لما ارتدت العرب في أيام أبي بكر رضوان الله عليه، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهز العساكر إلى قبائل العرب المرتدين.فكان أبو مسيكه الأيادي مع بني حنيفة وكانوا أشد العرب شوكه.وكان مالك الأشتر في جيش أبي بكر رحمه الله.فلما توقفوا برز مالك بين الصفين وصاحيا أبا مسيكة فبرز له فقال ويحك يا أبا مسيكة، بعد الإسلام وقراءة القرآن رجعت إلى الكفر؟فقالإياك عني يا مالك!انهم يحرمون الخمر، ولا صبر عنها.قال هل لك في المبارزة؟قال نعم.فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف فضربه أبو مسيكة فشق رأسه وشتر عينه وبتلك الضربه سمي الأشتر.فرجع وهو معتنق رقبه فرسه إلى رحله، واجتمع له قوم من أهله وأصدقائه

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢٢٣/١

يبكون.فقال لأحدهمادحل يدك في فمي.فادحل إصبعه في فمه فعضها مالك فالتوى الرجل من الوجع.فقال مالك لابأس على صاحبكم.يقال إذا سلمت الأضراس سلم الرأس، أحشوها يعني الضربه سياقا وشدوها بعمامة فلما حشوها وشدوها قالهاتوا فرسي.قالوالإلى أين قالإلى أبى مسيكة.فبرز بين الصفين وصاح يا أبا مسيكة!فخرج إليه مثل السهم فضربه مالك بالسيف على كتفه فشقها إلى سرجه فقتله.ورجع مالك إلى رحله فبقى أربعين يوما لا يستطيع الحراك، ثم ابل وعوفي من جرحه ذلك.

سلامة المطعون

ومن ذلك ما شهدته من سلامة المطعون، وقد ظن أنه هلك، أننا التقينا بوادر خيل شهاب الدين محمود بن قراجا، قد جاء إلى أرضنا وكمن لنا كمينا.فلم توقفنا نحن وهو انتشرت خيلنا.فجاءني فارس من جندنا يقال له علي بن سلام نميري وقال أصحابنا قد انتشروا ان حملوا عليه أهلكوهم.قلت احبس عني اخوتي وبني عمي حتى أردهم.فقاليا أمراء، دعوا هذا يرد الناس ولا تتبعوه، وإلا حملوا عليهم قلعوهم.قالوا يمضي.فخرجت أناقل حصاني حتى رددتهم، وكانوا ممسكين عنهم ليستجر وهم ويتمكنوا منهم.فلما رأوني قد رددتهم حملوا علينا وخرج كمينهم وأنا على فسحة من أصحابي فرجعت مباريهم أريد احمي أعقاب أصحابي فوجدت ابن عمي ليث الدولة يحيى رحمه الله قد حدب من وراء أصحابي من قبل الطريق وأنا في شمالية فجئناهم، فتسرع فارس من خيلهم يقال له فارس بن زمام رجل عربي فارس مشهور، وجازنا يريد الطعن في أصحابنا فسبقني إليه ابن عمي فطعنه فوقع هو وحصانه وفقع الرمح سمعتها أنا وأولئك.وكان الوالد رحمه الله أرسل رسولا إلى شهاب الدين فأخذه معه لما جاء لقتالنا فلما طعن فارس بن زمام ولم يبلغ منا ما أراد نفذ الرسول من مكانه بجواب ما سار فيه ورجع إلى حماه، فسألت الرسولهل مات فارس بن زمام، قاللا والله ولافيه جرح قالليث الدولة طعنه وأنا أراه فرماه ورمى حصانه وسمعت قعقعة كسر الرمح، لما غشيه ليث الدولة من يساره مال على جانبه الأيمن وفي يده قنطاريته فوقع حصانه على قنطاريته وهي على وهده فانكسرت، وتذنب ليث الدولة برمحه فوقع من يده، والذي سمعت قعقعة قنطاريه فارس بن زمام، ورمح ليث الدولة أحضره بين يدي شهاب الدين وأنا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر ولا في فارس جرح، فعجبت من سلامته وكانت تلك الطعنه طعنه فيصل كما قال عنترة

الخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ورجع جميعهم كمينهم ما نالوا منه ما أرادوه.والبيت المقدم من أبيات عنترة بن شداد يقول فيها

إني أمرؤ من خير عبس منصبا ... شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت فتلاحظت ... ألفيت خيرا من معم مخول

وإن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

والخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ودعوا نزال فكنت أول نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل

أول قتال حضره أسامة." (١)

"فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحاضرين من الأنصار رضي الله عنهم " هل حضر أحد منكم يوم الحديقة " ؟فقال رجل منهم أنا حضرته يا رسول الله عليك وسلم وحضره قيس بن الخطيم وهو قريب عهد بالعرس وعليه ملاءة حمراء فوالذي بعثك بالحق لقد عمل في قتاله كما قال عن نفسه

وثالثة تنفذ في صدر الإفرنجي

ومن عجائب الطعن ان رجلا من الأكراد يقال له حمدات كان قديم الصحبة قد سافر مع والدي رحمه الله إلى اصبهان إلى دركاه السلطان ملكشاه فكبر وضعف بصره ونشأ له اولاد.فقال له عمي عز الدين رحمه الله يا حمدات كبرت وضعفت، ولك علينا حق وخدمه، فلو لزمت مسجدك وكان له مسجد على باب داره واثبتنا أولادك في الديوان ويكون لك أنت كل شهر ديناران وحمل دقيق وأنت في مسجدك.قال افعل يا أمير.فأجري له ذلك مديدة. ثم جاء إلى عمي وقال يا أمير والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إلي من الموت على فرشي.قال الأمر لك وأمر برد ديوانه عليه كما كان.فما مضى إلا الأيام القلائل حتى غار علينا السرداني صاحب طرابلس.ففزع الناس إليهم وحمدات في جملة الروع، فوقف على رفعة من الأرض مستقبل القبله فحمل عليه فارس من الإفرنج من غربيه فصاح إليه بعض اصحبنا يا حمدات فلتفت، فرأى الفارس قاصده فرد رأس فرسه شمالا ومسك رمحه بيده وسدده إلى صدر الإفرنجي فطعنه فنفذ الرمح منه، فرجع الإفرنجي متعلقا برقبة حصانه في أخر رمقه.فلما انقضى القتال قال حمدات لعمي يا أمير لو أن حمدات كان في المسجد من طعن هذه الطعنه ؟فاذكرني قول الفند الزماني

أيا طعنه ما شيخ ... كبير يفنى بالي

تفتيت بها إذ ... كره الشكة أمثالي

وكان الفند قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقتربين فرماهما جميعا

طعنة تودي بفارسين وفرسين

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/١٣

وقدكان جرى لنا مثل ذلكوهو ان فلاحا من العلاة جاء يركض إلى أبي وعمي رحمهما الله، قال شاهدت سربة إفرنج تائهين قد جاءوا من البرية لو خرجتم إليهم آخذتموهم فركب ابي وعماي خرجوا بالعسكر إلى السربة التائه وإذا به السرداني صاحب طرابلس في ثلاثمائة فارس ومائتين تركبولي وهم رماة الإفرنج.فلما رأوا اصحبنا ركبوا خيلهم أطلقوا على أصحابنا هزموهم وتموا يطردونهم، فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل وأبي وعمي رحمهما الله يريانه، فطعن فارسا منهم إلى جانبه فارس آخر وهما يتبعان أصحابنا فرمى الفارسين والفرسين .وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها.فكلما هم والدي به وبتأديبه يقول عمييا أخي بحياتك هب لي ذنبه ولاتنس له تلك الطعنه فيصفح عنه لكلام أخيه.وكان حمدات الذي تقدم ذكره ظريف الحديث، حدثني والدي رحمه الله قالقلت لحمدات ونحن سائرون في طريق أصبهان سحرا، أمير حمدات أكلت اليوم شيئا؟قال نعم يا أمير أكلت ثريدة قال ركبنا في ا لليل وما نزلنا ولا أوقدنا نارا، من أين لك الثريدة قال يا أمير عملتها في فمي اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدة .

والد أسامة مقاتلا

وكان الوالد رحمه الله كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة ومات على فراشه، وحضر يوما القتال وهو لابس وعليه خوذه إسلامية بآنف فزرقه رجل بحربه – وكان معظم قتاله مع العرب في ذلك الزمان فوقعت الحربة في أنف الخوذة فأنطوى وادمى انفه ولم يؤذيه.ولو كان قدر سبحانه ان يميل المزراق عن أنف الخوذه أهلكه، وضرب مرة أخرى بنشابة في ساقه وفي خفه دشني فوقع السهم في الدشن فانكسر فيه ولم يجرحه، هذا الحسن دفاع الله الله تعالى .." (١)

"أعود إلى ما تقدم.وفي ذلك اليوم أصاب غلام كان لعمي عز الدولة أبي المرهف نصر رحمه الله يقال له موفق الدولة شمعون طعنه عظيمة التقاها دون عمي عز الدين أبي العساكر سلطان رحمه الله.واتفق ان عمي أرسله رسولا إلى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش إلى حلب، فلما حضر بين يديه قال لغلمانهمثل هذا يكون الغلمان وأولاد الحلال في حق مواليهم.وقال لشمعون حدثهم حديثك أيام والدي وما فعلته مع مولاك.فقاليا مولانا بالأمس حضرت القتال مع مولاي فحمل عليه فارس يطعنه، فدخلت بينه وبين مولاي لأفديه بنفسي فطعنني، قطع من أضلاعي ضلعين وهما – ونعمتك – عندي قمطره.فقال له الملك رضوانوالله ما أعطيك الجواب حتى تنفذ تحضر القمطرة والأضلاع.فأقام عنده وأرسل من أحضر القمطرة وفيها عظمان

(١) كتاب الاعتبار، ص/١٧

من أضلاعه.فعجب رضوان من ذلك وقال لأصحابهكذا اعملوا في خدمتي .فأما الأمر الذي سأله عنه أيام والده تاج الدولة فإن جدي سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ رحمه الله سير ولده عز الدولة نصرا رحمه الله إلى خدمته تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب فقبض عليه واعتقله ووكل به من يحفظه، وكان لا يدخل إليه سوى مملوكه هذا شمعون والموكلون حول الخيمة فكتب عمي إلى أبيه رحمهما الله يقول تنفذ لي في الليلة الفلانيه وعينها قوم من أصحابه ذكرهم وخيل أركبها إلى الموضع الفلاني.فلما كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع ثيابه فلبسها مولاه وخرج على الموكلين في الليل، فما أنكره، ومضى إلى أصحابه وركب وسار، ونام شمعون في فراشه.وجرت العادة أن يجيئه شمعون في السحر بوضوئه فكان رحمه الله من الزهاد القائمين ليلهم يتلون كتاب الله تعالى، فلا أصبحوا لم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة فوجدوا شمعون وعز الدولة قد راح، فانهوا ذلك إلى تاج الدولة فأمر بإحضاره، فلما حضر بين يديه قال كيف عملت؟قالأعطيت مولاي ثيابي لبسها وراح ونمت أنا في فراشه قالوما خشيت أن أضرب رقبتك؟قال يا مولاي إذا ضربت رقبتي وسلم مولاي وعاد إلى بيته فأنا السعيد بذلك، ما اشتراني ورباني إلا لأفديه بنفسي .فقال تاج الدولة رحمه الله لحاجبه سلم إلى هذا الغلام خيل مولاة ودابته وخيامه وجميع ركبه وسير يتبع صاحبه وما أنكر عليه وما احنقه ما فعل في خدمت مولاه، فهذا الذي قال له رضوان حدث أصحابي ما عملته أيام والدي مع مولاك.أعود إلى حديث الحرب المقدم ذكرها مع ابن ملاعب .

عم أسامه يطعن في جفن عينه

و جرح عمي عز الدولة رحمه الله في ذلك اليوم عده جراح منها طعنه طعنها في جفن عينيه السفلاني من ناحية المأق، ونشب الرمح في المأزق عند مؤخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقا بجلده من مؤخر العين، والعين تلعب لا تستقر، وأنما الجفون التي تمسك العين، فخاطبها الجرائحي وداواها فعادت كحالها الأوله لا تعرف العين المطعونة من الأخرى .

شجاعة عم أسامه ووالده

وكانا رحمهما الله من أشجع قومهما، ولقد شهدتهما يوما وقد خرجا إلى الصيد بالبزاة نحو تل ملح وهناك طير ماء كثير، فما شعرنا إلا وعسكر طرابلس قد أغار على البلد ووقفوا عليه، فرجعنا **وكان الوالد** من أثر المرض، فأما عمي فخف بمن معه من العسكر وسار حتى عبر المخاض إلى الإفرنج وهم يرونه، وأما الوالد فسار والحصان يخب به وأنا معه صبي وفي يده سفرجله يمتص منها، فلما دنونا من الإفرنج قال لي أمض أنت أدخل من السكر وعبر هو من ناحية الإفرنج .ومره أخرى شاهدته وقد أغارت علينا خيل محمود بن

قراجا، ونحن على فسحه من البلد، وخيل محمود أقرب إليه منها، وأنا قد حضرت القتال ومارست الحرب، فلبست كزاغندي وركبت حصاني وأخذت رمحي، وهو رحمه الله على بغله .فقلت يا مولاي ما تركب حصانك !قال بلى وسار كما هو غير منزعج ولا مستعجل، وأنا لخوفي عليه ألح عليه في ركوبه حصانه إلى أن وصلن إلى البلدة وهو على بغلته، فلما عاد أولئك وأمنا قلت يا مولاي ترى العدو قد حال بيننا وبين البلد وأنت لا تركب بعض جنائبك وأنا أخاطبك فلا تسمع !قال يا ولدي، في طالعي أنني لا ارتاع .وكان رحمه الله له اليد الطولى في النجوم مع ورعه ودينه وصومه الدهر وتلاوة القرآن، وكان يحرضني على معرفة علم النجوم فآبى وأمتنع، فيقول فاعرف أسماء النجوم ما يطلع منها ويغرب .وكان يريني النجوم ويعرفني أسماءها .." (١)

"ومن ذلككان في خدمتي رجل يقال له نمير العلار وزي، راجل شجاع نهض هو وقوم من رجال شيزر إلى الروج إلى الإفرنج، فعثروا في البلد على قافلة من الإفرنج في مغارة.فقال بعضهم لبعضمن يدخل عليهم قال نميرأنا، فدفع إليهم سيفه وترسه وجذب سكينه ودخل عليهم فاستقبله رجل منهم فضربه بالسكين رماه وبرك عليه يقتله وخلفه إفرنجي معه سيف فضربه وعلى ظهر نمير مزود فيه خبز فهو يرد عنه، فلما قتل الرجل الذي تحته ألتفت إلى صاحب السيف يريده فضربه بالسيف في جانب وجهه فقطع حاجبه وجفن عينه وخده وأنفه وشفته العليا، فتدلى جانب وجهه على صدره فخرج من المغارة إلى أصحابه فشدوا جرحه ورجعوا إليه في ليلة باردة ماطرة، فوصل شيزر وهو على تلك الحالة، فخيط وجهه وداوى جراحه فبرأ وعاد إلى مكان عليه، إلا أن عينه تلفت وهو أحد الثلاثة الذين رماهم الإسماعيلية من حصن شيزر وقد تقد ذكرهم .

واحد يهزم قوما في رفنية

وحدثني الرئيس سهري وكان في خدمت الأمير شمس الخواص التونتاش صاحب رفنية وكان بينه وبين علم الدين علي كرد صاحب حماة عداوة وخلف، قالأمرني شمس الخواص أن أخرج أقدر بلد رفنية وابصر زرعه، فخرجت ومعي قوما من الجند.قدرت البلد، ونزلت ليلة عند المساء بقرية من قرى الرفنية لها برج صعدنا إلى سطحه تعشينا وجلسنا وخيلنا على باب البرج، فما شعرنا إلى برجل قد أشرف علينا من بين شراشيف البرج فصاح علينا ورمى نفسه إلينا وفي يده سكينه فنهزمنا ونزلنا في السلم الأول وهو خلفنا، ونزلنا في السلم الثاني وهو خلفنا حتى وصلنا الباب فخرجنا وإذا قد رتب لنل رجلا على الباب فقبضونا جميعنا وأوثقونا

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/١٩

رباطا ودخلوا بنا حماة علي كرد، فما سلمنا من ضرب الرقبة إلا بفسحة الأجل، فحبسنا وغرمنا، وكان الذي فعل بنا ذلك كله رجل واحد .

ابن المرجي يستولي على حصن

ومثل ذلك جرى في حصن الخربة، كانت لصلاح الدين محمد بن أيوب الغسياني رحمه الله وفيها الحاجب عيسى واليها، وهو حصن منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبه يطلع إليه بسلم خشب ثم يرفع السلم فلا يبقى إليها طريق، وليس مع الولي في الحصن سوى ابنه وغلامه وبواب الحصن وله صاحب يقال له ابن المرجي يطلع إليه في الوقت بعد الوقت في أشغاله، فتحدث مع الأسماعليية وقرر معهم قرارا أرضاه، من مال واقطاع ويسلم إليهم الحصن الخربة، ثم جاء إلى الحصن فاستأذن وطلع فبدأ بالباب، قتله فلقيا الغلام فقتله ودخل على الوالي قتله وسلمه إلى الإسماعيلية، وقاموا له بما كانوا قرروه له.والرجال إذا قوا أنفسهم على شيء فعلوه.

مروءة مكار نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخوتهم، **وكان الوالد** رحمه الله يقول لي "كل جيد من سائر الأجناس، من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته، مثل حصان جيد يساوي مائة دينار، خمس حصن رديئة تساوي مائة دينار وكذلك الجمال وكذلك أنواع الملبوس، إلا ابن آدم فإن ألف رجل أرد ياء لا يساوون رجلا واحدا جيدا " .وصدق رحمه الله.

كنت قد نفذت مملوكا لي في شغل مهم إلى دمشق واتفق أن أتابك زنكي رحمه الله أخذ حماة ونزل على حمص، فاشتدت الطريق على صاحبي فتوجه إلى بعلبك ومنها إلى طرابلس واكترى بغل رجل نصراني يقال له يونان فحمله إلى حيث اكتراه وودعه، ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصل إلى شيزر من حصون الجبل فلقيهم إنسان فقال لأرباب الدواب لا تمضوا فإن في طريقكم في الموضع الفلاني عقد حرامية في ستين سبعين رجلا يأخذونكم قالفوقفنا لا ندري ما نعمل، ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف، فنحن كذالك إذا الريس يونان قد أقبل مسرعا .فقلناما لك يا ريس؟قالسمعت أن في طريقكم حرامية جئت لأسيركم، سيروا.فسرنا معه إلى ذلك الموضع، وإذا قد نزل من الجبل خلق عظيم من الحرامية يريدون أخذنا فلقيهم يونان وقاليا فتي ان موضعكم!أنا يونان وهؤلاء في خفارتي، والله جميعهم عنا وما أكلوا

من عندنا رغيف خبز، ومشي معنا يونان حتى أمنا ثم ودعنا وأنصرف.

وفاء بدوي." (١)

"ولقد رأيته راكبا مع رجل من غلامان عمي يقال له بستكين غرزة على وركي حصانه وخرق بمخالبه ثيابه ورانته وعاد إلى الجبل، فما كان لي فيه حيلة إلا أن صعدت فوقه في سفح الجبل.ثم حدرت حصاني عليه فطعنته فنفذت الرمح فيه وتركته في جانبه، فتقلب إلى أسفل الجبل والرمح فيه، فمات الأسد وانكسر الرمح، والوالد رحمه الله واقف يرانا معه أولاد أخيه عز الدين يبصرون ما يجري وهم صبيان.وحملنا الأسد ودخلنا البلد العشاء، وإذا جدتي لأبي رحمها الله جاءتني في الليل وفي يدها شمعة – وهي عجوز كبيرة قاربت من العمر مائة سنة.فما شككت أنها قد جاءت تهنئني بالسلامة وتعرفني مسرتها بما فعلت.فلقيتها وقبلت يدها فقالتلي بغيظ وغضبيا بني أيش يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر سلاحك ويزداد قلب عمك منك وحشة ونفورا.؟قلتيا ستي أنما أخاطر بنفسي في هذا ومثله لأتقرب إلى قلب عمي.قالتلا والرره ما يقربك هذا منه وانه يزيدك منه بعدا ويزيده منك وحشا ونفورا.فعلمت أنها نصحتني في قولها وصدقتني، ولعمري إنهن أمهات رجال.

ولقد كانت هذه العجوز رحمها الله من صالحي المسلمين من الدين والدقة والصوم والصلاة على أجمل طريقة، ولقد حضرتها ليلة النصف من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان رحمه الله من أحسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته، فأشفق عليها فقاليا أمي لو جلست صليت من قعودة.قالتيا بني بقي لي من العمر ما أعيش إلى ليلة مثل هذه الليلة ؟لا ولله ما أجلس، **وكان الوالد** قد بلغ السبعين سنة وهي قد شارفت المائة سنة رحمها الله.

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نخوات النساء عجبا.وهو أن رجلا من أصحاب خلف بن ملاعب يقال له علي عبد بن أبي الريداء كان قدر رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة، فكان ينهض مع ابن ملاعب يبصر القوافل على المسيرة يوم كامل.ولقد حدثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجازي انتقل إلى خدمة والدي بعد ما قتل خلف بن ملاعب قالنهضنا يوما وأرسلنا عليا عبد ابن أبى الريداء بكرة يديب لنا، فجاءنا وقالابشروا بالغنيمة!هذه قافلة كثيرة مقبلة.فنظرنا ما رأينا شيئا، فقلناما نرى قافلة ولا غيرها.قالوالله، إني لأرى قافلة وقدامها فرسان معينان ينفضان معارفهما.فأقمن في الكمين إلى العصر فوصلتنا القافلة والفرسان المعينان

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٢٨

قدامها فخرجنا أخذنا القافلة.وحدثني سالم العجازي فقالنهضنا يوما وصعد علي عبد ابن أبي الريداء يديب لنا، فنام وما درى إلا وقد أخذه تركي من سربة أتراك ناهضة وقالوأي شيء أنت؟قال أنا رجل صعلوك قد أركيت جملي لرجل من التجار في القافلة، أعطني يدك أنك تعطيني جملي حتى أدلك على القافلة.فأعطاه مقدمة يده، فمشى بين أيديهم إلى أن أوصلهم إلينا إلى الكمين، فخرجنا عليهم أخذناهم، وتعلق هو في الذي كان بين يديه أخذ فرسه وعدته، وغنمنا منهم غنيما حسنة.فلما قتل ابن ملاعب انتقل علي ابن أبي الريداء إلى خدمت توفيل الإفرنجي صاحب كفرطاب، فكان ينهض بالإفرنج إلى المسلمين يغنمهم ويبالغ في أذى المسلمين وأخذ مالهم وسفك دمهم حتى قطع سبل المسافرين، وله امرأة معه في كفر طاب تحت يدي الإفرنج تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهي.فنفذت أحضرت نسيب لها من بعض الضياع وأظنه أخاها، وأخفته في البيت إلى الليل.واجتمعت هي وهو على زوجها علي ابن أبى الريداء قتلاه واحتملاه يجمع مالها.وأصبحت عنا في شيزر وقالتغضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر.فأرحت الناس من هذا الشيطان، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في الكرامة والاحترام.

إفرنجية تجرح مسلما

وكان في أمراء مصر رجل يقال له ندى الصليحي في وجهه ضربتان الواحة من حاجبه الأيمن إلى حد شعر رأسه والأخرى من حاجبه الأيسر إلى حد شعر رأسه.فسألته عنهما فقالكنت انهض و أنا شاب من عسقلان وأنا راجل، فنهضت يوما في طريق بيت المقدس أريد حجاج الإفرنج، فصادفنا قوما منهم فلقيت رجلا معه قنطارية وخلفه امرأته معها كوز خشب فيه ماء.فطعنني الرجل هذه الطعنة الواحدة وضربته قتلته، فمشت إلي امرأته وضربتني بالكوز الخشب في وجهي، جرحتني هذا الجرح الأخر فوسما وجهي .

شيزرية تأسر ثلاثة إفرنج." (١)

"فلما أخذ الإفرنج طرابلس نفذ الوالد والعم رحمهما الله استخلصا الشيخ ابو عبد الله هذا ويانس الناسخ، وكان قريب الطبقة في الخط من طريقة ابو البواب، اقام عندنا بشيزر مدة ونسخ للوالد رحمه الله ختمتين.ثم انتقل إلى مصر ومات بها.وشاهدت من الشيخ عبد الله عجبا.دخلت عليه يوما لأقراء له فوجدته بين يديه كتب النحوكتاب سيبويهو كتاب الخصائص لإبن جني وكتاب الأيضاح لأبي علي الفارسي وكتاب اللمع وكتاب الجمل فقلتيا شيخ أبو عبد الله قرأت هذه الكتب كلها؟قرأتها؟لا والله إلا كتبتها في اللوح وحفظتها، تريد تدريخذ جزءا وافتحه وأقرأ من أول الصفحة سطرا واحدا.فأخذت جزءاوفتحته وقرأت منه

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٤٤

سطرا، فقرأ الصفحة بأجمعها حفظاحتى أتى على تلك الأخزاء جميعها، فرأيت منه أمرا عظيماما هو في طاقة البشر.هذه جملة إعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث.وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه افدام، وفي الأرض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدماها، وهو مشغول ينظر صيد الفهدة ولا يحس بتألم رجليه – مشغول بما يراه من تسللها إلى الغزلان وعدوها وحسن صيدها.

باز أحمر العينين

وكان الوالد رحمه الله محظوظا من الجوارح النادرة الفارهة، وذلك انها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجراح الفاره، وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت أحمر العينين، فكان من أفره البازة، فوصل كتاب عمي تاج الأمراء أبي المتولد مقلد رحمه الله من مصر وكان مقامه بها في خدمة الآمر بأحكام الله يقولسمعت في مجلس الأفضل ذكر الباز الأحمر العينين، والأفضل يستخبر المحدث عنه وعن صيده.فنفذه الوالد رحمه الله مع بازياره إلى الأفضل.فلما حضر بين يديه قال لههذا هو الباز الأحمر العينين؟قال نعم يامولاي قالأي شيء يصيد؟قاليصيد السمانة والحرجلة وما بينهما من صيد فبقي هذا الباز بمصر مدة ثم أفلت وراح وبقي سنة في البرية في شجر الجميز وقرنص في البرية، ثم عاد اصطادوه وتصيدوا به.وقد أرسل على طير منه مصيبة عظيمة.

باز إفرنجي

وكان يوما عند الوالد رحمه الله، وقد جاء إنسان من من فلاحي معرة النعمان معه باز مقرنص مكسر ريش الأجنحه والذنب في قدر العقاب الكبير، ما رأيت قط باز مثله وقاليا مولاي كنت اصلي للدلم بالنادوف فضرب هذا الباز على دلمة في النادوف فأخذته وحملته إليك.فأخذه واحسن إلى الذي اهداه.ووصل البازيار ريشه وحمله واستجابه، وإذا الباز صائد مطابق مقرنص بيت قد افلت من الإفرنج وقرنص في جبل المعرة، فكان من أفره الجوارح واشطرها.

فرخ شاهين

وشاهدته يوماوقد خرجنا معه رحمه الله إلى الصيد واستقبلنا على بعد رجل معه شيء ما نتحققه.فلما دنا منا وإذا معه شاهين فرخ من أكبر الشواهين واحسنها وقد خمش يده وهو حامله، فدلاه ومسك ساقيه ورجليه – والشاهين مدلي منشور الأجنحة.فلما وصلنا قاليا مولاي أصدت هذا الطير وقد جئت به إليك فسلمه الوالد إلى البازيار فأصلحه ما انكسر من ريشه.ولم يخرج مخبره مثل منظره، كان قد اتلفه الصياد بما عمل به.والشاهين هو الميزان ادنى شيء يعيبه ويفسده.وكان هذا البازيار صانعامجودا في إصلاح

الشواهين.كنا نخرج من باب المدينة إلى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد حتى الشباك والفؤوس والمجارف والكلاليب لما ينجحر من الصيد، ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب، فإذا خرج إحداهما عن القصد تنحنح البازيار وأشار بيديه إلى النحو الذي يريده فيرجع والله الشاهين من وقته إلى ذلك النحو ورأيته وقد أدار الشاهينا على قطعة من الصلاصل نازلة لي مرج فلما أخذ الشاهين طبقته دق له الطبل فطارت وانقلب عليها الشاهين ضرب رأس صلصلة قطعه، وأخذها ونزل.فدرنا والله على ذلك الرأس ما وجدناه، وأثره قد وقع على بعد في الماء لأننا كنا بالقرب من النهر.وقال له غلام يقال له أحمد بن مجير لم يكن ممن يركب معهيا مولاي اشتهيت أبصر الصيد.قالقدموا لأحمد فرسايركبه ويخرج معنا.فخرجنا إلى صيد الدراج، فطار ذكر وتنر كما جرت العادة، وعلى يد الوالد رحمه الله اليحشور فأرسله عليه، فطار على الأرض والحشيش يضرب صدره والدراج قد ارتفع ارتفاعا كبيرا.فقال له أحمديا مولاي وحياتك كان يتلاه به حتى أخذه.

كلاب صيد." (١)

"وكان يجيئه من بلاد الروم الزغارية كلاب جياد ذكور وأناث.فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبع فيها.شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي مع الكلابزي، فأرسل بازا على دراجة فبنجت في غلفاء في جرف النهر فأرسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة، وتلك الجروة واقفة على الجرف.فلما طارت الدراجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف.فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد وما صادت قط.ورأيت كلبا من هذه الزغارية وقد بنجت حجلة في الجبل في بمج صعب وقد إليه الكلب وأبطأ.ثم سمعنا حشكة في داخل البنج.فقال الوالد رحمه اللهفي البنج وحش وقد قتل الكلب.ثم بعد ساعة خرج الكلب يجر رجل ابن آوى، وكان في البنج قد قتله وجره أخرجه **إلينا.وكان الوالد** رحمه الله قد خرج إلى اصبهان إلى دركات السلطان ملك شاه رحمه الله فحكى لي قاللما قضيت أشغالي من عند السلطان وأردت السفر أردت أن استطحب معي جارحا◦ اتفرج به في طريقي، فجاءوني ببزاة ومعها ابن عرس معلم يخرج الطيور من البنج، فأخذت صقوراتصيد الأرانب والحبارى، واستصعبت مداراة البزاة في تللك الطريق البعيدة الشاقة.وكان عنده رحمه الله من الكلاب السلوقية كلاب جياد، ارسل يوما الصقور على الغزلان والأرض غب مطر ثقيلة بالوحل، وأنا معه صغير على برذون لي، وخيلهم قد وقفت من الركض في الطين وبرذوني لخفتي عليه مستظهر، وقد صرعت الصقور والكلاب والغزال.فقال ليبا أسامة الحق الغزال

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٧٢

ونزل أمسك من رجليه إلى أن نجيء ففعلت، ووصل هو يرحمه الله فذبح الغزال ومعه كلبة صفراء جواد يسمونها الحموية وخرج يهرول بها حتى رأت الغزلان، وأرسلها عليها اصطادت غزالا آخر.وكان رحمه الله مع ثقل جسمه وكبر سنه وأنه لا يزال صائمايركض نهاره كله.وكان لا يتصيد إلى على الحصان أو اكديش جواد ونحن معه أربعة أولاده نتعب ونكل وهو يضعف لا يكل ولا يتعب ولا يقدر وشاقي ولا صاحب جنيب ولا حامل سلاح يقصر في الركض على الصيد.وكان لي غلام اسمه يوسف معه رمحي ودقتي ويجنب حصاني فلا يركض على الصيد ولا يتعبه، فيحرد الوالد عليه، فعل ذلك مرة بعد مرة.فقال له الغلاميا مولاي ما ينفعك احد من الحاضرين، والعياذ بالله مثل ابنك هذا، فدعني اكون خلفه بحصانه وسلاحه، ان احتجته وجدته، واحسب اني ما أنا معكم فما عاد يلومه ولا ينكر عليه كونه ما يركض على الصيد.

والد أسامة يتوقف عن الصيد ليراقب الإفرنج

ونزل علينا صاحب انطاكية وقاتلنا ورحل عن غير صلح، فركب الوالد رحمه الله إلى الصيد واخرهدماابعد عن البلد فتبعتهم خيلنا، فعادوا عليهم والوالد قد ابعد عن البلد.ووصل الإفرنج إلى البلد والوالد قد طلع على تل سكين يراهم وهم بينه وبين البلد، وما زال واقفا على التل إلى ان انصرفوا عن البلد وعاد إلى الصيد.

الفرق بين الخيول العربية والبراذين

وكان رحمه الله يطرد اليحامير في ارض حصن الجسر فصرع منها يوما خمسة او ستة على فرس له دهماء تسمى فرس خرجي باسم صاحبها الذي باعها كان اشتراه الوالد منه بثلاثمانة وعشرين دينارا، فطرد آخر اليحامير فوقعت يدها في حفرة مما يحفر للخنازير فانقلبت عليه كسرت تروقته، ثم قامت ركضت قدر عشرين ذراعا وهو مطروح، ثم عادت وقفة عند رأسه تنحب وتصهل حتى قام وجاءه الغلمان اركبوه، فهذا فعل الخيل العربية.وخرجت معه رحمه الله الى نحو الجبل لصيد الحجل، فنزل غلام له اسمه لؤلؤ رحمه الله لبعض شغله، ونخن قريب من البلد من بكره وتحته برذون، فراى ظل تركشه اجفل منه فرماه وانفلت، فركضت والله عليه انا وبعض الغلمان من بكره الى بعد العصر الى ان ألجأناه الى جشار في بعض الازوار، وقام الجشاريه مدوا له الحبل وقبضوه كما يقبض الوحش، وأخذته وعدت والوالد رحمه الله واقف في ظاهر البلد ينتظرني ما يصيد ولا ينزل في داره، فالبراذين بالوحش اشبه مما هي بالخيل.

شيخ يعترض على صيد الطيور." (١)

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٧٣

"حكى لي رحمه الله قال كنت اخرج الى الصيد ويخرج معي الرئيس ابو تراب حيدره بن قطر متر رحمه الله وكان شيخ الذي حفظ عليه القرأن وقرأ عليه العربيه .فكنا اذا وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخره يقرا القران ونحن نتصيد حوله، فاذا فرغنا من الصيد ركب وسار معنا فقال يوما يا سيدنا انا جالس على صخره واذا حجله قد جاءت وهي تتهنكف وهي معيية إلى تلك الصخرة التي أنا عليها، دخلت وإذا الباز قد أتى خلفها وهي بعيدة منها، فنزل مقابلي ولؤلؤ يصيحعينك عينك يا سيدنا، وجاء وهو يركض وأنا أقولاللهم استر عليها.فقاليا سيدنا أين الحجلة؟قلت ما رئية شيئا، ما جائت إلى ها هنا، وترجل عن فرسه ودار حول الصخرة وطلع تحتها فرأها.فقالأقول الحجلة ها هنا تقول لا!وأخذها يا سيدنا كسر رجليها ورماها إإى الباز، وقلبي ينقطع عليها.

صيد الأرانب

وكان هذا لؤلؤ رحمه الله أخبر الناس بالصيد، شاهدته يوما وكانت جاءتنا من البرية أرانب جالية، فكنا نخرج نصطاد منها شيئا كثيرا، وكانت أرانب صغار حمر!فشاهدته يوما وقد جلى عشرة أرانب طعن التسعة بالبالة اخذها، ثم جلى أرنب عاشرة.فقال له الوالد رحمه اللهدعها، تقيمها الكلاب تنفرج عليها.فأقاموها وأرسلوا عليها الكلاب، فسبقت الأرنب وسلمت.فقال لؤلؤ يا مولاي لو كنت تركتني طعنتها وأخذتها.وشاهدت يوما أرنبا تورناها وأرسلنا عليها الكلاب فانجرحت في الأرض الحبيبت، فدخلت كلبة سوداء خلفها بالمحجر، ثم خرجت في الحال وهي تتعوص، ثم وقعت فماتت.فما إنصرفنا عنها حتى تفسخت وماتت وتهرأت، وذالك أنها لسعتها حية في المحجر.

باز يصطاد زرزورا

ومن عجيب ما رئيت من صيد البزاة انني خرجت مع والوالد رحمه الله عقيب مطرقد تتابع ومنعنا من الركوب أياما.فأمسك المطر فخرجنا بالبزاة نريد طير الماء، فرأينا طيور ممرجة في المرج تحت شرف، فتقدم الوالد فأرسل علي٥١ بازا مقرنصا بيت فطلع مع الطيور فصاد منه ونزل فما رأينا معه شيء من الصيد فنزلنا عنده فإذا هو اصطاد زرزورا وطبق كفه عليه فما جرحه ولا أذاه فنزل البازيار خلصه وهو سال.

صيد الوز والحباري

ورأيت من الوز السمند حمية وشجاعة كحمية الرجال وشجاعتهم، وذلك أننا أرسلنا الصقور على رف وز سمند ودققنا الطبول فطار، ولحقت الصقور وزة حطتها من بين الوز، ونحن بعيدا منها فصاحت، فترحل من الوز إليها خمسة ستة طيور يضربون الصقور بأجنحتها، فلولا نبادرهم كانوا خلصوا الوزة وقصوا أجنحة

الصقور بمناقيرهم.وهذا ضد حمية البارى، فإنها إذا قرب منها الصقر نزلت إلى الأرض وكيف دار استقبلته بذنبها، فإذا دنا منها سلحت عليه، بلت ريشه وملأت عينيه وطارت، وإن أخطأته بما تفعله أخذها.

صيد اليمة

ومن أغرب ما صاده الباز مع الوالد رحمه الله انه كان على يديه باز غطرافخ وعلى خليج ماء عيمة وهي طير كبير مثل لون البلشون إلا أنها اكبر من الكركي – من طرف جناحها إلى الطرف الآخر اربعة عشر شبرا فجعل الباز يطلبه، فأرسله عليه ودق الطبل فطار ودخل فيه الباز، أخذه ووقع في الماء.فكان ذلك سبب سلامة الباز، وإلا كان قتله بمنقاره، فرمى غلام من الغلمان نفسه بالماء بثيابه وعدته مسك العيمة وأطلعها.فلما صارت على الأرض صار الباز يبصرها ويصيح وطار عنها وما عاد يعرض لها، ولا رأيت باز سوى ذلك اصطادها، فإنها كما قال أبو العلاء بن سليمان في العنقاء " أرى العنقاء تكبر إن تصطاد " .

سبع يخاف أجراس الباز

وكان الوالد رحمه الله يمضي إلى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم به أياما ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطير الماء واليحامير والغزلان والأرانب.فمضى يوما إليه فركبنا إلى صيد الدراج فأرسل باز يحمله ويصلحه مملوك أسمه قولا على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه وقد بنج الدرج في غلفاء، وإذا صياح نقولا قد ملأ الأسماع وعاد يركض.قلنا مالك؟قالالسبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدراج فخليت الباز وانهزمت.وإذا السبع أيضا ذليل مثل نقولا لما سمع أجراس الباز خرج من الغلفاء منهزما إلى الغاب.

صيد السمك." (١)

"ومنايا الحيوان مختلفه الالوان قد كان الوالد رحمه الله أرسل زرقا أبيض على درجه، فوقعت الدراجه في غلفاء ودخل معها الزرق، وفي الغلفاء ابن اوى أخذ الزرق قطع رأسه، وكان من خيار الجوارح وافرهها .ورايت من منايا الجوارح وقد ركبت يوما وبين يدي غلام لي معه باشق فرماه على عصافير فأخذ عصفورا .وجاء الغلام ذبح العصفور في رجل الباشق فنفض الباشق رأسه وتقيأ دما ووقع ميتا، والعصفور في تلفه مذبوح فسبحان مقدر الاجال .واجتزت يوما من باب فتحناه في الحصن لعماره كانت هناك ومعي زر بطانه فرأيت عصفورا على حائط انا واقف تحته فرميته ببندقيه فأخطأته وطار العصفور وعيني الى البندقيه، فنزلت مع الحائط وقد أخرج عصفورا رأسه من نقب في الحائط فوقعت البندقيه على رأسه فقتلته ووقع بين يديفذبحته، وما كان صيده عن قصد ولا أعتماد .وأرسل رحمه الله يوما الباز على أرنب قامت لنا في زور

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٧٤

كثير الشوك فأخذها وانفرطت منه فجلس على الارض وراحت الارانب، فركضت أنا فرسا دهماء تحتي من جياد الخيل لأرد الأرنب، فوقت يد الفرس في حفره فانقلبت علي، فملأت يدي ووجهي من ذلك الشوك وانفسخت رجل الفرس .ثم انتقل الباز من الأرض بعدما أبعدت الأرنب لحقها اصادها !فكأنه كان قصده اتلاف فرسي واذيتي بالوقوع في الشوك

صيد الخنزير

فأصبحنا يوما في اول يوم من رجب صياما، فقلت للوالد رحمه الله اشتهي أخرج أتشاغل بالصيد عن الصيام .قال أخرج، فخرجت انا وأخي بهاء الدوله ابو المغيث منقذ رحمه الله ومعنا بعض البزاه الى الأزوار فدخلنا في سوس، فقام لنا خنزير ذكر فطعنه أخي، جرحه ودخل ذلك السوس فقال أخي الساعه يكربه الجرح ويخرج استقبله اطعنه اقتله .قلت لاتفعل يضرب فرسك يقتلها .نحن نتحدث والخنزير خرج يريد زورا أخر، فالتقاه أخي طعنه في سنامه أنكسرت فيه عاليه القنطاريه التي طعنه بها ودخل تحت فرس شقراء تحته عشراء محجله شعلاء ضربها رماها ورماه .فأما الفرس فأنفست فخذها وتلفت، وأما هو فأنفكت اصبعه الخنصر وانكسر خاتمه .وركضت انا خلف الخنزير فدخل في سوس مخصب وخناث فيه باقوره نائمه ما أراها من ذلك الغاب فقام منها ثور في صدر حصاني فندسه، فوقعت ووقع الحصان وانكسر لجامه وقمت أخذت الرمح وركبت ولحقته وقد رمى نفسه في النهر، فوقفت على جرف النهر ورزقته بالرمح فوقع فيه وأنكسر منه قدر ذراعين وبقيت الحربه فيه وسبح الى ناحيه النهر، فصحنا بقوم من ذالك الجانب يضربون لبنا لعمارت بيوت في قريه لعمي، فجاءوا ووقفوا عليه وهو تحت جرف لايقدر يطلع منه فجعلوا يرمونه بالحجاره الكبار حتى قتلوه وقلت لركابي لي أنزل اليه، فقلع عدته وتعرى وأخذ سيفه وسبح اليه ثم قتله وسحب برجله وأتى به وهو يقول غرفكم الله بركات صيام رجب !استفتحناه بنجس الخنزير .ولو كان للخنزير ظفر ناب مثل الاسد كان أشد بأسا من الاسد فلقد رأيت منها خنزيره قد أقمناها عن جريات لها وواحد يضرب حافر فرس غلام معي بفمه وهو في قد جرو القط، فأخذ الغلام من تركشه نشابه ومال اليه طعنه بها ورفعه بالنشابه، فعجبت من قتاله وضربه حافزا لفرس وهو بحيث يحمل في سهل نشاب .

صيد الحجل

كان من عجائب الصيد اننا كنا نخرج الى الجبل الى صيد الحجل ومعنا عشره بزاه نتصيد بها النهار كله، والبازياريه مفترقه في الجبل ومع كل بازيار فارسان ثلاثه من المماليك، ومعنا كلابزيان اسم الواحد بطرس ولآخر زرزور باديه وكلما ارسل البازيار على حجله وبنجت قد صاحوا يا بطرس !يعدو اليهم مثل الهجين

.كذالك النهار كله يعدو من جبل الى جبل هو ورفيقه، فاذا اشبعنا البزاه ورجعنا أخذ بطرس قلاعه وعدا خلف واحد من المماليك ضربه بها، اخذ الغلام قلاعه وضرب بطرس .فلا يزال يطارد الغلمان وهم ركاب وهو راجل ويرميهم باقلاع من الجبل الى باب المدينه ما كأنه كان نهاره كله يعدو من جبل الى جبل . الكلاب الزغارية." (١)

"ومن عجائب الكلاب الزغارية أنها ما تأكل الطيور ولا تأكل منها إلى رؤوسها وأرجلها التي ما عليها لحم والعظام التي أكلت البزات لحمها.وكان للوالد رحمه الله كلبة سوداء زغارية يضع الغلملن بالليل عاى رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عمشت عيناهاوكان الوالد يحرد على الغلمان ويقولقد أعميتم هذه الكلبة!ولا ينتهون عنها.وأهدى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك صاحب القلعة للوالد كلبة عروفا ترسل تحت الصقور على الغزلان فكنا نرى منهم العجب .

الصيد بموجب النظام

وصيد الصقور بالترتيب يرسل في الأول المقدم فيعلق بأذن غزال يضربه، ويرسل العون بعده فيضرب غزالآ آخر، ويرسل العون الأخر فيفعل كذلك، ويرسل الرابع فيضرب كل صقر منها على غزال، فيأخذ المقدم أذن غزال ويفرده من الغزلان فترجع الصقور جميعها إليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها.وهذه الكلبة تحت الصقور فيتفق أن يظهر العقاب فتحل الصقور عن الغزال فيمضي الغزال وتدور الصقور .فكنا نرى تلك تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور وهي تدور تحت الصقور في الأرض كما تدور الصقور في الهواء حلقة، ولا تزال تدورتحتها حتى تنزل الصقور إلى الدعو، فحينئذ تقف وتمشي خلف الخيل .

صيد الغزلان والدراج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين والدي رحمهما الله مودة ومواصلة بالمكاتبات والرسل، فنفذ إليه يوما يقول خرجت إلى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف يوم .وذلك أن غزلان عندهم في أرض القلعة كثيره وهم يخرجون وقت ولاد الغزلان خيالة ورجالة فيلأخذون منها ما قد ولد تلك الليلة وقبلها بليلة وثلاث ويقشنها كما يقش الحطب والعشب. والدراج عندهم كثير في الأزوار عاى الفرات .وإذا شق جوفه الدراجة وأزيل ما فيه وحشي بالشعر لا تتغير رائحتها أياما كثيرة.ورأيت يوما دراجة قد شق جوفها وأخرجت قانصتها وفيها حية قد أكلت نحو من شبر.وقتلنا مرة ونحن نصيد حية قد شق جوفها وخرجت قانصتها وفيها حية قد أكلتها نحو من شبر.وقتلنا مرة ونحن في الصيد حية خرج من جوفها حية قد بلعتها صحيحة

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٧٦

دونها بيسير.ففي طباع جميع الحيوان اعتداء القوي على الضعيف

والظلم من شيم النفوس فإن تجد." (١)

" قال ومنها ما يسمح في مده للضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمد كبيع وقطع ونحوهما

وعلى نحو من ذلك جرى صاحب منهاج الإصابة ثم قال ويجوز أن تمد إذا كان ثالثها ألفا أو لاما

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف **كان والدي** يمد في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها والطاء والسين والعين

قال في مواد البيان وينبغي إذا مد أن يقدم الحرفان الأولان وتوضع المدة بينهما وبين الثالث

أما عسى ومتى وفتى ونحوها فإنها لا تحتمل المد بحال

النصف الثالث الرباعية نحو محمد وجعفر

قال أبو القاسم بن خلوف والمد فيه جائز بل المد فيه أحسن من القصر

قال في مواد البيان ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل وقع المد بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط

قال على أن منها ما لا يحسن المد فيه نحو تغلب وخبير ونمير

الصنف الرابع الخماسية

نحو مشتمل ومستقل ومسيطر ومهيمن

وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين فذهب صاحب مواد البيان إلى أن المد فيها لا يحسن فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثلاثية وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم لا يجوز تركه

ثم إذا مد فالذي ذكره في مواد البيان أن الأحسن أن يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر ." (٢)

"الحمد لله الذي جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالا ووجهك جمالا وقربك جاها ومالا قال رسول الله إلى ألا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب سادتها وكبرائها وأهنيك

---

(١) كتاب الاعتبار، ص/٧٧

(٢) صبح الأعشى، ١٤٠/٣

بما منحك الله من شهرة تبقى ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على قياس المذاهب والطوائف وصرف الألسنة إلى مدحك والقلوب إلى حبك وما ذاك إلا لسريرة لك عند ربك ولقد كنت أيام تجمعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الأمل مالكا لما يلوح على وجهك من سيما المجد والحيا والشيم الدالة على العليا وزكاة الأصول وكريم الإباء **وكان والدي** رحمه الله تعالى عين للقاء خال السلطان قريبكم لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائبا في تأنيسه عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدومه واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة والرسائل المختلفة فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر ومعرفة كنز وذخر فلما ظهر الآن لمحل أخي القائد الكذا فلان اللحاق بك والتعلق بسببك رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعض والله ييسر في البعض عند تقرير الأمن وهدنة الأرض وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد وما جد وابن أمجاد ومثلك لا يوصى بحسن جواره ولا ينبه على إيثاره وقبيلك في الحديث من العرب والقديم وهو أوجب له مزية التقديم لم يفتخر قط بذهب يجمع ولا ذخر يرفع ولا قصر يبني ولا غرس يجنى إنما فخرها عدو يغلب وثناء يجتلب وجزور ينحر وحديث يذكر وجود على الفاقة وسماحة بجهد الطاقة فلقد ذهب الذهب وبقي النشب وتمزقت الأثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذي

فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والأغراض تجلى وتصقل ولله در الشاعر حيث يقول

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنا لمن وعا

هذه مقدمة لن يسنى الله بعدها إنما الأمير فيجلى اللسان عما في الضمير

". (١)

"١(وكانت في الفضائل باقيات ** وأنت اليوم كل الباقيات)(تبناك الملوك ، وكنت منهم ** بمنزلة البنين أو البنات)(يظلون المناقب منك شتى ** ويؤوون التقى والصالحات)٤ (وما ملكوك في سوق ، ولكن ** لدى ظل القنا والمرهفات)٥ (عننت لهم بمورة بنت عشر ** وسيف الموت في هام الكماة)٦ (فكنت لهم وللرحمن صيدا ** وواسطة لعقد المسلمات)٧ (تبعت محمدا من بعد عيسى ** لخيرك

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١١٣/٢

في سنيك الأوليات)٨ (**فكان الوالدان** هدى وتقوى ** وكان الولد هذي المعجزات)٩ (ولو لم تظهري في العرب إلا ** بأحمد كنت خير الوالدات)٠ (تجاوزت الولائد فاخرات ** إلى فخر القبائل واللغات)

". (١)

"حبائلك أعزك الله، أنشأ متمثلا بقول نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... ياذا المعارج لا تنقض لهم أحدا

إن يحسدوني على ما قد بنيت لهم ... فمثل حسن بلائي جر لي الحسدا

وليس العجب أن يكثروا وأنا أنعق بمحاسنك، وأهتف بشكرك، ولكن العجب كيف لا تتفتت أكبادهم كمدا.

وكان بعضهم يقول: اللهم كثر حساد ولدي؛ فإنهم لا يكثرون إلا بكثرة النعمة.

فإن **كان والدي** سبق منه هذا الدعاء، فإن الإجابة كانت مخبوءة إلى زمان عزك؛ فقد رأينا تباشيرها، وبدت لنا عند عنايتك غايتها.

وكان بعض الصالحين يقول: اللهم اجعل ولدي محسودين، ولا تجعلهم مرحومين؛ فإن يوم المحسود يوم عزة، ويوم الحاسد يوم ذلة.." (٢)

"فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتاب، باستهانتي للحساد عند اعتلاقي حبائلك أعزك الله، أنشأ متمثلا بقول نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم أحدا

إن يحسدوني على ما قد بنيت لهم ... فمثل حسن بلائي جر لي الحسدا

وليس العجب أن يكثروا وأنا أنعق بمحاسنك، وأهتف بشكرك، ولكن العجب كيف لا تتفتت أكبادهم كمدا.

وكان بعضهم يقول: اللهم كثر حساد ولدي؛ فإنهم لا يكثرون إلا بكثرة النعمة.

فإن **كان والدي** سبق منه هذا الدعاء، فإن الإجابة كانت مخبوءة إلى زمان عزك؛ فقد رأينا تباشيرها، وبدت لنا عند عنايتك غايتها.

---

(١) ديوان أحمد شوقي، ص/٣٦٤

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٧١/١

وكان بعض الصالحين يقول: اللهم اجعل ولدي محسودين، ولا تجعلهم مرحومين؛ فإن يوم المحسود يوم عزة، ويوم الحاسد يوم ذلة.

ويقال: إنه لما مات الحجاج سمعوا جارية خلف جنازته وهي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يحسدنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

ويقال: إن زياد ابن أبيه قال لحرقة ابنة النعمان: أخبريني بحالكم.

قالت: إن شئت أجملت وإن شئت فسرت. فقال لها: أجملي، فقالت: «بتنا نحسد، وأصبحنا نرحم» . فخطبها زياد وكانت في دير لها فكشفت عن رأسها، فإذا رأس محلوق، فقالت: أرأس عروس كما ترى يا زياد؟ وأعطاها دنانير فأخذتها وقالت: جزتك يد افتقرت بعد غنى، ولا جزتك يد استغنت بعد فقر! ولا نعلم الحسد جاء فيه شيء أكثر من حديث روى عن النبي صلى الله." (١)

"خاتمة الطبعة الأولى

تم بعون الله وتوفيقه تحقيق هذا الكتاب وشرحه، ووضع فهارسه وترتيبها، وقد كان من صنع الله أن قمت في هذا العام بأداء فريضة الحج، فالتمست من حضرة الأخ العلامة المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون أن يتمم ما كان بقى منه، وهو من ص ٨٠٣ (ص ٨٢٦) من الطبعة الثانية) إلى آخر الكتاب، فنهض بذلك مشكورا. وتفضل هو وحضرة الأخ العلامة الجليل الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم بمراجعة فهارسه ترتيبها. فلهما جزيل الشكر وعظيم التقدير.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

القاهرة: ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ هـ ٢٠ يناير سنة ١٩٥٠ م

وكتب أحمد محمد شاكر ١٣٠٩ هـ- ٢٦ ذى القعدة ١٣٧٧ هـ ١٨٩٢/١/٢٩ م- ١٩٥٨/٦/١٤ م

خاتمة الطبعة الثانية

تم بعون الله وتوفيقه مراجعة الطبعة الثانية من هذا الكتاب، **وكان الوالد** الشيخ أحمد محمد شاكر- رحمه الله قد أتم التعليق على الطبعة الأولى واستدرك بعض ما ورد بها، ثم شرع في طباعة الجزء الأول ولكن أجله لم يسعفه سوى لطبع بضع ملازم، فقد توفى صباح يوم السبت ٢٦ من ذي القعدة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٤ من يونية ١٩٥٨ م.

وخلال عام ١٩٦٦ م شرعنا بعون الله في استكمال إعادة طبع الكتاب، وقد قام بمراجعته الأستاذ السيد

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٣٩٠

أحمد صقر- فبذل فيه جهدا كبيرا نسجل له الشكر عليه في هذه الطبعة مع عظيم التقدير.
أما الفهارس فقد أبقيت على نفس النسق الذى كانت عليه بالطبعة الأولى والتى كان قد راجعها ورتبها الأستاذان عبد السلام محمد هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم ونكرر لهما الشكر والتقدير، وقد أدخلنا عليهما التعديل الذى كان قد أعده الوالد رحمه الله، فأضيف فهرس جديد هو المترجمون علي حروف المعجم- وجعل فهرس الكتاب على ترتيب أبوابه في آخر الفهارس بدلا من أولها.
والله ولي التوفيق.
أسامة أحمد شاكر
القاهرة: مصر الجديدة: رمضان ١٣٨٦ هـ يناير ١٩٦٧ م." (١)
"وهو إذا ما ناجاه فارسه ... يفهم عنه ما تفهم الإنس
كل ثمين من التلاد له ... غير ثنائي فإنه بخس
وأهدى إليه فرسا آخر فقال فيه شعرا، منه هذه الأبيات:
ما مقرب يختال في أشطانه ... ملآن من صلف به وتلهوق
حوافر حفر وصلب صلب ... وأشاعر شعر وخلق أخلق
وبشعلة تبدو كأن فلولها ... في صهوتيه بدو شيب المفرق
ذو أولق تحت العجاج وإنما ... من صحة إفراط ذاك الأولق
تغري العيون به ويفلق شاعر ... في نعته عفوا وليس بمفلق
صلتان يبسط إن ردى أو إن عدا ... في الأرض باعا منه ليس بضيق
مسود شطر مثل ما اسود الدجى ... مبيض شطر كابيضاض المهرق
قد سالت الأوضاح سيل قرارة ... فيه فمفترق عليه وملتق
صافي الأديم كأنما ألبسته ... من سندس بردا ومن استبرق
يرقى وما هو بالسليم ويغتدي ... دون السلاح سلاح أروع محلق
في مطلب أو مهرب أو رغبة ... أو رهبة أو مركب أو فيلق
أمطاكه "الحسن بن وهب" إنه ... داني ندى ،اليد من رجاء المملق
وحدثنا أحمد بن جعفر البرمكي قال: أهدى سعيد بن حميد الكاتب إلى أبي هفان قارورة من ماء الورد

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ١٠١٦/٢

الفارسي فكتب إليه أبو هفان:

بعثتها حالية النحر ... بكرا وكل الخير في البكر

ملفوفة في حلل هن من ... خضر ومن صفر ومن حمر

تزر في الجيد ولكنها ... تجر أذيالا على الخصر

بيضاء في زرقاء كالشمس ... إذ تطلعت من زرقة الفجر

كجامد الياقوت أقطاره مملوءة ... مملوءة من ذائب الدر

جادت لمن ركب جثمانها ... روحها سيدة الزهر

ما حضرت والعطر في مجلس ... وإلا وكانت ربة العطر

نابت عن الورد كما نبت عن ... أبيك في العز وفي القدر

فعاد ذا منها إلى غصنه ... وقام ذا عنك من القبر

إن أنت حييت بها مسكة ... فمثلها الأبيات في النشر

ولم يضيع فارسي الندى ... في عربي الحمد والشكر

وحدثنا طاهر بن محمد الهاشمي قال: كان أبو بكر الصنوبري صديقا لوالدي كثير الإلمام به والسلام عليه، **وكان والدي** محبا له بارا به، وكنت وأنا غلام أميل إليه وأكتب شعره، فأهديت إليه يوما نبيذا وورداً فكتب إلي:

أهدى إلي فأي حسن معجب ... أو معوز في غيره لم يهده

الراح تضحك عن عتيق فرندها ... والورد يضحك عن حديث فرنده

فكأن حمرة ورده من راحه ... وكأن نكهة راحه من ورده

وكأن هذي تمترى من ريقه ... وكأن هذي تجتنى من خده

وأهديت إليه نعلا صفراء فكتب إلي:

بخير الهدايا جدت يا خير منتم ... إلى خير باد في الأنام وحاضر

بمحذوة حذو اللسان شبيهة ... أوائلها في حسنها بالأواخر

مخالفة الوجهين قام خلافها ... مقام اتفاق عند أهل البصائر

فأما الذي من فوقها وجه عاشق ... وأما الذي من تحتها وجه شاعر

وحدثنا أبو منصور طلحة بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: أهديت إلي علي بن محمد المعروف

بابن طباطبا العلوي الأصبهاني خاتما فصه عقيق حسن، فكتب إلي:

جاءتك إبهامي وسبابتي ... تشكر ما أوليته خنصري

فالتتا في قلم ناطق ... يفصح عن شكرهما المضمر

أعانتا أختهما بالتي ... سطرتا لمدح من أسطر

جزاء ما أوليتها بالذي ... قد زانها من رائق الجوهر

ألبستها فص عقيق غدا ... يزهى على ياقوتها الأحمر

قال: وأهدى أبو جعفر محمد بن حميد إلى البحتري فرسا، فكتب إليه البحتري يشكره، ويصف الفرس ويستهديه سرجا ولجاما بشعر يقول فيه:

أما الجواد فقد بلونا يومه ... وكفى بيوم مخبرا عن عامه

جارى الجياد فطار عن أوهامها ... سبقا وكاد يطير عن أوهامه

جذلان تلطمه جوان غرة ... جاءت مجيء البدر تحت تمامه

وأسود ثم صفت لعيني ناظر ... جنباته وأضاء في إظلامه

مالت نواحي عرفه فكأنها ... عذبات أثل مال تحت حمامه

ومقدم أذنين تحسب أنه ... بهما يرى الشخص الذي لأمامه

يختال في استعراضه ويكب في اس ... تدباره ويشب في استقدامه." (١)

"عليه، وكان أصم أصلخ»

يضع الكتاب في حجره، ويؤديه بلفظه. فيسمع ولا يسمع، كالمن يشحذ ولا يقطع. **وكان والدي**، رحمه الله، من المختلفين إليه والمغترفين مما لديه، والمخترفين «٢» لثمار [١] أغصان بنان [٢] يديه. ورأيته أنا وقد طوى [٣] العمر ومراحله، وبلغ من الكبر ساحله.

ولم اتزود منه إلا الإكتحال بطلعته، وكأن فضة ناظري بعد منقوشة بصورته.

فمما أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد، أيده الله، وهو من أعيان تلامذته، الرماة من جعبته، النحاة إلى كعبته، قوله:

لما رأيت شبابي ... يهيم في كل واد

(مجتث)

---

(١) التحف والهدايا الخالديان ص/٧

عجبت من شيب فودي ... ومن شباب فؤادي

ولم أسمع في الكناية عن مقيل المتوفى بدهليز الآخرة، أملح من قوله في الأمير أحمد الميكالي لما بنى المشهد بباب معمر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة «٣» [٤] :

حسدوه إذ لم يدركوا مسعاته ... لما ابتنى [٥] دهليز باب الآخره

(كامل)

---

[١] . في ف ٢ ورا وبا وح ول ٢: لثمر.

[٢] . في ل ٢: دانها بنان.

[٣] . كذا في ح وبا ورا وف ٢. وفي س: يطوى.

[٤] . سقط التاريخ من ل ٢.

[٥] . في ب ٣: انثنى.." [1]

"إنسان عينها، والمخصوص بزينها، والمنصوص من بينها. وكلماته [١] كلها حكم وأمثال [٢] ، وإن عزت [٣] لها أشباه وأمثال، وبيني وبينه ودان؛ موروث [٤] ومكتسب، وسبب من آصرة الأدب، كأنه في الامتزاج والاتشاج «١» نسب وكان والدي، رحمه الله، مفتونا به، مشغوفا بأدبه. وكتب إليه جوابا عن رقعة طواها على خطبة مودته. فنشرها [٥] والدي عن صدق رغبته. أما رغبته في خطبة/ مودتي [٦] سرا وجهرا، ورهبته [٧] عن [٨] الوقوع دون واجبها (برا ومهرا) [٩] :

فقد خاطبته [١٠] فيها ... ليكفي [١١] المهر ترفيها

(هزج)

فنفس الشاطر الجنة ... لا الزوجة تسفيها وإن سفه رأي جا

هل بالطرف [١٢] تسفيها

---

[١] . في ف ٢: وكلماتها.

[٢] . في ف ٢: ومثال.

[٣] . في ف ٢ ورا وح ول ٢: غدت.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٢/٩٧١

[٤] . في ف ٢: مورث.

[٥] . في ف ٢ ورا وح: ونشر. وفي با ول ٢: ونشرها.

[٦] . في را: مودته.

[٧] . في ف ٢ ورا: ورهبة وفي ل ٢: ورتبته.

[٨] . في با وح ول ٢ وف ٣: من.

[٩] . في ل ٢: برد أميرا.

[١٠] . في ف ٢ ورا وبا وح وب ٣ وب ٢ ول ١: حاكمته. وفي ل ٢. حالمته.

[١١] . في ف ٢ ورا وبا وح ول ٢: لكي يكفي.

[١٢] . كذا في با وب ٣. وفي س: بالنظر.." (١)

"١٧٤ - وحكي أن الرشيد والفضل بن الربيع خرجا في يوم صائف لتنسم الأخبار ومشاهدة الناس على عادة كانت للرشيد في ذاك، فبلغا في الظهيرة إلى باب كبير، وفي دهليزه حباب وجرار لطاف والرحبة التي فيها آلباب مرشوشة مكنوسة، وفيها دكة عليها بارية جديدة، والهواء في الموضع رقيق كثير، فجلسا، وسمعا من الدار صوت غناء، فدخلا الدهليز وتطلعا إلى الدار، فرأيا غلاما شابا وبين يديه مجلس ظريف وعتيدة يخرج منها منها ثياب النساء، فيقلبها ويبكي ويقبلها، ويغني بالعود أطيب غناء وأحرقه، فطرقا الباب، فخرج إليهما، فلما رآهما قال: مرحبا بكما، ألكما رأي في الدخول والقيلولة عند عبدكما؟ فقالا: نعم، فدخلا وغلق الغلام الباب، وقدم لهما طستا وإبريقا ومنديلا دبيقيا، وأقلب عليهما حتى توضأا وصليا، وقدم لهما ما أكلاه، وأخذا في الشرب معه، فقالا له: رأيناك تخرج من هذه العتيدة ثياب امرأة فتقبلها وتبكي وتغني عليها وكان سبق إلى وهم الرشيد أنه كان يحب امرأة فقتلها وجعل ثيابها عنده، يذكرها بها، ويبكي عليها، وهو مجتهد في أن يعلم صحة ذاك وتحقيقه ليقيده بها، ويحقق الأمر عنده كون الرجل وحده وخلو الدار من غلام وجارية أو صاحب أو أنيس! فقال لهما: لا تسألاني ودعاني! فمازحاه ولاطفاه وألحا عليه إلى أن قال: اسمعا خبرني فإنه عجيب، وأمري فإنه غريب، **كان والدي** وهب لي وأنا صغير جارية في سني وقريبة مني، وتربت معي ودخلت الكتاب لدخولي، فتعلمت الكتابة والقراءة أجود مني، وعلمت الغناء فتعلمت معها، وتحاببنا حبا شديدا، ومات والدي أعظم ما كنت بها وجدا، فرفع خبرنا إلى الفضل ابن الربيع لعنه الله فرفعه إلى الرشيد كافأه الله فلم أشعر إلا بالجارية قد أخذت مني، وحملت إلى دار الخلافة

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٠٠٩/٢

خبرها الله، فاستغثت وقلت: لأي حال تؤخذ مملكتي؟ فاستخف الفضل بي قصم الله أجله وتبر عمره وقال: هذه جارية أبيك، ولا يجوز أن تكون بعده معك، والظاهر من أمرها أنها تجري مجرى الوالدة لك، فأحضر النخاسين وانظر قيمتها ليسلم إليك، فحلفت على أن أبي وهبها لي منذ كنا طفلين، فلم يلتفت علي، وأمرني فانصرفت، ولم تطب نفسي بقبض ثمنها، وغصبت عليها! هذه صفتي وحالي! فسري عن الرشيد، وقال له: ما اسمها؟ فقال: عتب، فقال له: أعلم أننا من قوم سحرة، كهنة مخدومون، ونحن نجمع الليلة بينك وبينها، ونذلل لك الجن حتى يحملوك إليها ويعيدوك وقد نعمت عينا بالاجتماع معها طول ليلتك! فقال: أنتما رائدا الخير، وأرجو أن يصح لي منكما هذا الخبر! فسار الرشيد الفضل وقال له: تقدم إلى الفراش الخاص بأن يحضر منام الناس، ويجلس على الباب، ومعه خمسة من الفراشين الأجلاد ومعهم كساء كبير وثيق، وأحضر أنت معك بنجا جيدا وشيئا من البراكير الحديد وما نوهمه به أننا نضرب له مندلا ونحضر الجن، وتقدم إلى عتب بأن تزين دارها، وتتخذ طعاما وشرابا وتعما مجلسا جميلا وتعليق الدار بأصناف الثياب المنقوشة، وتستكثر من الشمع، فإنني أريد الليلة الشرب عندها! فقال: السمع والطاعة؛ وقال له ظاهرا: قم وأحضر أداتنا، فنريد أن نتعصب مع صديقنا الليلة! فقال: حبا وكرامة؛ وانصرف وعاد آخر النهار ومعه برخاشات توهم أنها آلة، فلما أعتم الليل ضربا مندلا وتكلما عليه، ثم أقعداه في وسطه وسقياه قدحا فيه البنج، فوقع لا يعقل أمره، ودخل الفراشون فحملوه في الكساء، وأقعدوا واحدا منهم في الدار، وانصرفوا به إلى دار عتب فطرحاه فيها؛ وقال الرشيد لعتب: هذا مولاك؟ قالت: نعم، قال لها: قد رجعت إلى رقه على شرط وهو أنك لا تعلمينه بما فعلنا به، وكوني معه كأنكما لم تتفارقا، ليتصور أنه يراك ويرى ما هو فيه في النوم، فإن أطلعته على أننا جئنا به إليك أخذنا رأسك! فقالت: الله الله يا مولانا! وأعطاها دواء يخلص من البنج، فسقته إياه، وطرحت عليه الماء البارد، فاستيقظ ورأى تلك الشموع والدار والمجلس والجارية، ففرح وقال لها: يا عتب، قالت: لبيك يا سيدي، وجلست تغني له وتشرب معه، وهو يقبلها ويفرح بها، ويتعجب مما هو فيه، ويقول لها: أليس أخذت مني؟ أليس فعل بي الفضل بن الربيع لعنه الله كذا وكذا؟ وأخذك الرشيد مني فعل الله به وصنع! وجاءني البارحة ساحران فضربا لي مندلا وجمعا بيني وبينك، فاحذري لا يشعر بنا الرشيد فنهلك! فقالت: الله تعالى يكفي! وبقي يحدثها فيما نحن فيه، فلما صار آخر." (١)

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٤٥

سمعت الشيخ الأديب أبا الفضل جعفر بن إسماعيل النحوي بالإسكندرية، يقول: سمعت سابي بمصر يقول، سمعت أبا الحسين يحيى ابن نجاح الواعظ الأندلسي بمكة يقول: إذا ذكرت شيئا فخذوه بقبول واحفظوه فأني لا اعود اذكره إن سئلت عنه.

وسمعته يقول: كان يحيى بن نجاح الواعظ الأندلسي (١) مصنف " الخيرات " إذا وعظ وزهره الناس له قال: **كان والدي** عبدا لفلان، وأمي جارية اشتريت بكذا وكذا دينارا فلا يغرك يا يحيى مدح هؤلاء، قال: وهو مصنف " جامع سبل الخيرات " نفعه الله بذلك.

---

(١) راجع ترجمة ابن نجاح في الصلة: ٦٢٨.." (١)

"العالم الإسلامى فى مغربه ومشرقه من سقوط لمدن الأندلس فى أيدى المسيحيين واحدة بعد الأخرى، ومن اضطرابات سياسية فى شمالى افريقيا، ومن تصارع فى الشام بين الصليبيين والمسلمين، ومن اجتياح المغول لأقصى الشرق الإسلامى حتى وصلوا بغداد عام ٦٥٦ هـ ودمروا فيها كل مظاهر الحكم والحضارة، كل هذا حدث خلال حياة ابن سعيد.

وربما كان والده موسى هو الذى دربه على هذا العمل المنظم، ولكن الذى لاشك فيه أنه لولا استعداد الابن الفطرى لهذا ما **كان الوالد** قد نجح فيما أراد لابنه.

كان ابن سعيد مؤرخا جوالا، فكان يرى من الأحداث ما يقع، ويسمع من مشاهدى. عصره ما ينزل بالمسلمين من خطوب، وكان من الممكن أن يظهر تأثير كل ذلك فيما يكتب، ولكننا نلحظ عكس ذلك تماما فى مؤلفاته، إذ نراه معجبا فحسب بقصيدة قالها الشاعر المصرى ابن مطروح مثلا فى مديح الملك الأيوبى حين ينزل الهزيمة بالملك لويس الناسع وبحملته على دمياط، ولكننا لا نجده يشارك فى تصوير فرحته بهذا النصر وهو الشاعر المسلم، أو على الأقل تصوير ألمه لما يقع للمسلمين من هزائم فى كل مكان. قد يكون ديوانه المفقود فيه شيء من هذا ونحن لا نعلمه، ولكن الذى ألاحظه أن ما وصل إلينا من شعره فى بطون الكتب وهو ليس بقليل يجعلنا نحس بأن الرجل يقف موقف المتفرج أكثر منه من موقف المشارك من كل هذه الأحداث. أما شعره فهو إما حنين لوطنه الأول فى غرناطة أو تصوير لمتعته واستمتاعه بمظاهر الترف والحضارة فى مدن العالم الاسلامى التى تجول فيها، كما فعل وهو فى تونس أو

---

(١) أخبار وتراجم أندلسية أبو طاهر السلفي ص/٣٤

فى مصر أو فى الشام «١» ، وقد تكون بعض قصائد المديح التى ينشرها فى ملوك العصر لا تخرج عن الهدف المصلحى منها وهى أن يكرمه هؤلاء الملوك وأن يجزلوا له فى العطاء.

ويظهر أن صديقه ابن العديم كان يعرف فيه ذلك، إذ حينما دعاه معه إلى حلب." [(١)]

"للفضل بعيده وقريبه شفاء لما في الصدور ووفاء لما للعلم في ذمة بني الدهور وصفا يروق به موارد السرور، واكتفى بما تعلق به الرجاء من عظائم الأمور، أولا لا يحتاج إلى ثان ومكملا ليس عنه ثان، وموئلا للطلبة ليس عليه إلا مثن –وقضى السجع بأن أقول: ثان كأنما صعد صاحبه السماء وأخذ بدرها أو غاص البحار واستخرج درها، لا والله- بل بعثر القلوب وأفشى سرها، ثم جمع الإمام العلامة صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل١ كتابا في الأشباه والنظائر في الفروع طاول فيه الفراقد وحاول المعالي فسهر في طلبها، وخلف ألف راقد وتناول النجم فناداه لسان الإنصاف. ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد ولقد جاوز قدر كل ذي قدر، وزاحم الرءوس في مجالس المعالي، ويد الحق تضع في الصدر الصدر وتضايق القوم حيث فسح له وأنشد:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ضاق بها وهي في مجالس العلم الصدر، ولكن صدر الدين وراق بها ربعها وإن بعد عهده فلا يتغير، وإن غير النأي المحبين وساق منه هديا لحفظه التقي فنسيانه ضلال مبين، وساق منه كتابا يتلقاه ذو المعرفة باليمين، فما هاج شوقي إلى ما أنا بصدده إلا كتابه لا حمامه، ولا بعث على هذه الكلمات سواه لما سمعت كلامه، فلقد بعثني [فأقام] ٢ على ليلي من الفكر القيامة لأني مع استحسانه وجدته محتاجا إلى تحر في تحريره، وممر عليه من أوله إلى آخره لكونه مات وهو مجموع مفرق؛ لتبذيره من غير تدبيره، منسوب في نفسه إلى قصوره غير منسوب إلى مصنفه، وقد عارضته المنية إلى تقصيره.

فعمدت إلى هذا الكتاب فاجتلبت زبده وقذفت في بحر فوائد زبده وجمعت عليه من الأشباه نظائر كالأرواح جنودا مجندة وحررته في الدجى بشهادة النجوم ولاقيت عسره

---

١ محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، يقال عبد الصمد بن أبي بكر بن عطية الشيخ الإمام العلامة ذو الفتوق صدر الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الإمام الخطيب زين الدين أبي حفص العثماني المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل. ولد بدمياط في شوال سنة خمس وستين وستمائة، وقال

---

(١) المقتطف من أزاهر الطرف ابن سعيد المغربي ص/٣٢

السبكي في طبقاته: **كان الوالد** يعظمه ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة. توفي في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة بالقاهرة.

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٣، ابن السبكي ٦/ ٢٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٨٠، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٤ حسن المحاضرة ١٥/ ٢٣٧.

٢ في ب: "وأقام".." [١]

"قالوا: فلا يقع طلاق، لأنها أخبرته بما خرجت إليه من الزنا، وصدقته وإن أوهمته بدلالة اللسان وكثرة التشعيث أنها إنما خرجت لزيارة أخت لها؛ فهذه من حيل النساء.

لكن إذا كان القصد التعيين والتعريف فأقول: لا ينجيها هذا. والله أعلم.

مسألة:

إذا قال: له علي اثنا عشر درهما ودانقا -بالنصب في دانق- ما يلزمه؟ وما الذي يلزمه عند الرفع والخفض؟

الجواب: "قال صاحب التتمة: يلزمه بالرفع والخفض اثنا عشر درهما وزيادة دانق واحد، ويكون الدانق معروفا على الاثني عشر".

قلت: والعطف في الخفض غير متضح إلا أنه يغتفر اللحن.

قال: "وفي النصب إذا فسر كلامه بثمانية إلا دانقا يقبل تفسيره ولا يلزمه الزيادة.

قال: وإنما قلنا ذلك؛ لأن قوله: ودانقا يجوز أن يكون عطفا وأن يكون تفسيرا؛ فإذا كان عطفا اقتضى وجوب زيادة على الاثني عشر من الدراهم والدوانيق، وغاية ما ينطلق عليه اسم الدوانيق خمسة؛ لأن ما زاد عليه يسمى درهمان فيجعل خمسة من العدد دوانيق ويبقى سبعة دراهم، فيكون المبلغ ثمانية إلا دانقا، فهذا التقرير يقين، وما زاد مشكوك فلا يلزمه بالشك شيء" انتهى.

وقوله: "إن ما زاد على خمسة دوانيق يسمى درهما" يعني في العرف ستة دوانيق بكل درهم هذا شأن لغة العرب لأن درهما أخصر من قولك: ستة دوانيق، والاختصار مع البيان شأن العرب.

قلت: ويؤيد هذا قول أصحابنا: لو باع بنصف وثلث وسدس دينار لم يلزمه دينار صحيح، بل له دفع شق من كل وزن؛ فهذا ما وجدته -من كلام الأصحاب- مؤيدا لصاحب التتمة وإن **كان الوالد** رحمه الله ذكر في "شرح المنهاج" في مسألة البيع: إن هذا إذا صرح بالدينار المضاف في الجميع أما إذا حذفه كما في الصورة المذكورة فيلزمه دينار.

---

(١) الأشباه والنظائر للسبكي السبكي، تاج الدين ١/ ٧

قلت: وهذا وإن خالف إطلاق الأصحاب يشهد له نظيره من الطلاق إذا قال: أنت طالق نصف وثلث طلقة لا يقع إلا طلقة واحدة، ولو كرر لفظ طلقة تكرر لفظ الطلاق على الأصح.." (١)

"قال: ومنها ما يسمح في مده للضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمد كبيع وقطع ونحوهما. وعلى نحو من ذلك جرى صاحب «منهاج الإصابة» ثم قال: ويجوز أن تمد إذا كان ثالثها ألفا أو لاما.

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف: **كان والدي** يمد في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها، والطاء، والسين، والعين.

قال في «مواد البيان» : وينبغي إذا مد أن يقدم الحرفان الأولان وتوضع المدة بينهما وبين الثالث. أما عسى، ومتى، وفتى، ونحوها فإنها لا تحتمل المد بحال.

الصنف الثالث الرباعية نحو محمد وجعفر

قال أبو القاسم بن خلوف: والمد فيه جائز بل المد فيه أحسن من القصر.

قال في «مواد البيان» : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل وقع المد بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط. قال: على أن منها ما لا يحسن المد فيه نحو: تغلب، وخـبير، ونمير.

الصنف الرابع الخماسية

نحو: مشتمل، ومستقل، ومسيطر، ومهيمن.

وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين: فذهب صاحب «مواد البيان» إلى أن المد فيها لا يحسن، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثلاثية؛ وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم، لا يجوز تركه. ثم إذا مد فالذي ذكره في «مواد البيان» أن الأحسن أن يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر.." (٢)

"حباني من ذخائره بسيف ... به لم يبق للأحزان جيد والقصر الفارسي من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة، وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون في قصيد ضمنه من منتزهات قرطبة ما تقف عليه، وكان قد فر من قرطبة أيام بني جهور، فحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الأنسية مع ولادة التي

---

(١) الأشباه والنظائر للسبكي السبكي، تاج الدين ٢/٣٣١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/١٤٠

كان يهواها ويتغزل فيها، فقال (١) :

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى ... فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى وستأتي هذه القصيد في هذا الباب، كما ستأتي قصيدة أبي القاسم ابن هشام القرطبي التي أولها:

يا هبة باكرت من نحو دارين ... وفيها كثير من منتزهات قرطبة.

قال ابن سعيد: كان والدي كثيرا ما يأمرني بقراءتها عليه، ويقول: والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل، قال: وكان أبو يحيى الحضرمي يحفظها، ويزين بها مجالسه، ويحلف أن لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم، أو حاسد لا ينصف في الاهتزاز لها، وإنه لجدير بذلك، وإنها لمن كنوز الأدب.

ثم قال: والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز، أخبرني والدي أنه حضر في زمان الصبا بهذا المرج على راحة، ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي (٢) والمسن ابن دريدة (٣) المشهور بخفة الروح، قال: فسبحت أمامنا إوز، وجعلت تمرح وتنثر ما عليها من الماء فوق المرج،

---

(١) ديوان ابن زيدون: ١٥٨.

(٢) أبو الحسين الوقشي، سيذكره صاحب النفح، وكان ذا صوت بديع عارفا بالألحان؛ وقد مر ذكره في المغرب (١: ٢٢٠) في مجلس مع والد ابن سعيد.

(٣) في بعض النسخ: الحسن؛ وفي نسخة: دويدة؛ وقد ذكره ابن سعيد في المغرب ٢: ١٨١ وأورد بعض نوادره؛ وهو قلعي أي ينسب إلى قلعة بني سعيد؛ وفي ج: ودريده.." [1]

"وخفوت، وكان أديبا شاعرا ذواقا لأطراف العلوم، انتهى.

٨٣ - ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالأندلس - مع البلاغة والبراعة - أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب (١) ، وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر، من عمل بلنسية، وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن، ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الأندلس، وربما استوزره في بعض الأحيان، قال ابن سعيد: وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته، ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه في مجالسته، وكان شديد التهور، كثير الطيش، ذاهبا بنفسه كل مذهب، سمعته مرة وهو في محفل يقول: تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه فأهوى له شخص له قحة وإقدام، فقال: يا أبا جعفر، فأرنا برهان ذلك، ما أظنك تعني إلا نفسك، فقال: نعم، ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٧٣/١

إليه متقدم، ولا يهتدي لمثله متأخر:

يا هل ترى أظرف من يومنا ... قلد جيد الأفق طوق العقيق

وأنطق الورق بعيدانها ... مرقصة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى ... في الروض (٣) إلا بكؤوس الشقيق فلم ينصفوه في الاستحسان، وردوه في الغيظ إلى أضيق مكان (٤) ، فقلت له: يا سيدي، هذا هو السحر الحلال، فبالله إلا ما زدتني من هذا النمط، فقال:

أدرها فالسماء بدت عروسا ... مضخمة الملابس بالغوالي

---

(١) ترجمته في اختصار القدح: ١١٤ وعنه ينقل المقري، وانظر المغرب ٢: ١٣٦ والمقتضب من التحفة: ١٥٧ والإحاطة ١: ٢٤٤.

(٢) القدح: لم يهتد؛ دوزي: لم ينته.

(٣) ب ودوزي: الأرض.

(٤) القدح: إلى أشد مما كان." [١]

"للدين والدنيا وللشيم العلا ... والجود إن شح الغمام السافك

عند الهياج ربيعة بن مكدم ... في الفضل والتقوى الفضيل ومالك (١)

ورث الجلالة عن أبيه وجده ... فكأنهم ما غاب منهم هالك

فجياده للآملين مراكب ... وخيامه لقاصدين أرائك

فغذا المعالي أصبحت مملوكة ... أعناقها بالحق فهو المالك

يا فارس العرب الذي من بيته ... حرم لها حج به ومناسك

يا من يبشر باسمه قصاده ... فلهم إليه مسارب ومسالك

أنت الذي استأثرت فيك بغبطتي ... وسواك فيه مآخذ ومتارك

لا زلت نورا يهتدي بضيائه ... من جنه للروع ليل حالك

ويخص مجدك من سلامي عاطر ... كالمسك صاك به الغوالي صائك (٢) الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيرا، وجعلك للعرب أميرا، وجعل اسمك فالا، ووجهك جمالا، وقربك جاها ومآلا، وآل رسول اله

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٠٧/٣

صلى الله عليه وسلم لك آلا، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب سيادتها وكبرائها، وأهنيك ما منحك الله تعالى من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه، واختلاف أشياعه، مأمنا للخائف، على قياس (٣) المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك والقلوب إلى حبك، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك، ولقد كنت أيام تجمعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا، وطوع الأمل سالكا، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء، والشيم الدالة على العلياء، وزكاء الأصول وكرم الآباء، **وكان والدي** - رحمه الله تعالى - قد عين للقاء

---

(١) الفضيل بن عياض ومالك بن دينار (وقد يكون: مالك بن أنس) .

(٢) الغوالي: الطيوب، مفردها غالية؛ صاك: خلط ومزج.

(٣) الاستقصا: على كثرة.." [1]

"على مثل قولي:

يا هاجري ... هل إلى الوصال منك سبيل

أو هل يرى ... عن هواك سال قلب العليل وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة، قال ابن سعيد: **كان والدي** يعجب بقوله:

إن سيل الصباح في الشرق ... عاد بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادب الورق ... أتراها خافت من الغرق فبكت سحرة على الورق ... واشتهر بإشبيلية لذلك العهد أبو الحسن ابن الفضل، قال ابن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا ابن الفضل، لك على الوشاحين الفضل، بقولك:

واحسرتي لزمان مضى ... عشية بان الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضى ... وبت على جمرات الغضا

أعانق بالفكر تلك الطلول ... وألثم بالوهم تلك الرسوم قال: وسمعت أبا بكر ابن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول " لله درك " إلا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ... ما لليل المشوق من فجر خمد الصبح ليس يطرد ... ما لليلي فيما أظن غد

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٠١/٦

... صح يا ليل أنك الأبد ...

أو تفضت قوادم النسر ... فنجوم السماء لا تسري." (١)

"تزال تستمد عزها وقوتها من بيتكم الكريم وعرشكم الفخيم، منذ عهد المرحوم إبراهيم باشا، جدكم العظيم. فلا يستكبر مولاي أن ينظر حائط بيتي هذا محلى ومزينا برسوم حكام مصر وأمرائها الفخام. وإني لست إلا أثرا من آثار إحسانهم وغرسا من غراس نعمتهم، وكذلك **كان والدي** من قبلي. لأن جدكم المرحوم إبراهيم باشا هو الذي أسس مجد بيتنا وشاده ورفع قواعده وعماده، منذ تفضل فولى والدنا إمارة الدروز. وإذ ذاك كان في يد البك ورقة، فناولنا إياها وقال: وذلك هو الفرمان العالي الذي صدر من المغفور له جدكم إلى والدنا، عندما ولي هذا المنصب الكبير. فمثل هذا الإحسان يا
مولاي يجعل آل جنبلاط كلهم أسرى لذلك البيت العظيم، شاكرين لأنعمكم ما دامت أنفاس الحياة تتردد في صدورهم، فشكرت لهذا الأمير شعوره وإخلاصه. وبعد ذلك بقليل دعينا إلى غرفة الطعام فأكلنا من طعامهم الشرقي الشهي ألوانا كثيرة، ثم خرجنا من تلك الغرفة إلى ردهة جميلة الموضع كانت تطل على البحر من ناحية، وتشرف على صيدا من ناحية أخرى. وكان معنا بعض أعيان المدينة، وقد أظهروا لي شدة ميلهم في أن أزور بلدهم وأتطوف على آثارها وعلى بيوت الكبراء فيها، فشكرت لهم حفاوتهم وعنايتهم معتذرا إليهم بضيق الزمن. ثم ودعناهم، وشكرنا لحضرة البك أمير الدروز وأنجاله أدبهم وكرمهم.

إلى بيروت

ومن هناك ركبنا السيارة، حيث كانت الساعة اثنتين بعد الظهر، عائدين إلى مدينة بيروت التي لم نلبث أن نقيم فيها إلا قليلا. ثم قصدنا إلى زيارة مدرسة المارونيين، وهي تلك المدرسة التي كنا استبدلنا بها زيارة غبطة البطريك.

المدرسة المارونية

وصلنا إليها، وعند ذلك وجدنا في انتظارنا على بابها جناب وكيل البطريك وعددا كبيرا من حضرات القسس فسلمنا عليها، ورأينا من استقبالهم لنا وترحيبهم." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧/١٠

(٢) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١٦١

"للوالد الحق في أن يعامل زوجاته وبناته كما يشاء ويهوى إلى حد كبير جدا؛ فيهبهن، ويبيعهن، ويعيرهن، لا يحده في استعمال حقه هذا إلا الظروف الاجتماعية التي تفسح المجال لآباء غيره في استعمال حقوق مثل حقه، وبينما احتفظ الرجل بحقه في الاتصال الجنسي خارج داره، طولبت المرأة - في ظل الأنظمة الأبوية - بالعفة التامة قبل الزواج، وبالإخلاص التام بعد الزواج، وهكذا نشأ لكل جنس معيار خاص يحكم به على عمله.

إن خضوع المرأة بصفة عامة، وقد كان موجودا في مرحلة الصيد، ثم ظل موجودا - في صورة أخف - خلال الفترة التي ساد فيها حق الأمومة في الأسرة ازداد الآن صراحة وغلظة؛ ففي الروسيا القديمة، **كان الوالد** عند زواج ابنته يضربها ضربا رقيقا بسوط، ثم يعطي السوط للزوج (٤٥) ليدل على أن ضربها قد أنيطت به منذ اليوم يد لا يزال الشباب يجري في عروقها؛ وحتى الهنود الأمريكيون الذين ظل حق الأمومة سائدا فيهم لم يرتفع عنهم قط، كانوا يعاملون نساءهم معاملة خشنة ويكلفونهن بأقذر الأعمال، وغالبا ما ينادونهن بلفظ الكلاب (٤٦) وحياة المرأة في كل مكان على وجه الأرض كانت تقوم بثمن أرخص من ثمن الرجل، وإذا ولد الأمهات بنات، فلا تقام الأفراح التي تقام عند ولادة البنين حتى أن الأمهات أحيانا ليقتلن بناتهن الوليدات ليخلصنهن من الشقاء؛ والزوجات في فيجي يشتريهن الرجال كما يشاءون، وغالبا ما يكون الثمن المدفوع بندقية (٤٧)، وفي بعض القبائل لا ينام الرجل وزوجته في مكان واحد خشية أن يضعف نفس المرأة من قوة الرجل، بل إن أهل فيجي لا يرون من المناسب أن ينام الرجل في بيته كل ليلة، وفي كالدونيا الجديدة تنام المرأة في حظيرة بينما ينام الرجل في الدار، وفي فيجي كذلك يسمح للكلاب بالدخول في بعض المعابد، أما النساء فحرام عليهن دخول المعابد إطلاقا (٤٨) وهذا الإقصاء للمرأة عن المجتمعات الدينية موجود في الإسلام حتى يومنا هذا، نعم إن المرأة." (١)

"أو الثامنة دور آبائهم ليبنوا لأنفسهم أكواخا ويزودوا أنفسهم بالقوت من الصيد والسماكة (١٠)، والعادة أن ينتهي شوط التربية حين تبتدئ الحياة الجنسية، ولما كان نضجهم يأتي مبكرا فإن خمودهم يأتي كذلك مبكرا، ففي ظروف الحياة عندهم ينضج الصبي في الثانية عشرة من عمره ويشيخ في الخامسة والعشرين (١١)، وليس معنى ذلك أن "الهمجي" له عقلية الطفل، بل معناه أنه لم يكن له حاجات الطفل الحديث ولا فرصه؛ وهو لم يتمتع بمثل ما يتمتع به الناشئ الحديث من مراهقة طويلة آمنة، تسمح بنقل التراث الثقافي نقلا يكاد يكون كاملا، وتضمن تدريبه على ضروب أكثر ومرونة أكبر في الاستجابة للبيئة

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٦٣/١

التي بعدت من الصورة الفطرية والتي زادت فيها عوامل التغير.

كانت بيئة الإنسان الفطري ثابتة نسبيا، ولم تكن تتطلب القدرة العقلية، بل تطلبت الشجاعة وتكامل الشخصية؛ **فكان الوالد** البدائي يركز اهتمامه في بناء شخصية ولده كما تركز التربية الحديثة اهتمامها في تدريب القوة العقلية؛ فقد كان يعنيه أن يبني رجالا، لا أن يكون العلماء؛ ومن هنا كانت طقوس إدماج الناشئ في القبيلة، تلك الطقوس التي كانت في الشعوب الفطرية تعلن بلوغ الناشئ سن النضج وتعترف له بعضوية الجماعة؛ ترمي إلى اختبار شجاعته أكثر مما تقصد إلى قياس معرفته؛ وكانت مهمتها أن تعد الشباب لمشاق الحرب وتبعات الزواج؛ وهي في الوقت نفسه فرصة تتاح للكبار أن يمرحوا ويفرحوا بإيقاع الأذى على الآخرين؛ وبعض هذه الطقوس "يبلغ من البشاعة ومن إثارة النفس حدا تتعذر معه الرؤية وتصعب الرواية" (١٢)؛ ففي قبيلة "الكفير" – وهذا مثل معتدل – كان الصبيان الذين يطلبون عضوية القبيلة يمتحنون بعمل شاق في النهار وحرمان من النوم في الليل، حتى يسقطوا من الإعياء؛ لكي يزداد القائمون بامتحانهم يقينا بصلابة هؤلاء الصبيان، كانوا يضربونهم بالسياط "على فترات قصيرة وبغير رحمة حتى ينز الدم من أجسادهم" وكان ذلك." (١)

"الفصل الرابع

هوراس

إن من أجمل الصور التي يشهدها الإنسان في عالم الأدب–والتي تبدو فيها الغيرة بين الناس شديدة لا تفوقها إلا غيرة العشاق–هي صورة فرجيل وهو يقدم هوراس إلى ماسيناس. فقد التقى الشاعران في عام ٤٠ ق. م، حين كان فرجيل في الثلاثين من عمره وهوراس في الخامسة والعشرين، وفتح فرجيل أبواب ماسيناس بعد عام من ذلك الوقت وبقي الثلاثة بعدئذ أصدقاء أوفياء حتى فارقوا هذا العالم.

واحتفلت إيطاليا في عام ١٩٣٥ بمرور ألفي عام على مولد كونتس هوراشيوس فلاكس Quintus Horatius Flaccus، وكان مولده في بلدة فنوزيا Venusia الصغيرة من أعمال أبوليا Apulia، وكان والده رقيقا معتوقا ارتفعت منزلته حتى أصبح جابيا–أو صيادا كما يقول بعض الناس (٢٣). ومعنى كلمة فلاكس ذو الأذن المدلاة، وأكبر الظن أن هوراشيوس هو اسم السيد الذي **كان الوالد** في خدمته. وأثرى العبد المعتوق بطريقة ما، وأرسل ابنه إلى رومة ليدرس البلاغة ثم أرسله إلى أثينة ليدرس فيها الفلسفة. وفي

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١/١٢٧

هذه المدينة انضم الشاب إلى جيش بروتس وتولى قيادة أحد الفيالق، وقال وقتئذ قالته المأثورة "إن من ألذ الأشياء ةأشرفها أن يموت الإنسان في سبيل بلاده "Dulce et Decorum Pro Patria Mori (٢٦) . ولكن هوراس–وكان يقلد أركلوكس Archilochus في أغلب الأحيان–القى بدرعه في إبان المعركة وولى الأدبار. ولما وضعت الحرب أوزارها ألفى نفسه وقد جرد من جميع أملاكه ومن كل ما ورثه." [١]

"الفصل الرابع

قانون الملكية

وكان أكبر قسم في القانون الروماني هو الخاص بشئون الملكية، والالتزامات، والتبادل، والتعاقد، والديون، ذلك أن الممتلكات العينية كانت هي حياة رومة، وكان ازدياد الثروة واتساع التجارة يتطلبان طائفة من القوانين أكثر تعقيدا إلى أبعد حد من قوانين العشرة الساذجة.

وكانت الملكية تجيء عن طريق الوراثة أو وضع اليد. وإذا **كان الوالد** يمتلك بوصفه وكيلا عن الأسرة أو وليا عليها، فقد كان الأولاد والأحفاد ملاكا بالإمكانية أو "ورثة أنفسهم" (٢٣) حسب النص الفذ الوارد في القانون. فإذا مات الوالد من غير أن يترك وصية ورث أبناؤه أملاك الأسرة من تلقاء أنفسهم، وورث أكبر الآباء من هؤلاء الأبناء حق الولاية على الأسرة. وكان عمل الوصايا القانونية يحاط بمئات من القيود، وكانت صياغتها تتطلب كما تتطلب في هذه الأيام سيلا من اللغو والتكرار والألفاظ الطنانة الرنانة. وكان كل موص ملزما بأن يترك جزءا من أملاكه إلى أبنائه، وجزءا آخر للزوجة إذا رزقت منه بثلاثة أبناء، وأجزاء أخرى (في بعض الأحيان) إلى اخوته وأخواته، وآبائه إن وجدوا. ولم يكن من حق أي وارث أن يستولي على جزء من التركة إلا بعد أن يتحمل نصيبه من جميع ديون المتوفي، وما عليه من الالتزامات القانونية. وكثيرا ما كان الروماني يجد نفسه متورطا في وصية ملعونة على حد تعبيرهم، أو وصية حمراء إذا جاز هذا التعبير. وإن امرؤ هلك ليس له ولد ولم يترك وصية انتقلت أملاكه وديونه من تلقاء نفسها إلى أقرب "قريب ذكر من الصعب" أو من أولاد الظهور كما نقول نحن في هذه الأيام. ثم ألغى هذا التقييد بالعصب." [٢]

"٥ – ألبرخت ديرر

(١٤٧١ – ١٥١٧)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٦٩/١٠

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٧٤/١٠

لم يسبق لأمة أخرى غير ألمانيا أن اختارت بالإجماع أحد أبنائها ليكون ممثلا لها في الفن- فقد وقع اختيار البروتستانت والكاثوليك وأهل الشمال وأهل الجنوب على الفنان ديرر. وفي اليوم السادس من أبريل عام ١٩٢٨، وبمناسبة الذكرى السنوية الأربعمائة لوفاته طرح الريخستاج في برلين ومجلس المدينة في نورمبرج الأمور السياسية والمذهبية جانبا، وذلك لتكريم فنان تحبه ألمانيا أكثر من أي فنان آخر. وفي غضون ذلك عرض خبراء الفنون دون طائل مبلغ ١. ٠٠٠. ٠٠٠ دولار لشراء لوحة - اسمها "عيد أكاليل الورد"، وهي لوحة تقاضى عنها ديرر مبلغ ١١٠ جيلدر (٢. ٧٥٠ دولار؟).

وكان والده الهنغاري صائغا استقر به المقام في نورمبرج. وكان ألبرخت الابن الثالث من ثمانية عشر ولدا مات معظمهم في سن الطفولة وتعلم الولد في مرسم أبيه كيف يرسم بالقلم الرصاص والفحم والريشة وكيف يحفر بالنقاش، ودرب نفسه على قوة الملاحظة وتمثيل الأشياء والموضوعات بتفصيل لا يعرف الكلل، حتى أن كل شعرة تقريبا في بعض لوحاته تبدو وكأنها تلقت ضربة خاصة بها وحدها من الفرشاة. **وكان الوالد** يأمل أن يخلفه ابنه في حرفته كصائغ إلا أدعن لرغبة الشاب في أن يتوسع في نطاق فنه. فأرسله إلى فولجيموت ليتمرن هناك (١٤٨٦) وتدرج ألبرخت في عمله ببطء ومكنت له عبقريته في الطموح والمثابرة والصبر. وقال: "لقد حباني الله بفضيلة الجد فحسن تعليمي ولكني اضطررت أن أتجاوز عن قدر كبير من الإزعاج الذي سببه لي أعوانه" ونظرا لأنه لم تسنح له فرصة كبيرة لدراسة الجسم العاري فإنه تردد على الحمامات العامة ورسم أجساما في جمال أبولو وذلك بقدر ما سمحت له الظروف هناك. وكان هو نفسه يحاكي." (١)

"عقد الزيجات واقتراب الرجل من المرأة في أيام الصوم الكبير. ومن ثم كانت صرامة الشريعة حائلا دون نزوع الشعب إلى الإفراط في الانغماس فيما يكاد أن يكون المسرة الوحيدة التي تركت له، **وكان الوالدان** هما اللذان يدبران شئون الزواج، وكان يتم في سن مبكرة، فكانت البنت في سن الثانية عشرة والولد في سن الرابعة عشرة يعتبران صالحين للزواج. وكانت مراسم العرس معقدة تصحبها الأشياء الرمزية القديمة والأفراح التي كان مطلوبا من العروس في أثنائها أن تلزم الصمت الموسوم بالحياء، ولسوف تعوض عن ذلك فيما بعد. وكان ينتظر منها أن تقدم إلى والدة زوجها غداة العرس ما يثبت أنه بنى بعذراء، وكان الحريم يبقين في طابق أعلى بعيدا عن الرجال، وكانت سلطة الرجل في الأسرة مطلقة مثلها في ذلك مثل سلطة القيصر في الدولة.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٤٨/٢٣

وسما الورع عند الروس بالفقر حتى جعل منه سبيلا إلى الجنة. وكان كل بيت مهما صغر أو كبر يضم غرفة مزدانة بالأيقونات أو الصور المقدسة، بمثابة مكان للصلاة من حين لآخر. وكان الزائر الصالح يحيى هذه الصور المقدسة قبل التسليم على أهل البيت. وكانت النساء الصالحات يحملن مسابح أينما ذهبن. وكانت الابتهالات تتلى بمثابة تعاويذ ورقى سحرية، ومن ثم- كما يروى كتاب مشهور من القرن السادس عشر اسمه "كتاب الأسرة Domostroi " فإن ابتهالات معينة تكرر في اليوم ٦٠٠مرة لمدة ثلاث سنوات، قد تؤدى إلى تجسد الآب والابن والروح القدس في شخص المتضرع (٣). ومع ذلك كان هناك كثير من المظاهر الجميلة في هذه الديانة الممتلئة بالخرافات. فكان الناس في صبيحة يوم عيد الفصح يحيون بعضهم بعضا بهذه الألفاظ البهيجة " المسيح قام". وفي ظل هذا الأمل هان أمر الموت إلى حد ما. فإذا حانت منية الرجل الطيب الوقور سدد ديونه وأعفى المدينين له، وأعتق واحدا أو أكثر من أرقائه، ووزع." (١)

"٨ - جوناثان سويفت

١٦٦٧ - ١٧٤٥

كان سويفت يكبر ستيل وأديسون بخمس سنين. ولكنه عمر بعد أحدهما ست عشرة سنة، وبعد الآخر ستا وعشرين. وكان بمثابة شعلة متأججة سرت من قرن إلى قرن، من دريدن إلى بوب. ولم يستطع قط أن يغتفر مولده في دبلن الذي كان عائقا مثيرا للغضب في إنجلترا. وكم كان قاسيا عليه أن يقضي أبوه نحبه قبل ولادته، **وكان الوالد** قهرمان قصر الملك في دبلن. وعهد بالطفل إلى مرضعة حملته منها إلى انجلترا، ولم تعد به إلى أمه إلا عندما بلغ الثالثة من العمر، وربما ولدت هذه المغامرات والمخاطر في نفس الصبي شيئا من قلق اليتيم. ولابد أن هذا الشعور ازداد عمقا في نفسه، بانتقاله إلى عم له. سرعان ما تخلص منه، وهو في السادسة بإلحاقه بمدرسة داخلية في كلكني. وفي سن الخامسة عشرة التحق بترنتي كولدج في دبلن، حيث ظل بها سبع سنين. وشق طريقه في الكلية بصعوبة لأنه كان مهملا في اللاهوت بصفة خاصة. وكثيرا ما قصر وعوقب، وذاق مرارة الفقر والحرمان عندما تعثر حظ عمه الذي تولى الإنفاق عليه، وأصيب بانهيار عصبي (١٦٨٨). وعند موت عمه ١٦٨٩، وفي غمرة ثورة إيرلندة لنصرة جيمس الثاني، هرب جوناثان إلى إنجلترا، وإلى أمه التي كانت تعيش في ليستر على عشرين جنيها في العام. وعلى الرغم من طول الفراق بينهما، انسجما معا إلى حد معقول، وتعلم كيف يحبها، وزارها من حين إلى حين، حتى وفاتها (١٧١٠).

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣/٦٢

وفي أواخر عام ١٦٨٩ وجد سويفت عملا براتب قدره عشرون جنيها في العام مع الإقامة والطعام، سكرتيرا لسير وليم تمبل في موربارك. وكان تمبل حينذاك في أوج عظمته، صديقا ومستشارا للملوك. ويجدر بنا ألا نقسو في لومه لإخفاقه في التعرف على العبقرية في الشاب ذي الاثنين والعشرين ربيعا الذي جاءه ببعض اللاتينية واليونانية، وببعض اللهجة الإيرلندية مع جهل ماكر باستخدام الشوكة والملعقة وعلاقة الواحدة منهما بالأخرى." (١)

"الفصل الثاني والعشرون

سبينوزا

١٦٣٢ - ١٦٧٧

١ - الهرطيق الصغير

إن هذه الشخصية الغريبة المحببة التي بذلت في التاريخ الحديث أجرأ محاولة للعثور على فلسفة يمكن أن تحل محل عقيدة دينية ذائعة، ولدت في أمستردام في ٢٤ نوفمبر ١٦٣٢. ويمكن تتبع أسلافه إلى مدينة سبينوزا بالقرب من برجوس في مقاطعة ليون الأسبانية. وكانوا يهودا، ثم ارتدوا إلى المسيحية فكان منهم العلماء والقساوسة، وكان منهم كاردينال دييجو، كبير المحققين يوما (١). وهاجر جزء من الأسرة إلى البرتغال، والمفروض أنهم لجئوا إلى الهجرة هربا من محاكم التفتيش الأسبانية. وبعد فترة من الإقامة هناك في فيديجويرا بالقرب من باجه، انتقل جد الفيلسوف ووالده إلى نانت في فرنسا. ومنها في ١٥٩٣ إلى أمستردام، كانا من أوائل اليهود الذين استوطنوا هذه المدينة، تلهفا على التمتع بالحرية الدينية التي كفلها "اتحاد أوترخت" في ١٥٧٩. وما جاءت سنة ١٦٢٨ حتى أعتبر الجد زعيم الجالية الصفردية "اليهودية" في أمستردام، **وكان الوالد** في فترات مختلفة ناظرا للمدرسة اليهودية، ورئيسا لصندوق الصدقات المنتظمة للجالية اليهودية البرتغالية. وقدمت الأم: حنه ديبورا دي سبينوزا من لشبونه إلى أمستردام. وماتت عندما كان ابنها باروخ في السادسة من عمره. وأورثته السل. وتولى تربيته والده زوجة ثالثة. ولما كانت لفظة باروخ تعني في العبرية "المبارك" فقد سمي الصبي فيما بعد "بندكت" في الوثائق الرسمية اللاتينية.

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٦٨/٣٢

وفي مدرسة الجالية اليهودية تلقى باروخ التعليم الديني المألوف المبنى على التوراة والتلمود، كما تلقى بعض الدراسات للفلاسفة الحبرانيين وعلى الأخص إبراهام بن عزرا، وموسى بن ميمون وهاسداي." (١)

"الحصول على نسخ من هذا الكورال الأشهر المكتوب لأربعة أصوات أو خمسة أو تسعة، فأصغى إليه موتسارت مرتين ثم كتبه من الذاكرة. ومكثا في روما أربعة أسابيع، وأحييا حفلات موسيقية في بيوت النبلاء مدنيين وكنسيين. وفي ٨ مايو انطلقا في رحلتهما إلى نابلي. وكان الطريق خطرا لانتشار اللصوص فيه، فسافر موتسارت وأبوه مع أربعة رهبان أوغسطينين لينالا الحماية الدينية أو يظفرا بتناول القربان قبل الموت في هذه الضرورة الملحة. واستبقتهما نابلي شهرا بأكمله لأن النبلاء ابتداء من تانوتشي فتازلا دعوهما لأمسيات ووضعوا كل أسباب الترف تحت تصرفهما. فلما عزف فولفجانج في "الكونسر فاتوريو ديللا بييتا" غزا الجمهور المؤمن بالخرافات براعته لضرب من السحر كامن في خاتم يلبسه. وأدهشهم أنه واصل العزف بالبراعة ذاتها بعد أن خلع خاتمه.

وبعد أن استمتعا بالمقام في روما مرة أخرى عبرا الأبنين ليصليا للعذراء في كنيستها "سانتا كازا" بلوريتا، ثم اتجها شمالا لينفقا ثلاثة أشهر في بولونيا. وكان موتسارت يتلقى كل يوم تقريبا دروسا من بادري مارتيني في أسرار التأليف الموسيقي. ثم تقدم لاختبار القبول في "الأكاديميا فيلارمونيكا"، فأعطى قطعة من ترنيمة بسيطة جريجورية، طلب إليه أن يضيف إليها وهو محبوس وحده في حجرة نوتات عليا ثلاثا بالأسلوب التقليدي الدقيق " Stile Osserrato " وأخفق في المحاولة، ولكن البادري الطيب صحح إجابته، وقبل المحلفون الصورة المنقحة "نظرا إلى الظروف الخاصة"-ربما لصغر سن موتسارت.

وفي ١٨ أكتوبر **كان الوالد** والولد في ميلان. هناك حقق فولفجانج أول انتصاراته مؤلفا موسيقيا، ولكن بعد الجهد الجهيد والمعاناة الكثيرة وكان موضوع الأوبرا التي كلف بها "مترداتي، ملك بنطس"، وقد اخذ النص من راسين. وراح الفتى الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة يكد ويكدح تأليفا وعزفا وتنقيحا حتى كلت أصابعه واستحالت حماسته ضربا من الحمى، فاضطره أبوه إلى أن يحدد ساعات عمله ويهدئ من اضطرابه بنزهة على." (٢)

"على أجسادهم، نشأت مشاهد لا تستطيع العين أن تراها .... ومن لم يكن له كسب يشتري به القوت، هدم داره ليبيع أجزاءها في السوق، وقيل إن الحمل يحمله الرجل بكل طاقته، لم يكن ثمنه ليكفي

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠٥/٣٤

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٨٨/٤٠

سد رمقه يوما واحدا، والعجب أنك كنت ترى في هذا الحطام من أخشاب المنازل، الذي كانوا يبيعونه وقودا للنار، قطعا مزدانة في بعض أجزائها بالألوان أو بالفضة أو بطلاء الذهب ... وشيء آخر يستثير في النفس أشد أحزانها، وهو أنه إذا كان ثمة رجل وامرأة يربط بينهما رباط الحب الشديد، فالذي كان منهما أقوى حبا من الآخر، وأعمق ولاء، يموت قبل زميله؛ وعلة ذلك أن الواحد منهما يؤثر غيره على نفسه، فالذي يشتد حبه يقدم لمحبوبه- رجلا كان أو امرأة- أي شيء يطلبه منه، **فكان الوالدون** بطبيعة الحال يموتون قبل أبنائهم؛ كذلك كنت ترى الرضع أحيانا عالقين بأثداء أمهاتهم، لا يعرفون أن هؤلاء الأمهات قد فاضت أرواحهن ... وبلغ عدد الموتى في كيوتو الوسطى خلال الشهرين الرابع والخامس وحدهما ٤٢٫٣٠٠ من الأنفس البشرية (٤٠).

قارن هذه الفترة الفظيعة التي تخللت مجرى الزراعة، بالصورة التي يقدمها لنا "كيمفر" ساطعة عن الصناعات اليدوية في اليابان كما رآها في كيوتو سنة ١٦٩١.

"كيوتو هي المستودع العظيم الذي تخزن فيه كل المنسوجات والسلع اليابانية، وهي المركز التجاري الرئيسي في الإمبراطورية؛ فتكاد لا تجد في هذه العاصمة الكبرى منزلا واحدا لا يصنع فيه شيء أو يباع شيء؛ فالناس هاهنا يصفون النحاس ويسكون النقود ويطبعون الكتب ويطرزون أفخر المنسوجات بزهور الذهب والفضة. وهاهنا كذلك تصنع أحسن صنوف الصبغة وأندرها، وأروع النقوش فنا، وكل ضروب الآلات الموسيقية والصور والخزانات اليابانية، وشتى الأشياء التي تصاغ من الذهب وغيره من المعادن، وخصوصا." (١)

"**وكان الوالدان** هما اللذان ينظمان زواج أبنائهما، دون أن يكون للبيع والشراء أثر في هذا التنظيم؛ فإذا ما اتفقا على الزواج كان ينتظر من العريس أن ينتزع عروسه من بيت أبيها قوة واقتدارا، كما كان ينتظر منها أن تقاوم هذا الانتزاع، وكان اللفظ الذي يعبر به عن الزواج هو لفظ هربدزين harpadzein أي الاغتصاب (٥٩). فإذا ترك هذا التنظيم بعض الكبار بلا زواج، جاز حشر عدد من الرجال في حجرة مظلمة ومعهم عدد مساو لهم من البنات، ثم يترك هؤلاء وأولئك ليختار كل رجل شريكة حياته في الظلام (٦٠)؛ ذلك أن الإسبارطيين كانوا يعتقدون أن هذا الاختيار لم يكن فيه من العمى أكثر مما في الحب. وقد كان من المألوف أن تبقى العروس مع أبويها وقتا ما، وأن يبقى العريس في ثكناته لا يزور زوجته إلا خلسة. ويقول بلوتارخ إنهما كانا يعيشان على هذا النحو زمنا طويلا حتى لقد كان بعضهم ينجب من زوجته أطفالا

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٥/٤٩

قبل أن يرى وجهها في ضوء النهار". فإذا ما أوشكا أن يكونا أبوين سمح لهما بأن ينشئا بيتا. وكان الحب ينشأ بعد الزواج لا قبله، ويلوح أن الحب بين الزوج وزوجته لم يكن في إسبارطة أقل منه في سائر الحضارات (٦١). وكان الإسبارطيون يفخرون بأن الزنا لا وجود له بينهم، وقد يكونون على حق في هذا الفخر، لأنهم كانوا يتمتعون قبل الزواج بقسط كبير من الحرية، وكان الكثيرون من الأزواج يقبلون أن يشترك معهم غيرهم وخاصة إخوتهم في زوجاتهم (٦٢). وكان الطلاق نادرا، وقد عوقب ليسندر Lysander القائد الإسبارطي لأنه هجر زوجته وأراد أن يتزوج أخرى أجمل منها (٦٣).

وكان مركز المرأة بصفة عامة في إسبارطة خيرا منه في أي مجتمع يوناني آخر، فقد احتفظت فيها أكثر من سائر المدن اليونانية بمكانتها الهومرية العالية وبالمزايا التي بقيت لها من أيام المجتمع القديم الذي كان الأبناء فيه ينسبون إلى أمهاتهم .. وفي ذلك يقول بلوتارخ إن النساء الإسبارطيات كن." [١]

"الفصل الثالث

خشيارشاي أو أخشويرش (١)

توفي دارا الأول في عام ٤٨٥ وخلفه خشيارشاي الأول. **وكان الوالد** والولد رجلين يمتازان بالمقدرة العالية والثقافة الرفيعة، ولهذا يخطئ من يظن أن الحرب اليونانية الفارسية كانت نزاعا بين الحضارة والهمجية. وحسبنا دليلا على هذا تلك الحادثة التي وقعت حين أرسل دارا رسله إلى أثينة وإسبارطة قبل أن يغزو بلاد اليونان، يطلب إليهما أن ترسلا إليه التراب والماء رمزا لخضوعهما لسلطانه، فما كان من المدينتين كلتيهما إلا أن قتلتا الرسل. وتوالت نذر الشؤم على إسبارطة فخشيت عاقبة فعلتها، وندمت على خرقها التقاليد الدولية المرعية، وطلبت إلى أهلها أن يتقدم منهم اثنان يذهبان إلى فارس وأن يقبلا أي عقاب يفرضه عليهما الملك العظيم ليكفرا به عن غدر مواطنيهما. وتطوع اسبرثياس Sperthias، وبوليس Bulis من أبناء الأسر الغنية القديمة في المدينة، للقيام بهذه المهمة، وسارا إلى خيمة خشيارشاي "أجابهما جواب الشهم الكريم وقال أنه لا يفعل ما فعله اللسدمونيون، حين قتلوا رسله واعتدوا بعملهم هذا القوانين التي يشترك الناس كلهم في التقيد بها. وإذا كان قد لامهم على فعلهم هذا فإنه لا يفعل مثل ما فعلوه ولا يرتكب من الإثم ما ارتكبوه".

وأخذ خشيارشاي يستعد لهجومه الثاني على اليونان استعدادا كاملا بطيئا فقضى أربع سنين يحشد الجند

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٦/١٥٨

ويجمع العتاد والزاد من جميع الولايات الخاضعة لسلطانه؛ ولما أن بدأ الزحف أخيرا في عام ٤٨١ كان جيشه في أغلب الظن

---

(١) أوزركسز كما يسميه اليونان.." (١)

"أحمد بن علي بن ياسين، الشيخ الإمام العالم العامل العارف بالله تعالى، شهاب الدين الدجاني الشافعي أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون، وصاحب سيدي محمد بن عراق. كان يحفظ القرآن العظيم، والمنهاج للنووي. وحدثني تلميذه الشيخ الصالح العارف بالله تعالى يوسف الدجاني الأربدي أن الشيخ أحمد الدجاني كان لا يعرف النحو، فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا أحمد تعلم النحو. قال: فقلت له: يا رسول الله علمني، فألقى علي شيئا من أصول العربية، ثم انصرف قال: فلما ولى لحقته إلى بيت الخلوة، فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وضممت اللام من رسول. قال: فعاد إلي. وقال لي: أما علمتك النحو أن لا تلحن قل: رسول الله بفتح اللام. قال: فاشتغلت في النحو، ففتح علي فيه. دخل إلى دمشق في أوائل رجب سنة إحدى وخمسين وتسعمائة بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام، وكاتب الولايات، وخطب بجامع دمشق يوم الجمعة منتصف رجب، وشكره الناس على خطبته، وزار الشيخ محيي الدين بن العربي، وأقام الذكر عنده. قال ابن طولون: وحذوه فيه حذو شيخه الشيخ محمد بن عراق، وسألته عن سنه وقت موت الشيخ محمد الجلجولي رضي الله تعالى عنه. فقال: نحو ثمان سنين قلت: وتقدم أن وفاته كانت سنة عشر وتسعمائة، وسافر راجعا إلى القدس الشريف مستهل شعبان صحبه الشيخ عيسى الصفوري، وكان الشيخ عيسى ذاهبا إلى مصر في قافلة. قلت: وحدثني الشيخ أحمد بن سليمان أنه لما اجتمع بصاحب الترجمة في القدس، وهو في صحبة الشيخ شهاب الدين أخي حدثهم أنهم كانوا في حضرة الشيخ علي بن ميمون، فشكوا إليه خاطرا، فطردهم، فكانوا على باب الخلوة أياما، ثم شكوا إليه فقال: تتوبون قالوا: نعم. فقال: قولوا: يا إلهي تب علينا، واعف عنا أجمعين يا رحمان يا رحيم وكرروها، ففعلوا، فردهم، ثم استحسن الشيخ أن يلازموا على ذلك في مجالس الذكر عند الختام، فصار ذلك من طريقتهم، وقال لي والد شيخنا: ورد الخبر بموت الشيخ الصالح العابد أحمد الدجاني ببيت المقدس. وأنه توفي في جمادى الأولى سنة تسع بتقديم التاء وستين وتسعمائة. قال: وصليت عليه في جامع الجديد في جمادى الآخرة رحمه الله تعالى.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤٣٤/٦

أحمد الشلاح

أحمد بن عمر الشلاح، الشيخ الفاضل المقرىء المجود، الحافظ لكتاب الله تعالى شهاب الدين أحمد الضرير. كان يحضر دروس الشيخ الوالد في التقوية وغيرها، ويقرأ القرآن العظيم في المجلس. قرأ القرآن العظيم على الشيخ أحمد بن عبد القادر ابن التينة مؤدب الأطفال، وأقرأه إياها للعشر، ثم قرأ في القراءات على الشيخ شهاب الدين الطيبي، **وكان الوالد**، والشيخ الطيبي يقول كل منهما: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل، فليسمعه من الشيخ أحمد الضرير، وكان يقرأ في الجامع على الكرسي بعد صلاة المغرب دون الربع من الحزب في كل ليلة يبدأ من أول القرآن إلى ختمه حالا مرتجلا ما كان يسمع القرآن سامع في حال حياته من أحسن منه قراءة ولا تجويدا كأنه خلق للتلاوة، وكان أحد المؤذنين بالجامع الأموي، وكان له معرفة تامة بالموسيقى، وكان بصيرا في إضراره. يمشي في أسواق دمشق وأزقتها أحسن من البصراء من غير قائد. توفي في سابع عشر المحرم الحرام سنة تسع وتسعين وتسعمائة بتقديم التاء في الثلاثة، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان، ورئي في المنام كأنه هو، والموتى أحياء عليهم محاسن الثياب، فقيل له: كيف حالكم؟ فقال: بخير بسبب مجاورتنا للشيخ بدر الدين الغزي، وولده الشيخ شهاب الدين، ورأيته في المنام بعد موته بسنين، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بعد شدة. قلت له: كيف ترون حالي عندكم؟ قال: أنت بخير غير أن بينك وبين فلان شحناء. توقفت بسببها، فلما أصبحت صافيت ذلك المشار إليه، وكان الأمر كذلك رحمه الله تعالى.

أحمد بن مفلح

أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن مفلح القاضي شهاب الدين المالكي: كان أحد العدول بالصالحية، ثم بالكبرى، ثم بقناة العوني رئيسا بها، وكان خطه ضعيفا بحيث يظن أنه كوفي، ثم ولي نيابة الحكم بالميدان، وكان يتكيف ويتخيل أمورا فاسدة إلا أنه كان لا بأس به، وميلاده سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، وتوفي في حدود الألف رحمه الله تعالى.

أحمد الفلوجي." (١)

"@ ٣١١ @ فأدرك عسكره بذلك **المكان والديلمي** لا يعلم بوصوله وهو قد قوي طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فأخذ رئيسهم أسيرا وانهزم عسكره فأمر بهرام بالنداء فيهم بالأمان لمن عاد إليه فعاد الديلم جميعهم فأمنهم ولم يقتل منهم أحدا وأحسن إليهم

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٤١٥

وعادوا إلى أحسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه # وقيل كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم # ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام فبنيت له هي ورستاقها واستوزر نرسي فأعلمه أنه ماض إلى الهند متخفيا فسار إلى الهند وهو لا يعرفه أحد غير أن الهند يرون شجاعته وقتله السباع ثم إن فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فأرسل معه من يأتيه بخبره فانتهى بهرام والهندي معه إلى الأجمة فصعد الهندي شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج له صوت شديد فلما قرب منه رم١ه بسهم بين عينيه كان يغيب ووقذه بالنشاب وأخذ مشفرة ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه وأخرجه وأعلم الهندي ملكهم بما رأى فأكرمه أحسن إليه وسأله عن حاله فذكر أن ملك فارس سخط عليه فهرب إلى جواره وكان لهذا الملك عدو فقصده فاستسلم الملك وأراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام وأشار بمحاربته فلما التقوا قال لأساورة الهندي احفظوا لي ظهري ثم حمل عليهم فجعل يضرب في أعراضهم ويرميهم بالشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان في عسكر عدوه فأعطى بهرام الدبيل ومكران وأنكحه ابنته فأمر بتلك البلاد فضمت إلى بلاد فارس وعاد بهرام مسرورا # وأغزى نرسي بلاد الروم في أربعين ألفا وأمره أن يطلب ملك الروم بالأتاوة فسار إلى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد إلى بهرام # وقيل إنه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه إلى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلهم وسبى من٥م خلقا كثيرا وعاد إلى مملكته ثم إنه في آخر ملكه خرج إلى الصيد فشد على عنز فأمعن في طلبه فارتطم في جب فغرق فبلغ والدته." (١)

"بدأت أم حسن حكايتها بالعودة بذاكرتها سبعة وعشرين عاما الى الوراء، حيث فترة الشباب وانتظار فارس الاحلام قائلة:"في تلك الأيام كان معظم الشباب يقلدون المطربين والممثلين، حيث أتذكر تماما تقليدهم الأعمى لصيحات الموضة في الشعر والأحذية العالية والبنطالات الواسعة، **وكان والدي** يشترط على كل من يطلب يدي أن يكون شخصا متدينا، مستقيما، لا يدخن على الاطلاق، الا أن تلك الصفات كان من النادر وجودها وتحققها آنذاك، وكان عمري آنذاك ١٩ ربيعا، حتى تقدم ابن عمي اسماعيل لخطبتي والزواج مني، فقد كان ولله الحمد متدينا كما نريد، وكنت أرى فيه اختلافا عن بقية الشبان من حيث الطبع والسلوك، وعلى الرغم من أنه كان متدينا الا أنه كان مرحا وسلسا في معاملته".

وتستمر أم حسن في سرد قصتها مع رفيق دربها وعمرها قائلة:"كان أول شيئ اتفقنا عليه حينما تزوجنا أن نداوم على طاعة الله، وكان زوجي في تلك الأثناء يأمل في إكمال دراسته العليا في تخصص الهندسة،

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣١١/١

وكانت علاقتي به علاقة متميزة، ولم نكن يوما بعيدين عن بعضنا البعض، حتى تلك الفترة التي سجن فيها كان لا يغيب عن عيناي، وكان دوما أمام ناظري، لا يغيب أبدا عن فكري ومخيلتي".

وتستطرد أم حسن في حديثها، متطرقة الى رحلتها مع زوجها في جهاده الطويل حيثما كان يعمل في مجال الدعوة والتربية مع جماعة الاخوان المسلمين قائلة:"كنت أحرص دائما على تقدير ظروفه، ولم أكن أشكل عليه عبئا من الناحية الأسرية، ورغم ضيق وقته وانشغاله بشئون الدعوة ومجالاتها التربوية فقد كنت له سندا وعونا، فالزوجة الذكية يجب أن تفهم زوجها تماما، فكلما كنت أنظر في وجهه كنت أقرأ ما في داخله، ورغم أن أبا الحسن كان من النوع الكتوم الا أنني كنت أعايشه همومه، وأشعر بما يجول في خاطره، مع أنه كان بالغ الحرص على ألا يشعر أحدا من أهل بيته بأي من همومه، حتى لا يثقل على أي منهم".." (١)

"٦- مكانته العلمية : ويكفي في معرفة مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني العلمية ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فقد شهد ابن تيمية للشيخ عبد القادر بأنه من الشيوخ الكبار (١). ثم شهد له بأنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء فيقول : والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمرا بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر من أعظم المشايخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية (٢) . وقال القاضي أبو عبد الله المقدسي، قال : سمعت شيخنا موفق الدين ابن قدامة يقول : دخلنا بغداد سنة ٥٦١هـ فإذا الشيخ الإمام محي الدين عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علما وعملا وحالا وافتاءا وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافا جميلة وأحوالا عزيزة وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء (٣) . وكان يبذل أوقاتا كثيرة في سبيل تعليم الناس الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم يقول ابنه عبد الوهاب : **كان والدي** رحمه الله يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها ٥٢١هـ وآخرها ٥٦١هـ ومدة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ٣٣ سنة أولها ٥٢٨هـ وآخرها ٥٦١هـ وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة (٤). وأما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبد الرزاق بقوله : جاءت فتوى من العجم إلى بغداد فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شاف وصورتها : ما

(١) المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، ص/٢٧٥

تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد له

---

(١) فتاوي ابن تيمية (١٠/٤٦٣).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٤٨٨).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٢٩٤).

(٤) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٩٥.." [١]

"ولكننا لا نستطيع القطع برأي العرب في موضوع "دس العرق". وفي إن أيا هو أكثر أثرا ووضوحا في الولد: عرق الخال، أم عرق العم؟ فهناك أمثلة في التأريخ الجاهلي تظهر إن من الجاهلين من كان يقدم العم على الخال، ويرى إن العم مقام الوالد. ولما **كان الوالد** هو الأصل في النسب عند الجاهليين، وهو الولي وصاحب الحق الشرعي الأول في ولده، يكون هذا الحق في إخوته بعد وفاته. كما أننا في إن بعض الأولاد كانوا ينزعون إلى أعمامهم أكثر من نزوعهم إلى أخوالهم. وموضوع نزع العرق عند العرب، اعتباري اصطلاحي بالطبع، يمثل وجهة نظرهم في النسب، ولا يقوم على أسس "بيولوجية" أي من ناحية اثر الدم وانتقال الخصائص الدموية من الوالد، أو من الأم إلى الولد. وهو موضوع علمي، يختلف عن هذه النظرة الاعتبارية، من حيث انه يقوم على الدراسات العلمية، ولا يأخذ بالاعتبارات والآراء المبينة على اعتبارات أهل النسب في خصائص الولد.

والظاهر إن الوئام لم يكن واقعا دائما بين أبناء العم، إذ نجد إن الخصومات طالما كانت تحدث بينهم. ولعل ذلك بسبب ما ألقاه المجتمع على عاتق العم من تبعات أولاد إخوته حين وفاة الأخ، فانه يكون بحسب العرف القبلي الوصي الشرعي على أولاد المتوفى، وله حق في إرثه بحسب قانون "العصبة" عند وفاة الأخ عن بنات ومن غير أبناء، أو لطمع الأعمام في أموال اليتامى، إلى غير ذلك من أمور سببت حدوث خصومات أحيانا بين الأعمام وبن أبناء الاخوة، أو بين أبناء الأعمام. ولعل هذه الخصومات هي النبي جعلت "الجاحظ" يتصور إن أبناء العم محسودون.

ونجد العرب يقولون: "عرق فيه أعمامه وأخواله"، فقدموا الأعمام على الأخوال، واعترفوا بأثر عرق الاثنين في الولد، من كرم أو لؤم، إذ يكون دس العرق في اللؤم والكرم.." [٢]

---

(١) السيرة الزنكية، ٢/٥٢

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/٢٢١

"وللحق المتقدم لم تمانع شرائع الجاهليين في وأد البنات أو قتل الأولاد،ولم تعد من يئد البنت أو يقتل ابنه قاتلا، ولم تؤاخذه على فعله، حتى الأمهات لم يكن من حقهن منع الاباء من وأد بناتهن، أو قتل أولادهن، لأن الزوج هو وحده صاحب الحق والقول الفصل فيمن يولد له، وليس لامرأته حق الإعتراض عليه ومنعه.

ولهذا الحق لم يكن للولد الاعتراض على ما يفرضه أبوهم عليهم من حقوق، ولا مخالفة أوامره ونواهيه. فبوسع والدهم فرض ما يراه عليهم من عقوبات، فلا يمنعه منها إلا قوة الولد وتوسط الناس. فإذا اشتد عود الولد، وقوي ساعده صار الحق إلى جانبه، وصار في وسعه معارضة والده، ولن يكون في **إمكان الوالد** فعل شيء بعد بلوغ ابنه سوى خلعه والتنصل منه على رؤوس الأشهاد.

القاعدة للعامة في الازدواج

والقاعدة العامة في الازدواج مراعاة علاقة الأصل بالفرع، فلا يجوز نكاح الأب لابنته، ولا الجد لحفيدته، ولا يجوز للام أن تتزوج ابنها، ولا للجدة أن تتزوج حفيدها، ولا للأخ أن يتزوج أخته، مراعاة لعلاقة الأصل بالفرع، أي لعلاقة الدم. ومن يفعل ذلك يكون آثما مؤاخذا على فعله.

ويراعى هذا التحريم حتى في حالات التبني، لاكتساب التبني الصفة المقررة للابن الطبيعي، فلا يجوز للمتبني أن يتزوج ابنة المتبنى لأنه اتخذه ابنا له. ومحرم على الرجل أن يتزوج ابنة أخيه، أو ابنة أخته. أما ولد الأخوين أو ولد الأختين أو ولد الأخ والأخت، فالزواج بينهم مباح. ويحرم نكاح العمة كما يحرم نكاح الخالة، وذلك لأنهما في درجة الأصول. ويحرم بصورة عامة كل نكاح يقع بين المحارم.

ومن القبيح عندهم الجميع بين الأختين، وأن يخلف الرجل على امرأة أبيه، ويسمون هذا ألفعل من فعول "الضيزن". قد عرف هذا الزواج بنكاح المقت.." [١]

"هو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاون، وأخو زوجته خوند طغاي، تنقلت به الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ثم صار استدار ومقدم المماليك السلطانية وشاد العمائر ثم أنعم الملك الناصر على ولديه كل منهما بإمرة وهما ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد، ولم يزل آقبغا مقربا عند أستاذه الملك الناصر محمد إلى أن توفي ليلة الأربعاء العشرين من ذي الحجة الحرام سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وتسلطن ابنه الملك المنصور قبض على آقبغا هذا وصادره وأخذ ما يملكه، وأمر برد كل ما أخذه من الناس أيام أبيه الملك الناصر محمد، وكان آقبغا ظالما كثير

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٠٨/٧

الطمع وعنده جبروتية وعسف، واستولى السلطان على جميع ماله وحبسه إلى أن أخرجه الأمير قوصون من القاهرة إلى دمشق لما تولى السلطان الملك الأشرف كجك، فأقام آقبغا بدمشق إلى أن قدم القاهرة مع الفخري، ورسم له السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون بنيابة حمص، فتوجه إليها وأقام بها إلى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، عزل ورسم له أن يتوجه إلى دمشق ليكون بها من جملة أمرائها المقدمسين، فأقام بها إلى شوال من السنة، أرسل السلطان الملك الناصر بالقبض عليه، فأمسك وأرسل إلى القاهرة، فلما حضر أرسله إلى الإسكندرية، فحبس بها إلى أن قتل سنة أربع وأربعين وسبعمائة.

وكان شجاعا مقداما خصيصا عند أستاذه الملك الناصر محمد، معظما في الدولة إلا أنه كان غير مشكور السيرة في ولاياته، وكانت داره بالخيميين بالقرب من جامع الأزهر، وبني المدرسة المعروفة بجوار جامع الأزهر.

حكى أنه اشتكى مرة لأستاذه الملك الناصر من ضيق إسطبله فقال له الناصر مداعبا متهكما عليه: أربط خيلك في بوائط جامع الأزهر، فقال آقبغا: خطبة يا مولانا السلطان، فقال له: وأنت تعرف خطبة؟ انتهى.

آقبغا الطواوتمري الظاهري اللكاش

...... - ٨٠٢هـ - ...... - ١٣٩٩م آقبغا بن عبد الله الطولوتمري الظاهري، الأمير علاء الدين.

كان خصيصا عند أستاذه الملك الظاهر برقوق، وترقى في دولته إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى تاسع عشرين جمادى الأولى سنة ثمانمائة، خلع السلطان عليه باستقراره أمير مجلس عوضا عن بيبرس ابن أخت الملك الظاهر بحكم انتقال بيبرس إلى الدوادارية الكبرى بعد موت فلمطاي الدوادار، واستمر على ذلك إلى أن ركب الأمير على باي رأس نوبة النوب على الملك الظاهر برقوق وانكسر وقبض عليه، اتهم آقبغا هذا بالممالأة إلى علي باي، فنفاه السلطان إلى دمشق، ثم قبض عليه بها وسجن بقلعتها إلى أن نوفي الظاهر برقوق وتسلطن الناصر فرج، وخرج الأمير تنم الحستي نائب الشام عن الطاعة، وأطلق آقبغا هذا وصار من حزبه إلى أن كانت الوقعة، وقبض على نتم وعلى آقبغا المذكور بعد أن قاتل آقبغا يومئذ قتالا شديدا وأظهر من الشجاعة ما لا مزيد عليه، فإنه كان في جاليش تنم، **وكان والدي** هو مقدم العساكر في الجاليش المذكور، وكان آقبغا على ميسرته ودمرداش المحمدي نائب حلب على ميمنته، فلما تصافقوا للقتال ووقع العين في العين انهزم دمرداش ومعه الزيني فرج بن منجك بمن معهم من المماليك إلى جهة الملك الناصر طائعين له، وبقى والدي وآقبغا هذا في جمع متوسط لا يمكنهم الرجوع إلى تنم فإنه على مسافة يريد عنهم إلى خلف، فالتقوا مع العسكر السلطاني، وطال القتال بينهم إلى

أن كانت الهزيمة عليهم، وقبض على آقبغا ثم على والدي فيما بعد، وحبس آقبغا هذا بقلعة دمشق إلى أن قتل بها مع من قتل من الأمراء في رابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانمائة. رحمه الله.

آقبغا المارداني

...... - ٧٩٣هـ - ...... - ١٣٩٠م آقبغا بن عبد الله المارداني، الأمير علاء الدين، نائب الوجه القبلي. كان أولا من جملة الأمراء العشرات، ثم ناب بالوجه القبلي مدة إلى أن قبض على الظاهر برقوق وحبس بالكرك ثم قبض منطاش على الناصري أنعم على آقبغا هذا بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، ثم بعد خذلان منطاش قبض على آقبغا وقتل في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

آقبغا شيطان

...... - ٨٢١هـ - ...... - ١٤١٨م آقبغا بن عبد الله الظاهري، المعروف بآقبغا شيطان، الأمير علاء الدين.." (١)

"قلت: وصاحب الترجمة رحمه الله هو الذي، كان رومي الجنس، اشتراه الملك الظاهر برقوق في أوائل سلطنته تقريبا وأعتقه وجعله في يوم عتقه خاصكيا، ثم صار ساقيا، وأنعم عليه بحصة من شبين القصر، ثم جعله رأس نوبة الجمدارية إلى أن نكب الملك الظاهر برقوق في ملكه وحبس بالكرك في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة **كان والدي** إذ ذاك محبوسا بدمشق، فإنه كان قد توجه صحبة العسكر لقتال الناصري فلما انكسر العسكر قبض عليه مع من قبض عليه من حواشي برقوق ودام في حبس دمشق إلى أن أخرجه الأمير بزلار نائب دمشق، وصار بخدمته هو والأمير دمرداش المحمدي، والأمير دقماق المحمدي، فداموا بخدمة الأمير بزلار إلى أن خرج الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك طالبا ملكه، فبادر والدي إليه، وفر من عند الأمير بزلار ولحق به قبل أن يستفحل أمره، وشهد الوقعة المشهورة بين الظاهر وبين منطاش بعد خروج الظاهر من حبس الكرك، وحمل والدي رحمه الله تعالى في الوقعة المذكورة على شخص من الأمراء المنطاشية يسمى آقبغا اليلبغارى، فقنطره عن فرسه، فسأل الملك الظاهر برقوق وقال: من هذا الذي قنطر آقبغا: فقيل له: تغرى بردى فتفاءل بإسمه، فإن معناه بالعربي الله أعطى، فأنعم الملك الظاهر بإقطاع المذكور على والدي رحمه الله إمرة عشرين، ولهذا كان يقال تغرى بردى أخذ الإمرة برمحه.

ولما انتصر بوقوق أرسل والدي رحمه الله مشر بسلطنته إلى الديار المصرية، وقد هم الملك الظاهر في إثره إلى الديار المصرية، وقرب والدي رحمه الله ١٢٣ ولا زال يرقيه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/١٩٥

المصرية، وولاه رأس نوبة النوب في مدة قليلة، ثم ولاه نيابة حلب حسبما ذكره ابن خطيب الناصرية، ثم عزل وعاد إلى الديار المصرية أمير مائة مقدم ألف، وأنعم عليه بإمرة مجلس عوضا عن الأمير شيخ الصفوى، قبل قدومه إلى القاهرة، ولما قدم إلى الديار المصرية في خامس عشر ربيع الأول سنة ثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر بإمرة سلاح عوضا عن الأمير بكلمش العلائي، واستقر بيبرس ابن أخت الملك الظاهر أمير مجلس عوضه.

واستمر والدي رحمه الله على ذلك إلى أن توفي الظهر برقوق وتسلطن الملك الناصر فرج، ووقع بين الأتابك أيتمش وبين الأمراء الظاهرية الأصاغر، **كان والدي** رحمه الله مع الأتابك أيتمش، ووقع ما ذكرناه في ترجمة أيتمش وغيره من إنهزامهم وتوجههم إلى الأمير تنم نائب الشام، وعودهم صحبة تنم إلى غزة، وقتالهم مع الملك الناصر فرج والقبض عليهم، ولما قبض على الأنابك أيتمش وعلى تنم، وعلى جماعة أمراء أخر، قبض على والدي أيضا معهم، قتل منهم من قتل وبقي والدي رحمه الله مدة في حبس دمشق، ثم أفرج عنه وتوجه إلى القدس بطالا، إلى أن ورد تيمور إلى البلاد الحلبية، وخرج الملك الناصر إلى البلاد الشامية، فلما وصل إلى غزة طلب والدي رحمه الله من القدس، ورسم له بنيابة دمشق عوضا عن الأمير سودون قريب الملك الظاهر برقوق بحكم قبض تيمور عليه وأسره بأيدي الجغتاى، فامتنع والدي رحمه لله من لبس التشريف، وقال: معي رأى اسمعوه مني، فقالوا له: قل، فقال: هذه دمشق بلد عظيم عامر بالخلق والسلاح وأهله داخلهم الرعب لما سمعوا ما وقع لأهل حلب، وأنا إلى نيابتها وأنوجه إليها وأحصن أسوارها وأبراجها وأقاتل تيمور بها أشهرا، وهو لا يطيق أخذها مني في مدة يسيرة، والسلطان يستقر بعسكره في غزة، وفصل الشتاء قد أقبل، فيصير تيمور بيني وبين السلطان إن توجه إلى السلطان صرت أنا خلفه فيصير بين عسكرين فلا ينهض بالظفر، وإن دام على دمشق يحاصرها فيرسل السلطان من بعض عسكره من يضرب أطراف عسكره وينهبه فلا يسعه إلا العود إلى بلاده، فإذا توجه سرنا في أثره فيهلك غالب عسكره لعدم معرفتهم بالبلاد ولكثرتهم، فإن شأن العسكر الكبير إذا عاد إلى بلاده لا يلتفت إلى خلفه، ويصير أول العسكر في بلاد وأخرهم في بلاد أخر وبينهم مسافة أيام.

فلم يقبل الأمراء كلام والدي رحمه الله بنصح، وقالوا فيما بينهم: يريد يأخذ دمشق ويسلمها لتيمور ويتفق معه على قتالنا لما في نفسه منان وبلغ والدي رحمه الله ذلك فسكت عن مقالته، وليس تشريفه، وتوجه إلى دمشق.

وأخبرني من أثق به أن هذا الخبر بلغ تيمور، فشكر هذا الرأي إلى الغاية، ثم حمد الله تعالى على عدم فعلهم إياه.." (١)

"واستمر المير تنم في نيابة دمشق مدة طويلة، ونالته السعادة، وعظم في الدولة وضخم، وقدم إلى الديار المصرية على أستاذه الملك الظاهر في نيابته غير مرة بالهدايا والتحف والتقادم الهائلة، وتجرد إلى سيواس وغيرها بمرسوم الملك الظاهر برقوق له، وفي صحبته نواب البلاد الشامية وغيرها من التركمان والعربان، ثم عاد إلى محل كفالته بعد أن وقع بينه وبين والدي رحمه الله مناوشة في هذه السفرة، وسبب ذلك أن العادة إذا سار نائب دمشق بسنجقه يحفظ نائب حلب سنجقه إذا كانا معا، فلم يفعل والدي ذلك، بل سارا معا وسنجقها مرتفع، فوقع بعض كلام بين السلاح دجارية من الطائفتين وتقاتلا بالدبابيس ساعة، ثم خمدت الفتنة بينهم، كل ذلك ووالدي رحمه الله يتجاهل تجاهل العارف حتى نزل كل إلى مخيمه ظاهر حلب، فكلم والدي رحمه الله بعض أعيان ماليكه في هذه الواقعة، فقال: أنا ما خرجت من مصر جنديا، أراد بذلك أنه ولي نيابة حلب لما كان رأس نوبة النوب بالديار المصرية، وتنم خرج من مصر أمير عشرة وصار مقدما بدمشق، حسبما ذكرناه وبلغ تنم ذلك فبقي في النفس ما فيها، وفي الظاهر الصلح بينهما واقع، فلما وصل تنم إلى دمشق أرسل إلى الملك الظاهر يلوح له بعصيان والدي إلى أن وغر خاطره عليه، وطلب والدي رحمه الله وعزل من نيابة حلب، وصار أمير سلاح بديار مصر.

كل ذلك وتنم في نيابة دمشق إلى أن توفي الملك الظاهر برقوق في سنة إحدى وثمانمائة، وتسلطن من بعده ابنه الملك الناصر فرج، وجهز إلى تنم تشريفا باستمراره على نيابة دمشق، فلبس الأمير تنم التشريف وقبل الأرض، واستمر في ولايته بدمشق إلى أن بلغه ما وقع للأتابكى أيتمش المذكور بمن معه من أعيان الأمراء حسبما ذكرناه وتوجه نحو الأمير تنم إلى دمشق، **وكان والدي** رحمه الله من جملة من خرج مع أتيمش إلى دمشق، فسر الأمير تنم بقدوم والدي رحمه الله صحبه أيتمش إلى الغاية، وأخذ تنم يزول ما في خاطر والدي منه قديما، حتى لقد زاد في إكرامه ورواتبه على الأتابك أيتمش، وقوى أمر تنم الأتابك أيتمش وغيره.

ووافقه غالب نواب البلاد الشامية بل الجميع، وأذعنوا له بالطاعة، وقدموا عليه إلى دمشق، واستفحل أمره، ثم خرج من دمشق يريد الديار المصرية، وصحبته الأمراء المصريين وهم: الأتابك أيتمش البجاسى، ووالدي أمير سلاح، وأرغون شاه أمير مجلس، وفارس حاجب الحجاب، ويعقوب شاه أحد مقدمي الألوف، والأمير

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٣١٨/١

أحمد بن يلبغا العمري أحد المقدمين أيضا، وعدة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية، وهؤلاء الذين خرجوا من الديار المصرية، وخرج معه من نواب البلاد الشامية الأمير أقبغا الهذباني نائب حلب، والأمير يونس بلطا نائب طرابلس، والأمير دمرداش نائب حماة، والأمير ألطنبغا العثماني نائب صفد، وعمر بن الطحان نائب غزة، وخلق من التركمان والعربان.

وسار بهذه العساكر العظيمة من المصريين والشاميين إلى أن وصل بالقرب من الرملة، بلغه قدوم الملك الناصر فرج بعساكره إلى مدينة غزة، فندب والدي لقتاله بعد أن أضاف إليه جماعة من أمراء المصريين ونواب البلاد الشامية، وجعلهم كالجاليش له، فساروا في جميع موفور إلى الغاية. والتقوا مع جاليش الملك الناصر فرج بظاهر غزة، فكانت بين الفريقين وقعة هائلة استظهر فيها عسكر تنم، لولا أن هرب منهم جماعة مثل دمرداش نائب حماة، وفرج بن منجك وغيرهما إلى الملك الناصر فرج، فعند ذلك انكسر عسكر تنم وعاد جاليشه إليه، فركب من وقته إلى أن نزل على غزة، وقد دخل الوهم قلب العساكر المصرية مما رأوا من قتال جاليشه.

فأرسل الملك الناصر إلى الأمير تنم قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي، وناصر الدين الرماح يسألانه في الصلح، وأن يكون على حاله، فأبى إلا القتال بعد أن شرط شروطا لا تقبل، فعند ذلك ركب الملك الناصر فرج وهو كالآلة مع الأمراء لصغر سنه، وركب أمراء الديار المصرية بعساكرهم والتقوا مع الأمير تنم، وتقاتلوا معه ساعة هينة، فكبا فرس تنم فقبض عليه، وانكسر عسكره، فقيد وحمل محتفظا به إلى دمشق صحبة الملك الناصر فرج.." (١)

"ولما مات الملك الظاهر برقوق، وتسلطن ولده الملك الناصر فرج من بعده ترقى شاهين كتك هذا في دولته حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم تنقل في عدة وظائف حتى ولي إمرة سلاح. وتوجه الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية، لقتال الأمير بن شيخ ونوروز في سنة أربع عشرة وثمانمائة، وعين الأمير شاهين الأفرم هذا، مع جماعة من الأمراء في الجاليش، وأمرهم بتقدمهم على عادة الجاليش. فساروا حتى وصلوا إلى دمشق، ودخلوا سلموا على والدي رحمه الله بدار سعادة دمشق، **وكان والدي** ضعيفا في مرض موته، وكان شاهين المذكور من إخوة والدي رحمه الله، فأسر لوالدي رحمه الله بأنه يريد العصيان على الملك الناصر والإلحاق بشيخ ونوروز، ثم قبل يده وقام، وخرج من وقته بمن معه عن طاعة الناصر، ولحق بالأمير بن شيخ ونوروز، واستمر عندهما حتى انكسر الملك الناصر، وحوصر بقلعة دمشق،

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/٣٥٦

ثم قتل. وتسلطن الخليفة المستعين بالله العباسي، وصار الأمير شيخ المحمودي مدبر المملكة بالديار المصرية، أخلع على الأمير شاهين هذا خلعة الاستمرار بإمرة سلاح على عادته أولا. واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك المؤيد شيخ، استمر به على عادته أيضا إلى أن توجه الملك المؤيد شيخ في سنة سبع عشرة وثمانمائة لقتال الأمير نوروز بالبلاد الشامية، وانتصر عليه وظفر به وقتله، ثم عاد إلى نحو القاهرة، عاد صحبته الأمير شاهين الأفرم المذكور، ومات برملة لد بطريق الشام في السنة المذكورة.

وكان أميرا شجاعا مقداما، عاقلا سيوسا، هادئا، عارفا بفنون الفروسية وركوب الخيل، وأنواع الملاعيب، ومات وهو في أوائل الكهولية، رحمه الله تعالى.

١١٧٨ - شاهين الفارسي

... - ٨٢٤ هـ - ... - ١٤٢١ م

شاهين بن عبد الله الفارسي، الأمير سيف الدين، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية.

لا أعلم نسبته بالفارسي لأي فارس، لكن هو ممن أنشأه الملك المؤيد شيخ، حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك حتى قبض عليه الأتابك ططر، لما صار نظام مملكة الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد شيخ، وقبض معه أيضا على الأمير جلبان رأس نوبة سيدي، وقيدهما وبعثهما إلى حبس الإسكندرية في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

وأظن ذلك كان آخر العهد به، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا أعرف من حاله إلا ما ذكرت، لكنني كنت أسمع الأتابك أقبغا التمرازي يكثر من ذكره، لما يتحاكى سوقه للمحمل في الدولة المؤيدية شيخ، ويقول: كان يسوق مقابلي شاهين الفارسي، فعلى هذا يكون له إلمام بفنون الفروسية والله أعلم، رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

١١٧٩ - شاهين الأيدكاري

شاهين بن عبد الله الأيدكاري، الأمير سيف الدين، حاجب حجاب حلب.

ولاه الملك المؤيد شيخ حجوبية حلب، لما ولي الأمير دمرداش المحمدي نيابة حلب، في أوائل دولته عند خروج الأمير نوروز من الطاعة، واستمر على ذلك إلى أن توجه الملك المؤيد إلى البلاد الشامية، في سنة عشرين وثمانمائة، عزله عن حجوبية حلب بالأمير تمراز الأعور.

وهذا خلاف شاهين الأيدكاري الناصري، أحد أمراء حلب في زماننا هذا، انتهى.

١١٨٠ - شاهين الزردكاش

... - ٨٤٠ هـ - ... - ١٤٣٦ م

شاهين بن عبد الله الزردكاش، الأمير سيف الدين، نائب طربلس.

كان أولا أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم صار حاجب حجاب دمشق. ثم نقل إلى نيابة حماة، بعد عزل الأمير نكباي واستقرره عوضه في حجوبية دمشق في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. فاستمر في نيابة حماة إلى المحرم سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، نقل إلى نيابة طرابلس، بعد موت سودون القاضي. واستقر من بعده في نيابة حماة الأمير إينال النوروزي نائب غزة، واستقر في نيابة غزة الأمير أركماس الجلباني أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية.

فاستمر شاهين المذكور في نيابة طرابلس، إلى أن توفي الملك المؤيد شيخ، وعزله الأمير ططر عن نيابة طرابلس، بالأمير أركماس الجلباني نائب غزة.

واستمر شاهين بطرابلس بطالا، إلى أن مات في حدود الأربعين وثمانمائة. وورثه الشهابي أحمد بن علي بن إينال، فما أدري هل شاهين المذكور عتيق والده علي، أم عتيق جده إينال الأتابك، والله أعلم.

باب الشين والباء الموحدة." (١)

"تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ **وكان والدي** رحمه الله تعالى ينشد هذه الابيات من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها عذيري من زمن قلب * يغر ببارقه الاشنب ومنها ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على مرقب فتأتي إلى الشيخ أخباره * فيقبل كالجمل الاجرب ويظهر من عدله سيرة * وتلك سياسة مستجلب ومنها في ذكر احوال تونس على العموم فإما (١) رأيت الرسوم امحت * ولم يرع حق لذي منصب فخذ في الترحل عن تونس * وودع معالمها واذهب فسوف تكون بها فتنة * تضيف البرئ إلى المذنب ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حفص هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان أبي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها وبعد أبي عبد الاله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

إلا أن هذا الرجل لم يملكها بعد أخيه وكان يمني بذلك نفسه إلى أن هلك ومن الملاحم في المغرب أيضا الملعبة المنسوبة إلى الهوثني على لغة العامة في عروض البلد دعني بدمعي الهتان * فترت الامطار ولم تفتر واستقت كلها الويدان * واني تملى وتغدر وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرفه العامة أو الحارف فيه من ينتحلها من الخاصة

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢/٨

ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تأويله إلا الله لتحلله إلى أوفاق عددية ورموز ملغوزة وأشكال حيوانات تامة ورؤوس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روي اللام والغالب أنها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولاغيرها وسمعت أيضا أن هناك

---

(١) قوله فاما رايت اصله فان رايت زبدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف نوعها خطا وفي نسخة فلما رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية.

اه قاله نصر (*)."[١]

" المستكفي بالله سليمان بن المتوكل ٨٢٥ هـ. ٨٥٤ هـ

المستكفي بالله : أبو الربيع سليمان بن المتوكل

ولي الخلافة بعهد من أخيه و هو شقيقه و كتب له والدي رحمه الله نسخة العهد

و هذه صورتها : هذا ما أشهد به على نفسه الشريفة حرسها الله تعالى و حماها و صانها من الأكدار و رعاها سيدنا و مولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية و الإمامية الأعظمية العباسية النبوية المعتضدية أمير المؤمنين و ابن عم سيد المرسلين و وارث الخلفاء الراشدين المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود أعز الله به الدين و أمتع ببقائه الإسلام و المسلمين أنه عهد إلى شقيقه المقر العالي المولوي الأصلي العريقي الحسيبي النسيبس الملكي : سيدي أبي الربيع سليمان المستكفي بالله عظم الله شأنه بالخلافة المعظمة و جعله خليفة بعده و نصبه إماما على المسلمين و عهدا شرعيا معتبرا مرضيا نصيحة المسلمين و وفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين و اقتداء بسنة الخلفاء الراشدين و الأئمة الهديين و ذلك لما علم من دينه و خيره و عدالته و كفايته و أهليته و استحقاقه بحكم أنه اختبر حالة و علم طويته و أن الذي يدين الله به أنه أتقى ممن رآه و أنه لا يعلم صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك و أنه إن ترك الأمر هملا من غير تفويض للمشار إليه أدخل إذ ذاك المشقة على أهل الحل و العقد في اختيار من ينصبونه للإمامة و يرتضونه لهذا الشأن فبادر إلى هذا العهد شفقة عليهم و قصدا لبراءة ذمتهم و وصول الأمر إلى من و أهله لعمله أن العهد كان غير محوج إلى رضا سائر أهله و واجب على من سمعه و تحمل ذلك من أن يعمل به و يأمر بطاعته عند الحاجة إليه و يدعو الناس إلى الانقياد له فسجل ذلك عليه من

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣٤٠

حضره حسب إذنه الشريف و سطر عن أمره قبل ذلك سيدي المستكفي أبو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شأنه قبولا شرعيا

و كان من صلحاء الخلفاء صالحا دينا عابدا كثير التعبد و الصلاة و التلاوة كثير الصمت منعزلا عن الناس حسن السيرة

و قال في حقه أخوه المعتضد : لم أر على أخي سليمان منذ نشأ كبيرة

و كان الملك الظاهر يعتقده و يعرف له حقه و **كان والدي** إماما له و كان عنده بمكان رفيع خصيصا به محترما عنده جدا و أما نحن فلم ننشأ إلا في بيته و فضله و آله خير آل دينا و عبادة و خيرا و ما أظن أنه وجد على ظهر الأرض خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة

مات في الجمعة سلخ ذي الحجة سنة أربع و خمسين و له ثلاث و ستون سنة و لم يعش والدي بعده إلا أربعين يوما و مشى السلطان في جنازته إلى تربته و حمل نعشه بنفسه

مات في أيامه من الأعلام : التقي المقريزي و الشيخ عبادة و ابن كميل الشاعر و الوفائي و القاياتي و شيخ الإسلام ابن حجر ." (١)

"العثمانيين وحرية المطبوعات وبين اختصاصات مجلسي المبعوثان والاعيان وكيفية الانتخاب ومن يجوز ان ينتخب او ينتخب وان جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثماني ومن هو ذاك العثماني وان الدين الرسمي هوة دين الاسلام واللغة الرسمية اللغة التركية وان الدولة جسم واحد لا يمكن تفريقه او تجزيئه ومما فيه ايضا ابطال المصادرة في الاموال على العموم والتعذيب في التحقيق والسخرة على وجه العموم ووضع ميزانية سنوية تعرض على هيئة المبعوثان ثم الاعيان و إذا اقر كلاهما عليها تكون واجبة الاجراء وعدم جواز عزل القضاة الا بسبب شرعي وكيفية نظام الولايات وحدود المأمورين الخ مما يطول ذكره هنا وهاك صورة الخط الشريف الهمايوني الصادر بتنفيذ القانون الاساسي

وزيري سمير المعالي مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ ازمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيمة في ادارة الامور الداخلية اكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة امنية التبعة من حكومتهم المتبوعة إلى الانحطاط فلذا **كان والدي** الماجد المرحوم عبد المجيد خان اعلن مقدمة للاصلاحات خط التنظيمات الذي منح فيه للعموم الامن على نفوسهم واموالهم واعراضهم وناموسهم كما

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٤٣٩

يوافق احكام الشرع الشريف المقدسة فما عشناه إلى الآن ضمن دائرة الامن وما وفقنا به اليوم بوضع واعلان هذا القانون الاساسي الذي هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية ما هو الا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك اردد خاصة في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليه وموفقيته بعنوان محيي الدولة ولا ريب بانه لو كان الاوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقا لاستعداد زماننا هذا والجاآته لكان المرحوم المشار اليه اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي الذي نشرناه الآن واجراه ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة باتمام سعادة حال ملتنا لعهد سلطنتنا فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم على ان التغييرات التي وقعت بالطبع في احوال داخلية دولتنا العلية والتوسعات التي حصلت في مناسباتها الخارجية اوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة

". (١)

"١- غرف الطلبة. ٢-فناء ومكان للوضوء . ٣-المدخل. ٤-مكان التدريس

٥-منزل . ٦-حمامات. ٧-مروش. ٨-سلم.

٤- المدرسة الخاسكية : أسستها امرأة تسمى خاسكي سلطان عام ١٣١٤هـ، على حافة مجرى وادي أبي جيدة مقابل بيوت الترجمان في شارع العنبرية، وتتكون من طابقين وبها أربعون غرفة مختلفة الحجم وبها مسجد يسمى مسجد بلال رضي الله عنه(١) .

ولقد كان والدي رحمه الله يعمل في نفس المبنى حين تحول إلى دائرة الامارة والمالية لمنطقة المدينة المنورة وكنت أذهب إليها ماشيا من حارة الساحة فالمناخة ثم مسجد الغمامة حتى أصل إليها . في موقعها الآن شركة الاتصالات السعودية في المدينة المنورة .

٥- المدرسة النظامية : أسسها محمد عبدالباقي اللكنوي عام ١٣٢٤هـ في حوش فواز، وأغلقت بعد وفاته عام ١٣٦٤هـ . المبنى أعرفه لأنه كان بجوار منزلنا في حارة الساحة، ويتكون المبنى من ثلاثة طوابق حجمه صغير(٢) .

٦- مدرسة آمان الله خوجة : أسسها آمان الله خوجة البخاري عام ١٣٢٤هـ، خارج باب المجيدي، تتكون المدرسة من طابقين يحتوي الأرضي على أربعة دكاكين وحجرة كبيرة وست حجر ومنور، في وسطها

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص/٥٩١

بئر وحمام ودرج، والدور الأول يتكون من غرفتين كبيرتين على الواجهة يسمى في ذلك الوقت دقيسي وخمس حجرات . وقد اشترط الواقف أن الذي يسكنها هم من طلاب العلم الصلحاء من يعتقد مذهب أبي حنيفة من أهل المدينة والمجاورون بها غير المتزوجين(٣) .

---

(١) موسى: مصدر سابق . ١٣٩٢هـ ، ٤٠ .

(٢) كتبي: أعلام من أرض النبوة . ١٤١٤هـ، ٢٠٠.

(٣) سجل محكمة المدينة المنورة: ٧٢- ص٣٩، جلد ١، تاريخ ٦ /٢ /١٣٣١هـ.." [١]

"١. ... تتحدث غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة عن ذكرياتها عن مرحلة الطفولة التي عاشتها، وكيف أنها كانت دائما تخشى حدوث مذبحة ضد اليهود في بلدتها كييف، إلا أن الخوف وما رافقه من استنتاجات لاحقة تنطبق، وفق رأيها على كل زمان ومكان. إنها لا تروي مذكراتها بل تريد أن تسهم في تربية جيل كامل يكون الذعر والخوف من الآتي هما الأساس في حياته:

«لم تحدث تلك المذبحة إطلاقا، لكنني إلى هذا اليوم، ما زلت أذكر مدى خوفي وغضبي لأن الشيء الوحيد الذي **كان والدي** يستطيع أن يفعله لحمايتي وأنا انتظر الرصاص أن يأتي ويخترق جسدي هو أن يضع بضعة ألواح خشبية على الباب. وأتذكر أكثر من أي شيء آخر، أن ما يجري لي سببه فقط أنني يهودية. وقد راودني هذا الشعور مرات عدة في حياتي... الخوف... الشعور بأنني منبوذة، والإدراك أنني مختلفة عن الآخرين» (٢٠).

ولإعطاء فكرة واضحة حول تطور هذا المنهج في التربية الفكرية والتثقيف السياسي لليهود، وفي سبيل دراسة التطور التاريخي لهذه العملية المنهجية المتكاملة من جهة، والداعمة لكل أشكال التربية الدينية والسياسية والاجتماعية في أوساط اليهود وداخل إسرائيل لاحقا، سوف نقسم البحث إلى ثلاث مراحل:

١. ... المرحلة الأولى: وتشمل الوضع السائد في روسيا ودول أوروبا الوسطى قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

٢. ... المرحلة الثانية: تعاون الصهيونية مع النازية والفاشية.

٣. ... المرحلة الثالثة: بعد قيام إسرائيل.

وسيهتم البحث أيضا بفضح المفارقة الصارخة بين الإدعاءات الصهيونية، وممارساتهم الفعلية، أي كيف

---

(١) تاريخ المدارس الوقفية في المدينة النبوية، ص/٣٠

تحالف هؤلاء مع القتلة الحقيقيين اليهود.

المرحلة الأولى..." (١)

" فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كل ما نقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته **وكان الوالد** إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقي وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ولهذا قالوا قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين أي إنما يقدر على ذلك الله عز و جل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكترثه أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن تسلية له عما كان منهم إليه فلا تبتئس بما كانوا يفعلون وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلامن قد آمن أي لا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وذلك أن نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلبى الله دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وقومه من الكرب العظيم وقال تعالى ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم وقال تعالى قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقال تعالى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال تعالى قال رب انصرني بما كذبون وقال تعالى مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفار فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم فإنه ليس الخبر

---

(١) الأبارتيد الصهيوني، ص/١٧٦

كالمعاينة ولهذا قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه أي يستهزئون به استعباد الوقوع ما توعدهم به قال إن تسخوروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون أي نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم فسوف تعلمون من يأتيه ." (١)

" عن أبيه علي بن عبدالله بن عباس قال من أهان قريشا أهانه الله وأنت يا عدو الله لم ترضى بأن آذيت قريشا حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم أضربوا عنقه فما برحنا حتى قتل

توفي الهادي في ربيع الاول من هذه السنة وصلى عليه أخوه هارون ودفن في قصر بناه وسماه الابيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد وكان له من الولد تسعة سبعة ذكور وابنتان فالذكور جعفر وعباس وعبدالله واسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى الأعمى الذي ولد بعد وفاته فسمى باسم أبيه والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المأمون وأم العباس تلقب توبه

(خلافة هارون الرشيد بن المهدي)

بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتان وعشرين سنة فبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخرجه من السجن وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد وكان الرشيد ابنه من الرضاعة فولاه حينئذ الوزارة وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الانشاء وكان هو الذي قام خطيبا بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر بعيساباذ ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائما فقال قم يا أمير المؤمنين كم تروعني لو سمعك هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده فقال قد مات الرجل فجلس هارون فقال أشر علي في الولايات فجعل يذكر الأقاليم لرجال يسميهم فيوليهم الرشيد فبينما هما كذلك إذ جاء آخر فقال أبشر يا أمير المؤمنين فقد ولدك الساعة غلام فقال هو عبدالله وهو المأمون ثم أصبح فصلى ع{ى أخيه الهادي ودفنه بعيساباذ وحلف لا يصلي الظهر إلا ببغداد فلما فرغ من الجنازة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن عبد الهادي فزاحموا الرشيد على جسر فقال أبو عصمة أصبر وقف حتى يجوز ولى العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للآمير فجاز جعفر وأبو عصمة ووقف الرشيد مكسورا ذليلا فلما ولي بضرب عنق ابي عصمة ثم سار إلى بغداد فلما انهى إلى جسر بغداد استدعى بالغواصين فقال إني سقطت مني هنها خاتم **كان والدي** المهدي قد اشتراه لي بمائة ألف فلما كان من

---

(١) البداية والنهاية، ١٠٩/١

أيام بعث إلى الهادي يطلبه فألقيته إلى الرسول فسقط ههنا فغاص الغواصون وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سرورا كثيرا ولما ولى الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له قد وضعت اليك أمر الرعية وخلعت ذلك من عنقى وجعلته في عنقك فول من رأيت وأعزل من رأيت ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي ... ألم تر الشمس كانت سقيمة ... فلما ولى هارون أشرق نورها ... بيمن أمين الله هارون ذي الندى ... فهارون واليها ويحيى وزيرها ." (١)

" جعفر الصادق قال وإنما قال له هذا عند الموت ليتخرج من قبول الصدقات أبو عبد الله بن أبي الحسين اليونيني الحنبلي تقي الدين الفقيه الحنبلي الحافظ المفيد البارع العابدالناسك ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة وسمع الخشوعي وحنبلا والكندري والحافظ عبدالغني وكان يثني عليه وتفقه على الموفق ولزم الشيخ عبد الله اليونيني فانتفع به وكان الشيخ عبد الله يثني عليه ويقدمه ويقتدي به في الفتاوى وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطائحي وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو وحفظ قطعة صالحة من مسند احمد وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي وكتب مليحا حسنا وكان الناس ينتفعون بفنونه الكثيرة وياخذون عنه الطرق الحسنة وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك توضا مرة عند الملك الاسرف بالقلعة حال سماع البخاري على الزبيدي فلما فرع من الوضوء نفض السلطان تخفيفته وبسطها على الارض ليطا عليها وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطأ برجليه عليها ففعل ذلك وقدم الكامل على أخيه الاشرف دمشق فانزله القلعة وتحول الاشرف لدار السعادة وفعل يذكر للكامل محاسن الشيخ الفقيه فقال الكامل احب أن رأه فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة فنزل الكامل إليه وتحادثا وتذاكرا شيئا من العلم فجرت مسألة القتل بالمثقل وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض راسها بين حجرين فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتله فقال الكامل إنه لم يعترف فقال الشيخ الفقيه في صحيح مسلم فاعترف فقال الكامل انا اختصرت صحيح مسلم ولم أجدهذا فيه فأرسل الكامل فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم فأخذ الكامل مجلدا والاشرف آخر وعماد الدين بن موسك آخر وأخذ الشيخ الفقيه مجلدا فاول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه فتعجب الكامل من استحاضاره وسرعة كشفه وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الاشرف سريعا إلى بعلبك وقال للكامل إنه لا يؤثر ببعلبك شيئا فأرسل له الكامل ذهبا كثيرا قال ولده قطب الدين **كان والدي** يقبل بر الملوك ويقول انا لي في بيت المال أكثر من هذا ولا يقبل من الامراء ولا من الوزاء شيئا إلا

---

(١) البداية والنهاية، ١٦٠/١٠

أن يكون هدية مأكول ونحوه ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء وذكر أنه كثر ماله واثرى وصار له سعة من المال كثيرة وذكر له أن الاشرف كتب له كتابا بقرية يونين وأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة فلما شعر والدي بذلك اخذ الكتاب ومزقه وقال أنا في غنية عن ذلك قال **وكان والدي** لا يقبل شيئا من الصدقة ويزعم انه من ذرية علي بن أبي طالب من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن ." (١)

" بباب الصغير رحمه الله واكرم مثواه وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن علي من قرية **كان الوالد** خطيبها وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة وصلى عليها بعدالجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمها الله تعالى

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

استهلت والخليفة والحاكم هم المباشرون في التي قبلها غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامية اشتغل بنظر الجيش وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على البريد فباشر القاضي الصدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السر بها عوضا عن علاء الدين بن الاثير لمرض اعتراه وأقام عنده ولده شهاب الدين واقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله وفيه ذهب ناصر الدين مشد الاوقاف ناظرا على القدس والخليل فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الامراء تنكز وفتح في الاقصى شباكين عن يمين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزيبق من شد الدواوين بحمص إلى شدها بدمشق وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه وصلى الناس الجمعة به من الغد وفتح باب الزيادة وكان له أياما وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل

وفي ربيع الاخر قدم من مصر أولاد الامير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفرايدس في دهليز المقدمية وأعيدت عليهم أملاكهم المخلفة عن أبيهم وكانت تحت الحوطة فلما مات في تلك البلاد افرج عنها أو أكثرها وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران في توابيتهما فصلى عليهما بالمسجد النبوي ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/٢٢٨

وفي هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وعلى القاضي نجم الدين البالسي المصري صلاة الغائب وفي يوم الاثنين منتصف جمادي الاخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرانية عوضا عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفي إلى رحمة الله تعالى وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي وحضرها في يوم الاربعاء سابع عشرة ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتي المالكي فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشرة وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الامير سيف الدين أرغون إلى دمشق ." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠٤ """""""

بعهد منه بذلك ، وأمر أن يكتب على قبره بهذه الأبيات :

بنيت ولم أسكن وحصنت جاهدا . . . فلما أتي المقدور صيره قبري

ولم يكن حظي غير ما أنت مبصر . . . بعينك ما بين الذراع إلى الشبر

فيا زائرا قبري أوصيك جاهدا . . . عليك بتقوى الله في السر والجهر

فلا تحسنن بالدهر ظنا فإنما . . . من الحزم ألا يستنام إلى الدهر

أحمد بن محمد بن طلحة

من أهل جزيرة شقر ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن جده طلحة .

حاله

قال صاحب القدح المعلى ، من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية كتب عن ولاة الأمر من بني عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابن هود ، حين تغلب على الأندلس ، وربما استوزره ، وهو ممن **كان والدي** يكثر مجالسته ، وبينهما مزاورة ، ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه من مجالسته .

شعره

قال ، سمعته يوما يقول ، تقيمون القيامة بحبيب ، والبحتري ، والمتنبي ، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون ،." (٢)

"... وفي هذا "الديوان" عرفت أن رجال "تركيا الفتاة" من أمثال طلعت أنور وجمال وجاويد قد قاموا بانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني فأعلنوا "الحرية" ووضعوا "الدستور" وأقاموا "الحكومة المشروطة"

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/١٤٣

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ١/١٠٤

وأسسوا حزب الإتحاد والترقي ليكون شعارا لاتحاد العنصرين الكبيرين في الدولة العثمانية: الترك والعرب.

... وعرفت في هذا الديوان كذلك أن والدي كان من الأعضاء البارزين في حزب الإتحاد والترقي، وأن فريقا آخر من أعيان بلدي – عكا – كانوا ينتمون إلى حزب آخر يعرف بحزب الائتلاف، وهو يهدف كما يدل اسمه إلى مجرد ائتلاف بين الترك والعرب.. وكان السيد عبد الفتاح السعدي – عمي (حموي) فيما بعد – كبير الائتلافيين في عكا.

... وانتهى عهد الدولة العثمانية بانتهاء الحرب العالمية الأولى، ودخلت في عهد القضية العربية دون أن أنتمي إلى حزب والدي ولا إلى حزب عمي، فقد كان الشعار الذي انطلق في بيوتنا وشوارعنا ونوادينا ومقاهينا: الاستقلال التام الناجز في إطار الوحدة العربية..

... ولكن الحوار بين الائتلاف والاتحاد قد بقي زمنا طويلا بعد زوال الحكم العثماني وسقوط الخلافة الإسلامية.. ولقد شهدت هذا الحوار واشتركت في ندواته وحلقاته..

... وكان هذا الحوار يدور حول السؤال الكبير: الوحدة الإسلامية أم الوحدة العربية؟ **وكان والدي** من أنصار الأولى، على حين كان "عمي" من أنصار الثانية– وهكذا انقسم رجال العرب في كل أقطار العرب..." (١)

"... وأذكر ذات يوم، أنني رأيت في ساحة البيت صندوقا خشبيا طويلا ممددا على الأرض، وترامت في أذني كلمات وعبارات، كل ما بقي منها في مسمعي: مسافر مسافر.

... وعلمت بعد ذلك ما لم أكن أعلم، فقد كان هذا الرجل "عمي" زوج أمي، تزوجها بعد طلاقها من أبي، وكان هذا الرجل صالحا تقيا، يعمل موظفا في مصلحة البريد، في إصلاح خطوط التلفونات.

... وكان ذلك الصندوق الخشبي الممدود في ساحة البيت، هو نعشه الذي حمله إلى مثواه الأخير، فقد توفي بعد زواجه من أمي بعام أو بعض عام. ولعل كلمة مسافر، كانت تفسيرا لي لمشهد الموت ...

... وعلمت بعد ذلك ما لم أكن أعلم، فقد كنت ولدت في قلعة تبنين، من أعمال لبنان، حيث **كان والدي** معتقلا في زمن الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد، وكانت والدتي تركية، تزوجها على زوجة تركية أخرى ثم طلقها، وكان مولدي في عام ١٩٠٨ على ما قدرت فيما بعد من أعمار أقراني.

... وكان أن نقل عمي "قاسم" إلى مدينة طولكرم، ليعمل موظفا في دائرة المالية، وسافرت والدتي في صحبة أسرته وأقامت معهم. وفي طولكرم تزوجت والدتي إلى موظف البريد "عمي سليم" وبهذا تهيأ لي من يكفلني في حياة الطلاق والفراق ...

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٣

... رحم الله "عمي" سليم فقد أنقذني من شقاء اليتم ولو إلى حين،

... ورحم الله ذلك الزمن الذي كانت فيه رعاية اليتيم صفوة التقوى، بل جوهر الدين، وعنوان الإيمان.." (١)

"... ولكن "النانا" السيدة الصالحة التقية، كانت مثواي ومأواي، وإليها يعود الفضل في تنشئتي وتربيتي.. فقد كنت أنام معها في سريرها، وكانت تعنى بي عناية بالغة، كما لو كنت ابنها وأعز.

... حقا أن "النانا" لم تستطع أن تجعلني في مستوى إخوتي من حيث المعاملة والمكانة في المنزل، فقد كانت خالتي مصرة على أن يكون لأولادها المقام الأول والحظ الأوفر، ولا أحسبها على باطل فذلك هو ابن آدم وآدم من تراب ... وهذه أخلاق التراب!!

... وكنت أقضي كثيرا من الوقت إلى جوار "النانا"، فقد كانت طاعنة في السن، تجلس القرفصاء إلى جانب "كانون النار" وهي تأخذ "بالملقط" جمرات النار لتضعها على "أركيلتها" التي لم تكن تفارقها ليلا ولا نهارا، حتى لتكاد أن تكون الأركيلة طعامها وشرابها.

... ومضت شهور وشهور وأبي غائب عن البيت، إلى أن سمعت ذات يوم أنه عاد من سفره، يحمل معه الهدايا الفاخرة من تركيا.

... وعج البيت بالزائرين من الأهل والأصدقاء وكبار رجال الحكومة في عكا، ليسلموا على والدي، فقد كان صاحب جاه عظيم في الدولة يقصده القاصي والداني للشفاعة أو الوساطة. **وكان والدي** لا يرد رجاء أحد، حتى أن جمال باشا قال مرة، كما علمت فيما بعد: عجبت لأمر الشيخ أسعد، ما أكثر كتب الشفاعة التي يرسلها إلي، وكثير منها يناقض بعضها بعضا، فهو يتوسط لأهل القاتل ولأهل المقتول، وفي وقت واحد.." (٢)

"وشواردها وأصبح الإعراب سليقتي، فما فسدت موسيقى الإعراب في أذني إلا بعد أن عملت في الجامعة العربية بعد ثلاثين عاما!! ويومها أصبح اللحن يملأ أذني بما أسمعه من أحاديث الرؤساء والوزراء والسفراء ... ونسيت اللغة التركية إلا قليلا، ولكني بقيت متمكنا من اللغة العربية أزداد مع العمر شغفا بها، وأنا أبتسم كلما ذكرت العربي (الفارسي) سيبويه وهو يدفع بكتابه "الكتاب في علم النحو" إلى جمع من علماء النحو والصرف حين قال: خذوا لغتكم من رجل أعجمي..

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٢٩

(٢) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٦١

... حقا إنني عربي من أسرة عربية من الشرقية من مصر، جاء جد والدي "الشيخ محمد شقير" مع حملة إبراهيم باشا إلى عكا، وقبل ذلك نزحنا من الحجاز، واحد أجدادي أبو بكر بن شقير من الشعراء المجيدين، ولكن...

... ولكن هذا الطفل العربي، لو ظلت حملة التتريك تسير في مجراها كما أرادها غلاة الترك لأصبح "تركيا" ومعه ملايين الأطفال من الأمة العربية، ولفقدنا جميعا خصائص العربية.

... ولم تكن مهمة التتريك عسيرة، ولا تحقيقها مستحيلا، فقد كانت الروح الدينية عميقة متأصلة وكانت الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية، وكان أكثر رجالات العرب يحسون بشعور صادق أنهم يعيشون في دولتهم ويقومون على خدمتها، **وكان والدي** واحدا بارزا من هؤلاء ...

... وكان أول ما نفعله في الصباح في المدرسة، أن نقرأ دعاء دينيا باللغة العربية، ثم نقف أمام العلم التركي الأحمر يتصدره الهلال والنجمة، ثم نصيح بأعلى صوتنا بالتركية:

... بادشاهم جوق باشا.. ومعناها "ليعش سلطاننا طويلا"..." (١)

"مأساة واحدة بين آلاف المآسي

... وجاءنا النبأ ونحن في بيتنا القديم أن والدي قد وصل إلى حيفا بالباخرة، وأن السلطة العسكرية قد بادرت إلى اعتقاله تمهيدا لمحاكمته.

... وماذا عسى أن يوجهوا إليه من تهم. لقد كان من رجال العهد العثماني وقام بواجبه كما يؤمن به زمن السلم والحرب، ولكن الإنجليز بذلوا كل جهدهم ليلفقوا له أية جريمة كيفما كان..

... واستبد بنا القلق في البيت، وسرت الإشاعات في المدينة أن الشيخ أسعد سينفذ فيه حكم الإعدام، واحتجب عنا كثير من أصدقاء العائلة، وحاول الإنجليز أن يحرضوا الناس على تقديم اي شكوى ضد والدي، وعقدت المحكمة العسكرية عدة جلسات، ولما لم تجد تهمة محددة أمرت باعتقاله في مصر، وهكذا كان. فقد قضى والدي بضعة عشر شهرا مع سجناء الحرب الذين اقتيدوا إلى القاهرة من كل أطراف البلاد العربية..

... وامتلأت قلوبنا بالفرحة والبهجة يوم عاد والدي من الاعتقال وجاء إلى بيتنا القديم، وبذلك تهيأت لي الفرصة لأبدأ معرفتي به وأنعم بلقائه..

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٦٧

... وكنت يومئذ قد اثبت وجودي في العائلة، فقد كنت متفوقا في دروسي، أخطب في الحفلات المدرسية، وأصبحت لي "شهرة" في المدينة بأنني "خليفة" والدي في العلم والخطابة، **وكان والدي** من الخطباء المبرزين في الدولة العثمانية، بالعربية والتركية على السواء..." (١)

"... ولم أكن عشت طفولتي وصباي مع والدي، في حجره وحضنه كالعهد بالأبناء مع الآباء، ولكني كنت متضايقا متحرجا إلى حد لا يوصف من الحملة الشائعة التي كانت تدور – حول والدي، وما كان يقال حول الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا، أثناء الحرب العالمية الأولى حتى لقب "بالسفاح".

... وكنت أقرأ في بعض صحف فلسطين حملات متواصلة على والدي بهذا الصدد، وأنه أفتى بإعدام الشهداء، كما كنت أقرأ في بعض المناسبات مقالات مضادة من بعض المواطنين يشيدون فيها بشفاعات الشيخ أسعد لدى جمال باشا.

... وكان هذا "الجو السياسي" المحموم يملأ نفسي، فقد كنت أعتبر نفسي "وطنيا" بين صفوف الطلاب، وكان يضايقني أنني ابن ذاك الذي أفتى بإعدام الشهداء!

... وفي تلك الليلة في أوتيل أفتيموس سرى عن نفسي وأحسست أن "خراجا" في صدري قد انفقأ، وانبجس صديده واسترحت.

... لقد قرأت المذكرات وهي تروي كيف **كان والدي** يلح على جمال باشا بأن لا ينفذ حكم الإعدام في شهداء العرب، وكيف كان يتوسل إليه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى أنه جثا أمامه على ركبتيه فزجره "أن لا يتحدث عن هذا الأمر بعد اليوم".

... لقد هدأت نفسي وأنا أقرأ كل هذا، وكأنما حصلت على براءة تاريخية تنصف والدي فازداد اقترابي منه، وما هي إلا لحظات حتى سقط الكتاب من يدي، وسقطت يدي على الفراش، وتراخى رأسي على وسادة ناعمة وثيرة في نوم هانيء هادىء.." (٢)

"أخي "أنور" بخير، يواصل دراسته في الجامعة.. ولكني وجدت كثيرا من العزاء فيما كان يتحدث به أصدقاء العائلة وزوار المنزل، وهم يطرون (وطنيتي) ويثنون على خطابي "العظيم" الذي أقض مضاجع السلطة الإفرنسية.

... **وكان والدي** يستمع إلى هذا الثناء بارتياح وانشراح، فقد سره أنني أصبحت خطيبا مرموقا، وكان هو

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٠٣

(٢) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٢٢

من أفذاذ خطباء الدولة العثمانية، ولعله رأى كذلك في خطابي عن الشهداء دليلا جديدا على براءته من دم الشهداء.

... وفي هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه المذكرات، بعد أربعين عاما من ذلك الحدث الأول في حياتي العامة، يدعوني الواجب القومي وأنا أكتب للتاريخ العربي، أن أنفي عن الشيخ أسعد الشقيري أية مسؤولية قومية بالنسبة للشهداء الأحرار الذين أعدمهم جمال باشا في الحرب العالمية الأولى.

... أقول هذا بعد أن قرأت ما كتبه الأمير شكيب أرسلان والدكتور عبد الرحمن شهبندر وسائر رجالات العرب الذين عاصروا تلك الحقبة، يضاف إلى ذلك ما خلفه رجال الترك في ذلك العهد، مدنيين وعسكريين من دراسات ومذكرات.

... ويبقى علي بعد ذلك أن أقول، أمانة للتاريخ العربي كذلك، وقد عاصرت الحركة العربية أربعين عاما من حياتي، أن الذي أعدم بضعة عشر رجلا في الحرب العالمية الأولى لم يعد يستحق لقب السفاح، بعد أن قام ساسة الاستعمار الغربي بإبادة أجيال عربية بكاملها في حروب التحرير العربية، ناهيك عن كارثة فلسطين التي أنزلت بالأمة العربية أكبر عار في تاريخها." (١)

"الطويل، وأجلت شعبا عن وطنه، وأودت بحياة الالوف من الشهداء، وما تزال.

... إن رجالا مثل ترومان وتشرشل ممن كانوا سببا في بلاء الأمة العربية أجدر بلقب السفاح، من كل سفاح عرفه التاريخ، قبل جنكيزخان وبعد هولاكو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

... ولم تكن قد تجمعت عندي هذه الخواطر في عام ١٩٢٧ وأنا في بيت والدي ألتمس الأعذار لنفسي فيما أقدمت عليه من التنديد بجمال السفاح والدعوة إلى الوحدة العربية، فقد كان همي أن أسترضي والدي، وأن أسترضي كذلك أخي الأكبر "عبد العفو" وإليه يرجع الفضل في العناية بي، **وكان والدي** قد ألقى إليه شؤون الأسرة.

... وحمدت الله، فقد ظفرت برضاء والدي وأخي، وسرى عن نفسي، وأصبحت أرى فيما أقدمت عليه في بيروت مدعاة للفخر والاعتزاز، خاصة أن أهل المدينة كانوا يقابلونني بالتحية والترحاب، والمعروف عن عكا ولها ذلك التاريخ الضخم. أنها متعصبة لماضيها الحافل، وقد سرها أن واحدا من أبنائها قد أصبح يشار إليه بالبنان.

... ولكن هذه الغمرة من غرور الشباب لم تكن تنسيني أنني أمام أزمة بالنسبة لمستقبلي، وكان السؤال

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٥٩

الذي يلح علي ما العمل؟ وما المستقبل؟

... ولم يكن في فلسطين دراسة جامعية، ولم أكن أستطيع أن أعرب عن طموحي بالسفر إلى أوروبا أو أمريكا، لكثرة التكاليف، فلم تكن أسرتنا على يسار وثراء، ذلك أن والدي كان مستقيما وعفيفا في زمن أثرى ثراء ضخما." (١)

"وكان الدم المصري غالبا في ساحل فلسطين من غزة جنوبا حتى عكا شمالا وكانت أسرتنا، في شخص جد والدي الشيخ محمد شقير من مصر، من الشرقية، فيما كان يرويه والدي وأعمامي.

... والواقع أن أسرا كثيرة في عكا – آل الجراح. والعفيفي، وحبيشي، والأسود، وفضة، منحدرة من أصول مصرية من عهد حملة إبراهيم باشا، ومثل هذه الحال في حيفا ويافا، وكان في يافا سوق يعرف بسوق البلابسة، نسبة إلى بلبيس، وحي يعرف بسكنة أبو كبير، وهو الحي المعروف في مصر.

... وقد تضاعفت هذه العوامل في مجموعها فجعلت من وفاة سعد زغلول مأتما قوميا في جميع أنحاء فلسطين فتداعى الناس لإقامة حفلات التأبين.

... وفي عكا وجدناها كذلك فرصة للتحدث في الشؤون الوطنية، فأقمنا حفلة تأبين كبرى لسعد زغلول، وكنت عريف الحفل أقدم الخطباء، إلا خطيبين لم أقدمهما، والدي ونفسي.. **وكان والدي** أولهم وأنا آخرهم.

... وتحدث الخطباء عن مآثر سعد زغلول وأثر الحركة الوطنية المصرية، وأفاض والدي في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان آية في براعة الاستدلال والاستهلال وكان خطابي يدور حول الكلمات الأخيرة التي نطق بها سعد زغلول وهو يحتضر "أنا انتهيت" ولم أترك هذه المناسبة أن تمر دون أن أحمل على الاستعمار وأنبه إلى خطر الصهيونية.

... ولقد نقلت الصحف أخبار هذه الاحتفالات فألهبت حماس الجماهير، وأمتدت الحركة الوطنية في فلسطين بزاد جديد.." (٢)

"بقامة منتصبة، يلتفت يمنة ويسرة، يحيي بيده جماهير الشعب، بكل تؤدة وأناقة، وابتسامته الحلوة تستدرج الجماهير إلى الهتاف وتوحي إليهم بالتصفيق!

... وقد وقع هذا الموكب في نفسي موقعا باردا فاترا، ولم أكن أكره الحاج أمين كما **كان والدي**، ولم أكن

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٦٠

(٢) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٦٧

آخذ عليه تزلفه للجماهير، فالزعيم في الحركات التحريرية الوطنية لابد له من إثارة حماسة الشعب وتوثيق صلته به- بمختلف الأسباب والأساليب.. ولكني عبت عليه أنه جعل موسم النبي موسى لمجده، لا لمجد الوطن، حتأصبح موسم الحاج أمين، لا موسم صلاح الدين وكان من اليسير أن يكون لهما معا.

... ومع الأيام والسنين، ازدادت معرفتي وصلاتي بالحاج أمين الحسيني وخاصة بعد أن اضطلع بقيادة الحركة الوطنية مباشرة سنة ١٩٣٦ وما بعدها، فعملت معه في الحقل الوطني، وتصادقنا إلى حين.

... وكنت أحدثه بعد النكبة وقبلها، عن سقطات الحركة الوطنية ومزالقها، وما يحمل مِن مسؤوليات النكبة، وكان موسم النبي موسى واحدا من هذه الأحاديث. ولقد كان الحاج أمين مؤهلا للزعامة من غير شك، وكان وطنيا مخلصا من غير شك، ولكن أمجاد "سماحته" كانت تفوق أمجاد الوطن، فسقط الوطن وسقطت معه الأمجاد.

... وكان في موسم النبي موسى هتاف رائع مجيد: سيف الدين الحاج أمين: فسقط الموسم، وسقط معه الهتاف.

... وقد أورث الحاج أمين في نفسي منذ ذلك الوقت خوفا كبيرا من الزعامة ومسؤولياتها.." [١]

"... وكنت قد عانيت لمناسبة خطوبتي شيئا غير قليل من العناء. فقد كانت "الفتاة" نسيبة السعدي محجبة، ولم يكن من سبيل إلى رؤيتها، وعبثا حاولت أن أقنع أهلها بأن الشرع يبيح للخاطب أن يرى مخطوبته، فقد كانت التقاليد فوق أحكام الدين الحنيف.

... وكان والدها، ولم يكن على قيد الحياة إذ ذاك، محافظا شديد المحافظة، وكان خصما لدودا لوالدي أثناء العهد العثماني، تعاقبا على عضوية مجلس المبعوثان "البرلمان" وكان من حزب الائتلاف العثماني على حين كان والدي من حزب الإتحاد والترقي، وشاءت الأقدار أن تنقلب الخصومة إلى مصاهرة- ومع الزمان تزول العداوات وتلتئم الجراحات.

... وأستعنت بشقيقاتي لأرى "آنستي" ورحنا نقلب الأمور ونتحين الفرص، إلى أن جاء يوم وجاءت معه سيدات آل السعدي في زيارة لبيتنا وكانت "الآنسة" معهن، فوجدت ضالتي، فوقفت وراء باب الصالة ورحت أنظر من فرجته، أتفرس في خطيبتي وأتبين ملامحها، ثم خرجت: الصبايا إلى حديقة البيت يمشين بين الزهور والأشجار، فكانت فرصتي الثانية لأرى خطيبتي وهي تمشي وتتكلم وتتضاحك مع صديقاتها. ولكني لم أكتف بذلك كله فقد كانت النظرات مختلة. وكنت أخشى أن يكتشفني أحد وأنا أقوم بهذه

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/١٩٧

المغامرة الجريئة. فطلبت إلى شقيقاتي أن يسعين في تدبير آخر، وليكن في دار السينما مثلا.. حيث أستطيع أن ألقي النظرة الهادئة المليئة.

... وتمت الخطة محكمة في ترتيب دقيق، فقد ذهبت شقيقاتي مع "آنستي" إلى دار السينما في حيفا في سيارة خاصة. وذهبت في سيارة اخرى، وجلست." (١)

"... وانتصب الرئيس في مقعده، ضابطا أعصابه، متجملا بمهابة القضاة وقال: أين تعلمت؟

قلت: في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي معهد الحقوق في القدس.

قال: أليس هذا فضل الانتداب عليك وعلى شبابكم.

قلت: ابدا.. قبل الانتداب كان آباؤنا على جانب وافر من العلم، وكان أجدادنا قبلهم حملة العلم والعرفان ... وعلى أيديهم تعلمت أوروبا، ومن أوروبا تعلمت أمريكا.

قال: ولكنك أحسن حالا من أبيك علما ومكانة؟ أليس كذلك؟

قلت: العكس هو الصحيح، لقد **كان والدي** أحسن مني مكانة، فقد كان عضوا في البرلمان العثماني، هو والعشرات من العرب يشاركون في الحكم مع الأتراك.

قال: وانت؟ ماذا انت؟

قلت: أنا أعيش تحت الحكم البريطاني المباشر، فليس لدينا برلمان ولا نشارك في الحكم، وبدلا من أكون في البرلمان أجد نفسي على الدوام في السجون والمعتقلات.

قال: يبدو لي انك تنظر إلى الموضوع بجدية بالغة، أكثر مما يستحق.

قلت: ليس في الأمر مبالغة، نحن مهددون بالجلاء، وأخشى أن يكون والدي أسعد حالا مني حتى في مماته، فقد دفن في تراب الوطن، ولا أعلم أين يكون قبري وكذلك كل جيلنا.." (٢)

"عشر عاما، فلم أسترح منهم ولم يستريحوا مني، إلا حينما انتهى عملي في الأمم المتحدة، أو كما أذاع راديو لندن شامتا مبتهجا، حينما "طرد الشقيري من خدمة المملكة العربية السعودية"!

... ونشأت منذ نشأت كارها للترك، لما كنت أسمعه صبيا عن مظالم الترك على العرب، ومحاولاتهم "تتريك" العرب، وطمس معالم لغتنا وديننا وحضارتنا ...

... ولم تكن هاتان الظاهرتان، حب الإنجليز وكراهية الترك، تخلوان من مفارقات عجيبة، فبالنسبة للترك،

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٢٥٠

(٢) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٤٧٨

هم أخوالي، فقد كانت والدتي تركية من الآستانة، تزوجها والدي حينما كان يعمل في دولة الخلافة الإسلامية، شأن الكثيرين من رجالات العرب وخاصة أهل الشام والعراق، وكانت لغتي الرسمية في البيت اللغة التركية، ولم أتعلم اللغة العربية إلا كما يتعلمها الغرباء، وإلى جانب ذلك فقد **كان والدي** من كبار رجال الدولة العثمانية وبلغ أعلى منصب ديني يستطيع أن يبلغه رجل عربي، وفوق هذا وذلك فقد كانت الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية، وتدين لها الجماهير العربية بأعمق مشاعر الولاء... ولكن نوازع القومية العربية التي أخذت طريقها إلى أفئدتنا، أنا وجميع الجيل العربي المعاصر، قد تغلبت على جميع هذه العوامل..

أما الحب للإنجليز، فقد كان مصدره حبنا أنا وجيلي العربي المعاصر، لأمتنا العربية واستقلالها وحريتها، ولم نبال أن الإنجليز- ليسوا من ديننا، ولم يكن بيننا وبينهم تاريخ أربعماية عام من الحياة المشتركة، كالعهد بيننا وبين الترك.." (١)

"ثم جاء بعده علم آخر في القرن السادس الهجري، هو ابن جبير (محمد بن أحمد أبو الحسن) (٢٢)، صاحب (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) المعروفة ب(رحلة ابن جبير) وهي خلاصة رحلته الأولى للحج التي دامت سنتين(٢٣) وقد سجلها على شكل مذكرات بعد عودته إلى (غرناطة) التي وصلها في الثاني والعشرين من المحرم، سنة خمس مئة وثمانين (٢٠ أفريل ١١٨٥.) وقد ذكر فيها "بدقة فائقة جميع مراحل رحلته"(٢٤) وارتقى بها في الأخير إلى مستوى أدبي رفيع في عصره، وأهلها لأن تكون "نموذجا لا ينازع على أفضل ما كتب في أدب الرحلة الخالص في العصور الوسطى... ما صبغ رحلات سابقيه من تداخل واسع بين شتى الموضوعات، وبذلك اتسمت بطابع أدبي أنقى، فكانت أكثر آثار العصور الوسطى قيمة في هذا المجال(٢٥).

وقد خطت الرحلة في الأدب العربي بعد (ابن جبير) خطوات أخرى متقدمة بمستواها الأدبي واتساع مجالها الجغرافي، انتقلت إلى مستوى عالمي أوسع على يد الرحالة ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي)(٢٦) الذي جاب الآفاق البعيدة انطلاقا من رحلته إلى الحجاز للحج، الرغبة التي كانت تشتد في نفسه، فسافر "معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، **وكان والدي**(٢٧)

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٧٩٩

بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة"(٢٨).." (١)

"هو في معناه وولي في وقت الخطابة بالاموي أياما يسيره ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ولم يرق منبرها ثم خالط نائب الشام أقوش الافرام فجرت له أمور لا يحسن ذكرها ولا يرشد أمرها وأخرجت جهاته ثم آل به الحال الى أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها الامير أستدمر ١ فأقام بها ودرس ثم تردد في الرسلية بين السلطان مهنا٢ صحبة ارغون والطنبغا ثم أستقر به المنزل بمصر ودرس بها بحلقة الشافعي بجامع مصر وبالمشهد الحسيني وبالمدرسة الناصرية وهو أول من درس بها وجمع كتاب الاشباه والنظائر ومات قبل تحريره فحرره وزاد عليه ابن أخيه زين الدين٣ وشرع في شرح الاحكام لعبد الحق٤ وكتب منه ثلاثة مجلدات دالات على تبحره في الحديث والفقه والاصول.

وقال السبكي في الطبقات الكبرى: **كان الوالد** يعظمه ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الاشعري توفي رحمه الله تعالى بكرة نهار الاربعاء رابع وعشرين من ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة بداره قريبا من جامع الحاكم بالقاهرة ودفن من يومه قريبا من الشيخ محمد بن ابي حمزة بتربة القاضي ناظر الجيش بالقرافة ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية وحين بلغت وفاته ابن تيمية قال أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين ورثاه جماعة منهم أبو غانم علاء الدين٥ والقحفازي والصلاح الصفدي. وقال ابن كثير في سنة ست عشرة وسبعمائة: وفي يوم الخميس سادس عشر

---

١ استدمر الكرجي توفي سنة ٧١١ هـ. شذرات الذهب ٦: ٢٥.

٢ مهنا بن الملك عيسي توفي سنة ٧٣٥ هـ. شذرات الذهب ٦: ١١٢.

٣ أبو محمد عبد الله بن عبر توفي سنة ٧٣٨ هـ. شذرات الذهب ٦: ١١٨.

٤ عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن الخراط توفي سنة ٥٨١هـ. شذرات الذهب ٤: ٣١١.

٥ ورد في شذرات الذهب ٦: ١١٤ أحمد بن محمد بن غانم.." (٢)

---

(١) الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، ص/٦

(٢) الدارس في تاريخ المدارس، ١/٢٣

"قال : ومرض أياما، فلم يترك شيئا مما كان يعمله من الأوراد، حتى كانت وفاته، وقت السحر في ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول، فغسل بالدير، وحمل إلى مقبرته في خلق كثير، لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته، وكان يوما مشهودا، وكان الحر شديدا، فأظلت الناس سحابة من الحر كان يسمع منها كدوى النحل، وكاد الناس ينتهبون أكفانه، وقد رثاه الشعراء بمرات حسنة ورئيت له منامات صالحه رحمه الله (١) وكان آخر كلامه "إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (البقرة، آية : ١٣٢) (٢) وكان يقول: لا علم إلا ما دخل مع صاحبه القبر ويقول : إذا لم تتصدقوا لا يتصدق عنكم، وإذا لم تعطوا السائل أنتم أعطاه غيركم (٣) وكان إذا خطب ترق القلوب وتبكي الناس بكاء كثيرا، وكانت له هيبة عظيمة في القلوب، وأحتاج الناس إلى مطر سنة فطلع إلى مغارة الدم ومعه نساء من محارمه، واستسقى ودعا، فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة (٤) وقال عبدالله بن النحاس: كان والدي يحب الشيخ أبا عمر، فقال لي يوم جمعة: أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ، ومذهبي أن "بسم الله الرحمن الرحيم" من الفاتحة، ومذهبه، أنها ليست من الفاتحة، فمضينا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ، فسلم على والدي وعانقه وقال: يا أخي صل وأنت طيب القلب، فإنني ما تركتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في فريضة ولا نافلة مذ أممت بالناس (٥).

---

(١) البداية والنهاية (٢٤/١٧).

(٢) شذرات الذهب (٥٣/٧).

(٣) المصدر نفسه (٥٣/٧).

(٤) المصدر نفسه (٥٤/٧)س.

(٥) المصدر نفسه (٥٤/٧).." [1]

"

(عند الهياج ربيعة بن مكدم ** والفضل والتقوى الفضيل ومالك)

(ورث الجلالة عن أبيه وجده ** فكأنهم ما غاب منهم هالك)

(فجياده للآملين مراكب ** وخيامه للقاصدين أرائك)

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١٨٥/١

(فإذا المعالي أصبحت مملوكة ** أعناقها بالحق فهو المالك)

(يا فارس العرب الذي من بيته ** حرم لها حج به ومناسك)

(يا من يبشر باسمه قصاده ** فلهم إليه مسارب ومسالك)

(أنت الذي استأثرت فيك بغبطتي ** وسواك فيه مآخذ ومتارك)

(لا زلت نورا يهتدي بضيائه ** من جنه للروع ليل حالك)

(ويخص مجدك من سلامي عاطر **كالمسك صاك به الغوالي صائك)

الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالا ووجهك جمالا وقربك جاها ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم آلا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب سادتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على كثرة المذاهب والطوائف وصرف الألسنة إلى مدحك والخلود إلى حبك وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك ولقد كنت أيام تجمعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الأمل سالكا لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء والشيم الدالة على العلياء وزكاء الأصول وكرم الأباء وكان والدي رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائبا في تأنيسه عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدومه واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة والرسائل المختلفة فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر ومعرفته كنز وذخر فلما ظهر الآن لمحل الأخ القائد فلان اللحاق بك والتعلق بسببك رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضي والله تعالى ييسر في البعض عند تقرير الأمر وهدنة الأرض وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد

---

(١) ".

"في أصحابنا فسبقني إليه ابن عمي فطعنه فوقع هو وحصانه وفقع الرمح سمعتها أنا وأولئك.وكان الوالد رحمه الله أرسل رسولا إلى شهاب الدين فأخذه معه لما جاء لقتالنا فلما طعن فارس بن زمام ولم يبلغ منا ما أراد نفذ الرسول من مكانه بجواب ما سار فيه ورجع إلى حماه، فسألت الرسولهل مات فارس بن زمام، قاللا والله ولافيه جرح قالليث الدولة طعنه وأنا أراه فرماه ورمى حصانه وسمعت قعقعة كسر الرمح،

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/ ١٤

لما غشيه ليث الدولة من يساره مال على جانبه الأيمن وفي يده قنطاريته فوقع حصانه على قنطاريته وهي على وهده فانكسرت، وتذنب ليث الدولة برمحه فوقع من يده، والذي سمعت قعقعة قنطاريه فارس بن زمام، ورمح ليث الدولة أحضره بين يدي شهاب الدين وأنا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر ولا في فارس جرح، فعجبت من سلامته وكانت تلك الطعنه طعنه فيصل كما قال عنترة

الخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ورجع جم يعهم كمينهم ما نالوا منه ما أرادوه.والبيت المقدم من أبيات عنترة بن شداد يقول فيها

إني أمرؤ من خير عبس منصبا ... شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت فتلاحظت ... ألفيت خيرا من معم مخول

وإن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

والخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ودعوا نزال فكنت أول نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل@." (١)

"ثلاثمائة فارس ومائتين تركبولي وهم رماة الإفرنج.فلما رأوا اصحبنا ركبوا خيلهم أطلقوا على أصحابنا هزموهم وتموا يطردونهم، فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل وأبي وعمي رحمهما الله يريانه، فطعن فارسا منهم إلى جانبه فارس آخر وهما يتبعان أصحابنا فرمى الفارسين والفرسين .وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها.فكلما هم والدي به وبتأديبه يقول عمييا أخي بحياتك هب لي ذنبه ولاتنس له تلك الطعنه فيصفح عنه لكلام أخيه.وكان حمدات الذي تقدم ذكره ظريف الحديث، حدثني والدي رحمه الله قالقلت لحمدات ونحن سائرون في طريق أصبهان سحرا، أمير حمدات أكلت اليوم شيئا؟قال نعم يا أمير أكلت ثريدة قال ركبنا في الليل وما نزلنا ولا أوقدنا نارا، من أين لك الثريدة قال يا أمير عملتها في فمي اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدة .

والد أسامة م قاتلا

وكان الوالد رحمه الله كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة ومات على فراشه، وحضر يوما القتال وهو لابس وعليه خوذه إسلامية بآنف فزرقه رجل بحربه – وكان معظم قتاله مع العرب في ذلك الزمان

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٣٩

فوقعت الحربة في أنف الخوذة فأنطوى وادمى انفه ولم يؤذيه.ولو كان قدر سبحانه ان يميل المزراق عن أنف الخوذه أهلكه، @." [١]

"ودابته وخيامه وجميع ركبه وسير يتبع صاحبه وما أنكر عليه وما احنقه ما فعل في خدمت مولاه، فهذا الذي قال له رضوان حدث أصحابي ما عملته أيام والدي مع مولاك.أعود إلى حديث الحرب المقدم ذكرها مع ابن ملاعب .

عم أسامه يطعن في جفن عينه

و جرح عمي عز الدولة رحمه الله في ذلك اليوم عده جراح منها طعنه طعنها في جفن عينيه السفلاني من ناحية المأق، ونشب الرمح في المأزق عند مؤخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقا بجلده من مؤخر العين، والعين تلعب لا تستقر، وأنما الجفون التي تمسك العين، فخاطبها الجرائحي وداواها فعادت كحالها الأوله لا تعرف العين المطعونة من الأخرى .

شجاعة عم أسامه ووالده

وكانا رحمهما الله من أشجع قومهما، ولقد شهدتهما يوما وقد خرجا إلى الصيد بالبزاة نحو تل ملح وهناك طير ماء كثير، فما شعرنا إلا وعسكر طرابلس قد أغار على البلد ووقفوا عليه، فرجعنا **وكان الوالد** من أثر المرض، فأما عمي فخف بمن معه من العسكر وسار حتى عبر المخاض إلى الإفرنج وهم يرونه، وأما الوالد فسار والحصان يخب به وأنا معه صبي وفي يده سفرجله يمتص منها، فلما دنونا من الإفرنج قال لي أمض أنت أدخل من السكر وعبر هو من ناحية الإفرنج .@." [٢]

"معهم قرارا أرضاه، من مال واقطاع ويسلم إليهم الحصن الخربة، ثم جاء إلى الحصن فاستأذن وطلع فبدأ بالباب، قتله فلقيا الغلام فقتله ودخل على الوالي قتله وسلمه إلى الإسماعيلية، وقاموا له بما كانوا قرروه له.والرجال إذا قوا أنفسهم على شيء فعلوه.

مروءة مكار نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخوتهم، **وكان الوالد** رحمه الله يقول لي "كل جيد من سائر الأجناس، من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته، مثل حصان جيد يساوي مائة دينار، خمس حصن رديئة تساوي مائة دينار وكذلك الجمال وكذلك أنواع الملبوس، إلا ابن آدم فإن ألف رجل أرد ياء لا يساوون

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٥١

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٥٥

رجلا واحدا جيدا " .وصدق رحمه الله.

كنت قد نفذت مملوكا لي في شغل مهم إلى دمشق واتفق أن أتابك زنكي رحمه الله أخذ حماة ونزل على حمص، فاشتدت الطريق على صاحبي فتوجه إلى بعلبك ومنها إلى طرابلس واكترى بغل رجل نصراني يقال له يونان فحمله إلى حيث اكتراه وودعه، ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصل إلى شيزر من حصون الجبل فلقيهم إنسان فقال لأرباب الدواب لا تمضوا فإن في طريقكم في الموضع الفلاني عقد حرامية في ستين سبعين رجلا يأخذونكم قالفوقفنا لا ندري ما نعمل، ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف، فنحن كذالك إذا الريس يونان قد أقبل مسرعا .فقلناما لك يا ريس؟قالسمعت أن في طريقكم حرامية جئت لأسيركم، سيروا.فسرنا معه إلى ذلك الموضع، وإذا قد نزل من الجبل خلق عظيم من @." (١)

"من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان رحمه الله من أحسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته، فأشفق عليها فقاليا أمي لو جلست صليت من قعودة.قالتيا بني بقي لي من العمر ما أعيش إلى ليلة مثل هذه الليلة ؟لا ولله ما أجلس، **وكان الوالد** قد بلغ السبعين سنة وهي قد شارفت المائة سنة رحمها الله.

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نخوات النساء عجبا.وهو أن رجلا من أصحاب خلف بن ملاعب يقال له علي عبد بن أبي الريداء كان قدر رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة، فكان ينهض مع ابن ملاعب يبصر القوافل على المسيرة يوم كامل.ولقد حدثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجازي انتقل إلى خدمة والدي بعد ما قتل خلف بن ملاعب قالنهضنا يوما وأرسلنا عليا عبد ابن أبي الريداء بكرة يديب لنا، فجاءنا وقالابشروا بالغنيمة!هذه قافلة كثيرة مقبلة.فنظرنا ما رأينا شيئا، فقلناما نرى قافلة ولا غيرها.قالوالله، إني لأرى قافلة وقدامها فرسان معينان ينفضان معارفهما.فأقمن في الكمين إلى العصر فوصلتنا القافلة والفرسان المعينان قدامها فخرجنا أخذنا القافلة.وحدثني سالم العجازي فقالنهضنا يوما وصعد علي عبد ابن أبي الريداء يديب لنا، فنام وما درى إلا وقد أخذه تركي من سربة@." (٢)

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٧٩

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/١٢٧

"فوجدته بين يديه كتب النحوكتاب سيبويهو كتاب الخصائص لإبن جني وكتاب الأيضاح لأبي علي الفارسي وكتاب اللمع وكتاب الجمل فقلتيا شيخ أبو عبد الله قرأت هذه الكتب كلها؟قرأتها؟لا والله إلا كتبتها في اللوح وحفظتها، تريد تدريخذ جزءا وافتحه وأقرأ من أول الصفحة سطرا واحدا.فأخذت جزءاوفتحته وقرأت منه سطرا، فقرأ الصفحة بأجمعها حفظاحتى أتى على تلك الأخزاء جميعها، فرأيت منه أمرا عظيماما هو في طاقة البشر.هذه جملة إعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث.وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه افدام، وفي الأرض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدماها، وهو مشغول ينظر صيد الفهدة ولا يحس بتألم رجليه – مشغول بما يراه من تسللها إلى الغزلان وعدوها وحسن صيدها.

باز أحمر العينين

وكان الوالد رحمه الله محظوظا من الجوارح النادرة الفارهة، وذلك انها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجراح الفاره، وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت أحمر العينين، فكان من أفره البازة، فوصل كتاب عمي تاج الأمراء أبي المتولد مقلد رحمه الله من مصر وكان مقامه بها في خدمة الآمر بأحكام الله يقول سمعت في مجلس الأفضل@." [١]

"كلاب صيد

وكان يجيئه من بلاد الروم الزغارية كلاب جياد ذكور وأناث.فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبع فيها.شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي مع الكلابزي، فأرسل بازا على دراجة فبنجت في غلفاء في جرف النهر فأرسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة، وتلك الجروة واقفة على الجرف.فلما طارت الدراجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف.فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد وما صادت قط.ورأيت كلبا من هذه الزغارية وقد بنجت حجلة في الجبل في بمج صعب وقد إليه الكلب وأبطأ.ثم سمعنا حشكة في داخل البنج.فقال الوالد رحمه اللهفي البنج وحش وقد قتل الكلب.ثم بعد ساعة خرج الكلب يجر رجل ابن آوى، وكان في البنج قد قتله وجره أخرجه **إلينا.وكان الوالد** رحمه الله قد خرج إلى اصبهان إلى دركات السلطان ملك شاه رحمه الله فحكى لي قاللما قضيت أشغالي @." [٢]

"ويصيح وطار عنها وما عاد يعرض لها، ولا رأيت باز سوى ذلك اصطادها، فإنها كما قال أبو العلاء بن سليمان في العنقاء " أرى العنقاء تكبر إن تصطاد " .

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٢٠٩

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٢١٢

سبع يخاف أجراس الباز

وكان الوالد رحمه الله يمضي إلى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم به أياما ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطير الماء واليحامير والغزلان والأرانب.فمضى يوما إليه فركبنا إلى صيد الدراج فأرسل باز يحمله ويصلحه مملوك أسمه قولا على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه وقد بنج الدرج في غلفاء، وإذا صياح نقولا قد ملأ الأسماع وعاد يركض.قلنا مالك؟قالالسبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدراج فخليت الباز وانهزمت.وإذا السبع أيضا ذليل مثل نقولا لما سمع أجراس الباز خرج من الغلفاء منهزما إلى الغاب.

صيد السمك

وكنا نصيد ونعود ننزل على بوشمير نهر صغير بالقرب من الحصن وننفذ نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب، فيهم من معه قصبة في رأسها حربة لها جبة مثل الخشوت، ولها في الجبت ثلاثة شعب حديد طول كل جعبة ذراع.وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود إلى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويبصر السمكة فيزرقها في تلك التي فيها الحديد فما يخطئها، ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها، وآخر من الصيادين معه عود قدر قبضه فيه شوكة@." [1]

"شجرة ودفعت الفرس إلى الغلام فعمل فيها شكلا. وكان إلى جانب النهر فنقرت فوقعت في النهر على جنبها.وكلما أردت تقوم تعود تقع في الماء لأجل الأشكال.وكان الغلام صغيرالايقدر على تخليصها.ونحن لا نعلم ولا ندري.فلما قاربت الموت صاح بنا فجئناها وهي في آخر رمقفقطعنا شكالها وأطلعناها فماتت، وما كان الماء يصل إلى عضدها إنما الشكال أهلكها.

يخاف على الباز من الغرق

وخرجيوما الوالد رحمه الله إلى الصيد وخرج معه أمير يقال له الصمصام من أصحاب فخر الدين الملك بن عمار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة وهو رجل قليل المخبرة بالصيد.فأرسل الوالد بازا على طير الماء فأخذ منها طيرا ووقع في وسط النهر، فجعل الصمصام يدق يدا على يد ويقوللا حول ولا قوة إلى بلاه، كيف كان خروجي في هذا اليوم؟فقلت لهياصمصام تخاف على الباز أن يغرق؟قال نعم قد غرق بطة هوحتى يقع في الماءولا يغرق؟فضحكت وقلتالساعة يطلع.فأخذ الباز رأس الطير وسبح وهو معه حتى طلع به.فبقى الصمصام يتعجب من ذلك ويسبح الله سبحانه ويحمده على سلامة الباز.

لكل حيوان أجله

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٢١٨

ومنايا الحيوان مختلفه الالوان قد **كان الوالد** رحمه الله أرسل زرقا أبيض على درجه، فوقعت الدراجه في غلفاء ودخل معها الزرق، @." [1]

"رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عمشت **عيناهاوكان الوالد** يحرد على الغلمان ويقولقد أعميتم هذه الكلبة!ولا ينتهون عنها.وأهدى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك صاحب القلعة للوالد كلبة عروفا ترسل تحت الصقور على الغزلان فكنا نرى منهم العجب .

الصيد بموجب النظام

وصيد الصقور بالترتيب يرسل في الأول المقدم فيعلق بأذن غزال يضربه، ويرسل العون بعده فيضرب غزالآ آخر، ويرسل العون الأخر فيفعل كذلك، ويرسل الرابع فيضرب كل صقر منها على غزال، فيأخذ المقدم أذن غزال ويفرده من الغزلان فترجع الصقور جميعها إليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها.وهذه الكلبة تحت الصقور فيتفق أن يظهر العقاب فتحل الصقور عن الغزال فيمضي الغزال وتدور الصقور .فكنا نرى تلك تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور وهي تدور تحت الصقور في الأرض كما تدور الصقور في الهواء حلقة، ولا تزال تدورتحتها حتى تنزل الصقور إلى الدعو، فحينئذ تقف وتمشي خلف الخيل .

صيد الغزلان والدراج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين والدي رحمهما الله مودة ومواصلة بالمكاتبات والرسل، فنفذ إليه يوما يقول خرجت إلى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف يوم .وذلك أن غزلان عندهم في @." [2]

"العشاء فدخلوا عليه بيته وفوجدوه مضطجعا على سريره، فوقفوا بين يديه كاشفين عن رؤوسهم في الاستغفار فغفل عنهم، فنام وعليه النوم، فما استيقظ حتى ذهب جانب من الليل، فوجدهم قياما على حالهم، فعز عليه وقال: اذهبوا حتى يأتيني هو بنفسه أو نحو ذلك. فرجعوا بدون قضاء حاجة وأخبروا صاحب الترجمة ذلك، فاغتاظ وخرج لصلاة الصبح، فاجتمع بالقويطي بن أبي النصر مفتي الإمامية وشيخهم وكان يعتقد في صاحب الترجمة، فحكى له الحكاية، فجاء إلى شيخ الخدام فكلمه فأنعم له وقبل شفاعته ثم جاء وأعلم صاحب الترجمة بذلك ليكون له عليه بذلك يد، فلما خرج، جمع صاحب الترجمة أصحابه وحكى لهم ما جرى من شيخ الخدام في عدم قبول الفقراء وقبوله ابن أبي النصر، فتغيرت خواطرهم عليه

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٢٢١

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/٢٢٥

فمرض من حينه واشتكى حتى طلب منهم المحاللة والرضى فنفذ فيه السهم وانقضى الأمر، فقضى. وأخبرني الجمال المطري وكان ملازما خدمتهم لأن مسكنه في الحجرة التي عند باب رباطهم أن صاحب الترجمة لما دخل مكة قصد زيادة النجم الأصبهاني، فلما جلس إليه أراد أن يسأله عن اسمه، فبدره وقال: اسمي مكتوب بين عينيك، ففهم مقاله، وأنه كاشفه وأنه اسمه كاسمه عبد الله، واتفق أنني لما عزمت على التوجه لمكة من طريق الماشي في حال الشبوبية سنة عشر وسبعمائة ظنا، جاء أبي إليه وأعلمه بذلك، فأمره أن يرسلني إليه فجئته، فقال لي: بلغني أنك تريد مكة؟ فقلت: نعم لأجل العمرة في رمضان، فقال لي: من رفقتك؟ فذكرت له جماعة من الفراشين وغيرهم، فقال لي: ليس في هؤلاء من هو من جنسك ولا من تليق بك مرافقتهم ولكن اصبر قليلا حتى ننظر لك رفقاء، فقلت له: قد ضاق الوقت ومضى أكثر رمضان، فقال لي: اسمع ما أقول لك فذهبت عنه ووثقت وعده. فما كان إلا قليلا، وورد الشيخ محمد بن عمران الخضري وجماعة من الصالحين للزيارة فدعاني الشيخ وقال: سافر مع هذا، فسافرت معهم. فرأيت منه ومن أصحابه من الخدمة والمؤانسة ما لو **كان والدي** معي لم يبلغه ولم أحمل معهم سوى عصاي، فدخلت مكة ليلة ثامن عشري رمضان وخرجت يوم العيد متوجها إلى المدينة مع الشيخ الصالح محمود اللاري، ذي الأخلاق الحميدة والمعاشرة الجميلة والديانة التامة والمبادرة لانتظار الصلاة من أول الوقت، فصحبته بإشارة الشيخين أبوي عبد الله النحوي والشريف الفاسي، فكان نعم الصاحب، ووصلت المدينة في ستة أيام. وكان ذلك كله ببركة رأي صاحب الترجمة وخاطر والدي، وكان صاحب الترجمة قد ابتلي في آخر عمره بالبواسير وانقطع في بيته لذلك ولزم حجرته وقاسى منه مقاساة شديدة بحيث كان يقول: لو جاز لي سؤال الموت لسألته، من شدة ما قاسى، وله من المناقب والأحوال العلية ما لا أحصيه، وهو صاحب القصيدة الجليلة السائرة المباركة التي أولها:عشاء فدخلوا عليه بيته وفوجدوه مضطجعا على سريره، فوقفوا بين يديه كاشفين عن رؤوسهم في الاستغفار فغفل عنهم، فنام وعليه النوم، فما استيقظ حتى ذهب جانب من الليل، فوجدهم قياما على حالهم، فعز عليه وقال: اذهبوا حتى يأتيني هو بنفسه أو نحو ذلك. فرجعوا بدون قضاء حاجة وأخبروا صاحب الترجمة ذلك، فاغتاظ وخرج لصلاة الصبح، فاجتمع بالقويطي بن أبي النصر مفتي الإمامية وشيخهم وكان يعتقد في صاحب الترجمة، فحكى له الحكاية، فجاء إلى شيخ الخدام فكلمه فأنعم له وقبل شفاعته ثم جاء وأعلم صاحب الترجمة بذلك ليكون له عليه بذلك يد، فلما خرج، جمع صاحب الترجمة أصحابه وحكى لهم ما جرى من شيخ الخدام في عدم قبول الفقراء وقبوله ابن أبي النصر، فتغيرت خواطرهم عليه فمرض من حينه واشتكى حتى طلب منهم المحاللة والرضى فنفذ فيه السهم وانقضى الأمر، فقضى.

وأخبرني الجمال المطري وكان ملازما خدمتهم لأن مسكنه في الحجرة التي عند باب رباطهم أن صاحب الترجمة لما دخل مكة قصد زيادة النجم الأصبهاني، فلما جلس إليه أراد أن يسأله عن اسمه، فبدره وقال: اسمي مكتوب بين عينيك، ففهم مقاله، وأنه كاشفه وأنه اسمه كاسمه عبد الله، واتفق أنني لما عزمت على التوجه لمكة من طريق الماشي في حال الشبوبية سنة عشر وسبعمائة ظنا، جاء أبي إليه وأعلمه بذلك، فأمره أن يرسلني إليه فجئته، فقال لي: بلغني أنك تريد مكة؟ فقلت: نعم لأجل العمرة في رمضان، فقال لي: من رفقتك؟ فذكرت له جماعة من الفراشين وغيرهم، فقال لي: ليس في هؤلاء من هو من جنسك ولا من تليق بك مرافقتهم ولكن اصبر قليلا حتى ننظر لك رفقاء، فقلت له: قد ضاق الوقت ومضى أكثر رمضان، فقال لي: اسمع ما أقول لك فذهبت عنه ووثقت وعده. فما كان إلا قليلا، وورد الشيخ محمد بن عمران الخضري وجماعة من الصالحين للزيارة فدعاني الشيخ وقال: سافر مع هذا، فسافرت معهم. فرأيت منه ومن أصحابه من الخدمة والمؤانسة ما لو كان والدي معي لم يبلغه ولم أحمل معهم سوى عصاي، فدخلت مكة ليلة ثامن عشري رمضان وخرجت يوم العيد متوجها إلى المدينة مع الشيخ الصالح محمود اللاري، ذي الأخلاق الحميدة والمعاشرة الجميلة والديانة التامة والمبادرة لانتظار الصلاة من أول الوقت، فصحبته بإشارة الشيخين أبوي عبد الله النحوي والشريف الفاسي، فكان نعم الصاحب، ووصلت المدينة في ستة أيام. وكان ذلك كله ببركة رأي صاحب الترجمة وخاطر والدي، وكان صاحب الترجمة قد ابتلي في آخر عمره بالبواسير وانقطع في بيته لذلك ولزم حجرته وقاسى منه مقاساة شديدة بحيث كان يقول: لو جاز لي سؤال الموت لسألته، من شدة ما قاسى، وله من المناقب والأحوال العلية ما لا أحصيه، وهو صاحب القصيدة الجليلة السائرة المباركة التي أولها:." (١)

" ١٩١١ – يا معاذ ما لك لا تأتنا كل غداة ؟ قال : يا رسول الله إني أسبح كل غداة سبعة آلاف تسبيحة قبل أن آتيك قال : ألا أعلمك كلمات هن أخف عليك وأثقل في الميزان ولا تحصيه (كذا) الملائكة ولا أهل الأرض قال : قل لا إله إلا الله عدد رضاه لا إله إلا الله زنة عرشه لا إله إلا الله عدد خلقه لا إله إلا الله ملأ سمواته لا إله إلا الله ملأ أرضه لا إله إلا الله ملأ ما بينهما

(ابن بركان والديلمي عن ابن مسعود) ." (٢)

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/٣٦٤

(٢) كنز العمال، ١/٦٦٦

"العمل بالممتحن وترجمته ما استدركه على حبيش في الممتحن، كتاب في مساحة قطع الخطوط، كتاب في آلة الزمر، كتب عدة له في الأرصاد عربي وسرياني، كتاب في تشريح بعض الطيور وأظنه مالك الحزين، كتاب في أجناس ما تنقسم إليه الأدوية، صنفه بالسرياني، كتاب في أجناس ما توزن به الأدوية، بالسرياني، كتاب في هجاء السرياني وإعرابه، مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية، إصلاحه للمقالة الأولى من كتاب أبلونيوس في قطع النسب المحدودة، وهذا الكتاب مقالتان أصلح ثابت الأولى إصلاحا جيدا وشرحها وأوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة، مختصر في علم النجوم، مختصر في علم الهندسة، جوابات عن مسائل سأله عنها المعتضد، كلام في السياسة، جواب له عن سبب الخلاف بين زيج بطليموس وبين الممتحن، جوابات له عن عدة مسائل سأل عنها سند بن علي، رسالة في حل رموز كتاب السياسة لأفلاطن، اختصار القا طيغورياس،ل بالممتحن وترجمته ما استدركه على حبيش في الممتحن، كتاب في مساحة قطع الخطوط، كتاب في آلة الزمر، كتب عدة له في الأرصاد عربي وسرياني، كتاب في تشريح بعض الطيور وأظنه مالك الحزين، كتاب في أجناس ما تنقسم إليه الأدوية، صنفه بالسرياني، كتاب في أجناس ما توزن به الأدوية، بالسرياني، كتاب في هجاء السرياني وإعرابه، مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية، إصلاحه للمقالة الأولى من كتاب أبلونيوس في قطع النسب المحدودة، وهذا الكتاب مقالتان أصلح ثابت الأولى إصلاحا جيدا وشرحها وأوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة، مختصر في علم النجوم، مختصر في علم الهندسة، جوابات عن مسائل سأله عنها المعتضد، كلام في السياسة، جواب له عن سبب الخلاف بين زيج بطليموس وبين الممتحن، جوابات له عن عدة مسائل سأل عنها سند بن علي، رسالة في حل رموز كتاب السياسة لأفلاطن، اختصار القاطيغورياس، ومما وجد لثابت بن قرة الحراني الصابي بالسريانية فيما يتعلق بمذهبه رسالة في الرسوم والفروض والسنن، رسالة في تكفين الموتى ودفنهم، رسالة في اعتقاد الصابئين، رسالة في الطهارة والنجاسة، رسالة في السبب الذي لأجله ألغز الناس في كلامهم، رسالة فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح، رسالة في أوقات العبادات، رسالة في ترتيب القراءة في الصلاة، صلوات الابتهال إلى الله عز وجل.

أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة

كان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب، وله قوة بالغة في علم الهيئة، وكان في خدمة المقتدر بالله، والقاهر وخدم أيضا بصناعة الطب الراضي بالله، وقال ابن النديم البغدادي الكاتب في كتاب الفهرست إن القاهر بالله أراد سنان بن ثابت بن قرة على الإسلام، فهرب ثم أسلم، وخاف من

القاهر فمضى إلى خراسان وعاد وتوفي ببغداد مسلما، وكانت وفاته بعلة الذرب في الليلة التي صبيحتها يوم الجمعة، مستهل ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

وقال ثابت بن سنان في تاريخه أذكر، وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى والدي سنان بن ثابت في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في أيام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الأمراض جدا **وكان والدي** إذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها، توقيعا يقول فيه فكرت، مد الله في عمرك، في أمر من الحبوس وأنه لا يخلو، مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم، أن تناله الأمراض، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم، فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويطوفون في سائر الحبوس، ويعالجون فيها المرضى، ويزيحون عللهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة، ويتقدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج إليها منهم، ففعل والدي ذلك طول أيامه.." (١)

"وحدثني كمال الدين أبو القاسم بن أبي تراب البغدادي الكاتب أن عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي المنسوب إليه، قصد أن يكون فيه جماعة من الأطباء وأعيانهم، فأمر أن يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها، فكانوا متوافرين على المائة، فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب، فكان الرازي منهم، ثم إنه اقتصر من هؤلاء أيضا على عشرة، فكان الرازي منهم، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم، ثم إنه ميز فيما بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم، فجعله ساعور البيمارستان العضدي.

أقول والذي صح عندي أن الرازي كان أقدم زمانا من عضد الدولة بن بويه، وإنما كان تردده إلى البيمارستان من قبل أن يجدده عضد الدولة، وللرازي كتاب في صفات البيمارستان وفي كل ما كان يجده من أحوال المرضى الذين كانوا يعالجون فيه.

وقال عبيد الله بن جبرئيل إنه لما عمر عضد الدولة البيمارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد، كانت الأطباء الذين جمعهم فيه من كل موضع، وأمر الراتب منه أربعة وعشرون طبيبا، وكان من جملته أبو الحسن علي بن إبراهيم ابن بكس، وكان دأبه أن يدرس فيه الطب لأنه كان محجوبا، وكان منهم أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان؛ وأبو يعقوب الأهوازي وأبو عيسى بقية والقس الرومي وبنو حسنون، وجماعة طبائعيون، قال عبيد الله **وكان والدي** جبرئيل قد أصعد مع عضد

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢١٠

الدولة من شيراز ورتب في جملة الطبائعيين في البيمارستان، وفي جملة الأطباء الخواص، قال وكان في البيمارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء أبو نصر بن الدحلي، ومن الجرائحيين أبو الخير وأبو الحسن بن تفاح وجماعته، ومن المجبرين المشار إليهم أبو الصلت، وقال سليمان بن حسان إن الرازي كان في ابتداء نظره يضرب بالعود، ثم إنه أكب على النظر في الطب والفلسفة، فبرع فيهما براعة المتقدمين، وقال القاضي صاعد في كتاب التعريف بطبقات الأمم إن الرازي لم يوغل في العلم الإلهي، ولافهم غرضه الأقصى، فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب خبيثة، وذم أقواما لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم، وقال محمد بن إسحاق النديم المعروف بأبي الفرج بن أبي يعقوب في كتاب الفهرست إن الرازي كان ينتقل في البلدان، وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة، وألف له كتاب المنصوري، قال وأخبرني محمد بن الحسن الوراق قال، قال لي رجل من أهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال كان شيخا كبير الرأس مسفطه، وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر، فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه، فإن كان عندهم علم وإلا تعداهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك، وكان كريما متفضلا، بارا بالناس، حسن الرأفة بالفقراء والأعلاء، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق المدارج والنسخ، ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ إما يسود أو يبيض، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء، وعمي في آخر عمره، وكان يقول إنه قرأ الفلسفة على البلخي، قال محمد بن إسحاق النديم وكان البلخي من أهل بلخ يطوف البلاد ويجول الأرض، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة، وقد يقال إن الرازي ادعى كتبه في ذلك، ورأيت بخطه شيئا كثيرا في علوم كثيرة مسودات ودساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام، وقيل إن بخراسان كتبه موجودة، قال كان في زمان الرازي رجل يعرف بشهيد بن الحسين ويكنى أبا الحسن يجري مجرى فلسفته في العلم، ولكن لهذا الرجل كتب مصنفة، وبينه وبين الرازي مناظرات، ولكل واحد منهما نقوض على صاحبه." (١)

"ثم طلب السلطان الوزير وقال له: اعط للبليبل ألف دينار، وكان البليبل يغني في المجلس وعلى السماط، وكان له صوت عظيم إلى الغاية، وكان الأشرف يحب سماعه في حياة والده، فقال الوزير: يا خوند وكم من ألف خرج في هذا المهم؟ فالتفت السلطان إلى البليبل فقال: ويحك غنى إذا أسعدك الزمان فلا تبالي، فصار يلعلع بصوته والسلطان يعجبه قوله، فقال: يا صاحب املأ طشت بالذهب فقال: السمع والطاعة، ثم جاء إلى الوزير أستاذ الدار لطقجى وديوانه، وأوقفوه على ما كتبه السلطان، فلما رأى علامة

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢٧٥

السلطان نهض من المجلس وقبل الأرض ووضعه على رأسه وبهت له ساعة، وقال: مرسوم السلطان على الرأس والعين، ولكن أمهلوني قليلا، ثم نهض من المجلس ودخل على الأمير بيدرا نائب السلطنة، ورمى نفسه عليه، وقال يا خوند: ارحمني وادركني وإلا أموت، من أين أجد مائة ألف دينار بعد عمل هذا المهم العظيم، فلما وقف على المرسوم أعذره ونهض معه، فدخل إلى السلطان، فقال له: يا خوند، من أين يجد الوزير بعد عمل هذا المهم مائة ألف دينار، وشرع يسأل التنقيص من ذلك، والوزير أيضا يسأله، فنظر إليهما السلطان نظر المغضب، فقال: مثلي ينعم على مملوكه بشيء اليوم وينقصه غدا. فقالوا: يا خوند: نحن ندخل على طقجى ليحط من هذا القدر بشيء. فقال: هذا له وليس لي، فنهضوا من عنده، فصادفوا طقجى داخلا إلى الخدمة، فأخذ بيدرا بيده فأجلسه إلى جانبه، وطلب بكتمر السلحدار وبعض الخاصكية، وخاطبوه أن تكون المائة ألف دينار مائة ألف درهم، فقال للوزير: أنت في عقلك؟ تقول إني آخذ عوض مائة ألف دينار مائة ألف درهم، فلما رأى بيدرا تصميمه على الطلب قام ووقف وقال: يا أمير أنا أروح اليوم إلى بيتك وأطلب ضيافتي، فنهض طقجى وقال: يا خوند مثل ما وهبني أستاذي أنا قد وهبتك الجميع، وبعد ذلك حمل له الوزير مائة ألف درهم.

وقال صاحب النزهة: وجدت دفترا بخط شخص من مماليك الحاج طيبرس بعد وفاته؛ وكان والدي وصيه، فنظرت فيه، وقد كتب كل ما نفق في هذا المهم، فوجدت جميع ما غرم من أوله إلى آخره: ثلاثة آلاف رأس غنم، وستمائة رأس بقر، وخمسمائة أكديش وألفين وثمانمائة قنطار سكر للمشروب، ومائة وستين قنطارا لعمل الحلاوات، وذكر أنه عجز ما نفق من الذهب، وقدره على سبيل التقريب مائتي ألف دينار.

قال: ثم بعد قتل الأشرف لما تولى الأميران سلار وبيبرس وباشر علم الدين أبو شاكر ناظر الحوشخاناة سألته عما نفق من بيت المال في المهم المذكور، فقال: وجدت أوراق المصروف نحو الثلاثمائة ألف دينار، سوى ما خص الأقبية والطرز والسروج وقماش العساكر، ولم يعهد أن أحدا من ملوك الترك صنع مهما مثله، ولا نفق فيه مثله.

وفيها: كانت واقعة القاضي تقي الدين بن بنت الأعز مع الوزير، وقد ذكرنا طرفا منها فيما مضى.

وذكر في نزهة الناظر ما جرى عليه مع الوزير في هذه السنة، وقال: ولم يذكر أحد أفحش من هذه الواقعة ولا أشنع منها في حق هذا الرجل، وكان السبب في ذلك أن الصاحب شمس الدين بن سلعوس لما قدم مصر في الدولة المنصورية، كما ذكرنا، وباشر في ديوان ولده الأشرف كان رفيقه في المباشرة رجل يقال له نجم الدين بن عطايا، كان شاهدا بديوان الأشرف، فحصل بينه وبين ابن سلعوس إلمام عظيم ومودة عظيمة،

واتفق أن ابن سلعوس خرج من مصر وأقام بدمشق، فكان هذا الرجل يكتب إليه كل ما يتفق في مصر من الوقائع ويعلمه بذلك، وكان يهادي بعضهما إلى بعض.." (١)

"وذكر صاحب النزهة أيضا: أن أول ما اعتمده الأشرف حين ولى السلطنة أنه أطلق سائر من كان في السجون من المصادرين وأرباب الدواوين، ورسم برفع المظالم عن الناس، وأبطل الرماية على التجار، ورسم للوزير أن لا يتعرض لظلم أحد من الناس، وقال: وقد ذكرنا ما كان يعتمد الجند من الملابس العجيبة في الدولة الماضية، وأن السلطان المنصور أزال أكثرها عن الجند والأمراء؛ ثم لما تولى الأشرف اختار لمماليكه وخاصكيته الملابس الحسنة؛ وغير الكلوتات الصفر والجوخ، وأمر لسائر الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكناش الزركش والأقبية الأطلس حتى يتميز الأمير بلبسه عن غيره، وكذلك في الملبوس الأبيض الرفيع، والسروج المرصعة الأشرفية والأكوار، وقضى مماليكه وحاشيته في دوله أستاذهم أيامهم بالهنا والسرور والخيرات فيما بينهم والهبات والتهادي، وكان السلطان شرط عليهم أن لا يبيت أحد منهم في غير القلعة، وفي النهار يفعل ما يختاره.

قال الراوي: وأما سماط الأشرف ومأكله فكان من أفخر الأطعمة وأحسنها وأكثرها.

قال: وقد خرجت مع والدي صحبة العسكر والسلطان لما خرجوا لقصد فتح قلعة الروم، **وكان والدي** مع جماعة من المقدمين منهم جمال الدين الطبردار، وركن الدين الكلالى، وبدر الدين الجاكى، وكانوا كل يوم يرسلون إلى مطبخ السلطان عشرين درهما فيأخذون بها أربع خوافق صينية ملآنة من الأطعمة المفتخرة بالقلوبات وغيرها، وفي كل خافقية أكثر من خمسة عشر رطلا من اللحم الهائل أو عشرة أطيار من الدجاج المسمن، وكذلك كثير من الجند والغلمان يشترون من مطابخ الأمراء من أنواع الأطعمة، وكانت الأجناد يتحدثون بكثرة الخيرات حتى أن الغلمان يأبون في غالب الأوقات أن يأكلوا من أطعمة أستاذيهم لما أنهم يقرفون من كثرة الأكل وكثرة الأطعمة.

قال: ورأيت في هذه السفرة أن أحدا من الأمراء لا يأكل من سماطه حتى يتفقد ما حوله من الغلمان والخدام والحاشية ومن المضافين إليه أو النازلين قريبا منه، فيرسل إليهم من الأكل والشرب والغنم والطيور والسكر والحلوى من الذهب والفضة كل أحد بقدر حاله، وكانوا يتفاخرون بذلك فيما بينهم.

وأما مكارم السلطان فلا يحد وصفها وقد أنعم على الأمير طقجى في يوم واحد بمائة ألف دينار، وأمثال ذلك وقعت منه كثيرا.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٥٣

ذكر سلطنة بيدرا

ولما قتل السلطان على ما ذكرنا، اجتمعت الأمراء الذين قتلوه في الوطاق، وقرروا بينهم أن تكون السلطنة لبيدرا، وملكوه، ولقبوه الملك القاهر، وقيل: الملك الرحيم. ونص بيبرس في تاريخه أنهم لقبوه بالملك القاهر.

وذكر في نزهة الناظر: أن بيدرا ومن معه لما قتلوا الأشرف باتوا تلك الليلة وهم متحالفون على أن يكونوا يدا واحدة، ولما أصبحوا ركب بيدرا في دست السلطنة وحوله العسكر والأمراء والشاوشية، ولقب نفسه بالملك العادل، ثم اتفقوا على أن يبادروا نحو القلعة ليملكوها سرعة، فيتم له المنعة، فركبوا، وعند ركوبهم وجدوا الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار أمير جندار، والأمير بدر الدين بيسرى، وكان قد بلغهما الخبر بأمر السلطان، فركبا لكشفه، فوجدوهما في الطريق فقبضوا عليهما وأخذوا سيوفهما وربطوهما وأركبوهما على البغلين، وأرادوا قتلهما مرارا، فشفع فيهما بعضهم فلم يقتلوهما.

وكان في الدهليز الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغى، وحسام الدين الأستاذدار، والأمير بدر الدين بكتوت العلائي، والمماليك السلطانية الذين كانوا متوجهين صحبة السلطان للصيد، فركب الأمراء المذكورون على آثارهم، وكان الأمير زين الدين كتبغا في الصيد، فبلغه الخبر، فلحقهم، ولحق بهم المماليك الذين كان السلطان قد أعادهم إلى القلعة قبل وقت مقتله، فصاروا كتفا واحدا، وجدوا في أتباع بيدرا ومن معه من الأمراء، فلحقوهم على الطرانة يوم الخميس الخامس عشر من المحرم، فلما التقى الجمعان أطلق بيدرا الأميرين المذكورين بدر الدين بيسرى وبكتمر السلحدار، ليكونا عونا له.." (١)

" بعد ما حفظ القرآن ببلدة وقرا شيئا من النحو فدخل الازهر ولازم الحضور في الفقه على الشيخ احمد الحماقي والمقدسي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي حضر عليه من اول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجسه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن امر علي بك في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد فأجابهم لذلك فكانوا يأتون للتلقي عنه في المنزل والمترجم معهم وفي اثناء ذلك قرأت مع المترجم عل الوالد متن نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس ويتحلف المترجم وذلك لعلو السند فإن الوالد تلقاه عن ابن المؤلف وهو عن جد الوالد عن المؤلف وجد الوالد والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق وكان المترجم يلائم طبع الفقير في الصحبة فكنت معه في غالب

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٦٦

الاوقات اما في الجامع او في المنزل للطاقة طبعه وقرب سني من سنه **وكان الوالد** يرى ذلك ويسألني عنه اذا تخلف في بعض الاحيان ويقول أين رفيقك الصعيدي فكان يعيد معي ويفهمني ما يصعب على فهمه ولم يزل يدأب في الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه والفقير بخلاف ذلك وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الامير والشيخ عبد العليم الفيومي ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي المنسفيسي عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور والمترشح للافادة والتدريس وكان مسكنه بناحية لصليبة وجلس للاقراء بالمدرسة الشيخونيه والصرفتمئية احتف به سكان تلك الناحية واكابرهم واعتنوا بشانه واسكنوه في دار تليق به وهاوده وواسوه واكرموه وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم واصله من جنس الاتراك وخلو تلك النواحي من اهل العلم وخصوصا الاحناف وملازمة المترجم للحالة المحمودة من ا لافادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة الامایاتيه ." (١)

"الوالد بعد موته الست قمر بنت الأمير دمرداش وكان بينها وبين الوالدة محبة مستمرة إلى الممات رحمهم الله.

وكان الشيخ محمد ابن الزين من الشعراء المعدودة وشعره كثير بالأيدي مع استحضار القراءات السبع وله كرامة فإنه به صمم عظيم بحيث لا يكاد يسمع الطبول العظيمة وإذا قري عليه القرآن يرد الغلط رحمه الله.

وتوفي القاضي زين الدين عبد الرحمان الحنفي أحد نواب الحكم في يوم السبت الحادي والعشرين من رجب وكان مشكور السيرة.

سمع المقريزي على البرهان الشامي والحراوي والبران الآمدي والسراج البلقيني والزين العراقي والهيتمي وبمكة من ابن سكر والنشاور وغيرهما وأجاز له الشهاب الاذرعي والبهاء أبو البقاء السبكي والجمال الاسنوي وغيرهم.

وكان منقطعا عن الناس مع الدين المتين وكثرة الاوراد والتجهد والصيام حلو المحاضرة فكه المنادمة خصوصا في التاريخ وأيام السلف من القرون لماضية فإنه كان أعجوبة في ذلك وكان معظما في الدولة مبجلا عند الأكابر إلى الغاية حتى كان إذا خدم على الوزير ابن نصر الله ناظر الخاص يجلس بينه وبين ولده الصلاح محمد الاستادار على تيم فيهم أفعى عمره في كتابه التاريخ والتصانيف المفيدة النافعة التي هي في عدة فنون ويضيق المحل عن ذكرها استوعبناها في المنهل الصافي وكانت بيني وبينه صحب أكيدة ومحبة زائدة

---

(١) عجائب الآثار، ٥٣٢/٣

وقد قرأت عليه كثيرا من مصنفاته وبه انتفعت ومنه استفدت وهو الذي حببني في هذا الشأن وسمعت عليه فضل الخيل للدمياطي بكماله وغيره وأجاز لي جميع مروياته ومؤلفاته وقد تولى الحسبة غير مرة وكانت أول ولايته لها من قبل الظاهر برقوق في رجب سنة أحد ى وثمانمائة وعزل عنها بالبدر العيني في ذي الحجة منها وهي أول ولايات البدر لها أيضا وسئل بقضاء مستوفي الدولة الناصرية فرج فامتنع.

وصار الزرزاوي أمام وقته ووحيد دهره في المنقول والمعقول مع الصلابة في الدين والورع المتين انتهت إليه رئاسة العلم بالقاهرة في زمانه وكان قد طلب الحدي في ابتداء أمره وسمع الكثير وترجمته مستوفاة في المنهل الصافي لاقتصاره على التراجم وكان رحمه الله لازما لطريق السلف في التقشف وعدم التردد للناس وصحب الشيخ مدينة في آخر عمره فزاد تقشفه وورعه وكان قد رحل إلى مكة واليمن في شبيبة وتولى عدة تداريس بالديار المصرة وتصدى للاشتغال سنين.

كان ناصر الدين بك في أول أمره من جملة أمراء حلب لما **كان الوالد** نائبها ثم ترقى حتى صار نائب الابلستين على عادة آبائه وأجداده فلما وليها طغى وتجبر وخرج عن طاعة ملوك مصر إلى أن أباده الاشرف وحصل له محن من كثرة من تجرد إليه من قبله ولم تزل العداوة بينهما حتى توفي في سنة ثلاث أربعين فلس خلعته وأكرمه السلطان غاية الإكرام وتزوج بابنته التي كان الاتابك جانبك الصوفي تزوجها لما كان هاربا عنده ثم عاد إلى بلاده بعد أن أنعم عليه بأشياء كثيرة واستمر بابلستين حتى مات وأراح الله المسلمين منه فقد كان ظالما جبارا مسرفا على نفسه وكان كثير الشر والفتن ووقعت في أيامه حروب كثيرة بتلك البلاد عامله الله بما يستحقه.

وكان محمد بن حسن الشيخ الحنفي في ابتدائه يقري المماليك بأطباق القلعة ثم فتح له حانوتا يبيع فيه الكتب ثم ترك ذلك كله وانقطع عن الناس بالكلية وعرف بالخير والديانة وصارت الأكابر تتردد إليه وكانت بينه وبين الوالد صحبة في حل الاتابكية وصحب بعده جماعة وتأكدت صحبته بطرر وكان له فيه اعتقاد عظيم حتى إنه لما تسلطن أنعم عليه باقطاع هائل وحبسه رزقه على زاويته وأعطاه مبلغا كبيرا من الذهب مع قصر مدته وكان سمحا يبذل ما بيديه للفقراء في إطعام طعام وإيصال معروف إليهم ولذلك كانت زاويته مشحونة بالفقهاء والفقراء ودام على ذلك سنين إلى أن توفي وقد اجتمعت به غير مرة وكانت له محاضرة حسنة ومذاكرة حلوة إلا إنه كان لا يقوم لأحد من الناس القادمين إليه كائنا من كان حتى ولا قضاة القضاء وعيب عليه ذلك وكان مليح الشكل منور الشيبة بشوشا فصيحا.." (١)

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٤٧

"كان مسرفا على نفسه ثم تاب، وكان سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوبة بسم الله الرحمن الرحيم، فلم يجد لها موضعا يضعها فيه فأكلها فرأى في المنام قائلا يقول له: قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة، فقال من نومه نادما على أفعاله تائبا من وقوعه في أوحاله، مقبلا على مولاه معرضا عما سواه، ففتح الله عليه أبواب القبول وسهل له أسباب الوصول، ومنحه من العلوم الإلهية والتجليات العرفانية، ما أثبت له الفضيلة وحقق له الشمائل الجميلة، وفضل الله واسع لا راد له ولا مانع، قال بعضهم: رأيت في المنام منصور بن عمار بعد موته وكان في أول أمره قد أسرف على نفسه، فقلت له ما فعل الله بك؟ قال أوقفني بي يديه وقال لي أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغبهم في الآخرة، فقلت قد كان ذلك وأنت يا رب أعلم، ولكن وعزتك وجلالك، ما جلست مجلسا إلا وبدأت بالثناء وثنيت بالصلاة والسلام على نبيك ورسولك، وثلثت بالنصيحة لعبادك، فقال الله تعالى صدق، ضعوا له كرسيا في سمائي يمجدني كما كان يمجدني في أرضي انتهى، وفضله معروف وكماله موصوف غني عن البيان، مات رحمه الله في دمشق ودفن بها سنة ألف ومائتين و....

الشيخ منصور بن مصطفى بن منصور بن صالح

ابن زين الدين السرميني الحلبي الحنفي

العالم المتقن الفاضل المحدث الأصولي الزاهد العابد التقي النقي، مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف بسرمين من أعمال حلب ونشأ بحلب، ودخلها صغيرا وقرأ القرآن العظيم وبعض المقدمات من الفقه والعربية وغيرها على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري نزيل حلب وأبي عبد الله محمد بن محمد التافلاني المغربي، وأخذ الطريقة القادرية عن أبي بكر تقي الدين بن أحمد القادري الحلبي، وارتحل إلى حماه، وقرأ بها على البدر حسن بن كديمة وأبي محمد عبد الله الحواط، ثم ارتحل إلى مصر واشتغل بالتحصيل والأخذ وقرأ على علمائها في غالب الفنون، منهم بو المكارم محمد نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي وجل انتفاعه به وعليه، وأخوه الجمال يوسف وأبو العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي وأبو محمد الحسن المدابغي والشهاب أحمد الجوهري وعفيف الدين عبد الله بن محمد الشبراوي ونور الدين علي العمروسي وأبو عبد الله محمد بن محمد البليدي المالكي وأبو الصفا خليل المالكي، وأبو محمد عبد الكريم الزيات وأبو داوود سليمان الزيات وأبو السخا عطية الله الأجهوري والسراج عمر الشنواني وأبو الحسن علي الصعيدي، وأبو الروج عيسى البراوي والشمس محمد الفارسكوري وأبو عبد الله العشماوي وغيرهم. وحج ولقي هناك عام حجه أبا الإرشاد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي، وأخذ عنه

الطرائق وغيرها وانتفع بدعواته ونفحاته وارتفع بأنظاره ولمحاته، وأخذ بالمدينة المنورة على أبي البقاء محمد حياه بن إبراهيم السندي، واستقام بمصر عدة سنين وتفرق وتنبل ودرس بها، وأقرأ بعض العلوم واشتهر أمره وراج حاله حتى شهد بفضله مشايخه، وبعدها دخل حلب، ومنها قدم إلى دمشق فرغب أهلها به وصال عادة مشايخ الطرق، ولزمه جماعة وأخذوا عنه، وأقبل عليه الناس واشتهر واستقام بدمشق بعياله نحو عشرين سنة، وفي أثناء المدة كان يأتي إلى حلب لزيارة أحبابه وأقاربه، رأيت بخط خليل أفندي المرادي صاحب التاريخ قال: **وكان والدي** اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي وجعله وقفا على المترجم، ومن بعده على من يصير خليفة بعده من المشايخ البكرية الخلوتية، وكان القاضي بالحكم سليمان بن أحمد الخطيب المحاسني الحنفي، وألف وهو بدمشق رسالة في البسملة سماها كشف الستور المسدلة عن أوجه أسرار البسملة، وجعلها باسم والدي وكتب له عليها، وشرح الأبيات الثلاثة التي مطلعها:
عليك بأرباب الصدور فمن غدا ... مضافا لأرباب الصدور تصدرا." [(١)]

"وخرجت من إنطاكية إلى اللاذقية وهي مدينة يونانية لها ميناء وملعب وميدان للخيل مدور، وبها بيت كان للأصنام وهو اليوم كنيسة، وكان في أول الإسلام مسجدا، وهي راكبة البحر، وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه وأذان في أوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا الناقوس، وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم. ومن عجائب هذا البلد المحتسب يجمع القحاب والغرباء والمؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهن وتتزايد الفسقة فيهن لليلتها تلك، ويؤخذن إلى الفنادق التي هي الحانات لسكن الغرباء بعد أن تأخذ كل واحدة منهن خاتما هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فإنه متى وجد خاطئا مع خاطئة بغير ختم المطران ألزمه جناية. وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر أحوالهم والألفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم وأذهانهم (١) .

- ٢١ - (٢)

وحكى غرس النعمة محمد بن الرئيس أبي الحسين هلال بن المحسن ابن إبراهيم الصابئ قال: **كان والدي** اعتل في المحرم من سنة ست وثلاثين وأربعمائة علة صعبة، وكان أبو الحسن ابن سنان جاريا على عادته في هجرانه، فراسلته وسألته الحضور فوعد وأخلف، ومضت إليه نسوة من أهله وأهلنا قبحوا عليه ما فعله وهو يعد ويخلف، والرئيس أبو الحسين يزيد في مرضه إلى الحد الذي غاص ولم يعقل، وبقي كذلك عشرين

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٧٤/٢

يوما في النزع، وقام يكسر طارمة خيش كان فيها وإلى أبواب عرضى يروم قلعها، وذكر النساء أن ذلك نوع من النزع يعرفنه ويعهدنه، وبعدن عن الدار وتركنه واشتغلن باللطم والبكاء عليه، وخرجت إلى دار الرجال وجلست جلوس التعزية، وإذا به قد دخل علينا وكان عندي جماعة من أصدقائنا فبقي داهشا وقال لهم: مات؟ فقالوا: هو في ذلك، فقلت: يا أبا الحسن مات جالينوس وعاش الناس بعده، وأما الرجل فميت، وما بنا إلى رؤيتك

---

(١) هذه الرسالة لم تكمل، انظر ياقوت ٤: ١٠٠٣.

(٢) تاريخ الحكماء: ٣٩٨ - ٤٠٢ (ولم يصرح أنها من كتاب الربيع).." (١)

"

ولما أخذنا في المسير قال اعلم أنني ابن فلان التاجر الذي يقع قصره في مكان كذا من هذه المدينة والناس كلهم يعرفون أي رجل كان والدي وما كان له من مال وثروة وخلاصة الأمر أنه لما انتقل والدي إلى جوار ربه أطلقت لهواي العنان وسمت سرح اللهو وعاقرت ابنة الكرم سنوات فابتليت بمرض عضال فقدت معه كل أمل بالشفاء ونذرت نذرا لله تعالى أنني سأحج وأغزو إذا ما شفيت من مرضي ومن الله تعالى بالشفاء علي وقمت من المرض سالما وعقدت العزن على الحج ومن ثم الغزو وأعتقت جواري وغلماني جميعا ووهبتهم مالا وبيوتا وضياعا وألفت بيهم بالزواج ثم بعت ما كان لي من أسباب وضياع ومستغلات بخمسين ألف دينار ذهبا وفكرت في نفسي بأنني مقدم على سفرين محفوفين بالمخاطر فليس صوابا أن أحمل الذهب كله معي ورأيت أن أحمل ثلاثين الفا وأبقي العشرين الأخرى فاشتريت إبريقي نحاس ووضعت في كل منهما عشرة الاف دينار وقلت وال،ن عند من أودعها ولم يدلني ضميري إلا على قاضي القضاة من المدينة كلها وقلت في نفسي إنه رجل عالم وقاض وقد اعتمده الملك ووكل إليه دماء المسلمين وأموالهم انه لن يخونني على أية حال فمضيت إليه وكلمته بالأمر سرا فقبل هو وسررت أنا ونهضت سحرا وحملت الإبريقين إلى بيته ووضعتهما عنده وديعة ثم مضيت في سبيلي فأديت فريضة الحج وتوجهت من مكة والمدينة إلى بلاد الروم والتحقت بالغزاة وقضيت سنوات أجاهد في سبيل الله وفي إحدى المعارك مع الكفار أصبت بجروح في مواطن من وجهي وعنقي وركبتي وفخذي ووقعت أسيرا بيد الروم وأمضيت أربع سنوات في أغلالهم وسجنهم إلى الوقت الذي ابتلي فيه القيصر بمرض فأطلق سراح جميع الأسرى وبعد

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ٣٤٨/٢

فكاكي من الأسر التحقت بالمطوعة وخدمت في صفوفهم ولما هيأت نفقات طريق العودة قفلت راجعا على أمل أنني كنت قد أودعت قاضي بغداد عشرين ألف دينار

وبعد عشر سنوات عدت إلى بغداد صفر اليدين رث الملابس هزيل الجسم لشدة ما قاسيت من مشاق السفر والام ضنك العيش في تلك المدة وذهبت إلى القاضي فسلمت عليه وجلست عنده وانصرفت وترددت عليه على هذه الحال يومين ولما لم يقل لي شيئا ذهبت إليه في اليوم الثالث وجلست طويلا فلما لم يبق أحد اقتربت منه وقلت له بهدوء وبطء أنا فلان ابن فلان قد حججت وغزوت وعانيت المتاعب

". (١)

"كان وضع الوالد المادي فوق المتوسط بمقاييس تلك الأيام بماله من موارد من أملاكه في البصرة ومن اشتغاله بالتجارة كما أشرت إلى ذلك في المقدمة وكان لنا بيت في البصرة وبيت في الكويت، وبسبب الفراق الذي حصل بين الوالد والوالدة فإن جدي لأمي كان وكأنه والدي الفعلي فهو الذي أراه كل يوم وأعيش معه تحت سقف واحد وأحيانا أرافقه في ذهابه إلى السوق أو إلى المسجد أو بعض الدواوين خلال الليل وأتذكر من تلك الدواوين ديوان حمود الروضان كما أتذكر صقور الصيد رابضة فوق أوكارها في ذلك الديوان أو (الديوانية) بالمصطلح الكويتي.

كان الوالد يقضي فترة الصيف في البصرة ثم يعود إلى الكويت في نهاية الصيف أو أوائل الشتاء بعد الانتهاء من تصريف وبيع محصول التمور من قطعة النخيل التي كان يملكها ولهذا كنت التقي به في فترات متقطعة لذلك فقد كان من الطبيعي أن يكون ارتباطي العاطفي بجدي أكثر عمقا وتأثيرا في نفسي من ارتباطي بالوالد، كما كنت أشعر بألم وحسرة وفراغ مخيف عندما يغادرنا مسافرا إلى الهند.

وتزوجت الوالدة فيما بعد وكنت في السادسة من عمري، وتركت البيت الذي كنا نعيش فيه سويا وانتقلت إلى بيت زوجها وهنا ازدادت حيرتي ومحنتي وكانت تزورنا أحيانا ونزورها أنا وجدتي في الأوقات المناسبة، وأحيانا أذهب وحدي لها وقد يكون ذلك في أوقات غير مناسبة لها. وقد أثرت هذه التغييرات العائلية في نفسيتي كثيرا وفقدت شيئا من حالة الاستقرار التي كنت أنعم بها. وقد ازدادت عندي هذه الانفعالات عمقا

(١) سياسة نامه أو سير الملوك، ص/١١٢

عندما أرسلوني إلى البصرة للدراسة وأنا لم أكمل التاسعة من عمري.

الوضع الاجتماعي والمعيشي في الكويت في تلك الأيام." (١)

"ولكن بين عشية وضحاها تغير كل شيء بالنسبة لي ففي صيف ١٩٢١ وصل أخي من أبي – سليمان– من البصرة ومعه والدته المريضة التي نصحها الأطباء هناك بالمجيء إلى الكويت (لتبديل الهواء) **وكان الوالد** في البصرة في تلك الفترة وقد سبق له في عدة مناسبات أن طالب بضمي إليه ليتولى تربيتي ولكن جدي لأمي رحمه الله بسبب زيادة محبته لي كان يرفض ذلك وكذلك فعلت الجدة والوالدة. وبما أن جدي كان كثير الأسفار كما ذكرت وبسبب زواج الوالدة الذي أشرت إليه بقيت أنا مع جدتي، ومع مرور الأيام كانت تشعر الجدة بعجزها في السيطرة علي فقد ازدادت شقاوتي وكثر تهربي من المدرسة وتمردي على أوامرها. وما أدري هل **كان والدي** قد طلب من أخي أن يصحبني معه إلى البصرة عند عودته. المهم الذي حدث بعد تردد من الوالدة والجدة تمت الموافقة على سفري. وعلمت بالخبر فلم أهتم بوقتها وتصورت أن الأمر لا يعدو أن يكون نزهة والركوب بالباخرة أو (المركب) كما كنا نسميه ولم نكن نراه إلا من بعيد –وكما يقول المثل: عرفت شيئا، وغابت عنك أشياء–.." (٢)

"يبدأ موسم قطف التمور في البصرة اعتبارا من نهاية شهر آب (أغسطس) وبداية سبتمبر (أما نضوج الرطب فيبدأ في النصف الثاني من شهر تموز "يوليو" ويتقدم إذا كان الصيف شديد الحرارة والرطوبة ويتأخر إذا كان الصيف معتدل الحرارة ولكن بأيام معدودة) من كل عام وينتهي عند منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر) وكانت تلك الفترة فترة خير وبركة على الكثيرين من أهل البصرة وغيرها من مناطق البلدان المجاورة بالنظر لما تهيئه من مصادر للرزق للكثيرين في شتى المجالات والأعمال.

فعلاوة على السفن البخارية التي قد تصل حمولتها إلى عشرة آلاف طن وأكثر تصل إلى ميناء البصرة لحمل التمور المعبأة بالصناديق للأصناف المطلوبة في أوربا وأمريكا. فهناك الكثير من السفن الشراعية الخليجية وعلى الأخص سفن الكويت وعمان تصل إلى البصرة لنقل التمور المعبأة (بالخصاف) المصنوع من خوص النخل إلى سواحل أفريقيا والبحر الأحمر والهند.

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/١٦

(٢) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٣١

وكان المرحوم الحاج حمد العبدالله الصقر من أكبر التجار المصدرين للتمور بواسطة السفن الشراعية، كما أنه يعد من كبار الملاك الكويتيين لبساتين النخيل في منطقة البصرة في تلك الفترة. كما أن عائلة آل الصباح كانت وما زالت تملك أراضي واسعة لزراعة النخيل في منطقة الفاو وما جاورها. وكذلك عائلة آل الابراهيم وبجوار أراضي الوالد كانت توجد أرض يملكها أحمد وصالح أبناء محمد صالح الحميضي **وكان الوالد** يتولى الإشراف عليها وبعد وفاة الوالد تولى العم عبدالرحمن البدر مهمة الإشراف عليها وعلى بساتين أخرى اشترياها فيما بعد.." (١)

"وأذكر من الكويتيين الذين تملكوا بساتين النخيل في منطقة الصالحية المرحوم جبر الغانم ولم تكن أرضه بعيدة عنا **وكان الوالد** يزوره في بعض الأمسيات ويصحبني معه. والواقع أن الاستثمارات الكويتية في ذلك الوقت كانت محدودة وكانت مقتصرة على الهند والعراق ومنطقة البصرة بالذات حيث كانت هذه منطقة جذب بالنسبة للكويتيين المقتدرين بالنظر لقربها من بلدهم ولتوفر وسائل المعيشة الرخية فيها. أما على الصعيد التجاري فإن سفنهم الشراعية كانت تتردد على ميناء البصرة باستمرار حاملة البضائع المختلفة من وإلى الميناء كما كان لبعض الكويتيين مكاتب تجارية هناك.

زراعة النخيل في منطقة البصرة

تعتبر مدينة القرنة ضمن الحدود الشمالية لمنطقة البصرة حيث عندها يلتقي النهران العظيمان دجلة والفرات ويتفرع منهما النهر الكبير المسمى (شط العرب) وعلى ضفتي هذا الشط العظيم تقع بساتين النخيل حتى مدينة الفاو حيث تلتقي مياه شط العرب بمياه الخليج. وفي هذه المنطقة تزرع مئات الأصناف من التمور وقد ذكر الشيخ عبدالقادر باشا أعيان في كتابه -النخلة سيدة الشجر- ستا وثمانين صنفا سماها بأسمائها وأشهرها (البرحي) والحلاوي والخضراوي والساير أو السعمران والقنطار الى آخر القائمة. وقد أشار إلى البرحي فقال أن تمر البرحي لم يكن معروفا إلا في حوالي المائة عام حيث نبتت هذه الشجرة المباركة في أرض براح أي مكشوفة تملكها عائلة معروفة في مدينة أبي الخصيب وهي عائلة -آل زيدان- فوجدوا أن

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٤٥

ثمرها كان من النوع الممتاز الذي لم يكن معروفا لديهم في الماضي فسموه (برحي) واهتموا به وتكاثرت زراعته يوما بعد يوم.." [١]

"أولا: لقد كنت أنا والذين هم في جيلي نعيش في مجتمع تسوده الحياة المبسطة والقناعة بما قسم الله من وسائل العيش في ظروف صعبة قاسية ومع ذلك فقد كانت قلوب الناس عامرة بالإيمان والتمسك بشعائر الدين مما ساعد على استمرار قوة الاحتمال عند الناس في تلك الأيام.

ولن أنسى خلال فترة طفولتي أنه حل الشهر الفضيل في عز الصيف في ذلك العام ولم يكن في الكويت في تلك الأيام الخالية شييء من وسائل الراحة إلا ماء البئر الذي كنت أرى الوالدة ومن في البيت من الكبار يسكبونه فوق رؤوسهم وعلى ثيابهم لتخفيف وطأة الحر ومشقة الصوم. وسرعان ما تنشف الثياب المبللة من شدة الرياح الجافة كما **كان الوالد** رحمه الله يحرص في الأوقات المناسبة على أن يصحبني معه إلى المسجد القريب من بيتنا حتى انه من كثرة ترددي معه على المسجد لا سيما أيام الجمع حفظت الكثير من نصوص خطبة الجمعة التي كانت تتكرر معظم فقراتها كل جمعة تقريبا. كما كنت أحفظ ولازلت بعض الآيات القرآنية التي كان يتلوها الإمام أثناء الصلاة.

ومن عادة الوالد قراءة القرآن كل صباح بعد صلاة الفجر وكان يوقظني بعد ذلك وكنت اقرأ على يده بعض الآيات وأظل أقرأ حتى يأمرني بالتوقف وذلك عندما يحين موعد الإفطار، ثم بعد ذلك وقت المدرسة.

واستمر الحال بعد وفاة الوالد وتولي الأخ عبدالله أمر الوصاية علي وكان في أسلوبه مشابه لطريقة الوالد في تمسكه بشعائر الدين وقد بدأت الصوم في سن الرابعة عشرة وكنت أفطر خلسة إذا شعرت بالتعب أو العطش خشية الانتقاد واللوم.

لقد كان لهذه النشأة وهذا النمط من الحياة وفي ذلك الإطار من التربية الدينية أثره في أعماق النفس فظل القلب عامرا بنور الإيمان وان كان لا بد من الاعتراف من أجل الحقيقة بأني مررت بفترات كثيرة متقطعة كنت فيها مقصرا في تأدية الفرائض المطلوبة.." [٢]

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٤٦

(٢) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٨٩

"وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي آشي، نزيل تونس: نص كلام ابن جبير، ثم قال: ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد. وتتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد. هذا وإن لم تكن له بها إقامة. فيعرب عنها بحقيقة وعلامة. ولا وصف ذهبيات أصيلها. وقد حان من الشمس غروبها ولا أزمان جفولها المنوعات. ولا أوقات شرورها المنبهات، وقد اختص من قال: ألفيتها كما تصف الألسن. وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. قال ابن جزي: والذي قالته الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة. **وكان والدي** رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه الأبيات. وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى:

دمشق بنا شوق إليها مبرح ... وإن لج واش أو ألح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النمط العالي من الشعر. وقال فيها عرقلة الدمشقي الكلبي:

الشام شامة وجنة الدنيا كما ... إنسان مقلتها الغضيضة جلق

من آسها لك جنة لا تنقضي ... ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال أيضا فيها:

أما دمشق فجنات معجلة ... للطالبين بها الولدان والحور

ما صاح فيها على أوتاره قمر ... إلا يغنيه قمري وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أنامل الريح إلا أنها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك. وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الأسدي:

سقى دمشق الله غيثا محسنا ... من مستهل ديمة دهاقها

مدينة ليس يضاهى حسنها ... في سائر الدنيا ولا آفاقها

تود زوراء العراق أنها ... منها ولا تعزى إلى عراقها

فأرضها مثل السماء بهجة ... وزهرها كالزهر في إشراقها

نسيم روضها متى ما قد سرى ... فك أخا الهموم من وثاقها

قد رتع الربيع في ربوعها ... وسيقت الدنيا إلى أسواقها

لا تسأم العيون والأنوف من ... رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فيها من قصيدته، وقد نسبت أيضا لابن المنير:

يا برق هل لك في احتمال تحية ... عذبت فصارت مثل مائك سلسلا

باكر دمشق بمشق الحيا ... زهر الرياض مرصعا ومكللا

واجرر بجيرون ذيولك واختصص ... مغنى تأزر بالعلا وتسربلا

حيث الحيا الربعي محلول الحيا ... والوابل الربعي مفري الكلا

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين:

دمشق منزلنا حيث النعيم بدا ... مكملا وهو في الآفاق مختصر

القصب راقصة والطير صادحة ... والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلت من اللذات أوجهها ... لكنها بظلال الدوح تستتر

وكل واد به موسى يفجره ... وكل روض على حافاته الخضر

وقال أيضا فيها:

خيم بجلق بين الكاس والوتر ... في جنة هي ملء السمع والبصر

ومتع الطرف في مرأى محاسنه ... وروض الفكر بين الروض والنهر

وانظر إلى ذهبيات الأصيل بها ... واسمع إلى نغمات الطير في الشجر

وقل لمن لام في لذاته بشرا ... دعني فإنك عندي سوقة البشر

وقال أيضا فيها:

أما دمشق فجنة ... ينسى بها الوطن الغريب

لله أيام السبوت ... بها ومنظرها العجيب

أنظر بعينك هل ترى ... إلا محبا أو حبيب

في موطن غنى الحمام ... به على رقص القضيب

وغدت أزاهر روضه ... تختال في فرح وطيب." (١)

"عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن عبد الباقي بن محاسن أبو بكر الأنصاري المعروف بالشيخ عماد الدين - بن - النحاس الدمشقي كان من الفضلاء الصلحاء وله من المكانة العظيمة والحرمة الوافرة والكلمة المسموعة والقبول التام من الخاص والعام كان قد حصل له صمم فكان يحدث من لفظه

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٣٨

بسبب ذلك ومولده في الثاني والعشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمصر سمع الشيخ شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون بدمشق وسمع من غيره بحلب وأصبهان ونيسابور وكانت وفاته بدمشق في الثاني و العشرين من صفر ودفن من يومه رحمه الله تعالى.

قال سعد الدين مسعود بن حمويه أنشدني عماد الدين عبد الله بن النحاس سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

أحبة قلبي إن عندي رسالة ... أحب وأهوى أن تؤدى إليكم.

متى ينقضي هذا القطوع وينتهي ... وأحظى شفاها بالسلام عليكم.

عيسى بن أحمد بن إلياس بن أحمد بن خليل بن محمود بن محمد بن سالم بن الشيخ الصالح عيسى اليونيني يوسف بن خالد بن بركة بن مبارك بن داود بن شريف بن رميح بن رباح بن كرز بن – ص ٢ ورقة ٨ ألف – وبرة اليونيني الشيخ الصالح الزاهد العابد العارف المشهور صحب الشيخ الكبير عبد الله اليونيني رحمه الله وانتفع به وكان من أخص أصحابه وأعيانهم وانقطع بزاويته شمال قرية يونين من أعمال بعلبك متوفرا على العبادة معرضا عن الدنيا وأهلها يقوم الليل ويسرد الصوم وبقي على ذلك سنين كثيرة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في زاويته في قرية يونين في رابع ذي القعدة ودفن بها وهو في عشر الثمانين تقريبا وكان من الأولياء الأفراد لم يشتغل في عمره بغير العبادة والتوجه إلى الله تعالى على الوجه المشهور الذي يشهد به الكتاب والسنة ومطالعة كتب الرقائق وما يجري مجراها ولم يتزوج في عمره لاستغراق أوقاته بذلك لكنه عقد عقدة على امرأة عجوز تدعى أم يوسف كانت تخدمه لاحتمال أنه يتناول منها شيئا فتمس يده يدها. وقال بعض الصلحاء قد قيل أن على قلب كل ولي نبي من أولي العزم رجلا كلما مات جعل مكانه غيره فإن صح فالشيخ عيسى على قلب عيسى ابن مريم عليهما السلام لسلوكه ما يناسب طريقه من الزهد والتحلي فكان لا يتردد إلى أحد البتة وإذا حضر إلى زيارته أحد من أرباب الدنيا والمراتب الجليلة في الدول كالأمراء والوزراء وغيرهم عاملهم بما يعامل به آحاد الناس، وبلغني أن الشيخ نجم الدين البادرائي قصد زيارته فوصل إلى زاويته عند صلاة المغرب فصلى الشيخ المغرب وقام ليدخل إلى خلوته على عادته فعارضه بعض أصحابه فقال يا سيدي هذا لرجل مجتاز وقد قصد زيارتك وانفرد عن أصحابه وجاء الشيخ نجم الدين فسلم عليه وسأله الدعاء وشرع في محادثته فقال الشيخ رحمه الله من زار وخفف وتركه ودخل إلى خلوته وكان كثير المطالعة لكتب الأحاديث النبوية وكتب الرقائق كقوت القلوب وصفـ ـة الصفوة ومناقب الأبرار وغير ذلك وكان يستحضر من ذلك وغيره شيئا كثيرا فإنه كان إذا طالع شيئا علق بخاطره معناه وكانت عبارته حلوة لكن كان لفظه يناسب حديث أهل قريته فربما لحن في بعض كلامه وكان إذا كتب إلى أحد

من أرباب الدول وغيرهم ورقة في حاجة سألها إما استغاثة ملهوف أو إعانة مظلوم أو تنفيس كربة أحد من المسلمين كتب من أول الورقة إلى حيث ينتهي الكلام أو يقطعها بحيث لا يكون فيها من البياض ما يكتب به كلمة واحدة اتباعا بما أمر به من عدم الإسراف فيما لا فائدة فيه فإذا وصلت ورقته سورع إلى امتثالها وحصل بها المقصود وكانت له الحرمة العظيمة عند – ص ٢ ورقة ٨ ب – سائر الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم والمهابة الشديدة في صدورهم مع لطف أخلاقه ولين كلمته وله الكرامات الظاهرة وإذا حضر أحد من المشايخ وأرباب القلوب إلى يونين قصد زيارته وتأدب معه غاية الأدب أما هو فلا يمشي إلى أحد البتة ومن ورد من أرباب القلوب وسلك غير ذلك سلبه حاله ولقد سلب جماعة من الفقراء أحوالهم فيما بلغني وأدركت بعضهم **وكان والدي** رحمه الله إذا خرج إلى يونين طلع إلى زاويته من بكرة النهار ويدخلان إلى الخلوة بمفردهما ولا يدخل أحد عليهما ولا يزالان كذلك إلى قريب الظهر وكان بينهما وداد عظيم واتحاد زائد ومحابة في الله تعالى جمع الله بينهما في دار كرامته وكنت أيام مقام والدي." (١)

"رحمه الله تعالى بقرية يونين اغشاه وأزوره كثيرا فيقبل علي ويتلطف خلاف ما عادته أن يعامل به غيري وأما إذا كنت ببعلبك فأتردد إلى زيارته في الأحيان فلما كانت هذه السنة **كان والدي** رحمه الله يأمرني كل وقت بقصد زيارته كأنه استشعر قرب أجله وأحس به فكنت بعد كل يوم أتردد إليه فقصدته مرة في أول شوال من هذه السنة ومعي ناصر الدين علي بن فرقين والشمس محمد بن داود رحمهما الله فدخلنا عليه وليس عنده غيرنا وشرع يحدثنا واسترسل في الحديث وغاب واستغرق وهو يحدثنا عن غير قصد منه لذلك ثم أفاق من غيبته فقطع الحديث فسألناه إتمامه وألححنا عليه في السؤال فانشد

من سارروه فأبدى السر مشتهرا؟ ... لم يأمنوا على الأسرار ما عاشا.

وأبعدوه فلم يحظ بقربهم ... وبدلوه مكان الأنس أيحاشا.." (٢)

"أعطبتها فشكونا ذلك إلى الشيخ عيسى رحمه الله وسألناه أن يكتب لنا حرزا فأعطانا ورقة مطوية صورة حرز فشمعناها وعلقناها على بعض الأشجار فزالت الدودة عن الوادي بأسره وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها وحملت حملا مفرطا وبقينا على ذلك سنين في حياة الشيخ وبعد وفاته ثم خشينا ضياع الحرز وقلنا ننسخه فأزلنا عنه الشمع وفتحناه فإذا هو قطعة من كتاب ورد على الشيخ من بعض أهل حماة فندمنا على فتحه ثم شمعناه وأعدناه إلى مكانه فجاءت الدودة وركبت الأشجار وأعطبتها واستمر الحال على ذلك

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٩/١

(٢) ذيل مرآة الزمان، ١٠/١

وحكى لي الحاج علي بن أبي بكر بن دلفة اليونيني ما معناه قال **كان والدي** وابن عمك نور الدولة علي بن عمر بن نيار رحمه الله قد اتفقنا على عمارة حمام بقرية يونين وحصلوا بعض آلاته وهيئوا المكان الذي يعمر فيه واهتموا بذلك واتفق أنهما طلعا إلى عند الشيخ عيسى وأنا معهما فقال لهما الشيخ رحمه الله بلغني أنكم تريدون تعمرون حماما في هذه القرية وهذا لا تفعلوه واتركوا – ص ٢ ورقة عشرة ألف – عمارته فما وسعهم إلا أن قالوا السمع والطاعة وقاموا من عنده فلما بعدوا عنه قال أحدهما للآخر كيف نعمل بهذه الآلات فقال له صاحبه الشيخ عيسى رجل كبير ما يخلد نصبر فمتى مات عمرناه فطلبهما الشيخ إليه وقال كأني بكم قد قلتم كذا وكذا وأنكم تعمرون الحمام بعد موتي وهذا لا يصير ولا يعمر في القرية حمام لا في حياتي ولا بعد موتي فاعتذروا إليه مما قالوه وفارقوا على ذلك قلت فأنا والله رأيت الأمير جمال الدين التجيبي رحمه الله نائب السلطنة في الشام في أوائل الدولة الظاهرية وكان معهم مقطع معظم يونين قد اهتم بعمارة حمام في القرية واشترى القدور وسائر الآلات ولم يبق إلا عمارته ثم اتفق ما صرفه عن ذلك ثم انتقل الخبر إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري متولي نيابة السلطنة بالشام بعده فشرع في ذلك واهتم به كهمة الأمير جمال الدين أو أكثر وحفر الأساس ثم بطل ذلك بموانع سماوية وأظن أميرا آخر غيرهما اقطع في القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم وصح قول الشيخ رحمه الله تعالى وحدثني المغربي عامر بن يحيى بنى ريان بمنزلي بقرية يونين في ثاني وعشرين ذي قعدة سنة اثنتين وتسعين وستمائة ما معناه قال قدم الشيخ عثمان رحمه الله من دير ناعر إلى بعلبك ووالدك رحمه الله في يونين وقصده وخرجت في خدمته فطرقت باب هذه الدار واستأذنت على والدك رحمه الله ودخلت إليه وقلت يا سيدي الشيخ عثمان قد حضر إلى خدمتك قال يدخل فلما دخل تلقاه والدك ورحب به وجلسا يتحدثان وحضر شيء للأكل فأكلا ومن عندهما فلما شيل السماط قال والدك للشيخ عثمان ما تطلع تزور أخاك الشيخ عيسى قال اطلع في خفارتك قال نعم في خفارتي قال وطلع وأنا معه فلما وصل إلى زاوية الشيخ عيسى تلقاه واعتنقه وبالغ في الترحيب به وجلسا يتحدثان زمنا طويلا وودعه الشيخ عثمان ونزل إلى عند والدك إلى هذه الدار فلما دخل عليه قال له والدك كيف رأيت قال له يا سيدي كل خير قال عامر فسألت الشيخ عثمان بعد ذلك عن توقفه عن الطلوع إلى الشيخ عيسى حتى أجاره والدك قال يا ولدي قدمت هذه القرية من سنين بعد وفاة الشيخ عبد الله الكبير رحمه الله بسنيات ونمت في المرح الذي في الزوايا فلما مضى بعض الليل قمت لأجدد الوضوء في الطهارة فحين خرجت إلى الطريق وجدت ثعبانا عظيما فتح فاه وكاد يبتلعني فصرخت – ص ٢ ورقة ١٠ ب – وقلت يا سيدي الشيخ عبد الله أنا في جيرتك وفي حسبك فلم أستتم كلامي إلا والشيخ عبد

الله واقف بيني وبين الثعبان وبيده حربة وضرب الثعبان بين كتفيه بيده وقال مالك يا نحيس ضيف وارد عليك تفعل معه هذا وإذا بذلك الثعبان هو الشيخ عيسى فطلع إلى زاويته فهذا سبب قولي الذي سمعت ولو لم يجرني سيدي الشيخ الفقيه منه لما طلعت إليه وكرامات الشيخ عيسى كثيرة رحمه الله ورضي عنه.عيسى بن ظاهر بن نصر الله بن جميل أبو محمد الحلبي الحاجب - ١٢ب - وأظن لقبه القطب كان قيما بالفرائض والحساب والأوقاف وله مشاركة في غير ذلك من العلوم ولد بحلب في سادس محرم سنة أربع وثمانين وخمسمائة وانتقل إلى القدس الشريف وأقام به مدة ثم عاد إلى مدينة دمشق وأقام بها إلى سنة أربع وأربعين وستمائة ثم انتقل إلى مدينة حلب وأقام بها إلى أن توفي بها في ليلة الخميس مستهل شهر رمضان هذه السنة رحمه الله تعالى.بتها فشكونا ذلك إلى الشيخ عيسى رحمه الله وسألناه أن يكتب لنا حرزا فأعطانا ورقة مطوية صورة حرز فشمعناها وعلقناها على بعض الأشجار فزالت الدودة عن الوادي بأسره وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها وحملت حملا مفرطا وبقينا على ذلك سنين في حياة الشيخ وبعد وفاته ثم خشينا ضياع الحرز وقلنا ننسخه فأزلنا عنه الشمع وفتحناه فإذا هو قطعة من كتاب ورد على الشيخ من بعض أه ل حماة فندمنا على فتحه ثم شمعناه وأعدناه إلى مكانه فجاءت الدودة وركبت الأشجار وأعطبتها واستمر الحال على ذلك وحكى لي الحاج علي بن أبي بكر بن دلفة اليونيني ما معناه قال **كان والدي** وابن عمك نور الدولة علي بن عمر بن نيار رحمه الله قد اتفقنا على عمارة حمام بقرية يونين وحصلوا بعض آلاته وهيئوا المكان الذي يعمر فيه واهتموا بذلك واتفق أنهما طلعا إلى عند الشيخ عيسى وأنا معهما فقال لهما الشيخ رحمه الله بلغني أنكم تريدون تعمرون حماما في هذه القرية وهذا لا تفعلوه واتركوا - ص ٢ ورقة عشرة ألف - عمارته فما وسعهم إلا أن قالوا السمع والطاعة وقاموا من عنده فلما بعدوا عنه قال أحدهما للآخر كيف نعمل بهذه الآلات فقال له صاحبه الشيخ عيسى رجل كبير ما يخلد نصبر فمتى مات عمرناه فطلبهما الشيخ إليه وقال كأني بكم قد قلتم كذا وكذا وأنكم تعمرون الحمام بعد موتي وهذا لا يصير ولا يعمر في القرية حمام لا في حياتي ولا بعد موتي فاعتذروا إليه مما قالوه وفارقوا على ذلك قلت فأنا والله رأيت الأمير جمال الدين التجيبي رحمه الله نائب السلطنة في الشام في أوائل الدولة الظاهرية وكان معهم مقطع معظم يونين قد اهتم بعمارة حمام في القرية واشترى القدور وسائر الآلات ولم يبق إلا عمارته ثم اتفق ما صرفه عن ذلك ثم انتقل الخبر إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري متولي نيابة السلطنة بالشام بعده فشرع في ذلك واهتم به كهمة الأمير جمال الدين أو أكثر وحفر الأساس ثم بطل ذلك بموانع سماوية وأظن أميرا آخر غيرهما اقطع في القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم وصح قول الشيخ رحمه الله تعالى

وحدثني المغربي عامر بن يحيى بنى ريان بمنزلي بقرية يونين في ثاني وعشرين ذي قعدة سنة اثنتين وتسعين وستمائة ما معناه قال قدم الشيخ عثمان رحمه الله من دير ناعر إلى بعلبك ووالدك رحمه الله في يونين وقصده وخرجت في خدمته فطرقت باب هذه الدار واستأذنت على والدك رحمه الله ودخلت إليه وقلت يا سيدي الشيخ عثمان قد حضر إلى خدمتك قال يدخل فلما دخل تلقاه والدك ورحب به وجلسا يتحدثان وحضر شيء للأكل فأكلا ومن عندهما فلما شيل السماط قال والدك للشيخ عثمان ما تطلع تزور أخاك الشيخ عيسى قال اطلع في خفارتك قال نعم في خفارتي قال وطلع وأنا معه فلما وصل إلى زاوية الشيخ عيسى تلقاه واعتنقه وبالغ في الترحيب به وجلسا يتحدثان زمنا طويلا وودعه الشيخ عثمان ونزل إلى عند والدك إلى هذه الدار فلما دخل عليه قال له والدك كيف رأيت قال له يا سيدي كل خير قال عامر فسألت الشيخ عثمان بعد ذلك عن توقفه عن الطلوع إلى الشيخ عيسى حتى أجاره والدك قال يا ولدي قدمت هذه القرية من سنين بعد وفاة الشيخ عبد الله الكبير رحمه الله بسنيات ونمت في المرح الذي في الزوايا فلما مضى بعض الليل قمت لأجدد الوضوء في الطهارة فحين خرجت إلى الطريق وجدت ثعبانا عظيما فتح فاه وكاد يبتلعني فصرخت – ص ٢ ورقة ١٠ ب – وقلت يا سيدي الشيخ عبد الله أنا في جيرتك وفي حسبك فلم أستتم كلامي إلا والشيخ عبد الله واقف بيني وبين الثعبان وبيده حربة وضرب الثعبان بين كتفيه بيده وقال مالك يا نحيس ضيف وارد عليك تفعل معه هذا وإذا بذلك الثعبان هو الشيخ عيسى فطلع إلى زاويته فهذا سبب قولي الذي سمعت ولو لم يجرني سيدي الشيخ الفقيه منه لما طلعت إليه وكرامات الشيخ عيسى كثيرة رحمه الله ورضي عنه.عيسى بن ظاهر بن نصر الله بن جميل أبو محمد الحلبي الحاجب – ١٢ب – وأظن لقبه القطب كان قيما بالفرائض والحساب والأوقاف وله مشاركة في غير ذلك من العلوم ولد بحلب في سادس محرم سنة أربع وثمانين وخمسمائة وانتقل إلى القدس الشريف وأقام به مدة ثم عاد إلى مدينة دمشق وأقام بها إلى سنة أربع وأربعين وستمائة ثم انتقل إلى مدينة حلب وأقام بها إلى أن توفي بها في ليلة الخميس مستهل شهر رمضان هذه السنة رحمه الله تعالى.." (١)

"**وكان والدي** رحمه الله يكره الاجتماع بهم ولا يؤثره ومما جرى له مع الملك الأشرف أنه كان إذا حضر إليه عرض عليه قصصا كثيرة للناس ويسومه قضاء ما فيها فيفعل ذلك فاتفق حضوره إليه في بعض الأيام وعنده قصص كثيرة جدا فشرع الملك الأشرف في قراءتها فقرأ بعضها وضجر من إتمامها فقال له والدي أنا أجعل كفارة اجتماعي بكم قضاء لحوائج الناس فإن قضيتموها وإلا ما اجتمع بكم فاعتذر إليه

(١) ذيل مرآة الزمان، ١٢/١

وتلافاه وتمم قراءة تلك القصص وقضى جميع ما فيها وكانت مدة اجتماعه بالملوك وترددهم إليه ثلاثا وأربعين سنة، وكان قبل ذلك ربما اجتمع بهم مصادفة أما ترددهم إليه بالقصد فمن ذلك التاريخ وكان يعد ذلك من كرامات شيخه الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله فإن الشيخ عبد الله كان له زوجة ولها ابنة من غيره فقال لها زوجي ابنتك من محمد فقالت يا سيدي هو فقير ما له شيء وأنا أشتهي أن تكون بنتي سعدية فقال لها زوجيه فإني أرى له دارا مليحة وفيها بركة ماء وبنتك عنده في الليوان والملوك يترددون إلى خدمته وله كفاية تامة على الدوام فزوجته بها وهي أول زوجاته.

حكى لي أن الملك الصالح استأذن عليه مرة وهو في دار القاضي الفاضل بدمشق وهو في المرحاض فأخبر بذلك فقال دعوه حتى يدخل وحده فدخل وقعد في الإيوان واتفق أن والدي حصل له ما احتاج معه إلى النزول في البركة إلى وسطه فخرج وقال له أدر ظهرك فأداره ونزل في البركة وتطهر وتوضأ وجالسه بعد ذلك وكانوا يبذلون له الكثير من الدنيا فلا يتناول إلا قدر الكفاية ويقول أنا أستحق في بيت المال أكثر من هذا القدر الذي يصلني منهم وملكه الملك الأشرف قرية يونين وكتب به كتاب وأعطاه لمحيي الدين يوسف بن الجوزي رحمه الله وكان عنده رسولا من جهة الخليفة ليأخذ عليه خط الخليفة فبلغ والدي ذلك فطلب الكتاب ومزقه فعاتبه الملك الأشرف فقال أنا لي قدر الكفاية ولا آخذ من بيت المال أكثر منها ولم يكن والدي رحمه الله يقبل صلة أحد من الأمراء ولا من الوزراء ولا غيرهم إلا أن أهدى له هدية من المأكول أو ما أشبهه فإنه يقبل ذلك من بعض الناس ممن يتحقق حل ما له وكان هو ربما سير للملوك هدية مختصرة من مأكول أو نحوه فيتبركون بها ويستشفون.

حكى لي خادمه الشمس محمد بن داود رحمه الله قال سير الشيخ معي للملك الكامل هدية بعلبك وكان فيها كشك فلما أحضرت ذلك كان الكشك قد جعل في طبق فجعل الملك الكامل يستف منه وهو يتناثر على لحيته وثيابه وكان الصاحب فلك الدين بن المسيري حاضرا فقال يعرف الشيخ أن السلطان له سنين يحتمى عن اللبن وما يعمل منه وتراه قد أكل من هذا الكشك تبركا بهدية الشيخ وأما أكابر الأمراء والوزراء ونواب السلطنة فكانوا يعاملونه بأضعاف ذلك من التأدب معه والامتثال لأمره واحترام أصحابه وأتباعه والمبالغة في ذلك إلى حد لا يوصف.." (١)

"ولما انتقل النعل الشريف النبوي صلوات الله وسلامه على صاحبه إلى الملك الأشرف ووصل إليه وهو بدمشق أراد إرساله إلى والدي ليزوره ويتبرك به ثم قال نحن قد اشتقنا إلى الشيخ والأولى أن نسير إليه

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١٧٢/١

نخبره ليحضر يزور هذا الأثر الشريف ويبصره وكتب إليه بذلك وكانت جدتي في قيد الحياة فقالت لوالدي كنت أشتهي زيارة هذا الأثر الشريف فزره عني فلما قدم دمشق وزار الأثر الشريف أخبر الملك الأشرف بما قالته والدته فجهز الأثر الشريف إلى بعلبك لأجلها فزارته وقضت وطرها من ذلك وكان جرى لهذا الأثر الشريف قصة أوجبت انتقاله إلى الملك الأشرف وذلك أن صاحبه ابن أبي الحديد كان يسافر به إلى الملوك فيعطوه الأموال وانتجع للملك الأشرف رحمه الله في بعض السنين وكان يجزل له العطاء فقال له الملك الأشرف أشتهي أن تعطيني من هذا الأثر الشريف بقدر الحمصة لأجعله في كفني إذا مت فأجابه إلى ذلك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وتقرر أنه في غد ذلك اليوم يحضر العلماء والمشايخ ويقطع من ذلك مطلوبه واغتبط ابن أبي الحديد بذلك فلما كان في الليل انثنى عزم الملك الأشرف وسير إلى ابن أبي الحديد بذلك فسقط في يده لتوقعه فوات المبلغ الذي سمح له به فلما أصبح حضر بين يديه وسأله عن السبب الموجب لذلك فقال فكرت في أنني متى أخذت من هذا الأثر الشريف هذا القدر تشبه بي الملوك فيفضي الحال إلى عدم هذا الأثر الشريف من الوجود وأكون أنا السبب فتركته لله تعالى وأما القدر الذي سمحت لك به فخذه لا أرجع فيه فاستطار فرحا وأخذ تلك الجملة وسافر إلى بلاد الشرق فأدركه أجله أظن في حران فأوصى قبل وفاته بالأثر الشريف للملك الأشرف فصار إليه بحسن نيته فبنى لأجله دار الحديث المجاورة للقلعة وجعله فيها يزار في عصر الاثنين والخميس **وكان والدي** رحمه الله إذا جمعه وعلماء عصره مثل الشيخ تقي الدين بن العز والشيخ شرف الدين ابن الشيخ أبي عمر والشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح وقاضي القضاة شمس الدين بن سنى الدولة وقاضي القضاة شمس الدين الخوى والشيخ أبي عمرو بن الحاجب والشيخ الحصيري وغيرهم من تلك الطبقة بالغوا في التأدب معه ولا يترفع أحد منهم عليه في الجلوس ولا الكلام ويرجعون إلى قوله وكذلك كان حال أكابر مشايخ عصره من الزهاد يتمثلون بين يديه ويمتثلون أمره حدثني غير واحد من أعيان الفقراء أن الشيخ عثمان العدوي رحمه الله قدم مرة دمشق **وكان والدي** بها فدخل أمين الدولة وزير الملك الصالح على علي والدي في أنه يعمل للشيخ عثمان ومن معه من الفقراء ضيافة فأجابه والدي فعمل ضيافة احتفل لها واستدعى إليها مشايخ البلد فلما حضر والدي والشيخ عثمان ومد السماط شرع والدي يأكل وامتنع الشيخ عثمان من الأكل فقال له أمين الدولة في ذلك فقال والدي المقصود بركة الشيخ عثمان ويترك في الأكل على اختياره فلما خرج الجماعة قال بعض الفقراء للشيخ عثمان يا سيدي أنت ليس لك من تقتدي به في أمور دنياك وآخرتك إلا الشيخ وقد رأيته أكل فلم امتنعت والله لما مد السماط شاهدته وهو نار تشتعل فكان سيدي الشيخ الفقيه يمد

يده ويأخذ اللقمة من السماط ويرفعها فتستحيل وما تصل إلى فمه إلا وهي نور يتلألأ وأنا فلم يكن لي هذا التمكين فامتنعت.." (١)

"وحكى لي القاضي تاج الدين عبد الخالق رحمه الله ما معناه قال قدم بعلبك في الأيام الأمجدية شخص كاتب وادعى أنه من ذرية شاور وزير العاضد بمصر أو من أقاربه فولاه الملك الأمجد المواريث الحشرية ببعلبك واتفق غيبة الملك الأمجد فمات شخص وله أولاد عم فاحتاط على تركته فطلبه الشيخ وقال له هذا الرجل له وارث وأنا أعرف أنهم أولاد عمه ومستحقي ميراثه فليس لكم عليه اعتراض فقال السلطان أمرني أن من مات احتاط على تركته وأنا ما أفرج من هذه التركة فغضب الشيخ وقال له قم قطع الله يدك ويد السلطان معك فقام ذلك الشخص وتوجه إلى الملك الأمجد بالمكان الذي كان فيه وشكا إليه فقال له كنت امتثلت ما أمرك به فأنت تراني لا أخالفه وأنكر عليه فما وسعه المقام ببعلبك فتوجه إلى دمشق وأقام بها مدة وعثر عليه أنه زور توقيعا فقطعت يده وأما الملك الأمجد فبعد أخذ بعلبك منه نزل إلى دمشق وأقام بدار السعادة وهي داره فضربه مملوك له بالسيف على يده فقطعها وجرحه جرحا آخر وبقي يومين ومات رحمه الله ومما يقارب هذا أن خالي تاج الدين يعقوب بن سنى الدولة رحمه الله قدم بعلبك في الأيام الناصرية زائرا ونزل في دار ابن عمه الشرف خضر **وكان والدي** كثير البر بأقارب والدتي فاتفق أنه قصد رؤيته وأنا معه فلما دخل قام خالي وقبل يده وقعد بين يديه وهناك فقير موله يقال له علي وقد أحسن خالي فيه الظن فلما دخل والدي قعد ذلك الفقير في الصفة فحضر الشمس محمد بن داود خادم والدي ومعه رأس مشوي ومدت السفرة وطلبوا على الفقير ليأكل فوضع يده على أنفه وقال أفوه أفوه وجعل يكرر هذا القول فلما سمعه والدي زعق فيه وقال قم قطع الله أنفك فخرج من البيت لوقته وطلب طريق الزبداني فلما كان بعد المغرب صادفه جندي سكران في الرمانة فضربه بالسيف فاصطلم أنفه بالكلية فعاد من الغد وهو على هذه الصورة وخولط في عقله فلم ينتفع بنفسه إلى أن مات.." (٢)

"وكان لوالدي رحمه الله ابن عم يدعى إدريس وكان مشوه الخلق زري الشكل ليس له قوت إلا ما يعطيه والدي فركب والدي والملك الصالح إسماعيل إلى ظاهر البلد فصادفه داخلا من قرية يونين إلى المدينة فحين رأهم تنكب الطريق وأبعد فطلبه والدي وسلم عليه ورحب به وسأله عن حاله وقال للملك الصالح هذا ابن عمي ولولا شرف العلم والتقوى لكنت مثله فتعجب الملك الصالح من ذلك وعظم في

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١٧٣/١

(٢) ذيل مرآة الزمان، ١٧٤/١

صدره وقال والدي رحمه الله مرضت في حال شبابي بذات الجنب والشقيقة ونالني من ذلك شدة عظيمة فدخل علي فقيران عاداني وسألاني عما أجد فأخبرتهما فقال أحدهما لصاحبه اختر أحد المرضين وأنا الآخر فقال أنا أحمل عنه ذات الجنب وقال صاحبه وأنا أحمل الشقيقة فتلبس كل واحد منهما لوقته بالمرض الذي اختاره وبرئت أنا بالكلية لوقتي فأما الذي أصابه ذات الجنب فبقي أياما ومات رحمه الله وأما صاحب الشقيقة فبقي مدة وعوفي.

وحكى لي العماد محمد بن عوضة رحمه الله ما معناه أنه قال كنت يوما في خدمة سيدي الشيخ بجامع دمشق وقد أحضر شخص له دارهم قريب ثلاثمائة درهم من ضمان بستان كان له بدمشق فأخذتها وجعلتها تحت طرف السجادة فمر في صحن الجامع رجل أعمى فقال لي يا عماد خذ هذه الدراهم أعطها لهذا الرجل فأخذت الدراهم وقمت إلى الأعمى ودفعتها إليه وجعلتها في مئزره فدعا لي وتوهم أنها فلوس فقلت له هذه الدراهم فاضطرب من السرور إلى أن كادت تسقط منه فقلت له هذه سيرها لك الشيخ الفقيه فدعا وانصرف ثم أن شخصا أهدى للشيخ ثوب صوف نادر المثل فسألته أن أخيطه له ففصلته وخيطته وتأنقت فيه وأحضرته إليه وهو بجامع دمشق فلبسه وصلى فيه ركعتين وقعد وهو على أكتافه وذلك الأعمى مار في الجامع فقال لي يا عماد خذ هذه الفرجية أعطها لهذا الرجل ففعلت ذلك قال ثم كنت عنده يوما آخر وذلك الأعمى عابر فأعطاني شيئا له جنب وقال أعطه إياه فأعطيته ذلك وبقيت متعجبا من تخصيصه بذلك فلما رأيته منشرحا سألته عن سبب ذلك فقال جئت مرة من جبل الصالحية ودخلت من باب الفراديس وأنا محتاج إلى الخلاء فدخلت الطهارة التي بين البابين عند الأزبهارية وقضيت حاجتي واغترفت غرفة من الجرن استعملتها ثم تأملت الجرن فوجدت فيه بعر فأر والماء مقطوع فورد علي ما ضيق صدري وكان هذا الرجل يسكن في المجاهدية وما كف بصره فلم أشعر به إلا وقد فتح علي باب بيت الطهارة وناولني إبريقا مملوؤا ماء من النهر فسررت بذلك وتطهرت بالماء وخرجت وأعطيته الإبريق ولم يكن لي في ذلك الوقت ما أعطيه فأنا لا أراه وعندي ما يمكنني أن أبره به إلا بررته مجازاة لفعله.

قال العماد فعجبت من هذه المكارم والمجازاة على ما أيسر شيء بمثل هذا، فكان والدي رحمه الله يبالغ في مجازاة من يخدمه ولو بايسر شيء بما يمكنه ولا يرى أنه وفي ذلك الشخص حقه.

وسمعته رحمه الله يحكي أن الشيخ عبد الله نزل دمشق وأقام بالربوة والملك العادل غائب عن دمشق ونائبه بها المعتمد رحمه الله فجعل نساء الملك العادل وبناته وإخواته يترددن إلى زيارة الشيخ وكثر ذلك ولا يقدر المعتمد على منعهن وخشي من الملك العادل وأن ذلك يبلغه فينكر عليه تمكينهن فحضر إلى

عندي وكان صديقي وهو من أصحاب الشيخ ومحبيه وعرفني الصورة وطلب مني أن أحسن للشيخ السفر فوعدته بذلك هذا والشيخ في الطهارة وقام المعتمد ركب ودخل البلد وخرج الشيخ فتوضأ للصلاة وصلى ركعتين ولبس الجمجم وقال تم بنا وسافر لوقته ولم أحدثه بشيء مما قال المعتمد وكان عادة المعتمد أن يسير للشيخ في كل سنة فرجية قرض يصلي بها في الشتاء وتوهم المعتمد أن سفر الشيخ كان لقوله فكتب إلي يسألني أن أطيب قلب الشيخ عليه وسير الفرجية القرض فأحضرتها عند الشيخ وقلت يا سيدي المبارز المعتمد يقبل يدك وقد سير هذه الفرجية فقال يا محمد أنا إذا أحسن الشخص علي في العمر مرة واحدة وأساء بقية عمره ما أراه إلا محسنا وهذا المعتمد عمره يخدمني وقد أخطأ مرة واحدة وعرفني أن طيب القلب عليه أو ما هذا معناه.." (١)

"**وكان والدي** رحمه الله لا يتناول من وقف شيئا ولا يقبل بر أحد ولا أكل في عمره صدقة ولا ما يجري مجراها وكان يقبل الهدية من بعض الناس ممن يتيقن حل ما له ويكافي عليها، وحدثني أخي أبو الحسن علي رحمه الله أن والده رحمه الله أخبره قبل وفاته أنه من ذرية جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما وإنما أخبره بذلك ليعلم ما يحرم عليه من الصدقة وما يترتب على ذلك وكان لا يصرح بذلك وإنما أظهره قبل وفاته لولده خاصة لهذا المعنى والله أعلم، ووقفت على ورقة بخط أخي رحمه الله يذكر فيها نسبه ومن مضمونها محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين شهيد كربلا بن علي المرتضى أمير المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين ابن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وذكره الحافظ عز الدين عمر بن الحاجب الأميني رحمه الله في معجمه فقال محمد بن أبي الحسين بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال الشيخ الفقيه الزاهد يكنى أبا عبد الله أصله ومولده بقرية يونين قرية من بعلبك وترعرع ونشأ في ستر وسلامة وصحب الشيخ الزاهد عبد الله اليونيني وأظنه نسيبه وتتلمذ له وعرف بصحبته واختص بخدمته وعادت أنوار الشيخ وبركته عليه وتخلق بأخلاقه وقرأ واشتغل بالفقه والحديث وغيرهما إلى أن صار إماما عالما حافظا ثقة زاهدا ورعا وقورا وصار متقدم الطائفة وسالك الطريقة ولم ير في زمانه مثل نفسه في كماله وبراعته جمع بين علمي الشريعة والحقيقة وكان مليح الشيبه فصيح اللهجة حسن الوجه والشكل ظريف الشمائل مليح الحركات والسكنات له القبول التام في تلك الديار حميد المساعي والآثار وله الصيت المشهور والأفضال

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/١٧٦

على المنتابين وكان من المقبولين المعظمين عند الملوك لكماله وفضله وحسن سيرته حسن الخلق والخلق نفاعا للخلق مطرحا للتكلف كريم النفس بشوش الوجه وكان من جملة محفوظاته الجمع بين الصحيحين للحميدي وغيره مليح الخط وذكر غير ذلك، ثم قال حكى لي الشيخ الفقيه رحمه الله تعالى قال مكثت مدة أريد أن أسأل شيخنا الإمام العلامة موفق الدين بن قدامة رحمه الله عما يقال عن الحنابلة في التشبيه والتجسيم هل هو مجرد شناعة أو قال به بعضهم فحصلت به الشناعة على الجميع أو هو شيء يخفيه المشايخ فلا يظهره إلا لمن يثق إليه إلى أن صعدت معه إلى جبل قاسيون وخلت الطريق وهو بين يدي وأنا خلفه فقلت الآن أسأله عما في نفسي فقلت يا سيدي وما زدت على ذلك فالتفت إلي وقال التشبيه مستحيل فقلت لم قال لأن من شرط التشبيه أن ترى الشيء ثم تشبهه من الذي رأى الله تعالى ثم شبهه لنا.

قال وحكى لي أيضا قال حضرت مجلس شيخي عبد الله اليونيني رحمه الله وقد سأله ابن خاله حميد بن برق فقال زوجتي حامل إن جاءت بولد ما اسميه قال سم الواحد سليمان والآخر داود فأتت زوجته بتوأم فسمى الواحد سلميان والآخر داود قال وأنشدنا لنفسه:

خذ مليك الناس قولا شافيا ... شافيا قولا مليك الناس خذ

؟لذ بباب الله صبا مغرما مغرما صبا بباب الله لذ

إذ شباب المرء ظل زائل ... زائلا ظل شاب المرء إذ

قال وحكى لي أيضا أنه حفظ صحيح مسلم جميعه وكرر عليه في أربعة أشهر وكان يكرر على الجمع بين الصحيحين وأكثر مسند الإمام أحمد رضي الله عنه من حفظه وأنه كان في الجلسة الواحدة يحفظ ما يزيد على السبعين حديثا، انتهى ما نقلته مختصرا من معجم الأميني رحمه الله وأورد له الشيخ عز الدين أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي رحمه الله أبياتا في الروضة في وصف بعلبك وكان نظمها في أيام الشبيبة من أولها:

لله بلدة بعلبك بقعة ... رق النسيم بها وراق الماء

فتغردت أطيارها وتمايدت ... أشجارها وامتدت الأفياء

فالجو صاف والنسيم معطر ... والماء ناف ما جناه غذاء

طابت مآكلها وقد طابت بها ... أمواهها والترب والأهواء
؟صحت جسوم رجالها وثمارها فتولدت عنها قوى وذكاء." (١)

"علي بن شجاع بن سالم بن علي بن موسى بن حسان بن طوق واسمه عبيد الله بن سند بن علي بن الفضل بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو الحسن كمال الدين العباسي الضرير المصري الشافعي المقرئ مولده في سابع شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بالمعتمدية قرية من قرى الجيزية قرأ القرآن بالروايات وتفقه وقرأ الأدب والنحو وسمع الكثير من جماعة من أهل البلاد والقادمين عليه وحدث بالكثير مدة وتصدر بالجامع التعتيق بمصر وبمسجد موسك بالقاهرة مدة لإقراء القرآن الكريم فقرأ عليه جماعة كثيرة وانتفع الناس به انتفاعا كثيرا وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية وكان أحد الأئمة المشهورين والفضلاء المذكورين مع ما جبل عليه من حسن الخلق ولين الجانب وكثرة التواضع وتوفي بالديار المصرية في سابع ذي الحجة ودفن من الغد بسفع المقطم رحمه الله.

محمد بن أحمد بن عنتر أبو عبد الله شرف الدين السلمي الدمشقي كان من أعيان أهل دمشق وعدولها وأولي الثروة بها وولي الحسبة بها في أيام التتر فطلب لذلك إلى الديار المصرية فأدركته المنية بها في أوائل صفر رحمه الله.

محمد بن أحمد بن الموفق بن جعفر أبو القاسم علم الدين الأندلسي المرسي اللورقي مولده سنة خمس وسبعين وخمسمائة سمع من عبد العزيز ابن الأخضر وأبي اليمن الكندي وغيرهما واشتغل بالقرآت والنحو والعربية وبرع في ذلك وشرح كتاب المفصل ومقدمة الجزولي وقصيدة الشاطبي وكان إماما عالما فاضلا أحد المشايخ الصلحاء الجامعين بين العلم والعمل وكانت وفاته في سابع شهر رجب بدمشق ودفن من الغد بمقابر باب توما رحمه الله وكان يسمى القاسم أيضا.

محمد بن عبد الرحيم بن.... أبو عبد الله شهاب الدين المعروف بابن الضياء ويعرف بأجير البهاء كاتب الشروط كان قد فاق كتاب عصره في ذلك وكان الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله يفضله في ذلك على غيره فصار له بذلك شأن عظيم وهو أخذ هذه الصناعة عن الشريف بهاء الدين عبد القاهر بن عقيل العباسي رحمه الله لكنه فاق عليه وتوفي في السابع والعشرين من شهر رجب هذه السنة بدمشق ولم يكن يشهد على الحكام ولا يتعاطى ذلك لاستغنائه بصناعته وبما يتحصل له من الأجر الوافرة

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١٧٨/١

قيل أنه كان يكتب في اليوم الواحد ما يتحصل له فيه من الأجرة فوق المائة درهم ولعل هذا كان يقع له في غالب الأوقات ومات وهو في عشر الستين رحمه الله تعالى.

محمد بن نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي ابن حمزة أبو الفضل جمال الدين التميمي الدمشقي المعروف بابن القلانسي مولده بدمشق في ذي الحجة سنة ست وستمائة سمع من أبي اليمن الكندي وغيره وحدث هو وغير واحد من أهل بيته وكان من العدول الرؤساء الأعيان ومن أولي الثروة والوجاهة بدمشق وتوفي في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون رحمه الله.

إلياس بن عيسى بن محمد الأربلي الشيخ الصالح الفاضل كان مقيما بدمشق وأكثر نهاره بالجامع في رواق الحنابلة وكان على ذهنه من الحكايات والنوادر والوقائع شيء كثير من حسن الحديث والمحاضرة وكان مليح الشكل ظريفا لطيفا **وكان والدي** رحمه الله يحبه ويؤثر سماع حديثه فكان لا يكاد يفارقه إذا **كان والدي** بدمشق وله على والدي رسم من النفقة يسيره إليه في كل سنة وكان يجلس عليه الأعيان والصدور لصلاحه وحسن شكله وسمته وحديثه ثم سكن جبل قاسيون في آخر عمره وبه توفي في ثالث عشر شعبان وهو في عشر الثمانين رحمه الله تعالى.." (١)

"وقد تكلم الناس في أبي الخطاب ونسبوه إلى التزيد في كلامه مع ما كان يعانيه من الوقوع في بعض العلماء وكان الملك الكامل مقبلا عليه فلما تبين له ذلك منه أعرض عنه وكان قدم مرة دمشق وسأل الصاحب صفي الدين بن شكر رحمه الله أن يجمع بينه وبين الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البحث في قول العرب لقيته من وراء وراء فقال ابن دحية لا يقال بالرفع بل بالنصب فقال تاج الدين أخطأت فسفه على الشيخ تاج الدين فقال له يا مدعي أنت تكتب وكتب ذو النسبين بين دحية والحسين ودحية بإجماع المحدثين ما أعقب فقد كذبت في نسبك، وحكى لي أنه قال للشيخ تاج الدين في محاورته أنا عندي كتب تسوي بغداد فقال الشيخ تاج الدين هذا محال ما في الدنيا كتب تسوي بغداد وإنما أنا عندي كتب جلودها تساوي رقبتك فخجل واستحسن الحاضرون هذا الجواب من الكندي وحكى أنه كان يدعي أن له بالمغرب أموالا عظيمة وأملاكا كثيرة وغير ذلك من عظم القدر والجاه والمال وذكر ذلك للملك الكامل فاستبعده فلما قدم أخوه أبو عمرو عثمان المذكور سأله الملك الكامل عن ذلك فذكر أنهم قوم فقراء لا يوبه لهم في تلك البلاد وليس لهم بها ذكر فاعجب الملك الكامل قوله ونبل في عينه وسقط أبو الخطاب من عينه وتحقق تزيده في الحديث والله أعلم.

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٢٤٣/١

محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عربي أبو عبد الله عماد الدين كان فاضلا سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي رحمه الله وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين من العمر رحمه الله.

محمد بن وثاب بن رافع أبو عبد الله تاج الدين النخيلي الحنفي كان فقيها عالما فاضلا حسن الشكل درس وافتن وناب في الحكم بدمشق وكان سديدا في أحكامه مشكور السيرة وتوفي بدمشق في شهر ربيع الآخر وهو في عشر السبعين رحمه الله.

مظفر بن عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الصافي بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن يعيش بن عبد العزيز بن سعد بن عبادة أبو منصور تاج الدين الأنصاري الخزرجي الدمشقي الحنبلي مولده في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثماني وخمسمائة بدمشق سمع من أبي طاهر الخشوعي وعمر بن طبرزد وحنبل وغيرهم وحدث وبيته معروف بالعلم والحديث وكانت وفاته بدمشق في ثالث صفر فجأة ودفن بجبل قاسيون رحمه الله.

أبو الفضل بن... الصحراوي الشاغوري كان من الصلحاء الأخيار العارفين ملازما للخير والعبادة وكان كثيرا ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام وكان منقطعا عن أرباب الدنيا مقيما في منزله بالشاغور ظاهر دمشق اجتمع بجماعة من أرباب الطريق وأخذ عنهم، زرته في منزله وكانت وفاته في جمادى الأولى بدمشق رحمه الله ونفعنا ببركته.

أبو محمد بن سلطان بن محمود كان رجلا صالحا عابدا منقطعا عن أرباب الدنيا عاكفا عن العبادة وإشغال الناس بالقرآن العزيز لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يذكر أحدا إلا بخير وكان عالما بما يحتاج إليه من أمر دينه سمع البخاري من ابن الزبيدي وسمع من الشيخ بهاء الدين أبي محمد عبد الرحمن المقدسي وغيره ولازم صحبة الشيخ إبراهيم بن جوهر البطائحي رحمه الله وانتفع به وصحب والده أيضا وكان من أصحاب والدي رحمه الله قرأ عليه وسمع منه **وكان والدي** يحبه ويكرمه لصلاحه ودينه ولأجل والده سلطان رحمه الله فإنه كان من الأولياء الأفراد، وكانت وفاة الشيخ أبي محمد المذكور ببعلبك في ليلة الخميس العشرين من شهر رمضان من هذه السنة ودفن بتربة الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله وهو في عشر السبعين وكان متقللا من الدنيا قانعا منها بالكفاف سالكا إنموذج السلف الصالح وتوفي ولم يشب رأسه ولحيته إلا شطرت يسيرة جدا مع كونه نيف على سبعين سنة.

السنة الثامنة والستون وستمائة

دخلت والخليفة والملوك على ما كانوا عليه والملك الظاهر بالصنمين عائدا من الحجاز الشريف.

متجددات هذه السنة

قد ذكرنا عود الملك الظاهر من الحجاز في السنة الخالية لساق الحديث بعضه بعضا فأغنى عن إعادته.." (١)

"عمر بن موسى بن عمر بن محمد بن جعفر أبو حفص محي الدين قاضي غزة وما جمع إليها. مولده سنة ثمان وست مائة، توفي بغزة ليلة الثلاثاء ثالث ذى الحجة، ونقل إلى القدس، ودفن به يوم الخميس خامسه بالمقبرة المعروفة بساهرة، الشمالي القدس رحمه الله تعالى. كان والده حاكما بغزة مدة سنين، وتولاها محي الدين، واضيف إليه عدة أماكن يستنيب فيها من جهته، وهي: لد، والرملة، وفاقون، وبيت جبرين وغيرها. سمع وحدث ودرس بالمدرسة الصلاحية بالقدس، وكان وافر الديانة، كثير الكرم، لا يكاد يمر بغزة أحد يعرفه إلا ويكارمه، ويضيفه حسبما يمكن، وهو مشهور بالشجاعة والاقدام، وقوة النفس، وله حرمة وافرة في الدولة وكلمة مسموعة، وكان نزها عفيفا حسن السيرة، وعنده تورع كثير. فمن ذلك أني سافرت مع أخي رحمه الله إلى الديار المصرية وأجزنا بالقدس في شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين وست مائة وهو بالقدس الشريف إذ ذاك. فنزلنا عنده؛ فلما كان وقت الفطر أحضر شيئا كثيرا من أنواع المأكول، ولم يكن فيه لحم، واعتذر عن ذلك بما معناه أن الشهرزورية لما مر في هذه البلاد في السنة الخالية نهبوا أغنام الناس ومواشيهم، ثم باعوا لأهل البلاد فاختلطت، وتعذر تمييز الحلال من الحرام في ذلك، فتركت اللحم لهذا السبب، وهذا غاية الورع، فقلت له: المولى قد قارب بفعله ما يروى عن أمير المؤمنين، لم نعهد لي بخيلا. فقال: ما أفعل هذا بخلا، لكنني منذ قتل عثمان رضي الله عنه ونهبت داره وما فيها لا آكل شيئا إلا أتحقق حله، وأعلم أصله أو ما هذا معناه. وكان القاضي محي الدين المشار إليه من أصحاب والدي رحمه الله. سمع عليه الكثير ولازمه لما نزل دمشق في أواخر سنة خمس وخمسين، **وكان والدي** يكرمه ويحبه ويثني عليه. وكان أهلا لذلك، وحضر عدة مصافات مع الفرنج وحصارات لبلادهم، وله المواقف المشهورة والآثار المذكورة في ذلك رحمه الله تعالى. حكى لي أخي رحمه الله عنه ما معناه، قال: لما قصد الفرنج غزة، جهز إليهم الملك الصالح نجم الدين عسكرا، مقدمه ركن الدين بيبرس الصالحي، وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم، ثم بلغه أنهم في كثرة لا يقاومهم العسكر المسير إليهم، فكتب

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٣٢١/١

بطاقة إلى ركن الدين مقدم العسكر يأمره بالتأخر، وأنه لا يلقاهم بمن معه إلى حين يصله مدد يقوى به عليهم، وحضر الفرنج، وركب الأمير ركن الدين ومن معه لملتقاهم، ووقف العين في العين، وبقي بين العسكرين مقدار شوط فرس، فحضرت البطاقة إلى ركن الدين في ذلك الوقت، وأنا إلى جانبه فقال لي: تقف على هذه البطاقة وتعرفني مضمونها، فلما وقعت عليها، قلت في نفسي: متى عرفته اندفع، وطمعوا فيه وفيمن معه، والكذب في مثل هذا الموطن فيه مصالح، فقلت له: مضمونها، أنك تجتهد وتفعل ما تصل قدرتك إليه، ولا يهولك كثرتهم. وقلة من معك. وأنتم بين الظفر والجنة، وقلت ما أمكنني في هذا المعنى، فقوى قلبه والتقاهم، وكسرهم الكسرة المشهورة، بحيث أتى على معظمهم قتلا وأسرا، فقتلوا عن آخرهم، وكانوا الوفا كثيرة فلما انقضى المصاف، هنأته بالنصر، وقلت: لو كان في البطاقة أنك تتأخر عنهم بعد وقوع العين، قال: كنت أتأخر، فأخرجت البطاقة، وقرأتها عليه، فوجم وقال: ما كان يؤمنك والعياذ بالله إن هم كسرونا أين كنت تروح من السلطان؟ قلت: والله والعياذ بالله إن هم كسرونا ما كان يراني السلطان ولا غيره يعني أنني كنت أقتل. وهذا ركن الدين هو أستاذ الأمير عز الدين سم الموت، وعلاء الدين ايدغدى الأعمى، وبيدغان، وقلاجا، وعدة أمراء أكابر رحمهم الله تعالى.

محمد بن أيوب بن أبي رحلة أبو عبد الله شمس الدين الحمصي مولدا ومسكنا، البعلبكي وفاة. كان يحضر بالأشياء اللطيفة، والأشعار الحسنة. قال أخي رحمه الله: أنشدني المشار إليه يوم الجمعة ثالث وعشرين شهر شوال سنة تسع وسبعين وست مائة ببعلبك:

والدهر كالطيف بؤساه وأنعمه ... عن غير قصد فلا تحمد ولا تلم

لا تسأل الدهر في البأساء يكشفها ... فلو سألت دوام البؤس لم يدم

توفى بكرة السبت تاسع وعشرين ذى القعدة من هذه السنة، ودفن من يومه خارج باب القفاعة في مقبرة برتيا رحمه الله.." (١)

" رحمته إياهم قالت يا رسول الله فمن كان له فرط واحد قال ومن كان له فرط واحد يا موفقة قالت ومن لم يكن له فرط قال فأنا فرط أمتي لم يصابو بمثلي

فإذا **كان الوالدن** إنما يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته للولد فكيف يكون رحمته للولد

عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المسلمين أين هم يوم القيامة قال في الجنة يا عائشة وسألت عن أولاد المشركين فقال في النار يا عائشة قلت لم يدركوا

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٢٨/٢

الأعمال يا رسول الله ولم تجر عليهم الأقلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربك أعلم بما كانوا عاملين

عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن السقط ليراغم ربه عز و جل إذا إذا أدخل أبويه النار فيقال له أيها السقط المراغم ربه قد أدخل أبويك الجنة فيقول لا حتى يجرهما بسرره

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوخ عقلا يا رب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد مني ويقول الهالك في الفترة يا رب لو أتاني منك عهد ما كان

". (١)

" ولا يتصرف في حرف واحد فتقدم إليه بذلك

وكان موت سديد الدولة ابن الأنباري في ذي الحجة من السنة ذكر ما تجدد للملك الناصر صلاح الدين بمصر والشام وغيرهما من البلاد من الفتوحات والغزوات في هذه السنة

ودخلت هذه السنة والسلطان نازل على آمد محاصر لها مضايق على أهلها وكان قد نصب عليها مجانيق عدة وستائر ومنع الناس من أن يبدءوا بقتل رجل من المسلمين وكان غرضه أن يستأمنوا فداخلهم الطمع حتى أحرقوا بعض الستائر فنازلهم السلطان ذات يوم بنفسه **وكان والدي** في ذلك اليوم قد هجم على كل من كان قد طلع منهم فردهم على أعقابهم وهجم الناس في إثره بالسلاليم فصعد فيها الرجال وملكوا بين السورين وشرعوا في النقب ومسعود بن أبي علي بن نيسان يحرض أصحابه على القتال ورمى الناس بالقوارير فلما رأى السلطان ذلك أمر الناس بالمنازلة وحرضهم على القتال وأمر بعض أصحابه أن يكتب فصولا على عيدان النشاب بالإرهاب لمن بآمد من العوام يتوعدهم فيها تارة ويعدهم أخرى ففترت عنه مساعدة أهل المدينة وخافوا على أنفسهم وكان مسعود بن نيسان فيما بينهم مذموم السيرة فتقاصروا عن الاستطالة

". (٢)

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ٣١٢/١

(٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص/١٣٦

" لضبط الأمور وسياسة الجمهور والجلوس في نوبتيه لتولي مصالح الرعية ووظائف السماط والعمل في كل مهم وتنفيذ ما يخرج من المراسيم السلطانية وسماع مراسلة الجوانب وغير ذلك

واتصلت بنا الأخبار إلى مصر والكتب من عنده بمرضه **وكان والدي** الملك المظفر حينئذ بها ومتوليا على ممالكها ثم تواترت إلينا كتبه بعافيته وركوبه فسررنا بما من الله به تعالى على الإسلام وأهله بعافيته ذكر من توفي في هذه السنة من الأماثل وغيرهم ممن نذكره

فيها توفيت عصمة الدين ابنة معين الدين أنر وكانت في عصمة نور الدين محمود بن زنكي فلما توفي وخلفه السلطان بالشام في حفظ البلاد ونصرة الإسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكانت من النساء العفائف ذات معروف وصدقة وصلاح

وفيها توفي سعد الدين مسعود بن أنر رضي الله عنه

وفيها توفي عز الدين جاولي وكان من أكابر الأمراء

وفيها قتل قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سماقة وزير قرا أرسلان قتل بآمد قتله مماليك مخدومه وذلك أنه كان قد تمكن واستولى على ما كان

". [1]

"– صلى الله عليه وسلم – : " فارتجعه " (١) .

... ومن هذا كله ، حذر الله تعالى من فتنة الأولاد وجعلها كفتنة المال : ﴿ واعلموا أنما أموالكم و أولادكم فتنة ﴾ (٢) أي لما يتعرض له الإنسان من فتنة بسببهما .

... وحتى تتحقق الغاية السامية من الإنجاب **كان الوالدان** مطالبين بتربية أولادهم وتأديبهم على نحو ما مر حتى ينشأوا صالحين ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ (٣) و﴿أجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ عن النعمان بن بشير . ونحل : أعطى .

(٢) سورة الأنفال (الآية ٢٨) .

(٣) سورة الصافات (الآية ١٠٠) .." [2]

---

(١) مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص/٢٢٧

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١٣٨٠١

"ذهبت لمنطقة الجابية للاستفسار وللوقوف على حقيقة الإفادة ، و سألت السيد الحلقي فأجابني بالنفي وعدم صحة ذلك .

رجعت إلى ابن العم ثانية ، فأكد لي الخبر.

ربما الحلقي أخفى الحنت زعما منه أنه دليل وشاهد على ملكية المكان لابن لكود ، وربما ينشأ من جراء ذلك خلاف ونزاع .

وفي يوم ٤ نيسان ١٩٩٦م أخبرني عدنان بن عبد المجيد اللكود وهو من مواليد ١٩٣٦م ما يلي :

في يوم بحدود سنة الحرب العالمية الثانية ، وأتذكر ذلك تماما ، لأن الناس كانت تستمع لأخبار ألمانيا ، وكانت فرنسا لا تزال مستعمرة لسورية ، **وكان والدي** يعمل إمام وخطيب الجامع في جاسم ،كنت مع والدي بضيافة مختار جاسم في تلك الفترة واسمه علي الحجي وموقع داره غربي الجامع القديم بآخر المنحدر ، فيها مضافة لها باب على الطريق وإلى جانبه درج من حجر ينزل إلى ساحة الدار ، و المضافة مبنية فوق بايكة وكان استخدام هذه البايكة قديما مضافة للزوار وأحضرت أحجارها من منطقة الجابية ، وكان يدور الحديث بين والدي والمختار عن حنت موجود فوق باب المضافة القديمة والأحجار الأثرية التي بنيت المضافة منها بدليل النقوش والرسوم على بعض تلك الأحجار ، وشاهدت المختار وهو يشير بإصبعه إلى الحنت مؤكدا لوالدي وجود اسم (منزول حسين الكود وتاريخ الكتابة) وتقديري لطول الحنت هو من(١,٥م–٢م) وارتفاعه ٤٠سم وتجويف الكتابة بمقدار محيط قلم الرصاص .

والآن أزيلت هذه المضافة بسبب إحداث شارع مكانها ، وأصحاب هذه الدار جيران للحاج أحمد المحمد الحوراني٢–.

وفي صباح اليوم التالي ٥نيسان١٩٩٦م توجهت إلى ساحة جاسم قاصدا منطقة الجابية من أجل تصوير المنطقة والتلين الموجودين فيها ، استأجرت لذلك سيارة المواطن من عائلة السهو ، وأثناء." [1]

"ولكن الخبر الذي أفادنا به العلامة أحمد وصفي زكريا حيث قال في معرض الحديث عن سبب وفاة الأمير محمد بن حسن الفضل رحمه الله :" فأشار على ضاربه بالابتعاد فورا قبل أن يسمع أعراب الفضل فيثأروا منه ، فكان ما أراد .

هنا الامتثال لرغبة الأمير محمد الفضل وهو على فراش الموت ، حيث أشار عليهم بالابتعاد ، هو سبب مقنع من أجل حقن الدماء وعدم إراقتها في لحظة غضب ، والله أعلم.

---

(١) لكود القشعم، ٦٣/١

الشخصيات البارزة التي توسطت للصلح بين أهل الحارة وآل لكود :

١-إسماعيل الترك الحريري من الشيخ مسكين .

٢-عبد الغني زين العابدين أبو حمزة من تسيل.

٣-فارس الزعبي من دير البخت١- .

٤-أبو رومية من دير العدس.

وكل واحد من هؤلاء كان زعيم بلده .

أفادني العم طه بن محمد بن فرحان لكود :

"**كان والدي** يكنى بأبي منهل وكان أخي منهل حديث الولادة أثناء هذه الفتنة ، ومواليد أخي منهل سنة١٩٠٢ م ."

وهذه الإفادة توافق الإفادة التي تقول أن عايد الحمد رضع مع محمد اليوسف الذي هو من دير العدس أثناء غيابهم عن القرية بسبب الفتنة ، ومواليد عايد سنة ١٩٠٠م .

-تزوجت وزنة بنت فرحان لكود ، من موسى الترك الحريري ، وحالفني الحظ أن زرتها بصحبة أختي فاطمة ، وكانت تقيم في الشيخ مسكين ، بدار عربية فيها غرفة كبيرة طابق ثاني ذات قنطرتين شهدتا ماضيا عريقا ، وكان عمري بحدود ثلاثة عشر عاما ، كان زوجها متوفيا ، وهي امرأة طاعنة بالسن ، ذات هيبة وجمال ، وحين شاهدتنا لحظة زيارتنا لها ، اغرورقت عيناها بدموع الفرحة وقامت لتوها وذبحت لنا ديك دجاج ، وكان سبب زيارتنا لها ، هو : دعوتها إلى حفلة زفاف أخي عدنان من قبل والدي عبد المجيد حيث أنها أخته بالرضاع ولها شأن عظيم عنده .رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنانه .

-عميشية حوران و الجيدور :

إن أعمال القتل والسلب والنهب التي مارسها البدو والاعتداء على الزرع والمواشي ، أقلقت راحة سكان قرى حوران و الجيدور زمنا طويلا .." (١)

"وكما قالت لنا والدتي عن والدي :" أن لنا في قرية الحارة دارا للسكن ويوجد لنا طاحونة حبوب على الحدود بين الحارة ونبع الصخر ."

سألت ابن العم محمد : كم عمر والدتك ؟ . فقال : هي من مواليد سنة ١٩١٥م .

وقال ابن العم محمد :"كانت والدتي أمية وخبرتها في الحياة قليلة ، كمثيلاتها من أهل البادية ، ويوجد

---

(١) لكود القشعم، ١٠١/١

وشم على ذقنها . وبعد وفاة والدي ذهبنا إلى حماه ، ودخلت في مدرسة الأيتام ، وواظبت في المدرسة حتى الصف الخامس ، وصرت أشتغل حتى صار عمري عشرين سنة فذهبت إلى حلب وتعلمت قيادة السيارة وامتهنت عمل سائق بالأجرة حتى يومنا هذا ، بقينا مكتومي النسب وسجلت أختاي على أسماء أزواجهما، وسجلت أنا محمد بن عبد الكريم عبد الكريم ، وسبب لنا ذلك متاعبا كثيرة ."

سألت ابن العم محمد : ألم تقل لكم والدتك ما اسم أبيك ؟ .

فقال : **كان والدي** يتكتم على اسمه إلى ما قبل وفاته بزمن قليل ، وصرح أنه عوض ، ووالدتي غشيمة ، لم تحسب لأبعاد هذا التكتم وما سيسبب لأبنائها من إشكال في المجتمع المدني ، وكل فكرها أنه مثل البادية لا إشكال في ذلك ، ونحن ثلاثة ، صبي وثلاث بنات :

الولد البكر هي : نزهة من مواليد سنة ١٩٢٩م تزوجت مصطفى البيطار من عشيرة النعيم ، أي من أقرباء والدتها .

الولد الثاني : محمد مسجل في الأحوال المدنية بن عبد الكريم عبد الكريم والدته مريم خانة سنيدرة ٣٨ عنوان المختار حلب باب النيرب سخانة تاريخ التسجيل ١٩٥٥\٣\٢٨م تاريخ المنح ١٩٨٢\٤\٢٥م أمين سجل سلمية هوية رقم ٠٢٦٢١٧١\٠٢٠٧٢٧١ ومكان الإقامة الحالي هو حلب حي هنانو بالقرب من مخبز الدولة ، وهو من مواليد حماه سنة ١٩٣٦م تزوج فاطمة بنت حسين شواخ وهي من مواليد حلب سنة ١٩٤٠م وأنجبت منه : مها من مواليد حلب سنة ١٩٨٤م ، ومريم من مواليد حلب سنة ١٩٨٧م ، وعز الدين من مواليد حلب سنة ١٩٨٩م .." (١)

" وأما الوجه الثاني ، فإن الإقدام على قتل النفس أمر كبير ينبغي للملك وغيره التحرز منه والتحري فيه ، والتجاوز عن القتل إلى غيره من : الحبس ، والنفي ، والإرداع وغير ذلك . ولما خرج [الملك] الناصر إلى البلاد الشامية في سنة أربعة عشر وثمانمائة – **وكان الوالد** يوم ذاك النائبا على دمشق وهو متوعك في مرض موته – وتقدم جاليش الملك الناصر من الأمراء إلى الشام أمامه ، ودخل الجاليش [المذكور إلى دمشق] قبل السلطان ، وسلم الأمراء على الوالد ، وأعلموه بالخروج على الناصر ؛ فنهاهم عن ذلك في الباطن ؛ فلم ينتهوا ، وتوجهوا بتمامهم إلى شيخ ونوروز ؛ فعند ذلك أخذ أمر الناصر في انحطاط ، وعظم أمر الأمراء ، وتكاثر عددهم حتى جاوز عدة من كان مع نوروز وشيخ زيادة على عشرين مقدم [ألف] . كل واحد [منهم] يقول في نفسه : أنه أعظم من شيخ ونوروز ، وأن الأمر لا يصير إلا

---

(١) لكود القشعم، ١٦٠/١

إليه ، مثل : بكتمر جلق نائب الشام ، وسيدي الكبير قرقماس ، وسودون المحمدي ، وشاهين الأفرم أمير سلاح ، وطوغان الحسنى الدوادار الكبير في آخرين . ودخل [الملك] الناصر إلى دمشق ، ودخل للوالد غير مرة يعوده ؛ فنهاه الوالد عن ملاقاتهم وقتالهم ؛ فلم ينته ، ولا اكترث بمن تسحب من عسكره . وخرج لقتالهم ؛ فجبن الجميع عن مصافته وقتاله ، وصاروا ينتقلون من بلد إلى أخرى ، وهو في إثرهم سوقا ، وعساكره متقطعة خلفه ، إلى أن وافاهم وقت العصر من يوم الأثنين ثالث عشر محرم سنة خمسة عشر وثمانمائة باللجون ، وهو سكران لا يعي من شدة السكر .

". (١)

" وتسعين وألف قصد التوجه لبلاد الروم فارتحل الى القسطنطينية فأقبل عليه الناس واخذوا عنه الطريق فأقام بها خمس سنين واخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق اقطاعا بمال يدفعه للخزينة الاميرية في كل سنة وهو الآن المعروف بالمالكانات ومن آثاره بدمشق المدرسة المعروفة به وكانت قبل ذلك خانا يسكنه اهل الفسق والفجور وشرط في كتاب وقفه انه لا يسكنها امرد ولا متزوج ولا شارب للتتن وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد كذلك هناك وله من التآليف المفردات القرآنية في مجلدين تفسير للآيات وجعله بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية وتحريرات ومكاتبات وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف في القسطنطينية ودفن في المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا انتهى ملخصا الزاوية الخلوتية

رأيت بخط خليل افندي المرادي اثناء ترجمته لمنصور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي الخلوتي ما صورته

ان الشيخ منصور المذكور اختلى على عادة مشايخ الطرائق ولزمه جماعة واخذوا عنه واقبل عليه الناس واشتهر واستقام بدمشق بعياله قدر عشرين سنة قال **وكان والدي** اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الاموي وأوقفه على المترجم وبعده على من يصيرخليفة بعده من المشايخ البكرية الخلوتية وكان القاضي بالحكم سليمان بن احمد الخطيب المحاسني الحنفي

وحكى المرادي ما خلاصته ان الشيخ المذكور كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف بسرمين ونشأ بحلب وطلب العلم وقرأ على اساتذة زمنه في حلب ومصر واخذ الطريق عن الشيخ مصطفى البكري

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ٢/١٢٩

وألف رسالة في البسملة سماها كشف الستور المسدلة عن ألف وجه من أسرار البسملة وكشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور

". [1]

"وعسكرية على لبنان، وختم حديثه يطلب النصيحة من" دولة الأخ أحمد، الذي يعرف مصاعب لبنان، وتذكرون أن الرئيس السابق الشيخ بشارة الخوري كان عرض عليكم الجنسية اللبنانية الفخرية لخدماتكم للبنان " قلت للرئيس حلو : أشكركم على هذه التحية .. ورحم الله الشيخ بشارة الخوري فقد اعتذرت إليه عن قبول الجنسية الفخرية، فأنا مواطن لبناني قانونا ذلك لأني ولدت في قلعة تبنين (لبنان حيث **كان والدي** رحمة الله معتقلا في زمن الدولة العثمانية) (١) .

قال الرئيس حلو : وإني أطلب نصيحتك كمواطن لبناني، هل أعرض الأمر على مجلس الملوك والرؤساء .. إن الموضوع خطير ..وأنت تعرف ملابساته في لبنان .. إن تحويل الروافد يتطلب حماية عسكرية ، والجيش اللبناني لا يستطيع النهوض بهذا الواجب .. ومن الصعب اقناع البرلمان اللبناني بالموافقة على دخول جيوش أخرى .

قلت : لست أكتم الرئيس الحلو إني غير مؤمن بموضوع تحويل الروافد .. وإن كان هذا الموضوع الذي اجتمع من أجله مؤتمر القمة العربي في القاهرة .. فإذا كانت الدول العربية قادرة على حماية مشروع تحويل الروافد عسكريا، فالأجدر أن يحموا حدودهم، وأن يطلقوا الشعب الفلسطيني إلى المعركة لتحرير وطنه.

قال الرئيس حلو : وماذا تنصح بالنسبة إلى لبنان.

قلت : ليس عندي إلا نصيحة جحا.

قال : وما هي نصيحة جحا ..

قلت يقول جحا : " اللي طلع الحمار على المأذنة يقدر ينزله "

---

(١) مصدر سابق، أربعون عاما.." [2]

---

(١) منادمة الأطلال، ص/٢٦٥

(٢) من القمة إلى الهزيمة .. مع الملوك والرؤساء، ص/١٤٩

" الصمان وقعت في الوكف وهو منحدرك إذا خلفت الصمان وقال جرير ساروا إليك من السهبا ودونهم فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

وكف الرماء في الأصل أصل الجبل خرج قوم من هذيل إلى بني الديش فالتجؤوا إلى أصل جبل فنزلوا فيه وترامو فسمي وكف الرماء إلى الساعة

الوكيع أرض لطيء فيها روضة ذكرت في الرياض وشاهدها والله أعلم

باب الواو واللام وما يليهما

ولاستجرد السين مهملة وتاء مثناة من فوقها وجيم مكسورة قال مسعر وسرنا من دستجرد إلى قرية أخرى يقال لها ولاستجرد ذات العيون يقال إن فيها ألف عين يجتمع ماؤها إلى نهر واحد ومنها إلى قصر اللصوص من نواحي همذان وقال أبو نصر منها أبو عمر عبد الواحد بن محمد وكان مقيما بقصر كنكور فسألته عن مولده فقال في سنة ٤٤٠ بولاستجرد من أعمال همذان **وكان والدي** من أصبهان ورحلت إلى بغداد لطلب الحديث فكتبت بخطي أزيد من مائة جزء عن ابن المسلم وجابر بن ياسين وأبي بكر بن الخطيب وابن المهندس وابن المنقور وعلقت على أبي إسحاق الشيرازي مسائل في الخلاف ثم تفقهت عن أبي الفضل بن زيرك وأبي منصور العجلي بهمذان وكتبت بها عن أبي الفضل بن زيرك القومساني ونظرائه

ولاشجرد بسكون الشين المعجمة وكسر الجيم وراء ساكنة ودال مهملة كذا ذكره السمعاني في قصر كنكور مدينة بين همذان وكرمان شاهان منها أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عمر بن هارون الولاشجردي الفقيه سمع أبا الحسين بن الغريق الهاشمي وأبا محمد بن هزار مرد الصريفيني وابن المسلم وأبا الفضل محمد بن عثمان القومساني وغيرهم ومات سنة ٥٠٢ ومولده سنة ٤٤٠ بتبريز قال السلفي بولاية ولاشجرد من همذان

وولاشجرد موضع بنواحي بلخ كانت فيه غزوة للمسلمين وهي ثغر

وولاشجرد وربما قالوا ولاشكرد من نواحي كرمان

وولاشجرد من نواحي أخلاط

الولجة بأرض كسكر موضع مما يلي البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم ذكره في الفتوح في صفر سنة ٢١ وقال القعقاع بن عمرو ولم أر قوما مثل قوم رأيتهم على ولجات البر أحمى وأنجبا وأقتل للرواس في كل مجمع إذا صعصع الدهر الجموع وكبكبا والولجة ناحية بالمغرب من أعمال تاهرت

نسب إليها السلفي أبا محمد عبد الله بن منصور التاهرتي قال وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من الحديث كثيرا سنة ٧٢٥ ورجع إلى المغرب وروى بها ومات سنة ٣٥٥

والولجة موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات

ولعان بفتح أوله وكسر ثانيه والعين مهملة وآخره نون علم مرتجل لموضع قرب آرة من أرض تهامة قال بعضهم ." (١)

"قريبا من خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين و أشار فيها إلى الفاطمي و غيره و الظاهر أنها مصنوعة و من الملاحم بالمغرب أيضا ملعبة من الشعر الزجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها أحكام القرانات لعصره العلويين و النحسين و غيرهما و ذكر ميتته قتيلا بفاس و كان كذلك فيما زعموه و أوله:

في صبغ ذا الأزرق لشرفه خيارا فافهموا يا قوم هذي الاشارا

نجم زحل اخبر بذي العلاما و بدل الشكلا و هي سلاما

شاشية زرقا بدل العماما و شاش أزرق بدل الغرارا

يقول في آخره

قد تم ذا التجنيس لإنسان يهودي يصلب في بلدة فاس في يوم عيد

حتى يجيه الناس من البوادي و قتله يا قوم على الفراد

و أبياته نحو الخمسمائة و هي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين و من ملاحم المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان دولة بني أبي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الأبار. و قال لي قاضي قسنطينية الخطيب الكبير أبو علي بن باديس و كان بصيرا بما يقوله و له قدم في التنجيم فقال لي: أن هذا ابن الأبار ليس هو الحافظ الأندلسي الكاتب مقتول المستنصر و إنما هو رجل خياط من أهلي تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ و **كان والدي** رحمه الله تعالى ينشد هذه الأبيات من هذه الملحمة و بقي بعضها في حفظي مطلعها:

عذيري من زمن قلب يغز ببارقه الأشنب

و منها.

---

(١) معجم البلدان، ٣٨٣/٥

و يبعث من جيشه قائدا و يبقى هناك على مرقب
فتأتي إلى الشيخ أخباره فيقبل كالجمل الأجرب
و يظهر من عدله سيرة و تلك سياسة مستجلب
و منها في ذكر أحوال تونس على العموم.
فأما رأيت الرسوم امحت و لم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس وودع معالمها و اذهب
فسوف تكون بها فتنة تضيف البريء إلى المذنب
و وقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حفص هؤلاء بتونس
فيها بعد السلطات أبي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده
يقول فيها:." (١)

"فتحرك ابن زهير و قال أنت تقول هذا ؟ قال: اختبر ! قال: و من تكون فعرفة، فقال ارتفع فوالله ما عرفتك، قال ابن سعيد و سابق الحلبة الذي أدرك هؤلاء أبو بكر بن زهير و قد شرقت موشحاته و غربت، قال: و سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع و أرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت أقول:

ما للموله من سكره لا يفيق. يا له سكران. من غير خمر. ما للكئيب المشوق. يندب الأوطان.
هل تستعاد. أيامنا بالخليج. و ليالينا
أو نستفاد. من النسيم الأريج. مسك دارينا
أو هل يكاد. حسن المكان البهيج. أن يحيينا ؟
روض أظله. دوح عليه أنيق. مورق الأفنان. و الماء يجري. و عائم و غريق. من جنى الريحان
و اشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله:
يفوق سهمه كل حين بما شئت من يد و عين
و ينشد في القصيد:
خلقت مليح علمت رامي فليس تخل ساع من قتال
و تعمل بذي العينين متاعي ما تعمل يدي بالنبال

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٤٥٩/١

و اشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس، قال ابن سعيد، و لما سمع ابن زهر قوله:

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حمص على تلك المروج

ثم انعطفنا على فم الخليج نفض في حانه مسك الختام

عن عسجد زانه صافي المدام و رداء الأصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهر: أين كنا نحن عن هذا الرداء و كان معه في بلده مطرف. أخبر ابن سعيد عن والده أن مطرفا هذا دخل على ابن الفرس فقام له و أكرمه، فقال: لا تفغل ! فقال ابن الفرس: كيف لا أقوم لمن يقول:

قلوب تصاب بألحاظ تصيب فقل كيف تبقى بلا وجد

و بعد هذا ابن خزمون بمرسية. ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون: لا يكون الموشح بموشح حتى يكون عاريا غن التكلف، قال على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولي:

يا هاجري هل إلى الوصال منك سبيل

أو هل ترى عن هواك سالي قلب العليل

و أبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. قال ابن سعيد **كان والدي** يعجب بقوله:." (١)

"قال: ومرض أياما، فلم يترك شيئا مما كان يعمله من الأوراد، حتى كانت وفاته، وقت السحر في ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول، فغسل بالدير، وحمل إلى مقبرته في خلق كثير، لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته، وكان يوما مشهودا، وكان الحر شديدا، فأظلت الناس سحابة من الحر كان يسمع منها كدوى النحل، وكاد الناس ينتهبون أكفانه، وقد رثاه الشعراء بمرات حسنة ورئيت له منامات صالحه رحمه الله (١) وكان آخر كلامه "إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (البقرة، آية: ١٣٢) (٢) وكان يقول: لا علم إلا ما دخل مع صاحبه القبر ويقول: إذا لم تتصدقوا لا يتصدق عنكم، وإذا لم تعطوا السائل أنتم أعطاه غيركم (٣) وكان إذا خطب ترق القلوب وتبكي الناس بكاء كثيرا، وكانت له هيبة عظيمة في القلوب، وأحتاج الناس إلى مطر سنة فطلع إلى مغارة الدم ومعه نساء من محارمه، واستسقى ودعا، فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة (٤) وقال عبد الله بن النحاس: **كان والدي** يحب الشيخ أبا عمر، فقال لي يوم جمعة: أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ، ومذهبي أن "بسم الله الرحمن الرحيم" من الفاتحة، ومذهبه،

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٦١/٢

أنها ليست من الفاتحة، فمضينا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ، فسلم على والدي وعانقه وقال: يا أخي صل وأنت طيب القلب، فإنني ما تركتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في فريضة ولا نافلة مذ أممت بالناس (٥).

(١) البداية والنهاية (١٧/ ٢٤).

(٢) شذرات الذهب (٧/ ٥٣).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٥٣).

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٥٤) س.

(٥) المصدر نفسه (٧/ ٥٤).." (١)

"ح ـ الأساس الرابع: مسح رأس الطفل:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به وعن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة (١).

خ ـ الأساس الخامس ـ حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيبا استطاع الطفل متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه وما يدور في خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة (٢)، وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر، فسبق بي إليه، فحملني بين يديه ثم جئ بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة (٣).

س ـ الأساس السادس ـ تفقد حال الطفل والسؤال عنه:

كثيرا ما يمشي الطفل وحده فيضل الطريق ويتيه في الشارع، فإذا **كان الوالدان** مهتمين بحال الطفل تنبها سريعا لشروده، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن والعكس بالعكس وهذه السرعة تلعب دورا كبيرا في نفس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٢٠٠

تأخر وصول أحد والديه إليه لهذا سارع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين (٤)، فقد روى

---

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٣٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٥٨.

(٣) مسلم رقم ٢٤٢٨، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٨٦.." [1]

"بقتل أحد غير ابن الحواري فقط. ثم قال له: الخليفة أيده الله يقول: سلمت إليك قوما بمال ضمنته لي، فإما وفيتني المال أو رددت علي القوم. فاضطرب ابن الفرات من هذا القول وقال: أما المال فصح في بيت المال، وأما الرجال فماتوا

حتف أنفهم، فقال له مؤنس: هب لك عذرا في كل شيء، أي عذر لك في إخراجي إلى الرقة حتى كأني من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين؟ قال: فأنا أخرجتك؟! فقال: فمن؟ قال: مولاك. في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي: ما يحتفظ به من المهمات رقعة بخط الخليفة، أطال الله بقاءه، إلي يشكو فيها أفعالك وقتا بعد وقت، وفتحك البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج. فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحه فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكي من مضمونها. فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها، فاغتاظ المقتدر بالله علي ابن الفرات، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط، فعاد وأقامه بين الهنبازين وضربه خمس درر وقال له: أذعن يا هذا بالمال، فكتب له خطه بعشرين ألف دينار. وأخرج المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يعف بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال: هؤلاء قوم قد استقتلوا وما ينقادون ولا يذعنون. فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما. فأوقع نازوك المكاره بالمحسن حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب. وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يعط شيئا، ولا صح للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقر بها الحسن بن شبيب العتي تبرعا، وواجه المحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال: هذا مال اجتمع من الوقف الذي **كان والدي** أسنده إلي وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويفرق في أهله. ومنها ألف

---

(١) أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي محمد الصلابي ص/٦٦

دينار اجتمعت من ثمن فرش وثياب صحاح ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش. وأقرت بها دنانير ورهبان جاريتا زوجة المحسن، فإنهما كانتا ممن قبض عليهما وضربهما ابن بعد شر ضربا مبرحا فلم تقرا بغير ذلك. واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له: أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي؟ فقال: لم أترك تدبير أمرهما، ولما رأيا أن قد سلما إلى أصحاب السيوف وعدل بهما عن الكتاب خافا القتل وضنا بأموالهما. وقال نازوك: قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية، وللمحسن أيام لم يطعم فيها طعاما، وإنما يشرب الماء شربا قليلا، وهو في أكثر أوقاته مغشي عليه. فقال المقتدر بالله: إذا كان الأمر على ذلك فليحملا إلى داري. فقال مؤنس والجماعة: الأمر لمولانا. وقال الخاقاني: قد وفق الله رأي أمير المؤمنين. وخرجوا من بين يديه. فقال الخاقاني لهم: ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حمل وابنه إلى داره ورفها وأمنا على نفوسهما أديا مالا كثيرا. ولعلهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر. وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نقل ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة خلعوا الطاعة، وأن يثبتوا على هذا القول ثبات التظافر وقوة العزيمة، وإلا فإن حصل ابن الفرات عند السلطان وأدى ماله وتوثق لنفسه ضمن الجاعة منه، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه. فقال مؤنس: هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسنا ولم يصف عيشنا. وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحجرية وموافقتهم على ذلك. وقام يلبق باستحلاف قواد مؤنس. فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقتدر بالله وقالوا: إن لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء كلهم الطاعة. فقال لهم: دعوني حتى أفكر. وجد هارون بن غريب خاصة. وأرادت الجماعة من الخاقاني التجريد في ذلك فقال: ما أدخل في دم. والذي أشرت به أن يمنع من حمله إلى دار السلطان. فأما قتله فإنه خطأ؛ لأنه متى سهل القتل على الملوك ضروا عليه، ولم يميزوا فيه. وقدم إلى ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال: أنا صائم. وحضر وقت الإفطار فأعيد إليه فقال: لست أفطر الليلة. واجتهد به فلم يفعل وقال: أنا مقتول في غد لا محالة. فقيل له: نعيذك بالله. فقال: بلى، رأيت البارحة في النوم أبا العباس أخي وقال لي: أنت تفطر عندنا يوم الاثنين الذي هو غد. وما قال لي في النوم شيئا إلا صح، وغد يوم الاثنين، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن صلوات الله عليه. أنفهم، فقال له مؤنس: هب لك عذرا في كل شيء، أي عذر لك في إخراجي إلى الرقة حتى كأني من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين؟ قال: فأنا أخرجتك؟! فقال: فمن؟ قال: مولاك. في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي: ما يحتفظ به من المهمات رقعة بخط الخليفة، أطال الله بقاءه، إلي يشكو فيها أفعالك

وقتا بعد وقت، وفتحك البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج. فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحه فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكي من مضمونها. فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها، فاغتاظ المقتدر بالله علي ابن الفرات، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط، فعاد وأقامه بين الهنبازين وضربه خمس درر وقال له: أذعن يا هذا بالمال، فكتب له خطه بعشرين ألف دينار. وأخرج المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يعف بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال: هؤلاء قوم قد استقتلوا وما ينقادون ولا يذعنون. فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما. فأوقع." (١)

"نازوك المكاره بالمحسن حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب. وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يعط شيئا، ولا صح للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقر بها الحسن بن شبيب العتي تبرعا، وواجه المحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال: هذا مال اجتمع من الوقف الذي كان والدي أسنده إلي وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويفرق في أهله. ومنها ألف دينار اجتمعت من ثمن فرش وثياب صحاح ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش. وأقرت بها دنانير ورهبان جاريتا زوجة المحسن، فإنهما كانتا ممن قبض عليهما وضربهما ابن بعد شر ضربا مبرحا فلم تقرا بغير ذلك. واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له: أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي؟ فقال: لم أترك تدبير أمرهما، ولما رأيا أن قد سلما إلى أصحاب السيوف وعدل بهما عن الكتاب خافا القتل وضنا بأموالهما. وقال نازوك: قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية، وللمحسن أيام لم يطعم فيها طعاما، وإنما يشرب الماء شربا قليلا، وهو في أكثر أوقاته مغشي عليه. فقال المقتدر بالله: إذا كان الأمر على ذلك فليحملا إلى داري. فقال مؤنس والجماعة: الأمر لمولانا. وقال الخاقاني: قد وفق الله رأي أمير المؤمنين. وخرجوا من بين يديه. فقال الخاقاني لهم: ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حمل وابنه إلى داره ورفها وأمنا على نفوسهما أديا مالا كثيرا. ولعلهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر. وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نقل ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة." (٢)

---

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء الصابئ، هلال بن المحسن ص/٦٨

(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء الصابئ، هلال بن المحسن ص/٦٩

"باب الفاء واللام

٣٠٧٩- الفلخارى

هذه قرية بين مروالروذ و لانج ديه [١] ، وهي قرية معروفة، خرج منها من الأئمة أستاذنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن على بن عطاء الفلخارى، المعروف بالمروروذى، سكن مرو، وتفقه على الإمام الحسن البيهقي صاحب القاضي الحسين،/ وكان والدي أوصى إليه بأولاده وأطفاله، وكان يقوم بأمورنا أحسن قيام، وكان يحتاط حتى كان لا يشرب الماء من كوز دارنا احترازا عن أكل أموال اليتامى أو الانتفاع بمالهم، وكان من العلماء الورعين، العاملين بالعلم، محتاطا في اللقمة، مصيبا في الفتاوى، علقت عليه من [٢] الفقه كتاب الطهارة ولم يتفق لي الإتمام عليه لأمر عرض ومانع وقع، والله تعالى يجزيه عنى أحسن الجزاء، نزلت بهذه القرية- وهي فلخار- غير مرة، ويقال لهذه القرية «فرخار» بالراء أيضا، غير أنى رأيت على ظهر كتاب المسند للحمانى الذي سمعناه من لفظه «الفلخارى» باللام. وهو أعرف بقريته، ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بفلخار، وقتل بمرو شهيدا في الوقعة الخوارزمشاهية، أصابه سهم عائر [٣] وهو في الصلاة، وتوفى منه في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمرو، ودفن في داره بأسفل الماجان.

٣٠٨٠- الفلسطينى

بكسر الفاء [٤] وفتح اللام وسكون السين المهملة

---

[١] ويقال لها: «فرخار» أيضا كما سيذكره، وهي بفتح الفاء كما ذكره ياقوت.

[٢] م: «في» .

[٣] أي لا يدرى من رمى به، وفي م «عامر» .

[٤] وقد تفتح الفاء.." (١)

"فقلت: أنت أحد مشايخنا من الأدباء، والمعرفة بيننا أكثر من خمسين سنة، فلو أخرجت أصلك العتيق أو أخبرتني بالحديث فيه على وجهه! فقال لي:

قد كان والدي حضرني مجلس إبراهيم لسماع هذا الكتاب [١] ثم لم أجد سماعي فقال لي أبو أحمد بن عيسى: قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس تسمع وأنت تنام لصغرك، ولم يبق بعدي لهذا الكتاب راو

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٢٣٨/١٠

غيرك فاكتبه من كتابي فإنك تنتفع به! فكتبته من كتابه، فلما حدثني بهذا قلت: هذا لا يحل لك فاتق الله فيه! فقام من مجلسى وشكاني بعد ذلك، فهذا حديثه، ثم كتب إلي بعد ذلك رقعة بخط يده طويلة يذكر فيها أنه وجد جزءا من سماعه من إبراهيم، فراسلته [بأن-[٢]] يعرض [علي ذلك-[٢]] الجزء، فلم يفعل، فهذا حديثه- رحمه الله وإياه، قال: توفى أبو بكر الأديب الكسائي ليلة الأضحى من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

قلت: روى عنه الكتاب الصحيح لمسلم [٣] أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله البجلي الحافظ وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يعقوب المروزي الكسائي، الملقب بطريق غريب، ولقب بهذا لأنه كان يكتب المكرر فيقال له في ذلك: قد كتبته! فيقول: هذا بذا الطريق غريب! روى خبره أبو بكر أحمد بن [على بن-[٢]] عمر بن بسطام المروزي وكان من رفقائه- هكذا ذكره أبو الفضل الفلكي في كتاب الألقاب والإمام الحجاج أبو محمد

---

[١] من م، وفي الأصل «هكذا الحديث» .

[٢] من م.

[٣] م: «كتاب صحيح مسلم» .." (١)

"إلى نيسابور [١] بعد وفاة أبيه وذلك في أيام صاحب الحس؟ أبى نصر منصور بن فراتكين، ثم إنه خرج إلى الجوزجانان فاستوزرها، فبقي عند أولئك الملوك لوزارة الأب ثم الابن، وآخر ما رأيته ببخارا سنة خمس وخمسين وثلاثمائة- هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ صاحب التاريخ، ثم قال: وكتبنا عنه، وانتخبت عليه، ثم جاءنا نعيه من جوزجانان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكان من عقلاء الرجال، وقال الحاكم:

كنا مع أبى عمر المنكدرى ببخارا فبلغني أن على بن موسى الزراد قال له يوما: يا أبا عمر! بلغني أنك قرمطى! فقال أبو عمر: أنا رجل من تيم قريش، وكان والدي من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يتعلق بنا هذا القول، وكل ذي نعمة محسود، فسكت على بن موسى.

٣٩٦٤- المنواتى

بفتح الميم وسكون النون وفتحها وفتح الواو [٢] وفي آخرها الثاء المثلثة، هذه النسبة إلى منواث، وهي

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٠٣/١١

قرية من أعمال عكا، وأبو عبد الله أحمد بن/ عطا [بن أحمد بن محمد بن عطاء-[٣]] الروذبارى المنواثى، شيخ الصوفية في وقته نشأ ببغداد وأقام بها دهرا طويلا [٤] ، ثم انتقل عنها فنزل صور من بلاد ساحل الشام، ومات بمنواث-[٥] قرية من أعمال عكا [٥] ، فحمل إلى صور فدفن بها، حدث عن

[١] باقي ترجمته ساقط في م.

[٢] بعدها الألف.

[٣] من م واللباب والمراجع، وسقط من الأصل.

[٤] ترجمته من تاريخ بغداد ٤/ ٣٣٦.

[٥- ٥] ليس في م.." (١)

"على القبلة أربعة عشر فرسخا، وفيها من القرى ما يزيد [١] عدده [١] على ٢٥١/ ألف ثلاثمائة/ قرية [٢] ، وخرج منها جماعة من الفقهاء والأدباء، منهم أبو الحسن ابن أبى الحسين [٣] القطان الشاماتي، قال أبو كامل البصيري: أبو الحسن القطان هو الناقد [٤] المناظر من شامات نيسابور، سمعت منه كتاب المدخل في التفسير يرويه عن أبى القاسم بن حبيب وقال: كان أبو القاسم بن حبيب عندنا بنيسابور كرامي المذهب أولا ثم تحول إلى أصحاب الشافعي رحمه الله، وكان في داره بستان وبئر، وكان إذا قصده إنسان من الغرباء إن كان ذا ثروة طمع في ماله ويأخذ منه حتى يقرأ له، وإن كان فقيرا أمره بنزح الماء من البئر لبستانه بقدر طاقته حتى يفيده، وكان لا يفعل بأهل بلده ذلك وكنا نستفيد منه مجانا، قال أبو الحسن: وشامات ناحية بأعلى نيسابور كان والدي أبو الحسين منها، كان يتفقه في مسجدها ويتزهد فيها [٥] وأبو جعفر محمد بن محمد بن أحمد الأديب الشاماتي منها [٦] ، شيخ ثقة أديب فاضل عفيف، من أهل نيسابور، روى عن الأستاذ أبى طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادي وأبى محمد عبد الله بن يوسف بن بامويه [٧] الأصبهاني

[١- ١] ليس في م، س ومعجم البلدان.

[٢] قال ياقوت عن البيهقي: إنها تشتمل على مائتين وعشرين قرية.

[٣] في تبصير المنتبه ص ٨٠٠ «أبو الحسن بن الحسن» .

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٤٦٥/١٢

[٤] من م، س، وفي الأصل «الرافد» .

[٥] من م، س، وفي الأصل «منها» .

[٦] راجع تبصير المنتبه ص ٨٠٠.

[٧] من م، س، وفي الأصل «ماموبه» .." (١)

"١١- ابو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري (٤٥٠ تقديرا- ٥٣٣) .

١٢- الإمام ابو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن عطاء المروروذي (٤٥٣-٥٣٣) في طبقات الشافعية ٤/ ١٩٩ «حدث عنه ابن السمعاني وقال سمعت منه الكثير، قال وكان اماما متقنا مصيبا ومناظرا ورعا محتاطا في المأكول والملبوس حاد الخاطر حسن المحاورة كثير المحفوظ ذا رأى ونباهة وإصابة في التدبير، وكان الأكابر يصادقونه ويستضيئون برأيه ويزورونه، قال: وكان والدي لما توفى فوض النظر في مصالحي ومصالح أخي (كذا) اليه وجعله وصيا. قال: وكان إذا دخل مدرستنا لا يشرب الماء في زاويتنا ولا في دارنا ويحتاط في ذلك» .

١٣- ابو محمد عبد الجبار بن محمد بن احمد الخواري (٤٥٥ تقديرا- ٥٣٤) ذكره ابو سعد في رسم (الخواري) وقال «كان اماما فاضلا مفتيا متواضعا ... كتبت عنه الكثير بنيسابور وقرأت عليه الكتب» .

١٤- ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري البغدادي (٤٤٢- ٥٣٥) .

١٥- ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز البغدادي (٤٥٠ تقديرا- ٥٣٥) .

١٦- ابو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني. كان يقال له (جوزي) (٤٥٧- ٥٣٥) وهو فيما ارى أجل شيوخ ابى سعد،." (٢)

"في أصحابنا فسبقني إليه ابن عمي فطعنه فوقع هو وحصانه وفقع الرمح سمعتها أنا وأولئك. وكان الوالد رحمه الله أرسل رسولا إلى شهاب الدين فأخذه معه لما جاء لقتالنا فلما طعن فارس بن زمام ولم يبلغ منا ما أراد نفذ الرسول من مكانه بجواب ما سار فيه ورجع إلى حماه، فسألت الرسولهل مات فارس بن زمام، قاللا والله ولافيه جرح قالليث الدولة طعنه وأنا أراه فرماه ورمى حصانه وسمعت قعقعة كسر الرمح، لما غشيه ليث الدولة من يساره مال على جانبه الأيمن وفي يده قنطاريته فوقع حصانه على قنطاريته وهي على وهده فانكسرت، وتذنب ليث الدولة برمحه فوقع من يده، والذي سمعت قعقعة قنطاريه فارس بن

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٣٢/٨

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم مقدمة/٢٠

زمام، ورمح ليث الدولة أحضره بين يدي شهاب الدين وأنا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر ولا في فارس جرح، فعجبت من سلامته وكانت تلك الطعنه طعنه فيصل كما قال عنترة

الخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ورجع جميعهم كمينهم ما نالوا منه ما أرادوه. والبيت المقدم من أبيات عنترة بن شداد يقول فيها

إني أمرؤ من خير عبس منصبا ... شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت فتلاحظت ... ألفيت خيرا من معم مخول

وإن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

والخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ودعوا نزال فكنت أول نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل." (١)

"ثلاثمائة فارس ومائتين تركبولي وهم رماة الإفرنج. فلما رأوا اصحبنا ركبوا خيلهم أطلقوا على أصحابنا هزموهم وتموا يطردونهم، فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل وأبي وعمي رحمهما الله يريانه، فطعن فارسا منهم إلى جانبه فارس آخر وهما يتبعان أصحابنا فرمى الفارسين والفرسين. وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها. فكلما هم والدي به وبتأديبه يقول عميا أخي بحياتك هب لي ذنبه ولاتنس له تلك الطعنه فيصفح عنه لكلام أخيه. وكان حمدات الذي تقدم ذكره ظريف الحديث، حدثني والدي رحمه الله قالقلت لحمدات ونحن سائرون في طريق أصبهان سحرا، أمير حمدات أكلت اليوم شيئا؟ قال نعم يا أمير أكلت ثريدة قال ركبنا في الليل وما نزلنا ولا أوقدنا نارا، من أين لك الثريدة قال يا أمير عملتها في فمي اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدة.

والد أسامة مقاتلا

وكان الوالد رحمه الله كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة ومات على فراشه، وحضر يوما القتال وهو لابس وعليه خوذه إسلامية بآنف فزرقه رجل بحربه – وكان معظم قتاله مع العرب في ذلك الزمان فوقعت الحربة في أنف الخوذة فأنطوى وادمى انفه ولم يؤذيه. ولو كان قدر سبحانه ان يميل المزراق عن أنف الخوذه أهلكه،." (٢)

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٣٩

(٢) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٥١

"ودابته وخيامه وجميع ركبه وسير يتبع صاحبه وما أنكر عليه وما احنقه ما فعل في خدمت مولاه، فهذا الذي قال له رضوان حدث أصحابي ما عملته أيام والدي مع مولاك. أعود إلى حديث الحرب المقدم ذكرها مع ابن ملاعب.

عم أسامه يطعن في جفن عينه

وجرح عمي عز الدولة رحمه الله في ذلك اليوم عده جراح منها طعنه طعنها في جفن عينيه السفلاني من ناحية المأق، ونشب الرمح في المأزق عند مؤخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقا بجلده من مؤخر العين، والعين تلعب لا تستقر، وأنما الجفون التي تمسك العين، فخاطبها الجرائحي وداواها فعادت كحالها الأوله لا تعرف العين المطعونة من الأخرى.

شجاعة عم أسامه ووالده

وكانا رحمهما الله من أشجع قومهما، ولقد شهدتهما يوما وقد خرجا إلى الصيد بالبزاة نحو تل ملح وهناك طير ماء كثير، فما شعرنا إلا وعسكر طرابلس قد أغار على البلد ووقفوا عليه، فرجعنا **وكان الوالد** من أثر المرض، فأما عمي فخف بمن معه من العسكر وسار حتى عبر المخاض إلى الإفرنج وهم يرونه، وأما الوالد فسار والحصان يخب به وأنا معه صبي وفي يده سفرجله يمتص منها، فلما دنونا من الإفرنج قال لي أمض أنت أدخل من السكر وعبر هو من ناحية الإفرنج.." (١)

"معهم قرارا أرضاه، من مال واقطاع ويسلم إليهم الحصن الخربة، ثم جاء إلى الحصن فاستأذن وطلع فبدأ بالباب، قتله فلقيا الغلام فقتله ودخل على الوالي قتله وسلمه إلى الإسماعيلية، وقاموا له بما كانوا قرروه له. والرجال إذا قوا أنفسهم على شيء فعلوه.

مروءة مكار نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخوتهم، **وكان الوالد** رحمه الله يقول لي "كل جيد من سائر الأجناس، من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته، مثل حصان جيد يساوي مائة دينار، خمس حصن رديئة تساوي مائة دينار وكذلك الجمال وكذلك أنواع الملبوس، إلا ابن آدم فإن ألف رجل أرد ياء لا يساوون

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٥٥

رجلا واحدا جيدا ". وصدق رحمه الله.

كنت قد نفذت مملوكا لي في شغل مهم إلى دمشق واتفق أن أتابك زنكي رحمه الله أخذ حماة ونزل على حمص، فاشتدت الطريق على صاحبي فتوجه إلى بعلبك ومنها إلى طرابلس واكترى بغل رجل نصراني يقال له يونان فحمله إلى حيث اكتراه وودعه، ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصل إلى شيزر من حصون الجبل فلقيهم إنسان فقال لأرباب الدواب لا تمضوا فإن في طريقكم في الموضع الفلاني عقد حرامية في ستين سبعين رجلا يأخذونكم قالفوقفنا لا ندري ما نعمل، ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف، فنحن كذالك إذا الريس يونان قد أقبل مسرعا. فقلناما لك يا ريس؟ قالسمعت أن في طريقكم حرامية جئت لأسيركم، سيروا. فسرنا معه إلى ذلك الموضع، وإذا قد نزل من الجبل خلق عظيم من." (١)

"من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان رحمه الله من أحسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته، فأشفق عليها فقاليا أمي لو جلست صليت من قعودة. قالتيا بني بقي لي من العمر ما أعيش إلى ليلة مثل هذه الليلة؟ لا ولله ما أجلس، **وكان الوالد** قد بلغ السبعين سنة وهي قد شارفت المائة سنة رحمها الله.

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نخوات النساء عجبا. وهو أن رجلا من أصحاب خلف بن ملاعب يقال له علي عبد بن أبي الريداء كان قدر رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة، فكان ينهض مع ابن ملاعب يبصر القوافل على المسيرة يوم كامل. ولقد حدثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجازي انتقل إلى خدمة والدي بعد ما قتل خلف بن ملاعب قالنهضنا يوما وأرسلنا عليا عبد ابن أبى الريداء بكرة يديب لنا، فجاءنا وقالابشروا بالغنيمة! هذه قافلة كثيرة مقبلة. فنظرنا ما رأينا شيئا، فقلناما نرى قافلة ولا غيرها. قالوالله، إني لأرى قافلة وقدامها فرسان معينان ينفضان معارفهما. فأقمن في الكمين إلى العصر فوصلتنا القافلة والفرسان المعينان قدامها فخرجنا أخذنا القافلة. وحدثني سالم العجازي فقالنهضنا يوما وصعد علي عبد ابن أبي الريداء يديب لنا، فنام وما درى إلا وقد أخذه تركي من سربة." (٢)

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٧٩

(٢) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/١٢٧

"فوجدته بين يديه كتب النحوكتاب سيبويه وكتاب الخصائص لإبن جني وكتاب الأيضاح لأبي علي الفارسي وكتاب اللمع وكتاب الجمل فقلتيا شيخ أبو عبد الله قرأت هذه الكتب كلها؟ قرأتها؟ لا والله إلا كتبتها في اللوح وحفظتها، تريد تدريخذ جزءا وافتحه وأقرأ من أول الصفحة سطرا واحدا. فأخذت جزءاوفتحته وقرأت منه سطرا، فقرأ الصفحة بأجمعها حفظاحتى أتى على تلك الأخزاء جميعها، فرأيت منه أمرا عظيماما هو في طاقة البشر. هذه جملة إعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث. وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه افدام، وفي الأرض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدماها، وهو مشغول ينظر صيد الفهدة ولا يحس بتألم رجليه – مشغول بما يراه من تسللها إلى الغزلان وعدوها وحسن صيدها.

باز أحمر العينين

وكان الوالد رحمه الله محظوظا من الجوارح النادرة الفارهة، وذلك انها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجراح الفاره، وكا ن عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت أحمر العينين، فكان من أفره البازة، فوصل كتاب عمي تاج الأمراء أبي المتولد مقلد رحمه الله من مصر وكان مقامه بها في خدمة الآمر بأحكام الله يقولسمعت في مجلس الأفضل." (١)

"كلاب صيد

وكان يجيئه من بلاد الروم الزغارية كلاب جياد ذكور وأناث. فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبع فيها. شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي مع الكلابزي، فأرسل بازا على دراجة فبنجت في غلفاء في جرف النهر فأرسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة، وتلك الجروة واقفة على الجرف. فلما طارت الدراجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف. فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد وما صادت قط. ورأيت كلبا من هذه الزغارية وقد بنجت حجلة في الجبل في بمج صعب وقد إليه الكلب وأبطأ. ثم سمعنا حشكة في داخل البنج. فقال الوالد رحمه اللهفي البنج وحش وقد قتل الكلب. ثم بعد ساعة خرج الكلب يجر رجل ابن آوى، وكان في البنج قد قتله وجره أخرجه إلينا. وكان الوالد رحمه الله قد خرج إلى اصبهان إلى دركات السلطان ملك شاه رحمه الله فحكى لي قاللما قضيت أشغالي." (٢)

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٢٠٩

(٢) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٢١٢

"ويصيح وطار عنها وما عاد يعرض لها، ولا رأيت باز سوى ذلك اصطادها، فإنها كما قال أبو العلاء بن سليمان في العنقاء " أرى العنقاء تكبر إن تصطاد ".

سبع يخاف أجراس الباز

وكان الوالد رحمه الله يمضي إلى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم به أياما ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطير الماء واليحامير والغزلان والأرانب. فمضى يوما إليه فركبنا إلى صيد الدراج فأرسل باز يحمله ويصلحه مملوك أسمه قولا على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه وقد بنج الدرج في غلفاء، وإذا صياح نقولا قد ملأ الأسماع وعاد يركض. قلنا مالك؟ قالالسبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدراج فخليت الباز وانهزمت. وإذا السبع أيضا ذليل مثل نقولا لما سمع أجراس الباز خرج من الغلفاء منهزما إلى الغاب.

صيد السمك

وكنا نصيد ونعود ننزل على بوشمير نهر صغير بالقرب من الحصن وننفذ نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب، فيهم من معه قصبة في ر أ سها حربة لها جبة مثل الخشوت، ولها في الجبت ثلاثة شعب حديد طول كل جعبة ذراع. وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود إلى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويبصر السمكة فيزرقها في تلك التي فيها الحديد فما يخطئها، ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها، وآخر من الصيادين معه عود قدر قبضه فيه شوكة." (١)

"الشجرة ودفعت الفرس إلى الغلام فعمل فيها شكلا. وكان إلى جانب النهر فنقرت فوقعت في النهر على جنبها. وكلما أردت تقوم تعود تقع في الماء لأجل الأشكال. وكان الغلام صغيرالايقدر على تخليصها. ونحن لا نعلم ولا ندري. فلما قاربت الموت صاح بنا فجئناها وهي في آخر رمقفقطعنا شكالها وأطلعناها فماتت، وما كان الماء يصل إلى عضدها إنما الشكال أهلكها.

يخاف على الباز من الغرق

وخرجيوما الوالد رحمه الله إلى الصيد وخرج معه أمير يقال له الصمصام من أصحاب فخر الدين الملك بن عمار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة وهو رجل قليل المخبرة بالصيد. فأرسل الوالد بازا على طير الماء

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٢١٨

فأخذ منها طيرا ووقع في وسط النهر، فجعل الصمصام يدق يدا على يد ويقوللا حول ولا قوة إلى بلاه، كيف كان خروجي في هذا اليوم؟ فقلت لهياصمصام تخاف على الباز أن يغرق؟ قال نعم قد غرق بطة هوحتى يقع في الماءولا يغرق؟ فضحكت وقلتالساعة يطلع. فأخذ الباز رأس الطير وسبح وهو معه حتى طلع به. فبقى الصمصام يتعجب من ذلك ويسبح الله سبحانه ويحمده على سلامة الباز.

لكل حيوان أجله

ومنايا الحيوان مختلفه الالوان قد **كان الوالد** رحمه الله أرسل زرقا أبيض على درجه، فوقعت الدراجه في غلفاء ودخل معها الزرق،." [1]

"رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عمشت **عيناهاوكان الوالد** يحرد على الغلمان ويقولقد أعميتم هذه الكلبة! ولا ينتهون عنها. وأهدى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك صاحب القلعة للوالد كلبة عروفا ترسل تحت الصقور على الغزلان فكنا نرى منهم العجب.

الصيد بموجب النظام

وصيد الصقور بالترتيب يرسل في الأول المقدم فيعلق بأذن غزال يضربه، ويرسل العون بعده فيضرب غزالآ آخر، ويرسل العون الأخر فيفعل كذلك، ويرسل الرابع فيضرب كل صقر منها على غزال، فيأخذ المقدم أذن غزال ويفرده من الغزلان فترجع الصقور جميعها إليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها. وهذه الكلبة تحت الصقور فيتفق أن يظهر العقاب فتحل الصقور عن الغزال فيمضي الغزال وتدور الصقور. فكنا نرى تلك تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور وهي تدور تحت الصقور في الأرض كما تدور الصقور في الهواء حلقة، ولا تزال تدورتحتها حتى تنزل الصقور إلى الدعو، فحينئذ تقف وتمشي خلف الخيل.

صيد الغزلان والدراج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين والدي رحمهما الله مودة ومواصلة بالمكاتبات والرسل، فنفذ إليه يوما يقول خرجت إلى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف يوم. وذلك أن غزلان عندهم في." [2]

---

(١) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٢٢١

(٢) الاعتبار أسامة بن منقذ ص/٢٢٥

"سمع أبا على الحسن بن على الشاموخي [١] وغيره. روى عنه أشياخنا، وكان يعرف العلوم الشرعية والأدبية، إلا أن علم الفرائض والحساب انتهى إليه [٢] ، وكان قد تفقه على أقضى القضاة أبى الحسن الماوردي، وكان يحفظ «غريب الحديث» لأبي عبيد، و «المجمل» لابن فارس، وكان عفيفا زاهدا، وكان يسكن درب رياح، وكان الوزير أبو شجاع قد نص عليه لقضاء القضاة فأجابه المقتدى، فاستدعاه فأبى أشد الإباء، واعتذر بالعجز وعلو السن، وعاود الوزير أن لا يعاود ذكره في هذا الحال.

أنبأنا شيخنا عبد الوهاب الأنماطي قال: سمعت أبا الحسن بن أبي الفضل الهمذاني يقول: كان والدي إذا أراد أن يؤدبني يأخذ العصا بيده ويقول: نويت أن أضرب ابني تأديبا كما أمر الله، ثم يضربني. قال أبو الحسن: وإلى أن ينوى ويتم النية كنت أهرب.

توفي يوم الأحد تاسع عشر رمضان من هذه السنة، ودفن عند قبر ابن سريج.

٣٦٦٤- محمد بن أحمد بن عبد الباقي/ بن منصور، أبو بكر، ويعرف بابن الخاضبة ١٦/ أالدقاق [٣] :

كان معروفا بالإفادة، وجودة القراءة، وحسن الخط، وجودة النقل، وجمع علم القراءات والحديث، وأكثر عن أبى بكر الخطيب، وأصحاب المخلص، والكتاني.

حدثنا عنه شيوخنا وكانوا يثنون عليه، وعاجلته المنية قبل الرواية. توفي ليلة الجمعة ثاني ربيع الأول، ودفن في المقبرة المعروفة بالأجمة المتصلة بباب [٤] أبرز.

أنبأنا أبو زرعة، عن أبيه محمد بن طاهر قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد الدقاق المعروف بابن الخاضبة يقول [٥] : لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماشي

---

[١] في الأصل: الحسن بن علي الشامرخي» وفي ت: «الحسن بن علي السامرخي» .

[٢] في الأصل: «والحساب انتقل إليه» .

[٣] في الأصل: «ويعرف بابن الحاضنة» . والتصحيح من ت، ص، وتذكرة الحفاظ.

وانظر ترجمته في: (تذكرة الحفاظ ١٢٢٤: ١٢٢٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٣، وفيه: «المعروف بابن الحاضنة» ، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٣) .

[٤] في ص: «بالأجمة بباب أبرز» بإسقاط: «المتصلة» .

[٥] في الأصل: «المعروف بابن الحاضنة» .." (١)

"ولولا التقى وشعار القضاء ... لأشعر شعري بما في ضميره

شفيعا لي شكرو ودله ... وما لي غيرها من نصيره

ذكر أن القاضي كانت له هيبة وقبول عند الخواص والعوام وسمع الحديث من القاضي عبد الجبار ابن أحمد وسمع معه ابنه الحسن وله ابن آخر موصوف بالفضل يقال له صاعد بن محمد تولى القضاء بخوزستان وكان شعر من أبيه ويأتي ذكرهما في موضعه إن شاء الله تعالى.

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الواقد أبو عبد الله الخليلي كريم نبيل نسيب صاحب مروة وجاه ومحبة للعلم وأهله انتهت رياسة الأئمة إليه في عصره وكان يكرم العلماء البلديين والغرباء وينزل الواردين من أهل العلم والأكابر مدرسته وخانقاه ودوره ويرتبطهم ويسدي إليهم الجميل ما أقاموا ويسرحهم بإحسان إذا ارتحلوا وفوض تدريس مدرسته إلى والدي رحمه الله وصودر في سنة أربع وخمسين وخمسمائة بأربعين ألف دينار فأداها من غير أن يستخف به أو يشدد عليه واحتفظ بجاهه ومروئته وتوفي في شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة وكان قد سمع الحديث.

من مسموعه صحيح البخاري سمع بتمامه من الأستاذ الشافعي ابن داؤد المقري سنة إحدى عشرة وخمسمائة ومسند الشافعي سمعه من السيد أبي حرب الهمداني سنة خمس وعشرين وخمسمائة بروايته عن أبي بكر الشيروي عن القاضي أبي بكر عن الأصم عن الربيع عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ولما أقعدت في مدرسته **مكان والدي** رحمه الله في اليوم الثالث أو الرابع من وفاته وقد حضر أعيان البلد وفيهم ابنا صاحب." (٢)

"القزويني ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع أباه وأبا الحسن علي بن أحمد بن صالح المقرىء ومما سمع منه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة يقول: ثنا أبو عمر محمد بن عبد الوهاب المرزي ثنا إسماعيل ابن توبة الثقفي ثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمري عن أبيه وعبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أعتق شركائه في عبد عتق عليه كله إن كان له مال قوم عليه قيمة العبد ثم دفع إلى شركائه أنصباءهم وإن لم يكن له ملك عتق منه ما أعتق".

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٥/١٧

(٢) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ١٣٧/١

محمد بن رجاء بن أحمد بن رجاء بن جرير اليماني سكن آباؤه قزوين وكانوا من أهل العلم والحديث وذكر الخليل الحافظ في الإرشاد أن محمدا هذا كان يتزهد ولم يسمع الحديث.

محمد بن رستم الفامي المقرىء شيخ صالح خير سمع شرح الفاية للفارسي من محمد بن آدم الغزنوي اللهاوري بروايته المثبتة في ترجمته.

محمد بن روشنائي بن أبي اليمين أبو اليمن المرداسي القزويني ويعرف بالفقيه بابويه كان من أهل العلم والدراية لطيف المحاورة وكان كثير التردد إلى والدي وأئمة ذلك العصر رحمهم الله ويؤنسهم وينسخ لهم الكتب عن ضبط ومعرفة وكان يدعى فهرست الكتب لممارسته لها ووقوفه على نسخها ملكا ووقفا وكان والدي يرتاح بدخوله عليه سمع أبا أحمد عبد الله بن هبة الله الكموني سنة إحدى وأربعين." (١)

"الثوب أرفاه ويقرب منه قول من يقول الرفا والموافقة والمواصلة والخلاء في الإبل كالحيوان في الخيل والبغال.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله! بل أنت لي خير من أبي زرع لأم زرع، وهذا هو اللائق لحسن أدبها وأعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة وفيما أوردناه ما يحوي معظمه.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: وفيه العلم وحسن العشرة مع الأهل واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه وفيه أن بعضهن قد ذكرن عيوب أزواجهن ولم يكن ذلك غيبة لأنهم لم يعرفوا بأعيانهم وأسمائهم وزاد تاج الإسلام أبو بكر السمعاني فقال: فيه دلالة على جواز ذكر أمور الجاهلية واقتصاص أحوالهم وعلى فضل عائشة رضي الله عنها ومحبته لها بملاطفته إياها وعلى أن السمر بما يحل جائز ولمعنى حسن العشرة مع الأهل ونحوه أورد البخاري الحديث في كتاب النكاح ولإشعاره بفضل عائشة أورده مسلم في الفضائل ولمعنى السمر أورده أبو عيسى الترمذي في أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في باب ترجمة بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السمر وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك كان في السمر لكن القصة تشبه الأسمار وربما ورد نقل وكان والدي رحمه الله يرغبني في حفظ هذا الحديث في صغري لكثرة فوائده وحسن ألفاظه وأختم." (٢)

---

(١) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٢٨٩/١

(٢) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٣٧١/١

"إلى الله تعالى.

كان والدي رحمه الله يتكلم من علوم المشائخ ويوردها أحسن إيراد وقرأ عليه جماعة من أهل المعرفة في أسفاره الأخيرة الرسالة من الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله قرأة تثبت واستفادة وهو يشرح لهم الفصل بعد الفصل بما يقضي الحاذقون منه العجب وسمعته يقول كان لي في زمان التفقه في السفر إزار واحد اصلي عليه وأتعمم به أحيانا وأجعله شعارا بالليل وأزر به في الحمام وأشد به إلى مأرب آخر ولا أنسى ما كنت أجده من اللذة في ذلك الانكسار والإقلال.

فصل في حليته

كان رحمه الله تام القد أجيد مائلا إلى النحافة أصلع أبلج الحاجبين واسع الجبهة أكحل العين أشم دقيق الشفتين متراكب الأسنان لطيفها خفيف اللحية أسمر وهذه الهيات محمودة من الأكثر عند أهل التجربة وكانت الأسقام كثيرا ما تأتيه.

قد روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا أتاه فقال: يا رسول الله كبر سني وسقم جسدي وذهب مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا خير في جسد لا يبتلى ولا خير في مال لا يزرأ منه وإن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه." (١)

"ثنا محمد بن حبيب بن سليمان ثنا محمد بن عمر الواقدي ثنا محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي أبو بكر رضي الله عنه بالمدينة لثمان ليال بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشر وهو يومئذ ابن ثلاث وستين سنة.

علي بن السرى الورثاني سمع أبا علي الطوسي طرفا من القرآآت لأبي حاتم السجستاني بقزوين.

علي بن الشافعي بن داؤد بن المختار المقرىء أبو الحسن ويعرف بالأستاذ كان يفتي ويدرس بقزوين مدة على إتقان ورأى صائب ونظر سديد وتفقه عليه والدي وأقرانه رحمهم الله **وكان والدي** يطنب في الثناء عليه ويصفه بالحدة وجودة الفكر والتصرف والحفظ وسمع صحيح البخاري من أبيه ومن القاضي أبي الفتح بن عبد الجبار ومن محمد ابن كثير كما حكى وسمع الخليل بن عبد الجبار والشيوخ وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

علي بن طريف سمع أبا علي الحسن بن علي الطوسي بقزوين.

---

(١) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٤١١/١

العين في الآباء

علي بن عبد الجبار بن أحمد البيع أبو الحسن خال الإمام أحمد بن إسماعيل سمع منه سنة اثنتين وخمسمائة الشطر الآخر من الأربعين على مذاهب المتحققين من الصوفية للحافظ أبي نعيم بروايته نازلا عن أبي الفتوح إسماعيل بن أبي منصور الطوسي عن محمد بن حمزة بن." (١)

"الصمان وقعت في الوكف وهو منحدرك إذا خلفت الصمان، وقال جرير:

ساروا إليك من السهبا ودونهم ... فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

وكف الرماء:

في الأصل أصل الجبل، خرج قوم من هذيل إلى بني الديش فالتجؤوا إلى أصل جبل فنزلوا فيه وتراموا فسمي وكف الرماء إلى الساعة.

الوكيع:

أرض لطيء فيها روضة، ذكرت في الرياض وشاهدها، والله أعلم.

باب الواو واللام وما يليهما

ولاستجرد:

السين مهملة، وتاء مثناة من فوقها، وجيم مكسورة، قال مسعر: وسرنا من دستجرد إلى قرية أخرى يقال لها ولا ستجرد ذات العيون يقال إن فيها ألف عين يجتمع ماؤها إلى نهر واحد ومنها إلى قصر اللصوص من نواحي همذان، وقال أبو نصر: منها أبو عمر عبد الواحد بن محمد وكان مقيما بقصر كنكور فسألته عن مولده فقال في سنة ٤٤٠ بولاستجرد من أعمال همذان **وكان والدي** من أصبهان ورحلت إلى بغداد لطلب الحديث فكتبت بخطي أزيد من مائة جزء عن ابن المسلم وجابر بن ياسين وأبي بكر بن الخطيب وابن المهندس وابن المنقور وعلقت على أبي إسحاق الشيرازي مسائل في الخلاف ثم تفقهت عن أبي الفضل بن زيرك وأبي منصور العجلي بهمذان وكتبت بها عن أبي الفضل بن زيرك القومساني ونظرائه.

ولاشجرد:

---

(١) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٣٦٤/٣

بسكون الشين المعجمة، وكسر الجيم، وراء ساكنة، ودال مهملة، كذا ذكره السمعاني في قصر كنكور: مدينة بين همذان وكرمان شاهان، منها أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عمر ابن هارون الولاشجردي الفقيه، سمع أبا الحسين بن الغريق الهاشمي وأبا محمد بن هزار مرد الصريفيني وابن المسلم وأبا الفضل محمد بن عثمان القومساني وغيرهم، ومات سنة ٥٠٢، ومولده سنة ٤٤٠ بتبريز، قال السلفي: بولاية ولاشجرد من همذان.

وولاشجرد: موضع بنواحي بلخ كانت فيه غزوة للمسلمين وهي ثغر. وولاشجرد وربما قالوا ولاشكرد: من نواحي كرمان. وولاشجرد: من نواحي أخلاط.

الولجة:

بأرض كسكر موضع مما يلي البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم، ذكره في الفتوح، في صفر سنة ١٢، وقال القعقاع بن عمرو:

ولم أر قوما مثل قوم رأيتهم ... على ولجات البر أحمى وأنجبا

وأقتل للرواس في كل مجمع ... إذا صعصع الدهر الجموع وكبكبا

والولجة: ناحية بالمغرب من أعمال تاهرت، نسب إليها السلفي أبا محمد عبد الله بن منصور التاهرتي، قال: وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من الحديث كثيرا سنة ٥٢٧ ورجع إلى المغرب وروى بها، ومات سنة ٥٥٣. والولجة:

موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات.

ولعان:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، والعين مهملة، وآخره نون: علم مرتجل لموضع قرب آرة من أرض تهامة، قال بعضهم:." (١)

"من زار وخفف وتركه ودخل إلى خلوته وكان كثير المطالعة لكتب الأحاديث النبوية وكتب الرقائق كقوت القلوب وصفوة الصفوة ومناقب الأبرار وغير ذلك وكان يستحضر من ذلك وغيره شيئا كثيرا فإنه كان إذا طالع شيئا علق بخاطره معناه وكانت عبارته حلوة لكن كان لفظه يناسب حديث أهل قريته فربما لحن

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣٨٣/٥

في بعض كلامه وكان إذا كتب إلى أحد من أرباب الدول وغيرهم ورقة في حاجة سألها إما استغاثة ملهوف أو إعانة مظلوم أو تنفيس كربة أحد من المسلمين كتب من أول الورقة إلى حيث ينتهي الكلام أو يقطعها بحيث لا يكون فيها من البياض ما يكتب به كلمة واحدة اتباعا بما أمر به من عدم الإسراف فيما لا فائدة فيه فإذا وصلت ورقته سورع إلى امتثالها وحصل بها المقصود وكانت له الحرمة العظيمة عند - ص ٢ ورقة ٨ ب - سائر الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم والمهابة الشديدة في صدورهم مع لطف أخلاقه ولين كلمته وله الكرامات الظاهرة وإذا حضر أحد من المشايخ وأرباب القلوب إلى يونين قصد زيارته وتأدب معه غاية الأدب أما هو فلا يمشي إلى أحد البتة ومن ورد من أرباب القلوب وسلك غير ذلك سلبه حاله ولقد سلب جماعة من الفقراء أحوالهم فيما بلغني وأدركت بعضهم **وكان والدي** رحمه الله إذا خرج إلى يونين طلع إلى زاويته من بكرة النهار ويدخلان إلى الخلوة بمفردهما ولا يدخل أحد عليهما ولا يزالان كذلك إلى قريب الظهر وكان بينهما وداد عظيم واتحاد زائد ومحابة في الله تعالى جمع الله بينهما في دار كرامته وكنت أيام مقام والدي

رحمه الله." (١)

"تعالى بقرية يونين اغشاه وأزوره كثيرا فيقبل علي ويتلطف خلاف ما عادته أن يعامل به غيري وأما إذا كنت ببعلبك فأتردد إلى زيارته في الأحيان فلما كانت هذه السنة **كان والدي** رحمه الله يأمرني كل وقت بقصد زيارته كأنه استشعر قرب أجله وأحس به فكنت بعد كل يوم أتردد إليه فقصدته مرة في أول شوال من هذه السنة ومعي ناصر الدين علي بن فرقين والشمس محمد بن داود رحمهما الله فدخلنا عليه وليس عنده غيرنا وشرع يحدثنا واسترسل في الحديث وغاب واستغرق وهو يحدثنا عن غير قصد منه لذلك ثم أفاق من غيبته فقطع الحديث فسألناه إتمامه وألححنا عليه في السؤال فانشد

من ساررره فأبدى السر مشتهرا؟ ... لم يأمنوا على الأسرار ما عاشا.

وأبعدوه فلم يحظ بقربهم ... وبدلوه مكان الأنس أيحاشا.

وكان مضمون الحديث أنه جاءه من رجال الغيب من اخبره بدنو أجله أو ما هذا معناه وإن كنت الآن لا أحقق جميع الحديث على وجهه فاتفق مرضه في أواخر الشهر المذكور وبقي على ذلك أياما وأهل البلد من الرجال والنساء يترددون إلى زيارته وإعادته ويغتنمون بركته إلى أن توفي رحمه الله ورضوانه في التاريخ المذكور فلما وصل خبر وفاته إلى بعلبك لم يبق في البلد إلا القليل وخرج الناس لشهود جنازته والصلاة

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١/ ٢٦

عليه فكان الناس منتشرين والمدينة إلى يونين والمسافة فوق فرسخين أما والدي رحمه الله فأنه حصل له من الحزن والكآبة والوجوم لموته مالا مزيد عليه وأمرني بالمبادرة لحضور دفنه فبادرت." (١)

"فلما وصل إلى السياج الذي على ظاهر الزاوية طلب فقيرا من داخل السياج وقال له أبصر في الزاوية ورقة تحت اللباد الذي لي أحضرها قال النصراني فتوهمت أنها كتاب كتبه إلى من يعطيني شيئا من وقف الأسرى أو غيره فأحضر ذلك الفقير ورقة ناولها الشيخ فناولني إياها فوجدتها ثقيلة فقال خذ هذا فأبعدت عنه وفتحت الورقة فوجدت فيها الستين دينارا التي وجدتها في الأسير بعينها فتحيرت وأخذتها وانصرفت قال أبو طالب لم لا أسلمت فقال ما أراد الله وحكى لي الشيخ عمران حمل رحمه الله بقرية برصونا من حبل الطينين في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وست مائة بعد منصرفي من ظاهر طرابلس بعد فتحها وقد بت عنده وجرى حديث التفاح وقد أكلته الدودة وييست معظم أشجاره عندهم فقال ما معناه كانت الدودة قد ركبت أشجار التفاح عندنا بحيث

أعطبتها فشكونا ذلك إلى الشيخ عيسى رحمه الله وسألناه أن يكتب لنا حرزا فأعطانا ورقة مطوية صورة حرز فشمعناها وعلقناها على بعض الأشجار فزالت الدودة عن الوادي بأسره وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها وحملت حملا مفرطا وبقينا على ذلك سنين في حياة الشيخ وبعد وفاته ثم خشينا ضياع الحرز وقلنا ننسخه فأزلنا عنه الشمع وفتحناه فإذا هو قطعة من كتاب ورد على الشيخ من بعض أهل حماة فندمنا على فتحه ثم شمعناه وأعدناه إلى مكانه فجاءت الدودة وركبت الأشجار وأعطبتها واستمر الحال على ذلك وحكى لي الحاج علي بن أبي بكر بن دلفة اليونيني ما معناه قال **كان والدي** وابن عمك نور الدولة علي بن عمر بن نيار رحمه الله قد اتفقنا على عمارة حمام بقرية يونين وحصلوا بعض آلاته وهيئوا المكان الذي يعمر فيه واهتموا بذلك واتفق أنهما طلعا إلى عند الشيخ عيسى وأنا معهما فقال لهما الشيخ رحمه الله بلغني أنكم تريدون تعمرون حماما في هذه القرية وهذا لا تفعلوه واتركوا – ص ٢ ورقة عشرة ألف – عمارته فما وسعهم إلا أن قالوا السمع والطاعة وقاموا من عنده فلما بعدوا عنه قال أحدهما للآخر كيف نعمل بهذه الآلات فقال له صاحبه الشيخ عيسى رجل كبير ما يخلد نصبر فمتى مات عمرناه فطلبهما الشيخ إليه وقال كأني بكم قد قلتم كذا وكذا وأنكم تعمرون الحمام بعد موتي وهذا لا يصير ولا يعمر في القرية حمام لا في حياتي ولا بعد موتي فاعتذروا إليه مما قالوه وفارقوا على ذلك قلت فأنا والله رأيت الأمير جمال الدين التجيبي رحمه الله نائب السلطنة في الشام في أوائل الدولة الظاهرية وكان معهم مقطع معظم يونين قد اهتم

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١/٢٧

بعمارة حمام في القرية واشترى القدور وسائر الآلات ولم يبق إلا عمارته ثم اتفق ما صرفه عن ذلك ثم انتقل الخبر إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري متولي نيابة السلطنة بالشام بعده فشرع في ذلك واهتم به كهمة الأمير جمال الدين أو أكثر وحفر الأساس ثم بطل ذلك بموانع سماوية وأظن أميرا آخر غيرهما اقطع في القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم وصح قول الشيخ رحمه الله تعالى وحدثني المغربي عامر بن يحيى بنى ريان بمنزلي بقرية يونين في ثاني وعشرين ذي قعدة سنة اثنتين وتسعين وستمائة ما معناه قال قدم الشيخ عثمان رحمه الله من دير ناعر إلى بعلبك ووالدك رحمه الله في يونين وقصده وخرجت في خدمته فطرقت باب هذه الدار واستأذنت على والدك رحمه الله ودخلت إليه وقلت يا سيدي الشيخ عثمان قد حضر إلى خدمتك قال يدخل فلما دخل تلقاه والدك ورحب به وجلسا يتحدثان وحضر شيء للأكل فأكلا ومن عندهما فلما شيل السماط قال والدك للشيخ عثمان ما تطلع تزور أخاك الشيخ عيسى قال اطلع في خفارتك قال نعم في خفارتي قال وطلع وأنا معه فلما وصل إلى زاوية الشيخ عيسى تلقاه واعتنقه وبالغ في الترحيب به وجلسا يتحدثان زمنا طويلا وودعه الشيخ عثمان ونزل إلى عند والدك إلى هذه الدار فلما دخل عليه قال له والدك كيف رأيت قال له يا سيدي كل خير قال عامر فسألت الشيخ عثمان بعد ذلك عن توقفه عن الطلوع إلى الشيخ عيسى حتى أجاره والدك قال يا ولدي قدمت هذه القرية من سنين بعد وفاة الشيخ عبد الله الكبير رحمه الله بسنيات ونمت في المرح الذي في الزوايا فلما مضى بعض الليل قمت لأجدد الوضوء في الطهارة فحين خرجت إلى الطريق وجدت ثعبانا عظيما فتح فاه وكاد يبتلعني فصرخت – ص ٢ ورقة ١٠ ب – وقلت يا سيدي الشيخ عبد الله أنا في جيرتك وفي حسبك فلم أستتم كلامي إلا والشيخ عبد الله واقف بيني وبين الثعبان وبيده حربة وضرب الثعبان بين كتفيه بيده وقال مالك يا نحيس ضيف وارد عليك تفعل معه هذا وإذا بذلك الثعبان هو الشيخ عيسى فطلع إلى زاويته فهذا سبب قولي الذي سمعت ولو لم يجرني سيدي الشيخ الفقيه منه لما طلعت إليه وكرامات الشيخ عيسى كثيرة رحمه الله ورضي عنه.
عيسى بن ظاهر بن نصر الله بن جميل أبو محمد الحلبي الحاجب – ١٢ب – وأظن لقبه القطب كان قيما بالفرائض والحساب والأوقاف وله مشاركة في غير ذلك من العلوم ولد بحلب في سادس محرم سنة أربع وثمانين وخمسمائة وانتقل إلى القدس الشريف وأقام به مدة ثم عاد إلى مدينة دمشق وأقام بها إلى سنة أربع وأربعين وستمائة ثم انتقل إلى مدينة حلب وأقام بها إلى أن توفي بها في ليلة الخميس مستهل شهر رمضان هذه السنة رحمه الله تعالى. بتها فشكونا ذلك إلى الشيخ عيسى رحمه الله وسألناه أن يكتب لنا حرزا فأعطانا ورقة مطوية صورة حرز فشمعناها وعلقناها على بعض الأشجار فزالت الدودة عن الوادي بأسره

وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها وحملت حملا مفرطا وبقينا على ذلك سنين في حياة الشيخ وبعد وفاته ثم خشينا ضياع الحرز وقلنا ننسخه فأزلنا عنه الشمع وفتحناه فإذا هو قطعة من كتاب ورد على الشيخ من بعض أهل حماة فندمنا على فتحه ثم شمعناه وأعدناه إلى مكانه فجاءت الدودة وركبت الأشجار وأعطبت٥١ واستمر الحال على ذلك وحكى لي الحاج علي بن أبي بكر بن دلفة." (١)

"اليونيني ما معناه قال **كان والدي** وابن عمك نور الدولة علي بن عمر بن نيار رحمه الله قد اتفقنا على عمارة حمام بقرية يونين وحصلوا بعض آلاته وهيئوا المكان الذي يعمر فيه واهتموا بذلك واتفق أنهما طلعا إلى عند الشيخ عيسى وأنا معهما فقال لهما الشيخ رحمه الله بلغني أنكم تريدون تعمرون حماما في هذه القرية وهذا لا تفعلوه واتركوا – ص ٢ ورقة عشرة ألف – عمارته فما وسعهم إلا أن قالوا السمع والطاعة وقاموا من عنده فلما بعدوا عنه قال أحدهما للآخر كيف نعمل بهذه الآلات فقال له صاحبه الشيخ عيسى رجل كبير ما يخلد نصبر فمتى مات عمرناه فطلبهما الشيخ إليه وقال كأني بكم قد قلتم كذا وكذا وأنكم تعمرون الحمام بعد موتي وهذا لا يصير ولا يعمر في القرية حمام لا في حياتي ولا بعد موتي فاعتذروا إليه مما قالوه وفارقوا على ذلك قلت فأنا والله رأيت الأمير جمال الدين التجيبي رحمه الله نائب السلطنة في الشام في أوائل الدولة الظاهرية وكان معهم مقطع معظم يونين قد اهتم بعمارة حمام في القرية واشترى القدور وسائر الآلات ولم يبق إلا عمارته ثم اتفق ما صرفه عن ذلك ثم انتقل الخبر إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري متولي نيابة السلطنة بالشام بعده فشرع في ذلك واهتم به كهمة الأمير جمال الدين أو أكثر وحفر الأساس ثم بطل ذلك بموانع سماوية وأظن أميرا آخر غيرهما اقطع في القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم وصح قول الشيخ رحمه الله تعالى وحدثني المغربي عامر بن يحيى بنى ريان بمنزلي بقرية يونين في ثاني." (٢)

"وتلقاه فعند ما عاينه بالغ في الإقبال والترحيب والمؤانسة ولم يشتغل عنه بغيره إلى أن فارقه قال الأمير ناصر الدين محمد بن التبنيني رحمه الله فلما فارقه شرع في شكره والثناء عليه وتعظيمه فقلت له يا خوند ألا أنه يحب عملك الملك الصالح فقال حاشى ذاك الوجه وأمر أن يحمل إليه جميع ما كان أوقف من الكسوة والرواتب وغير ذلك للمدة الماضية وأجراها في المستقبل ولما نزل إلى دمشق في آخر سنة خمس وخمسين خرج الملك الناصر صلاح الدين يوسف إلى زيارته بزاوية الشيخ علي القرشي رحمه الله فلما دخل

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣٠/١

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣١/١

عليه بالغ في التأدب معه والتعظيم له واستعراض حوائجه.

وكان والدي رحمه الله يكره الاجتماع بهم ولا يؤثره ومما جرى له مع الملك الأشرف أنه كان إذا حضر إليه عرض عليه قصصا كثيرة للناس ويسومه قضاء ما فيها فيفعل ذلك فاتفق حضوره إليه في بعض الأيام وعنده قصص كثيرة جدا فشرع الملك الأشرف في قراءتها فقرأ بعضها وضجر من إتمامها فقال له والدي أنا أجعل كفارة اجتماعي بكم قضاء لحوائج الناس فإن قضيتموها وإلا ما اجتمع بكم فاعتذر إليه وتلافاه وتمم قراءة تلك القصص وقضى جميع ما فيها وكانت مدة اجتماعه بالملوك وترددهم إليه ثلاثا وأربعين سنة، وكان قبل ذلك ربما اجتمع بهم مصادفة أما ترددهم إليه بالقصد فمن ذلك التاريخ وكان يعد ذلك من كرامات شيخه الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله فإن الشيخ." (١)

"للقلعة وجعله فيها يزار في عصر الاثنين والخميس **وكان والدي** رحمه الله إذا جمعه وعلماء عصره مثل الشيخ تقي الدين بن العز والشيخ شرف الدين ابن الشيخ أبي عمر والشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح وقاضي القضاة شمس الدين بن سنى الدولة وقاضي القضاة شمس الدين الخوى والشيخ أبي عمرو بن الحاجب والشيخ الحصيري وغيرهم من تلك الطبقة بالغوا في التأدب معه ولا يترفع أحد منهم عليه في الجلوس ولا الكلام ويرجعون إلى قوله وكذلك كان حال أكابر مشايخ عصره من الزهاد يتمثلون بين يديه ويمتثلون أمره حدثني غير واحد من أعيان الفقراء أن الشيخ عثمان العدوي رحمه الله قدم مرة دمشق **وكان والدي** بها فدخل أمين الدولة وزير الملك الصالح على علي والدي في أنه يعمل للشيخ عثمان ومن معه من الفقراء ضيافة فأجابه والدي فعمل ضيافة احتفل لها واستدعى إليها مشايخ البلد فلما حضر والدي والشيخ عثمان ومد السماط شرع والدي يأكل وامتنع الشيخ عثمان من الأكل فقال له أمين الدولة في ذلك فقال والدي المقصود بركة الشيخ عثمان ويترك في الأكل على اختياره فلما خرج الجماعة قال بعض الفقراء للشيخ عثمان يا سيدي أنت ليس لك." (٢)

"يقارب هذا أن خالي تاج الدين يعقوب بن سنى الدولة رحمه الله قدم بعلبك في الأيام الناصرية زائرا ونزل في دار ابن عمه الشرف خضر **وكان والدي** كثير البر بأقارب والدتي فاتفق أنه قصد رؤيته وأنا معه فلما دخل قام خالي وقبل يده وقعد بين يديه وهناك فقير موله يقال له علي وقد أحسن خالي فيه الظن فلما دخل والدي قعد ذلك الفقير في الصفة فحضر الشمس محمد بن داود خادم والدي ومعه رأس مشوي

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٣

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٧

ومدت السفرة وطلبوا على الفقير ليأكل فوضع يده على أنفه وقال أفوه أفوه وجعل يكرر هذا القول فلما سمعه والدي زعق فيه وقال قم قطع الله أنفك فخرج من البيت لوقته وطلب طريق الزبداني فلما كان بعد المغرب صادفه جندي سكران في الرمانة فضربه بالسيف فاصطلم أنفه بالكلية فعاد من الغد وهو على هذه الصورة وخولط في عقله فلم ينتفع بنفسه إلى أن مات.

ولما قصد التتر الشام في أوائل سنة ثمان وخمسين وستمائة وكثر الإرجاف بهم قال والدي رحمه الله للشيخ محمود بن الشيخ سلطان وكان الشيخ محمود يجتمع برجال لبنان قد جمع بينه وبينهم والده فقال له والدي سلم عليهم وسلهم عن أمر هذا العدو وما يكون عاقبة الناس معهم فسألهم وحضر عند والدي فقال له ما الذي أجابوك به فقال قالوا قل له يسألنا عن مثل هذا ونحن لا نعلم إلا ما يفضل عنه وسمعت الشيخ محمود رحمه الله يقول غير مرة ما توفي سيدي الشيخ الفقيه." (١)

"قال العماد فعجبت من هذه المكارم والمجازاة على ما أيسر شيء بمثل هذا، **فكان والدي** رحمه الله يبالغ في مجازاة من يخدمه ولو بايسر شيء بما يمكنه ولا يرى أنه وفي ذلك الشخص حقه.

وسمعته رحمه الله يحكي أن الشيخ عبد الله نزل دمشق وأقام بالربوة والملك العادل غائب عن دمشق ونائبه بها المعتمد رحمه الله فجعل نساء الملك العادل وبناته وإخواته يترددن إلى زيارة الشيخ وكثر ذلك ولا يقدر المعتمد على منعهن وخشي من الملك العادل وأن ذلك يبلغه فينكر عليه تمكينهن فحضر إلى عندي وكان صديقي وهو من أصحاب الشيخ ومحبيه وعرفني الصورة وطلب مني أن أحسن للشيخ السفر فوعدته بذلك هذا والشيخ في الطهارة وقام المعتمد ركب ودخل البلد وخرج الشيخ فتوضأ للصلاة وصلى ركعتين ولبس الجمجم وقال تم بنا وسافر لوقته ولم أحدثه بشيء مما قال المعتمد وكان عادة المعتمد أن يسير للشيخ في كل سنة فرجية قرض يصلي بها في الشتاء وتوهم المعتمد أن سفر الشيخ كان لقوله فكتب إلي يسألني أن أطيب قلب الشيخ عليه وسير الفرجية القرض فأحضرتها عند الشيخ وقلت يا سيدي المبارز المعتمد يقبل يدك وقد سير هذه الفرجية فقال يا محمد أنا إذا أحسن الشخص علي في العمر مرة واحدة وأساء بقية عمره ما أراه إلا محسنا وهذا المعتمد عمره يخدمني وقد أخطأ مرة واحدة وعرفني أن طيب القلب عليه أو ما هذا معناه.." (٢)

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٩

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٥٤

"الجوزي رحمه الله وهم في الحديث فقال للملك المعظم تعطيني هذا الكتاب والمقصود يحصل في عشرة أسام فأعطاه الكتاب فركب من وقته وحضر إلى بعلبك واجتمع بوالدي وقال له أشتهي أن تعزو هذه الأحاديث فأخذ الكتاب منه وعزاها على ما اقترح المعظم في مدة ثلاثة أيام وعثر على ألفاظ سقطت فألحقها بخطه وكان ذلك المجلد في نهاية حسن الخط، فلما فرغ منه أخذه الشيخ شمس الدين وعاد به إلى دمشق وحمله إلى الملك المعظم فسر بذلك وأثنى على الشيخ شمس الدين وفضيلته فلما عاد وحضر عنده الشيخ جمال الدين بن الحافظ عرفه أن الشيخ شمس الدين عزا تلك الأحاديث في مدة يسيرة وأوقفه على المجلد فتعجب من ذلك لأن الحديث لم يكن في الشيخ شمس الدين وتصفح المجلد فوجد تلك الإلحاقات التي بخط والدي فقال إنما عزا هذه الأحاديث الشيخ الفقيه اليونيني فقال وكيف صنع قال هو يحفظ هذه الأحاديث جميعها ويعرف مظانها فما يتعذر عليه ذلك وهذا خطه فقال اشتهى أن اجتمع به فقال ما يفعل يجئ إلى هنا.

وكان والدي رحمه الله لا يتناول من وقف شيئا ولا يقبل بر أحد ولا أكل في عمره صدقة ولا ما يجري مجراها وكان يقبل الهدية من بعض الناس ممن يتيقن حل ما له ويكافي عليها، وحدثني أخي أبو الحسن علي رحمه الله أن والده رحمه الله أخبره قبل وفاته أنه من ذرية." (١)

"في غالب الأوقات ومات وهو في عشر الستين رحمه الله تعالى.

محمد بن نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي ابن حمزة أبو الفضل جمال الدين التميمي الدمشقي المعروف بابن القلانسي مولده بدمشق في ذي الحجة سنة ست وستمائة سمع من أبي اليمن الكندي وغيره وحدث هو وغير واحد من أهل بيته وكان من العدول الرؤساء الأعيان ومن أولي الثروة والوجاهة بدمشق وتوفي في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون رحمه الله.

إلياس بن عيسى بن محمد الأربلي الشيخ الصالح الفاضل كان مقيما بدمشق وأكثر نهاره بالجامع في رواق الحنابلة وكان على ذهنه من الحكايات والنوادر والوقائع شيء كثير من حسن الحديث والمحاضرة وكان مليح الشكل ظريفا لطيفا **وكان والدي** رحمه الله يحبه ويؤثر سماع حديثه فكان لا يكاد يفارقه إذا **كان والدي** بدمشق وله على والدي رسم من النفقة يسيره إليه في كل سنة وكان يجلس عليه الأعيان والصدور لصلاحه وحسن شكله وسمته وحديثه ثم سكن جبل قاسيون في آخر عمره وبه توفي في ثالث عشر شعبان وهو في عشر الثمانين رحمه الله تعالى.

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٥٦

أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأمير مجير الدين الأزكشي الكردي الأموي كان من أعيان الأمراء وأكابرهم وشجعانهم وكان له في مصاف التتار بعين جالوت اليد البيضاء والأثر العظيم ولما قدم الملك المظفر." (١)

"أبو الفضل بن ... الصحراوي الشاغوري كان من الصلحاء الأخيار العارفين ملازما للخير والعبادة وكان كثيرا ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام وكان منقطعا عن أرباب الدنيا مقيما في منزله بالشاغور ظاهر دمشق اجتمع بجماعة من أرباب الطريق وأخذ عنهم، زرته في منزله وكانت وفاته في جمادى الأولى بدمشق رحمه الله ونفعنا ببركته.

أبو محمد بن سلطان بن محمود كان رجلا صالحا عابدا منقطعا عن أرباب الدنيا عاكفا عن العبادة وإشغال الناس بالقرآن العزيز لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يذكر أحدا إلا بخير وكان عالما بما يحتاج إليه من أمر دينه سمع البخاري من ابن الزبيدي وسمع من الشيخ بهاء الدين أبي محمد عبد الرحمن المقدسي وغيره ولازم صحبة الشيخ إبراهيم بن جوهر البطائحي رحمه الله وانتفع به وصحب والده أيضا وكان من أصحاب والدي رحمه الله قرأ عليه وسمع منه **وكان والدي** يحبه ويكرمه لصلاحه ودينه ولأجل والده سلطان رحمه الله فإنه كان من الأولياء الأفراد، وكانت وفاة الشيخ أبي محمد المذكور ببعلبك في ليلة الخميس العشرين من شهر رمضان من هذه السنة ودفن بتربة الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله وهو في عشر السبعين وكان متقللا من الدنيا قانعا منها بالكفاف سالكا إنموذج السلف الصالح وتوفي." (٢)

"في ذلك، فتركت اللحم لهذا السبب، وهذا غاية الورع، فقلت له: المولى قد قارب بفعله ما يروى عن أمير المؤمنين، لم نعهد لي بخيلا. فقال: ما أفعل هذا بخلا، لكنني منذ قتل عثمان رضي الله عنه ونهبت داره وما فيها لا آكل شيئا إلا أتحقق حله، وأعلم أصله أو ما هذا معناه. وكان القاضي محي الدين المشار إليه من أصحاب والدي رحمه الله. سمع عليه الكثير ولازمه لما نزل دمشق في أواخر سنة خمس وخمسين، **وكان والدي** يكرمه ويحبه ويثني عليه. وكان أهلا لذلك، وحضر عدة مصافات مع الفرنج وحصارات لبلادهم، وله المواقف المشهورة والآثار المذكورة في ذلك رحمه الله تعالى. حكى لي أخي رحمه الله عنه ما معناه، قال: لما قصد الفرنج غزة، جهز إليهم الملك الصالح نجم الدين عسكرا، مقدمه ركن الدين بيبرس الصالحي، وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم، ثم بلغه أنهم في كثرة لا يقاومهم العسكر

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٢٢٢

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢/٤٢٩

المسير إليهم، فكتب بطاقة إلى ركن الدين مقدم العسكر يأمره بالتأخر، وأنه لا يلقاهم بمن معه إلى حين يصله مدد يقوى به عليهم، وحضر الفرنج، وركب الأمير ركن الدين ومن معه لملتقاهم، ووقف العين في العين، وبقي بين العسكرين مقدار شوط فرس، فحضرت البطاقة إلى ركن الدين في ذلك الوقت، وأنا إلى جانبه فقال لي: تقف على هذه البطاقة وتعرفني مضمونها، فلما وقعت عليها، قلت في نفسي: متى عرفته اندفع، وطمعوا فيه وفيمن معه، والكذب في مثل هذا الموطن." (١)

"كانت جزلة متخلصة، استكملت أربعا وتسعين سنة.

نسخت كتبا كبارا [١] ، وماتت بكرا، ودفنت بمقبرة أم سلمة بقرطبة.

- حرف الميم-

٢٣٦- محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه بن عبد الله [٢] .

المحدث أبو عبد الله [٣] ابن المحدث المزكي [٤] أبي إسحاق النيسابوري.

أحد الإخوة الخمسة، وأصغرهم.

حدث عن: والده أبي إسحاق المزكي، وأبي علي الرفاء، ويحيى بن منصور القاضي، وأبي العباس محمد بن إسحاق الصبغي، وأبي عمرو بن مطر، وأبي بكر بن الهيثم الأنباري، وأبي بحر البربهاري، وأبي بكر الطلحي الكوفي، وطبقتهم.

خرج له الحافظ أحمد بن علي بن منجويه، وأبو حازم العبدويي [٥] .

وكان صحيح السماع [٦] .

قال عبد الغافر الفارسي [٧] : كان والدي يتأسف على فوات السماع منه.

وقد أنبأ عنه: أخوالي أبو سعد، وأبو سعيد، وأبو منصور، ونافع بن محمد الأبيوردي [٨] ، والشقاني [٩] ، وأبو بكر محمد ابن أخيه يحيى، وعلي بن عبد الرحمن العثماني.

---

[١] في (الصلة) زيادة: «وتجيد الخط وتحسن القول» .

[٢] انظر عن (محمد بن إبراهيم بن محمد) في:

المنتخب من السياق ٣٢ رقم ٣٤، والعبر ٣/ ١٦٣، وتذكرة الحافظ ٣/ ٩٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥١، ٥٥٢ رقم ٣٧٦، والوافي بالوفيات ١/ ٣٥٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٣٣.

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/ ٥٨

[٣] في (الوافي بالوفيات) : «أبو إسحاق» .

[٤] المزكي: بضم الميم، وفتح الزاي، وفي آخرها الكاف المشددة. هذا اسم لمن يزكي الشهود ويبحث عن حالهم ويبلغ القاضي حالهم. (الأنساب ١١/ ٢٧٨) .

[٥] المنتخب من السياق.

[٦] زاد في (المنتخب) : «حسن الأصول» .

[٧] قوله ليس في المطبوع من (المنتخب من السياق) .

[٨] تقدم التعريف بهذه النسبة.

[٩] الشقاني: بفتح الشين المعجمة، وتشديد القاف، وفي آخرها النون. قال ابن السمعاني:

وسمعت صاحبي أبا بكر محمد بن علي بن عمر البروجردي يقول: سمعت الإمام محمد الشقاني يقول: بلدنا «شقان» بكسر الشين، ثم قال: ثم جبلان، وفي كل واحد منهما شق." [1]

"قال: فو الله ما مسها، ولا قبلها [١] .

سمعت جماعة من أهلي أن في سنة إحدى وخمسين وقع النهب بالجانب الغربي، انتقل الوالد، وكان في بيته خبز يابس، فنقله معه، وترك نقل رحله، لتعذر من يحمله، فكان يقتات منه وقال: هذه الأطعمة اليوم نهوب وغصوب، ولا آكل من ذلك شيئا. فبقي ما شاء الله يتقوت من ذلك الخبز اليابس، ولحقه منه مرض [٢] .

وكان الوالد يختم في المسجد في كل ليلة جمعة ويدعو، ما أخل بهذا سنين عديدة إلا لعذر [٣] .

ولعل يقول ناظر في هذا: كيف استجاز مدح والده؟ فإنما حملنا على ذلك كثرة قول المخالفين، وما يلقون إلى تابعيهم من الزور والبهتان، ويتخرصون على هذا الإمام من التحريف والعدوان [٤] .

أنشدني بعض أصحابه، فقال:

من اقتنى وسيلة وذخرا ... يرجو بها مثوبة وأجرا

فحجتي يوم أوافي الحشرا ... معتقدي عقيدة ابن الفرا [٥]

قال أبو الحسين: اعلم، زادنا الله وإياك علما ينفعنا به، وجعلنا ممن آثر الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، على آراء المتكلمين، وأهواء المتكلفين، أن الذي درج عليه سائر [٦] السلف [٧] التمسك بكتاب الله، واتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ما روي عن الصحابة، ثم عن التابعين والخالفين

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٩/١٩٩

لهم من علماء المسلمين الإيمان والتصديق بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، مع ترك البحث والتنقير، والتسليم لذلك، من غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا

---

[١] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

[٢] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٣.

[٣] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٣.

[٤] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٧.

[٥] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٦ وفيه: «معتقدي لمذهب ابن الفرا» .

[٦] في طبقات الحنابلة ٢/ ٢٠٧ «صالحو» .

[٧] في الطبقات زيادة بعدها: «وانتهجه بعدهم خيار الخلف، هو ... » .." (١)

"وكان قد وصى له القائم بأمر الله بأشياء كثيرة، فلم يأخذها. فقيل له: خذ قميص أمير المؤمنين للبركة، فأخذ فوطته فنشف بها القائم وقال: قد لحق الفوطة بركة أمير المؤمنين [١] .

ثم استدعاه المقتدي، فبايعه منفردا [٢] .

ولما توفي كان يوم جنازته يوما مشهودا، وحفر له إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره ليلا نهارا، حتى قيل: ختم على قبره أكثر من عشرة آلاف ختمة [٣] .

---

[١] طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٠.

[٢] قال ابن أبي يعلى: «وكان الوالد السعيد- في مرضه الذي مات فيه- قد أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر، فحضر وتولى ذلك بنفسه، وعرف ذلك الإمام القائم بأمر الله. فلما حضرت القائم بأمر الله الوفاة قال: يغسلني الذي غسل ابن الفراء، ابن أبي موسى. وعدل عن جميع أهل العلم والقضاة والأشراف. ففعل. وكان ذلك في يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة. فصعد باب الغرفة وأدخل م ن هناك إلى حجرة الإمام القائم بأمر الله، وهو ميت مسجى فيها. فغسله وعاونه في غسله- من صب ماء وغيره- عفيف، وصافي، وسلامة، ومسعود، في المطبوع تحرف إلى: «مسعود» .

وتنزه أن يأخذ مما هناك شيئا، فقيل له: قد أوصى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة من المال والثياب، هي

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٠/٤٦١

حاضرة هناك، لها قيمة، فأبي أخذها، فقيل له: فقميص أمير المؤمنين تتبرك به.

فأخذ فوطة نفسه، فنشف بها الإمام القائم بأمر الله وقال: قد لحق هذه الفوطة- وهي ملكي- بركة أمير المؤمنين، ولم يأخذ القميص.

فقلت له بعد اجتماعي معه: أين سهمنا مما كان هناك؟ فقال: أحببت حال شيخنا والدك الإمام أبي يعلى، يقال: هذا غلامه تنزه عن هذا القدر الكثير. فكيف لو **كان الوالد** السعيد؟

... وقد بلغ من قدره ومحله عند الإمام المقتدي بأمر الله، أنه لما فرغ شيخنا الشريف من غسل الإمام القائم بأمر الله، لم يأذن له بالمصير إلى منزله، حتى بايع الناس الإمام المقتدي بأمر الله على الإجماع، واستدعاه لبيعته مفردا مخليا به، فبايعه، ثم قال له شيخنا الشريف في جملة كلامه له:

إذا سيد منا مضى، قام سيد ... قؤول بما قال الكرام فعول

ثم أذن له بالمضي إلى منزله بعد بيعته.

وانتهى إليه في وقته الرحلة بطلب مذهب إمامنا أحمد» . (طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٠، ٢٤١) .

[٣] المنتظم ٨/ ٣١٧، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٤ وفيه: «وصلي عليه يوم الجمعة ضحى بجامع المنصور، وأم الناس أخوه الشريف أبو الفضل محمد، ولم يسع الجامع الخلق وانضغطوا، ولم يتهيأ لكثير منهم الصلاة، ولم يبق رئيس ولا مرءوس من أرباب الدولة، وغيرهم إلا حضره، إلا من شاء الله، وازدحم الناس على حمله. وكان يوما مشهودا بكثرة الخلق، وعظم." [١]

"أبو الفضل المقدسي الهمذاني الفرضي. نزيل بغداد.

كان واحد عصره في الفرائض.

سمع: الحسن بن محمد الشاموخي [١] بالبصرة، وعبد الواحد بن هبيرة العجلي، وجماعة [٢] .

روى عنه: ابن السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي [٣] .

وقيل: كان معتزليا [٤] .

[()] وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١، ٣٢ رقم ١٨، وعيون التواريخ ١٣/ ورقة ٥٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٤٨، ٢٤٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٢٩، ونكت الهميان ٥٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٤ رقم ٢٣٢، ولسان الميزان ٤/ ٥٧، وكشف

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٢٥/٣١

الظنون ١٢٥٢، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٧٩.

[١] الشاموخي: بفتح الشين المعجمة، وضم الميم، وفي آخرها الخاء المعجمة، هذه النسبة إلى «شاموخ» وهي قرية بنواحي البصرة. (الأنساب ٧/ ٢٦٤) .

[٢] قال ابن الجوزي: روى عنه أشياخنا، وكان يعرف العلوم الشرعية والأدبية، وإلا أن علم الفرائض والحساب انتهى إليه، وكان قد تفقه على أقضى القضاة أبي الحسن الماوردي. وكان يحفظ «غريب الحديث» لأبي عبيد، و «المجمل» لابن فارس، وكان عفيفا زاهدا، وكان يسكن درب رياح، وكان الوزير أبو شجاع قد نص عليه لقضاء القضاة، فأجابه المقتدي، فاستدعاه، فأبى أشد الإباء، واعتذر بالعجز وعلو السن، وعاود الوزير أن لا يعاود ذكره في هذه الحال.

(المنتظم ٩/ ١٠٠ و ١٧/ ٣٥) .

[٣] وهو قال: سمعت أبا الحسن بن أبي الفضل الهمذاني يقول: **كان والدي** إذا أراد أن يؤدبني يأخذ العصا بيده ويقول: نويت أن أضرب ابني تأديبا كما أمر الله، ثم يضربني. قال أبو الحسن: وإلى أن ينوي ويتم النية كنت أهرب. (المنتظم) .

[٤] وقال ابن النجار: سكن بغداد إلى حين وفاته، وكان يتولى بقطيعة الكرخ، وكان فقيها فاضلا على مذهب الشافعي وإماما في الفرائض والحساب وقسمة التركات، وإليه مرجوع الناس في ذلك وعليه معتمدهم، وكان من الصلاح والعبادة والنسك والزهد والورع والعفة والنزاهة على طريقة اشتهر بها وعرفها الخاص والعام، وأريد على أن يلي قضاء القضاة فامتنع.

وقال أبو الحسن أحمد بن عبد الله الآبنوسي: سمعت شيخي أبا الفضل الهمذاني يقول:

خرجت من همذان ولم أخلف بها أحدا أعرف بالفرائض بجلال قدرهم وغزارة علمهم. ثم قال الآبنوسي: وكان الهمذاني ينسب إلى الاعتزال والنصرة لرأيهم.

وقال شيرويه الديلمي في كتاب «طبقات الهمدانيين» : عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الفقيه الفرضي أبو الفضل المعروف بالمقدسي، سكن بغداد، سمعت منه، وكان إماما زاهدا.

وقال ابن النجار: قرأت في كتاب «الفنون» لأبي الوفاء علي بن عقيل الفقيه بخطه، قال: أبو الفضل الهمذاني كان شيخا عالما في فنون اللغة والعربية والفرائض والحساب، وأكبر علمه الفقه. وكان على طريقة

السلف، زاهدا ورعا متدينا، وكان شافعيا.

وقال السلفي: سألت أبا غالب شجاع بن فارس الذهلي عن أبي الفضل الهمذاني فقال: إمام،." [1]

"

[()] من طرابلس وبصحبته عز الدولة أبو المرهف وذلك حول سنة ٤٦٥ هـ. (زبدة الحلب ٢/ ٤٠) .

وقد جرى خلف بين أهل لطمين وبين أبي المرهف في سنة ٤٨١ هـ. فخرج آقسنقر إلى شيزر وقاتل أهلها، فقتل منهم مائة وثلاثين رجلا، وعاد إلى حلب بعد أن نهب ربضها، واستقرت الموادعة بينه وبين أبي المرهف. (زبدة الحلب ٢/ ١٠٥) .

ونزل قسيم الدولة على أفامية في سنة ٤٨٣ فأخذها من خلف بن ملاعب وسلمها إلى أبي المرهف. (زبدة الحلب ٢/ ١٠٦، الدرة المضية ٦/ ٤٣١ وفيه سنة ٤٨١ هـ) .

وذكر «أسامة بن منقذ» أن أبا المرهف جرح في حرب ابن ملاعب سنة ٤٩٧ عدة جراح منها طعنة طعنها في جفن عينه السفلاني من ناحية المأق. وكان هو وأخوه مرشد والد أسامة من أشجع قومهما. فقال أسامة: لقد شهدتهما يوما وقد خرجا إلى الصيد بالبزاة نحو تل ملح وهناك طير ماء كثير، فما شعرنا إلا وعسكر قد أغار على البلد ووقفوا عليه، فرجعنا، **وكان الوالد** من أثر مرض. فأما عمي فخف بمن معه من العسكر وسار حتى عبر المخاض إلى الإفرنج وهم يرونه. (الاعتبار ٥٥) .

وسير «سديد الملك» ابنه عز الدولة أبا المرهف إلى خدمة تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب، فقبض عليه واعتقله ووكل به من يحفظه. وكان لا يدخل إليه سوى مملوكه شمعون الملقب بموفق الدولة، والموكلون حول الخيمة، فكتب عز الدولة إلى أبيه يقول: «تنفذ لي في الليلة الفلانية- وعينها- قوما من أصحابه، ذكرهم، وخيلا أركبها إلى الموضع الفلاني. فلما كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع ثيابه فلبسها مولاه وخرج على الموكلين في الليل، فما أنكروه، ومضى إلى أصحابه، وركب وسار، ونام شمعون في فراشه.

وجرت العادة أن يجيئه شمعون في السحر بوضوئه، فكان- رحمه الله- من الزهاد القائمين ليلهم يتلون كتاب الله تعالى، فلما أصبحوا ولم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة، فوجدوا شمعون وعز الدولة قد راح. فأنهوا ذلك إلى تاج الدولة، فأمر بإحضاره، فلما حضر بين يديه قال: كيف عملت؟ قال: أعطيت مولاي ثيابي لبسها، وراح، ونمت أنا في فراشه.

(الإعتبار ٥٧) .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٣/٣٠٤

أنشده أخوه أبو سلامة قول الشاعر:

كنت أستعمل السواد من الأمشاط ... والشعر في سواد الدياجي

أتلقى مثلا بمثل فلما ... صار عاجا سرحته بالعاج

فلما كان من غد أنشد لنفسه:

كنت أستعمل البياض من الأمشاط ... عجبا بلمتي وشبابي

فاتخذت السواد في حالة الشرب ... سلوا عن الصبا بالتصابي

(تاريخ دمشق ٤٣/ ٤٥١، المختصر ٢٦/ ١٣٤، ١٣٥) .

ومن شعره:

لهفي لدار عفاها كل منهمر ... جون ملث عليها رائح ساري

وما عفا ذكر أحبابي الذين لهم ... حزني مقيم ودمعي إثرهم جاري

(المنازل والديار ٢/ ١١٢) .." (١)

"سمع: عبد الرحمن بن حمدان النصرويي [١] ، وعبد القاهر بن طاهر البغدادي، وأبا حسان محمد بن أحمد المزكي، وأبا حفص بن مسرور.

وسافر في شبيبة إلى المغرب تاجرا، وأقام هناك مدة، وحصل أموالا، ثم عاد إلى نيسابور ولزم داره.

وكان قليل المخالطة.

وحدث ببغداد مع أخيه لما قدم للحج، وقد مر أخوه الفضل من سنوات.

روى عنهما: أبو الفتح محمد بن عبد السلام. سمع منهما في سنة سبع وثمانين [٢] .

وسأله اليونارتي [٣] عن مولده فقال: في سنة سبع عشرة وأربعمائة. وذكر أنه غاب عن نيسابور نيفا وعشرين سنة [٤] .

ووصفه عبد الغافر في «تاريخه» [٥] : بالصدق والعدالة والعبادة، وصحة السماع، والإنفاق على الفقراء.

وتصدق في آخر عمره بصدقات كثيرة. وثقل سمعه. وتوفي في شعبان [٦] .

قال أبو سعد السمعاني: [٧] **كان والدي** أحضرني للسماع عليه في سنة تسع وخمسمائة.

---

[١] في ذيل تاريخ بغداد ٢/ ١٧٨ «النضروي» ب الضاد المعجمة، وهو تحريف، والمثبت عن (الأنساب

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١٠/٣٤

١٢/ ٩١) وفيه: «النصرويي: بفتح النون وسكون الصاد المهملة والراء المضمومة وفي آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها. هذه النسبة إلى نصرويه وهو في أجداد المنتسب، والمظهور بهذا الانتساب: أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان.

[٢] ذيل تاريخ بغداد ٢/ ١٧٨.

[٣] اليونارتي: بضم الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وسكون الواو وفتح النون وسكون الراء، وفي آخرها التاء المنقوطة باثنتين من فوقها، هذه النسبة إلى يونارت، وهي قرية على باب أصبهان.

(الأنساب ١٢/ ٤٣٣، ٤٣٤) وهو الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن حيويه المقرئ. توفي في حدود سنة ٥٣٠ هـ-.

[٤] ذيل تاريخ بغداد ٢/ ١٧٩.

[٥] ذيل تاريخ نيسابور.

[٦] ذيل تاريخ بغداد ٢/ ١٧٩.

[٧] انظر التحبير ١/ ٤٥٨، ٤٥٩.." (١)

"روى عنه: أبو موسى المديني، وقال: **كان والدي** وأخي في مكتبه، وتوفي في سادس شوال.

وقال السمعاني في معجمه الملقب «بالتحبير» [١] : يعرف بالزين العلم.

ومن مسموعاته: فضل رمضان لسلمة بن شبيب، سمعه من أحمد بن الفضل الباطرقاني، عن محمد بن أحمد بن الحسين، عن الفضل بن الخصيب، عنه، وكتاب «الحجة في القراءات الثمان» تأليف أبي الفضل الخزاعي، رواه عن الباطرقاني عنه.

١٤٣- أحمد بن أبي الفضل محمد بن عبد العزيز بن عبد الواحد [٢] .

أبو الرجاء القارئ.

روى عنه: أبو موسى المديني، وقال: لم أر مثله في طريقته من الطراز الأول.

روى عن: أبي الحسين ابن المهتدي بالله.

١٤٤- إبراهيم بن الفضل [٣] .

أبو نصر الأصبهاني البئار [٤] المفيد.

قال ابن السمعاني: رحل، وسمع، ونسخ، وجمع، وما أظن أن أحدا بعد محمد بن طاهر المقدسي رحل

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥/٣٣٨

وطوف مثله، وجمع كجمعه، إلا أن الإدبار لحقه في آخر الأمر، وكان يقف في أسواق أصبهان، ويروي من حفظه بالسند.

وسمعت أنه يضع في الحال [٥] .

---

[١] لم أجده في المطبوع من (التحبير) .

[٢] لم أجد مصدر ترجمته.

[٣] انظر عن (إبراهيم بن الفضل) في: الأنساب ٢/ ٢٧، واللباب ١/ ١٠٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٢٩- ٦٣١ رقم ٣٧١، والعبر ٤/ ٨٢، والمشتبه في الرجال ١/ ٣٩، وميزان الاعتدال ١/ ٥٢، ٥٣، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨، والوافي بالوفيات ٦/ ٩٠، ٩١ رقم ٢٥٢٠، والمقفى الكبير ١/ ٢٥٣- ٢٥٥ رقم ٣٠١، وتوضيح المشتبه ١/ ٣٠٧، ٣٠٨ ولسان الميزان ١/ ٨٩، وشذرات الذهب ٤/ ٩٤، ٩٥.

[٤] في الأصل: «البار» .

[٥] وقال في الأنساب: كان كذابا غير موثوق به، وسمعت أنه يضع الحديث، ويركب المتون على الأسانيد، لما دخلت أصبهان، وجدت الألسنة كلها متفقة على جرحه وطرحه.." (١)

"أبو نصر الخموشي [١] ، السرخسي.

صدوق، مكثر، رئيس [٢] . ولد سنة ٤٤٣.

وسمع: زهير بن الحسن الجذامي، وعبد الله بن عباس العبدوسي، وغيرهما.

روى عنه: أبو سعد السمعاني، وأبوه.

مات في ربيع الآخر.

٤٧- محمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس [٣] .

أبو البركات الموصلي.

من بيت العلم والفضيلة بالموصل.

روى عن: أبي نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق.

وعنه: الصائن هبة الله بن عساكر، والكمال محمد بن عبد الله بن الشهرزوري القاضي.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٧٨/٣٦

وسماع الكمال منه ببغداد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

قال ابنه سليمان: توفي أبي في شوال هذه السنة، وكان مولده سنة ٤٣٧.

٤٨- المبارك بن علي بن أبي الجود [٤] .

أبو القاسم البغدادي، العتابي، من شارع العتابيين [٥] .

كان أمين القاضي.

سمع: أبا الحسين بن النقور.

---

[١] لم ترد هذه النسبة في (الأنساب) .

[٢] وقال ابن السمعاني: كان شيخا، جليل القدر، ثقة، صدوقا، مكثرا من الحديث، سديد السيرة، وبيت الخموشية معروف بسرخس بالأمانة، والصدق، والتزكية، والعدالة ... كان عنده كتاب «المبتدإ والمبعث» لمحمد بن إسحاق بن يسار، **وكان والدي-** رحمه الله- سمع جميع الكتاب منه، ولما وافيت سرخس أردت أن أقرأ عليه هذا الكتاب. فمضيت وسألته ذلك واعتذر، وقال: إني ضعيف وكبرت، فالأولى أن تقتصر على المناولة له دون السماع، ففعلت وناولني الكتاب، وقرأت عليه جزءا من حديث العبدوسي.

[٣] لم أجد مصدر ترجمته.

[٤] لم أجد مصدر ترجمته.

[٥] قال ابن السمعاني: وببغداد محلة يقال لها: العتابين، بالجانب الغربي منها. (الأنساب ٨/ ٣٧٧) .." (١)

"وكان ثقة، أنه أراد أن ينحي عن سوأته الخرقة لأجل الغسل، فجبذها إسماعيل من يده، وغطى بها فرجه، فقال الغاسل: أحياة بعد موت [١] ؟! وقال ابن السمعاني: هو أستاذي في الحديث، وعنه أخذت هذا القدر:

وهو إمام في التفسير، والحديث، واللغة، والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، وكنت إذا سألته عن الغوامض والمشكلات أجاب في الحال بجواب شاف.

وسمع الكثير ونسخ، ووهب أكثر أصوله في آخر عمره. وأملى بجامع أصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس [٢] . وسمعته يقول: والدك ما كان يترك مجلس إملائي.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٢٥٥

وكان والدي يقول: ما رأيت بالعراق ممن يعرف الحديث أو يفهمه غير اثنين: إسماعيل الحوزي بأصبهان، والمؤتمن الساجي ببغداد.

قال أبو سعد: استفدت منه الكثير، وتتلمذت له. وسألته عن أحوال جماعة.

وسمعت أبا القاسم الحافظ بدمشق يثني عليه، وقال: رأيته وقد ضعف وساء حفظه.

وأثنى عليه أبو زكريا ابن منده في «تاريخ أصبهان» .

وذكره محمد بن عبد الواحد الدقاق فقال: عديم النظير، لا مثيل له في وقته. كان والده ممن يضرب به المثل في الصلاح والرشاد.

قال السلفي [٣] : كان فاضلا في العربية ومعرفة الرجال.

سمعت أبا عامر العبدري يقول: ما رأيت شابا ولا شيخا قط مثل إسماعيل. ذاكرته فرأيته حافظا للحديث، عارفا بكل علم، متقننا. استعجل علينا بالخروج.

وسمعت أبا الحسين بن الطيوري يقول غير مرة: ما قدم علينا من خراسان مثل إسماعيل بن محمد، رحمه الله.

---

[١] المنتظم ١٠/ ٩٠ (١٨/ ١٠) .

[٢] قاله ابن الجوزي في المنتظم.

[٣] في معجم السفر (مصورة دار الكتب المصرية) ق ١.." (١)

"وقال ابن الجوزي [١] : كان صبورا على القراءة عليه، وكان شيخا صالحا كثير الذكر والتهجد والبكاء، على سمت السلف. وعزم في هذه السنة على الحج، وهيأ ما يحتاج إليه فمات [٢] .

وقال الحافظ يوسف بن أحمد في «الأربعين البلدية» له، ومن خطه نقلت: ولما رحلت إلى شيخنا شيخ الوقت ومسند العصر ورحلة الدنيا أبي الوقت، قدر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان على طرف بادية سجستان، فسلمت عليه وقبلته، وجلست بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البلاد؟

قلت: كان قصدي إليك، ومعولي بعد الله عليك. وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي، وسعيت إليك بقدمي لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك.

فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي لما سلمت

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٣٧٣

علي، ولا جلست بين يدي. ثم بكى بكاء طويلا وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا. وقال: يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضا لسماع الصحيح ماشيا مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج، وكان لي من العمر دون عشر سنين، **فكان والدي** يضع على يدي حجرين ويقول: احملهما فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجرا واحدا، فألقيه ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟

---

[١] في المنتظم ١٠/ ١٨٣.

[٢] وقال ابن الأثير: وكان قدم إلى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحج، فسمع الناس بها عليه «صحيح البخاري» ، وكان عالي الإسناد، فتأخر لذلك عن الحج، فلما كان هذه السنة عزم على الحج فمات. (الكامل ١١/ ٢٣٩) .." (١)

"سمع من: ابن الحصين، وعبيد الله بن محمد بن البيهقي، وزاهر الشحامي.

روى عنه: حافده داود بن علي.

وكان أولا أستاذ دار المقتفي، والمستنجد، ووزر للمستضيء. وكان فيه مروءة وإكرام للعلماء.

ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة، وكان يلقب عضد الدين.

وكان سريا، مهيبا، جوادا.

قال الموفق عبد اللطيف: كان إذا وزن الذهب يرمي تحت الحصر قراضة كثيرة قدر خمسة دنانير، فأخذت منها يوما، فنهرني أبي وقال: هذه يرميها الوزير برسم الفراشين.

وكان يسير في داره، فلا يرى واحدا منا معشر الصبيان إلا وضع في يده دينارا، وكذا كان يفعل ولداه كمال الدين، وعماد الدين، إلا أن دينارهما أخف. **وكان والدي** ملازمه على قراءة القرآن والحديث.

استوزره الإمام المستضيء أول ما ولي، واستفحل أمره. وكان المستضيء كريما رءوفا، واسع المعروف، هينا، لينا. وكانت زوجته بنفسه كثيرة الصدقات والمروءة.

وكان الوزير ذا انصباب إلى أهل العلم والصوفية، يسبغ عليهم النعمة، ويشتغل هو وأولاده بالحديث والفقه والأدب. وكان الناس معهم في بلهنية،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨/١١٨

[(-)] الجانب الآخر فضربه في خاصرته، ووثب آخر وبيده سكين مسلولة فلم يصل إليه، وتكاثر الناس على الثلاثة فقتلوهم، ثم مات الوزير وصلي عليه ودفن في تربتهم.

وقيل: إن الثلاثة الذين قتلوه كانوا من الباطنية من جبل السماق.

وحكى بعض أهل قطفتا قال: دخلت قبل قتل الوزير بساعتين إلى مسجد هناك فرأيت به ثلاثة رجال، وقد قدموا واحدا منهم إلى المحراب وأقاموه، ثم صلى الرجلان الآخران عليه صلاة الميت، ثم قام ونام آخر وصلى الآخران عليه، حتى صلى كل واحد منهم على الآخر، وأنا أراهم وهم لا يروني. فعجبت مما فعلوا. ثم لما قتل الوزير وقتل الثلاثة تأملت وجوههم فإذا هم هم. (الفخري) .." (١)

"عنهم صوم رمضان.

قال: وقرأت بخط أبي غالب بن الحصين في «تاريخه» : وفيه، يعني محرم سنة تسع وثمانين، هلك سنان صاحب دار الدعوة النزارية بالشام بحصن الكهف [١] . وكان رجلا عظيما، خفي الكيد، بعيد الهمة، عظيم المخاريق، ذا قدرة على الإغواء، وخديعة القلوب، وكتمان السر، واستخدام الطغام والغفلة في أغراضه الفاسدة. وأصله من قرية من قرى البصرة، وتعرف بعقر السدف. خدم رؤساء الإسماعيلية بالألموت، وراض نفسه بعلوم الفلسفة. وقرأ كثيرا من كتب الجدل والمغالطة، و «رسائل» إخوان الصفا وما شاكلها من الفلسفة الإقناعية المشوقة غير المبرهنة.

بني بالشام حصونا لهذه الطائفة، بعضها مستجدة، وبعضها كانت قديمة، فاحتال في تحصيلها وتحصينها، وتوعير مسالكها.

وسالمته الأيام، وخافته الملوك من أجل هجوم أصحابه عليهم. ودام له الأمر بالشام نيفا وثلاثين سنة. وسير إليه داعي دعاتهم من ألموت جماعة في عدة مرار ليقتلوه، خوفا من استبداده عليه بالرئاسة، فكان سنان يقتلهم، وبعضهم يخدعه سنان، ويثنيه عما سير لأجله.

قال كمال الدين: وقرأت بخط الحسين بن علي بن الفضل الرازي في «تاريخه» قال: حدثني الحاجب معين الدين مودود أنه حضر عند الإسماعيلية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وأنه خلا بسنان، وسأله عن سبب كونه في هذا المكان، فقال: إنني نشأت بالبصرة، **وكان والدي** من مقدميها. فوقع هذا الحديث في قلبي، فجرى لي مع إخوتي أمر أحوجني إلى الانصراف عنهم، فخرجت بغير زاد ولا ركوب، فتوصلت حتى بلغت الألموت، فدخلتها وبها إلكيا محمد متحكم، وكان له ابنان سماهما: الحسن، والحسين، فأقعدني

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣٢/٤٠

معهما في المكتب، وكان يبرني برهما، ويساويني بهما. وبقيت حتى مات، وولي بعده ابنه الحسن، فأنفذني إلى الشام.

---

[١] ويقال: حصن «الكف» بغير هاء. قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة. تقوم على نشز عال فوق جبل مرتفع يرى على بعد. (صبح الأعشى ٤/ ١٤٧) بجبال العلويين.." (١)

"وكان يستحضر كثيرا من مطالعته لكتب الرقائق، وكان يكتب أوراقا بشفاعات فيسارع أولو الأمر إلى امتثالها. وكان مع لطف أخلاقه ذا هيبة شديدة. وقد سرد الصوم أكثر من أربعين سنة. وكان لا يمشي إلى أحد أبدا.

وكان يقال له: سلاب الأحوال، لأنه ما ورد عليه أحد من أرباب القلوب فسلك غير الأدب إلا سلبه حاله.

قال الشيخ قطب الدين موسى بن الفقيه في «تاريخه» : له كرامات ظاهرة، ولقد سلب جماعة من الفقراء أحوالهم. **وكان والدي**- رحمه الله- إذا خرج إلى يونين طلع إلى زاويته من بكرة، ويدخلان إلى الخلوة، فلا يزالان كذلك إلى الظهر. وكان بينهما وداد عظيم واتحاد ومحابة في الله.

وفي هذه السنة **كان والدي** يأمرني في كل وقت بقصد زيارته، فكنت بعد كل أيام أتردد إليه.

قال: وأخبر الشيخ عيسى قبل موته بمدة أن ملك بني أيوب يزول ويملك بعدهم الترك ويفتحون الساحل بأسره.

قال: وحكى بعضهم أنه توجه إلى طرابلس فوجد أسيرا فعرفه فقال له:

لا تتخلى عني واشترني وأنا أعطيك ثمني حال وصولي إلى قريتي قرية رعبان.

قال: فاشتريته بستين دينارا وجئت معه، فلم أجد له ولا لأولاده تلك الليلة عشاء، فندمت، فقال لي أهل القرية: نحن أيام البيدر نجمع لك ثمنه، فضاق صدري. فاتفق أني جئت إلى يونين فرأيت الشيخ عيسى ولم أكن رأيته قبل ذلك، فحين رآني قال: أنت الذي اشتريت الحاج سهل؟ قلت: نعم.

فأعطاني شيئا، فإذا ورقة ثقيلة.

ففتحتها فإذا فيها الستين دينارا التي وزنتها بعينها، فتحيرت وأخذتها وانصرفت.

قال قطب الدين: وشكوا إليه التفاح وأمر الدودة، وسألوه كتابة حرز، فأعطاهم ورقة فشمعوها وعلقوها على

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١/ ٣٣٠

شجرة، فزالت الدودة عن الوادي بأسره، وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها وحملت. وبقوا على ذلك سنين في حياة الشيخ وبعد موته. ثم خشوا من ضياع الحرز ففتحوه لينسخوه، فوجدوه." (١)

"٤- إلياس بن عيسى [١] .

الإربلي. شيخ فقير مشهور بالدين والخير.

كان يجلس أكثر نهاره برواق الحنابلة، ويجلس إليه أعيان ورؤساء لدينه، وعلى ذهنه عجائب ونوادر.

وكان ظريفا، مليح الشكل [٢] .

مات في شعبان.

٥- أيوب بن محمود [٣] بن أبي القاسم عبد اللطيف بن أبي المجد بن سما بن عامر.

السلمي. محتسب دمشق، تاج الدين، أبو المجد.

توفي في سلخ شعبان وله تسع وستون سنة.

حدث عن: عمر بن طبرزد.

- حرف الباء-

٦- بدر الخشني.

الشهابي، الطواشي، أبو الضياء.

توفي بالمدينة النبوية.

وروى عن: عبد الوهاب بن رواح.

كتب عنه الشريف عز الدين، وغيره.

٧- بهادر الخوارزمي [٤] .

---

[١] انظر عن (إلياس بن عيسى) في: ذيل الروضتين ٢٢٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٢، والوافي بالوفيات ٩/ ٣٧٤ رقم ٤٣٠١ ولم يذكر في المطبوع من: تاريخ إربل.

[٢] وقال قطب الدين اليونيني: **وكان والدي-** رحمه الله- يحبه ويؤثر سماع حديثه فكان لا يكاد يفارقه، **كان والدي** بدمشق، وله على والدي رسم من النفقة يسيره إليه في كل سنة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧٥/١٤٨

[٣] سيعاد في السنة التالية برقم (٤٦) .

[٤] انظر عن (بهادر الخوارزمي) في: كنز الدرر ٨٣ (سنة ٦٥٩ هـ) ، والبداية والنهاية." [١]

"وأجاز له: عمر بن طبرزد، وعبد الوهاب بن سكينة، والحسين بن شنيف، ومحمد بن هبة الله الوكيل، وعبد العزيز الأخضر، وخلق.

وقرأ للسبعة على فخر الدين محمد بن أبي الفرج الموصلي الفقيه صاحب ابن سعدون القرطبي، وسمع منه كتابي «التيسير» و «التجريد» في القراءات.

وروى الكثير، وعمر دهرا طويلا، وكنت في سنة أربع وتسعين وسنة خمس أتلهف على لقيه وأتحسر، وما يمكنني الرحلة إليه **المكان الوالد** ثم الوالدة.

ذكره الفرضي فقال: شيخ جليل، ثقة، مسند، مكثر. ولد سنة ثمان أو تسع وتسعين.

قال: وسمع على أبي الوفاء محمود «كتاب الموت» و «كتاب الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا وسمع «صفة المنافق» للفريابي، على ابن صرما، و «جزء أبي الجهم» على ابن قنيدة، وجزء «عقلاء المجانين» على ابن أبي حرب، وكتاب «الإقناع» في القراءات الشواذ على عمر بن كرم، عن جده عبد الوهاب الصابوني، عن أبي العز القلانسي، عن أبي علي، عن الأهوازي، وكتاب «الهداية» لأبي الخطاب، على النجم يعيش الأنباري، أنا سعد الله بن الدجاجي، عن المصنف.

ثم ذكر الفرضي عدة أجزاء تركتها.

شاخ الكمال الفويرة وانهرم، وتغير قبل موته بأشهر. وقد أذن لي في الرواية عنه بجميع مروياته. وكتب بيده في ربيع الأول، في حال استقامته، من هذا العام وأجاز معي لمحمد بن البرزالي رحمه الله، ولأولاده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، ولمحمد ابن الإمام كمال الدين الشريشي، ولأولاد شمس الدين ابن الفخر الخمسة، ولمحمد بن جمال الدين ابن الفويرة، ولفخر الدين المقاتلي، ولابن عمتي محمد بن الطحان، وخلق سواهم.." [٢]

"قال: وكانت بينه وبين والدي صداقة، وكنت آتيه مع أبي فيقبل علي، ويتلطف بي، فلما كانت السنة التي مات فيها، **كان والدي** يأمرني بكثرة التردد إليه، [كأنه استشعر قرب أجله وأحس به، فكنت بعد كل يوم أتردد إليه فقصدته مرة في أول شوال من هذه السنة، ومعي ناصر الدين علي بن فرقين، والشمس محمد

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/٦٩

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٢/٣٢٩

بن داود رحمهما الله، فدخلنا عليه وليس عنده غيرنا، وشرع] «١» فحدثنا، ثم استغرق عن غير قصد منه لذلك، ثم أفاق من غشيته، وقد انقطع الحديث، فسألناه إتمامه وألححنا في السؤال فقال:

من سارروه فأبدى السر مشتهرا ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبعدوه فلم يحظ بقربهم ... وبدلوه مكان الأنس إيحاشا

قال: وكان مضمون ذلك الحديث: أنه أنذر بدنو أجله، ثم لم يلبث أن مرض ومات، ودفن إلى جانب الشيخ عبد الخالق، وكان من أبر الصلحاء. «٢»

قال: حدثني أبو طالب بن أحمد اليونيني: أن الشيخ عيسى أخبره بما يكون من زوال ملك بني أيوب، وأن الترك تملك بعدهم، ويفتح الساحل كله «٣» .

قال: وحكى لي أيضا: أن عبد الله بن إلياس النصراني قال: جئت طرابلس، فقال لي بعض الخيالة «٤» : عندي أسير من بلادكم- وعرض علي مشتراه- فوجدته رجلا اسمه:

سهل، من قرية" رعبان «٥» " [فحين رآني تشبث بي وقال: لا تخلى عني اشترني وأنا أعطيك ثمني حال وصولي إلى رعبان] «٦» ، فاشتريته بستين دينارا صورية، وجبته «٧» إلى قريته، فلم." [1]

"وله بر تام بأهل العلم، ولا سيما أصحاب الشيخ تقي الدين، وقد وقف كتبا كثيرة، وحج مرات، وتوفي ليلة الأحد رابع عشرين ذي القعدة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة ودفن باب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن علي بن قرية **كان الوالد** خطيبها، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وصلي عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة استهلت والخليفة والحكام هم المباشرون في التي قبلها، غير أن قطب الدين ابن الشيخ السلامية اشتغل بنظر الجيش.

وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على

البريد، فباشر القاضي الصدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السر بها عوضا عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه، وأقام عنده ولده شهاب الدين، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨/٢٤٠

السر عوضا عن ابن فضل الله.

وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظرا على القدس والخليل، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تنكز، وفتح في الأقصى شباكين عن يمين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزيبق من شد الدواوين بحمص إلى شدها بدمشق.

وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامه جميعه، وصلى الناس الجمعة به من الغد، وفتح باب الزيادة، وكان له أياما مغلقا وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل.

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفراديس، في دهليز المقدمية، وأعيدت عليهم أملاكهم المخلفة عن أبيهم، وكانت تحت الحوطة، فربما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها.

وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران في توابيتهما، فصلي عليهما بالمسجد النبوي، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك.

وفي هذا اليوم صلي بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وعلى القاضي نجم الدين البالسي المصري صلاة الغائب.

وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرائية عوضا عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفي إلى رحمة الله تعالى، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي، وحضرها في يوم." (١)

"بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه. وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن على من قرية **كان الوالد** خطيبها، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وصلي عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمهما الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

استهلت والخليفة والحكام هم المباشرون في التي قبلها، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامية اشتغل بنظر الجيش. وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على البريد، فباشر القاضي الصدر الكبير

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٤/١٤

محيي الدين المذكور كتابة السر بها عوضا عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه، وأقام عنده ولده شهاب الدين، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله. وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظرا على القدس والخليل، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تنكز، وفتح في الأقصى شباكين عن يمين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزيبق من شد الدواوين بحمص إلى شدها بدمشق. وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه، وصلى الناس الجمعة به من الغد، وفتح باب الزيادة، وكان له أياما مغلقا وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل.

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفراديس، في دهليز المقدمية، وأعيدت عليهم أملاكهم المخلفة عن أبيهم، وكانت تحت الحوطة، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها. وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران في توابيتهما، فصلي عليهما بالمسجد النبوي، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك.

وفي هذا اليوم صلي بالمدينة النبوية على الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله، وعلى القاضي نجم الدين البالسي المصري صلاة الغائب. وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرانية عوضا عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفي إلى رحمة الله تعالى، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتي المالكي، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره. وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق." (١)

"نقطة البداية

قال الشيخ أبو عبد الله: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آنس بصحبته وراكب أكون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم فحزمت امري على هجر الأحباب من الإناث والذكور وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور **وكان والدي** بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصب ولقيت كما لقيا من الفراق نصيبا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤٣/١٤

وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة. قال ابن جزي: أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة.

وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت أخبار جوده وصولة الاسناد بالاسناد وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة الاشهاد وتحلت الأيام بحلي فضله ورتع الأنام في ظل رفقه وعدله الإمام المقدس أبو سعيد بن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي فل حد الشرك صدق رعزائمه وأطفأت نار الكفر جداول صارمه وفتكت بعباد الصليب كتائبه وكرمت في إخلاص الجهاد مذاهبه الإمام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة من صوب الحيا طله وتهتانه وجزاهم أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين، فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمر أسن بن زيان ووافقت بها رسولي ملك افريقية السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضي الأنكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن إبراهيم النفزاوي والشيخ الصالح أبو عبد." (١)

"ومعين١ وظل ظليل وماء سلسبيل: تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظرها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت أرضها كثر الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتكاد تناديك بها الصم والصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وقد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر والأكمام بالثمر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر وكل موضع لحظت بجوانبها الأربع نضرته اليانعة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها أن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها وإن كانت في السماء تساميها وتحاذيه. قال ابن جزي: وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال:

إن تكن جنة الخلود بأرض ... فدمشق ولا تكون سواها

أو تكن في السماء فهي عليها ... قد أبت هواءها وهواها

بلد طيب ورب غفور ... فاغتنمها عشية وضحاها

وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي آشي نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا وإن تكن له بها إقامة فيعرب عنها بحقيبة وعلامة ولا وصف ذهبيات أصيلها وقد حان

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٧/١

من الشمس غروبها ولا أزمان جفولها المنوعات ولا أوقات شرورها المنبهات وقد اختص من قال: ألقيتها كما تصف الألسن. وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. قال ابن جزي: والذي قالته الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة. **وكان والدي** رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه الأبيات، وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى:

دمشق بنا شوق إليها مبرح ... وإن لج واش أو ألح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل

---

١ القول بأن دمشق هي الربوة ذات القرار والمعين التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة "المؤمنون" في الآية رقم ٥٠ هو أحد أقوال أربعة بقيتها أنها مصر أو الرملة أو بيت المقدس، وأظهر الأقوال وأرجحها هو الأخير.." (١)

"العلي أيده الله بمحل القبول، وأبلغ من الإغضاء عن تقصير المأمول، فعوائدهم في السماح جميلة، ومكارمهم بالصفح عن الهفوات كفيلة، والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتمكين ويعرفهم عوارف التأييد والفتح المبين بمنه وحوله.

(قال ابن بطوطة)

قال الشيخ أبو عبد الله: كان خروجي «٩» من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق انس بصحبته، وركب أكون في جملته «١٠» ، لباعث من النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازيم، فجزمت أمري ولم ابن على السكون، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكون «١١» ، **وكان والدي** بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا نصبا، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة.

قال ابن جزي أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة «١٢» .

رجع، وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٦٣/١

أخبار جوده موصولة الأسناد بالإسناد، وشهرت اثار كرمه شهرة واضحة الإشهاد وتحلت الأيام، بحلا فضله، ورتع الانام، في ظل رفقه وعدله، الإمام المقدس." [١]

"قال ابن جزي: والذي قالته الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة، **وكان والدي** رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه الأبيات: وهي لشرف الدين بن عنين «١٦٤» رحمه الله تعالى:

دمشق بى شوق إليها مبرح ... وإن لج واش أو ألح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل." [٢]

"نجم زحل أخبر بذي العلاما ... وبدل الشكلا وهي سلاما

شاشية زرقا بدل العماما ... وشاش أزرق بدل الغرارا

يقول في آخره

قد تم ذا التجنيس لإنسان يهودي ... يصلب في بلدة فاس في يوم عيد

حتى يجيه الناس من البوادي ... وقتله يا قوم على الفراد

وأبياته نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان دولة بني أبي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الأبار. وقال لي قاضي قسنطينية الخطيب الكبير أبو علي بن باديس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم في التنجيم فقال لي: إن هذا ابن الأبار ليس هو الحافظ الأندلسي الكاتب مقتول المستنصر وإنما هو رجل خياط من أهل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ **وكان والدي** رحمه الله تعالى ينشد هذه الأبيات من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها:

عذيري من زمن قلب ... يغر ببارقه الأشنب

وم نها.

ويبعث من جيشه قائدا ... ويبقى هناك على مرقب

فتأتي إلى الشيخ أخباره ... فيقبل كالجمل الأجرب

ويظهر من عدله سيرة ... وتلك سياسة مستجلب

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١/١٥٣

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١/٣٠٠

ومنها في ذكر أحوال تونس على العموم.

فإما [١] رأيت الرسوم امحت ... ولم يرع حق لذي منصب

---

[١] قوله فإما رأيت أصله فان رأيت زيدت ما وأدغمت في إن الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما رأيت والأولى هي الموجودة في النسخة التونسية. ١ هـ-. قاله نصر.." (١)

"عن عسجد زانه صافي المدام ورداء الأصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهر: أين كنا نحن عن هذا الرداء وكان معه في بلده مطرف. أخبر ابن سعيد عن والده أن مطرفا هذا دخل على ابن الفرس فقام له وأكرمه، فقال:

لا تفعل! فقال ابن الفرس: كيف لا أقوم لمن يقول:

قلوب تصاب بألحاظ تصيب ... فقل كيف تبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن حزمون بمرسية. ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون: لا يكون الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف، قال على مثل ماذا؟ قال على مثل قولي:

يا هاجري هل إلى الوصال ... منك سبيل

أو هل ترى عن هواك سالي ... قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. قال ابن سعيد **كان والدي** يعجب بقوله:

إن سيل الصباح في الشرق ... عاد بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادب الورق

أتراها خافت من الغرق ... فبكت سحرة على الورق

واشتهر بأشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل، قال ابن سعيد عن والده، سمعت سهل ابن مالك يقول له: يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك:

وا حسرتا لزمان مضى ... عشية بأن الهوى وانقضى

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١/٤٢٢

وأفردت بالرغم لا بالرضى ... وبت على جمرات الغضى

أعانق بالفكر تلك الطلول ... وألثم بالوهم تلك الرسوم." (١)

"علي بن أحمد بن عبد الله الإسكندراني الحاسب كان يتعانى علم الميقات فبرع في معرفة حل الزيج وكتابة التقاويم وأقبل على الكيميا فأفنى عمره في أعمالها ما بين تصعيد وتقطير وغير ذلك ولم يصعد معه شيء، مات في آخر السنة عن نحو خمسين سنة.

علي بن أيبك بن عبد الله التقصباوي الدمشقي علاء الدين الأديب، ولد سنة ثمان وعشرين وتعانى الأدب فقال الشعر الفائق ولكنه بالنسبة إلى طبقة من فوقه متوسط وهو القائل:

في حلب الشهباء ظبي سطا ... بحاجب أفتك من طرفه

لقوسه في جوشي أسهم ... والقصد عسر النيل من ردفه

أجاز لي، ومات في سنة إحدى وثمانمائة.

علي بن عبد الرحمن الدماصي الكاتب المجود جاور بمكة كثيرا وكتب الناس، وكان يشهد ببعض الحوانيت ظاهر القاهرة.

علي بن عبد العزيز بن أحمد الخروبي تقي الدين بن عز الدين بن صلاح الدين من أعيان التجار بمصر حج مرارا، وكان ذا مروءة وخير عفيفا عن الفواحش دينا متصونا، أوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم الشريف المكي فعمر بها بعد الاحتراق، **وكان والدي** قد تزوج أخته التي ماتت قبله، وكان عمي زوج عمته وعمه زوج عمتي، فكانت بيننا مودة أكيدة، وكان بي برا محسنا شفوقا جزاه الله خيرا؛ مات في رجب وقد أكمل الستين.

علي بن محمد بن علي بن عرب علاء الدين سبط القاضي كمال الدين التركماني ناب في الحكم ببعض البلاد وولي قضاء العسكر، مات في صفر.

علي بن محمود بن أبي بكر بن إسحاق بن أبي بكر بن سعد الله بن جماعة الكناني علاء الدين الحموي ابن القباني اشتغل بحماة ثم قدم دمشق في حدود الثمانين." (٢)

"ثم طلب السلطان الوزير وقال له: اعط للبليبل ألف دينار، وكان البليبل يغني في المجلس وعلى السماط، وكان له صوت عظيم إلى الغاية، وكان الأشرف يحب سماعه في حياة والده، فقال الوزير: يا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٨٢١/١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٢٣/٢

خوند وكم من ألف خرج في هذا المهم؟ فالتفت السلطان إلى البليبل فقال: ويحك غنى إذا أسعدك الزمان فلا تبالي، فصار يلعلع بصوته والسلطان يعجبه قوله، فقال: يا صاحب املأ طشت بالذهب فقال: السمع والطاعة، ثم جاء إلى الوزير أستاذ الدار لطقجى وديوانه، وأوقفوه على ما كتبه السلطان، فلما رأى علامة السلطان نهض من المجلس وقبل الأرض ووضعه على رأسه وبهت له ساعة، وقال: مرسوم السلطان على الرأس والعين، ولكن أمهلوني قليلا، ثم نهض من المجلس ودخل على الأمير بيدرا نائب السلطنة، ورمى نفسه عليه، وقال يا خوند: ارحمني وادركني وإلا أموت، من أين أجد مائة ألف دينار بعد عمل هذا المهم العظيم، فلما وقف على المرسوم أعذره ونهض معه، فدخل إلى السلطان، فقال له: يا خوند، من أين يجد الوزير بعد عمل هذا المهم مائة ألف دينار، وشرع يسأل التنقيص من ذلك، والوزير أيضا يسأله، فنظر إليهما السلطان نظر المغضب، فقال: مثلي ينعم على مملوكه بشيء اليوم وينقصه غدا. فقالوا: يا خوند: نحن ندخل على طقجى ليحط من هذا القدر بشيء. فقال: هذا له وليس لي، فنهضوا من عنده، فصادفوا طقجى داخلا إلى الخدمة، فأخذ بيدرا بيده فأجلسه إلى جانبه، وطلب بكتمر السلحدار وبعض الخاصكية، وخاطبوه أن تكون المائة ألف دينار مائة ألف درهم، فقال للوزير: أنت في عقلك؟ تقول إني آخذ عوض مائة ألف دينار مائة ألف درهم، فلما رأى بيدرا تصميمه على الطلب قام ووقف وقال: يا أمير أنا أروح اليوم إلى بيتك وأطلب ضيافتي، فنهض طقجى وقال: يا خوند مثل ما وهبني أستاذي أنا قد وهبتك الجميع، وبعد ذلك حمل له الوزير مائة ألف درهم.

وقال صاحب النزهة: وجدت دفترا بخط شخص من مماليك الحاج طيبرس بعد وفاته؛ **وكان والدي** وصيه، فنظرت فيه، وقد كتب كل ما نفق في هذا المهم، فوجدت جميع ما غرم من أوله إلى آخره: ثلاثة آلاف رأس غنم، وستمائة رأس بقر، وخمسمائة أكديش وألفين وثمانمائة قنطار سكر للمشروب، ومائة وستين قنطارا لعمل الحلاوات، وذكر أنه عجز ما نفق من الذهب، وقدره على سبيل التقريب مائتي ألف دينار.

قال: ثم بعد قتل الأشرف لما تولى الأميران سلار وبيبرس وباشر علم الدين أبو شاكر ناظر الحوشخاناة سألته عما نفق من بيت المال في المهم المذكور، فقال: وجدت أوراق المصروف نحو الثلاثمائة ألف دينار، سوى ما خص الأقبية والطرز والسروج وقماش العساكر، ولم يعهد أن أحدا من ملوك الترك صنع مهما مثله، ولا نفق فيه مثله.

وفيها: كانت واقعة القاضي تقي الدين بن بنت الأعز مع الوزير، وقد ذكرنا طرفا منها فيما مضى.

وذكر في نزهة الناظر ما جرى عليه مع الوزير في هذه السنة، وقال: ولم يذكر أحد أفحش من هذه الواقعة

ولا أشنع منها في حق هذا الرجل، وكان السبب في ذلك أن الصاحب شمس الدين بن سلعوس لما قدم مصر في الدولة المنصورية، كما ذكرنا، وباشر في ديوان ولده الأشرف كان رفيقه في المباشرة رجل يقال له نجم الدين بن عطايا، كان شاهدا بديوان الأشرف، فحصل بينه وبين ابن سلعوس إلمام عظيم ومودة عظيمة، واتفق أن ابن سلعوس خرج من مصر وأقام بدمشق، فكان هذا الرجل يكتب إليه كل ما يتفق في مصر من الوقائع ويعلمه بذلك، وكان يهادي بعضهما إلى بعض.." (١)

"وذكر صاحب النزهة أيضا: أن أول ما اعتمده الأشرف حين ولى السلطنة أنه أطلق سائر من كان في السجون من المصادرين وأرباب الدواوين، ورسم برفع المظالم عن الناس، وأبطل الرماية على التجار، ورسم للوزير أن لا يتعرض لظلم أحد من الناس، وقال: وقد ذكرنا ما كان يعتمد الجند من الملابس العجيبة في الدولة الماضية، وأن السلطان المنصور أزال أكثرها عن الجند والأمراء؛ ثم لما تولى الأشرف اختار لمماليكه وخاصكيته الملابس الحسنة؛ وغير الكلوتات الصفر والجوخ، وأمر لسائر الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكناش الزركش والأقبية الأطلس حتى يتميز الأمير بلبسه عن غيره، وكذلك في الملبوس الأبيض الرفيع، والسروج المرصعة الأشرفية والأكوار، وقضى مماليكه وحاشيته في دوله أستاذهم أيامهم بالهنا والسرور والخيرات فيما بينهم والهبات والتهادي، وكان السلطان شرط عليهم أن لا يبيت أحد منهم في غير القلعة، وفي النهار يفعل ما يختاره.

قال الراوي: وأما سماط الأشرف ومأكله فكان من أفخر الأطعمة وأحسنها وأكثرها.

قال: وقد خرجت مع والدي صحبة العسكر والسلطان لما خرجوا لقصد فتح قلعة الروم، **وكان والدي** مع جماعة من المقدمين منهم جمال الدين الطبردار، وركن الدين الكلالى، وبدر الدين الجاكى، وكانوا كل يوم يرسلون إلى مطبخ السلطان عشرين درهما فيأخذون بها أربع خوافق صينية ملآنة من الأطعمة المفتخرة بالقلوبات وغيرها، وفي كل خافقية أكثر من خمسة عشر رطلا من اللحم الهائل أو عشرة أطيار من الدجاج المسمن، وكذلك كثير من الجند والغلمان يشترون من مطابخ الأمراء من أنواع الأطعمة، وكانت الأجناد يتحدثون بكثرة الخيرات حتى أن الغلمان يأبون في غالب الأوقات أن يأكلوا من أطعمة أستاذيهم لما أنهم يقرفون من كثرة الأكل وكثرة الأطعمة.

قال: ورأيت في هذه السفرة أن أحدا من الأمراء لا يأكل من سماطه حتى يتفقد ما حوله من الغلمان والخدام والحاشية ومن المضافين إليه أو النازلين قريبا منه، فيرسل إليهم من الأكل والشرب والغنم والطيور

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٥٣

والسكر والحلوى من الذهب والفضة كل أحد بقدر حاله، وكانوا يتفاخرون بذلك فيما بينهم.
وأما مكارم السلطان فلا يحد وصفها وقد أنعم على الأمير طقجى في يوم واحد بمائة ألف دينار، وأمثال ذلك وقعت منه كثيرا.
ذكر سلطنة بيدرا
ولما قتل السلطان على ما ذكرنا، اجتمعت الأمراء الذين قتلوه في الوطاق، وقرروا بينهم أن تكون السلطنة لبيدرا، وملكوه، ولقبوه الملك القاهر، وقيل: الملك الرحيم. ونص بيبرس في تاريخه أنهم لقبوه بالملك القاهر.
وذكر في نزهة الناظر: أن بيدرا ومن معه لما قتلوا الأشرف باتوا تلك الليلة وهم متحالفون على أن يكونوا يدا واحدة، ولما أصبحوا ركب بيدرا في دست السلطنة وحوله العسكر والأمراء والشاوشية، ولقب نفسه بالملك العادل، ثم ا تفقوا على أن يبادروا نحو القلعة ليملكوها سرعة، فيتم له المنعة، فركبوا، وعند ركوبهم وجدوا الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار أمير جندار، والأمير بدر الدين بيسرى، وكان قد بلغهما الخبر بأمر السلطان، فركبا لكشفه، فوجدوهما في الطريق فقبضوا عليهما وأخذوا سيوفهما وربطوهما وأركبوهما على البغلين، وأرادوا قتلهما مرارا، فشفع فيهما بعضهم فلم يقتلوهما.
وكان في الدهليز الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغى، وحسام الدين الأستاذدار، والأمير بدر الدين بكتوت العلائي، والمماليك السلطانية الذين كانوا متوجهين صحبة السلطان للصيد، فركب الأمراء المذكورون على آثارهم، وكان الأمير زين الدين كتبغا في الصيد، فبلغه الخبر، فلحقهم، ولحق بهم المماليك الذين كان السلطان قد أعادهم إلى القلعة قبل وقت مقتله، فصاروا كتفا واحدا، وجدوا في أتباع بيدرا ومن معه من الأمراء، فلحقوهم على الطرانة يوم الخميس الخامس عشر من المحرم، فلما التقى الجمعان أطلق بيدرا الأميرين المذكورين بدر الدين بيسرى وبكتمر السلحدار، ليكونا عونا له.." (١)
"بمعزل عن إثارة الفتن، ويكفيك أن منطاشا لما ملك الديار المصرية بعد خلع الظاهر برقوق، والقبض على الناصرى قتل غالب حواشى الملك الظاهر برقوق، وكان أيتمش فى حبسه بقلعة دمشق وهو أتابك العساكر وعظيم دولة برقوق، فلم يتعرض إليه بسوء، لكونه كان مكفوفا عن الشرور والفتن، إلا هؤلاء القوم، فإنهم لما ظفروا بتنم وأصحابه لم يرحموا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره، ولهذا سلط الله تعالى بعضهم على بعض، إلى أن تفانوا جميعا.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٦٦

ثم جهزوا رأس الأتابك أيتمش المذكور، ورأس فارس الحاجب لا غير إلى الديار المصرية، فعلقتا بباب قلعة الجبل، ثم بباب زويلة أياما ثم سلمتا إلى أهلهما.

ثم خلع السلطان الملك الناصر على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن سيدى سودون المنتقل إلى نيابة الشام، واستمر السلطان بدمشق إلى ليلة الخميس رابع شهر رمضان، فقتل فى الليلة المذكورة الأمير تنم الحسنى نائب الشام بمحبسه بقلعة دمشق، وقتل معه الأمير يونس بلطا نائب طرابلس أيضا، خنقا بعد أن استصفيت أموالهما بالعقوبة، ثم سلما إلى أهلهما، فدفن تنم بتربته التى أنشأها عند ميدان الحصى خارج دمشق، وكان تنم المذكور- رحمه الله- من محاسن الدنيا، وكانت مدة ولايته على دمشق سبع سنين وستة أشهر ونصفا. ولقد أخبرنى بعض مماليك الوالد- رحمه الله- قال: لما حصر تيمورلنك العساكر المصرية بدمشق، **كان الوالد** يوم ذلك متولى ثيابة دمشق، وكان مقيما على بعض أبواب دمشق لحفظها، وكان نوروز الحافظى على باب آخر، فركب نوروز الحافظى فى بعض الأيام، وأتى الوالد ووقف يحادثه، فكان من جملة كلامه للوالد، يا فلان، انظر عساكر هذا اللعين ما أكثرها، والله لو عاش أستاذنا لما قدر عليه لكثرة عساكره، فتبسم الوالد وخاشنه فى اللفظ يمازحه، وقال له:." (١)

"أزدمر بنيابة ملطية، فامتنع من ذلك، فأكره حتى لبس الخلعة «١» ، ووكل به الأمير أرسطاى الحاجب والأمير محمد بن جلبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة.

ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمى الظاهرى المعروف بخاص خرجى «٢» ،- وكان تأخر عن طلوع الخدمة- بأن يستقر فى نيابة طرسوس «٣» ، فأبى أن يقبل والتجأ إلى بيت الأمير إينال باى، فاجتمع طائفة من المماليك ومضوا إلى يشبك بن أزدمر، وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأول وقد وصل قريبا من سرياقوس، وضربوا الحاجب المرسم عليه، وصار العسكر فرقتين، وأظهر المماليك الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان، وجلس الأتابك بيبرس بجماعة من الأمراء فى بيته، وصار السلطان بالقلعة وعنده عدة أمراء، وتمادى الحال على ذلك يوم الخميس والجمعة والسبت والسقالة بينهم.

فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، واجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلك، وباتوا على ما هم عليه، وأصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه وقد كثروا وطلبوا من السلطان الوالد أرغون من بشبغا.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٢١/١٢

وكان الوالد قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نيابة غزة، فلم يستجر أحد يتكلم فى خروجه من القاهرة، واستمر على إمرته، فأبى الملك الناصر أن يرسله إليهم." (١)

"ثم قدم الخبر على السلطان أن تركمان الطاعة «١» قاتلوا نوروزا وكسروه كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد لذلك، ثم أمر السلطان دمرداش المحمدى بالتوجه إلى محل كفالته بحلب، هذا ونواب الغيبة بدمشق فى أمر كبير من مصادرات الشيخية، وقبضوا على جماعة كبيرة من حواشيه، منهم: علم الدين داود، وصلاح الدين أخوه أبنا الكويز، قبض عليهما من بيت نصرانى بدمشق، فأهينا، وقبض أيضا على شهاب الدين أحمد الصفدى موقع الأمير شيخ، وتوجه الطواشى فيروز الخازندار فتسلمهم من دمشق، هذا والملك الناصر مستمر على حصار قلعة صرخد، وأحرق جسر القلعة، فامتنع شيخ بمن معه داخلها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير أن يقاتل من جهته، والسلطان فى لهوه وطربه لا يركب إلى جهة القلعة إلا ثملا، ثم طلب السلطان مكاحل النفط، والمدافع من قلعة الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة، وكان فيها ما يرمى بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا، وتمادى الحصار ليلا ونهارا؛ حتى قدم المنجنيق «٢» من دمشق على مائتى جمل، فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمى بحجره، وزنة حجره تسعون رطلا بالدمشقى، فلما رأى شيخ ذلك خاف خوفا عظيما، وتحقق أنه متى ظفر به الملك الناصر على هذه الصورة لا يبقيه، فترامى على الوالد، وعلى بقية الأمراء، وألقى إليهم الأوراق فى السهام، وأخذ شيخ لا يقطع كتبه عن الوالد فى كل يوم وساعة، وهو يقول له فى الكتب: صن دماء المسلمين واجعلنا عتقاءك، وما لك فينا جميلة فإننا إنياتك «٣» ، وخشداشيتك، ولم يكن فى القوم من له على أنا خاصة شفقة وإحسان غيرك، وأنت أتابك العساكر وحمو السلطان، وأعظم مماليك أبيه، فأنت عنده فى مقام برقوق، وكلمتك لا ترد عنده، وشفاعتك مقبولة. وأشياء كثيرة من هذا الكلام وأشباهه، وكان الوالد يميل إلى الأمير." (٢)

"بقبة يلبغا، ثم ركب ليلا يريد كبس الأمير شيخ، فصدف كشافته عند خان ابن ذى النون فواقعهم، فبلغ ذلك شيخا فركب وأتى بكتمر وصدمه بمن معه صدمة كسره فيها، وانهزم بكتمر بمن معه إلى جهة صفد، ومعه قريب من مائة فارس، وعدة من الأمراء، وتخلف عنه جميع عساكر دمشق، وسار شيخ حتى أتى دمشق بكرة يوم الجمعة، ونزل بدار السعادة من غير ممانع، وقد تلقاه أعيان الدماشقة فاعتذر إليهم، وحلف لهم أنه لم يقصد سوى النزول بالميدان خارج دمشق ليقضى أشغاله، وأنه لم يكن له استعداد لقتال،

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢/٣٢٧

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣/٨٥

وأنه كتب يستأذن الأمير بكتمر فى ذلك، فأبى ثم خرج وقاتله فانهزم، وسأل جماعة من أعيان دمشق أن يكتبوا للسلطان بذلك بعد أن كتب بهذا جميعه محضرا، وأراد إرساله إلى السلطان فلم يجسر أحد من الشاميين أن يمضى به إلى السلطان الملك الناصر؛ خوفا من سطوته.

ثم فى ثالث عشره ولى الأمير شيخ شهاب الدين أحمد بن الشهيد نظر جيش دمشق، وولى شمس الدين محمد بن التبانى نظر الجامع الأموى، وولى تغرى برمش أستاداره نيابة بعلبك، وولى إياسا الكركى نيابة القدس، وولى منكلى بغا كاشف القبلية، وولى الشريف محمدا محتسب دمشق.

وأما السلطان فإنه لما خرج من مدينة غزة سار منها حتى نزل قرية غيتا «١» خارج مدينة بلبيس فى يوم الخميس تاسع جمادى الأولى، ولما استقر السلطان فى المنزلة المذكورة، وقد خرج الناس لتلقى العسكر، وخرج غالب أقارب جمال الدين الأستادار إلى تلقيه، وفرشت له الدور بالقاهرة، فركب الوالد بقماش جلوسه من مخيمه من غير أن يجتمع بالسلطان؛ لاتفاق كان بينهما من دمشق فى القبض على جمال الدين المذكور لأسباب نذكرها، **وكان الوالد** يكره جمال الدين بالطبع، على أنه باشر أيام عظمته أستادارية الوالد، مضافا إلى أستادارية السلطان، وصار." (١)

"يجلس مع مباشريه وينفذ الأمور، ومع ذلك لم يقبل عليه الوالد؛ لقلة دينه وسفكه الدماء، وعظم ظلمه، وسار الوالد من مخيمه ومماليكه مشاة حوله يقصد وطاق جمال الدين.

حدثنى القاضى شرف الدين أبو بكر بن العجمى، موقع جمال الدين، وزوج بنت أخيه، قال: كنت جالسا بين يدى الأمير جمال الدين الأستادار فى وطاقه، وقد حضر إلى تلقيه غالب أقاربة، فقيل له إن الأمير الكبير تغرى بردى قادم إلى جهتك، فلما سمع جمال الدين ذلك تغير لونه وقال: هذا من دون عسكر السلطان لا يعودنى فى مرضى، فما مجيئه فى هذا الوقت لخير. ونهض من وقته قبل أن نرد عليه الجواب، وخرج من خامه ماشيا إلى جهة الوالد خطوات كثيرة غالبها هرولة حتى لقى الوالد- وهو راكب- فقبل رجله فى الركاب، فمسكه الوالد من رأسه ثم أمر به فقيد فى الحال، وقال لمن تولى تقييده هذا الأمير جمال الدين عظيم الدولة، أبصر له قيدا ثقيلا يصلح له، فبكى جمال الدين ودخل تحت ذيله.

ثم أمر الوالد بالقبض على جميع أقاربه وحواشيه، فقبض على ابنه أحمد، وعلى ابنى أخته أحمد وحمزة، **وكان الوالد** ندب جماعة من مماليكه إلى القاهرة للحوطة على دور جمال الدين وأقاربه، ثم أخذهم الوالد «١» ، وأركبهم بالقيود، وسار بهم إلى جهة الديار المصرية، كل ذلك والسلطان لا يعلم بما وقع إلا بعد

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣/ ٩٠

سير الوالد إلى جهة القاهرة، وأخذ جمال الدين فى طريقه يترقق للوالد ويعده ويسأله القيام فى أمره، كل ذلك والوالد لا يعتبه إلا على قتل أستاداره عماد الدين إسماعيل وأخذ ماله.

وكان خبر إسماعيل مع جمال الدين المذكور أن [عماد الدين] «٢» إسماعيل كان أستادار الوالد، وكان له عز وثروة ومعرفة ورئاسة قبل أن يترأس جمال الدين، فكان يستخف بجمال الدين، ويطلق لسانه فى حقه، وجمال الدين لا يصل إليه من انتمائه للوالد، فأخذ جمال الدين يسعى فى أستادارية الوالد مدة طويلة." (١)

"حتى ولاه الوالد أستاداريته، بعد أن بذل جمال الدين مالا كثيرا للوالد ولحواشيه، واستأذن الوالد أنه يقبض على [عماد الدين] «١» إسماعيل ويؤدبه ويظهر للوالد فى جهته جملة كبيرة من الأموال، وفى ظن الوالد أنه يوبخه بالكلام، أو يهينه ببعض الضرب ثم يطلقه، فأذن له الوالد فى ذلك، وكان [عماد الدين] «٢» إسماعيل المذكور مسافرا، فلما قدم من السفر ركب وأتى إلى الوالد، **وكان الوالد** تغير عليه قبل ذلك لسبب من الأسباب، فقبل يد الوالد، وخرج من عنده فصدف جمال الدين عند مدرسة سودون من زادة، فقال له الأمير جمال الدين: بسم الله يا أمير عماد الدين، أين الهدية؟ فعاد معه عماد الدين، وحال وصوله إلى بيته أجرى عليه العقوبة، وأخذ منه أربعين ألف دينار، ثم ذبحه من ليلته، فلما سمع الوالد بقتلته من الغد كاد عقله أن يذهب، وأراد الركوب فى الحال والطلوع إلى السلطان، فقال له حواشيه وخواصه: يا خوند قد فات الأمر، وما عسى أن يصنع فيه الملك الناصر مع خصوصيته عنده، فسكت الوالد على دغل «٣» ، وأخذ فى توغير خاطر السلطان عليه، ويعرف السلطان بأفعال جمال الدين، ولا زال به حتى تغير عليه مع أمور أخر وقعت من جمال الدين، فكان ذلك أكبر أسباب ذهاب جمال الدين، وأراح الله المسلمين منه.

ثم ركب السلطان من غيتا وسار حتى نزل بالخانقاه «٤» ، ثم سار حتى طلع إلى قلعة الجبل فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى المذكور، بعد أن زينت له القاهرة ومصر، وخرج الناس لتلقيه، فكان لدخوله يوم عظيم، وحمل الوالد على رأسه القبة والطير «٥» ، ولما استقر السلطان بقلعة الجبل- وقد حبس بها جمال الدين-." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩١/١٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩٢/١٣

"ثم فى ثانى عشر صفر من سنة أربع عشرة وثمانمائة عين السلطان اثنين وعشرين أميرا من الأمراء البطالين ليتوجهوا إلى الشام على إقطاعات عينها السلطان لهم، منهم: الأمير حزمان الحسنى، وتمان تمر الناصرى، وسونجبغا، وشادى خجا، وألطنبغا، وقانى باى الأشقر، ومعهم مائتا مملوك؛ ليكونوا أعوانا للوالد بدمشق، وفى خدمته، **وكان الوالد** شفع فى هؤلاء المذكورين حتى أطلقهم السلطان- على عادتهم- من السجن، ثم أمر السلطان بقتل جانبك القرمى، وأسندمر الحاجب، وسودون البجاسى، وقانى باى أخى بلاط، والجميع كانوا بسجن الإسكندرية.

ثم فى حادى عشرين صفر خلع السلطان على تقى الدين عبد الوهاب ابن الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاكر باستقراره فى وظيفة نظر الخاص- وكانت شاغرة منذ توفى مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم فى ليلة الأربعاء العشرين من شعبان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة- ثم أمسك السلطان بثلاثة أمراء من أمراء الألوف، وهم: قانى باى المحمدى، ويشبك الموساوى الأفقم، وكمشبغا الفيسى، وقبض على جماعة أخر من الطبلخانات والعشرات، وهم: الأمير منجك، والأمير قانى باى الصغير العمرى ابن بنت أخت الملك الظاهر برقوق- وقانى باى هذا جد خوند بنت جرباش الكريمى وزوجة السلطان الملك الظاهر جقمق لأمها- وكان أمير عشرة، وعلى الأمير شاهين، وخير بك، ومأمور، وخشكلدى، وحملوا الجميع إلى سجن الإسكندرية فسجنوا بها.

ثم رسم السلطان للأمير تمراز الناصرى أن يكون طرخانا «١» لا يمشى." [١]

"فى الخدمة، ويقيم بداره أو يتوجه إلى دمياط، وتمراز هذا هو الذي كان فر من السلطان وصحبته الأمراء من بيسان إلى الأمير شيخ.

ثم خلع السلطان على الأمير سنقر الرومى باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن قانى باى المحمدى المقبوض عليه قبل تاريخه.

ثم أرسل الوالد إلى السلطان يعلمه برفع الطاعون من دمشق وغيرها، وأنه أحصي من مات من أهل دمشق فقط فكانوا خمسين ألفا سوى من لم يعرف.

وفى أول شهر ربيع الأول، قدم الأمير إينال المحمدى الساقى المعروف بضضع من سجن الإسكندرية- بطلب من السلطان- ورسم له أن يكون بطالا بالقاهرة.

ثم أخرج السلطان إقطاع الأمير جرباش كباشة، ورسم له بأن يتوجه إلى دمياط بطالا.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢١/١٣

ثم بعده توجه تمراز الناصرى المقدم ذكره إلى دمياط أيضا بطالا.

ثم قبض السلطان على جماعة من كبار المماليك الظاهرية- برقوق- وحبسهم بالبرج من القلعة.

ثم قدم الخبر على السلطان بأن شيخا ونوروزا لم يمضيا حكم المناشير السلطانية، وأنهما أخرجا إقطاعات حلب وطرابلس لجماعتهما، وأن الأمير شيخا سير يشبك العثمانى لمحاصرة قلعة ألبيرة وقلعة الروم، وأن عزمهما العود لما كانا عليه من الخروج عن الطاعة.

فعلم السلطان عند ذلك أن الذي يحرك هؤلاء على الخروج عن الطاعة والعصيان إنما هم المماليك الظاهرية الذين هم فى خدمة السلطان، ووافقه على ذلك أكابر أمرائه، وحسنوا له القبض عليهم، **وكان الوالد** ينهاه عن مسكهم، ويحذره من الوقوع فى ذلك، فلما استقر الوالد فى نيابة دمشق خلا له الجو، وفعل ما حدثته نفسه مما كان فيه ذهاب روحه، فقبض الملك الناصر على." (١)

"بعد أن نزل عند الوالد بدار السعادة وسلم عليه، وأمر زوجته خوند [فاطمة «١»] بالإقامة عند الوالد.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨١٥]

ثم أصبح يوم الأربعاء أول محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة خلع على القاضى شهاب الدين أحمد بن الكشك وأعاده إلى قضاء الحنفية بدمشق.

ثم شفع الوالد فى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، فطلبه السلطان بدار السعادة وأطلقه من سجنه بقلعة دمشق.

ثم أفرج السلطان أيضا عن الأمير نكباى الحاجب، **وكان الوالد** قبض عليه وحبسه.

ثم دخل السلطان للوالد واستشاره فى الملأ من الناس فيما يفعل مع هؤلاء الأمراء العصاة، فقال له الوالد: يا خوند تذبح فى سنتك خمسمائة نفس، وتتجرد فى سنتك؟! فرسك الذي تحتك عاص عليك، فقال له الملك الناصر: الكلام فى الفائت فائت، أيش تشير على الآن؟ فقال: عندى رأى أقوله، إن فعله السلطان انصلح به حاله، قال: وما هو؟ قال: ترجع من هنا إلى مصر، فمن كان له إليك ميل عاد صحبتك، ومن كان قد داخله الرعب منك فهو يفارقك من هنا ويتوجه إلى القوم، فإذا دخلت إلى مصر ناد بالأمان، وكف عن قتل مماليك أبيك وغيرهم، وأغدق عليهم بالإحسان، وأكثر إليهم من الاعتذار فيما وقع منك فى حق غيرهم، واسلك معهم قرائن تدل على صفو النية، فبهذا تطمئن قلوب رعيتك، ويعودون لطاعتك، فإذا صار

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٢٢/١٣

معك منهم ألف مملوك قهرت بهم جميع أعدائك؛ لما شاع من إقدامك وشجاعتك، ولعظم ما فى قلب أعدائك من الرعب منك، وأيضا فإن هؤلاء الأمراء العصاة قد كثروا إلى الغاية، فالبلاد الشامية لا تقوم بأمرهم، فإما أن يقع بينهم الخلف على البلاد فيفترقوا، وإما أن يتفقوا ويجتمعوا على قتالك ويأتوك إلى مصر، فاخرج إليهم." (١)

"ثم أرسله الملك الظاهر [برقوق] «١» إلى مصر يبشر من بها بسلطنته ونصرته على منطاش، ودخل الظاهر فى أثره إلى مصر، وبعد قليل أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، ثم جعله رأس نوبة النوب، ثم ولاه نيابة حلب بعد جلبان قراسقل «٢» ، ثم عزله، وأنعم عليه بتقدمة ألف بمصر على خبز شيخ الصفوى الخاصكى أمير مجلس، وقبل أن يخلع عليه بإمرة مجلس نقله إلى إمرة سلاح عوضا عن بكلمش العلائى بحكم مسكه، واستمر على ذلك إلى أن كانت وقعة الأتابك أيتمش «٣» مع الملك الناصر [فرج] «٤» فى سنة اثنتين وثمانمائة.

وكان الوالد قد انضم على أيتمش هو وجماعة من الأمراء- حسبما ذكرناه فى ترجمة الملك الناصر فرج- وانهزم الجميع بعد الوقعة، وخرجوا من مصر إلى الأمير تنم «٥» نائب الشام، وعادوا صحبته، فانكسر تنم أيضا، وقبض على الجميع، وقتلوا بقلعة دمشق إلا الوالد لشفاعة أم الملك الناصر «٦» فيه وآقبغا الأطروش «٧» ، وقتل من عداهما، ودام الوالد بسجن قلعة دمشق إلى أن أطلق، وتوجه إلى القدس بطالا بسفارة أم الملك الناصر أيضا، فدام بالقدس إلى أن طلبه الملك الناصر بغزة وخلع عليه بنيابة دمشق،." (٢)

"دمشق [فى ذى القعدة] «١» ، وقد مر من ذكره ما فيه كفاية عن ذكره ثانيا عند خروجه من قلعة دمشق والقبض عليه، كل ذلك فى ترجمة أستاذه الملك المؤيد [شيخ] «٢» وهو أحد أعيان مماليك المؤيد، وأحد الأربعة المعدودة بالشهامة والشجاعة.

وهم: الأمير جانى بك المؤيدى الدوادار، والأمير آقباى الخازندار ثم الدوادار هذا، والأمير يشبك اليوسفى المؤيدى المشد ثم نائب حلب الآتى ذكره، والأمير آقبردى المؤيدى المنقار المقدم ذكره فى هذه السنة، فهؤلاء الأربعة كانوا من الشجعان «٣» [ضاهوا أعيان مماليك الملك الظاهر برقوق، بل بالغ بعض خشداشيتهم بأنهم أعظم وأشهم، وفى ذلك نظر] «٤» .

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن على بن جعفر البلالى «٥» الشافعى، شيخ خانقاه سعيد السعداء

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣٨/١٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١١٦/١٤

«٦» بها، فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان، وكان فقيها فاضلا معتقدا، وله شهرة كبيرة، **وكان الوالد** يحبه، ويبره بالأموال والغلال، وغير ذلك.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد السلاخورى، نائب دمياط، قتيلا فى رابع عشر ذى الحجة، بعد ما ولى عدة وظائف بالبذل والسعى.

أمر النيل فى هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع سواء، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.." [١]

"يخشباى وسنه نحو الثلاثين سنة تخمينا. وكان شابا طويلا جميلا، مليح الشكل عاقلا، عارفا بأنواع الفروسية، وعنده فهم وذوق ومعرفة ومحاضرة حسنة، وتذاكر بالفقه وغيره بحسب الحال، عوض الله شبابه الجنة بمنه وكرمه.

وتوفى الأمير حسين «١» بن أحمد المدعو تغرى برمش نائب حلب مضروب الرقبة بحلب، فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة؛ وأصل تغرى برمش هذا من مدينة بهسنا «٢» وجفل هو وأخوه حسن- وكان حسن الأكبر- من بهسنا فى كائنة تيمور لنك، وقدما بعد ذلك بسنين إلى الديار المصرية، فخدم أخوه حسن تبعا عند الأمير قرا سنقر الظاهرى، وجلس حسين هذا عند بعض الخياطين بالمصنع من تحت القلعة، ثم انتقل أيضا إلى خدمة قرا سنقر [الجمالى] «٣» لجمال صورته، ثم انتقل من عند قرا سنقر إلى الأمير إينال حطب [العلائى] «٤» ، وصار عنده من جملة مماليكه الكتابية، إلى أن مات إينال حطب، فأخذه دواداره الأمير فارس، وأتى به إلى الوالد.

وكان الوالد من جملة أوصياء إينال حطب، فأخذه الوالد وجعله إنيا «٥» لمملوكه شاهين أمير آخور، فجعله شاهين فى الطبقة، وسماه تغرى برمش؛ ثم أخرج له الوالد خيلا وقماشا، ثم جعله من «٦» جملة مماليك أخر، وجعله جمدارا، فدام على ذلك، إلى أن تولى الوالد نيابة دمشق التى مات فيها، فأفسد تغرى برمش هذا من مماليك الوالد، مملوكين، وأخذهما «٧» وهرب إلى طرابلس: أحدهما فى قيد الحياة إلى يومنا هذا من جملة المماليك السلطانية، واسمه أيضا تغرى برمش الصغير؛ وبلغ الوالد خبرهما." [٢]

"فأمر أن يكتب إلى الأمير جانم نائب طرابلس بالقبض عليهم الثلاثة وإرسالهم إليه فى الحديد، فخشى أغانهم شاهين، الأمير آخور عليهم، من الضرب والإخراق، فسأل الوالد أنه يسافر إليهم ويقبض عليهم ويأتى بهم، فرسم له الوالد بذلك.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤/١٤٨

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥/٤٧١

وتوجه شاهين إليهم، فوجدهم بقاعة فى طرابلس، فنزل عن فرسه ودخل عليهم استخفافا بهم، فحال ما وقع بصرهم «١» عليه، هرب تغرى برمش الصغير ويوسف، ووثب تغرى برمش ليهرب، فلحقه شاهين، فجذب سيفه وضرب شاهين به فقتله، ثم هرب، فكتب الأمير جانم نائب طرابلس محضرا بواقعة الحال، وأرسله إلى الوالد، ومع المحضر يوسف وتغرى برمش الصغير؛ وهرب تغرى برمش هذا، فرسم الوالد بتحصيل تغرى برمش المذكور وشنقه. **وكان الوالد** مشغولا بمرض موته، ومات بعد مدة يسيرة.

وخدم تغرى برمش هذا عند الأمير طوخ [الظاهرى برقوق، ويقال له طوخ] «٢» بطيخ نائب حلب، وترقى عنده، وصار رأس نوبته، ثم خدم بعده عند جقمق الأرغون شاوى الدوادار، وصار أيضا رأس نوبته ثم دواداره فى آخر أيامه؛ وكان لجقمق دوادار آخر، يسمى إينال [الحمار] «٣» فكان جقمق يقول: «دواداری: الواحد حمار والآخر ثور» .

ثم مشى حال تغرى برمش بعد عند أبناء جنسه؛ وسببه أنه لما انكسر أستاذه جقمق فى دمشق، وتوجه إلى بعض قلاع الشام، وتحصن بها، إلى أن أنزل منها وقتل بدسيسة من تغرى برمش هذا، فأنعم عليه ططر بإمرة عشرة بالقاهرة، ثم جعله الملك الأشرف أمير طبلخاناة، ونائب قلعة الجبل، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف فى سنة سبع وعشرين، ثم جعله نائب غيبته بديار مصر لما سافر لآمد، ثم جعله أمير آخور كبيرا بعد الأمير جقمق العلائى، بحكم انتقال جقمق إلى إمرة سلاح؛." (١)

"وصار الزرزاوي أمام وقته ووحيد دهره في المنقول والمعقول مع الصلابة في الدين والورع المتين انتهت إليه رئاسة العلم بالقاهرة في زمانه وكان قد طلب الحدي في ابتداء أمره وسمع الكثير وترجمته مستوفاة في المنهل الصافي لاقتصاره على التراجم وكان رحمه الله لازما لطريق السلف في التقشف وعدم التردد للناس وصحب الشيخ مدينة في آخر عمره فزاد تقشفه وورعه وكان قد رحل إلى مكة واليمن في شبيبة وتولى عدة تداريس بالديار المصرة وتصدى للاشتغال سنين.

كان ناصر الدين بك في أول أمره من جملة أمراء حلب لما **كان الوالد** نائبها ثم ترقى حتى صار نائب الابلستين على عادة آبائه وأجداده فلما وليها طغى وتجبر وخرج عن طاعة ملوك مصر إلى أن أباده الاشرف وحصل له محن من كثرة من تجرد إليه من قبله ولم تزل العداوة بينهما حتى توفي في سنة ثلاث أربعين فلس خلعته وأكرمه السلطان غاية الإكرام وتزوج بابنته التي كان ال١تابك جانبك الصوفي تزوجها لما كان هاربا عنده ثم عاد إلى بلاده بعد أن أنعم عليه بأشياء كثيرة واستمر بابلستين حتى مات وأراح الله المسلمين منه

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٧٢/١٥

فقد كان ظالما جبارا مسرفا على نفسه وكان كثير الشر والفتن ووقعت في أيامه حروب كثيرة بتلك البلاد عامله الله بما يستحقه.

وكان محمد بن حسن الشيخ الحنفي في ابتدائه يقري المماليك بأطباق القلعة ثم فتح له حانوتا يبيع فيه الكتب ثم ترك ذلك كله وانقطع عن الناس بالكلية وعرف بالخير والديانة وصارت الأكابر تتردد إليه وكانت بينه وبين الوالد صحبة في حل الاتابكية وصحب بعده جماعة وتأكدت صحبته بطرر وكان له فيه اعتقاد عظيم حتى إنه لما تسلطن أنعم عليه باقطاع هائل وحبسه رزقه على زاويته وأعطاه مبلغا كبيرا من الذهب مع قصر مدته وكان سمحا يبذل ما بيديه للفقراء في إطعام طعام وإيصال معروف إليهم ولذلك كانت زاويته مشحونة بالفقهاء والفقراء ودام على ذلك سنين إلى أن توفي وقد اجتمعت به غير مرة وكانت له محاضرة حسنة ومذاكرة حلوة إلا إنه كان لا يقوم لأحد من الناس القادمين إليه كائنا من كان حتى ولا قضاة القضاء وعيب عليه ذلك وكان مليح الشكل منور الشيبة بشوشا فصيحا.." (١)

"وبايع بالخلافة أخاه أبا الفتح داود، ولقب المعتضد بالله، وسير المستعين إلى الإسكندرية، فأقام بها إلى أن مات شهيدا بالطاعون، في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين.

واستقرت الخلافة باسم المعتضد، وكان من سروات الخلفاء، نبيلا ذكيا فاضلا، يجالسه العلماء والفضلاء، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه، جوادا سمحا، وطالت مدته في الخلافة نحو ثلاثين سنة، فلما حضرته الوفاة عهد بالخلافة إلى شقيقه أبي الربيع سليمان، ولقب المستكفي بالله؛ **وكان والدي** خصيصا به، فكتب له العهد بيده وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أشهد على نفسه الشريفة حرسها الله وحماها، وصانها من الأكدار ورعاها، سيدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية الإمامية الأعظمية العباسية النبوية المعتضدية، أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين، ووارث الخلفاء الراشدين، المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود، أعز اللہ به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين؛ أنه عهد إلى شقيقه المقر العالي المولوي

الأصيلي العريقي الحسيبي النسيبي السليلي سيدي أبي ربيع سليمان المستكفي بالله، عظم الله شأنه، بالخلافة المعظمة، وجعله خليفة بعده، ونصبه إماما على المسلمين، عهدا شرعيا، معتبرا مرضيا، نصيحة للمسلمين، ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين، واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين.

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ابن تغري بردي /

وذلك لما علم من دينه وخيره، وعدالته وكفالته وأهليته، واستحقاقه بحكم أنه اختبر حاله، وعلم طويته، وأنه الذي يدين الله به أتقى لله ممن رآه، وأنه لا يعلم صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك، وإنه إن ترك الأمر هملا من غير تفويض للمشار إليه أدخل إذ ذاك المشقة على أهل الحل، والعقد في اختيار من ينصبونه للإمامة، ويرتضونه لهذا الشأن، فبادر إلى هذا الشان، شفقة عليهم، وقصدا لبراءة ذمتهم ووصول الأمر." (١)

"إلى من هو أهله، لعلمه أن العهد كان غير محوج إلى رضا سائر أهله، ووجب على من سمعه وتحمل ذلك منه أن يعلم به، ويأمر بطاعته عند الحاجة إليه، ويدعو الناس إلى الانقياد له، فسجل ذلك على من حضره حسب إذنه الشريف، وسطر عن أمره قبل ذلك سيدي المستكفي أبو الربيع سليمان، المسمى فيه، عظم الله شأنه قبولا شرعيا.

ومات المعتضد يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس وأربعين واستقر المستكفي، وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم، صالحا دينا عابدا، كثير التعبد والصلاة والتلاوة، كثير الصمت، حسن السيرة. وكان الظاهر جقمق يعتقده، ويعرف له حقه، فأقام إلى أن مات ليلة الجمعة، سلخ ذي الحجة سنة أربع وخمسين، ولم يعهد بالخلافة لأحد.

وكان والدي خصيصا به جدا، فلم يعش بعده إلا أربعين يوما، ومشى السلطان في جنازة المستكفي إلى تربته، وحمل نعشه بنفسه.

وبايع بعده بالخلافة أخاه أبا البقاء حمزة، ولقب القائم بأمر الله، وكان سهما صارما، أقام أبهة الخلافة قليلا، ثم إن الجند خرجوا على الأشرف إينال، فقام معهم، وحدثته نفسه بطلب الملك، فانهزم الجند، فلم يحصل من يدهم شيء. فغضب عليه الأشرف، وطلبه إلى القلعة، وعاتبه في ذلك؛ فحكي أن
الخليفة قال: خلعت نفسي وعزلتك، وكان غلطة منه؛ فقال شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني –وكان حريصا على جر الخلافة إلى أخي الخليفة يوسف، لكونه زوج ابنته؛ فقال: قد بدأ بخلع نفسه فانخلع، وثنى بخلع السلطان وهو غير خليفة؛ فلم ينفذ عزله، وحكم بصحة خلعه؛ وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين، وبايع أخاه أبا المحاسن يوسف ولقب المستنجد بالله، وسير القائم إلى الإسكندرية إلى

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/ ٩٠

أن مات بها سنة ثلاث وستين، ودفن عند شقيقه المستعين. ومن الاتفاق الغريب أنهما شقيقان، كل منهما رام السلطنة، وكل منهما خلع،." (١)

"وقال في حقه أخوه المعتضد: لم أر على أخي سليمان منذ نشأ كبيرة.

وكان الملك الظاهر يعتقده، ويعرف له حقه، **وكان والدي** إماما له، وكان عنده بمكان رفيع، خصيصا به محترما عنده جدا، وأما نحن فلم ننشأ إلا في بيته وفضله، وآله خير آل دينا وعبادة وخيرا، وما أظن أنه وجد على ظهر الأرض خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة.

مات في يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة أربع وخمسين، وله ثلاث وستون سنة، ولم يعش والدي بعده إلا أربعين يوما، ومشى السلطان في جنازته إلى تربته، وحمل نعشه بنفسه.

مات في أيامه من الأعلام: التقي المقريزي، والشيخ عبادة، وابن كميل الشاعر، والوفائي، والقاياتي، وشيخ الإسلام ابن حجر.." (٢)

"هو في معناه وولي في وقت الخطابة بالاموي أياما يسيره ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ولم يرق منبرها ثم خالط نائب الشام أقوش الافرام فجرت له أمور لا يحسن ذكرها ولا يرشد أمرها وأخرجت جهاته ثم آل به الحال الى أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها الامير أستدمر ١ فأقام بها ودرس ثم تردد في الرسلية بين السلطان مهنا٢ صحبة ارغون والطنبغا ثم أستقر به المنزل بمصر ودرس بها بحلقة الشافعي بجامع مصر وبالمشهد الحسيني وبالمدرسة الناصرية وهو أول من درس بها وجمع كتاب الاشباه والنظائر ومات قبل تحريره فحرره وزاد عليه ابن أخيه زين الدين٣ وشرع في شرح الاحكام لعبد الحق٤ وكتب منه ثلاثة مجلدات دالات على تبحره في الحديث والفقه والاصول.

وقال السبكي في الطبقات الكبرى: **كان الوالد** يعظمه ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الاشعري توفي رحمه الله تعالى بكرة نهار الاربعاء رابع وعشرين من ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة بداره قريبا من جامع الحاكم بالقاهرة ودفن من يومه قريبا من الشيخ محمد بن ابي حمزة بتربة القاضي ناظر الجيش بالقرافة ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية وحين بلغت وفاته ابن تيمية قال أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين ورثاه جماعة منهم أبو غانم علاء الدين٥ والقحفازي والصلاح الصفدي. وقال ابن كثير في

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٩١/٢

(٢) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٣٥٩

سنة ست عشرة وسبعمائة: وفي يوم الخميس سادس عشر

---

١ استدمر الكرجي توفي سنة ٧١١ هـ. شذرات الذهب ٦: ٢٥.

٢ مهنا بن الملك عيسي توفي سنة ٧٣٥ هـ. شذرات الذهب ٦: ١١٢.

٣ أبو محمد عبد الله بن عبر توفي سنة ٧٣٨ هـ. شذرات الذهب ٦: ١١٨.

٤ عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن الخراط توفي سنة ٥٨١هـ. شذرات الذهب ٤: ٣١١.

٥ ورد في شذرات الذهب ٦: ١١٤ أحمد بن محمد بن غانم.." [(١)]

"سنة تسع وثمانين وتسعمائة

فيها توفي- ظنا- داود بن عمر الأنطاكي [١] الطيب الأكمه، العالم العلامة.

قال الطالوي في «السانحات» : داود بن عمر الأنطاكي نزيل القاهرة المعزية، والمميز على من له [٢] فيها المزية، المتوحد بأنواع الفضائل، والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل [٣] ، سيما علم الأبدان، المقدم على علم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك.

وأما معرفته لأقسام النبض فآية له باهرة، وكرامة على صدق دعواه ظاهرة.

ولقد سألته عن مسقط رأسه ومشعل [٤] نبراسه، فأخبرني أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، قال: وقد بلغت سيارة النجوم وأنا لا أستطيع أن أقوم لعارض، ريح تحكم في الأعصاب. **وكان والدي** رئيس قرية حبيب النجار، واتخذ قرب مزار

---

[١] ترجمته في «الكواكب السائرة» (٣/ ١٥٠) و «سانحات دمى القصر» (٢/ ٣٢- ٥٢) و «البدر الطالع» (١/ ٢٤٦) و «الأعلام» (٢/ ٣٣٣- ٣٣٤) و «معجم المؤلفين» (٤/ ١٤٠) .

تنبيه: هكذا كتب المؤلف هذه الترجمة في هذه السنة وهو وهم منه، فالصواب- والله أعلم- سنة (١٠٠٨) كما ذكره صاحب «كشف الظنون» (١/ ٣٨٦) والزركلي في «الأعلام» (٢/ ٣٣٣) وجاء في هامش «ط» ما نصه: «قلت: وفاته سنة (١٠١١) ألف وإحدى عشرة تحقيقا، كما في هامش الأصل. وفي «الكواكب» أنه مات في حدود التسعين وتسعمائة» .

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/ ٢٣

[٢] لفظة «له» سقطت من «سانحات دمى القصر» فلتستدرك.

[٣] في «سانحات دمى القصر» : «والمتفرد بعلوم الأوائل» .

[٤] في «سانحات دمى القصر» (٢/ ٣٥) : «ومشتعل» .." (١)

"ومنه معمى في أحمد:

لنا إن دارت الكأس العقار ... بأطراف الرماح دم مدار

ومنه إفاداته أن لفظ ابن خلكان ضبط على صورة الفعلين «خل» أمر من التخلية و «كان» الناقصة. قال: وسببه أنه كان يكثر قول **كان والدي** كذا، كان جدي كذا، كان فلان كذا، فقيل له (خل كان) فغلبت عليه. انتهى.

وتوفي- رحمه الله تعالى- بمكة المشرفة.

وفيها الشريف أبو نمي محمد بن بركات [١] صاحب مكة.

قال في «النور» : ولبعض فضلاء مكة في تاريخ وفاته:

يا من به طبنا وطاب الوجود ... قد كنت بدرا في سماء السعود

ما صرت في الترب ولكنما ... أسكنك الله جنان الخلود

ولد سنة عشر وتسعمائة.

وتوفي يوم عاشوراء. انتهى وفيها المولى محمد بن نور الله المشتهر بأخي زاده [٢] نسبة إلى جده من قبل أمه المولى أخي يوسف التوقاتي، محشي «صدر الشريعة» .

قال في «العقد المنظوم» : نشأ صاحب الترجمة في طلب العلم والسيادة، وأخذ عن جلة من [٣] المشايخ، منهم عرب چلبي، والمولى عبد الباقي، ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان، ثم قلد المدارس، إلى أن قلد قضاء حلب، ثم برسة، ثم أدرنة، ثم صار قاضيا بالعساكر في ولاية أناضولي، ثم تقاعد بوظيفة مثله، ثم قلد تدريس دار الحديث السليمانية، فدام على الدرس والإفادة، ونشر العلوم والمعارف إلى الوفاة.

---

[١] ترجمته في «النور السافر» ص (٣٨٠) .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦١٠/١٠

[٢] ترجمته في «العقد المنظوم» ص (٤٩٩- ٥٠٠) .

[٣] لفظة «من» سقطت من «آ» .." (١)

"من أعيان الصوفية ومشاهيرهم. روى عن أبي الفضل القطان، واللالكائي، وطائفة، وهو ضعيف، عاش ستا وثمانين سنة.

وفيها أبو علي الجاجرمي- بفتح الجيمين وسكون الراء، نسبة إلى جاجرم، بلد بين نيسابور وجرجان- إسماعيل بن علي النيسابوري، الزاهد، القدوة، الواعظ، وله إحدى وتسعون سنة. روى عن عبد الله بن باكويه وعدة.

قال السخاوي: حضر درس زين الإسلام القشيري وخدمه مدة، ثم اشتغل بالعزلة، وكان يجلس في الأسبوع يوما للتذكير.

قال إسماعيل: كان والدي دعا بمكة اللهم ارزقني ولدا لا يكون وصيا، ولا صاحب وقف، ولا قاضيا، ولا خطيبا. قال: فقلت له: يا أبت، وما للخطيب؟ قال: يا بني أليس يدعو للظلمة.

وتوفي إسماعيل في عصر يوم الخميس ثامن عشر المحرم، وصلي عليه يوم الجمعة العصر تاسع عشرة، ودفن في مشهد الإمام محمد بن خزيمة.

وفيها دقاق، شمس الملوك أبو نصر بن تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي، صاحب دمشق، ولي دمشق بعد أبيه عشر سنين، ومرض مدة، ومات في رمضان، وقيل: سموه في عنب، ودفن بخانكاه الطواويس.

وفيها أبو عبد الله بن البسري، الحسين بن علي بن أحمد بن محمد البندار [البغدادي] [١] توفي في جمادى الآخرة وله ثمان وثمانون سنة.

قال السلفي: لم يرو لنا عن عبد الله بن يحيى السكري سواه.

---

[١] زيادة من «العبر» (٣/ ٣٤٩) مصدر المؤلف.." (٢)

"نساء من محارمه، واستسقى ودعا، فجاء المطر حينئذ، وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة [١] .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦١٩/١٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٤١٥/٥

وقال عبد الله بن النحاس: **كان والدي** يحب الشيخ أبا عمر، فقال لي يوم جمعة: أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ، ومذهبي أن بسم الله الرحمن الرحيم ١: ١ من الفاتحة، ومذهبه أنها ليست من الفاتحة، فمضينا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ، فسلم على والدي وعانقه، وقال: يا أخي صل وأنت طيب القلب، فإنني ما تركت بسم الله الرحمن الرحيم ١: ١ في فريضة ولا نافلة مذ أممت بالناس. وله كرامات كثيرة، وقد أطال الضياء ترجمته، وكذلك سبط ابن الجوزي في «المرآة» [٢] وقال: كان معتدل القامة، حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، لا يزال متبسما، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام.

وكان يحمل الشيخ من الجبل إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل إليهم في الليل الدراهم والدقيق ولا يعرفونه. ولا نهر أحدا [٣] ولا أوجع قلب أحد. وكان أخوه الموفق يقول: هو شيخنا، ربانا وأحسن إلينا، وعلمنا وحرص علينا، وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم، ومن غاب منهم خلفه في أهله، وهو الذي هاجر بنا وسفرنا إلى بغداد، وبنى الدير. ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا. وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته، وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا وشفاه الله تعالى.

وذكر جماعة أن الشيخ قطب، [وأقام قطب الوقت] [٤] قبل موته بست سنين.

---

[١] لفظة «طويلة» لم ترد في «ذيل طبقات الحنابلة» .

[٢] انظر «مرآة الزمان» (٨/ ٣٥٦- ٣٦١) .

[٣] في «مرآة الزمان» و «ذيل طبقات الحنابلة» : «وما نهر أحدا» وهو أجود.

[٤] زيادة من «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٨) لا يتم المعنى بدونها.." (١)

"زوجته بنت الظاهر قرر الهروي في الصلاحية ثم قسمها بينه وبين ابن الهائم لقيام أهل البلد معه، وسمع منه ابن حجر.

وتوفي في بيت المقدس في جمادى الآخرة.

وفيها تغري بردي بن عبد الله- ومعنى تغري بردي بلغة التتار الله أعطى- الظاهري [١] نائب الشام.

قال ولده في «المنهل الصافي» : **كان والدي** رومي الجنس، اشتراه الملك الظاهر برقوق في أوائل سلطنته تقريبا وأعتقه، وجعله في يوم عتقه خازكيا، ثم صار ساقيا، وأنعم عليه فجعله رأس نوبة الجمدارية، وتنقلت

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٤/٧

به الأحوال إلى أن ولي نيابة دمشق غير مرة.

وقال ابن حجر: ولي نيابة حلب فسار فيها سيرة حسنة، وأنشأ بها جامعا، ثم ولي نيابة دمشق.

قال القاضي علاء الدين في «تاريخه» : كان عنده عقل وحياء وسكون، حليما، عاقلا، مشارا إليه بالتعظيم في الدول، وكان جميلا، حسن الصورة جدا، وكان يلهو لكن في سترة وحشمة وإفضال، والله يسمح له. انتهى.

وقال ولده: استقر في نيابة دمشق ثالث مرة على كره منه، وذلك سنة ثلاث عشرة وثمانمائة. وتوفي واليا لها [٢] يوم الخميس سادس عشر المحرم، وصلى عليه الملك الناصر فرج لأنه كان يومئذ في دمشق، وشهد دفنه يوم الجمعة بتربة الأمير تنم نائب الشام بميدان الحصا، ثم قتل الناصر بعد أيام في صفر من السنة المذكورة، وخلف والدي عشرة أولاد ستة ذكور وأربع إناث، وخلف أموالا كثيرة استولى عليها الملك الناصر فرج، منها ألف مملوك إلا ثلاثين مملوكا.

وفيها جار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني المكي [٣] .

---

[١] ترجمته في «إنباء الغمر» (٧/ ٨٣) و «الضوء اللامع» (٣/ ٢٩) و «الدليل الشافي» (١/ ٢١٥- ٢١٦) .

[٢] في «ط» : «واليا بها» .

[٣] ترجمته في «إنباء الغمر» (٧/ ٨٤) و «الضوء اللامع» (٣/ ٥٢) .." (١)

"بعد ما حفظ القرآن ببلدة وقرا شيئا من النحو فدخل الأزهر ولازم الحضور في الفقه على الشيخ أحمد الحماقي والمقدسي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي حضر عليه من أول كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجسه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر علي بك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد فأجابهم لذلك فكانوا يأتون للتلقي عنه في المنزل والمترجم معهم وفي اثناء ذلك قرأت مع المترجم عل الوالد متن نور الأيضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس ويتحلف المترجم وذلك لعلو السند فإن الوالد تلقاه عن ابن المؤلف وهو عن جد الوالد عن المؤلف وجد الوالد والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق وكان المترجم يلائم طبع الفقير في الصحبة فكنت معه في غالب

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٦٤/٩

الأوقات أما في الجامع أو في المنزل للطاقة طبعه وقرب سني من سنه **وكان الوالد** يرى ذلك ويسألني عنه إذا تخلف في بعض الاحيان ويقول: أين رفيقك الصعيدي فكان يعيد معي ويفهمني ما يصعب على فهمه ولم يزل يدأب في الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه والفقير بخلاف ذلك وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد العليم الفيومي ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي المنسفيسي عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور والمترشح للافادة والتدريس وكان مسكنه بناحية لصليبة وجلس للاقراء بالمدرسة الشيخونيه والصرفثمئية احتف به سكان تلك الناحية وأكابرهم واعتنوا بشانه واسكنوه في دار تليق به وهاوده وواسوه واكرموه وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم وأصله من جنس الاتراك وخلو تلك النواحي من أهل العلم وخصوصا الاحناف وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الافادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة الاماياتيه." (١)

"بالعدل وبتطبيق النظام السياسي الذي انتهيت الآن من وصفه. ومكانتي في مدينة الجزائر هي التي مكنتني من أن أقدم هذه التفاصيل بدقة. لقد **كان والدي** مشرفا وأستاذا بالقانون، كما أنه اشتغل مقطجي أو كاتبا أول، وهو الذي علمني نظام الحكم التركي، وفي عهده درست شريعتنا ثم اشتغلت بالتدريس بعد وفاته.

وفي أثناء رحلتي إلى أوروبا، درست مبادىء الحرية الأوروبية التي تشكل أساس الحكم التمثيلي والجمهوري، ووجدت أن هذه المبادىء كانت تشبه المبادىء الأساسية لشريعتنا إذا استثنينا فارقا بسيطا في التطبيق، وعليه فكل من يدرك الشريعتين إدراكا صحيحا يستطيع الموافقة بينهما وأعتقد أنه لن يتمكن من إنكار هذه الحقيقة. وهناك أحد المبادىء الأساسية في شريعتنا يقول: (تترتب عن الزمن وحاجات الإنسان ظروف لم تتوقعها القوانين، ولذلك يجب على المشرع أن يتفهم الضرورات ويعمل على إيجاد كيفية حكيمة لتطبيق هذه القوانين). لكن من سوء الحظ أن سائر الملوك يجهلون مبادىء هذه القوانين، مما تجعل أوروبا تنتقد تشريع الشرق.

ولو أن السادة المتحررين كانوا يعرفون مبادىء قوانيننا معرفة جيدة ويدركون مدى الحرية التي تتسم بها مؤسساتنا، لكان من الممكن أن نجد فيهم مساعدين بدلا من أعداء كما هو الشأن الآن.

سأقدم، فيما بعد بسطة عن شريعتنا وعن قواعدها الأساسية. وعلى الرغم من أنه ليس من اختصاص هذا

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٣٢/٣

الكتاب أن يعالج هذه المبادىء، وما دمت أتكلم عن تاريخ الإيالة. ونظام حكومة الأتراك وعن السياسة التي سلكوها للبقاء مدم طويلة، فإنني أرى من المستحسن بل من الضروري أن." (١)

"يكن يصح أن يأتي زائر على حين بغتة دون ان يكون في وسع أمي ان تقدم له بعض الحلويات.

لهذا **كان والدي** يشتري الجوز بكميات كبيرة من مصدرين أساسيين: من أحد الاسواق القريبة، التي تغذيها بعض مناطق فرجيوة، ومن الاوراس الذي كان يزود أسواق باتنة وخنشلة.

أذكر أن منظر جوزة بيضاء، قشرتها ناصعة، استهواه ذات ليلة، فأصر على ان يكسرها بنفسه، وكم كانت دهشته ودهشتنا أيضا- عندما وجد بداخلها كتلة سوداء لا تشبه لب الجوز من بعيد ولا من قريب.

- أعوذ بالله .. هذه الجوزة مثل المنافق.

كان تعليقه. وضحكت أمي لتعليقه. وضحكت معجبا ببداهة التعليق ودقة التشبيه.

وقد أتيح لي ان اكتشف جانبا من جوانب شخصيته وأنا بعد طفل، وهو جانب المربي، فهو لم يكن يستعمل الشدة معي الا حيث تكون لازمة، أي عندما يتعلق الأمر بشيء، لا يمكن التساهل فيه، مثل ترك الصلاة. آنذاك لا يتردد في انزال شديد العقاب بي، لا يشفع في ذلك حبه الشديد لابنه- كما سنرى- ولا تدخل والدتي أو جدتي.

أذكر أنه كان ذات صيف يستعد للسفر الى مسقط رأسه في الجبل، وكنت شديد الشوق الى مرافقته في تلك السفرة، فطلبت منه ان يأذن لي بأن أذهب معه. قال لي ما معناه: أنت مخطئ ان كنت تتصور ان "أولاد مبارك " مثل قسنطينة أو مدينة الجزائر. قلت أريد أن أسافر مهما تكن "أولاد مبارك " كان ذلك في صيف ١٩٣٩.

ونزل عند رغبتي.

كانت فرحتي كبيرة. فلم يكن في حياتنا بالقرية، نحن أطفال ذلك العهد ما يثير. كانت منازل القرية التي يوجد بها "راديو" لا تتجاوز ثلاثة، منها منزلنا. وكان هناك مقهى واحد له راديو بالاظافة الى النادي. وكان السفر بالنسبة للاطفال آنذاك حدثا." (٢)

"سعيدا يشغل حيزا كبيرا من وقتنا عندما يتقرر مشروعا، ونظل نحكي عنه بعد تحقيقه عدة أسابيع من خلال روايات يتدخل فيها الخيال غالبا.

---

(١) المرآة حمدان خوجة ص/٩٢

(٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١/ ١٨

لكن حدث عشية السفر حادث غريب.

كان والدي، أثناء سفره للإستشفاء من داء السكر في فرنسا حيث عالج في فيشي وباريس عام ١٩٣٨، قد استصحب معه دليلا مفصلا لمدينة باريس.

كانت مكتبته منظمة تنظيما دقيقا، بحيث كان يعرف موقع كل كتاب وصفه وترتيبه. وكنت مغرما بتصفح الكتب حتى ولو لم أكن أفهم ما فيها. وكنت أحرص على اعادتها الى مكانها حتى لا يعرف أني استعملتها.

قبل يومين من السفر، عثرت على دليل باريس. أعجبت بما فيه من صور ومعالم، فحملته الى المدرسة حتى أريه لزملائي وأزهو عليهم.

طلب مني أحد الزملاء أن أعيره اياه مقابل أن يعيرني هو مركبة خشبية تسير بـ "الرولما" كما كنا نقول، ونقصد بذلك عجلات معدنية صغيرة.

وحدث ان والد زميلي عثر على الدليل عنده فسأله من أين جاءه، فأخبره بالحقيقة. فما كان من أبيه الا ان أخذه منه وأتى به الى خالي حتى يعيده الى والدي. وأعاده بالفعل عشية السفر.

وصادف أني رأيت الدليل وقد احتل مكانه، صعقت. **كان والدي** قد أرجعه حيث كان دون ان يفاتحني في الموضوع. قلت في نفسي: لقد افتضح الأمر. ورحت أتصور صدور العقوبة الصارمة ممثلة في ضرب مبرح، كذلك الذي ينالني عند التخلف عن الصلاة، مع الغاء سفري.

لكن شيئا من ذلك لم يحدث. لم يظهر على أبي أي تصرف يدل على أنه عرف بما حدث. لم تصدر عنه أية ملاحظة. كان تصرفه معي عاديا. تعجبت ولم أستفهمه.." (١)

"وسافرت معه من الغد، وكانت سفرة من أحلى السفرات التي رسخت في ذاكرتي. دامت حوالي عشرة أيام. تمتعت فيها بركوب البغال، فقد كانت هي وسيلتنا الوحيدة لنقلنا في بعض أشواط الرحلة. وأتيح لي أن أشهد بعض عادات البادية مثل ذبح خروف أو كبش للضيف ولو وصل في ساعة متأخرة من الليل.
بعد ان عدنا الى ميلة، ناداني من الغد. وبعد أن آذن لي بالجلوس راح يحكي لي ظروف اكتشافه لاختفاء الدليل، ثم قال لي ما معناه:

- لم أرد أن ألاحظ لك شيئا حتى لا أنغص عليك السفر، ولا الغي وعدا قطعته لك. وها أنا ذا الأن أعتبرك كبيرا تتعظ بالكلام، ولم تعد بحاجة الى الضرب. فلا تعد لمثلها.

وقد أتيح لي بعد ذلك أن أعيش مشهدا يدل على مدى تقديره للوعد المقطوع. كان يسافر الى قسنطينة

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١٩/١

في الصباح ويرجع في المساء، أحيانا وقد رأى ان يستصحبني في احدى هذه السفرات اليومية مع اعلامي بأننا سنرجع في نفس اليوم. قبلت رغم ان بـعض يوم لم يكن ليشبع نهمي الى المدينة. الا أنه عند الوصول وجد الشيخ العربي التبسي بقسنطينة، فغير برنامجه وقرر أن يقضي بها ثلاثة أيام. ناداني أمام صديقه وقال لي ما معناه:

لقد قلت لك اننا سنرجع في نفس اليوم. لكني اضطررت الى ان امكث مدة أطول. فان كنت تريد البقاء فليكن، وان كنت رتبت امرك على العودة اليوم، فاعلمني حتى أرسلك مع أحد المسافرين الى ميلة.

وعلى ذكر جانب المربي فيه أذكر أني قرأت فيما قرأت من رسائله التي كان يحتفظ منها بنسخة لديه (والتي ضاع معظمها مع الأسف) رسالة كان وجهها الى الشيخ العربي الذي كان قد طلب منه ان يطلعه على أسلوبه في معاملة التلاميذ (فقد **كان والدي** قد شرع في التدريس بالاغواط، قبل ان يلتحق الشيخ العربي ببلدة سيق التي كانت أول بلدة تولى التدريس فيها للتلاميذ) فكتمب له والدي رسالة." (١)

"ويرى أن العم مقام الوالد. ولما **كان الوالد** هو الأصل في النسب عند الجاهليين، وهو الولي وصاحب الحق الشرعي الأول في ولده، يكون هذا الحق في إخواته بعد وفاته. كما أننا نجد أن بعض الأولاد كانوا ينزعون إلى أعمامهم أكثر من نزوعهم إلى أخوالهم. وموضوع نزع العرق عند العرب، اعتباري اصطلاحي بالطبع، يمثل وجهة نظرهم في النسب، ولا يقوم على أسس "بيولوجية" أي من ناحية أثر الدم وانتقال الخصائص الدموية من الوالد، أو من الأم إلى الولد. وهو موضوع علمي، يختلف عن هذه النظرة الاعتبارية، حيث إنه يقوم على الدراسات العلمية، ولا يأخذ بالاعتبارات والآراء المبنية على اعتبارات أهل النسب في خصائص الولد.

والظاهر أن الوئام لم يكن واقعا دائما بين أبناء العم، إذ نجد أن الخصومات طالما كانت تحدث بينهم. ولعل ذلك بسبب ما ألقاه المجتمع على عاتق العم من تبعات أولاد إخوته حين وفاة الأخ، فإنه يكون بحسب العرف القبلي الوصي الشرعي على أولاد المتوفى، وله حق في إرثه بحسب قانون "العصبة" عند وفاة الأخ عن بنات ومن غير أبناء، أو لطمع الأعمام في أموال اليتامى، إلى غير ذلك من أمور سببت حدوث خصومات أحيانا بين الأعمام وبين أبناء الإخوة، أو بين أبناء الأعمام. ولعل هذه الخصومات هي التي جعلت "الجاحظ" يتصور أن أبناء العم محسودون١.

ونجد العرب يقولون: "عرق فيه أعمامه وأخواله"٢، فقدموا الأعمام على الأخوال، واعترفوا بأثر عرق الاثنين

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١/ ٢٠

في الولد، من كرم أو لؤم، إذ يكون دس العرق في اللؤم والكرم٣.
ولاحظ العرب أن الأبوين قد يلدان ولدا يكون لونه مغايرا للونهما، فيحدث نزاعا بين الرجل وزوجته في هذه الولادة الغريبة، وتتهم المرأة أحيانا باتصالها برجل غريب جاء منه هذا المولود، إلا أن منهم من أدرك "دس العرق" في هذه الولادة، واحتمال انتقال هذا اللون من آباء أحد الوالدين. وقد اختصم رجل

____

١ كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، من رسائل الجاحظ "١/ ٣٤٤".
٢ تاج العروس "٧/ ١٠"، "عرق".
٣ المصدر نفسه.." (١)

"والرجال قوامون على النساء. أما المرأة، فهي للبيت، والرجل هو "رب البيت" وسيده والمسئول عنه، وله الكلمة على شئونه. وهو القيم الطبيعي المسئول عن تربية أولاده. وهو المسئول عن إعالة زوجه وأولاده. والزوج تبع لبعلها، وعليها إطاعة أوامره، ما دامت أوامره لا تنافي الخلق والمألوف. وبيتها هو "بيت الزوجية". ولسيادة الرجل على بيته وزوجه، قيل له في كثير من اللغات السامية، وفي جملتها اللغة العربية: "بعل". فالرجل هو بعل المرأة.
ومن تلده الزوج يكون للبعل، فهو في ولايته، وله رعايته، وعليه تربيته حتى يبلغ أشده. وهو مسئول أيضا عن رعاية أحفاده بعد ابنه. أما أولاد ابنته فإنهم في رعاية أبيهم الذي يكون وحده المسئول عنهم؛ لأنه بعل زوجه، وهو رب بيته.
وللحق المتقدم لم تمانع شرائع الجاهليين في وأد البنات أو قتل الأولاد، ولم تعد من يئد البنت أو يقتل ابنه قاتلا، ولم تؤاخذه على فعله، حتى الأمهات لم يكن من حقهن منع الآباء من وأد بناتهن، أو قتل أولادهن؛ لأن الزوج هو وحده صاحب الحق والقول الفصل فيمن يولد له، وليس لامرأته حق الاعتراض عليه ومنعه. ولهذا الحق لم يكن للولد الاعتراض على ما يفرضه أبوهم عليهم من حقوق، ولا مخالفة أوامره ونواهيه. فبوسع والدهم فرض ما يراه عليهم من عقوبات، فلا يمنعه منها إلا قوة الولد وتوسط الناس. فإذا اشتد عود الولد، وقوي ساعده صار الحق إلى جانبه، وصار في وسعه معارضة والده. ولن يكون في **إمكان الوالد** فعل شيء بعد بلوغ ابنه سوى خلعه والتنصل منه على رءوس الأشهاد.." (٢)

____

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٣٣/٨
(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٠٠/١٠

"وخرجت من إنطاكية إلى اللاذقية وهي مدينة يونانية لها ميناء وملعب وميدان للخيل مدور، وبها بيت كان للأصنام وهو اليوم كنيسة، وكان في أول الإسلام مسجدا، وهي راكبة البحر، وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه وأذان في أوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا الناقوس، وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم. ومن عجائب هذا البلد المحتسب يجمع القحاب والغرباء والمؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهن وتتزايد الفسقة فيهن لليلتها تلك، ويؤخذن إلى الفنادق التي هي الحانات لسكن الغرباء بعد أن تأخذ كل واحدة منهن خاتما هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فإنه متى وجد خاطئا مع خاطئة بغير ختم المطران ألزمه جناية. وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر أحوالهم والألفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم وأذهانهم (١) .

- ٢١ - (٢)

وحكى غرس النعمة محمد بن الرئيس أبي الحسين هلال بن المحسن ابن إبراهيم الصابئ قال: **كان والدي** اعتل في المحرم من سنة ست وثلاثين وأربعمائة علة صعبة، وكان أبو الحسن ابن سنان جاريا على عادته في هجرانه، فراسلته وسألته الحضور فوعد وأخلف، ومضت إليه نسوة من أهله وأهلنا قبحوا عليه ما فعله وهو يعد ويخلف، والرئيس أبو الحسين يزيد في مرضه إلى الحد الذي غاص ولم يعقل، وبقي كذلك عشرين يوما في النزع، وقام يكسر طارمة خيش كان فيها وإلى أبواب عرضى يروم قلعها، وذكر النساء أن ذلك نوع من النزع يعرفنه ويعهدنه، وبعدن عن الدار وتركنه واشتغلن باللطم والبكاء عليه، وخرجت إلى دار الرجال وجلست جلوس التعزية، وإذا به قد دخل علينا وكان عندي جماعة من أصدقائنا فبقي داهشا وقال لهم: مات؟ فقالوا: هو في ذلك، فقلت: يا أبا الحسن مات جالينوس وعاش الناس بعده، وأما الرجل فميت، وما بنا إلى رؤيتك

---

(١) هذه الرسالة لم تكمل، انظر ياقوت ٤: ١٠٠٣.

(٢) تاريخ الحكماء: ٣٩٨ - ٤٠٢ (ولم يصرح أنها من كتاب الربيع) .." [١]

"وبعد ذلك رفض الخدمة في الأراضي الفلسطينية وفي كل مرة كان قادته يهددونه بالسجن ولكن في نهاية الأمر ينقلونه إلي وحدة أخري.

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٣٤٨/٢

وخلال الانتفاضة الأولي رفض يوفال الخدمة في غزة، فسجن ٢٨ يوما في سجن عسكري. وبعد عدة سنوات رفض أن يخدم في سجن ميجدو.. ورغم أن ميجدو يقع داخل الخط الأخضر إلا انه رفض لوجود معتقلين فلسطينيين رهن الاعتقال دون محاكمة في هذا السجن سيء السمعة.. ومرة أخري وجد نفسه يقضي ٢٨ يوما في السجن. فماذا يقول هو عن نفسه..

الفصل السادس :

قوات الاحتلال تمارس القمع ضد الفلسطينيين بصورة يومية

الحلم الصهيوني

يقول يوفال.. لقد نشأ والداه هنا وكنا من اليهود الأوائل الذين جاؤوا إلي هذه الأرض لتحقيق الحلم الصهيوني. قتل عمي في أحد الحروب لذا فقد أصيبت أسرتي بإحباط شديد عندما رفضت الخدمة في جيش الدفاع. حاولت إقناعهم بان رفضي سيحول دون موت آخرين إلا أن ذلك لم يقنعهم.

وفي الجلسات العائلية دائما ما أفضل أن أجلس صامتا علي أن ادخل في جدل مع الآخرين.. **وكان والدي** مثالا للإنسانية.. كان منفتح العقل.. كان بحارا ويحب الشعر.. علمني أن انظر إلي كل شيء بعيون ناقدة .. نشأت وأنا اشعر بثقة في نفسي واشعر بالأمن والأمان.. هذه النشأة تفسر سبب تفاؤلي بأن كل شيء سيكون في النهاية علي ما يرام .

في الثامنة عشرة التحقت بالجيش علي اعتقاد أنني ذاهب لأحارب معركة البقاء .. بقائي أنا وأسرتي وبقاء الوطن. رغبت في الالتحاق بوحدة مقاتلة فوجدت صعوبة في ذلك ولكني سلكت كل السبل كي التحق بها وبالفعل نجحت في النهاية .. وكنت أؤدي الخدمة بكل حماس. وحتى اليوم فإني أري أن الدولة يجب

إلا تتخلي عن قدرتها علي الردع.. ولكنني اعتقد انه يجب القيام بكل ما يمكن لتجنب استخدام هذه القوة.." (١)

"* ٦٦٩٢ -) حدثنا الفضل بن هارون البغدادي ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الله بن عمير عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال * أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابني فقلت لابني لما رأيته هذا نبي الله فأخذته الرعدة منه فقلت يا نبي الله إني رجل طبيب **وكان والدي** طبيبا من أهل بيت أطباء فأرني ظهرك فإن كان سلعة أبطها وإن كان غير ذلك أخبرتك فإنه ليس من إنسان أعلم بجرح أو جراح مني قال لا طبيب إلا الله وعليه بردان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر فقال ابنك هذا قلت أي ورب الكعبة قال من نفسك قلت أشهد به قال أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه

الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٢/ ص ٢٨٣ حديث رقم: ٧٢٤

* ٦٦٩٣ -) حدثنا محمد بن عبيد بن حساب نا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط عن أبي رمثة رضي الله عنه قال * أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي ابنى فقلت لابنى لما رأيته هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته رعدة هيبة له فقلت يا نبي الله انى رجل طبيب وان والذي طبيب من أهل بيت نتطيب فأرنى ظهرك فإن تكن سلعة أبطها وإن تك غير ذلك أخبرتك فأنه ليس إنسان أعلم بخرج أو خراج منى فقال أجل طبيبه الله عز وجل وعليه بردان اخضران وله شعر قد علاه المشيب وشيبه احمر فقال لي ابنك هذا قلت أي ورب الكعبة قال بن نفسك فقلت اشهد به فإنه يجنى عليك ولا تجنى عليه

ابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ج ٢/ ص ٣٦٧ حديث رقم: ١١٤٠

". (٢)

"* ٢٠٩٣٩ -) حدثني عن مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس

---

(١) التمرد ... كتاب يهز إسرائيل ويحطم أساطير الدولة اليهودية ص/٥٢

(٢) موسوعة التخريج ص/٢٧٩٨

مالك في الموطأ ج ٢/ ص ١٠٠٠ حديث رقم: ١٨١٨

* ٢٠٩٤٠ -) حدثنا محمد بن بحر بن مطر وعلي بن شيبة البغداديان قالا ثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى أعطى بني هاشم وبني المطلب ولم يعط بني أمية شيئا وبني نوفل فأتيت أنا وعثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم فضلهم الله بك فما بالنا وبنى المطلب وإنما نحن وهم في النسب شيء واحد فقال إن بني المطلب لم يفارقوني في الجاهلية ولا في الإسلام قالوا فلما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم بعض القرابة وحرم من قرابته منه كقرابتهم ثبت بذلك أن الله لم يرد بما جعل لذوي القربى كل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أراد به خاصا منهم وجعل الرأي في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه فيمن شاء منهم وإذا مات ف انقطع رأيه انقطع ما جعل لهم من ذلك كما قد جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصطفى من المغنم لنفسه سهم الصفي فكان ذلك ما كان حيا يختار لنفسه من المغنم ما شاء فلما مات انقطع ذلك وممن ذهب إلى هذا القول أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد رحمة الله عليهم وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا بل ذوو القربى الذين جعل الله لهم من ذلك ما جعل هم بنو هاشم وبنو المطلب فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاهم من ذلك بجعل الله عز وجل ذلك لهم ولم يكن له حينئذ أن يعطى غيرهم من بني أمية وبني نوفل لأنهم لم يدخلوا في الآية وإنما دخل فيها من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة فلما اختلفوا في هذا هذا الاختلاف فذهب كل فريق إلى ما ذكرنا واحتج لقوله بما وصفنا وجب أن نكشف كل قول منها وما ذكرنا من حجة قائله لنستخرج من هذه الأقاويل قولا صحيحا فنظرنا في ذلك فابتدأنا بقول الذي نفى أن يكون لهم في الآية شيء بحق القرابة وأنه إنما جعل لهم فيها ما جعل لحاجتهم وفقرهم كما جعل للمسكين واليتيم فيها ما جعل لحاجتهما وفقرهما فإذا ارتفع الفقر عنهم جميعا ارتفعت حقوقهم من ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم سهم ذوي القربى حين قسمه فأعطى بني هاشم وبني المطلب وعمهم بذلك جميعا وقد كان فيهم الغني والفقير فثبت بذلك أنه لو كان ما جعل لهم في ذلك هو لعلة الفقر لا لعلة القرابة إذا لما دخل أغنياؤهم في فقرائهم فيما جعل لهم من ذلك ولقصد إلى الفقراء منهم دون الأغنياء فأعطاهم كما فعل في اليتامى فلما أدخل أغنياءهم في فقرائهم ثبت بذلك أنه قصد بذلك إلى أعيان القرابة لعلة قرابتهم لا لعلة فقرهم وأما ما ذكروا من حديث فاطمة رضي الله عنها حيث سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يخدمها خادما من السبي الذي كان قدم عليه فلم يفعل ووكلها إلى ذكر الله عز وجل والتسبيح فهذا ليس فيه عندنا دليل لهم على ما ذكروا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل لها حين سألته لا حق لك فيه ولو كان ذلك كذلك لبين ذلك لها كما بينه للفضل بن العباس وربيعة بن الحارث حسن سألا أن يستعملهما على الصدقة ليصيبا منها فقال لهما إنما هي أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لأحد من أهل بيته وقد يجوز أيضا أن يكون لم يعطها الخادم حينئذ لأنه لم يكن قسم فلما قسم أعطاها حقها من ذلك وأعطى غيرها أيضا حقه فيكون تركه إعطاءها إنما كان لأنه لم يقسم ودلها على تسبيح الله وتحميده وتهليله الذي يرجو لها به الفوز من الله تعالى والزلفى عنده وقد يجوز أن يكون قد أخدمها من ذلك بعد ما قسم ولا نعلم في الآثار ما يدفع شيئا من ذلك وقد يجوز أن يكون منعها من ذلك إن كان منعها منه لأنها ليست قرابة ولكن أقرب من القرابة لأن الولد لا يقال هو من قرابة أبيه إنما يقال ذلك لمن غيره أقرب إليه منه ألا ترى إلى قول الله عز وجل قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين فجعل الوالدين غير الأقربين لأنهم أقرب من الأقربين فكما **كان الوالد** يخرج من قرابة ولده فكذلك الولد يخرج من قرابة والده وقد قال محمد بن الحسن رحمة الله عليه نحوا مما ذكرنا في رجل قال قد أوصيت بثلث مالي لقرابة فلان أن والديه وولده لا يدخلون في ذلك لأنهم أقرب من القرابة وليسوا بقرابة واحتج في ذلك بهذه الآية التي ذكرناها فهذا وجه آخر فارتفع بما ذكرنا أن يكون لهم أيضا بحديث فاطمة رضي الله عنها هذا حجة في نفي سهم ذوي القربى وأما ما احتجوا به في حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من فعلهما وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينكروا ذلك عليهما فإن هذا مما يسع فيه اجتهاد الرأي فرأياهما ذلك واجتهدا فكان ما أداهما إليه اجتهادهما هو ما رأيا في ذلك فحكما به وهو الذي كان عليهما وهما في ذلك مثابان مأجوران وأما قولهم ولم ينكر ذلك عليهما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يجوز أن ينكر ذلك عليهما أحد وهما إمامان عدلان رأيا رأيا فحكما به ففعلا في ذلك الذي كلفا ولكن قد رأى في ذلك غيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما رأيا فلم يعنفوهما فيما حكما به من ذلك إذ كان الراي في ذلك واسعا والاجتهاد للناس جميعا فأدى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما رأيهما في ذلك إلى ما رأيا وحكما وأدى غيرهما ممن خالفهما اجتهاده في ذلك إلى ما رآه وكل مأجور في اجتهاده في ذلك مثاب مؤد للفرض الذي عليه ولم ينكر بعضهم على بعض قوله لأن ما خالف إليه هو رأي والذي قاله مخالفه هو رأي أيضا ولا توقيف مع واحد منهما لقوله من كتاب ولا سنة ولا إجماع والدليل على أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد كانا خولفا فيما رأيا من ذلك قول بن عباس رضي الله عنهما قد

كنا نرى أنا نحن هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى ذلك علينا قومنا فأخبر أنهم رأوا في ذلك رأيا أباه عليهم قومهم وأن عمر دعاهم إلى أن يزوج منه أيمهم ويكسو منه عاريهم قال فأبينا عليه إلا أن يسلمه لنا كله فدل ذلك أنهم قد كانوا على هذا القول في خلافة عمر بعد أبي بكر وأنهم لم يكونوا نزعوا عما كانوا رأوا من ذلك لرأي أبي بكر ولا رأي عمر رضي الله عنهما فدل ما ذكرنا أن حكم ذلك كان عند أبي بكر وعمر وعند سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كحكم الأشياء التي تختلف فيها التي يسع فيها اجتهاد الرأي وأما قولهم ثم أفضى الأمر إلى علي رضي الله عنه فلم يغير شيئا من ذلك عما كان وضعه عليه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالوا فذلك دليل على أنه قد كان رأي في ذلك أيضا مثل الذي رأيا فليس ذلك كما ذكروا لأنه لم يكن بقي في يد علي مما كان وقع في يد أبي بكر وعمر من ذلك شيء لأنهما لما كان ذلك وقع في أيديهما أنفذاه في وجوهه التي رأياها في ذلك الذي كان عليهما ثم افضى الأمر إلى علي رضي الله عنه فلم يعلم أنه سبي أحدا ولا ظهر على أحد من العدو ولا غنم غنيمة يجب فيها خمس لله لأنه إنما كان شغله في خلافته كلها بقتال من خالفه ممن لا يسبي ولا يغنم وإنما يحتج بقول علي رضي الله عنه في ذلك لو سبي وغنم ففعل في ذلك مثل ما كان أبو بكر وعمر فعلا في الأخماس وأما إذا لم يكن سبي ولا غنم فلا حجة لأحد في تغيير ما كان فعل قبله من ذلك ولو كان بقي في يده من ذلك شيء مما كان غنمه من قبله فحرمه ذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في ذلك أيضا حجة تدل على مذهبه في ذلك كيف كان لأن ذلك إنما صار إليه بعد ما نفذ فيه الحكم من الإمام الذي كان قبله فلم يكن له إبطال ذلك الحكم وإن كان هو يرى خلافه لأن ذلك الحكم مما يختلف فيه العلماء ولو كان علي رضي الله عنه رأى في ذلك ما كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رأياه في قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قد خالفه لقول بن عباس رضي الله عنهما كنا نرى أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا فهذه جوابات الحجج التي احتج بها الذين نفوا سهم ذوي القربى أن يكون واجبا لهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في حياته وأنهم كانوا في ذلك كسائر الفقراء فبطل هذا المذهب فثبت أحد المذاهب الأخر فأردنا أن ننظر في قول من جعله لقرابة الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخليفة من بعده هل لذلك وجه فرأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فضل بسهم الصفي وبخمس الخمس وجعل له مع ذلك في الغنيمة سهم كسهم رجل من المسلمين ثم رأيناهم قد أجمعوا أن سهم الصفي ليس لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن حكم رسول الله في ذلك خلاف حكم الإمام من بعده فثبت بذلك أيضا أن حكمه في خمس الخمس

خلاف حكم الإمام من بعده ثبت أن حكمه فيما وصفناه خلاف حكم الإمام من بعده ثبت أن حكم قرابته في ذلك خلاف حكم قرابة الإمام من بعده قلب أحد القولين من الآخرين فنظرنا في ذلك فإذا الله عز وجل قال وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريا له ما كان حيا إلى أن مات وانقطع بموته وكان سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان قبل ذلك ثم اختلفوا في سهم ذوي القربى فقال قوم هو لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لهم في حياته وقال قوم قد انقطع عنهم بموته وكان الله عز وجل قد جمع كل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ولذي القربى فلم يخص أحدا منهم دون أحد ثم قسم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأعطى منهم بني هاشم وبني المطلب خاصة وحرم بني أمية وبني نوفل وقد كانوا محصورين معدودين وفيمن أعطى الغني والفقير وفيمن حرم كذلك فثبت أن ذلك السهم كان للنبي صلى الله عليه وسلم فجعله في أي قرابته شاء فصار بذلك حكمه حكم سهمه الذي كان يصطفى لنفسه فكما كان ذلك مرتفعا بوفاته غير واجب لأحد من بعده كان هذا أيضا كذلك مرتفعا بوفاته غير واجب لأحد من بعده وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمة الله عليهم أجمعين

الطحاوي في شرح معاني آثار ج ٣/ ص ٢٣٩ حديث رقم: ٠

* ٢٠٩٤١ -) حدثنا الحسن بن علي نا يحيى بن آدم نا بن المبارك عن يونس عن الزهري عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن ربيعة بن الحارث والفضل بن عباس رضي الله عنهما قالا يا رسول الله إن العباس وربيعة أرسلانا إليك لتستعلمنا على الصدقة فنؤدي إليك ما يؤدي الناس ونصيب منها ما يصيب الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمحمية بن جزء الزبيري زوج ابنتك الفضل بن العباس وقال لنوفل بن عبد الحارث زوج ابنتك عبد المطلب بن ربيعة فزوجاهما وقال لمحمية وكان استعمله على الأخماس وأمره أن يصدق عنهما من الخمس شيئا لم يسمه عبد الله بن الحارث ابنتك الفضل بن العباس وقال لنوفل بن عبد الحارث زوج ابنتك عبد المطلب بن ربيعة فزوجاهما وقال لمحمية وكان استعمله على الأخماس وأمره أن يصدق عنهما من الخمس شيئا لم يسمه عبدالله بن الحارث

ابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ج ١/ ص ٣٢٢ حديث رقم: ٤٤١

* ٢٠٩٤٢ -) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن آدم ثنا بن المبارك عن يونس عن الزهري عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث انه هو والفضل أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوجهما ويستعملهما على الصدقة فيصيبان من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمحمية الزبيدي زوج الفضل وقال لنوفل بن الحرث بن عبد المطلب زوج عبد المطلب بن ربيعة وقال لمحمية بن جزء الزبيدي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعمله على الأخماس فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق عنهما من الخمس شيئا لم يسمه عبد الله بن الحرث وفي أول هذا الحديث ان عليا لقيهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعملكما فقالا هذا حسدك فقال انا أبو حسن القوم لا أبرح حتى انظر ما يرد عليكما فلما كلماه سكت فجعلت زينب تلوح بثوبها انه في حاجتكما \١٧٦١٥\

ابن حنبل في مسنده ج ٤/ ص ١٦٦ حديث رقم: ١٧٥٥٣

* ٢٠٩٤٣ -) وأخرجه من حديث يونس عن بن شهاب فقال في الحديث فقال لنا * إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس ولا تحل لمحمد ولا لآل محمد \١٣٠٠٩\

البيهقي في سننه الكبرى ج ٧/ ص ٣٢ حديث رقم: ١٣٠١٩

." (١)

"* ٢٨٥٨٣ -) أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن وأبو زكريا بن أبي إسحاق قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبأ الربيع بن سليمان أنبأ الشافعي أنبأ بن عيينة عن عبد الملك بن سعيد بن أبجر عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال دخلت مع أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أبي الذي بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعني أعالج الذي بظهرك فإني طبيب فقال أنت رفيق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا معك قال ابني أشهد به فقال أما أنه لا يجني عليك ولا تجني عليه

البيهقي في سننه الكبرى ج ٨/ ص ٢٧ حديث رقم: ١٥٦٧٥

---

(١) موسوعة التخريج ص/٨٠٩٨

* ٢٨٥٨٤ -) أخبرنا العباس بن محمد قال أنبأنا أبو نوح قال حدثنا جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط عن أبي رمثة قال * خرج علينا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وعليه ثوبان أخضران \٥٣٢٩\

النسائي في سننه ج ٨/ ص ٢٠٤ حديث رقم: ٥٣١٩

* ٢٨٥٨٥ -) أخبرنا بن عيينة عن عبد الملك بن سعيد بن أبجر عن اياد بن لقيط عن أبي رمثة قال دخلت مع أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أبي الذي بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعني أعالج هذا الذي بظهرك فإني طبيب رفيق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا معك قال ابني أشهد به قال أما أنه لا يجني عليك ولا نجني عليه

الشافعي في مسنده ج ١/ ص ١٩٨ حديث رقم: ٠

* ٢٨٥٨٦ -) حدثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الملك بن سعيد بن أبجر عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال دخلت مع أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أبي الذي بظهره فقال دعني أعالج ما بظهرك فإني طبيب قال أنت رفيق والله الطبيب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي من ذا معك قال ابني أشهد لك به فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنك لا تجني عليه ولا يجني عليك وذكر أنه رأى برسول الله صلى الله عليه وسلم ردع الحناء

الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٢/ ص ٢٨٠ حديث رقم: ٧١٥

* ٢٨٥٨٧ -) أخبرنا العباس بن محمد قال ثنا أبو نوح عبد الرحمن بن عرواني قال حدثنا جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال * خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان أخضران \٩٥٨٤\

النسائي في سننه الكبرى ج ٥/ ص ٤٨٠ حديث رقم: ٩٦٥٧

* ٢٨٥٨٨ -) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سفيان بن عيينة حدثني عبد الملك بن ابجر عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي فرأى التي بظهره فقال يا رسول

الله الا أعالجها لك فإني طبيب قال أنت رفيق والله الطبيب قال من هذا معك قلت ابني قال أشهد به قال أما انه لا تجني عليه ولا يجني عليك قال عبد الله قال أبي اسم أبي رمثة رفاعة بن يثربي

ابن حنبل في مسنده ج ٤/ ص ١٦٣ حديث رقم: ١٧٥٢٧

* ٢٨٥٨٩ -) حدثنا عبد الله حدثني شيبان بن أبي شيبة ثنا جرير يعني بن حازم ثنا عبد الملك بن عمير عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال * قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني هذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل طبيب وان أبي كان طبيبا وأنا أهل بيت طب والله ما يخفي علينا من الجسد عرق ولا عظم فأرني هذه التي على كتفك فإن كانت سلعة قطعتها ثم داويتها قال لا طبيبها الله ثم قال من هذا الذي معك قلت ابني ورب الكعبة فقال ابنك قال ابني أشهد به قال ابنك هذا لا يجني عليك ولا تجني عليه

ابن حنبل في مسنده ج ٢/ ص ٢٢٨ حديث رقم: ٧١١٨

* ٢٨٥٩٠ -) حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثني سعيد بن الربيع السمان ثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن إياد بن لقيط العجلي عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابني فأرانيه إياه فقلت لابني هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته الرعدة هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا نبي الله إني رجل طبيب من أهل بيت أطباء فأرني ظهرك فإن تكن سلعة أبطها وإن تك غير ذلك أخبرتك فإنه ليس من إنسان أعلم بخرج أو خراج مني قال طبيبها الله وعليه بردان أخضران له شعر قد علاه المشيب وشيبه أحمر فقال ابنك هذا قلت أي ورب الكعبة قال بن نفسك قلت أشهد به قال فإنه لا يجني عليك ولا تجني عليه

ابن حنبل في مسنده ج ٢/ ص ٢٢٧ حديث رقم: ٧١١١

* ٢٨٥٩١ -) أخبرنا يونس بن محمد ثنا جرير يعني بن حازم قال سمعت عبد الملك بن عمير حدثني إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال * قدمت المدينة ومعي بن لي ولم يكن رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان أخضران فلما رأيته عرفته بالصفة فأتيته

فقال من هذا الذي معك قلت ابني ورب الكعبة فقال ابنك فقلت أشهد به قال فإن ابنك هذا لا يجني عليك ولا تجني عليه

الدارمي في سننه ج ٢/ ص ٢٦١ حديث رقم: ٢٣٨٨

* ٢٨٥٩٢ -) حدثنا الفضل بن هارون البغدادي ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الله بن عمير عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابني فقلت لابني لما رأيته هذا نبي الله فأخذته الرعدة منه فقلت يا نبي الله إني رجل طبيب **وكان والدي** طبيبا من أهل بيت أطباء فأرني ظهرك فإن كان سلعة أبطها وإن كان غير ذلك أخبرتك فإنه ليس من إنسان أعلم بجرح أو جراح مني قال لا طبيب إلا الله وعليه بردان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر فقال ابنك هذا قلت أي ورب الكعبة قال من نفسك قلت أشهد به قال أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه

الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٢/ ص ٢٨٣ حديث رقم: ٧٢٤

". (١)

"وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء (١). وكان يبذل أوقاتا كثيرة في سبيل تعليم الناس الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم يقول ابنه عبد الوهاب: **كان والدي** رحمه الله يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها ٥٢١هـ وآخرها ٥٦١هـ ومدة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ٣٣ سنة أولها ٥٢٨هـ وآخرها ٥٦١هـ وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة (٢).

وأما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبد الرزاق بقوله: جاءت فتوى من العجم إلى بغداد فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شاف وصورتها: ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد له أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فيما يفعل من العبادات؟ قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلي

---

(١) موسوعة التخريج ص/١٠١٥٥

له المطاف ويطوف أسبوعا - أي سبعا - وحده وتنحل يمينه قال: فمابات المستفتي ببغداد (٣)، وعندما ترجم له ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة قال: شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة (٤) ويقول ابن الجوزي عنه: تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وكان يجلس عند سور بغداد مستندا إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير (٥).

ثانيا: منهجه في توضيح العقيدة:

بين رحمه الله عقيدته بوضوح وكان كثيرا ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة (٦) ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني يلاحظ الباحث أن له م نهجا واضح المعالم في إيضاح القضايا التي يعالجها خصوصا قضايا العقيدة يمكن تلخيصه فيما يلي:

١ - عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة: تجنح حركة الإيقاع فيه إلى التوازي والتوازن وهو توازن مبعثه توازن حركة النفس والرغبة في الإيضاح بعيدا عن التعقيد

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٤).

(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٩٥.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٤).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٩٠).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٩١) الشيخ عبد القادر ص ٦٩.

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٤٢) الشيخ عبد القادر ص ٦٢.." [١]

"وعدم القدرة على إعالة الأولاد، أو الحرص على صيانة العرض، وخشية أن يلحق القبيلة عار من فعل السبي.

وعلى كل حال لم يكن الوأد شاملا، بل اقتصر على بعض الأوساط المتردية ماديا واجتماعيا، ولا سيما في سني القحط والمجاعات، وفي البوادي القاحلة. ويروى أنه قد اقتصر على بعض الحالات، في بعض بطون قبيلتي تميم وأسد١، كحالة ولادة مولود مشوه، أو إذا **كان الوالد** فقيرا، أو كثير العيال، أو كان مع فقره

---

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي ٣٦٥/١

مئناثا، وفوق ذلك لا يستطيع الدفاع عن حريمه لضعفه.
ومع ذلك كان هناك ما يحد من هذه العادة السيئة، كإقدام ذوي الشهامة والمروءة على تبني أولاد ليسوا من صلبهم، يجعلون لهم مثلما لأولادهم من حقوق، وإنقاذ المجتمع من عادة الوأد بتسقط الأخبار عمن يقدم على وأد بناته، فيفتدونهن من آبائهن. فالشاعر الفرزدق كان يفتخر بأن جده غالب بن صعصعة، كان يعرف في الجاهلية أنه محيي الموءودات.

---

١ محمد الخضري: المصدر نفسه، ص٢١.." [(١)]

"٤- المدرسة الخاسكية: أسستها امرأة تسمى خاسكي سلطان عام ١٣١٤هـ، على حافة مجرى وادي أبي جيدة مقابل بيوت الترجمان في شارع العنبرية، وتتكون من طابقين وبها أربعون غرفة مختلفة الحجم وبها مسجد يسمى مسجد بلال رضي الله عنه١.

ولقد **كان والدي** رحمه الله يعمل في نفس المبنى حين تحول إلى دائرة الامارة والمالية لمنطقة المدينة المنورة وكنت أذهب إليها ماشيا من حارة الساحة فالمناخة ثم مسجد الغمامة حتى أصل إليها. في موقعها الآن شركة الاتصالات السعودية في المدينة المنورة.

٥- المدرسة النظامية: أسسها محمد عبد الباقي اللكنوي عام ١٣٢٤هـ في حوش فواز، وأغلقت بعد وفاته عام ١٣٦٤هـ. المبنى أعرفه لأنه كان بجوار منزلنا في حارة الساحة، ويتكون المبنى من ثلاثة طوابق حجمه صغير٢.

٦- مدرسة آمان الله خوجة: أسسها آمان الله خوجة البخاري عام ١٣٢٤هـ، خارج باب المجيدي، تتكون المدرسة من طابقين يحتوي الأرضي على أربعة دكاكين وحجرة كبيرة وست حجر ومنور، في وسطها بئر وحمام ودرج، والدور الأول يتكون من غرفتين كبيرتين على الواجهة يسمى في ذلك الوقت دقيسي وخمس حجرات. وقد اشترط الواقف أن الذي يسكنها هم من طلاب العلم الصلحاء من يعتقد مذهب أبي حنيفة من أهل المدينة والمجاورون بها غير المتزوجين٣.

٧- مدرسة نور الدين نمنكاني: أوقفها نور الدين نمنكاني عام ١٣٣١هـ بسقيفة شيخي، والمدرسة خصت

---

١ موسى: مصدر سابق. ١٣٩٢هـ، ٤٠.

---

(١) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/٢٧٠

٢ كتبي: أعلام من أرض النبوة. ١٤١٤هـ، ٢٠٠.

٣ سجل محكمة المدينة المنورة: ٧٢- ص٣٩، جلد ١، تاريخ ٦ /٢ /١٣٣١هـ.." [١]

"٦٣٤٧ – محمد بن إبراهيم الكسائي.

راوي صحيح مسلم، عن أبي سفيان.

غمزه الحاكم فقال: روى الصحيح من غير أصل. انتهى.

قال الحاكم: كان من قدماء الأدباء وتخرج به جماعة ثم إنه على كبر السن حدث بصحيح مسلم من كتاب جديد في يده فكان في أول حديث: حدثنا إبراهيم حدثنا مسلم. فأنكرته فعاتبني.

فقلت له: لو أخرجت إلي أصلك، أو أخبرتني الخبر على وجهه فقال: **كان والدي** يحضرني مجلس إبراهيم ثم لم أجد سماعي فقال لي أبو أحمد بن عيسى: قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس لتسمع وأنت نائم لصغرك ولم يبق بعدي لهذا الكتاب راو غيرك فاكتبه من كتابي فكتبته من كتابه.

فقلت له: لا يحل لك فاتق الله فقام من مجلسي وشكاني ثم أرسل إلي ورقة يقول فيها: إنه وجد جزءا من سماعه فراسلته بأن يعرض علي ذلك الجزء فلم يفعل.

توفي ليلة الأضحى سنة ٣٨٥.." [٢]

"٧٩٧١ – صح – المؤتمن بن أحمد الساجي [أبو نصر]

ثقة حافظ لم يصح قول ابن طاهر فيه: إنه تمم كتاب معرفة الصحابة على أبي عمرو بن منده بعد موته.

قال يحيى: هذا كذب لم يقع ، انتهى. -[١٨٥]-

وقد حط المؤتمن أيضا على ابن طاهر فتكافآ ، والمؤتمن يكنى أبا نصر كان أحد أعلام الحديث مع الزهد والورع سمع من ابن النقور وعبد العزيز الأنماطي، وابن البسري ونحوهم.

ورحل إلى صور وحلب وأصبهان ونيسابور وهراة والبصرة، وغيرها.

روى عنه ابن ناصر وأبو المعمر والسلفي وأبو سعد البغدادي وجماعة.

قال ابن عساكر: سمعت أبا الوقت يقول: كان أبو إسماعيل الهروي إذا رأى المؤتمن يقول: لا يمكن أحد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام هذا حيا.

وقال السلفي: حافظ متقن لم أر أحسن قراءة للحديث منه ، تفقه في صباه على الشيخ أبي إسحاق وكتب

---

(١) تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة طارق بن عبد الله حجار ص/٤٩٦

(٢) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٤٨١/٦

الشامل عن ابن الصباغ بخطه ثم خرج إلى الشام فأقام بالقدس زمانا انتفعت بصحبته ببغداد ونعي إلي وأنا بثغر سلماس.

وقال أبو النضر الفامي: أقام المؤتمن بهراة نحو عشر سنين وقرأ االكثير وكان فيه صلف نفس وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه.

وقال أبو بكر بن السمعاني: ما رأيت ببغداد من يفهم الحديث غير رجلين: المؤتمن وإسماعيل بن محمد التيمي. -[١٨٦]-

وقال يحيى بن منده: قدم المؤتمن أصبهان وسمع من والدي كتاب معرفة الصحابة وكتاب التوحيد والأمالي وحديث ابن عيينة لجدي فلما أخذ في قراءة غرائب شعبة بدأ في حديث عمر في لبس الحرير فلما انتهى إلى هذا الحديث **كان الوالد** في حال الانتقال إلى الآخرة وقضى نحبه عند انتهاء ذلك.

قال يحيى: وهذا ما رأينا وشاهدنا وعلمنا ، ثم قدم ابن طاهر سنة ست وخمس مئة وقرأ عليه أبو نصر اليونارتي جزءا من الحكايات فيه: سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون: إنما تمم الساجي كتاب معرفة الصحابة، عن أبي عمرو بعد موته وذلك أنه كان يقرأ عليه وهو في النزع ثم مات وهو يقرأ عليه فكان يصاح به: نريد أن نغسل الشيخ!.

قال يحيى: فلما سمعت ذلك قلت: ما جرى ذلك ، يجب أن يصلح هذا فإنه كذب وزور ، وكتب اليونارتي في الحال على حاشية النسخة صورة الواقعة وكان - والله - المؤتمن ورعا زاهدا صابرا على الفقر وكانت قراءته لمعرفة الصحابة قبل موت الوالد بشهرين.

وقال ابن ناصر: سألته عن مولده فقال: في صفر سنة ٤٤٥ وتوفي في صفر سنة سبع وخمس مئة وكان فهما عالما ثقة مأمونا.." (١)

"١١ - ترصد أولي الأمر لمحمي العرب

وشى بعض الجواسيس الأراذل إلى أولي الأمر بأن مزاحم أفندي الباجه جي أساء التكلم عن الحكومة في مجلس آل الخوجه الكرام وكان الحاضرون من أفاضل رجال الجيش وبعض الصحافيين فلما تتبع أصحاب الحل والعقد حقيقة الخبر وجدوه ماء سراب لا غير (منها)

١٢ - برنامج جمعية الإصلاح البصرية

في البصرة جمعية إصلاح رأسها السيد طالب بك الرافعي من آل النقيب. وقد نشر الدستور في عدده ٦٨٥

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ١٨٤/٨

الخطة التي يجري عليها للبلوغ إلى المقصد التي تتوخاه هذه اللجنة وقد بلغت موادها ٢٨ ومادتها الأولى (أن يكون وطننا العزيز منسكا عثمانيا خاصا تحت راية الهلال). ويقال في موطن آخر إن هذه الجمعية هي فرع لجمعية أخرى أكبر منها كما لها فروع في ديار مختلفة وكلها ترمي إلى الإصلاح. ولا نعلم إذا كانت تثبت ثباتا راسخا في مطالبها أو ترجع عن قصدها بعد أيام قليلة.

١٣ – ابن السعود والدولة الع‍ثمانية

كتب الفاضل إبراهيم العبد العزيز الدامغ مقالة في الدستور ذكر فيها ما جرى له من الحديث مع الأمير عبد العزيز السعود نقتطف منها ما يأتي. قال الأمير: (إن الدولة العلية حفظها الله غصبت آبائي هذا اللواء بدون أمر مشروع بحجة دعوة عبد الله السعود شقيق والدي ومن بعد أن أخذته لم تحسن إليهم صنعا. **وكان والدي** يومئذ ولي العهد بعد والده على إمارة نجد التي يدخل فيها هذا اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله ولما أشتد الخصام بين سعود وعبد الله آل السعود على الإمارة أرسل الأخير مندوبا إلى بغداد لمفاوضة واليها في مسألته مع أشقائه وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته لإخماد نار الفتنة المتأججة؛ غير أن الدولة وجدت أن قد آن زمن الاحتلال فوضعت يدها من ذلك الوقت على الاحساء وأبعدت أمراءها عنها مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته. وليت الدولة احتلت ما يداني الاحساء من البلاد كعمان وغيرها التي تركتها هملا ومكنت الدول الأجنبية من أن تقذف فيها نار الفتن لتحصل على ما تنويه.

ومنذ ذاك الوقت أخذ سكان هذا اللواء بالسقوط والهوى لتغلب قطاع الطرق عليه لكثرتهم هناك وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم إلى مقام الولاية ويذكرون له عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن فما كان يسمع صدى لأصواتهم المتكررة فراجعوني مرارا فأضربت عنهم صفحا إذعانا لدولتي وإن كان يسوءني نظري إياهم في تلك الحالة لأن مجتمع الإنسان كالجسد إذا أصيب عضو منها بآفة انتقل الألم إلى الجسد كله. ثم جاءتني محاضر (مضابط) فيها تواقيع كثير من." [١]

"كاتبا وخطيبا مشهورا، كما كان صحفيا معدودا في زمنه، ونقيبا للمحامين بمصر، وسياسيا معروفا، وشاعرا أديبا، وكانت والدتي السيدة أمينة نجيب أديبة مطلعة شاعرة وكان خالي مصطفى بك نجيب شاعرا وكاتبا قديرا من أقران البارودي وإسماعيل صبري، ويشهد بمنزلته شوقي بك وخليل بك مطران وحافظ بك إبراهيم وتيمور باشا وغيرهم من كبار معاصريه، كما شهد أيضا صديقاه مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك. وكما تشهد آثار يراعته رغم الكثير المفقود من نفحات أدبه فإلى هؤلاء أدين بتكويني الأدبي أولا، وإن

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٢٧٣/٣

دنت بعد ذلك للبيئات الأدبية التي امتزجت بها بكثير من الفضل علي.

س – وما هذه البيئات الأدبية التي انتفعتم بها وتشيرون إليها؟

ج – هذه أولا البيئة الصحفية التي كنت أجوس خلالها في طفولتي الأدبية، فكان لها أثر عظيم في نفسي لعله كان سابقا لأوانه فقد **كان والدي** يصدر صحيفة (الظاهر) اليومية المشهورة في عهدها وصحيفة (الإمام) الأسبوعية الأدبية وسواهما كما كان ينشر نخبة من

كتب الأدب القديمة (كثمار القلوب) للثعالبي وغيره فهيأ لي ذلك أسباب الاتصال بمشهوري الكتاب والشعراء سواء في دار عمله (حيث ترى الآن إدارة مجلتي (الزهراء) و (الفتح) أو خارجها. وأذكر بين محرري صحفه الأستاذ محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي والأستاذ أحمد رفعت والأستاذ محمد حسين كما أذكر بين نوابغ الشعراء شوقي بك والأستاذ أحمد محرم وخليل بك مطران على الأخص، ولمطران في نفسي منزلة وأثر عظيم طول هذا الزمن (٢٢ سنة) لم يزعزعه حادث ولا اغتراب ولا نضج ذهني وشاعريتي.

وثانيا البيئة الأدبية الإنكليزية التي عشت فيها عشر سنوات وكنت أحرر وأراسل في غضونها طائفة من الصحف الإنكليزية بين يومية وأسبوعية فيما يخص المسائل المصرية وشؤون الأدب العربي فضلا عن مراسلة الصحف المصرية (كالمؤيد) و (العلم) و (الشعب) و (الأهالي) وغيرها.

وثالثا البيئة العلمية الطبية التي وسعت مجال تأملاتي وأبحاثي وتعمقي الفكري.." [١]

"ثم أطلقوني وقد مرضت وأشرفت على الهلاك وكنت اقضي أيامي في أحد المساجد ثم تعرفت بصاحب (قهوة) وكان مسلما من الأخيار الطيبين فكنت اغني نهارا في قهوته، وانفخ بالناي، فكان يطعمني. ولما عاد إلي نشاطي وصحتي تركت بيروت وما فيها من ظلم وعسف وجور، وأتيت إلى الشام ثم سافرت إلى بغداد ومنها إلى طهران.

بلي قربان! خيلى اذيت كشيده أم – لقد عانيت الاذى، ولهذا السبب خشيت أن أقص عليك حديثي، وانقطعت عنك وقد سألت عنك فعرفت إنك من الأخيار وألان أقص عليك حديثي وأكلمك عن السبب الذي دفعني إلى أن أكون درويشا:

حياة (أبو) القاسم بي بروا

وكانت الساعة الثالثة من الليل، فجيء بأكواب الشاي فشرب الدرويش ثلاثة اكواب، ومسك قدومه بيده

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٦/٢١٩

ووضعها بجانب الكشكول، واخرج من جيبه مشطا من خشب الأبنوس واخذ يمشط لحيته الطويلة الصفراء، ويرجل جعد ذوائبه الطويلة ثم نظر إلي نظرة طويلة وقال:

أي جوان! أي نور ريدة من! بنجاه سال دارم ازفلك بي رحم خيلي ستم ديدم بدرم درشيراز كارباس فروش بود - أي أيها الفتى يا نور عيني عمري خمسون سنة؛ وقد شاهدت ظلما من هذا الفلك الظالم. أبي كان في شيراز (بزازا) وقد قرأت في صباي القرآن وقرأت على (الاخند) أي (الملا) النحو والصرف والمنطق وقرأت الفقه، وحفظت كثيرا من كلستان سعدي الشيرازي وديوان حافظ الشيرازي.

بلي قربان! خيلي حفظ داشتم! كنون يك كمي ميدانم از مبتدا وخبر ونواصب وقضية صغرى وكبرى ببر سيد الحمد لله شما از أهل عرفان هستيد. أي كنت احفظ كثيرا وألان أيضا أعرف قليلا. سلني عن المبتدأ والخبر والنواصب وقضايا المنطق في الصغرى والكبرى. الحمد لله أنت من أهل العرفان.

وكان والدي يحبني ويعزني كثيرا، لأني كنت ولده البكر وكان يهتم بي ويعتني بتربيتي أكثر من أخي الصغير. ولما بلغت الخامسة عشرة أخذني والدي." [١]

"فإننا لم نر ضبط هذا العلم في الكتب التي في أيدينا، حتى في كتاب المؤلف نفسه؟

ج - (اختلف في ضبط لفظ خلكان ووجه شهرته بابن خلكان فنقل عبد القادر العيدروس في النور السافر في أخبار القرن العاشر عن قطب الدين المكي إنه قال أن لفظ خلكان ضبط على صورة الفعلين (خل) أمر من (خلى) أي ترك و (كان) ناقصة وسبب تسميته بذلك إنه كان كثيرا يقول: **كان والدي** كذا. **كان والدي** كذا، فقيل: (خل كان) ورأيت من ضبط بسكون اللام الباقي على حاله) انتهى من التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة عبد الحي اللكنوي طبعة مطبعة السعادة بمصر ص ١٢.

الهيطلية أم الحيطلية

س - بغداد - ب. م. م: قرأت في مجلة القربان التي تصدر في جلب في سنتها ٣ في ص ١٧٥ ما هذا نصه: (الحيطلية هي مرطب شهي يطبخ من النشاء والحليب ثم يقطع أجزاء تلقى في الدبس المذوب المبرد أو الماء المسكر ويدلك اصلها السرياني وهو (حيا) ومعناها الحياة و (طليا) ومعناها الأطفال أي طعام الأطفال على إنها (كذا) مرطب سائغ يبرد الفؤاد ويؤكل هنيئا مريئا في الصيف وقد أولع به الأطفال لخفته وحلاوة مذاقه. . .) فهل قوله الحيطلية صحيح؟

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٢٤٩/٦

ج – المشهور في فلسطين الهيطلية بالهاء والصحيح بالحاء كما جاء في القربان وقد ذكرها دوزي في ملحقه بالمعاجم العربية نقلا عن كتابين فليراجعا.

باب التقريظ

(٧٥ – معجم المطبوعات العربية والمعربة – الجزء الثاني)

ذكرنا هذا الكتاب سابقا (٦: ٣٠١ إلى ٣٠٣) وصل ألينا الجزء الثاني منه وصفحاته تمتد من ١٨٥ إلى ٣٧٦يبتدئ باسم كتاب التنوير في إسقاط التدبير إلى شرح منظومة الدردير لأحمد بن حامد الصاوي. وذكرنا أن طبع هذا السفر الجليل وترتيبه وتبويبه من أحسن ما يتمناه المطالع وقد وجدنا فيه فوائد ونفائس لا يمكن القارئ أن يجدها مجموعة مدونة في تصنيف واحد كما ترى فيه. فنحن نقضي أن يطيل اللہ عمر مؤلفه ليأتي عليه إلى آخره.." [١]

"والكتب العربية لا تعرف اصطلاحا آخر.

ومما قاله الأديب (ص ٢٧٧) ما يلي: (فحمد (نظمي) الله على الرجوع مع أمه ولم يكن معهما أحد وكان هاجر عنه (هاجر من وطنه بغداد) بزي درويش ناسك ومن ثم صار له من الأهل والعيال والأولاد. . .) أهـ، ثم نقد كلام هوا بما قوله (ص ٢٧٨): (وحين عودته (عودة نظمي) إلى بغداد لم يكن معه أولاد أو أحفاد نظرا للصراحة بذلك من انه رجع مع والدته فحسب وبهذا انتفى ما في تاريخ كليمان هوار.) أهـ.

قلت أن الذي عندي أن هوار كان مصيبا وقد قال كلشن خلفا (الورقة ٨٠ وما يليها) في أخبار حسن باشا لولايته الثانية على بغداد (من سنة ١٠٥٢ إلى سنة ١٠٥٤ أي من ١٦٤٢ إلى ١٦٤٤) ما نصه:

(بدر مرحوم دخى تك وتنها ترك يار وديار محروسهء رهاده قرار ايتمش ايكن بو أيام خير انجامده – الحمد لله الملك الجواد – أولاد وأحفاد وفي الجملة برك وبار ونطام معتاد كيرو عودت بغداد ايدوب شاكر أو لمشدر) أهـ وهذا مضمون كلامه: (إذ كان والدي أيضا قد ترك الأصدقاء وغادر الديار وحيدا منفردا فأقام في الرها فانه هي هذه الأيام المنتهية بخير عاد راجعا إلى بغداد ومعه أولاد وحفدة. . .) أهـ. فلم ينتف أذن كلام هوار بشأن

رجوع نظمي مع أولاد وحفدة، وإذ قد أنبأنا العزاوي بان نسخة كلشن شعرا التي عنده." [٢]

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٧٠٢/٦

(٢) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٢٧٦/٩

"يلخص من ذلك أن مؤلف كتاب (الميل) في مجموعتي مشتهر بابن ماجد النجدي ومؤلف الكتاب المنشور مشتهر بعين الشهرة. ولكن اسم الأول محمد بن ماجد ين عمر بن فضل. واسم الثاني احمد بن محمد بن عمر بن فضل. فيظهر من ذلك أن ذلك مؤلف كتاب (الميل) هو أبو مؤلف الأراجيز وغيرها في الكتاب المنشور. يتقى هناك اختلاف طفيف بين (عمر) و (عمرو) ولا بد من أنه عمر وخالفهما المجلد الأول. واختلاف طفيف آخر بين (. . . ابن فضل بن يوسف بن دويك) وبين (. . . ابن فضل بن دويك بن يوسف). وهذا تقديم وتأخير في النسب. أما الاختلاف بين (بركات) و (ركاب) و (ركائب) فلابد من أنه من النساخ لتقارب رسم الأحرف.

وفي نعت احمد بن ماجد بأسد البحر الزخار ثم نعته في محل آخر بخلف الليوث دليل على أن احمد الماهر في الملاحة سليل ملاحين ماهرين ميله.

ولم يفت ذلك غبريال فران. فقد أشار إليه في ج٣ ص ٢٢١ من كتابه المار الذكر.

وهذه بعض العبارات الواردة في كتاب احمد بن ماجد النجدي المنشور الدالة على أن أباه وجده أيضا كانا معلمين واشتغلا في الفنون البحرية. وفيها يصرح احمد أن أباه نظم وألف فيها:

في وجه الورقة ال ٧٨ عند كلامه على بحر القلزم يقول: (وقد كان جدي عليه الرحمة

محقق فيه ومدقق ولم يفر لأحد فيه وزاد عليه الوالد وحمة الله عليه بالتجريب والتكرار وفاق علمه علم أبيه).

وفي ظهر الورقة عينها يقول: (**وكان الوالد** عليه الرحمة يسمونه الربابين." [١]

"ربان البرين ونظم الأرجوزة المشهورة الحجازية فوق ألف بيت ومع ذلك كله قد أصلحنا له منها ما رأينا فيه الخلل ورتبنا ما لم يكن فيها).

وفي ظهر الورقة ال ٨٦: (وقد ذكرنا في الأرجوزة السبعية جميع القياسات التي يليق بهذا البر المجودة ولم نترك شيئا. والوالد عليه الرحمة والغفران، ذكرها بحسن (كذا) طرق الباحة، وبر العجم، وبر العرب، والأوساط بين الجزر، ولم يدع شعب ولا جزيرة إلا وذكره. ومع كل ذلك ختم أرجوزته وقال فيها في شعره من الأرجوزة شعرا:

وقد فرغ القرطاس والمداد ... وما بلغت من العشر أعداد

وفي وجه الورقة ال ٨٧: (. . . وبعدهم المرما وظهرته. فظهرته. **كان والدي** يربط فيها فأنها مكوز وهي رأس الخريق. لم يكن شاميها شيء. فسموها اكثر أهل ذلك الزمان ظهرة ماجد).

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٩/٤٠٣

وهاك الآن نموذجا من كتاب (الميل) لمحمد بن ماجد النجدي كما جاء في صفحته الأولى في مجموعتي:

الحمل الأولالثور الأولالجوزة الأول

روز درجات دقايق روز درجات دقايق روز درجات دقايق

٠١ ٠٠ ٢٤ ٠١ ١٢ ٠١ ٠١ ٢٠ ٣٠

٠٢ ٠٠ ٤٧ ٠٢ ١٢ ٢١ ٠٢ ٢٠ ٤٢

٠٣ ٠١ ١١ ٠٣ ١٢ ٤١ ٠٣ ٢٠ ٥٣

٠٤ ٠١ ٣٥ ٠٤ ١٣ ٠١ ٠٤ ٢١ ٠٤

٠٥ ٠١ ٥٨ ٠٥ ١٣ ٢٠ ٠٥ ٢١ ١٤

٠٦ ٠٢ ٢٢ ٠٦ ١٣ ٣٩ ٠٦ ٢١ ٢٥

٠٧ ٠٢ ٤٥ ٠٧ ١٣ ٥٨ ٠٧ ٢١ ٣٤

٠٨ ٠٣ ٠٩ ٠٨ ١٤ ١٦ ٠٨ ٢١ ٤٤

٠٩ ٠٣ ٣٢ ٠٩ ١٤ ٣٦ ٠٩ ٢١ ٥٣

١٠ ٠٣ ٥٦ ١٠ ١٤ ٥٥ ١٠ ٢٢ ٠٢." (١)

"وثانيهما تقليدي عن أصحابه ورفقائه.

فالوراثي هو ما يتلقاه من الوالدين اللذين اعتادا النزوع عن الفضيلة وعمدا إلى ارتكاب كل ما تأباه النفوس الطاهرة، فلا تعجب إذا رأيت الطفل يشب على أخلاق والده. فإذا **كان الوالد** سارقا لقن ولده منذ نعومة أظفاره قواعد السرقة وشروطها. ويا له من درس مميت حياة الطفل الأدبية: وإن كان مدمن خمر علمه – على غير علم منه – طريق الحانة وارتياد محلات السكر وأوحى إليه فلسفة احتساء الكؤوس. وقد يطبق له العلم بالعمل فيمد له يده تحمل سما زعافا ويتناول الولد الكأس بإخلاص من يد أبيه ويتجرعها واثقا بالمحبة الأبوية التي تريد الخير لأبنائها. ولا تسل يا صاح عما يصيب هذا الابن المسكين في مستقبل الأيام من الشقاء والحياة التعيسة التي أسست أركانها اليد الأبوية الأثيمة بل لا تسل عن تقهقر بلاد يربى أطفالها على هذا النمط.

أعرف سكيرا هشمه الدهر بنابه وأناخ عليه بكلكله حتى أنفق كل ما لديه من مال وعقار فيما هو عليه

---

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٩/٤٠٤

من العادات التي لا تسمن ولا تغني من جوع وأصبح يلتحف السماء ويفترش الغبراء. وإذا بزغت شمس الصباح جال على بيوت أهل المدينة قارعا بابا بعد آخر متوسلا. فإذا أتاح الله له شيئا من القوت وبعضا من الدراهم رجع إلى الخامورجي وأعطاه ما لديه من النقود في طلب كأس خمر يروي بها ظمأه الذي لا يروى. ثم يرجع إلى كوخه خارج المدينة فيجد زوجته البائسة التي كثيرا ما يغمى عليها من كثرة البكاء والنحيب على ما حل بها وبه من البؤس والشقاء.." (١)

"ووعدنا حينئذ بتمثيل رسمه على إحدى صفحات الزهور لنجمع بين صورتيه المعنوية والشخصية. ولقد سرنا أن فريقا كبيرا من الأدباء أعجب بشعر هذا الشاعر المجيد، وهو ما توقعناه من قبل، فكتب إلينا يسألنا عنه، ويلح علينا بنشر ترجمته إلى جانب رسمه، فخاطبناه في ذلك فبعث إلينا حضرته بالكلمة التالية فلم نر خيرا من نشرها كما هي. قال:

طلبت إلي كلمة تعرفني إلى القراء. فإن أردت تلك الكلمة عن منتماي فهو إلى الشيخ بدر الدين الذي كانت بينه وبين الأمراء المعنيين صلة قربة. وهذا الجد الأعلى رزقه الله عده أبناء منهم ناصر الدين الذي نسبت إليه أسرتنا. كان بدر الدين يقطن عين داره وتوفاه الله فيها وبها قبره إلى الآن. ثم طرأت بعد موته حوادث صدعت شمل أبنائه فانتحى كل منهم ناحية. وكان إن اتخذ ناصر الدين كفر متى وطنا له.

وإن أردتها عن مولدي فقد كان في شهر محرم الحرام من سنة ١٢٩٧ هجرية. فعمري الآن اثنتان وثلاثون سنة. وأشهر حوادث حداثتي أني كنت أقول أبياتا من الشعر قبل أن تعلمت القراءة والخط فكان والدي يكتبها لي، ويصحح لغتها دون وزنها. ومرة بعثت إلى المرحوم الخليل خليل اليازجي، وكان مصطافا في عبيه، ببيتين من شعري الصبياني فسر بهما كثيرا وأجابني عليهما بهذه الأبيات:

أنت الصغير الكبير النفس منتسبا ... بها لأسلافك الشم العرانين." (٢)

"كانوا لينالوها لو نجحت الثورة وتخفصت الجزائر من فرنسا، ومن ذلك الحين غابت طبقة من أصحاب البيوتات والمجد التليد، وأنشأت فرنسا طبقة أخرى من هؤلاء المتقربين إليها، صنعتها بيدها وعلى عينها، فكانوا هم وذريتهم نكبة على الجزائر إلى يومنا هذا، ويسميهم الاستعمار الفرنسي (العائلات الكبيرة). ثورة المقراني هي آخر الثورات الجماعية بالجزائر وقد شهدها جدي ووالدي، وعمره سبع عشرة سنة حاملين للسلاح، واستشهد فيها جماعة من قبيلتنا، وكان المقراني- رحمه الله- يعتمد على قبيلتنا لمكان الجوار

(١) مجلة «الزهور» المصرية، أنطون الجميل ٢/ ٢٩

(٢) مجلة «الزهور» المصرية، أنطون الجميل ٢/ ٤٢٠

والعصبية، وعلى جدي لمكانه في العلم والكلمة النافذة، **وكان والدي-** رحمه الله- يقص علي أخبار الوقائع التي شهدها هو وأبوه، فكنت أفهم إذ ذاك أن الثورة ينقصها التدبير المحكم، وأن في بواعثها عنصرين ضعيفين جدا لا يحسن الاعتماد عليهما في الثورات، الأول أن مدبريها اغتنموا فرصة اشتباك فرنسا مع بروسيا في حرب السبعين فاعتمدوا على هذا وحده من غير أن يقرأوا حسابا للاستعداد الداخلي العام بقسميه النفسي والمادي، وهذا نوع من الاغترار يقبح بمدبري الثورات، والاعتماد على انهماك العدو في حرب غير موفق دائما، لأنه إنما ينجح ما دام الشاغل موجودا والاشتباك قائما، أما على الاحتمالين الآخرين، وهما انتصاره العاجل أو انهزامه السريع، فلا ينفع اعتبارهما في التدبير، لأن العدو إذا انتصر على من هو أقوى من الثائرين عليه، فإن نخوة النصر وفراغ الجند يعينانه على قمع الثورة، وإذا انكسر أمام العدو القوي فإنه يأنف أن يجتمع عليه انكساران في آن واحد، فيجمع فلوله ويتصدى بهم لقمع الثورة، وهذا هو ما وقع من فرنسا في قمع ثورة المقراني، فإن استراحتها من الحرب البروسية ولو كانت مغلوبة، هيأ لها أن تجمع قوتها وفلول جيشها المنهزم وتنقلهم إلى الجزائر لتحطيم الثورة القائمة بها.

والحاج أحمد المقراني رجل شجاع مؤمن، ولكنه كرجال عصره متوسط الشخصية تنقصه الحنكة والبصيرة، وفت في عضده شيء آخر وهو تخاذل بعض شركائه في تدبير الثورة، وقيام بعض الوجهاء ذوي النفوذ بثورة لا صلة لها بثورته في رأي ولا تدبير ولا قيادة، فكانت هذه المنافسة مفسدة لنيات كثير من الناس، على أن بعض القبائل لم تشارك في الثورة تربصا وانتظارا، وبعضها- وهي قليلة- تعاونت مع فرنسا، فهذه العوامل مجتمعة أدت إلى فشل ثورة المقراني.

ولم تقع بعد ثورة المقراني ثورة ذات بال، وإنما وقعت انتفاضات محلية مرتجلة من بعض الرؤساء وقبائلهم المحدودة العدد، ولم تكلف فرنسا في القضاء عليها إلا أسابيع أو أشهرا.

يصح أن نقسم حالة الجزائريين مع الاستعمار الفرنسي بحسب تأثيره فيهم وتأثرهم به، إلى ثلاث مراحل، تبتدئ المرحلة الأولى منها من سنة ١٨٣٠، وتنتهي سنة ١٨٧١ ومدتها." (١)

" علي بن أحمد بن عبد الله الإسكندراني الحاسب كان يتعانى علم الميقات فبرع في معرفة حل الزيج وكتابة التقاويم وأقبل على الكيميا فأفنى عمره في أعمالها ما بين تصعيد وتقطير وغير ذلك ولم يصعد معه شيء مات في آخر السنة عن نحو خمسين سنة

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي ١٢١/٥

علي بن أيبك بن عبد الله التقصباوي الدمشقي علاء الدين الأديب ولد سنة ثمان وعشرين وتعانى الأدب فقال الشعر الفائق ولكنه بالنسبة إلى طبقة من فوقه متوسط وهو القائل :

في حلب الشهباء ظبي سطا ... بحاجب أفتك من طرفه

لقوسه في جوشي أسهم ... والقصد عسر النيل من ردفه

أجاز لي ومات في سنة إحدى وثمانمائة

علي بن عبد الرحمن الدماصي الكاتب المجود جاور بمكة كثيرا وكتب الناس وكان يشهد ببعض الحوانيت ظاهر القاهرة

علي بن عبد العزيز بن أحمد الخروبي تقي الدين بن عز الدين بن صلاح الدين من أعيان التجار بمصر حج مرارا وكان ذا مروءة وخير عفيفا عن الفواحش دينا متصونا أوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم الشريف المكي فعمر بها بعد الاحتراق **وكان والدي** قد تزوج أخته التي ماتت قبله وكان عمي زوج عمته وعمه زوج عمتي فكانت بيننا مودة أكيدة وكان بي برا محسنا شفوقا جزاه الله خيرا ؛ مات في رجب وقد أكمل الستين

علي بن محمد بن علي بن عرب علاء الدين سبط القاضي كمال الدين التركماني ناب في الحكم ببعض البلاد وولي قضاء العسكر مات في صفر

علي بن محمود بن أبي بكر بن إسحاق بن أبي بكر بن سعد الله بن جماعة الكناني علاء الدين الحموي ابن القباني اشتغل بحماة ثم قدم دمشق في حدود الثمانين وولي إعادة البادرائية ثم تدريسها عوضا عن شرف الدين الشريشي وكان ربما خطب وأم بالجامع الأموي وكان يفتي ويدرس ويحسن المعاشرة وكان طويلا بعيد ما بين المنكبين حج مرارا وجاور وكان قليل الشر كثير البشر مات في ذي القعدة ؛ وقد شارك علاء الدين ابن المغلي قاضي حماة في أسمه وأسم أبيه وجده ونسبته حمويا وسمع صاحب الترجمة مع الشيخ برهان المحدث بحلب وبدمشق سنة ثمانين وليس هو ابن مغلي فليعلم لأنه لا يتميز في ثبت الشيخ برهان الدين

عيسى بن عبد الله المهجمي المعروف بابن الهليس كان من أعيان التجار ولاه الأشرف نظر عدن وجاور بمكة مدة سنسن ؛ مات في رجب

محمد بن أحمد بن أبيالفتح بن إدريس الدمشقي شمس الدين ابن السراج أخو المحدث عماد الدين سمع من الحجار الصحيح ومن محمد بن حازم والمزي والبرزالي والجزري وغيرهم ؛ مات في رجب وقد قارب الثمانين

محمد بن أحمد بن محمد المصري السعودي شمس الدين يعرف بابن شيخ السنيين برع في مذهب الحنفية ودرس وأفتى وناب في الحكم وأحسن في إيراد مواعيده بجامع الحاكم وكتب الخط الحسن وخرج الأربعين النووية وجمع مجاميع مفيدة ؛ مات في سلخ صفر وهو في الأربعين وتأسف الناس عليه

محمد بن أحمد بن محمد الطوخي

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفي ولد شيخنا القاضي مجد الدين مات قبل أبيه بشهرين وكان قد اشتغل ومهر

محمد بن حسب الله جمال الدين الزعيم التاجر المكي مات في ثالث جمادى الأولى وكان واسع المال جدا معروفا بالمعاملات وضبط من ماله بعده أكثر من عشرين ألف دينار سوى ما أخفى

محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي أبو السعود سمع من العز ابن جماعة واشتغل بالفقه والفرائض ومهر فيها وناب في الحكم عن صهره القاضي شهاب الدين وهو والد أبي البركات الذي ولي الحكم في زماننا مات في صفر عن نيف وستين سنة وكان مولده سنة خمس وأربعين

محمد بن عبد الله بن بكتمر ناصر الدين ابن جمال الدين بن الحاجب تقدم في ولاية صهره بطا الدويدار مات في ربيع الأول

محمد بن عبد الله بن نشابة الأشعري الحرضي ثم العريشي نسبة إلى قرية يقال لها عريش من عمل حرض وحرض آخر بلاد اليمن من جهة الحجاز وبينها وبين حلي مفازة وكان محمد المذكور فقهيا شافعيا ذكره ابن الأهدل في ذيل تاريخ الجندي وقيد وفاته فيها أو في التي بعدها قال خلفه ولده عبد الرحمن : وكان مولده سنة أربع وسبعين وتفقه بأبيه وبأحمد مفتي مور وذكر أنه اجتمع به بعد الثلاثين بأبيات حسين وهو مفتي بلده ومدرسها وينوب في الحكم فيها ." (١)

"وما كان _أيضا_ ليدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الذي أبدى فيه وأعاد في كثير من مؤلفاته.

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٤٤

ولكنه × رأى أن المصلحة والحكمة تقتضيان بأن يتعامل مع ذلك الموقف بتلك الصورة التي أدت الغرض، وكان سببا في إقلاع ذلك الرجل عن التدخين.

٦ــ وهذا موقف يبين حب الشيخ للناس، وحرصه على نفعهم:

يقول ابنه محمد: =في يوم من الأيام كان الوالد × يتناول طعام العشاء مع أخي أحمد × فطرق الباب طارق من غير أهل البلد يريد الوالد الشيخ، ففتح له الأخ أحمد، وقال: الشيخ يكون موجودا بعد قليل، وكان قصد أخي أحمد أن يكمل الوالد طعامه؛ فانصرف الطارق، ورجع الأخ أحمد، وأكمل عشاءه؛ فسأله الوالد: من كان عند الباب؟

فقال الأخ: رجل يسأل عنك، فصرفته، وقلت له: ارجع بعد قليل.

فتكدر الوالد، وعاتب أحمد وقال له: يا وليدي: إن قيامي، وإجابتي السائل أحب إلي من جلستي على العشاء، ثم قام × دون أن يكمل عشاءه، وقال لأخي أحمد: لا تعد لمثل هذا ــ أصلحك الله ــ+.

٧ــ وهذا موقف يبين حلم الشيخ، وسعة صدره، ورحمته بالصغار، وبعده عن التعنيف عليهم:

يقول ابنه محمد: =كانت الوالدة ــ رحمها الله ــ قادمة من الحج، وفي ذلك اليوم كان عند الوالد في المنزل ابن صغير لأخي أحمد عمره ثلاث سنوات ، وإذا جاء الليل أرسلوه إلى أمه.

وفي الليلة الأولى لوصول الوالدة من الحج لعب الولد الصغير بساعة الوالد التي تنبهه للقيام في آخر الليل؛ فنام الوالد والساعة مقفلة، فلم يقم تلك الليلة، ولم يصل الفجر بالجماعة.

ولما صلى عصر ذلك اليوم بالجماعة ــ وكانوا كثيرين في ذلك الوقت؛ لقرب المسجد من السوق ــ شرع عبدالعزيز بن محمد البسام ــ أحد طلبة الوالد ــ يقرأ كالعادة، والوالد الشيخ يشرح.." [1]

"فقال الوالد: بيتنا أقرب من بيتكم، تفضل معنا.

ولما دخل منزل الوالد قام الوالد بإشعال النار، وإصلاح القهوة والشاي، ثم شرع في الأحاديث الودية، ثم قال له الوالد: كثير من الناس يتكلمون، ويقولون: إنك لا تحافظ على صلاة الجماعة، وإنه يحصل منك تعديات، وأنا لم أصدق هذا الكلام؛ لأنك من أسرة كريمة معروفة.

ولكن يا ولدي تعرف الناس؛ فهم يتعرضون لكل أحد، ولو كان بريئا.

ولو أخطأ غيره لربما رموه بذلك الخطأ؛ فالأولى بك يا ولدي أن تترفع عن كل ما يقال في حقك، وأن تتجنب كل سبب يفضي بك إلى اللوم.

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٠١

فما كان من ذلك الرجل إلا أن اقتنع بكلام الشيخ، وتراجع عما كان يقوم به من ظلم وتعد، وصار يحافظ على الصلاة خصوصا صلاة الفجر، ولم يعد يتعرض للناس بعد ذلك، وكان يقول: لقد أثر كلام الشيخ في ولله الحمد+.

٩ــ وهذا موقف يتجلى به حكمة الشيخ في تغيير بعض العادات الشائعة؛ حيث كان من عادة الناس في نجد في وقت الشيخ أن الرجل إذا تزوج مكث في منزل والده؛ لأنهم يرون أن خروجه من المنزل عقوق، وأنه أمر لا يليق، لكن الشيخ × سعى إلى تغيير ذلك المفهوم عمليا، وذلك من خلال الموقف الآتي.

يقول محمد بن الشيخ عبدالرحمن السعدي: =تزوج الأخ عبدالله الابن الأكبر للشيخ عبدالرحمن في عنيزة، وكان من عادة أهل نجد أن من تزوج لم يخرج من بيت والده، وكنا ــ نحن أبناء الشيخ ــ نسكن والوالد في بيت واحد.

ولما رزق الأخ عبدالله بأولاد طلب منه الوالد أن يسكن في بيت مستقل هو وأولاده.

وكان الوالد يهدف من وراء ذلك إلى أن يأخذ أخي عبدالله راحته أكثر.

لكن الأخ عبدالله عارض هذا الاقتراح في أول الأمر، وقال: أنا يا والدي مرتاح في السكن معكم، وأخشى أن يتحدث الناس عني، ويظنوا ذلك عقوقا مني، أو يحسبوا أن بيني وبينك سوء تفاهم، وهذا ما لا أرضاه.." (١)

"فقال له الوالد: لا تهتم، دع هذا الأمر لي؛ فإذا كان هناك مناسبة أبلغت الناس بأن على الوالد إذا تزوج أولاده وهو مقتدر فعليه أن يأذن لهم في السكن في بيوت مستقلة.

وهكذا خرج الأخ عبدالله في بيت مستقل، ولم يتكلم الناس، بل صارت هذه الحادثة محل القدوة عند الناس، وأدركوا أن خروج الولد إذا تزوج عن منزل والده لا يعني شيئا، وعلموا أن ذلك أفضل للمتزوج، بل ربما يكون أفضل للوالد ــ أيضا ــ+.

١٠ــ وهذا موقف يدل على روية الشيخ، وتركه الاستعجال في الإنكار للأشياء الجديدة؛ حتى يتبين حقيقتها:

يقول ابنه محمد: =في يوم من الأيام كانت عندي دائرة قهوة ــ والدائرة تعني دوران الاستضافة على الشاي والقهوة بين مجموعة من الأصدقاء، بحيث تكون كل يوم أو كل أسبوع عند أحدهم في وقت معين إما في الضحى أو المغرب أو غير ذلك ــ.

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٠٣

يقول: **وكان الوالد** يفرح إذا جاء أحد عندي، وفي يوم من الأيام دخل عرينا الوالد، وجلس يشرب القهوة، وكان من ضمن الحاضرين سليمان بن صالح العليان × فسأل سليمان الوالد، وقال له: يا شيخ! الأمريكان يزعمون أنهم سيصعدون إلى القمر؟

فقال له الشيخ: ما المانع من ذلك، بإمكانهم أن يصعدوا بواسطة آلة ترفعهم أو أي سلطان آخر، ثم قرأ × قول الله ــ تعالى ــ: [يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان] الرحمن:٣٣.

وكان من ضمن الحاضرين عندي في ذلك اليوم عشرة أشخاص؛ فسمعوا كلام الوالد، وتعجبوا منه، بل إن بعضهم لم يستوعب السؤال والجواب؛ لأن هذا الكلام كان عام ١٣٦٠هـ تقريبا.." (١)

"وفي تلك الأيام اشتدت الأمور على الوالد؛ خوفا من إلزامه بالقضاء، وكان يقول: أهل عنيزة أصدقائي، فإذا أصبحت قاضيا صار نصفهم أصدقائي، والنصف الباقي أعدائي، وهذا لا يمكن أن يحدث ــ بإذن الله ــ وكأنه يستحضر بيت ابن الوردي الذي يقول فيه:

إن نصف الناس أعداء لمن ... ولي الأعمال هذا إن عدل

وكان الوالد لا يرغب أبدا في القضاء؛ تورعا؛ لأنه يرى أن القضاء صعب، وأنه ربما عاقه عما هو بصدده من التعليم والإصلاح، والتأليف.

واشتد عليه الأمر لما بلغه أن الملك عبدالعزيز × في عنيزة تلك الأيام، وأنه قال للأمير: =لقد رأينا تعيين الشيخ ابن سعدي قاضيا لكم يا أهل عنيزة+.

ولقد تكدر الوالد لذلك أشد التكدير؛ حتى كان يغمى عليه في بعض الأوقات، وكان لا يشتهي الطعام إذا مرت بخاطره تلك الأخبار.

كل ذلك مع أن الوالد لم يبلغ رسميا، بل هي مجرد أخبار.

وكان لدى الوالد أمل، وثقة بلطف الله، وأنه ــ عز وجل ــ سيصرف عنه ذلك الخطب.

وكان × يذهب في آخر الليل إلى المسجد الحرام هو وأبو عبود، ومحمد ابن منصور الزامل، والأخ عبدالله، فيصلون، ويطوفون حتى صلاة الفجر، وبعدها يجلسون في الحرم إلى أن ترتفع الشمس.

---

(١) تراجع لتسعة من العلماء، ص/٢٠٤

أما أنا فقد كنت شابا صغيرا أقوم وأصلي في المسجد القريب عند بيت أخي عبدالله، وبعد الصلاة أرجع وأنام؛ حتى يأتي الوالد ومن معه؛ فأقوم وأصحبهم إلى من استضافهم على الإفطار.." (١)

"وفي يوم من تلك الأيام نمت كالعادة بعد صلاة الفجر، فرأيت فيما يرى النائم رؤيا لم تغب عن بالي إلى يومنا هذا؛ حيث رأيت حية ضخمة كبيرة طويلة، رأيتها خارجة من جبل، ثم تعلقت، ولم تستطع التحرك من مكانها، وصار الناس ينظرون إليها من بعيد، وأخذوا يتكلمون في شأنها، وكانوا في شأنها على ثلاثة آراء: أناس يقولون: دعونا نشق الجبل، ونخرج الحية، وأناس قالوا: بل نرمي عليها حجارة من أعلى الجبل حتى تموت، وأناس قالوا: بل دعوها وشأنها سواء طلعت أو رجعت؛ فلا تحركوها، ولا تقربوا منها.

ثم استيقظت من النوم، والناس قد تركوا الحية على حالها.

ولقد كان الناس في عنيزة حيال شأن الوالد على ثلاثة آراء: أناس يتمنون أن يصرف الله القضاء عن الوالد، وأناس يتمنون أن يكون قاضيا للبلد، وأناس قالوا: ندع الخيار لله ـ وحده ـ ونسأله ـ عز وجل ـ الخيرة في أمرنا.

وبعد أن جاء الوالد ومن معه من الحرم خرجنا جميعا من بيت أخي عبدالله إلى بيت رجل من الجماعة استضافنا على الإفطار.

وكنت غير مكترث بالرؤيا، ولم ألق لها بالا، **وكان الوالد** ومحمد الزامل والأخ عبدالله يتقدمونني بمسافة عشرة أو خمسة عشر مترا؛ فكنت أسير خلفهم أنا وأبو عبود؛ فحدثت أبو عبود عن الرؤيا وهو منصت قد أخذه العجب، وبعدما فرغت من كلامي انطلق نحو الوالد، وهو ينادي: يا شيخ يا شيخ، فوقف الوالد، فقال أبو عبود: أما سمعت رؤيا ابنك محمد فقال الوالد: خير ـ إن شاء الله ـ فقصصت الرؤيا على الوالد، وهو منصت، والجماعة يسمعون كلامي، فلما انتهيت، قال الوالد: خير يكون، أو شر يهون، يا ولدي إن صدقت رؤياك فأنا ـ إن شاء الله ـ تخلصت من القضاء.." (٢)

"وفي السنة التي بايع فيها الوالد الملك سعودا × بالرياض هو والوفد الذين جاؤوا معه من وجهاء عنيزة ـ رجع الوفد إلى عنيزة، أما الوالد فوجدها فرصة لزيارة المنطقة الشرقية والسلام على العم سليمان؛ فسكن الوالد عندي في مدينة الخبر، وفي الصباح أذهب به إلى العم سليمان في مدينة الدمام.

وفي أثناء زيارته شاهد الخارطة التي عملتها، وقد كنت محتفظا بها؛ فأعجب الوالد بالخارطة؛ لكبرها،

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٠٦

(٢) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٠٧

ووضوحها، وكونها باللغة العربية.
وقال: يا وليدي هذه خارطة جميلة، ونريدها لمكتبة عنيزة؛ فأجبت طلبه، ووضعت في مكتبة عنيزة.
وفي إحدى السنوات حضر الوزير عبدالله بن سليمان إلى عنيزة، وزار المكتبة، ورأى الخارطة، وأعجب بها، وسأل عمن صنعها؛ فقال له الوالد: إنها من صنع الولد محمد، فطلبها الوزير، فأعطاه الوالد إياها، وكان بينه وبين الوزير محبة متبادلة؛ **فكان الوالد** يحب الوزير لفضله على عنيزة وعلى طلبة العلم خصوصا، والوزير كذلك كان يحب الوالد، ولا يرد له طلبا.
وكان للوالد اهتمام بالجغرافيا، وكان كثير الاطلاع على الخرائط الجغرافية.
وفي إحدى السنوات أحضرت له هدية، وهي عبارة عن مجسم للكرة الأرضية، وهذا المجسم يدار باليد حول محور فيه.
وكان × يكرر النظر في المجسم، ويحركها، ويسألني عنها، وأجيب عن أسئلته، وأشرح له بعض المصطلحات الجغرافية وهو منصت لي كالطالب بين يدي معلمه.
وكانت تلك الأيام أيام الحرب العالمية الثانية؛ فإذا سمع من بعض الناس أغلاطا رد عليهم خصوصا فيما يتعلق بالحدود الجغرافية، ومواقع الدول، ومساحاتها، والمتحاربة منها، وكيف أن الدولة الفلانية تحد الدولة الفلانية، وعن أي طريق يتم ذلك وهكذا، والناس يعجبون من كلام الشيخ، ومعرفته، وقدرته على الإقناع.
ومن سمعه ظن أنه متخصص في الجغرافيا من دقة معرفته فيها.." (١)
"والوالد × محب لهذا العلم، وذلك نابع من اهتمامه بأمور المسلمين، وعلم الجغرافيا يمده بالتصور التام لما هو بصدده.
والذي يتأمل في بعض كتبه يلحظ ذلك جليا.
بل كان × يصحح بعض المفهومات الخاطئة في هذا العلم+.
١٧ــ وهذا موقف يدل على اهتمام الشيخ بالأحداث العالمية.
يقول ابنه محمد: =في حياة الوالد × كان وجود المذياع ــ الراديو ــ نادرا؛ لأسباب عديدة، منها غلاء ثمنه، ولعدم وجود أماكن لبيعه، ولأن الناس لم يتقبلوه في بداية الأمر.
وفي ذلك الوقت كان في عنيزة راديو مشهور وهو موجود في بيت عبدالرحمن بن مقبل الذكير الذي يعد أول من أحضره لعنيزة.

---

(١) تراجع لتسعة من العلماء، ص/٢١١

وفي وقت الحرب العالمية الثانية كان الناس يتشوقون لسماع الأخبار، وخصوصا أخبار الحرب العالمية، وكان الوالد × من المتابعين لأحداثها.

وإذا خرجت مع الوالد من المسجد بعد صلاة العشاء مررنا في طريقنا ببيت عبدالرحمن الذكير، فيطلب الوالد مني الوقوف للاستماع إلى المذياع الموجود في بيت الذكير؛ حرصا على سماع الأخبار؛ لأن عبدالرحمن الذكير × يرفع صوت المذياع؛ ليسمعه الناس المجتمعون في مجلسه، والذين هم خارج المجلس+.

١٨ــ وهذا موقف يبين كيفية تعامل الشيخ × مع خصومه، ومعارضيه، وكيف كان يداريهم، ويحرص على تضييق هوة الخلاف.

يقول ابنه محمد ــ حفظه الله ــ: =كان في عنيزة رجل من أهل العلم، وكان يعارض أفكار الوالد، وينال منه في بعض المسائل العلمية، ويتكلم، ويسيء إليه في بعض المجالس، ويرد على أقواله واجتهاداته في مسائل عديدة.

ولما علم الوالد بذلك صار يبعثني إلى ذلك الشخص برسائل يخبره فيها أنه راغب في الاجتماع به، ومحب لاستماع وجهة نظره حيال المسائل التي يخالفه فيها، وأنه يود التفاهم معه بصورة ودية؛ حتى لا يحدث عند الناس بلبلة وفتنة.

وذكر له الوالد في معرض تلك الرسائل أنه إذا كان مخطئا فسوف يتراجع، وإذا كان الحق مع الوالد فيجب على الآخر ترك الوالد وشأنه.." [1]

"وكانت أغلب اعتراضات ذلك الرجل في مسائل فرعية يسوغ فيها الخلاف.

وكنت في ذلك الوقت صغير السن، وكان الوالد لا يرغب أن يعلم أحد بتلك الرسائل؛ بغية الإصلاح، ورغبة في عدم إشغال الناس بتلك الاعتراضات.

وبعد فترة عرفت القصة، وأدركت مضمون تلك الرسائل من بعض أصدقاء الوالد الذين كانوا يتناقشون بخصوص اعتراضات ذلك الرجل.

وقد طلب بعضهم من الوالد أن يلتقي ذلك الرجل في مجلس خاص، للمناظرة في تلك المسائل، فاستجاب الوالد، ولكن لم يتم اللقاء؛ حيث انتقل ذلك الرجل إلى بلد آخر+.

هذا وإن لهذه القصة شاهدا في بعض كتب الشيخ × حيث ذكر ذلك على سبيل العموم؛ ليبين كيف يتعامل

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢١٢

الإنسان مع من يخالفه، فقال × في كتابه الفتاوى السعدية ص٤٧ المسألة الرابعة عشرة: =يعجبني ما وقع لبعض أهل العلم وهو أنه كتب له إنسان من أهل العلم والدين ينتقده انتقادا حارا في بعض المسائل، ويزعم أنه مخطئ فيها؛ حتى إنه قدح في قصده ونيته، وادعى أنه يدين الله ببغضه بناءا على توهم خطئه، فأجاب المكتوب له:." (١)

"وهكذا تم نقله إلى لبنان، وقد رافقته في تلك الرحلة، وكان معنا أبو عبود صالح العباد× وهو أحد محبي الوالد؛ **فكان الوالد** يحبه، وكان يؤنس الوالد، ويصنع له القهوة والشاي، وكانا يصليان في المستشفى آخر الليل جميعا، **وكان الوالد** يرتاح له كثيرا، ويلغي الكلفة بينه وبينه، وقد كان على متن الطائرة المتوجهة إلى لبنان سبعة أشخاص: الطيار، ومسؤول اللاسلكي، وطبيبان، والوالد، وصالح العباد، وأنا.

وكان مع الوالد ألفا ريال فضة، ولما أخذنا أماكننا في الطائرة ناداني الوالد، وقال: يا محمد فرق الألفين عليهم، وكانت تعادل في ذلك الوقت عشرين ألف ريال أو أكثر في وقتنا الحاضر؛ فأعطيت كل واحد ممن معنا خمسمائة ريال فضة؛ ففرحوا بذلك، وشكروا للوالد صنيعه.

وأثناء الطيران كان الاتصال مباشرا بيننا وبين الديوان الملكي حتى وصلنا إلى لبنان، وكان الملك سعود × يسأل عن الوالد وهو في الطائرة.

ومن الطريف في هذه الرحلة أن الأطباء لم يحضروا معهم جوازاتهم، وقبل وصولنا إلى لبنان أخبروني بذلك، وقالوا: نحن لبنانيون، ولكن لم نكن نتوقع أنا سنسافر إلى لبنان؛ لذا لم نحضر جوازي السفر؛ فطلبوا مني أن أتدارك الوضع؛ فاتصلت بسفارة المملكة بلبنان عبر اللاسلكي ونحن في الطائرة، وأخبرتهم بحال الأطباء، وأنهم من قبل الملك سعود، وأنهم لم يحضروا جوازات السفر؛ فتمت الاتصالات بين السفارة السعودية والحكومة اللبنانية، وتم إعطاء الإذن لهم بالدخول.

وعندما وصلنا إلى مطار بيروت، وفتح باب الطائرة ــ كان في استقبالنا السفير السعودي، وسليمان الغنيم × وطبيبان من الجامعة الأمريكية، وسيارة إسعاف؛ فصعد الطبيبان إلى الطائرة، وتحدثوا إلى الوالد، وقاموا بالفحوصات الأولية، وطمأنوه على صحته، وأعلموه باستقرار حاله، ثم نقلوه إلى المستشفى الأمريكي.

وكانت مدة مكث الوالد في المستشفى أسبوعا على وجه التقريب.." (٢)

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢١٣

(٢) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢١٦

"وفي هذا الوقت أعد سليمان الغنيم ــ جزاه الله خيرا ورحمه ــ بيتا للوالد بمدينة عالية بجبل لبنان، وكان هذا البيت كبيرا، وقد جعل فيه خادما، وطباخا، وسيارة خاصة للشيخ الوالد.

وبعد خروج الوالد من المستشفى واستقرار صحته ذهبنا إلى المنزل في عالية، ومكثنا فيه مدة شهر تقريبا.

وكان طيلة فترته يحن إلى عنيزة، ويرغب كثيرا في الرجوع إليها؛ ففي كل يوم يسأل عن وصول الطائرة التي تقله إلى الوطن؛ لأن تلك الأيام أيام موسم الحج، والطائرات التي تأتي نادرة.

ولما كنا في لبنان قمنا بزيارة إلى دمشق مدتها يوم واحد، فكانت فرصة للوالد؛ كي يزور قبر شيخ الإسلام ابن تيمية × والسلام عليه، والدعاء له؛ فقد **كان الوالد** محبا لابن تيمية، متأثرا به.

وفي تلك الفترة كنت أنزل من مكان إقامتنا في جبل عالية إلى بيروت؛ لمراجعة السفارة السعودية؛ لمعرفة موعد وصول الطائرة التي سنرجع عليها إلى الـمملكة، ولأجل البريد.

أما الوالد فيبقى في المنزل هو وصالح العباد يستقبلان الناس من المعارف والأقارب وغيرهم ممن يفدون لزيارة الوالد.

وقد زار الوالد في محل إقامته خلق كثير، وكان من بينهم أعضاء جمعية عبادالرحمن يتقدمهم رئيسهم الشيخ عمر الداعوق ×.

وقد طلب الأطباء من الشيخ في تلك الفترة أن يدع القراءة؛ لأن ذلك يتعبه، وطلبوا منه الراحة التامة، وألا يجهد فكره.

ولما كان في المستشفى اشتريت له كتابا عنوانه: (دع القلق وابدأ الحياة) للمؤلف الأمريكي دايل كارنيجي، وهو مدير معهد تدريب في أمريكا.

وقد قرأ الوالد الكتاب، وأعجب به، وبمؤلفه، وقال: إنه رجل منصف.

وكان للوالد صديق عزيز عليه من أهل عنيزة، وكان يعاني من مرض نفسي، ومكث في بيروت مدة سنتين للعلاج ولم يستفد، فأعطاه الوالد ذلك الكتاب، وقال له: اقرأه؛ فهو مفيد جدا؛ فقرأه، وأفاد منه، وتأثر بما فيه، وتحسنت صحته، بل شفي من مرضه.." (١)

"وقد أمرني الوالد بشراء نسخة أخرى من هذا الكتاب؛ لكي يوضع في مكتبة عنيزة التي أنشأها الوالد، فاشتريت الكتاب، وأعطيته الوالد، ولما عدنا إلى عنيزة وضعه الوالد في المكتبة، واستعاره عدد كثير من طلاب الوالد.

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢١٧

ولما كان الوالد في مقر إقامته في لبنان أرسل أبا عبود إلى السوق؛ ليشتري أوراقا وأقلاما؛ لأنه عزم على تأليف رسالة على ضوء ما كتبه كارنيجي في كتابه المذكور، ثم شرع الوالد في ذلك، فتم له تأليف كتابه الصغير حجما الكبير نفعا: (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة).

فصارت الأيدي تتناوله، والقراء يتداولونه؛ فعم النفع به، واستدرك من خلاله كثيرا من الأمور التي فاتت كارنيجي من أصول السعادة.

وقد طبعت تلك الرسالة مرارا كثيرة جدا في حياة الشيخ وبعد مماته.

وإلى يومنا هذا والطلبات من الداخل والخارج تتكرر لأجل طباعتها، بل إن بعض الجمعيات التي تعنى بالطب النفسي تبنت طباعته، وطبعت منها خمسين ألف نسخة مجانية+.

ويقول الأستاذ محمد مبينا بعض ما حصل في تلك الرحلة: =ولما كان الوالد في لبنان وافق وجود أسرة عمي حمد بن علي القاضي ــ أخو الوالد من الأم ــ.

ولما علم العم حمد بوصول الوالد إلى لبنان أرسل إلى أسرته يقول لهم: اذهبوا إلى عمكم، وسلموا عليه في مكان إقامته في عالية، وأوصاهم بوصايا، وقال لهم: الله الله بالأدب والاحترام، والتقدير لعمكم.

وبعد ذلك حضر لبيت الوالد ثلاث من بنات عمي ووالدتهم، ففرح والدي بهم كثيرا، وباسطهم، وتجاذب معهم أطراف الأحاديث، وأذهب عنهم الوحشة والكلفة؛ فسروا بذلك كثيرا.

ولما عادوا إلى مكانهم كتبوا إلى والدهم: لقد وجدنا عمنا سمحا، لينا، هينا، بل هو أسمح منك، وقد بسطنا كثيرا؛ فما الذي جعلك تخيفنا منه؟ مع أن الواقع كان بخلاف ذلك+.." (١)

"يقول ابنه محمد: =ذكر لي أخي أحمد × قائلا: في يوم من الأيام كان الوالد مدعوا إلى مجلس بعد صلاة العشاء، وكنت مرافقا للوالد.

وبعد انتهاء المجلس خرجت مع الوالد قاصدين منزلنا، وكان الوقت وقت أمطار، والشوارع مليئة بالمياه، والطين، وكانت مظلمة؛ حيث لا توجد أنوار في ذلك الوقت؛ مما جعل السير صعبا.

وفي أثناء سيرنا شاهدت أحد كبار الجماعة يسير أمامنا على بعد خمسين مترا، فزلق في الطين، ثم قام وقد ابتلت ثيابه، واتسخت وهو لا يدري أننا خلفه؛ فذكرت ذلك للوالد، وكنا قريبين من مفترق طرق؛ فقال × دعنا نذهب من الطريق الثاني؛ حتى لا يرانا؛ فيخجل، ويتحرج من رؤيتنا له على تلك الحال؛ فسلكنا الطريق الآخر مع أنه أبعد بالنسبة لنا.

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢١٨

وهذا من حكمة الشيخ وذوقه، ومراعاته لمشاعر الآخرين+.

٢٣ـ وهذا موقف تتجلى فيه رحمة الشيخ، وحكمته، وحسن تعليمه.

يقول ابنه محمد: =كان الوالد يمشي في الشارع، فمر به رجل يضرب حمارا له، ويزجره بشدة وقسوة؛ فقال له الوالد: حرام عليك هذا الفعل، أين الرحمة؟

فقال له صاحب الحمار: يا شيخ هذا الحمار لا يمشي.

فاقترب الوالد من الحمار، وأمسك بالحبل المربوط على عنقه، وجره بهدوء، فمشى الحمار، فتعجب الرجل، وقال للوالد: حتى الحمار يعرف إنك شيخ، ويطيعك؛ فضحك الوالد، ولم يعاتبه+.

٢٤ـ وهذا موقف يبين عن سخاء الشيخ، وعطفه على الفقراء.

يقول ابنه محمد: =روى الأخ عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالرحمن البسام قائلا: في يوم من الأيام المطيرة الباردة وأنا في العاشرة من عمري كنت ذاهبا إلى صلاة الظهر، فشاهدت أمامي الشيخ عبدالرحمن السعدي× وجماعة المسجد قد صعدوا إلى سطح المسجد؛ لأن الشمس قد طلعت، فصعدوا؛ كي يستدفؤوا تحت حرارة الشمس.." (١)

"وقد يقوم بهذه المهمة صديقه الخاص أبو عبود صالح العباد×ثم يطيبهم بطيب من عنده إما أن يكون بخورا، أو دهن عود مما يرسله الموسرون من طلابه لأهل المسجد؛ فيقوم بعدها الجماعة وقد نشطوا لأداء ما بقي من الصلاة، ويذهب ما بهم من جهد وتعب+.

٢٩ـ وهذه مواقف مليئة بالحنان، والأبوة والعطف، وحسن التعامل مع الأولاد، وخصوصا البنات.

يقول الأستاذ مساعد السعدي ـ حفيد الشيخ ـ: =لما سألت أمي عن معاملة الجد الشيخ عبدالرحمن مع أطفال البيت خاصة وأن أمي نورة هي أصغر ذرية الشيخ ـ فاضت عيناها من الدمع، وشرعت تذكر لي بعض ما علق بذهنها من الذكريات عن الوالد، فقالت: كان الوالد يتودد لي، ويناديني بـ: النيرة ـ وهي القطعة النقدية من الذهب ـ فاشتهرت بذلك الاسم عند الأهل.

وتذكر أنه كان يعطف عليها، ويحبها، وأنه لم يضربها إلا مرة واحدة، وكان ضربا غير مبرح، وذلك لما عرضت نفسها للخطر بالصعود إلى أعلى مكان في سطح البيت، وكان عمرها آنذاك سبع سنين.

وتقول ـأيضاـ: لما كان عمري ثمان سنوات تعودت اللعب مع إحدى الخادمات الصغيرات التي كان تخدم في بيتنا، وكانت تسمى: برجس، وهي صديقة لي في ذلك الوقت، وكان لنا بيت صغير صنعته أنا

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٢٠

وإياها من الطين في مقدمة بيتنا الكبير؛ فكنا نلعب معا بداخله، وأنشأنا فيه وجارا(١) صغيرا، وصففنا فيه دلال القهوة، وأباريق الشاي.

وكنا نمثل دور الكبار، ونقلدهم؛ فيمضي الوقت ونحن لا نشعر به.

---

(١) _ الوجار كلمة دارجة عند أهل نجد، وهو مكان مستطيل الشكل، يبنى من الإسمنت، أو غيره، وتوقد فيه النار، ويوضع فيه دلال القهوة، وأباريق الشاي، ونحو ذلك.." [١]

"وقد تحقق ذلك، والشيخ لا يعلم أن هذا الأمر متفق عليه من قبل.

ولما ركب صالح السليم وكانت معه الكتابات التي _ كتبها آل سليم للملك _ قال صالح السليم للوالد الشيخ: إلى أين أنت ذاهب يا شيخ خذوني معكم للوادي، ثم بدأ صالح يسأل الشيخ، ويقول له: إلى أين ستذهبون، فقال الوالد: إلى بريدة نريد السلام على الأمير عبدالله الفيصل؛ فقال صالح: أريد الذهاب معكم، فقال له الوالد: حياك الله أهلا وسهلا.

بعد ذلك ذهبوا جميعا إلى بريدة، وهم: الوالد، وصالح بن علي السليم، وعبدالرحمن الدخيل، وعلي الشيوخ، والسائق عبدالرحمن الشحيتان، وكانت السيارة لأمير عنيزة عبدالله بن خالد السليم.

وبعد وصولهم إلى بريدة اتجهوا إلى منزل الأمير عبدالله الفيصل، ولعلهم تناولوا الغداء عنده.

ولما أراد الوالد مواصلة السير إلى الرياض قام صالح السليم، ورغب في صحبته إلى الرياض، وأقسم أيمانا مغلظة _ فاستجاب الوالد له، وأذن له بأن يرافقهم صالح إلى الرياض.

وكان الوالد قبل ذلك لا يريد أن يصحبه غير الذين خرجوا معه من عنيزة.

ولما وصل الوالد إلى الرياض اتجه إلى مقر إقامته هناك؛ حيث تم إعداد بيت كبير مفروش، تتوافر فيه جميع الاحتياجات من طعام وغيره.

وقد وافق وصول الوالد إلى الرياض يوم الجمعة؛ فقابل مندوب الملك، فقال للوالد: سوف تتم مقابلة الملك يوم الاثنين؛ لأن عادة المشايخ أن يحضروا جميعا عند الملك للسلام عليه في ذلك اليوم؛ فانتظر الوالد إلى ذلك اليوم.

وفي تلك الأثناء أرسل الوالد إلى المشايخ نسخا من كتابه التفسير، وكذلك رسالة يأجوج ومأجوج؛ حتى يطلعوا على ما فيهما قبل مقابلة الملك.

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٢٤

وفي تلك الفترة قام كثير من المشايخ بزيارة الوالد في بيته، وكان الشيخ عمر آل الشيخ يحب الوالد كثيرا.
وفي يوم الأثنين الموعود ذهب الوالد للقصر الملكي، وجلس في مكان يجتمع فيه المشايخ، للسلام على الملك.." (١)

"محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ أبو الفضل السلامي، تفقه للشافعي وقرأ اللغة والأدب على الخطيب التبريزي، قال تلميذه أبو الفرج ابن الجوزي: كان حافظا متقنا ضابطا ثقة من أهل السنة لا مغمز فيه، صنف التصانيف وتوفي سنة خمسين وخمس مائة وخطه في غاية الإتقان والصحة، توفي والده وهو صغير فكلفه جده لأمه أبو حكيم الخبري الفرضي وأسمعه في صباه شيئا من الحديث وشغله بحفظ القرآن والتفقه على مذهب الشافعي، ثم إنه صحب الخطيب التبريزي اللغوي وقرأ عليه الأدب ومهر وجد في طلب الحديث فسمع من مشايخ وقته وصاحب أبا منصور الجواليقي في قراءة الأدب وسماع الحديث ولازم أبا الحسين ابن الطيوري وسمع منه كثيرا ثم إنه خالط الحنابلة ومال إليهم وانتقل عن مذهب الشافعي إلى مذهب ابن حنبل لمنام رآه، ذكره محب الدين ابن النجار في تاريخه وذكر أشياخه الذين روى عنهم، وكان من المكثرين حدث بأكثر مسموعاته وكانت له إجازات قديمة من جماعة من الشيوخ كابن النقور والصريفيني وابن ماكولا وغيرهم من الغرباء أخذها له ابن ماكولا في رحلته إلى البلاد، ولابن ناصر كتاب المأخذ على أبي عبيد الهروي في كتاب الغريبين مجلد، قال ياقوت في معجم الأدباء: وكان مع علمه بالحديث ورجاله جيد المعرفة بالأدب صحيح الخط غاية في إتقان الضبط ثبتا إماما إلا أنه كان وقاعة في العلماء مغرى بالمثالب وكان هو والشيخ أبو منصور موهوب ابن الجواليقي يقرآن على أبي زكرياء التبريزي وكان أبو منصور يطلب الحديث وابن ناصر يطلب اللغة فقال لهما أبو زكرياء: سيقع المر بالعكس فتصير أنت يا ابن ناصر محدثا وتصير أنت يا أبا منصور لغويا، فكان الأمر على ما ذكره، وكان ابن ناصر شافعيا ثم صار حنبليا فبلغني أنه أعاد صلاته التي صلاها وهو شافعي منذ احتلم إلى أن تحنبل وأنه غسل جميع ما في منزله من آلة وفرش وثياب حتى جدار داره، فقلت لبعض الحنابلة ببغداذ: ليت شعري لم فعل ذلك وأنتم تروون في كتبكم بأسانيدكم أن أبا عبد الله بن حنبل إمامكم قرأ على الشافعي وأنه كان يثني عليه إلى أن مات وأنه كان يستغفر له ويقول ما عرفنا تأويل الأحاديث حتى ورد هذا الحجازي وأنه مشى إلى جنب بغلة الشافعي إلى غير ذلك؟ فقال: إنما فعل ذلك لأجل ما كان يعتقده من مذهب الأشعري، فقلت: وما صنع الأشعري حتى يستحق معتقد مذهبه أن يفعل المنتقل عنه مثل هذا؟ فقال: إنه كان لا يقول

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/٢٣٨

بالحرف والصوت وهي بدعة، فقلت له: أوتزعم أن القول بالحرف والصوت ليس ببدعة؟ قال: نعم، قلت: محال لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين أنه قال به وأصل البدعة قول محدث لم يقل به الحد الأول فإن زعمت أن الأشعري ابتدع هذا القول فهو يزعم أنكم ابتدعتم هذا القول وليس ههنا ترجيح صرتم إليه أولى بالحق منه بل الترجيح في حيزه لمعاضدة العقل إياه بالبديهة إلا أن تكابروا فإن كابرتم وأصدرتم ألزمتم أن تتبروا من البخاري ومسلم صاحبي الصحيحين فإنهما كانا يقولان مع كثير من عقلاء أصحاب الحديث لفظي بالقرآن مخلوق وهذا مشهور عنهما وخبرهما في ذلك متعارف لا يجهله إلا من لا خبرة له بأخبار الناس، فلم يكن عنده غير السكوت وحكمت على الشيخ ابن ناصر بالجهل وقلة العقل والتصور وعظم التهور، ومما بلغني من جهله وقلة عقله أنه أراد ذم أبي بكر الخطيب صاحب التاريخ فضاقت مسالك الذم عليه فقال: إنه كان فاسقا يعشق والدي وكان والدي يلازم صحبته لذلك ويكثر فوائده فمن ههنا قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل.

أبو منصور اليزدي

محمد بن ناصر بن محمد بن أحمد بن هارون الصائغ الصراف أبو منصور من أهل يزد، قدم بغداذ وهو في سن الشبيبة وأقام بها مدة يسمع ويكتب وينتخب ويعلق، وكان خطه حسنا وله معرفة بالحديث والأدب ويقول الشعر، قرأ القرآن على أبي منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الخياط وتفقه بالمدرسة النظامية على أبي سعد المتولي وسمع الكثير من أبي الحسن بن العلاف وأبي القاسم بن بيان وأبي علي بن نبهان وأمثالهم، قال الحافظ ابن ناصر عنه كان فيه تساهل في الحديث وكان يصحف ومن شعره قوله:

أرى عمرا في كل يوم وليلة ... يغيض وعيشا فيهما يتنغص

زيادة عمر المرء آفة نقصه ... فيا عجبا من زائد يتنقص." (١)

"إسماعيل بن علي بن الحسين فخر الدين الأزجي الرفاء المأموني الفقيه المتكلم الحنبلي المعروف بغلام ابن المني، كانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة، صنف تعليقة في الخلاف. قال الحافظ الضياء: كان المثل يضرب بغلام ابن المني في المناظرة. وأخذ عنه أئمة منهم العلامة مجد الدين ابن تيمية. وقال محب الدين ابن النجار: كانت الطوائف مجمعة على فضله وعلمه. وكان يدرس في منزله ويحضر عنده الفقهاء، ورتب ناظرا في ديوان المطبق مديدة فلم تحمد سيرته فعزل واعتقل مدة بالديوان ثم أطلق ولزم بيته خاملا منكسرا متحسرا على المراتب والدول إلى أن توالت عليه الأمراض فأهلكته، ولم يكن في دينه بذاك.

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٢٧/٢

ذكر لي ولده أبو طالب عبد الله في معرض المدح أنه قرأ المنطق والفلسفة على ابن مرقش الطبيب النصراني ولم يكن في زمانه أعلم منه بتلك العلوم، وكان يتردد إليه إلى بيعة النصارى بالأكافين. وسمعت ممن أثق به من العلماء أنه صنف كتابا سماه نواميس الأنبياء يذكر فيه أنهم كانوا حكماء كهرمس وأرسطاطاليس وأمثالهما، وسألت بعض تلامذته الخصيصين به عن ذلك فما أثبته ولا نفاه وقال: كان متسمحا في دينه متلاعبا به، ولم يزد على ذلك. ولما ظهرت الإجازة للإمام الناصر كتب ضراعة يسأل فيها أن يجاز له فوقع الناصر على ضراعته: لا يصلح لرواية الحديث النبوي، فطالما كانت السعايات بالناس تصدر منه إلينا. وبعد ذلك شفع فيه فأجيز له، وكان دائما يقع في الحديث وفي رواته ويقول: هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية ولا معاني الأحاديث الحقيقية بل هم مع اللفظ الظاهر، ويذمهم ويطعن عليهم. ووجد سماعه في مشيخة الكاتبة شهدة فسمعها منه جماعة من الغرباء وغيرهم، ولم أسمع منه شيئا ولم أكلمه قط. وأورد له من البسيط:

عددت ستين عاما لو أكون على ... تيقن أنها الثلثان من عمري

لساءني أن باقي العمر أيسره ... وآخر الكأس لا يخلو من الكدر

لو لم يكن غير أن الموت ينقلنا ... عن طيب دار ألفناها إلى الحفر

حق البلاء لنا قبل البلاء وأن ... نجري المدامع من خوف ومن حذر

فليتنا لم تزل أرواحنا عدما ... ولم يكن خلقنا في عالم الصور

وأورد له أيضا من الطويل:

دليل على حرص ابن آدم أنه ... ترى كفه مضمومة عند وضعه

ويبسطها عند الممات إشارة ... إلى صفرها مما حوى بعد جمعه

قلت: شعر في أعلى درجة التوسط، ومعناه الأول مأخوذ من قول الآخر من السريع:

لهفي على خمسين عاما مضت ... كانت أمامي ثم خلفتها

لو أن عمري مائة هدني ... تذكري أني نصفتها

ومعناه الثاني من قول....

وقال الشيخ شمس الدين: قطع الخليفة لسانه وألقاه في مطمورة إلى أن مات سنة عشر وستمائة.

أبو الفضل الجيروني

إسماعيل بن علي بن إبراهيم ابن أبي القاسم ابن الجيروني الدمشقي، قرأ الفقه في مذهب الشافعي على ابن

المسلم السلمي وعلى أبي الفتح نصر الله بن محمد المصيصي، وسمع الحديث من هبة الله بن أحمد الأكفاني وعلي بن سعيد العطار وطاهر بن سهل الإسفرائيني وغيرهم، ورحل إلى بغداد وسمع الحسن الباقرحي وهبة الله بن محمد البخاري وعبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي وغيرهم، وعاد إلى دمشق وشهد عند القضاة وولي كتابة الحكم، ثم قدم بغداد وقد علت سنه وحدث بها، وتوفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

الجاجرمي الواعظ

إسماعيل بن علي بن الحسين الجاجرمي أبو علي النيسابوري، كان واعظا زاهدا مشتغلا بنفسه حافظا لوقته مضى عمره على سداد واستقامة. قال: كان والدي دعا بمكة: اللهم ارزقني ولدا لا يكون وصيا ولا صاحب وقف ولا قاضيا ولا خطيبا! فقال ابنه له: يا أبه، وما بال الخطيب؟ فقال: أليس يدعو للظلمة؟ وتوفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

أبو محمد الخطبي." (١)

"فلما جاء قبجق وحدثه كان والدي حاضرا قال: فقال له: السلطان يسلم عليك ويقول لك: قد حصل القصد بإلقاء السمعة والمهابة، وما بقي للتتار حركة، وأنا قد بعثني أرد العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق، فقال له قبجق: لما قال لك السلطان هذا كان منكودمر حاضرا عنده؟ فقال له: وإلا فأين يغيب ذاك؟ قال والدي: ففهمت بها خيانة ابن حمدان.

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام وقال: يا خوند أنا جيعان، وقد اشتهيت عليك كركي يشوى لي، فقال: هنا كركي مشوي هاتوه، فجابوه وأنا قاعد، فلما جاء قال ابن حمدان: لا يقطع لي أحد أنا أقطع لنفسي. ثم إنه أخرج سيخا كان معه وجعل يقطع برأسه ويأكل، ثم قطع ذلك السيخ وقدمه لقبجق وقال له: أنا قد قطعت لك وأنت إن اشتهيت تأكل وإن اشتهيت لا تأكل، ففهم قبجق أنه قد سم له ما قطعه له، وغضب وأربد وجهه واسود وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى، ثم قال: أنا ما آل شيئا. قال والدي: فقمت من عنده وشرع قبجق في ما هم به.

قال: ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان، وركب بكتمر السلحدار والبكي نائب صفد عائدين إلى حمص حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما أريد بهما بحلب، فشكا هو إليهما ما أريد به بحمص، وأجمعوا على الرأي، وأراد قبجق تحليف الأمراء له، وطلب شهاب الدين ابن غانم

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٢٥/٣

ليتولى ذلك له، فعمل نسخة بالتحليف، فلما حضر ليحلف قال أمراء الشام: أين كاتب السر؟ فقال: هو بعث هذا. فقال الطواشي... وكان رأس الميمنة وكبير الأمراء والملك الأوحد ابن الزاهر ما نحلف إلا إن حلفنا كاتب السر، فإنه أخبر بالعادة.

قال والدي: فطلبت وأعطيت نسخة التحليف فوجدتها مجردة لقبجق فقلت: ما جرت بهذا عادة، ثم أخذت القلم وأضفت فيها اسم السلطان ولزوم طاعته وجماعته، فحلفوا على هذا، وتنكر لي قبجق.

قال: فلما رأى قبجق أن الأمر ما يتم له لاختلاف أمراء الشام عليه أعمل الرأي في الهرب.

قال: حكى لي الفرسي الحاجب قال: جئت إلى قبجق في الليلة التي أراد فيها الركوب للهرب، وأخذت في لومه وعذله وقلت له: يا خوند بعد الحج إلى بيت الله الحرام وقطع هذا العمر في الإسلام، وأمير علي، تروح إلى بلاد العدو؟! فقال : يا حاج، أنا كنت أعتقد أن لك عقلا، الروح ما يعدلها شيء، وأما الإسلام فأنا مسلم أينما كنت ولو كنت في قبرص، وأما الحج فكل سنة يحج من الشرق قدر ما يحج نمن عندكم مرات، وأما أمير علي فأي امرأة بصقت فيها جاء منها أمير علي وأمير إبراهيم وأمير خليل.

ثم قال: هاتوا ما نأكل، فجاءوه بزبدية خشب فيها لحم يخني، فأخذ منه قطعة وحطها على قباء كنجي زيتي عليه، وشرع يقطع منها ويأكل ويغني بالتتري يريني أنه قد دخل في زي التتار وعيشهم، ثم هرب وأمسك نائب حمص معه فقال: يا خوند أي شيء هو ذنبي؟ فقال: مالك ذنب وإنما أخذتك معي حتى يتفرق هؤلاء الحيال عن جند حمص.

ثم إنه أطلقه بعد ذلك. وبعد هربه بيومين جاءت الأخبار بقتل لاجين وذبح منكودمر، فجهز إليه البريدي الواصل بهذا الخبر، وهو علاء الدين الدبيسي، فلحقه وأخبره، فما صدقه وهم بقتله، ثم تركه ورده، ةواستمر قبجق حتى وصل إلى أردو السلطان محمود غازان فقبل وفادته ولم يجد لديه طائل إكرام.

وحكى لي شرف الدين راشد كاتب بكتمر السلحدار قال: إن غازان رتب له رابتا لا يليق بمثله، ثم إن غازان حشد للصيد وجمع حلقة ما رؤي مثلها وضمت ما لا يحصى من الوحش، وقال لأمرائه: حتى نبصر هؤلاء إن كانوا أقجية أم لا. وكان يظن أنه فضحهم.

ثم قالوا لقبجق: يا قبجق نحن شباعي الصيد، وإنما هذا عملناه ضيافة لكم. فنزل قبجق وضرب له الجوك ثم قال: بسعادة القان نتصيد، فعبرت بهم حمر وحشية، فأمره غازان بالرمي عليها، فقال له قبجق: ايش يشتهي القان يأكل لحمه من هذه الحمير؟ فقال له: هذا وهذا، وأشار إلى اثنين منه، أو ثلاثة أو أكثر، والشك مني لا ممن حدثني.

فساق قبجق وصهر له عليها، أحدهما أخذ على يمينها والآخر أخذ على يسارها، واتفقا على الرمي على مكان منها، حاذياهما ورميا عليها فلم يخطئا المكان حتى تلاقى نشابهما وتقاصف، وهكذا في كل رماياهم.." (١)

"أخبرني أبو العباس بن عبد الواحد قال: أخبرني شخص من كبار الصالحين يعرف بعمر بن الزغب أنه كان مجاورا بالمدينة المقدسة، وأنه خرج في بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع الإمامية فيه لقراءة المصرع إلى قبة العباس، فسأل شيئا في محبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما جرت عادة السؤال، فقال له رجل شيخ من الحاضرين: اجلس حتى نفرغ، فلما فرغوا أخذه إلى داره وسلط عبدين له عليه، فكتفاه وأوجعاه ضربا، ثم قطع لسانه، وقال: اخرج إلى الذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك، فجاء وهو مقطوع اللسان تجاه الحجرة المقدسة يستغيث ويقول: يا رسول الله تعلم ما قد جرى علي في محبة صاحبك، فإن كان صاحبك على حق أحب أن يرجع إلي لساني، فإن لم يرجع إلى لساني وإلا شككت في ايماني، قال: فبينما هو في أثناء الليل إذ استيقظ فوجد لسانه في فيه كما كان قبل قطعه، ثم عاد في مثل ذلك اليوم في العام المقبل إلى القبرة المذكورة، وقام وقال: أريد في محبة أبي بكر الصديق دينارا مصريا، فقال له حدث من الحاضرين اقعد حتى تفرغ، فلما فرغوا أتى به ذلك الحدث إلى تلك الدار التي قطع فيها لسانه فأدخله إليها وأجلسه في مكان مفروش وأحضر له طبق طعام وواكله واستزاده في الأكل حتى اكتفى، ثم رفع الطعام وفتح بيتا، وجعل الفتى يبكي، فقام عمر المذكور لينظر سبب بكائه، فرأى قردا مربوطا عنده وهو ينظر إليه ويبكي، فسأله عن ذلك، فازداد بكاؤه وارتفع نحيبه، ثم سكنه حتى سكن، وسأله عن ذلك القرد ما هو، فقال لي: إن حلفت لي أنك لا تحكي هذه الحكاية في المدينة المقدسة أخبرتك، فحلف له بما استحلفه أنه لا يخبر بها أحد في المدينة النبوية، فقال له: اعلم أنه أتانا شخص في العام الماضي وطلب شيئا في قبة العباس التي أتيت إلينا في العام فيها، وسأل شيئا في محبة أبي بكر الصديق **وكان والدي** من فقهاء الإمامية وعلماء الشيعة ممن يرجع إلى فتياه وقوله في مذهبه، فسلط عليه عبدين له فكتفاه وأوجعاه ضربا، ثم قطع لسانه وأخرجه وقال: اذهب إلى الذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك، فلما كان في أثناء الليل صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا لها فوجدناه قد مسخ قردا، وهو هذا، فجددنا إسلامنا نحن، وتبرأنا من ذلك المذهب، وخطر لنا إظهار موته، فأظهرنا موته، وأخذنا خشبة نخل بالية تشبه الآدمي، ولففنا عليه خرقا ودفناه، وكنت أظهرت أني حلفت أنه لا يتولى غسله إلا أنا ووالدتي

(١) الوافي بالوفيات، ٧/٢٢١

لئلا يطلع أحد على شيء من ذلك.
قال: فقال له الشيخ عمر فأنا أزيدك في الحكاية زيادة، وهو أني أنا الشخص الذي قطع لساني، وقد عاد كما كان، فأكب عليه يقبل رأسه ويديه ويتبرك به، وأعطاه دينارا وكساه ثوبا، وكان يتفقده مدة مقامه في المدينة النبوية على ساكنها السلام.
قال: وحكى لي هذه الحكاية بمنى أيام الموسم، وذكر أن اسم الممسوخ كان أحمد.
أنشدنا محمد بن أبي محمد بن الصفار السنجاري بها قال: أنشدني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الحوراني المدرس الشافعي - ثم اجتمعت بأبي العباس أحمد فأنشدني - قال: أنشدني الشيخ موفق الدين أبو الثناء محمود بن أحمد الخجندي الفقيه الشافعي لنفسه بسنجار
وجالس للدروس يعمه في ... مسلك تيه للأسد فراس
في جدر ألفت مساكنها ... من غصب وال ومكس مكاس
ينهى عن الظلم في دراسته ... وأكله من مظالم الناس
فقف عليه وسل ملاءمة ... بين نقيضي ذا الذاكر الناسي
تقطعه في معرك الجداب وما ... في طلل بالوقوف من باسي
أنشدني تقي الدين أبو العباس الحوراني بمصر لنفسه وقال لي: هذه الأبيات أنشدتها ببغداد حين استذللت في المسأله ومدحت بها المستنصر:
له شرف الخلافة من قريش ... ومجد من مساعيها العظام
له سر النبوة من معد ... فهذا السر في هذا الإمام
فرأي بين من واقتداء ... وعزم بين سر وانتقام
أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الواحد بن مراء لنفسه قراءة عليه وأنا أسمع:
دعها تسير من العراق سريعا ... فلعلها ترد الحجاز ربيعا
أضحت تحن إلى العقيق صبابة ... وتمد أعناقا لهن خضوعا." (١)
"قلت فزدت أنا بيتا سادسا وهو قولي:
لا يصدفون النفس عن شرها ... كلا ولا عن سوءة يعذبون
أي يمنعون.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣٣٨/١

قال لي أبو القاسم بن الجبراني: كان أبو محمد القاسم بن علي الحريري عمل بيتين وقد أوردهما في المقامات، وقال الناس: لا ثالث لهما وهما قوله:

لا تسأل المرء من أبوه ورز ... خلاله ثم صله أو فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا ... مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال: فعملت بيتا ثالثا وهو قولي:

وإن غدا راقيا مراتب ذي ... أصل عريق فلا تقل حص رم

قلت: وبيتا الحريري أخبرني بهما الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة مني عليه بدمشق قال: أخبرنا جماعة منهم: الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، مجد الاسلام عبيد الله بن القاسم بن علي.

وأخبرنا ضياء الدين الحسن بن هبة الله بن عمرو الموصلي قال: أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي العراقي، وسعيد بن المبارك بن علي بن الدهان.

وأخبرنا عبد اللطيف بن يوسف بن علي البغدادي وأبو بكر عبد الله بن عمر ابن علي القرشي قالا: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن النقور قالوا كلهم: أنشدنا أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، فذكر البيتين.

توفي أبو القاسم أحمد بن هبة الله بن الجبراني الطائي بحلب يوم الاثنين سابع شهر رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة، ودفن في سفح جبل جوشن.

أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة: أبو الحسن بن أبي الفضل بن أبي غانم بن أبي الفضل بن أبي الحسن الحلبي، القاضي العقيلي، والدي، وتمام نسبه قد ذكرناه في ترجمة عم أبيه أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن أحمد.

ولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسمائة في دولة الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي، ومن بعده في دولة عز الدين مسعود بن مودود، ودولة عماد الدين زنكي بن مودود، وصدرا من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فانتقلت المناصب الدينية بحكم المذهب من الحنفية إلى الشافعية، فعزل والدي عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، ووليه القاضي محي الدين محمد بن علي قاضي دمشق.

وكان عمي أبو غانم إذ ذاك مجاورا بمكة حرسها الله، فحج والدي تلك السنة، واجتمع به بمكة، وعاد إلى

حلب.

وكان والدي قبل ولايته القضاء قد ولي الخطابة بقلعة حلب في أيام نور الدين محمود بن زنكي، وخطب بالمسجد الجامع بحلب في أيام ولده الملك الصالح إسماعيل نيابة عن أخيه أبي غانم، وولي أيضا قبل ولايته القضاء في أيام الملك الصالح خزانة بيت المال.

وكان رحمه الله حسن السيرة في أحكامه، جاريا فيها على أحسن قانون، متحريا في قضاياه، مقيما لناموس الشريعة المطهرة؛ وكان رحمه الله يقول لي: يا بني والله ما أوثر لك أن تتولى القضاء، فإن عرض عليك لا تتوله فإنني ما استرحت منذ وليته حتى تركته، ولكني أوثر أن تكون مدرسا، وأن تتولى مدرسة الحلاويين، فقدر الله تعالى أن وفقني لما كان يؤثره لي بعد وفاته.

وكان رحمه الله قد سمع أباه القاضي أبا الفضل هبة الله بن محمد بن أبي جرادة، وأبا المظفر سعيد بن سهيل بن محمد الفلكي وزير خوارزم، والشيخ أبا زكريا يحيى ابن المنصور الزاهد المغربي، وأبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن جزي الأندلسي والشيخ محمد بن علي بن محمد الترمذي؛ وحدث عن هؤلاء، وسمع جماعة من شيوخنا مثل: يحيى بن عقيل بن شريف بن رفاعة السعدي، وأبي اليمن الكندي، وأبي علي الأوقي، وأبي عبد الله الدربندي، وجماعة غيرهم، وكان يحضر قراءتي عليهم.

وأخبرني أن مولده بحلب سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

قال لي عمي أبو غانم: مما أذكره لك من فضل والدك أنني كنت مجاورا بمكة وبها الشيخ ربيع بن محمود المارديني، فقال لي في بعض الايام: يا أخي قد ألهمني الله تعالى أن أمضي كل ليلة، أو قال: كل يوم، إلى الملتزم، وأدعو الله تعالى أن يخلص أخاك أبا الحسن من القضاء، فقدر الله تعالى أن استجاب من الشيخ ربيع، وترك والدك القضاء، وحج من عامه ذلك، وجاء إلينا إلى مكة في الموسم.." (١)

"وقع إلي رسالة للوزير أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الحلبي، كتبها إلى أبي طاهر محمد بن الحسن المعروف بالجدي وذكر فيها أبا علي بن المعلم، وقال بعد ذكره: وعلى ذكره نضر الله وجهه، فعند الله يحتسب ذلك الشيخ الجامع لأشتات الفضائل، وضرائر المحاسن، فلقد كان أثبت شيوخ زمانه فهما، وإن لم يفتهم علما وأقواهم تصورا ونفسا وأن أوفوا عليه مطالعة ودرسا، وأني لأخوانه الغابرين بعده، الذين لا بد أن يردوا، وأن أنظرهم الأجل ورده مثله، ولا مثل له، طيب معاشره، وحسن مذاكرة وحفظا للغيب ومثابرة على ستر العيب:

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤١٣/١

سقا ولولا دينه وعفافه ... لقلت شآبيب الشرب المشعشع

؟؟الحسن بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الحلبي: المعروف والده بالعريف الصناديقي، كان ينزل بسوق الصناديقيين بحلب، وسمع يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان الخفاجي، وصالح بن جعفر ابن عبد الوهاب العباسي القاضي الحلبيين وحدث بشيء يسير، سمع منه الشيخ الفقيه مشرق بن عبد الله العابد الحنفي، والحسن بن داود بن بابشاذ، والحسين بن الحسن الطرسوسي وغيرهم، وتوفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة أو بعداها فإنه حدث في هذه السنة.

الحسن بن أحمد بن المؤمل أبو محمد الكفر طابي: ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن في تاريخ دمشق، بما أنبأنا به القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله قال أخبرنا أبو القاسم الحافظ قال: الحسن بن أحمد ابن المؤمل أبو محمد الكفر طابي، له ذكرن توفي أبو محمد بن الكفر طابي، فيما بلغني، في الثلث من ليلة الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

حسن بن أحمد بن يوسف الأوقي: أبو علي الصوفي منسوب إلى أوه، شيخ صالح ورع تقي مجتهد في العبادة اجتمعت به في البيت المقدس، وشاهدت منه وليا من أولياء الله تعالى، قد أجمع الناس كلهم قاطبة على خيره وصلاحه، صائم النهار قائم الليل، قد أثرت العبادة وقيام الليل في بدنه، نحيل البدن مصفر اللون، ذابل الشفتين، منقطع إلى الله مستغن عن الناس، معرض عن الدنيا وزخرفها، دخل الشام ومر بحلب مجتاز في طريقه إلى الديار المصرية في سنة سبعين وخمسمائة في دولة الملك الصالح إسماعيل ابن محمود بن زنكي، وأقام بالإسكندرية، وصحب بها الحافظ أبا طاهر السلفي مثل أبي الجيوش عساكر بن علي بن نصر المقرئ، وأبي المحاسن المشرف بن مؤيد ابن علي الهمداني وغيرهم، وكان سمع بمكة أبا الفضل يونس بن محمد بندار، ورابط بعد ذلك بعكا مدة، ونزل بالخضراء وهي دويرة بناها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بعسقلان، ووقف بها الأجزاء التي سمعها، وأقام بها إلى أن خربت، فانتقل إلى البيت المقدس، ولزم المسجد الأقصى، وأقام بدويرة الصوفية التي قبلي المسدد إلى جانب المحراب، وانقطع إلى الله تعالى إلى أن سلم البيت المقدس إلى الفرنج في سنة ست وعشرين، وانتقل منه الناس، فلم يبرح مكانه، ولزم موضعه ذلك وعبادته إلى أن أدركه أجله رحمه الله، قرأت عليه الكثير من مسموعاته مدة مقامي بالبيت المقدس، **وكان والدي** رحمه الله يحضر معي مجلس السماع بالمسجد، وذلك في سنة تسع وستمائة، وكانت تعجبه قراءتي الحديث، أول ما حضرت عنده وطلبت السماع منه: قال لي: هاهنا من يحدث غيري فأعدت الطلب منه، فأخرج إلي جزءا، فلما قرأته مال إلي وأخرج إلي جميع ما كان عنده

من مسموعاته، وتطفل بذلك وكان يجتمع معي جمع وافر للسماع منه رحمه الله.

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الأوقي بالمسجد الأقصى قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني بالإسكندرية قال: أخبرنا أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي رئيس أصبهان قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي قال: أخبرنا عبد الله بن يعقوب الكرماني قال: حدثنا بحر بن بحر ال كرماني قال: حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم اليوم على دين، وإني مكاثر بكم الأمم فلا تمشوا القهقري بعدي " .." (١)

"وكان حسن الأخلاق، جميل الصورة، تام الخلق والخلق، وكان يكتب خطا حسنا، دخلت إليه داره بدمشق في سنة ثلاث وستمائة مع والدي، وقرأت عليه المقامات الحريرية وغيرها من كتب الأدب، ولما شرعت في قراءة المقامات عليه أعجبته قراءتي وسألني: أتحفظها فقلت له: لا، فمال إلي واعتنى بأمري، وكان يأذن لي كلما جئت إليه، ولما عزمت على العود إلى حلب قال لي: اجعل نفسك أن تعود إلينا، فأثر كلامه عندي، وآثرت الرحلة إليه، **وكان والدي** رحمه الله لا يسمح بمفارقتي، إلى أن سمح بأن يزور البيت المقدس فاستصحبني معه، ووصلت معه إلى دمشق، ودخلت إلى الشيخ رحمه الله فقرأت عليه عدة من كتب الأدب والحديث في سنة ثمان وستمائة، ثم عدت من البيت المقدس، وكنت أتردد إليه وأسمع منه بقراءتي عليه وقراءة غيري في سنة تسع وستمائة، وسألته عن مولده فقال - وكتبه لي بخطه - في سنة عشرين وخمسمائة في شعبانها.

وقال لي أبو الحسين يحيى العطار أنه قال له: في الخامس والعشرين منه.

أخبرنا الإمام العلامة أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي - بقراءتي عليه - قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن ٩٤ - و إبراهيم بن عيسى الباقلاني المقرئ قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبه عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ثم تلا هذه الآية " فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣٨١/٢

الغروب " قال شعبة: لا أدري قال: فإن استطعتم أو لم يقل.
أخبرنا أبو اليمن الكندي - بقراءتي عليه في منزله بدمشق - قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن الطبر قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن سمعون قال: حدثنا محمد بن محمد بن أبي حذيفة قال: حدثنا أحمد بن أبي الخناجر قال: حدثنا العباس بن الوليد البصري قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد لترفع له الدرجة فيقول: أي ري أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولد ولدك من بعدك. ٩٤ - ظ أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد المقرئ قال: أخبرنا الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز قال: أخبرنا أبو الطيب محمد بن خلف بن خاقان البيع قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ح.
قال: وقال أبو منصور محمد بن محمد: وحدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن علي بن أيوب الشافعي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخزار قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد - واللفظ للقاضي - قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان أبو بكر إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون، واغفر لي، واجعلني خيرا مما يعلمون، ولا تؤاخذوني بما يقولون.
وقالا: أخبرنا أبو بكر محمد قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي عن العباس بن بكار الضبي عن عقبة الأصم عن عطاء بن أبي رياح عن ابن عباس قال: سمعت أبا بكر يقول:
إذا أردت شريف الناس كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس سيرته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين
ولشيخنا أبي اليمن رحمه الله أشعار لم أسمع منه شيئا لاشتغالي عليه بما هو أهم بها، وقد أجاز لنا روايتها عنه فمنها ما أنشده لنفسه في أرمد مليح. ٩٥ - و.
بكل صباح لي وكل عشية ... وقوف على أبوابكم وسلام
وقد قيل لي يشكو سقاما بجفنة ... تغيض بي وجد وخف غرام

فغير غريب في المناصل حمرة ... وغير بديع في الجفون سقام
وقدما شكونا وضيمت قلوبنا ... فها أنت منها تشتكي وتضام." (١)

"فلما بلغ سابور ما في نفسه، وأدرك منهم ثأره، قال لمن معه من الجنود: إني أريد دخول أرض الروم ومستخف فيها حتى أبحث عن أسرارهم وأعرف عدة جنودهم ومسالك بلادهم حتى إذا بلغت نهمتي من ذلك، وحاجتي انصرفت إلى مملكتي، فسرت إليهم بمن أحتاج إليه من الجنود فحذره الجنود التغرير بنفسه فلم يقبل، وانصرف متنكرا حتى دخل أرضهم فمكث فيها حينا يجول فيهان فبينما هو كذلك إذ بلغه أن ابن قيصر أعرس فأولم وليمة لسفلة الناس ومساكينهم، وأمر أن يجمعوا له ويحضروا طعامه بعد فراغه من طعام الأشراف، فانطلق سابور متهيئا بهيئة السؤال حتى شهد ذلك الجمع، لينظر إلى قيصر ويعرفه هيئته في مجلسه وطعامه فبينما هو كذلك إذ أتى قيصر بإناء يشرب فيه من آنية سابور منقوش فيه تمثال سابور، فجعلوا يسقون به قيصر ومن حوله، حتى انتهى الإناء إلى حكيم من حكمائهم الذين ينظرون في النجوم، ويعرفون الفراسة فنظر في التمثال الذي فيه، وقبل ذلك ما قد كان أبصر وجه سابور وهو جالس في رفقة المساكين، فأمسك الإناء وقال: إني لأرى أمرا معجبا قال قيصر: ما ذلك؟ قال الحكيم: أرى في الجلساء رجلا شبيه الصورة بهذا التمثال، فإن لم يكن ذلك سابور فما في الأرض أحد أشبه منه به، فأمر قيصر فدعا سابور إليه فسأله عن أمره، فقال: أنا رجل مسكين من أهل فارس، وكان سابور جميل الوجه حسن الصورة، معتدل القامة، تام الخلق، فازداد قيصر لما رأى من حاله في ذلك ارتيابا في أمره وأحس بأنه لم يصدقه عن نفسه، فألح عليه في السؤال وقال ما صدقتنا عن خبرك، فقال سابور: أما إذا أبيتم إلا التقصي عن أمري فإني لا أجد من صدقكم بدا، أنا من أساورة فارس، **وكان والدي** قد أجرم إلى ملكنا جرما عظيما فقتله واستصفى ما له فتخوفته على نفسي، فلحقت بكم وقد أصابني فقر ومسكنة، فأتيت هذا الموضع لما بي من الجوع والجهد والفاقة، فرقوا له وظنوا أن قد صدقهم عن نفسه، فهموا بتخلية سبيله، فأبى ذلك العالم عليهم أن يخلوه، ونظر في حسابه فأتاه في ذلك ما وافق ظنه، وقال: اعلموا أن هذا سابور نفسه فاستوثقوا منه واشتدوا عليه حتى يعلمكم أمره، فاشتد عليه قيصر عند ذلك وتوعده بالقتل وجعل له الأمان على أن يحقق له الخير عن أمره، فقال لهم سابور: عجبا لكم ومن طمعكم بي أن يؤثر سابور الجهد والحاجة والجوع في بلادكم على المقام في ملكه ونعمته، فلم يقبلوا ذلك منه ولم يخلوا عنه حتى اعترف لهم سابور، فاشتد فرح قيصر وجنوده وقالوا: قد أعظم الله علينا النعمة فساق إلينا عدونا وأمكننا منه فنحن منتقمون منه

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤/١٤٦

ومنزلون به وبأرضه ما أجرم إلينا سابور الأول، فأمر قيصر بسابور فجعل في نقرة جوفاء من جلود البقر، ثم أطبق عليه وألزمه الرقباء والحفظة.

وسار بجنوده إلى أرض فارس، ثم أرسل إليهم: أني قد أخذت ملككم فأما أن تفتدوه وإما أن أقتله، وأمر سابور أن كتب إلى أهل أرضه، فيرسل أهل كل مدينة بما يسألهم، فجعل لا ينزل بأرض إلا أخربها، وجعلت الأعاجم تتقيه بكل ما قدرت عليه، فكثر منه القتل والاخراب في مدائنهم وقراهم والعقر في نخلهم وشجرهم وسابور معه يسير به حيث ما توجه، حتى انتهى إلى جند يسابور، وكان قد تحصن جنود فارس وعظماؤهم. فنصب عليهم المجانيق حتى هدم نصفها، ولم يستطع دخولها فبينا هو كذلك إذ غفل حراس سابور من الروم ذات ليلة فلم يغلقوا الباب الذي كان يلقى إليه الطعام في النقرة، وكانت ليلة مقمرة، وكان حول النقرة ممن غنمت الروم من سبي الأهواز أناس كثير، فرفع سابور رأسه وقبل ذلك ما سمع كلامهم وعرف لغتهم، وكان عندهم زقاق زيت فدعا سابور بعضهم فقال: خذوا من هذه الزقاق فأفرغوه على رأسي ففعل ذلك فابتل القد ولان، وكان قد نحل جسمه فلم يلبث أن أسبل يديه ورجليه من الوثاق وخرج من النقرة يدب على قوائمه شبه الدابة حتى إذا جاء من باب المدينة رآه الحراس فصاحوا به، فأشار إليهم أن اصمتوا وأخبرهم باسمه، فعرفوا صوته ففتحوا له باب المدينة فلما دخل على أهلها اشتد سرورهم به ورفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه.." (١)

"سمع منه الحافظ عمر بن أبي الحسن الرواسي، وخرج له أربعين حديثا عن كل شيخ حديثا، وروى عنه ابنه أبو الفتح محمد بن سعد، وأبو الفتوح عبد الوهاب بن إسماعيل بن عمر الصيرفي، وأبو حفص عمر بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الفرغولي، وأبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشحامي، وأبو صالح عبد الملك بن أبي سعيد القشيري، وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ.

أخبرنا أبو هشام عبد المطلب بن الفضل الهاشمي - قراءة عليه وأنا أسمع - قال: حدثنا أو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، قال: حدثنا أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشاهد بنيسابور - من لفظه، وكتب لي بخطه - قال: أخبرنا سعد بن محمد بن جعفر الصوفي - قدم علينا - قال: أخبرنا أبو طالب يحيى ابن علي بن الطيب الدسكري الصوفي بحلوان قال: حدثنا محمد بن أحمد العبدي الدهستاني قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن زيد بن

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٨٥/٤

أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض، خرجت الخطايا من فمه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من فمه، فإذ استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفاره، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له.

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الأوقي الصوفي – قراءة مني عليه بالمسجد الأقصى من البيت المقدس – قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الجويني – بالقاهرة برباط الصوفية، سنة ثمان وسبعين وخمسمائة – قال: أخبرنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن إسماعيل بن عمر الصيرفي القشيري، ح.

وأخبرنا أبو هاشم الحلبي قال: حدثنا أبو سعد بن أبي بكر قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد بن جعفر الأسد أباذي: قال أبو الفتوح: أخبرنا أبو نصر سعد بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الأسد أباذي. وقال أبو الفتح: أخبرنا والدي – قراءة عليه – قال: أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان الغزال بصور قال: أخبرنا أبو يعقوب إسحق بن سعد بن سفيان النسوي قال: حدثني جدي الحسن بن سفيان قال: حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا همام عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة قال: فسمعته يقول: اللهم أغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا. وحدث بهؤلاء الكلمات وزاد معهن: اللهم من أحييته منا فاحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان.

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي قال: سمعت أبا سعد عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الدقاق الحافظ – بمرو لفظا – يقول: سمعت أبا نصر سعد بن محمد الأسد أباذي الصوفي عند قبر أبي يزيد البسطامي رحمه الله يقول: سمعت إسماعيل بن علي بعسقلان يقول: سمعت طاهر بن محمد يقول: حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي يقول: حدثني الربيع بن سليمان قال: رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب.

أخبرنا عبد المطلب بن أبي المعالي قال: أخبرنا عبد الكريم بن أبي بكر لفظا قال: سمعت أبا الفتح محمد

بن سعد بن محمد الأسد أباذي – بمرو مذاكرة – يقول: سمعت والدي رحمه الله يذكر بنسا في الشيب:

يا شيبتي دومي ولا تترحلي ... وتيقني أني بوصلك مولع

قد كنت أفزع من حلولك مرة ... فالآن من خوف الترحل أفزع

قال أبو الفتح وسمعته ينشد

واخجلتني من وقوفي بباب دارهم ... يقول ساكنها من أنت يا رجل

قال أبو الفتح: **كان والدي** يردد هذا البيت ويبكي.." (١)

"أخبرنا أبو هاشم بن الفضل قال: قال لنا تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني: سعد بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الأسد أباذي أبو نصر، ولد بأسد أباذ، ونشأ بحلوان في خدمة الشيخ أبي طالب يحيى بن علي الدسكري، ثم سافر الكثير ورحل في الطلب الحديث إلى العراق والشام ومصر، وحج تسع حجج، ذكر لي ابنه أبو الفتح ذلك، وتعب في جميع الحديث وأكثر منه، وخرج لنفسه الفوائد والأربعين.

سمع بنيسابور أبا حفص عمر بن أحمد بن مسرور الماوردي، وأبا الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، وأبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، وأخاه أبا يعلى إسحاق بن عبد الرحمن، وأبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وأبا سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني، وبحلوان أبا الطيب يحيى بن علي بن الطيب الدسكري، وبميا فارقين أبا الطيب سلامة بن إسحاق بن محمد الآمدي، وأبا مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي، وبعسقلان أبا سعد إسماعيل ابن علي بن الحسن بن المثنى الأستر أباذي، وأبا الحسن علي بن صالح بن أحمد الطلانسي، وبصور أبا الفرج عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان الغزال، وبشيراز أبا بكر أحمد بن محمد بن سلمة الصوفي، وأبا الوفاء المسيب بن أبي الحسين الكرميني، وبالرملة أبا الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجمان الصوفي، ورتنيس الحسن بن محمد بن الحسن المرو الروذي، وبقزوين أبا يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الحافظ، وبالري أبا علي أحمد بن العباس بن إبراهيم العصاري، وبخوي أبا الفرج سعد بن أحمد بن علي بن ميمون الدينوري، وبدهستان أبا أحمد عبد الحليم بن محمد بن عبد الحليم بن أحمد بن يوسف المعلم، وبأصبهان أبا طاهر عبد الكريم بن عبد الواحد الحسنأباذي، وبفارس أبا الفتح ناصر بن الخضر الصوفي، وأبا الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي، وبجرجان أبا سعد محمد بن الحسين بن علي بن بهارة البكر أباذي، وبثغر آمد أبا

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤/٢٥٧

منصور محمد بن أحمد بن القاسم الأصبهاني، وببسطام أبا الفرج صالح بن محمد بن الحسين الخطيب، وجماعة سواهم.

روى لنا عنه ابنه أبو الفتح محمد بن سعد بمرو، وأبو منصور عبد الخالق ابن زاهر بن طاهر الشحامي بنيسابور، وأبو صالح عبد الملك بن أبي سعيد القشيري بطوس، وغيرهم.

سألت أبا الفتح محمد بن سعد بن محمد بن جعفر الأسد أباذي عن مولد أبيه أبي نصر، فقال: كان والدي ابن سبع وتسعين سنة، ففي التقدير مولده سنة سبع وثلاثمائة بأسد أباذ.

وقال: سألت أبا الفتح بن أبي نصر الأسد أباذي عن وفاة والده، فقال: توفي في شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببشخوان، إحدى قرى نسا رحمه الله.

سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي:

أبو الفوارس التميمي المعروف بالحيص بيص، ولد بكرخ بغداد، واشتغل بالفقه والأدب، ونظم الشعر، وسافر إلى الشام، وقيل إنه دخل حلب، وكان يتعاظم في نفسه، ويترفع على أبناء جنسه، ويرى أنه يستحق أكثر مما يعامل به، ولقب الحيص بيص لأنه قال لإنسان خاطبه: وقعت منك في حيص بيص، وذكر ذلك في شعره، فغلب عليه. وكان عفيفا مجانبا ما يقدح في الدين والمروءة.

اشتغل بالفقه على محمد بن عبد الكريم بن الوزان الشافعي، وأسعد الميهني، وسمع الحديث من أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي، والوزير علي بن طراد الزينبي، والوزير علي بن طراد الزينبي، وأبي المجد محمد بن محمد بن عيسى بن جهور الواسطي.

وحدث بشيء يسير، روى عنه شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الوهاب بن علي ابن علي المعرف بابن سكينة، وإسماعيل بن محمد بن يحيى المؤدب، وأحمد ابن عمر بن أحمد بن بكرون، وقيصر بن المظفر بن يلدرك، وأبو الب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين الشيباني وتاج الإسلام وأبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، وأبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم، ونصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمخزن، وأبو بكر عبيد الله بن علي بن المارستاني، وروى لنا عنه قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، وأبو عبد الله محمد بن عبد اللطيف بن زريق.." (١)

"سمعت أبا لعباس أحمد بن يحيى بن الشيخ أبي الحسين الزاهد بالميطور من سفح جبل قاسيون، قال: أخبرتني عمتي يعني بنت الشيخ أبي الحسين قالت: كنت في اللبن، وهي قرية بين نابلس والبيت

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤/٢٥٨

المقدس، والشيخ أبو الحسين والدي بها: وابني في الحج، وكان ذلك قبل عيد النحر بيومين، فعمل بعض من في اللبن للشيخ أبي الحسين عجة، فاشتهيت أن يأكل ابني منها، فقلت: اشتهيت ابني فلانا يأكل من هذه العجة، فقال لي والدي أبو الحسين: هاتي، فدفعت إليه العجة والغضارة التي هي فيها والخبر، فأخذ ذلك وخرج بالمنديل، نجح ابني ورجع، وأحضر إلي تلك الغضارة بعينها، فقلت: ما هذه؟ فقال: هذه أحضرها إلي الشيخ أبو الحسين وفيها العجة مع الخبز.

قال لي أحمد بن يحيى: وحدثتني عمتي المذكورة قالت: أخبرني أخي، بعض ولد الشيخ أبي الحسين قال: كان والدي أبو الحسين يجمع قشور البطيخ التي تلقى فيجعلها في قدر، ويأخذ مغرفة ويحركها ويخرجها فنأكلها، فنجدها من أطيب الأطعمة، فلما توفي الشيخ عمد بعض ولده فعل مثل ما كان يفعل، فلم يطق أحد أن يأكلها، فقال بعضهم: القشور القشور، والقدر القدر، والمغرفة المغرفة، ولكن اليد التي كانت تحركها ليست اليد.

سمعت سيف الدين موسى بن شيخنا محمد بن راجح المقدسي يقول لي بحلب: حكى لي الفقيه يعقوب الزنكلوني، من أصحاب الشيخ عثمان بن مرزوق عن صاحب الشيخ أبي الحسين الزاهد أنه قال: سافرت أنا والشيخ أبو الحسين رحمه الله من غزة إلى عسقلان، فاشتد بنا الحر وعطشنا، فقال لي: يا فلان تجيء حتى تزرع مقثأة؟ فقلت له: مبارك، فقال: أيما أحب إليك تحفر أم تزرع؟ فقلت: أحفر والشيخ يزرع، فحفرت له جوبا كثيرة وهو يطرح في كل جوبة حصاتين من الأرض، إلى أن زرعنا شيئا كثيرا، ثم انتقلنا فاستظللنا تحت شجرة بعيدا عن الموضع، فقال لي بعد ساعة: يا فلان، أذهب فآتنا من المقثاة ببطيخ، فذهبت فلم أر شيئا، فجئت معه فأقبلنا على المقثاة فإذا هي كلها لجة خضراء، فيها من البطيخ شيء كثير كبار وصغار، فأكلنا حتى شبعنا، ثم اخذ من ذلك البطيخ فوضعه في الخرج على الدابة، وحملناه معنا إلى عسقلان، وكان قد أصاب أهل عسقلان مرض، فما أكل أحد من أهل عسقلان قطعة إلا وبرأ من ذلك المرض.

قال لي موسى: وحكت لي ستي أم الشيخ عمر زوجة الشيخ أبو عمر قالت: جاء الشيخ أبو الحسين إلينا ليلا بمردا قرية من نابلس، في وقت بارد فقعد عند جماعتنا ساعة وبين أيديهم نار يصطلون بها، ثم نهض قائما، فقالوا له: يا سيدي أين تمشي في هذا الوقت المظلم البارد؟ فقال: أنا آخذ من هذه النار وأستضيء بها، فأخذ قطعة من حطب الزيتون وهي تشتعل من تلك النار كبيرة، ووضعها في ثوبه، ثم استضاء بها فلم يحترق الثوب، وأخذها وذهب.

سمعت عمي أبا غانم رحمه الله يقول: حدثني الشيخ أبو محمد بن الحداد قال: لما نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي علي عزاز يحاصرها، جاءني الشيخ أبو الحسين الزاهد يوما من الأيام وقال: تعال حتى نحاصر عزاز ونعاون المسلمين، ثم عمل صورة قلعة من طين، وقال لي: امش حتى نزحف عليها، ثم جعل يقول: نصر من الله وفتح قريب: نصر من الله وكسر الصليب وجعل يكرر ذلك، ثم قال: ها أخذناها، أخذناها، أخذنا، ثم سكت، فوقع طائر عقيب ذلك ببطاقة يخبر بأنها فتحت في الوقت الذي كان من الشيخ أبو الحسين ما كان.

فوقي الشيخ أبو الحسين الزاهد المقدسي بحلب.

ودفن بمقابر المقام خارج باب العراق بتربة بني الحداد قبلي مقام إبراهيم عليه السلام، وقبره ظاهر يزار وتنذر عنده النذور وزرته مرارا.

أبو الحسين المالكي:

كان من شيوخ الصوفية بطرسوس وصحب خيرا النساج، روى عنه الحسين بن أحمد بن جعفر الصيرفي إنشادا ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا.

وحكى أبو القاسم القشيري عنه حكاية غير مسندة.

أخبرنا عمي أبو غانم محمد بن هبة الله قال: أخبرنا عمر بن أبي الحسن بن حموية.

وأنبأتنا زينب بنت عبد الرحمن قالا: أخبرنا أبو الفتوح الشاذياخي قال: أخبرنا أبو القاسم القشيري قال وقال أبو الحسين المالكي: كنت أصحب خير النساج سنين كثيرة، فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس قبل صلاة المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا، ولا تنس.." (١)

" ومن أبي عثمان بن ورقاء ببيت المقدس والحسن بن مكي الشيزرى بحلب وسمع بأصبهان أبا عمرو بن منده وطبقته وبنيسابور أبا بكر بن خلف وطبقته وبهراة شيخ الإسلام أبا إسماعيل وطبقته وبالبصرة أبا علي التستري وطبقته وأكب على الطلب ببغداد مدة ثم تزهد وانقطع وأقبل على شأنه روى عنه سعد الخير الأندلسي وابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري ومحمد بن أبي بكر الشيحى وأبو طاهر السلفي وأبو سعد بن البغدادي ومحمد بن علي بن فولاد وآخرون قال أبو الوقت كان شيخ الإسلام إذا رأى المؤتمن قال لا يمكن أحدا ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم ما دام هذا حيا وقال الضياء بن هبة الله سألت السلفي عن المؤتمن الساجي فقال حافظ متقن لم أر أحسن قراءة للحديث منه تفقه في صباه

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣١٧/٤

على الشيخ أبي إسحاق وكتب الشامل بخطه عن بن الصباغ ثم خرج الى الشام وسكن القدس زمانا وقال لي انه سمع من الخطيب حديثا واحدا ولم يكن عنده به نسخة انتفعت بصحبته وقال أبو نصر الفاهى أقام المؤتمن بهراة نحو عشر سنين وقرأ الكثير وكتب جامع الترمذي ست مرات وكان فيه صلف وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه قال أبو بكر السمعاني ما رأيت بالعراق من يفهم الحديث غير رجلين المؤتمن ببغداد وإسماعيل التيمى بأصبهان وقال يحيى بن منده قدم الساجي وسمع من أبي كتاب معرفة الصحابة وكتاب التوحيد والأمالي وحديث بن عيينة لجدى فلما أخذ في قراءة غرائب شعبة وبلغ الى حديث عمر في لبس الحرير كان الوالد في حال الانتقال الى الله وقضى نحبه عند انتهاء ذلك بعد العشاء الآخرة هذا ما رأينا ثم قدم بن طاهر وقرأنا عليه جزءا من مجموعاته فيه سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون إنما تمم الساجي كتاب معرفة الصحابة على أبي عمرو بعد موته وذلك انه كان يقرأ عليه وهو في النزع ومات وهو يقرأ وكان يصاح به تريد ان تغسل الشيخ فلما سمعت هذه الحكاية قلت ما جرى ذلك يجب ان يصلح هذا فإنه كذب وأما قراءة معرفة الصحابة فكان قبل موت الوالد بشهرين وكان المؤتمن والله ورعا زاهدا صابرا على الفقر رحمه الله تعالى قال بن ناصر سألت المؤتمن عن مولده فقال في صفر سنة خمس وأربعين وأربع مائة وتوفى في صفر سنة سبع وخمس مائة وصليت عليه وكان عالما فهما ثقة مأمونا سمعت أبا الحسين اليونينى انا جعفر انا السلفي سمعت المؤتمن الساجي يقول ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني احفظ من أبي بكر الخطيب وسمعت المؤتمن يقول كان أبو بكر يعنى الخطيب يقول من صنف فقد جعل عقله في طبق يعرضه على الناس ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٩ """""""

بخطي : ما يحتفظ به من المهمات رقعة بخط الخليفة ، أطال الله بقاءه ، إلي يشكو فيها أفعالك وقتا بعد وقت ، وفتحك البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة ، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج . فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحه فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكي من مضمونها . فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها ، فاغتاظ المقتدر بالله علي ابن الفرات ، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط ، فعاد وأقامه بين الهنبازين وضربه خمس درر وقال له : أذعن يا هذا بالمال ، فكتب له خطه بعشرين ألف دينار . وأخرج المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يعف بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء

---

(١) تذكرة الحفاظ، ١٢٤٧/٤

قوم قد استقتلوا وما ينقادون ولا يذعنون . فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع نازوك المكاره بالمحسن حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يعط شيئا ، ولا صح للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقر بها الحسن بن شبيب العتي تبرعا ، وواجه المحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذي **كان والدي** أسنده إلي وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويفرق في أهله . ومنها ألف دينار اجتمعت من ثمن فرش وثياب صحاح ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرت بها دنانير ورهبان جاريتا زوجة المحسن ، فإنهما كانتا ممن قبض عليهما وضربهما ابن بعد شر ضربا مبرحا فلم تقرا بغير ذلك . واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي ؟ فقال : لم أترك تدبير أمرهما ، ولما رأيا أن قد سلما إلى أصحاب السيوف وعدل بهما عن الكتاب خافا القتل وضنا بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية ، وللمحسن أيام لم يطعم فيها طعاما ، وإنما يشرب الماء شربا قليلا ، وهو في أكثر أوقاته مغشي عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فليحملا إلى داري . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخاقاني : قد وفق الله رأي أمير المؤمنين . وخرجوا من بين يديه . فقال الخاقاني لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٠ """""""

أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حمل وابنه إلى داره ورفها وأمنا على نفوسهما أديا مالا كثيرا . ولعلهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر . وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نقل ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة خلعوا الطاعة ، وأن يثبتوا على هذا القول ثبات التظافر وقوة العزيمة ، وإلا فإن حصل ابن الفرات عند السلطان وأدى ماله وتوثق لنفسه ضمن الجاعة منه ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسنا ولم يصف عيشنا . وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحجرية وموافقتهم على ذلك . وقام يلبق باستحلاف قواد مؤنس . فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقتدر بالله وقالوا : إن لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء كلهم الطاعة . فقال لهم : دعوني حتى أفكر . وجد هارون بن غريب خاصة . وأرادت الجماعة من الخاقاني التجريد في ذلك فقال : ما أدخل في دم . والذي أشرت به أن يمنع من حمله إلى دار

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص/٤٩

السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتل على الملوك ضروا عليه ، ولم يميزوا فيه . وقدم إلى ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقت الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أفطر الليلة . واجتهد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول في غد لا محالة . فقيل له : نعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيت البارحة في النوم أبا العباس أخي وقال لي : أنت تفطر عندنا يوم الاثنين الذي هو غد . وما قال لي في النوم شيئا إلا صح ، وغد يوم الاثنين ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن صلوات الله عليه . أنفهم ، فقال له مؤنس : هب لك عذرا في كل شيء ، أي عذر لك في إخراجي إلى الرقة حتى كأني من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين ؟ قال : فأنا أخرجتك ؟ فقال : فمن ؟ قال : مولاك . في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي : ما يحتفظ به من المهمات رقعة بخط الخليفة ، أطال الله بقاءه ، إلي يشكو فيها أفعالك وقتا بعد وقت ، وفتحك البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة ، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج . فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحه فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكي من مضمونها . فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها ، فاغتاظ المقتدر بالله علي ابن الفرات ، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط ، فعاد وأقامه بين الهنبازين وضربه خمس درر وقال له : أذعن يا هذا بالمال ، فكتب له خطه بعشرين ألف دينار . وأخرج المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يعف بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم قد استقتلوا وما ينقادون ولا يذعنون . فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع نازوك المكاره بالمحسن حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يعط شيئا ، ولا صح للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقر بها الحسن بن شبيب العتي تبرعا ، وواجه المحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذي **كان والدي** أسنده إلي وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويفرق في أهله . ومنها ألف دينار اجتمعت من ثمن فرش وثياب صحاح ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرت بها دنانير ورهبان جاريتا زوجة المحسن ، فإنهما كانتا ممن قبض عليهما وضربهما ابن بعد شر ضربا مبرحا فلم تقرا بغير ذلك . واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي ؟ فقال : لم أترك تدبير أمرهما ، ولما رأيا أن قد سلما إلى أصحاب السيوف وعدل بهما عن الكتاب خافا القتل وضنا بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية ، وللمحسن أيام لم يطعم فيها طعاما ، وإنما يشرب الماء شربا

قليلا ، وهو في أكثر أوقاته مغشي عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فليحملا إلى داري . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخاقاني : قد وفق الله رأي أمير المؤمنين . وخرجوا من بين يديه . فقال الخاقاني لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حمل وابنه إلى داره ورفها وأمنا على نفوسهما أديا مالا كثيرا . ولعلهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر . وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نقل ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة خلعوا الطاعة ، وأن يثبتوا على هذا القول ثبات التظافر وقوة العزيمة ، وإلا فإن حصل ابن الفرات عند السلطان وأدى ماله وتوثق لنفسه ضمن الجاعة منه ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسنا ولم يصف عيشنا . وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحجرية وموافقتهم على ذلك . وقام يلبق باستحلاف قواد مؤنس . فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقتدر بالله وقالوا : إن لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء كلهم الطاعة . فقال لهم : دعوني حتى أفكر . وجد هارون بن غريب خاصة . وأرادت الجماعة من الخاقاني التجريد في ذلك فقال : ما أدخل في دم . والذي أشرت به أن يمنع من حمله إلى دار السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتل على الملوك ضروا عليه ، ولم يميزوا فيه . وقدم إلى ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقت الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أفطر الليلة . واجتهد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول في غد لا محالة . فقيل له : نعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيت البارحة في النوم أبا العباس أخي وقال لي : أنت تفطر عندنا يوم الاثنين الذي هو غد . وما قال لي في النوم شيئا إلا صح ، وغد يوم الاثنين ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن صلوات الله عليه . وانحدر الناس في يوم الاثنين إلى دار السلطان فلم يصلوا ، وكتب هؤلاء الرؤساء إلى المقتدر بالله رقعة بأنه إن تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن يومهم جرى ما لا يتلافى . وأشاروا إلى ما عظموا الأمر فيه . فوقع إلى نازوك بأن يركب إلى موضعهما ويضرب أعناقهما ويحمل رأسيهما . فقال نازوك : هذا أمر لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر بالله الأستاذين الخدم بأداء رسالة عنه إليه في هذا المعنى ، فخرجوا وأدوها ، فامتنع وقال : لا بد من المشافهة بذلك ، فأمر بأن ينصرف ويعود على خلوة ، فمضى وعاد ، فأوصله المقتدر بالله حتى سمع قوله . وكان ابن الفرات يراعي الخبر ، فلما عرف انصراف الناس ونازوك سكن قليلا ثم قيل." (١)

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص/٥٠

"قال ابن الفرضي: كان حافظا للرأي، معتنيا بالآثار، جامعا للسنن، متصرفا في علم الإعراب ومعاني الشعر، شاعرا مطبوعا.

مات في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

٢٤٥ – محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام العلامة محب الدين بن الشيخ جمال الدين، النحوي بن النحوي

ولد سنة خمسين وسبعمائة، وكان أوحد عصره في تحقيق النحو، سمعت شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني يقول: **كان والدي** يقول: هو أنحى من أبيه. قرأ على والده وغيره، وسمع الحديث على الميدومي والقلانسي، وأجاز له التقي السبكي، والعز ابن جماعة، والبهاء بن عقيل، والجمال الإسنوي وغيرهم. روى عنه الحافظ بن حجر.

مات في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة.

٢٤٦ – محمد بن عبد الله الضرير المروزي، أبو الخير النحوي

قال ياقوت: كان فقيها فاضلا، أديبا لغويا، تفقه على القفال، وبرع في الفقه واشتهر بالنحو واللغة والأدب، وصنف فيها.

قال السمعاني [في كتاب مرو]: وكان من أصحاب الرأي، فصار من أصحاب الحديث لحصبة الإمام أبي بكر القفال. سمع الحديث منه، ومن أبي نصر المحمودي. روى عنه القاضي أبو منصور السمعاني، وكان إذا دخل في داره يقرأ عليه الفقهاء الأدب، والباب مردود، فإذا جاز عليه القفال راكبا، سمع صوت حافر فرسه على الأرض، فقام إلى داخل الدار، لئلا يسمع الصوت [والصوت] تعظيما للأستاذ.

مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

ومن شعره:

تنافى المال والعقل

فما بينهما شكل

هما كالورد والنر

جس لا يحويهما فصل

كعقل حيث لا مال

ومال حيث لا عقل

٢٤٧ - محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله الأديب اللغوي." [١]

"وقال القاضي أبو الحسين: أقرأ بضعا وستين سنة، ولقن أمما. وهذا موافق لما قاله أبو نصر. وهذا أمر مشهور عن أبي منصور، فيكون جميع من ختم عليه القرآن سبعين نفسا. وهذا باطل قطعا. ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفسا. وإنما كان الشيخ أبو منصور يقرىء هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير.

قال ابن الجوزي: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين. كان له ورد بين العشاءين، يقرأ فيه سبعا من القرآن قائما وقاعدا، حتى طعن في السن.

وقال ابن ناصر عنه: كان شيخا صالحا، زاهدا، صائما أكثر وقته، ذا كرامات ظهرت له بعد موته.

قال أبو الحسين: **كان الوالد** السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم بمسجده ويصلي خلفه.

قال عبد الوهاب الأنماطي: توفي الشيخ الزاهد أبو منصور، في يوم الأربعاء، وقت الظهر، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. وصلى عليه يوم الخميس في جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله. كان الجمع كثيرا جدا. وعبر به إلى جامع المنصور، فصلي عليه أيضا، وحضرت ذلك. وكان الجمع وافرا عظيما. وكانت الصلاة عليه في داخل المقصورة عند القبلة. ومضيت معه إلى باب حرب. ودفن - في الدكة بجنب الشيخ أبي الوفاء بن قواس.

وقال ابن الجوزي: مات وسنه سبع وتسعون سنة، ممتعا بسمعه وبصره وعقله. وحضر جنازته ما لا يحد من الناس، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون: ما رأينا جمعا قط هكذا، لا جمع ابن القزويني، ولا جمع ابن الفراء، ولا جمع الشريف أبي جعفر. وهذه الجموع التي تناهت إليها الكثرة وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش، فلم يقدر أحد من نقاد الباعة في ذلك الأسبوع على تحصيل نقده.

وقال أبو منصور بن خيرون: ما رأيت مثل يوم صلي على أبي منصور الخياط، من كثرة الخلق والتبرك

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١/١١٠

بالجنازة.

وقال السلفي: ذكر لي المؤتمن في ثاني جمعة من وفاة الشيخ أبي منصور: أن اليوم ختموا على رأس قبره مائتي وإحدى وعشرين ختمة.

قال السلفي: وقال لي علي بن محمد بن الأيسر العكبري - وكان رجلا صالحا - : حضرت جنازة الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف، وأبي تمام بن أبي موسى القاضي، فلم أر قط خلقا أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبي منصور. قال: واستقبلنا يهودي فرأى كثرة الزحام والخلق، فقال: أشهد أن هذا الدين هو الحق، وأسلم.

وذكر ابن السمعاني: سمعت أبا حفص عمر بن المبارك بن سهلان، سمعت الحسين بن خسرو البلخي، قال: رئي الشيخ أبو منصور الخياط في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب.

قرأت على أبي حفص عمر بن حسن المزي: أخبركم إسماعيل بن عبد الرحمن الفراء أنبأنا الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي قال: قرأت على أبي عبد الله مظفر بن أبي نصر البواب، وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد، قلت لهما: حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر قال: كنت أسمع الفقهاء في النظامية يقولون: في القرآن معنى قائم بالذات، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات، فحصل في قلبي شيء من ذلك حتى صرت أقول بقولهم موافقة. وكنت إذا صليت أدعو الله تعالى أن يوفقني لأحب المذاهب والاعتقادات إليه، وبقيت على ذلك مدة طويلة أقول: اللهم وفقني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك.." [١]

"وسمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن الحسن بن النحاس، يقول: **كان والدي** يحب الشيخ أبا عمر، فقال لي يوم جمعة: أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ، ومذهبي أن " بسم الله الرحمن الرحيم " من الفاتحة، ومذهبه أنها ليست من الفاتحة، وأخاف أن يكون في صلاتي شيء، فمضينا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ، فسلم على والدي وعانقه، ثم قال: يا أخي، صل وأنت طيب القلب فإنني ما تركت " بسم الله الرحمن الرحيم " في نافلة، لا فريضة منذ أممت بالناس فالتفت إلي والدي وقال: احفظ.

وكان بعض الناس يرسل إلى الشيخ في كل سنة شيئا فيقبله، فأرسل إليه مرة دينارين فردهما فتألم، ثم فكر فيهما، فوجدهما من جهة غير طيبة. قال: فبعث إليه غيرهما، فقبلهما.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/٣٩

قال الضياء: وسمعت أحمد بن عبد الملك بن عثمان، قال: جاء رجلان إلى الشيخ أبي عمر، فقالا له: إن قراحا قد أخذ فلانا وحبسه، فادع عليه، فباتا عند الشيخ، فلما كان من الغد قال: قضيت الحاجة، وإذا جنازة قراح عابرة، وأطال الضياء ترجمة الشيخ أبي عمر. وكذلك أبو المظفر سبط ابن الجوزي في المرآة. وقال: كان معتدل القامة، حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، لا يزال مبتسما، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام.

قال: وكان إذا نزل من الجبل لزيارة القبور – أو غير ذلك – جمع الشيح من الجبل وربطه بحبل، وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدراهم والدقيق، ولا يعرفونه. قال: ما نهر أحدا. ولا أوجع قلب أحد. وكان يقول: أنا زاهد. ولكن في الحرام.

ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو وأخوه الموفق والجماعة في خيمة، فجاء العادل إلى زيارته وهو في الصلاة، فما قطعها ولا التفت إليه ولا ترك ورده.

وكان يصعد المنبر في الجبل، وعليه ثوب خام مهدول الجيب، وفي يده عصا والمنبر يومئذ ثلاث مراق.

وكان يجاهد في سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين.

وكان أخوه الموفق يقول عنه: هو شيخنا، ربانا وأحسن إلينا، وعلمنا وحرص علينا، وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم، ومن غاب منهم خلفه في أهله. قال: وكان أبو أحمد قد تخلى عن أمور الدنيا وهمومها، فكان المرجع في مصالح الأهل إليه، وهو الذي هاجر بنا، وسفرنا إلى بغداد، وبنى الدير. فلما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا. وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته. وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه الله تعالى.

قال أبو المظفر: وكراماته كثيرة، وفضائله غزيرة، فمنها: أني صليت يوم جمعة بجامع الجبل في أول سنة ست وستمائة، والشيخ عبد الله اليونيني إلى جانبي، فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مسرعا، وصعد إلى مغارة قريبة وكان نازلا بها، فظننت أنه احتاج إلى الوضوء، أو آلمه شيء. فلما صليت الجمعة صعدت وراءه، وقلت له: خير، ما الذي أصابك. فقال: هذا أبو عمر، ما تحل خلفه صلاة، قلمت، ولم؟ قال: لأنه يقول على المنبر ما لا يصلح. قلت: وما الذي يقول؟ قال: قال الملك العادل وهو ظالم فما يصدق وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة: اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب، فقلت له: إذا كانت الصلاة خلف أبي عمر لا تصح، فيا ليت شعري خلف من تصح؟ وبينا نحن في الحديث، وإذا بالشيخ أبي عمر قد دخل ومعه مئزر، فسلم وحل المئزر، وفيه رغيف

وخياراتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله، الصلاة. ثم قال ابتداء: قد جاء في الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ولدت في زمن الملك العادل كسرى " فنظر إلى الشيخ عبد الله: وتبسم، ومد يده فأكل. وقام أبو عمر فنزل. فقال الشيخ عبد الله: ماذا إلا رجل صالح.

قال أبو المظفر: وقلت له يوما: أول ما قدمت الشام ماكان يرد أحدا في شفاعته إلى من ك١ن، وقد كتب ورقة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل. وقال فيها: إلى الولد الملك المعظم، فقلت له: كيف تكتب هذا والملك المعظم على الحقيقة هو الله تعالى؟ فتبسم ورمى بالورقة، وقال: تأملها. وإذا به لما كتب " الملك المعظم "كسر الظاء، فصار المعظم، وقال: لا بد أن يكون يوما قد عظم الله تعالى، فعجبت من ورعه وتحفظه في منطقه عن مثل هذا.." [(١)]

"وقال ولده قطب الدين موسى: كان واللي يقبل بر الملوك، ويقو!: أنا لي في بيت المال أكثر من هذا، ولا يقبل من الأمراء ولا الوزراء شيئا، إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه. ويرسل إليهم شيئا من ذلك، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء.

وذكر أنه أثرى وكثر ماله، وأن الأشرف كتب له كتابا بقرية يونين. فأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة. فلما شعر الشيخ بذلك أخذ الكتاب ومزقه. وقال: أنا في غنية عن ذلك.

قال: وكان والدي لا يقبل شيئا من الصدقة. ويزعم أنه من فرية جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم.

قال: وكان قبل ذلك فقيرا لا مال له.

وكان للشيخ عبد الله زوجه لها ابنة جميلة. فكان الشيخ عبد الله يقول لها: زوجيها من الشيخ محمد، فتقول له: إنه فقير، وأنا أحب أن تكون ابنتي سعيدة. فيقول: كأني أراه وإياها في دار، وفيها بركة، وله رزق كثير، والملوك يترددون إلى زيارته. فزوجتها منه. فكان الأمر كذلك. وكانت أول زوجاته. وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه. بنو العادل وغيرهم. وكذلك مشايخ العلماء، كابن الصلاح، وابن عبد السلام، وابن الحاجب، والحصري. والقضاة، كابن سناء الدولة، وابن الجوزي، وغيرهم.

وكان الناس ينتفعون بعلومه وفنونه، ويتلقون عنه الطريق الحسنة.

وكان عظيم الهيبة، منور الشيبة، مليح الصورة، ضخما، حسن السمت والوقار.

وكان يلبس قبعا صوفه إلى الخارج، على طريقة شيخه الشيخ عبد الله. وكان كثير الاقتداء به، والطاعة له.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/٢٠٥

حكى مرة: أنه كان قد عزم على الرحلة إلى حران، قال: وكان قد بلغني أن بها رجلا يعرف علم الفرائض جيدا. فلما كانت الليلة التي أريد في صبحتها أن أسافر: جاءتني رسالة الشيخ عبد الله اليونيني. فعزم على إلى القدس الشريف. فكأني كرهت ذلك، وفتحت المصحف، فطلع قوله تعالى: " اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون " " يس: ٢١ " ، فال: فخرجت معه إلى القدس. فوجدت ذلك الحراني بالقدس. فأخذت عنه علم الفرائض، حتى خيل إلي أني قد صرت أبرع منه فيه.

وقد وقع بين الشيخ وبين أبي شامة الشافعي منازعة في الكلام على حديث الإسراء.

وصنف كل منهما في ذلك شيئا. وحدث الشيخ بالكثير.

وروى عنه ابناه: أبو الحسين الحافظ، والقطب المؤرخ، وأبو عبد الله بن الفتح، وإبراهيم بن حاتم البعلي الزاهد، ومحمد بن المحب، وأبو عبد الله بن الزراد وإبراهيم بن القرشية البعلي، خاتمة أصحابه بالسماع. وبالإجازة: زينب بنت الكمال، وغيرها.

وتوفي ليلة تاسع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ببعلبك. ودفن عند شيخه عبد الله اليونيني رحمة الله عليهما.

حسن بن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، الصالحي الفقيه، شرف الدين، أو محمد بن الحافظ أبي موسى بن الحافظ أبي محمد: ولد سنة خمس وستماءئة. وسمع الكثير من أبي اليمن الكندي، وجماعة بعده.

وتفقه على الشيخ الموفق، وبرع وأفتى، وعرس بالجوزية مدة.

قال أبو شامة: كان رجلا خيرا.

توفي ليلة ثامن المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة بدمشق. ودفن بالجبل.

وفي رابع عشر رجب من السنة: توفي الشيخ الصالح أبو العباس: -

أحمد بن أبي الثناء حامد بن أحمد بن حمد بن حامد بن مفرح بن غياث الأنصاري الأرتاحي، المصري المقرئ الحنبلي، بمصر. ودفن بسفح المقطم: ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

وقرأ بالروايات على والده. وسمع ممن جده لأمه أبي عبد الله محمد بن أحمد الأرتاحي، والبوصيري، وإسماعيل بن ياسين، وأبي الحسن بن نجا، والحافظ عبد الغني ولازمه. وأكثر عنه. وكتب عنه بعض تصانيفه. وتصدر بالجامع العتيق. وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة. وكان خيرا صالحا. وأبوه: -

أبو الثناء قرأ: بالروايات على أبي الجود وغيره. وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن الحسين البرمكي،

وبمكة من المبارك بن الطباخ. وتصدر للإقراء بالجامع العتيق وغيره. وحدث وأفاد، وانتفع به جماعة.
قرأ عليه بالسبع: الحافظ المنذري وغيره. وكان حسن الأداء والصوت ذا مروءة وتفقد لإخوانه.
توفي في صفر سنة اثني عشرة وستمائة بمصر.
وكان مولده سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.." (١)

"قال ابن النجار: هكذا رأيته بخطأبي نصر اليونارتي الحافظ. وقد زعم بعض الناس أن هذا مستحيل، وأنه من سبق القلم. وإنما أراد: سبعين نفسا. وهذا كلام ساقط فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير في السنين الطويلة.
قال ابن الجوزي: أقرأ السنين الطويلة. وختم عليه القرآن ألوف من الناس.
وقال القاضي أبو الحسين: أقرأ بضعا وستين سنة، ولقن أمما. وهذا موافق لما قاله أبو نصر. وهذا أمر مشهور عن أبي منصور، فيكون جميع من ختم عليه القرآن سبعين نفسا. وهذا باطل قطعا. ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفسا. وإنما كان الشيخ أبو منصور يقرىء هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير.
قال ابن الجوزي: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين. كان له ورد بين العشاءين، يقرأ فيه سبعا من القرآن قائما وقاعدا، حتى طعن في السن.
وقال ابن ناصر عنه: كان شيخا صالحا، زاهدا، صائما أكثر وقته، ذا كرامات ظهرت له بعد موته.
قال أبو الحسين: كان الوالد السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم بمسجده ويصلي خلفه.
قال عبد الوهاب الأنماطي: توفي الشيخ الزاهد أبو منصور، في يوم الأربعاء، وقت الظهر، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. وصلى عليه يوم الخميس في جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله. كان الجمع كثيرا جدا. وعبر به إلى جامع المنصور، فصلي عليه أيضا، وحضرت ذلك. وكان الجمع وافرا عظيما. وكانت الصلاة عليه في داخل المقصورة عند القبلة. ومضيت معه إلى باب حرب. ودفن- في الدكة بجنب الشيخ أبي الوفاء بن قواس.." (٢)

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/٢٩٣

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ١/٨٥

"وذكر بعضهم، قال: جئنا مرة إلى عنده، ونحن ثلاثة أنفس جياع، فقدم إلينا سكرجة فيها لبن، وكسيرات، فأكلنا وشبعنا، وأنا أنظر إليها، كأنها لم تنقص.

قال الضياء: وسمعت الإمام محمد بن أبي بكر بن عمر يقول: دعاني الشيخ مرة، وكنت أخاف من ضرر الأكل، فابتدأني وقال: إذا قرأ الإنسان فبل الأكل "شهد الله أنه لا إله إلا هو" "آل عمران: ١٨"، و "لإيلاف قريش" "قريش: ١"، ثم أكل، فإنه لا يضره.

وسمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن الحسن بن النحاس، يقول: **كان والدي** يحب الشيخ أبا عمر، فقال لي يوم جمعة: أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ، ومذهبي أن "بسم الله الرحمن الرحيم" من الفاتحة، ومذهبه أنها ليست من الفاتحة، وأخاف أن يكون في صلاتي شيء، فمضينا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ، فسلم على والدي وعانقه، ثم قال: يا أخي، صل وأنت طيب القلب فإنني ما تركت "بسم الله الرحمن الرحيم" في نافلة، لا فريضة منذ أممت بالناس فالتفت إلي والدي وقال: احفظ.

وكان بعض الناس يرسل إلى الشيخ في كل سنة شيئا فيقبله، فأرسل إليه مرة دينارين فردهما فتألم، ثم فكر فيهما، فوجدهما من جهة غير طيبة. قال: فبعث إليه غيرهما، فقبلهما.

قال الضياء: وسمعت أحمد بن عبد الملك بن عثمان، قال: جاء رجلان إلى الشيخ أبي عمر، فقالا له: إن قراحا قد أخذ فلانا وحبسه، فادع عليه، فباتا عند الشيخ، فلما كان من الغد قال: قضيت الحاجة، وإذا جنازة قراح عابرة، وأطال الضياء ترجمة الشيخ أبي عمر. وكذلك أبو المظفر سبط ابن الجوزي في المرآة. وقال: كان معتدل القامة، حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، لا يزال مبتسما، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام.

قال: وكان إذا نزل من الجبل لزيارة القبور- أو غير ذلك- جمع الشيح من الجبل وربطه بحبل، وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدراهم والدقيق، ولا يعرفونه. قال: ما نهر أحدا. ولا أوجع قلب أحد. وكان يقول: أنا زاهد. ولكن في الحرام.." (١)

"فذكروا مسألة القتل بالمثقل، وجرى ذكر حديث "الجارية التي قتلها اليهودي، فرض رأسها بين حجرين، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله"، فقال الملك الكامل: إنه لم يعترف. فقال الشيخ الفقيه: في صحيح مسلم "فاعترف" فقال الكامل: أنا اختصرت صحيح مسلم، ولم أجد هذا فيه. فقال: بلى، فأرسل الكامل، فأحضر اختصاره لمسلم في خمس مجلدات. فأخذ الكامل مجلدا، والأشرف آخر،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ٢/ ١٠

وعماد الدين بن موسك آخر. وأخذ الشيخ الفقيه مجلدا، فأول ما فتحه: وجد الحديث، كما قال، فتعجب الكامل من سرعة استحضاره، وسرعة كشفه. وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية. فأرسله الأشرف سريعا إلى بعلبك. فقال للكامل: إنه لا يؤثر ببعلبك شيئا. فأرسل الكامل إليه ذهبا كثيرا.

وقال ولده قطب الدين موسى: كان واللي يقبل بر الملوك، ويقو!: أنا لي في بيت المال أكثر من هذا، ولا يقبل من الأمراء ولا الوزراء شيئا، إلا أن يكون هدية م أكول ونحوه. ويرسل إليهم شيئا من ذلك، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء.

وذكر أنه أثرى وكثر ماله، وأن الأشرف كتب له كتابا بقرية يونين. فأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة. فلما شعر الشيخ بذلك أخذ الكتاب ومزقه. وقال: أنا في غنية عن ذلك.

قال: وكان والدي لا يقبل شيئا من الصدقة. ويزعم أنه من فرية جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم.

قال: وكان قبل ذلك فقيرا لا مال له.." (١)

"الضخم في يوم أو ليلة ويقال أنه قرأ الأحياء في عشرة أيام وهذا أمر عجيب بالنسبة إلى أهل هذا الزمن وإنه كان حكى عن بعض الحفاظ ما هو أعظم من هذا فقد قرأ مجد الدين الفيروزابادي صحيح مسلم في ثلاثة أيام وذكر القسطلاني أنه قرأ البخاري في خمسة مجالس وبعض مجلس وذكر الذهبي أن الحافظ أبا بكر الخطيب قرأ البخاري في ثلاثة مجالس قال وهذا شيء لا أعلم أحدا في زماننا يستطيعه والذي في ترجمته أنه قرأه في خمسة أيام وأظنه الصواب انتهى وذكر السخاوي أن شيخه الحافظ ابن حجر قرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس وصحيح مسلم في أربعة مجالس وكتاب النساى الكبير في عشرة مجالس كل مجلس نحو أربع ساعات ومجمع الطبراني الصغير في مجلس واحد بين الظهر والعصر وهذا أسرع ما وقع له وفي تاريخ الخطيب أن اسماعيل ابن أحمد النيسابوري قرأ البخاري في ثلاثة مجالس يبتدى من المغرب ويقطع القراءة وقت الفجر ومن الضحى إلى المغرب والثالث من المغرب إلى الفجر وحكى أن حافظ المغرب العبدوسي قرأ البخاري بلفظه أيام الأستسقاء في يوم واحد قال وكان الوالد يجمع جماعة يسبحون ألف تسبيحة يهديها لبعض الأموات ويهللون سبعين ألف تهليلة يهديها لبعضهم وكان أهل تريم يعتنون بهذا ويوصى بعضهم بمال لذلك وكان هو المتصدي لذلك والقائم به وهذا المذكور تداوله الصوفية قديماوحديثا وأوصى بعضهم بالمحافظة عليه وذكروا أن الله تعالى يعتق به رقبة من أهدى له وأنه ورد في الحديث وذكر

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ٢/٢٠٥

الأمام الرافعي أن شابا كان من أهل الكشف ماتت أمه فبكى وصاح فسئل عن ذلك فقال أن أمي ذهبوا بها إلى النار وكان بعض الأخوان حاضرا فقال اللهم أني قد هللت سبعين ألف تهليلة وإني أشهدك أني قد أهديتها لأم هذا الشاب فقال أخرجوا أمي من النار وأدخلوها الجنة قال المهدي المذكور فحصل لي صدق الخبر وصدق كشف الشاب ولكن قال ابن حجران الخبر المذكور وهو من قال لا إله إلا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من النار باطل موضوع قال الحافظ النجم الغيطى لكن ينبغي للشخص أن يفعل ذلك اقتداء بالسادة الصوفية وامتثالا لأقوال من أوصى به وتبركا بأفعالهم وقد ذكره الولي العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عراق في بعض رسائله قال وكان شيخه يأمر به وأن بعض أخوانه يهلل السبعين ألف ما بين الفجر وطلوع الشمس قال وهذه كرامة من الله تعالى وأما التسبيح فله أصل فقد أخرج الطبراني في الأوسط والخرائطي عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله قال النجم الغيطى وهذه فائدة عظيمة فينبغي أن يحافظ عليها قال **وكان الوالد** له اعتناء تام بالذكر لا سيما قراءة القرآن وكان يتهجد ويصلي الوتر مع مقدمته كل ليلة ثلاث عشرة ركعة وكان يحث أصحابه على التهجد وكا يقول تعود القيام آخر الليل ولو أنك تلعب وكان يعسر عليه الصوم فلا يصوم إلا رمضان وربما صام ستا من شوال قال بعض العلماء وما كان ذلك إلا لحدة ذهنه فكان لا يطيق الصوم وكان يجتزى باليسير من الغذاء ومن الملبس ومن الملاذ الدنيوية كثير التقشف طارحا للتكلف كثير الأحتمال وكان يؤثر العزلة على الأجتماع وكان كثير الشفقة على أصحابه كثير الأعتناء بأقاربه مبالغا في تعظيم العلماء والأولياء وكان يكره المدح في المراسلات والمكاتبات وكان لا يحب إظهار الكرامات ويتأذى من خرق العادات وكان إذا دعالا حد بشيء استجاب الله دعاءه وإذا توسل به أحد ممن يعتقده إلى الله تعالى حصل له مراده وما عاداه أحد إلا رجع وأعتذر إليه وما مكر به أحد إلا رجع مكره عليه قال ولده ومما وقع لي معه أني كنت أرى أنه يطلع على ما يصدر مني حال غيبتي عنه فإذا اشتغلت بطاعة قابلني بوجه مسرور وإذا اشتغلت بلعب قابلني بضد المذكور ولما شاورته في السفر إلى الهند قال أرى أن المدة قرب انقضاؤها وكنت أود أنك تحضر وفاتي فقلت أتخلف عن السفر فقال سافر فأنت في وديعة الله تعالى وما أراده سيكون وكان الأمر كما ذكر فكان انتقاله لخمس بقين من صفر سنة ثلاث وخمسين وألف وقبض وهو جالس محتب بالحبوة في دهليز داره التي بالقرب من مسجد بني علوي

من غير مرض ظاهر بل كان يشتكي صدره فقال له بعض أصحابه ممن له اعتناء بالطب دواك كذا وكذا فقال له هذا داء عضال مشعر بالأرتحال وانتقل قبل العصر وشكوا." (١)

"الحكيم داود بن عمر البصير أنطاكي نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رأس الأطباء في زمانه وشيخ العلوم الحكمية وأعجوبة الدهر ذكره أبو المعالي الطالوى في سانحانه وأطال في توصيفه ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فأخبر أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض ولم يكن له بعد الولادة بعارض قال ثم إني بلغت من السن عدد سيارة النجوم وأنا لا أقدر على أن أنهض ولا أقوم لعارض ريح تحكم في الأعصاب منع قوائمي من حركة الانتصاب **وكان والدي** رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين وبنى فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب لها في كل صباح من الطعام ما يحمله إليها بعض الخدام وكنت أحمل في كل يوم إلى صحن الرباط فأقيم فيه سحابة يومي ويعاد بي إلى منزل والدي عند نومي وكنت إذ ذاك قد حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقيف اللسان وأنا لا أفتر في تلك الحال عن مناجاة قيم العالم في سرى ومبدع الكل فيما إليه تؤول عاقبة أمري فبينا أنا كذلك إذ برجل جاء من أقصى المدينة يسعى كأنه ينشد ضالة أو أضل المسعى فنزل من الرباط بساحته ونضى فيه أثواب سياحته فإذا هو من أفاضل العجم ذو قدر منيف يدعى بمحمد شريف فبعد أن ألقى فيه عصا التسيار وكان لا يألف منزلا كالقمر السيار استأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه وابتدأ في بعض العلوم الإلهية فكنت أسابقه إليه فلما رأى ما رأى مني استخبر ممن هنالك عني فأجبته ولم يك غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لي دهنا مسدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي إلى قدمي حتى كدت أفقد عن الحس وتكرر منه ذلك مرارا من غير فاصل فمشت الحرارة الغريزية في كالحميا في المفاصل فبعدها شد من وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الأحد بنفسي لا بمعونة أحد ودخلت المنزل على والدي فلم يتمالك سرورا وانقلب إلى أهله فرحا مسرورا فضمني إلى صدره وسألني عن حالي فحدثته بحقيقة ما جرى لي فمشى من وقته إلى الأستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزل عطيته فقبل منه وشكره واستعفاه بره وقال إنما فعلت ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعداديه لقبول ما يلقى إليه من العلوم الحقيقية فابتدأت عليه بقراءة المنطق ثم أتبعته بالرياضي فلما تم شرعت في الطبيعي فلما أكملت اشرأبت نفسي لتعلم اللغة الفارسية فقال يا بني إنها سهلة لكل أحد ولكني أفيدك اللغة اليونانية فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها أحدا غيري فأخذتها عنه وأنا بحمد الله الآن فيها كهو إذ ذاك ثم ما

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٦/١

برح أن سار كالبدر يطوى المنازل لدياره وانقطعت عني بعد ذلك سيارة أخباره ثم جرت الأقدار بما جرت وخلت الديار من أهلها وأقفرت بتنكرها علي لانتقال والدي واعتقال ما أحرزته من طريفي وتالدى فكان ذلك داعية المهاجره لديار مصر والقاهره فخرجت عن الوطن في رفقة كرام نؤم بعض المدن من سواحل الشام حتى إذا صرت في بعض ثغورها المحميه دعتني همة علية أو علويه أن أصعد منه جبل عامله قصعدته منصوبا على المدح وكنت عامله وأخذت عم مشايخها ما أخذت وبحثت مع فضلائها فيما بحثت ثم ساقتني العناية الإلهية إلى أني دخلت حمى دمشق المحمية فاجتمعت ببعض علمائها من مشايخ الإسلام كأبي الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام وكشمس علومها البدر الغزى العامري ذلك الإمام والشيخ علاء الدين العمادي ثم لم ألبث أن هبطت مصر هبوط آدم من الجنه لما وجدتها كما قال أبو الطيب ملاعب جنه فكأنها مغاني الشعب وأنا المعنى فيها بقوله

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبوقيناتهم الحسان لحى شيب القذال ترى نفرة أحدهم عن كمالهم السرمد نفرة الظلام رأى الظلام فجود ثم تمثل بقول القائل

ما مقامي بأرض نحلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الل ... ه غريب كصالح في ثمود." (١)

"صنع الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن عبد الرحمن المحيي الدمشقي الحنفي عمي شقيق والدي وكان لي **مكان والدي** فإن أبي سافر إلى بلاد الروم وعمري إحدى عشرة سنة فتقيد بي ورباني وأقدمني على الطلب وجعل أهم أمره أمري وكان جزاه الله تعالى عني خيرا برا بي شفوقا علي مريدا لي كل خير عاجل وآجل وما عاهدت منه لحظة ما إساءة أو مقتا بل كان رحمه الله تعالى يألم لما آلم منه وينشرح لما أنشرح له بل يغضب لغضبي ويرضى لرضائي وعلى كثير من مناهجه في التودد نهجت وعلى آدابه وحسن طويته درجت وكان بل الله ثراه بوابل الغفران لطيف الطبع حمولا فاضلا كاملا طارحا للتكلف حسن العشرة متوددا وكان أبوه في حياته يحبه كثيرا فربى عزيزا مكرما ولما مات أبوه كان عمره عشر سنين فرباه أبي وتقيد به وكان له إليه محبة لم أرها من أحد ولم أسمع بمثلها وكان هو كذلك وكثيرا ما كنت أسمعه يقول أرجو الله تعالى أن لا يريني يوم موت أخي وأكون أنا السابق عليه بالموت حتى قدر الله أنه ما رأى يوم موته لكن لا موته قبله بل لأنه كان

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٠٦/١

مسافرا في بلاد الروم وقد اشتغل بالعلم كثيرا في مباديه فقرأ على الشيخ أحمد القلعي وعلى شيخنا النجم الفرضي وعلى غيرهما وناب في القضاء بمحاكم دمشق كالكبرى والقسمة والميدان والعونية وصار نائبا بالقدس في سنة اثنتين وسبعين وألف ثم إنه سافر إلى الروم وصار قاضيا بحمص ورجع إلى الشام وكان بالشام إذ ذاك شيخ الإسلام محمد بن عبد الحليم البروسوي وقد رجع من الحج فجاء قضاء القدس فتوجه معه وخدمه في نيابة غزة ثم قدم في خدمته إلى الشام بعد أن عزل وكان أمر بالتوجه إلى وطنه بروسه فصحبه إلى الروم وسافرت أنا معهم ودخلنا بروسه في خدمة المولى المذكور ثم فارقناه وتوجهنا بحرا إلى ناحية أدرنه والدولة إذ ذاك بها فوصلناها و أقمنا مدة ثم لما توجه السلطان محمد إلى قسطنطينية جئت أنا وإياه إليها فولى بها قضاء معرة المصريين وتوجه إليها وضبطها ورجع إلى الروم وأنا مقيم بها ثم أعطى قضاء معرة المصريين ثانيا وسافر إليها فصحبته في الطريق إلى أن وصلنا إلى أنطاكيه ثم افترقنا ولم يقدر الله تعالى بعد ذلك اجتماعا فإني قدمت إلى دمشق وألقيت بها عصا الترحال ووصل هو إلى قضائه وضبط المنصب وعزل عنه ثم سافر إلى الروم وولى قضاء سرمين ووصل إليها فتوفى بها وهو قاض وكانت وفاته في ثامن شهر رمضان سنة شبع وتسعين وألف عن ستين سنة رحمه الله

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

المشالة طعيمة الصعيدي المصري الصوفي الكبير كان مؤدب الأطفال باشمون الصعيد نظر في العلوم وتكلم في الكلام واشتغل بمذهب الشافعي على جهابذة العلماء وطاف البلاد وغلب عليه الحال وعكف عن التصوف ولقى من القوم رجالا وأقبلت عليه الأعيان ونوه بذكره بعض علماء وقته وصار كالشيخ محمد بن الترجمان الآتي ذكره في طائفة من معتقديه ومتبعيه ومن كراماته ما ذكره بعضهم أنه كان يتهجد بالقرآن ويمكث الليالي والأيام يأكل ويشرب ولا يحتاج للتوجه للبراز ولم يزل على هذا الحال إلى أن توجه لزيارة القدس فقتله بعض أرباب الحال وكانت وفاته في سنة خمس بعد الألف قلت كثيرا ما يذكر المؤرخون أن فلانا قتل بالحال وشبهه وفيه سؤال مشهور في كتب الشافعية أنه هل يجوز القتل بالحال وهل فيه قصاص أم لا في التحفة لابن حجر تفصيله وأما علماؤنا الحنفية فلم أر لهم فيه شيئا والله أعلم." (١)

"عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس الملقب محيي الدين الشيخ الإمام أبو بكر اليمني الحضرموتي الهندي أحد أكابر علماء الحضارمة ذكره الشلى في تاريخه وقال في ترجمته

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٨٢/١

قد ترجم نفسه هو في تاريخه النور السافر عن أخبار القرن العاشر فقال ولدت في عشية يوم الخميس لعشرين خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وتسعمائة بمدينة أحمد اباد من بلاد الهند وكان والدي رأى في المنام قبل ولادتي بنحو نصف شهر جماعة من أولياء الله تعالى منهم الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ أبو بكر العيدروس وكان الشيخ عبد القادر يريد حاجة من الوالد فذلك هو الذي حمله على تسميتي بهذا الاسم وكناني أيضا أبا بكر ولقبني محيي الدين وتقرر عنده أنه سيكون لي شأن وكان قل أن يسلم له ولد بأرض الهند فما عاش له منهم غيري وكان يحبني جدا وقال لي مرة إذا وقع زمانك افعل ما شئت وحكى بعض الثقات قال جاء بعض الوزراء الكبار إلى والدك يطلب منه الدعاء في أمر من الأمور وكنت إذ ذاك صغيرا جدا وكنت جالسا بين يديه فقرأت في الحال هذه الآية " وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب " فقال الشيخ يكفيكم هذا المقال هذا مثل الوحي قال ثم قضيت تلك الحاجة وكانت أمي أم ولد هندية وهبتها بعض النساء من بيت الملك المشهورة بالصدقات لأبي وأعطتها جميع ما تحتاج إليه من أثاث وأخدمتها جملة من الجواري وكانت تنظرها مثل ابنتها وتزورها في الشهر مرات وكانت هي إذ ذاك بكرا ولم تلد له من الأولاد غيري وكانت من الصالحات وقرأت القرآن حتى ختمته على يد بعض أولياء الله في حياة الوالد ثم اشتغلت بالتحصيل وقرأت عدة متون على جماعة من العلماء وتصديت لنشر العلم وشاركت في كثير من الفنون وتفرغت لتحصيل العلوم النافعة وأعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة وبالغت في طلبها من أقطار البلاد مع ما صار إلي من كتب الوارد فاجتمع عندي جملة ولما بلغني أن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس قال من حصل كتاب إحياء علوم الدين وجعله في أربعين جلدا ضمنت له على الله بالجنة فحصلته كذلك بهذه النية ووفقت لاستماع الأحاديث واشغال الأوقات بها وطالعت كثيرا من الكتب ووقفت على أشياء غريبة مع ما تلقيته عن المشايخ فلم تفتني بحمد الله إشارة صوفية أو مسئلة علمية ونكتة أدبية ولكني مع ذلك أظهر التجاهل في ذلك لأن الكلام على إشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي للشخص أن يقدم عليها إلا إن كان متحققا بها ومع ذلك فلا يجوز له أن يخوض فيها مع غير أهلها لأنها مبنية على المواجيد والأذواق لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق ثم من الله علي بما لا كان لي قط في حساب حتى سارت بمصنفاتي الرفاق وقال بفضلي علماء الآفاق ورزقت محبة أرباب القلوب من أولياء الله تعالى وحظيت بدعواتهم الصالحة وعظمني العلماء شرقا وغربا وخضع لي الرؤساء طوعا وكرها وكاتبني ملوك الأطراف وأرفدوني بصلاتهم الجميلة ووصلت إلى المدائح من الآفاق كمصر وأقصى اليمن وغيرهما وأخذ عني غير واحد من الأعلام ولبس مني خرقة التصوف جم غفير من

الأعيان وألفت جملة من الكتب المقبولة التي لم أسبق إلى مثلها ككتاب الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية وهو كتاب نفيس لم يؤلف قبله أجمع منه وهو مجلد ضخم وقرظه جماعة من العلماء الأعلام حتى بلغت تقاريظه كراريس ومن غريب الاتفاق أن تاريخه جاء مطابقا لموضوعه وهو لبس خرقة وكتاب الحدائق الخضرة في سيرة النبي عليه السلام وأصحابه العشرة وهو أول كتاب ألفته وسني إذ ذاك دون العشرين وكتاب اتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزه وهو على نمط الحدائق إلا أنه أصغر وكتاب المنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى وكتاب المنهاج إلى معرفة المعراج وكتاب الانموذج اللطيف في أهل بدر الشريف وكتاب أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح وكتاب الدر الثمين في بيان المهم من الدين وكتاب الحواشي الرشيقه على العروة الوثيقه وكتاب منح الباري بختم البخاري وكتاب تعريف الاحياء بفضائل الاحياء وباعثه أن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس قال غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي فرجوت أن يتناولني دعاؤه وأردت إسعاف والدي بتحقيق رجاه فإني سمعته يقول إن أمهل الزمان جمعت كلام الشيخ عبد الله في الغزالي في كتاب وأسميه الجوهر المتلالى في كلام." (١)

"السيد عبد الله بن سيف الله السيد الشريف المعروف بابن سعدي القسطنطيني أحد الموالي الأجلاء الأديب المنشئ الشاعر المتخلص على دأب شعراء الروم بفائزي كان فاضلا أديبا جسيما وسيما حسن النظم والنثر في الألسنة الثلاثة عارفا بنقد الشعر وأساليبه وله الشهرة التامة بالمعرفة والتفنن لقي كثيرا من الفضلاء وأخذ عنهم ولازم من شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ورد دمشق في خدمة أبيه لما صار قاضيا بالقدس مدرستين وهما التنكزية والمأمونية ورجع من المرة الثانية في سنة إحدى وثمانين وألف ودخل دمشق وأخذ عنه جماعة من أهلها ثم رحل إلى ثم بعد عوده إلى الروم درس بمدارس دار الخلافة إلى أن وصل إلى مدرسة موصلة السليمانية فجرى بينه وبين عمر بن سعدي القرماني المدرس امتحان في مجلس المفتي الأعظم وكان القرماني المذكور قليل البضاعة جدا لكن ساعده القدر بسبب انفعال السيد عبد الله من اقترانه به فتلاشى في البحث وظهر القرماني عليه فقدم عليه إلى المدرسة السليمانية وكان كثيرا ما يتمثل بعد هذه الواقعة بالبيتين المشهورين وهما

إن أصلي وذكائي ... من مرادي حرماني

ليتني كنت من التر ... ك جهولا قرماني

ثم بعد مدة وصل إلى السليمانية ودار الحديث وولي منها قضاء سلانيك في سنة اثنتين وسبعين وألف

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٩٤

وتعصب عليه طائفة من أهلها فاشتكوا منه إلى السلطان ونقموا عليه أشياء فعزل في مدة جزئية وخرج خط شريف فيه بأن لا يلي القضاء بعدها فبقي مدة وقد ضربت العزلة عليه حجابها وانقطع عن الناس وضاق حاله من تكدر عيشه وتشتت حواسه حتى ولي شيخ الإسلام يحيى المنقاري منصب الفتا فأنقذه من ذلك الحال وشفع له عند السلطان بتوليته قضاء بروسه ثم نقله في مدة جزئية إلى إزمير فقوى رياشه وحسن معاشه ثم بعد مدة ولاه قضاء مكة المشرفة فورد دمشق في منتصف شعبان في سنة ثمان وسبعين وألف ورأيته بها فرأيت أديبا كامل الأوصاف قوي البداهة والحافظة إلا أن طبعه خارج عن الطباع لما فيه من شدة الحرارة فقد شاهدته في بحبوحة الشتاء واستحكام برد الشأم يجلس كاشفا رأسه وكأنما بخار الحرارة الصاعد من رأسه دخان مدخنة حمام ولا يستقر لحظة إلا ويتطلب ثلجا فيأكله بنهمة وكان بينه وبين والدي المرحوم مودة سالفة وصحبة قديمة فتقيد برعاية جانبه وسمعت والدي يقول وقد سئل عنه كأنما البلاغة تؤخذ عن لفظه والآداب ترنو عن لحظه وكان جرى بينهما مطارحات ومراسلات كثيرة من جملتها قصيدة **كان والدي** كتب إليه بها ومطلعها

يا ساكنا بشغافي ... وعن عيوني خافي

طولت مدة بيني ... وبعضها كان كافي

كدرت بالبعد عيشي ... من بعد ما كان صافي

لهفي لطيب ليال ... مرت لنا بالتصافي

حيث الشباب قشيب ... والدهر فيه موافي

وسالف من زمان ... تدار فيه سلافي

من كف ريم كغصن ... يميل بالأعطاف

يزهو بوردي خد ... يزري بورد القطاف

زمان لهو تولى ... بروضة ميناف

تسقى من السحب وبلا ... بعارض وكاف

يا دهر رفقا بصب ... حتى متى ذا التجافي

وعدتني بالأماني ... فكن بوعدك وافي

واسمح برؤية مولى ... سليل عبد مناف

ذاك الهمام المفدى ... وسيد الأشراف

كم حل مشكل بحث ... بلفظه الكشاف

مولاي يا بحر فضل ... طام من الجود طافي

وفائزا بقواف ... قد أعجزت ابن قاف

يا مفرد الروم حقا ... وجامع الألطاف

أنت الغني بمدحي ... عن كثرة الأوصاف

فلا تظن بأني ... لسابق الود جافي

لو كنت أعلم صبري ... لكن أمري خافي

لكان سعيي إليكم ... وفي حماكم طوافي

فربع غيرك عندي ... مولاي كالأعراف

إن رمت تفصيل حالي ... من الزمان المجافي

ما إن تمنيت شيئا ... إلا أتى بالخلاف." (١)

"السيد علوي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي بن أبي بكر الجفري بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ويعرف كسلفه بالجفري أحد العباد المشهورين ذكره الشلي وقال في ترجمته ولد بمدينة قسم ونشأ بها ثم اشتغل بالتجارة وبورك له فيها وجاب البلاد وسار إلى الجبال وأقام بالمستفاض أرض المهرة مدة وعظمه سلطانها ورحل إلى السواحل وبجله ملوكها وارتحل إلى الهند واليمن ومصر وغيرها وكان كثير الأسفار إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وصحب جماعة من أكابر الصوفية وانتفع بصحبتهم وكان غاية في الجود والكرم وصلة الرحم وحب الفقراء والإحسان إليهم ومحبة العلم والعلماء والصلحاء والأولياء وكان دينا صدوقا وقورا مشهورا بالعفاف وكرم النفس كثير الورع وكان على قدم كامل من الصلاح والعبادة وكثرة الصدقة والصلة ثم أقام بتريم وترك السفر وتخلى للعبادة وكان من عادته حين يستهل شهر رمضان لا يخرج من بيته حتى ينسلخ إلا لصلاة الجمعة أو صلاة التراويح وكان وجيها عند الناس مقبول الشفاعة والقول مسموع الكلمة صبورا على السعي في قضاء حوائج المسلمين وكان عاقلا مختشما ذا رأي صواب وكان بينه وبين سيدي محمد بن عمر البيتي صحبة ومودة عظيمة قال الشلي **وكان الوالد** يعني والده أبا بكر يقول لم أر مثلها بين اثنين قط ولزم صحبة الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس في آخر عمره ملازمة تامة وكان يمشي على نهجه ويتبع

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١٤٢/٢

طريقه ويقتدي بصنيعه وكان كثير الاعتناء به وكان بينهما من الصحبة والألفة ما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة فيه وكان من طريقته أن تفريق الصدقة على جماعته أحب إليه من أن يعطيها رجلا واحدا وهذه مسئلة ذكرها الشافعية واختلفوا في أنه لو سد جوعة مسكين عشرة أيام هل أجره كأجر من سد جوعة عشرة مساكين فالذي قاله ابن عبد السلام وتبعه كثيرون لا يكون كأجره فقد يكون في الجمع ولي وقد حث الله تعالى على الإحسان للصالحين وهذا لا يتحقق في واحد ولأنه يرجى من دعاء الجمع ما لا يرجى من دعاء الواحد ومن ثم أوجب الشافعي رحمه الله تعالى دفع الزكاة إلى جميع الأصناف انتهى وكان صاحب الترجمة صافي الفؤاد حسن الاعتقاد لا يعرف الغل والخداع وعاش في النعمة معززا مكرما وحج آخر عمره وكان الوقوف يوم الجمعة وعاد إلى وطنه تريم فتوفي بها وكانت وفاته في سنة إحدى وستين ألف.." (١)

"وقائل الحق والأنصاف قال متى ... أسمعهما ألق أستاذ وألق صبي

وذكره غيره فقال ولد بمكة وبها نشأ وأخذ عن أكابر الشيوخ وله شعر كثير منه قوله:

لا تضيع سهللا فرس ... العمر بلا طاعة ولا تتعلم

سوف يدري الجهول عند انقضا ... العمر سدى كيف ضاع منه فيندم

وقوله مؤرخا للسيل الواقع بمكة في سنة تسع وثلاثين وألف.

سئلت عن سيل أتى ... والبيت منه قد سقط

متى أتى قلت لهم ... مجيئه كان غلط

ومن مؤلفاته التبجيل لشأن فوائد التسهيل في العروض وله من قصيدة يمدح بها الشريف زيد بن محسن:

يامي حيا الحيا أحيا محياك ... هلا بأعتاب عتبي فاه لي فاك

من لي إليك وقد أودى صدودك بي ... ولا تزالين طوعي لي أفاك

يا هذه لم أزل من بعدها ودنو ... السقم من بعدها موثوق أشراك

تيهي أطيلي التجني والجفاء وما ... أردت فاقضيه بي فالحسن ولاك

رفقا رويدا كأني بالعدول علي ... تطاول الصدفي ذا الصب عزاك

منها:

حسبي دليلا على شوقي المبرح بي ... إني لثمت عدولي حين سماك

والجفن في أرق والقلب في حرق ... والعين في غرق إنسانها باك

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/١٩١

يا مهجة الصب غير الصبر لبس وقد ... جئت عليك بما لاقيت عيناك

منها:

وأجملي الود وأخشى عدل ذي الشرف ... المؤيد العز مولائي ومولاك

زيد بن محسن سلطان الأنام أمام ... الحضرتين أمان الخائف الباكي

منها:

يهتز للعفو من حلم ولا طرب الشمول ... من شمس شماس وبتراك

وذكره أرج الأرجاء شاسعة ... فطيب عرف الصبا من عرفه الذاكي

يا نفس آمله بشراك بشراك ... فلو قضيت بإذن الله أحياك

منها:

لو كان في عصره بعد النبوة ... مبعوث لكان بلا دفع وأشراك

لو طرزت باسمه الرايات ما حذرت ... أصحابها غلبا أو حطم دهاك

منها:

قد زاد في شرف البطحاء إنك في ... جيرانها خير فعال وتراك

مولى الجميل ومنجاة الدخيل ومنحاة ... الخديل سرى عين أملاك

قوله في مطلع القصيدة فاه لي فاك جرى فيه على اللغة الضعيفة وهو لزوم الألف للأسماء الخمسة في جميع الحالات كقوله أن أباها وأبا أباها وكانت وفاته بمكة المشرفة في رابع عشري شعبان سنة أربع وثمانين وألف ودفن بالمعلاة.

فضل الله بن شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادي الدمشقي الحنفي تقدم جده وأبوه وعماه إبراهيم وعماد الدين وكان فضل الله هذا من فضلاء الوقت وبلغائه وهو من المتنبلين في الأخذ بأطراف الفضائل والاشتمال على كرم الشمائل ويرجع مع ذلك إلى شعر باهر ونثر معجب وكان من حين نشأته إلى مماته متفيئا ظلال النعمة آخذا من التنعم حظه وجاهه في دولة آبائه يحل فرق الفراقد ويزاحم مناط الثوابت وكان معتنيا بالاشتغال من طليعة عمره فقر أفنون الأدب على شيخنا المحقق إبراهيم الفتال والشيخ محمد العيشي وتخرجبأبيه وعميهحتى تفوق وبلغ من الفضل ما بلغ **وكان والدي** رحمه الله تعالى يفضله ويرجحه على كل من عداه من أقرانه ويقول إنه مما يهزني إلى الطرب حسن منطقه ولطف محادثته وأعهده ينشد في حقه هذه الأبيات غير مرة وهي:

صاحبته فرأيت البدر كلمني ... وجنته فرأيت البحر ينهمل
فيا رعى الله مخدوما نسامره ... وقد تناسب فيه المدح والغزل
قد حازبا كورة الأفضال وهو لدى ... باكورة السن لا زالت له الدول." (١)

"أبو الاسعاد بن أيوب الخلوتي الدمشقي الحنفي نزيل قسطنطينية وأحد المدرسين بها كان من أكابر العلماء المحققين في سائر الفنون حتى كان في علم الابدان غاية لا تدرك ولد بدمشق في سنة ثلاث وخمسين وألف وقرأ العلوم واجتهد في تحصيل المعارف والفنون مدة أعوام وشهور ومن مشايخه العلامة الشيخ إبراهيم الفتال وأجازه الشيخ يحيى الشأوي المغربي وغيرهما ثم ارتحل إلى الروم إلى دار الخلافة واستقام بها إلى أن مات وسلك طريق الموالي بها فلازم من شيخ لاسلام المولى علي ولما كان منفصلا عن مدرسة بأربعين عثماني في خامس رجب سنة ثمان وتسعين وألف في ابتداء الأحداث أعطى مدرسة رابعة ساري الغلطه ودرس بها وهو أول مدرس درس بها ففي صفر سنة مائة وألف أعطى مدرسة أبهم مكان المولى رجب أحد المدرسين وفي سنة أربع ومائة في ربيع الآخر أعطى مدرسة خاص أوده باشي وفي سنة ستة ومائة وألف في ذي القعدة أعطى مدرسة أولاي خسر وكنخدا مكان المولى بسنوي حسن ففي يوم الجمعة العشرون من الشهر المزبور كأنت وفاته وبسبب اشتغاله بالطلب صار في مارستان أبي الفتح السلطان محمد خان في قسطنطينية رئيس الأطباء وقد أخذ عنه العلوم في تلك الديار خلق كثيرين من الموالي والوعاظ وكتب له والده الاستاذ والكبير وصية مستقلة كما خص أخا المولى أبا الصفا بوصية خاصة رحمهم الله تعالى

أبو بكر القواف

أبو بكر بن عبد القادر بن عبد الله المعروف بالقواف الشافعي الدمشقي العالم الإمام الكامل أحد البارعين والمنسربلين بحلة الفضل ولد في سنة ست ومائة وألف واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم الشيخ علي كزبر وأنتفع به وكان مفيدا لدرسه ومنهم الشيخ الياس الكردي نزيل دمشق والشيخ محمد أبو المواهب مفتي الحنابلة والشيخ محمد الكامل والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري والاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ محمد العجلوني وغيرهم وروى عنهم جميعهم ما بين السماع والقراءة والاجازة الخاصة والعامة بسائر ما يجوز لهم وعنهم رواية وإجازة بالافتاء والتدريس وأقرأ بالجامع الأموي في النحو وغيره وكان حافظا لكتاب الله تعالى قرأ الناس عليه بالتجويد وأنتفعوا به وعم بره وفضله وكف في أثناء عمره ثم رد الله

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢٨٧/٢

له بصره وكأنت وفاته في نهار الاثنين غرة ربيع الثاني سنة سبعين ومائة وألف ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى

أبو بكر ابن عراق

أبو بكر الشهير بابن عراق الحلبي الفاضل المشهور الشاعر المجيد كان يعاني العطارة في حانوت بالقرب من جامع البهرامية ولد بحلب ونظمه أكثر من أن يحصر وكان حلو المنادمة وله اطلاع على دوأوين المتقدمين وحفظ أشعارهم ومن نظمه قوله

إليك يا دهر من انك تحسبني ... أخاف اقتارا أم أبكي على طلل

إني إذا ما رأيت الضيم من جهة ... بسيف أبرى هامة الامل

وله غير ذلك وكأنت وفاته في حلب بعد العشرين ومائة وألف وقد ناهز السبعين رحمه الله تعالى

أبو بكر الدسوقي

أبو بكر بن محمد بن عبد الوهاب بن شرف الدين بن أحمد بن عيسى الدسوقي الدمشقي الشافعي الخلوتي مرشد الدين الشيخ السيد الشريف أحد المشايخ المشهورين المعتقدين ولد بدمشق سنة أربع وعشرين ومائة وألف وقرأ بها القرآن وغيره من العلوم وأخذ الطريقة الخلوتية عن والده وأقام الذكر والتوحيد على عادتهم في زأويتهم المعروفة بهم الكائنة بالقرب من باب جيرون قريب الجامع الأموي واعتقده الناس وكتب التمائم والتعأويز للمرضى وغيرها واحترمه الكبار والصغار وكان مبجلا معتقدا اجتمعت به مرات بمجلس والدي وغيره وكان يزورني وأنتفعت بدعواته **وكان الوالد** يجله ويحترمه ولم يزل على حالته هذه إلى أن مات توفي يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف وصلى عليه بالجامع الأموي وحضرت مع من كان مصليا عليه ودفن من يومه بمقبرة باب الصغير

أبو بكر بن مصطفى باشا." (١)

"ولم يذكر الأمين له سوى هذا التشطير وكأنت وفاته في ليلة الجمعة رابع عشر رجب سنة عشرة ومائة وألف ودفن بتربتهم برمج الدحداح بالقرب من والده وحضر جنازته أهالي دمشق وأعيانها وخلق كثيرون رحمه الله تعالى

أبو الفتح العجلوني

أبو الفتح بن محمد بن خليل بن عبد الغني الشافعي العجلوني الأصل الدمشقي المولد الشيخ العالم الفاضل

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٣١/١

المتقن المحقق كان أحد الشيوخ الأعلام الأفاضل الفقهاء سهل الأخلاق طيب العشرة حسن المطارحة له ديانة واحتيط له بدمشق يوم السبت رابع رمضان سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ونشأ بها في كنف والده واشتغل بالطلب على جماعة منهم والده والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ محمد البقاعي والشيخ علي كزبر والشيخ محمد الخمسي المغربي نزيل دمشق ومهر وبرع ثم في شعبان سنة سبع وخمسين صرف عنان الهمة نحو مصر فارتحل إليها وأقام هناك مدة سنين مشتغلا بالتحصيل والدروس اشتغالا تاما على قايتباي والشيخ إسماعيل الغنيمي والشيخ سليمان الزيات والشيخ عطية الاجهوري والشيخ خليل المالكي والشيخ محمد الحفنأوي وأخيه الشيخ يوسف والشيخ حسن المدابغي صاحب الحواشي والشيخ علي الصعيدي والشيخ عمر الطحلأوي والشيخ أحمد الجوهري والشيخ علي الحفنأوي والشيخ أحمد الملوي والشيخ أحمد الاشبولي والشيخ أحمد الدمنهوري والشيخ أحمد المغربي البناني والشيخ عبد الله الشبرأوي والشيخ عيسى البرأوي والشيخ محمد الدفري وغيرهم وأخذ عن الاستاذ السيد الشيخ مصطفى الصديقي وحصل على ما حصل من الفضل والاتقان وعاد لدمشق في سنة أربع وستين وقرأ في الأموي بالسنة المذكورة ولازم التدريس والاقراء والافادة ولزمه الطلبة للأنتفاع والاستفادة وأقرأ من كتب النحو والصرف والمعاني والمنطق والاصول والحديث وغيرهما في مجالس عامة وخاصة وأنتفع به خلق وأخذ عنه جم غفير وكنت قرأت عليه شيئا من النحو وكان يقيم الذكر في الجمعات في الجامع الأموي في المشهد المعروف ببني السفر جلاني وطريقته الطريقة الشاذلية المزطارية وهو أخذها عن جماعة منهم والده عن الاستاذ الشيخ محمد المغربي المزطاري إلى أخر السند وكذلك عن الشيخ إبراهيم كرامة الاسكندراني وتنافس هو وخليفة المزطاري الذي هو من بني السفرجلاني بخصوص ذلك وأرادوا أخذ المشهد لأجل ذلك ووقع بينهم ما وقع من الحصام والجدال واستقر الحال على أن ابن الشيخ عبد الرزاق السفرجلاني خليفة المرطاري يكون في المشهد الكائن بالقرب من باب البريد المعروف بمشهد الحرمين وأن يكون المترجم في المشهد الثاني الذي كان يقيم به الذكر الشيخ عبد الرزاق المذكور وصار لكل تلاميذ ومريدون وصار للمترجم تدريس البخاري في مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظيم وكان قبل ذلك له بها وظيفة حفاظة الكتب وكان والدي أحدث له في وقف السنانية عشرة دارهم عثمانية في كل يوم وكان يجله ويحترمه وبالجملة فقد كان أحد مشاهير الافاضل بدمشق ولم يزل على حاله إلى أن تبرأ الدار الآخرة وكأنت وفاته في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ودفن من اليوم في تربة باب الصغير وسيأتي ذكر والده محمد في محله رحمهما

الله تعالى

أبو المكارم بن حبيب." (١)

"أبو يزيد الحلبي العابد المجتهد في العبادة المبارك الدين العفيف الصالح كان يربي الأطفال في مسجد بمحلة المشارقة من رآه أحبه يتبارك به الناس ويأخذون منه التمائم فيجدون بركتها وكف بصره قبل وفاته فانقطع في داره وكان عليه من الجلالة والنور والوقار ما يدهش المتأمل فقير في زي غني ووجهه كأنه المصباح وقد أخبر من يعتقد صدقه قال كنت لا أعرف الشيخ أبا يزيد فذهبت في جنازة أحد المجاذيب فأراني بعض الناس الشيخ أبا يزيد في الجنازة وكان كف بصره فبادرت لتقبيل يده فلما قبلت يده قال لي أنت السيد محمد الذي هو ساكن في دكان الشيخ محمد البني فقلت له نعم وقضيت من ذلك العجب وقد أخبرت عن صاحب الترجمة أنه لم ينزع قميصه نحو اثنتي عشرة سنة نفعنا الله سبحانه بعباده الصالحين وكأنت وفاته في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف وله من العمر مائة وخمس سنين ودفن في مدفن ولي الله المعروف بالشيخ سري الدين خارج محلة المشارقة رحمه الله تعالى وأموات المسلمين

أحمد الرسمي

أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرسمي الكريدي الحنفي شهاب الدين أبو الكمال المولى العالم الرئيس الصدر الفاضل الأديب الكاتب البارع المنشي اللغوي أحد أعيان دار السلطنة وروسائها المشهورين ولد بجزيرة رسمو المعروفة بكريد الجزيرة الكبيرة التي وسط البحر الأبيض سنة ست ومائة وألف وقرأ القرآن وغيره واشتغل بتحصيل العلوم والانشاء والخط والأدب ودخل قسطنطينية سنة سبع وأربعين ومائة وألف وقرأ بها على أبي عبد الله الحسين بن محمد الميمي البصري وأبي النجاح أحمد ابن علي المنيني الدمشقي وغيرهم وأخذ التفسير والفقه واللغة والنحو والمنطق والمعاني والبيان والأدب والشعر وتفوق واتقن الانشاء وحسن الترسل واللغة وحفظ الأمثال والشواهد والأغلب من أشعار العرب ووقائعهم وكان حريصا على تحصيل فائدة مهتما بجمع الفوائد العلمية والمسائل الأدبية ويكتب الخط المنسوب ويضبط الألفاظ والمسائل التي يثبتها في أجزائه وصاهر المولى الأديب زين الدين مصطفى بن محمد رئيس الكتاب وأنتسب إليه فجعله من أعيان الكتاب وأقبل بكليته عليه ورسم له أن يكون من روسائهم وولي بعض المناصب ككتابة الصدر الوزير الأعظم ثم صار رئيس الجأويشية وانعقدت عليه أمور الدولة وفوضت إليه في أيام السلطان أبو التأييد والظفر نظام الدين مصطفى خان في المعسكر السلطاني وكان هو مع من كان في المعسكر السلطاني أيام الغزا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤٠/١

والجهاد على الكفار الروسية وحمدت سيرته بين أعيان الدولة وكان الوزراء والأمراء والحكام ينقادون إلى كلامه ويستشيرونه في أمور الدولة وترتيب العساكر وتقليد المناصب واستقام على هذه الحالة قدر خمس سنين ثم بعد وقوع الصلح بين المسلمين والكفار وانقضاء الأمر ورجوع الوزراء والأمراء وأعيان الكتاب صحبة المعسكر السلطاني واللواء الشريف إلى دار السلطنة قسطنطينية صار محاسب الأموال السلطانية وثاني وكلاء بيت المال والروزنامجية الكبيرة وأمين المطبخ السلطاني اجتمعت به في دار السلطنة في جمادي الثانية سنة سبع وسبعين ومائة وألف وسمعت من فوائده وصحبته واطلعني على آثاره منها حديقة الروساء ومنها خميلة الكبراء تشتمل الأولى على تراجم روساء الكتاب في دولة العثمانية والثانية تشتمل على تراجم الخواص والمقربين روساء خدام الحرم السلطاني الأمراء السود والحبشان وسمعت من أشعاره ونثاره الكثير وكان بينه وبين والدي محبة ومودة وله أخذ عن الجد العارف محمد بهاء الدين المرادي الحسيني وكنت أسمع خبره من الوالد وغيره قبل الاجتماع **وكان الوالد** يراسله ويكاتبه واجتمع به بقسطنطينية وكان خبيرا بالأمور بصيرا بأعقابها له رأي ووفرة عقل وقوة ذكاء وقريحة غير قرية وفضل لا ينكر وأدب غض وحسن ترسل في الألسن الثلاث ولا يكتب إلا جيدا مع حسن الخط والضبط ,والأعيان والكتاب تتنافس بتحريراته ورسائله وفي آخر أمره ضعف بصره وقل نظره وقويت علي الأمراض والهرم ومات ولده الأديب النجيب عمار الكاتب في حياته فتأسف عليه وحزن لفقده وكدر مصابه توفى وأنا بدار السلطنة في ليلة الأحد ثالث شوال سنة سبع وتسعين ومائة وألف ودفن بمقبرة اسكدار ومن نثره هذه المقامة سماها الزلالية البشارية فيما جرى بين ركبان الجاديه تشتمل على أمثال كثيرة وهي هذه." (١)

"وله غير ذلك من الأشعار الرائقة والنثر البديع والعنوان يدل على ما في لصحيفة وكأنت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادي الثانية سنة اثنين وسبعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح وسيأتي ذكر أولاده عبد الرحمن وعلي وإسماعيل ان شاء الله تعالى والمنيني نسبة إلى قرية منين من قرى دمشق ولد بها هو ونشأ وأصله من برقائيل بكسر الباء الموحدة وسكون الراء بعدها وقاف ثم ألف ثم ياء مثناة تحتية مكسورة ثم لام قرية من أعمال طرابلس الشام كان والده ولد في برقائيل المذكورة في سنة ثمان وعشرين وألف ثم ارتحل وسنه احدى عشرة سنة إلى دمشق الشام وتوطن بصالحيتها واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي والشيخ علي القبردي الصالحي وتفقه على مذهب الامام الشافعي ثم ارتحل إلى قرية منين المذكورة في سنة ست وأربعين وألف وكان مرجعا لأهل تلك القرية

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤٦/١

وغيرها بالفرائض وتوفي بارقرية المزبورة في سنة ثمان ومائة وألف ودفن بها والله أعلم.

أحمد السعيد المرادي

أحمد السعيد ابن علي بن محمد بن مراد بن علي بن دأود وينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم المرادي الحسيني الدمشقي الحنفي أبو المجد رشيد الدين أخي المولى الامام الأجل العالم الفاضل العديم المناظر والمناضل الذكي النبيل النبيه الأديب الألمعي ولد بدمشق سنة خمسين ومائة وألف وقرأ القرآن على الشيخ سليمان بن محمد أبي الدنيا بن جمال الدين المصري المقري وعلى الشهاب أحمد بن عبد اللطيف التونسي المغربي وتلاه وحفظ بعض المتون وقرأ في الفقه والتفسير والنحو وأخذ علم التفسير الشريف والحديث وبقية العلوم من منطوق ومفهوم عن أجلاء منهم الامام علاء الدين علي بن صادق بن محمد الطاغستاني الحنفي تريل دمشق قرأ عليه الكثير والشيخ أحمد أثير الدين بن عبيد الله بن عبد الله العطار الشافعي وأنتفع به وأبو الفتوح البرهان إبراهيم بن عبد الله السويدي البغدادي وجده لأمه الامام الكبير أبو النجاح أحمد بن علي المنيني الحنفي والشيخ الفاضل محمد ابن حسين الحصاري الحنفي وغيرهم وبرع وتفوق وكان له ذكاء تام وحذق زائد وقوة حافظة وسرعة حفظ ومتانة مع حسن الأخلاق ودماثة الطبع ونظافة الملبوس وحسن المطارحة والصحبة وجودة الخط وسرعته وكثرة العقل وحسن التدبير والادراك التام **وكان الوالد** يحبه كثيرا ويثني عليه ويجله وصرفه بأملاكه وعقاراته كيف شاء وأذن له بتعاطي أموره وادارة دائرته فتعاطى ذلك وباشره طبق رضاء الوالد وكان لا يخرج عن ارادته بأمر من الامور ويكلفه الوالد إلى أشياء لا يطيق حملها أحد وهو يتلقاها بالبشاشة والقبول ومع ذلك واشتغاله بامور والده الجلائل كان لا يشغله عن المذاكرة والمطالعة شيء ولا يفتر عن تعاطي مطارحات الأدب بين أصحابه واخوانه ولما **كان الوالد** يقري الهداية في السليمانية كان يعيد له الدروس واشتهر فضله وأدبه ونبله واعطاه الله القبول وأحبه الناس وذهب إلى دار السلطنة قسطنطينية مع والده وجده وإلى القدس والخليل وعمر الدار التي هي بالقرب من دارنا جوار الحمام العقيقي وصرف عليها المال الكثير وزينها أنواع النقوش وأحجار الرخام واتقن صنعها ولما مات استوحش منها الوالد وباعها بأبخس ثمن وكان يحبني ويودني ويبذل جهده في مرضاتي رحمه الله تعالى مع أنه هو الاكبر سنا وقد رأو كان ينظم الشعر وينثر الاسجاع في الرسائل التي تصدر عن والدي وشعره قليل منه هذه الأبيات نقلتها من خطه

لقد كنت أهواها ولم أدر ما الهوى ... وزاد غرامي الآن والعين تدمع

ومذ علمت أني شغفت بحبها ... جفتني صديقي دلني كيف اصنع

وان شئت أن أسلو هواها بغيرها ... فلا مقلتي ترقا ولا الاذن تسمع
فقل لي خليلي هل إلى الوصل شافع ... إلى مالكي أم هل إلى القرب مهيع
قوله هل إلى الوصل إلى اخره مأخوذ من قول بعض المتقدمين
ألا ليت شعري هل إلى الوصل شافع ... إلى أشعري حرت في وصفه الجلي
فنعمان خديه لقلبي مالك ... ولا تعجبوا من ردفه فهو حنبلي
وأحسن منه قول الآخر
قلت وقد لج في معاتبتي ... وظن ان الملال من قبلي." (١)

"أحمد العقربأوي الشيخ الامام الفاضل الفقيه الأوحد الهمام شهاب الدين أحد رؤساء العلم بالديار النابلسية رحل إلى مصر واشتغل بالتحصيل بها وقرا على الشيخ عبد الله محمد الشبرأوي والنجم محمد بن سالم الحفني وغيرهما وتصدر للأفتاء على مذهب الامام الشافعي ودرس وأفاد وأنتفع به خلائق كثيرون في تلك البلاد وتوفي في بلدته عقربا من بلاد نابلس في حدود الثمانين ومائة وألف

أحمد الدومي

أحمد الدومي الحنبلي الدمشقي قاضي الحنابلة بدمشق الشيخ الفاضل البارع العالم الأوحد أبو العباس نجيب الدين تفقه علي الشيخ عبد الباقي الحنبلي وحضر دروس شيخ الاسلام النجم الغزي العامري تحت القبة وغيرهما وولي القضاء وحمدت سيرته ولم يزل على طريقة مثلي إلى أن توفي نهار الاثنين ثامن شعبان سنة سبع ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى ورحم من مات من المسلمين.

أحمد الجعفري

أحمد بن مصطفى النابلسي الحنبلي الشهير بالجعفري الشيخ العالم الفقيه الصالح البارع أبو الفضل شهاب الدين كان من أعيان الصلحاء كل من يعرفه بصفه بأنه من الصالحين وكان من أكابر بلده وأعيانها المشار اليهم وله فضيلة في فقه مذهبه وتوفي في أوائل شهر رمضان سنة احدى ومائة وألف ببلدة نابلس وسيأتي ذكر أخيه صلاح الدين في حرف الصاد ان شاء الله تعالى.

أحمد القطان

أحمد ابن القطان المكي الفقيه الصوفي ولد بمكة ونشأ بها وجد واجتهد وكان ذا فهم ثاقب وذكاء مفرط وتصدر للتدريس فأقبلت عليه الطلبة واختص بصحبة العارف بالله تعالى السيد سعد الله ابن غلام محمد

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٩٤/١

الحسيني وأنتفع به وأخذ عنه طريق التصوف وحصل له منه نفحات وعنايات وأخذ عن المترجم الشمس محمد عقيله المكي وغيره وهو من أعيان المحققين توفي سنة تسع ومائة بمكة.

السيد إسحق الكيلاني

إسحق بن عبد القادر بن إبراهيم بن شرف الدين بن أحمد بن علي وينتهي إلى الولي الكبير سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه السيد الشريف القادري الحموي الحنفي أبو يعقوب الشيخ المعتقد الكامل أحد المشائخ المشهورين المعظمين ولد في حماه سنة احدى عشرة ومائة وألف كما أخبرني صاحبنا القاضي حسين ابن الرئيس على المستوفي الحموي نقلا عنه وهو أكبر اخوته يعقوب ومحمد وصالح وعبد الرحمن ونشأ في كنف والده ولما استقر والده وأعمامه واخوته بدمشق وسكنوها استقام معهم وأخذ عن والده الطريقة القادرية ولقنه الذكر واشتهر أمره واحترمه الناس وكان الحكام والقضاة يبجلونه ويحترمونه اجتمعت به بدمشق وكان يدعو لي ويكتب لي بخطه بعض التعأويذ والتمائم **وكان الوالد** يحترمه ويجله ولم يزل شيخا معتبرا محترما حتى مات شهيدا قتله في واقعة أبي الذهب المصريين مع أهالي الشام جماعة من عسكر الأتراك طمعا في ماله فوق معرة النعمان وهو ذاهب إلى حلب وكان ذلك في شعبان سنة خمس وثمانين ومائة وألف ودفن خارج المعرة والحموي بفتح الحاء والميم نسبة إلى حماة البلد المعروفة المشهورة توطنها أسلافه من قديم الزمان وهم رؤساؤها وأعيانها ومشائخها وأحوالهم غنية عن التطويل وكلهم مشائخ معتقدون وسيأتي ذكر أخيه محمد وابني عمه ان شاء الله تعالى.

السيد إسحق المنير." (١)

"فباشرها مدة أشهر ثم عزل ووجهت الافتاء من شيخ الاسلام المولى محمد أمين صالح زاده لابن ابن ابن عم والدي المولى السيد عبد الله بن السيد محمد طاهر ابن السيد عبد الله بن السيد مصطفى بن الاستاذ الجد سيدي السيد محمد مراد قدس سره برتبة قضاء القدس كما سبق لوالدي وعمى وقد ترجم المترجم الشيخ سعيد الشمان في كتابه وقال في وصفه درة تلك البحر الفياض ويتيمته العصماء التي ما للحسن عنها اعتياض اقتبل الكمال وما هل هلاله ولا اشتدت أواخيه ولا أوصاله فسالت به غرة المجد وطالت وانجذبت إليه الافئدة ومالت وهو في حجر والده تبتسم في وجهه الآمال وتتفرس فيه النجابة من دون احتمال يدنيه دون اخوته ويمرنه على اكتساب الفضل ويدربه فحصل على ما حصل وما عهده من الشبيبة تنصل ولا بدع فالأصل طيب وقد سقى من ذلك الصيب والتربة الزكية لا تنبت الا زهرا والافق الصافي

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١/١٣٨

لا يطلع الا بدرا وزهرا أنتهى مقاله ثم باشر امور الفتيا وكتب على المسائل مدة أشهر وكان ورود المرسوم إليه في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ثم عزل عنها ووليها ابن عمي المولى الشريف عبد الله بن طاهر المرادي ودخل دمشق في أواسط سنة تسع وثمانين **وكان الوالد** يجله ويحترمه واتصل بأخته أم الخير خديجة والدة الأخ الفاضل أحمد السعيد المار الذكر وتزوج بها وأيضا عمي المار ذكره تزوج بأخته الثانية ام اليمن خانم وجاءه منها ولده أبو الفخر مصطفى وبيننا وبينهم محبة قديمة ومودة وله في الوالد المدائح ذكرت أغلبها في مطمح الواجد وكان والده وعمه أبو الفرج عبد الرحمن المنيني من أصحاب الجد الاستاذ الشيخ مراد بن علي البخاري وصحباه في السفر والحضر عدة سنين وهما من خواص تلامذته القائمين بخدمته والملازمين لحضرته والمستظلين باقياء فضائله وخضرته توفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء ثالث ذي الحجة ختام سنة اثنين وتسعين ومائة وألف وصلى عليه بالجامع الشريف الأموي ودفن في مقبرة مرج الدحراح خارج باب الفراديس ومن شعره ما أنشدنيه من لفظه لنفسه يمدح بها بعض الأعيان

أيها السائق المجد تصبر ... عمرك الله فالفؤاد تفطر

وقف الركب ساعة عل طرفي ... بسنا الا هيف المحجب يظفر

أو ما قد علمت ان فؤادي ... صاده من ظبائها العين جؤذر

ثم عج بي نحو الربوع ففيها ... قد تركت الفؤاد بالحب مؤسر

في هوى أغيد من الشمس أبهى ... فلذا البدر من محياه أسفر

أكحل الطرف لين العطف أحوى ... كامل الظرف أهيف القد أحور

ذو جبين كالبدر من ليل شعر ... وثنايا سلسا لها العذب شكر

ولحاظ لسحر باب تعزى ... ولعمري بل منه أمضى وأسحر

صاد عقلي بحسنه مذ تبدى ... قلت جل الذي لحسنك صور

ورماني بالصد والبعد عنه ... ان حظي منه الصدود مقدر

وكساني ثوب السقام نحولا ... ولقتلي سيف اللواحظ أشهر

فشهودي عليه عند مدمعي ... ولعمري يمين ان هو أنكر

وهواني قد لذ لي من هواه ... ان خلع العذار في الحب يغفر

آبا لوصل لو يبل أو أمى ... من لهيب من هجره يتسعر

لا مني في هواه من ليس يدري ... وأخو الوجد والصبابة يعذر

فاذيعوا يا امة العشق شوقي ... لمليح من الجاذر انفر
قد كوى مهجتي بنار التجافي ... ولقوس الصدود والهجر أوتر
ولئن فوق النبال لقتلي ... لذت بالأوحد الهمام الموقر
ذي المزايا الغر الحسان اللواتي ... من جبين الزمان حقا تسطر
وآياد تزري بكعب اياد ... وسجايا من مسك دارين أعطر
سيد ما جد أديب أريب ... أروع باسل همام غضنفر
أحرز المجد وامتطى العز طفلا ... وهو بحر وللمكارم مصدر
في اكتساب العلوم قد راض فكرا ... وبنيل الكمال للطرف أسهر." (١)

"وشعره كثير وكأنت وفاته في ليلة الخميس بين العشائين سابع جمادي الأولى سنة خمس وسبعين ومائة وألف ودفن بزأويته بميدان الحصا رحمه الله تعالى.

حسين الجزايري

حسين بن عبد الله المعروف بالجزايري الرومي الكاتب الشهير بحسن الخطوط واتقانها كان في الأصل رقيقا للدرويش على الكاتب القسطنطيني وأخذ الخط بأنواعه عن سيده المذكور وأتقن الكتابة ثم فر هاربا من قسطنطينية من عند سيده إلى جرائر الغرب وكان اسمه دلأور فسمى نفسه حسينا ثم قدم مصر القاهرة وأقام بها إلى أن مات واشتهرت خطوطه بين الناس وأخذ عنه الخط أناس كثيرون وفاق أقرانه وشاع صيته وكان شهما جليلا له تصرف تام ومهارة في صناعة التوريق وكأنت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة وألف بمصر القاهرة رحمه الله.

حسين باشا حسني

حسين باشا بن عبد الله الملقب بحسني القسنطيني أحد وزراء الدولة العثمانية في عهد السلطان مصطفى خان الثالث ابن السلطان أحمد خان الثالث العثماني تغمدهم الله بالرضوان تقلبت به الأحوال وصار رئيسا للعسكر الجديد المعروف بالينكجرية ثم صار أمير الأمراء وحاكم البحرين وبعده أعطى الوزارة وكان شهما جليلا مدبرا جسورا كاملا مكملا توفي في جزيرة قندية سنة ست وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى وحسني منسوب للمحسن وهو لقب له على طريقة شعراء الفرس والروم في الألقاب وبالجملة فقد كان نادرة دهره ووحيد عصره رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين.

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٥٣/١

حسين السرميني

السيد حسين ابن السيد عبد الرحمن بن محمد الشهير بالسرميني الحنفي الدمشقي كان مجانا بارعا طارح التكليف سالكا بين أبناء زمانه له في كل مقام مقال ولد بدمشق وقرأ وجالس الأعيان وانخرط في مجالسهم ولازمهم وادعى نظم الشعر والفضل حتى شرع في التدريس بمدرسة الخصاصية الكائنة بسوق الدرويشة بالقرب من سراية الحكم لكونه كان متوليها وقف الوزير طوير أحمد باشا وصارت له رتبة اكنجي المتعارفة بين الموالي وكان أحد من يتولى النيابات بالمحاكم كالعونية وغيرها كوالده السيد عبد الرحمن المتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وبالجملة فقد كان ممن يؤنس بحضوره وعشرته **وكان والدي** يسعفه لأنه كان من أخص المحسوبين والمنسوبين إليه وقد ترجمه الشيخ سعيد السمان في كتابه وقال في وصفه أليف ودادي الذي عهوده وثيقة وحليف مرادي الذي درر ذممه نسيقه غبطني عليه الزمن ومتعني باخائه الغالي الثمن فصرفت إليه وجهة الألفة ورفعت ما بيننا حجاب الكلفة فإذا اجتمعنا نودان لا نفترق وإذا افترقنا عاد كل منا وهو أسف فرق فهو لي مطمح سرور وراحة قلبي المحرور تبسم لي تباشير الرضى من خلائقه فاقطع حبال وثوقي من علائقه فما رأيته الا وهشيت ولا طارحته الا وطربت وانبشيت كأنه من ملح تصور ومن اهتضام النفس تكون وبسوار الانطراح تسور وقد استبضع من الآداب شطرا وأطرب في تفاصيلها وأطرى لا يفتر عن تحصيل فائدة ولا عن تلقاء أمر منافعه للخير عائده وله شعر ساحته محمية عن النظير كأنه منابت الزهر في الروض النضير فمن ذلك قوله

لك الدهر قد أبدى المسرة والبشرى ... وأطلع في أفق السما أنجما زهرا

وجر نسيم البشر في الروض ذيله ... نديا فأضحى الزهر مبتسها ثغرا

وعادت روابي الأنس تندي نضارة ... فأصبح وجه الأرض ممتلئا بشرا

وقام بناطير السرور مغردا ... فأطر بنا صدحا وأبدى لنا اليسرا

بمقدم نجل قد تبدي وطرفه ... لأسنى المعالي طالب الرتبة الغرا

فقرت به شكرا عيون أولى النهى ... وراقت به الأوقات مذ حلها طرا

سيرتع في روض الكمال بهمة ... ويجمع بالحزم المحامد والشكرا

ولا بدع فيه فهو نجل الذي رقا ... آلي ذروة العليا فصار بها صدرا

همام لقد أضحت كواكب رأيه ... بها يهتدي الساري لدنياه والأخرى

هو الأروع المفضال من آي فخره ... مدى الدهر تتلى فوق هامته جهرا

لقد شابهت أخلاقه الغرقى العلى ... زهور الروأبي مذ حوى طيبها نشرا." (١)

"حسين بن محمد بن محمد مراد بن علي بن دود بن كمال الدين صالح بن محمد بن عمر بن شعيب بن هود وينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الحسيني البخاري المحتد الدمشقي المولد الحنفي المرادي أبو علي نظام الدين عمي شقيق والدي السيد الشريف المولى السميدع الحلاحل الغطريف الصدر الكبير والعماد الشهير الرئيس النبيل النبيه الفاضل الأديب الصوفي الأصيل الكامل الصالح التقي النقي مفتي الحنفية بدمشق وقطبها الذي عليه مدار أمورها والحرم الذي يأوي إليه الجمع من كبيرها وصغيرها ولد بدمشق سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف وقرأ القرآن العظيم وأخذ فنون العلم وقرأ على جماعة منهم والده محمد بهاء الدين رضي الله عنه وألبسه الخرقة وأجاز له بالطريقة النقشبندية وسائر الطرق السنية ولقنه الذكر ورباه وأحسن تربيته وكان يقربه ويدنيه وأنتفع بدعواته ونفحاته وأنظاره وقرأ على والد زوجته أبي النجاح أحمد شهاب الدين المنيني وأبي البركات مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي وغيرهم وحج مع والده ووالدي وارتحل إلى قسطنطينية مع الجد واجتمع بسلطانها الملك الأعظم محمود خان وأدناه من حضرته وكان إذا جاء إلى زيارة الجد يقوم بخدمته عمي صاحب الترجمة واجتمع بعلماء الدولة ورؤسائها ومشايخ الاسلام بها ووزرائها العظام وكان كثير الاتحاد مع الوالد لا يفترقان أكثر الأحيان وكان يعامل الوالد معاملة الوالد وإذا رآه يقبل يده ويتأدب بخضرته **وكان الوالد** يجله ويحترمه ويسعى باكرامه وتوقيره واحترامه وكان حسن الأخلاق كريم النفس سليم الباطن من الحقد والغيظ لا يذكر أحدا بسوء يحسن لمن يسئ إليه ولا يظهر لأحد مقتا ولا عبوسا كثير التواضع والرفق بالناس يجالس الدرأويش والفقراء ويجلس على خوان الأكل معهم ويحادثهم ولا يستأنف من القعود معهم ويلتذ بصحبتهم ويعتقد على الأولياء والمشايخ ويحب العلماء والأفاضل ويسعى برعيهم واكرامهم ويبذل لهم العطايا والنوال وكان كثير التعبد والتهجد ملازم الصلوات والأوراد والأدعية ولما مات والدي في شوال سنة أربع وثمانين ومائة وألف أقيم مفتي الحنفية مكانه عمي المترجم بارادة أهل دمشق قاطبة واتفاقهم وعرض للأبواب السلطانية بذلك وذهب أحد خدامنا إلى دار السلطنة قسطنطينية مع العروض ولما وصل خبر موت الوالد رسم بالأمر السلطاني لعمي نظام الدين المترجم بالفتوى وجاءته المناشير السلطانية والمراسيم العثمانية تتضمن ابقاء جميع الوظائف التي كأنت على والدي والتوالي والرواتب والتداريس وغيرها وبعد مدة أعطى رتبة قضاء القدس كي يزيد اعتباره وينمو اشتهاره وباشر

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٢١٢/١

الأفتاء بهمة علية ومكارم حاتمية وزهد أدهمي وسخاء حاتمي وعفة ونزاهة وتقوى وديانة وأنتشرت فتأويه وأرغم أنف منأويه وامتدحه الشعراء وقصدته الأدبا ووردت عليه العلماء من البلاد وقام باحترامهم واكرامهم وسعى فيما يرضيهم وينفعهم وانعقدت عليه رياسة دمشق وكان هو المرجع والمقصد في امورها وازالة مدلهماتها واصلاح فسادها وتنظيم قراها وبلادها وسياسة رعاياها وحماية فقرائها وصيانة اغنيائها ووصل خبره إلى السلطان الأعظم أبي النصر غياث الدين عبد الحميد خان رحمه الله تعالى فانسر من حال عمي المترجم ودعا له وكتب إليه كتابا يتضمن استحلاب دعواته وحثه على قيامه بالرياسة واعمار دمشق وصيأنتها من الظلم والتعدي وأرسل له ألف دينار ولم يزل على حاله إلى أن مات سمعت من فوائده رضي الله عنه وأنتصحت بنصائحه وتربيته وكان يحبني ويودني ويقدمني على أولاده ويقوم باحترامي وتعظيمي وكنت أشاهد منه مودة الوالد لولده وحنو المرضعات على الفطيم وأنتفعت بدعواته ولما مات تكدرت لموته وحزنت لمصابه وفقدت بارا يشفق ووالد يرحم وملازا للنائبات يعد وقد فصلت أحواله وأطلت في ذكرها في كتأبي أتحاف الأخلاف بأوصاف الأسلاف توفي رضي الله عنه بعد أن مرض شهرا يوم الجمعة خامس عشر رمضان سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ودفن من اليوم على والده في مقبرتنا داخل دارنا في محلة سوق صاروجا وكأنت جنازته حافلة حضرها أهالي دمشق جميعا رحمه الله تعالى.
حسين الخالدي." (١)

"وطولي من عذابي في هواك عسى ... يطول في الحشر ايقافي واياكي

وكانت وفاة المترجم في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

سعيد الجعفري

سعيد بن محمد بن إسماعيل بن زين الدين بن بهاء الدين المعروف بالجعفري الشافعي الدمشقي العالم العامل الفاضل المتفوق كان من أفاضل دمشق شيخا أديبا بارعا حافظا لكتاب الله تعالى مواظبا على الطاعة والعبادة مستقيا على وتيرة التقشف ولد بدمشق سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وقرأ على مشايخ اجلاء كالشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ علي كزبر والشيخ محمد الديري نزيل دمشق وغيرهم وتمكن من العلم والأدب وحصل فضلا لا نكر فيه ودرس مدة بالجامع الأموي ثم ترك ذلك وحصل له في عقله خلل وأخبرني بعض الأصحاب أن أصل ذلك جذبة آلهية حصلت له بعد وفاة الأستاذ الشيخ أحمد النحلاوي لأنه كان

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٢٢١/١

ملازما له هو ووالده الفاضل محمد الجعفري ثم ترك الأقراء والاشتغال بالعلم ولازم منازل طوائف العرب وصار يجلب السمن إلى دمشق ويبيعه ولم يزل على حالته إلى أن مات وكان من أحباب والدي وأصدقائه **وكان الوالد** يبره ويحفل به وامتدح الوالد بقوله تلك الظباء التي قد زانها الحور إلى آخر القصيدة ومن شعره قوله

سل من لحظه الحسام وسنه ... رشأ قتله الأحبة سنه

وتبدي لهن يوسف حسن ... فلهذا قطعن أيديهنه

وانثنى يعطف الدلال قواما ... وهو فرد الجمال يأسرهنه

تفضح الغصن منه بانة قد ... في اعتدال القنا وهز الأسنه

ناظرا لي بطرف ريم كناس ... أحور الطرف مالك للأجنه

دب ماء الحياة في وجنتيه ... حين حلت حشاشتي نارهنه

صاد كل القلوب في لحظات ... منذ أمست لعمدهن أكنه

وعجيب ذا الفتك من أين للال ... حاظ والسقم لاح في جفنهنه

الأمان الآمان بالله رفقا ... ياعبون المها بمغرمكنه

أسرتني وأوات صدغيه لما ... كلمتني لذعا عقاربهنه

وانطوت في مطوى كشحيه منا ... أعين طالما تمنطقهنه

يا غزالا إذا رنا أسكرتنا ... حان ألحاظه بخمر تهنه

وهلا لا إذا بدا بدياجي الشعر فيه انطوت بدور الدجنه

عمرك الله يا نشجي ترفق ... وتعطف علي المتيم منه

وامنح الصب فيك لحظة وصل ... منك آماله تحققهنه

وقد نسجها على منوال قصيدة الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي التي مطلعها

جذبتنا إلى الملاح أعنه ... وسقتنا الردى لواحظهنه

ورأينا بالغمز ضرب سيوف ... وبتلك الجفون وخزا سنة

ولصاحب الترجمة من قصيدة مطلعها

تكامل حسنا مفي نضارته الخد ... على حين أذكى جمر وجنته الوقد

فكان مليك الحسن في شرعة الهوى ... وكل فتى يهوي الجمال له عبد

وكنت وشأني في الصبابة مطلق ... فأوثقني عشقا ولج بي الوجد
فعدت وليلي ليل صب لقد قضى ... من الهجر إذا مسى بواصله السهد
أسامر زهر الأفق على أن أرى ... به طالعي للوصل قارنه السعد
بروحي رشا كالبدر طلعة وجهه ... بعيد مناط القرط ليس له وعد
تملك منا اللب مياس قده ... وأسلمي العدال ذيالك العد
ومالي عنه في الصبابة منزع ... وما في الهوى اللوام عني لهم صد
يفتك في العشاق صارم لحظه ... كما لضعاف القلب تفترس الاسد
فحيث رنا يستل صلت مهند ... يقول لقلب الصب أنت لي الغمد
ويلعب بالألباب سحر جفونه ... وليس لها عن صبح غرته بد
وقد شاقني الورد النصيبي بخده ... وتيمني في الثغر ذيالك الشهد
فمن لي به والشوق أن يخب زنده ... تهيج به الذكرى فيستقدح الزند
أحبة قلب المستهام متى اللقا ... وفيه بجمع الشمل ينتظم العقد
وله." (١)

"منها وحواشي نمل عارضه ... لخفا فينها لنا نظر

أحسن منه قول ابن عرفة
انظر إلى السحر يجري في لواحظه ... وانظر إلى دعج في لحظه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق عارضه ... كأنهن نمال دب في عاج
ومنها
ما رأى موسى فواعجباكيف يدعي أنه الخضرمنصفي في الحب من رشأ
مقلتاه ملؤها حورأخذت فيه بنو ثعلفهي لا تبقى ولا تذر
بنو ثعل قبيلة من العرب رماة يضرب بهم المثل لجودة رميهم قال امرؤ القيس
رب رام من بني ثعل ... مخرج كفيه من ستره
فهو لا يخطي برميته ... ماله ما عد من نفره
عودا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٢٦٠/١

ضل في ديجور طرتهعجمها والبدو والحضرسائلي عن حالتي سفعها

ليس لي عن حالتي خبرريع صبري في محبتهمنه لا عين ولا أثر

سامح الله الظبا بدمي ... فهو في شرع الهوى هدر

وللمترجم قوله

أهواه قد لبست غدائره الدجى ... وصباح غرته المنير تبلجا

وعلى حواشي الورد من وجناته ... قد خط ريحان العذار بنفسجا

المى الشفاه يزينها خال لقد ... طبعت على ياقوتها فيروزجا

واحيرتي في شادن حلوا للمى ... رشأ رخيم الدل أحوى أدعجا

ما بين معترك القلوب ولحظه ... لا كان مطلب لحاجته التجى

لا صبر لي وقعت في اشراكه ... جهلا وأنظر لا أرى لي مخرجا

أرجو رضاه ولو بسلب حشاشتي ... فيقول لي حاولت ما لا يرتجى

ويهز عطف التيه مختالا كما ... شاء الهوى فأعود منقطع الرجا

ومن مقطعاته قوله

أيها الشادن المحجب عن عين ... محب بليله يرعاكا

أنت في أسود الفؤاد ولكن ... أسود العين يرتجى أن يراكا

وله غير ذلك ولم تصلني وفاته في أي سنة كانت رحمه الله تعالى.

صالح الغزاوي

صالح بن علي بن يوسف بن عبد الشافي بن علي بن عبد القادر الشريف لأمه الشافعي الغزي نزيل دمشق الشيخ الفاضل الفطن الأديب كان متفوقا أديبا حسن الأستحضار حافظا للنوادر وله في الأدب معرفة وفي اللغة والتاريخ من خلاصة الأفاضل والأدباء البارعين الأذكياء ولد بغزة هاشم في شوال سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف كما أخبرني والده الشيخ علي وارتحل إلى مصر وأخذ بها عن علمائها الفحول وتلمذ لتلك الجهابذة حتى حصل الفضل الذي لا نكر فيه وتولى افتاء الشافعية بغزة وقدم دمشق واستوطنها ودرس بالجامع الأموي وفي مدرسة الوزير سليمان باشا العظم الذي أنشأها بالقرب من داره داخل زقاق باب البريد ولزمه جماعة من الطلبة واستمر على الأقراء والافادة وكان منهمكا بحب الدنيا وكان يكثر الترداد على آغة أوجاق اليرلية بدمشق يوسف أغا الشهير بابن جبري وله عنده مزيد الرفعة وتردد إلى الوالد أيضا وكان الوالد

يحسن إليه ويبره ويشهد بأدبه ونبله وله فيه الشعر والمديح فمن نظمه ما امتدح به والدي بقوله

عيون المها ردي سهامك عن نحري ... فمالي على رشق اللواحظ من صبر

وابق على الصب المتيم قلبه ... فقد راعه ما في الجفون من السحر

إلى الله أشكو ان في القلب لوعة ... تقلب أحشاء المحب على الجمر

و أجفان عين قد تجافت عن الكري ... فما تلتقي الا على دمعة تجري

سلوا لليل يخبركم دجاه بأنني ... أبيت سميرا لنجم فيه إلى الفجر

أبت مقلتي الا مجانبة الكري ... فواخجلي هل لي إلى الطيف من عذر

أهيم اشتياقا نحو دار ألفتها ... فآها وآها ثم آها على مصر

ترقرق ماء النيل فيها كأنه ... لجين مذاب فوق أرض من التبر

ولولا بقايا طعمه في مذاقتي ... لما ظهرت تلك الحلاوة في شعري

وقائله لما رأت ما أصابني ... وصبري على داء أمر من الصبر

أتذكر مصرا بعدما صرت داخلا ... رحاب هلال المجد في وجنة الدهر." (١)

"عبد الخالق بن أحمد بن رمضان المعروف بالزيادي بكسر الزاي المشددة الشافعي الميداني الدمشقي الشيخ العالم الماهر الفاضل المحصل ولد بدمشق تقريبا في سنة تسع وأربعين ومائة وألف بمحلة الميدان وارتحل لمصر في سنة ست وستين ومائة لأجل طلب العلم والاشتغال به فقرأ على جماعة كالشيخ أحد الملوي والشيخ محمد الحفناوي وأخيه الشيخ يوسف والشيخ عبد الله الشيراوي والشيخ عيسى البراوي والشيخ أحمد الجوهري والشيخ علي الصعيدي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ محمد الفارسي والشيخ عطية الأجهوري وجل انتفاعه عليه والشيخ سليمان الزيات والشيخ خليل المالكي والشيخ حسن المدابغي والشيخ حسن المصليحي واشتغل عليهم وحصل منهم معقولا ومنقولا وأجازوه بالفقه والنحو والأصول والحديث وغير ذلك من العلوم وحصل فضلا لا بأس به وقدم دمشق في سنة اثنين وسبعين ومائة وألف واشتغل بالأقرأ والتدريس فأقرأ في الجامع الأموي صيفا وشتاء ولزمه الطلبة وهو الآن مستقيم على ذلك غير إنه يتعرض للوكالات والخصومات والدعاوي فبسبب ذلك يقع في المضرات ويصير هدفا لسهام أقوال الناس وهو مستقيم على ذلك بالباع والذراع وهو ممن **كان والدي** يودهم ويكرمهم وله الينا تودد وتردد وبالجملة فهو من الأفاضل المتفوقين وكانت وفاته قبيل العصر من يوم الثلاثاء لعشري ذي الحجة سنة ست

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٣٠٧/١

وتسعين ومائة وألف ودفن من يومه بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن الموصلي

عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بالموصلي الشافعي الميداني الدمشقي الصوفي الاستاذ الكامل المربي شيخ الطريقة الأفضل أحد مشاهير المشايخ المعتقدين وهو وأسلافه مشايخ مشاهير لهم حفدة ومريدون وأملاك وعقارات وقد اشتهروا ببني الموصلي وينتهي نسبهم إلى الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ أبي بكر الشيباني رضي الله عنه وكان صاحب الترجمة شيخا أديبا فاضلا بارعا ناظما ولد في سنة احدى وثلاثين وألف وطلب العلم ومهر وساد وأقبل على مطالعة الدواوين الشعرية وله نظم حسن كثير وديوانه متداول وكان معتقدا عند خاصة الناس وعامتهم مبجلا معظما كريم الأخلاق كثير السخاء مصون اللسان وقد اشتهر بالأدب وبهر وفاق على أهل عصره ووالده كان فقيها فرضيا حسن الخلق مبذول النعم وله ثروة وافرة وتوفي في المدينة المنورة في محرم سنة أربع وخمسين وألف ودفن ببقيع الغرقد وولده المترجم ترجمه الأديب السيد الأمين المحبي في نفحته وقال في وصفه هو في الميدان سابق طلق عنانه وكأنما حشر الصواب بين بيانه وبناته من ملأ رتعوا بأنضر خميله وبذلوا ما شاء السماح من عارفة جميله مكانه في السراة ذروة الثمام وليديه في الجود آثار الغمام لا ينبئ الا عن ظل الكرامة الأندى ولا يبيت الا حيث المحلق والندي وقد متعني الدهر برهة بحضرته فتقلبت معه في بهجة العيش ونضرته وسمعت لفظا غذاء الروح وشاهدت خلقا فيض الملائكة والروح إلى تثبت يستخف الجبال الرواسي وانعطاف يلين القلوب القواسي وأنا من ذلك العهد لا افتر عن تذكره بخاطري وأتمثل شخصه في ضميري حتى كأنه حاضري وله أشعار كلها نكت للمستملي وملح للذيق المستحلي وفيها نخب للفتاك وسبح للنساك يقول ما يشاء فتستحسنه وتريد الطير تحكيه فلا تحسنه وقد أثبت منه ما يسترقص الجمادات طربا ويترك في كل قلب مطربا انتهى مقاله ومن شعره قوله

عجزا لرقاة عن الحجي ورقائه ... وكذا الأساة عن الأسى ودوائه

ثكلتهم الأعشاب ويح كبادهم ... لم يعلموا ما حل في سودائه

حلوا المراكب العزائم واتركوا ... كل يروح من ملا ببلائه

ابني الصبابة والهوى من بعدنا ... إني لكم هيهات من زرقائه

ليس الهوى بسفاهة من كالح ... مدعو الغرام ومنتدى عدوائه

إن الصبابة واللطافة والحيا ... علم عليه يدل من أسمائه

فهي الأمانة انبأث عن فضل من ... فتق العبير وخصه بردائه
وقوله من أبيات
لئن كنت أسعى كل حين اليكم ... وتوكسني الآمال عن حيكم غصبا
فلي أسوة بالنجم للشرق سيره ... مدا الدهر والأفلاك تهوي به الغربا
هذا من قول الأرجاني." (١)

"عبد الرحيم بن مصطفى بن أحمد الشافعي الدمشقي الصالحي الشهير بشقده الشيخ العالم الفاضل البارع ولد بصالحية دمشق ونشأ بها وأخذ في طلب العلم فأخذ عن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي وأبي الفلاح عبد الحي العكري وأجاز له الاستاذ النابلسي اجازة خاصة كتبها له بخطه ونبل وفضل وكان يعظ بالجامع الجديد بالصالحية ولوعظه تأثير في القلوب وكان يخطب بجامع قرية برزة ويؤم في جامع العفيف بالصالحية واختصر تاريخ شيخه العكري المسمى شذرات الذهب اختصارا حسنا وله غير ذلك من الآثار والفوائد وبالجملة فقد كان من آثار السلف الصالحين وأهل الفضل والديانة وله شعر قليل وقفت على شيء منه وكانت وفاته نهار الجمعة ثامن صفر سنة ستين ومائة وألف عن تسعين سنة تقريبا ودفن بسفح قاسيون بقرب ضريح الشيخ عبد الهادي.

عبد الرحيم المنير

عبد الرحيم بن السيد أسعد بن إسحق المعروف كأسلافه بالمنبر الشافعي الدمشقي الشيخ الفاضل كان صالحا كاتبا له مشاركة في العلوم وكتب كتبا بخطه كثيرة وكان ساكنا مستقيما ولد بدمشق في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف كما أخبرني هو من لفظه وحفظ القرآن على والده المقدم ذكره وهو في سن السبع وأقرأه بعده مقدمة التجويد للميداني والجزرية والأجرومية مع اعرابها للشيخ نجم الدين وحصة من الشاطبية ثم بعد وفاته بثلاث سنوات لازم شيوخ الجامع الأموي فقرا على الشيخ محمد الغزي والسيد خليل الدسوقي والشيخ محمد البقاعي والشيخ محمود الغزي نزيل دمشق ثم بعد سنتين لازم وقرأ على الشيخ أحمد المنيني والشيخ إسمعيل العجلوني والشيخ صالح الجينيني والشيخ محمد قولقسز والشيخ عبد الله البصروي والشيخ علي كزبر وحضر درس الحديث في الجامع الأموي في رمضان بعد صلاة الصبح صحبة والده على الشيخ محمد الكاملي وكذلك درس ولده الشيخ عبد السلام في المحل المزبور ودخل في اجازتهما العامة وكذلك درس الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي في التفسير وغيره ودخل في اجازته العامة وحضر درس

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٣٣٤/١

الشيخ عبد القادر التغلبي والشيخ عبد الرحمن المجلد والشيخ أحمد الغزي والشيخ مصطفى المحيوي ابن سوار ودخل في اجازتهم العامة كما أخبرني وأخبرني أيضا إن والده أخذه في صحبته إلى الجامع الأموي وأحضره درس الشيخ أبي المواهب الحنبلي في ختمه للجامع الصغير سنة وفاته وكان رحمه الله مشتغلا بنسخ الكتب لأجل المعيشة ولما ضاقت به الأحوال في سنة احدى وخمسين ذهب إلى اسلامبول لأجل المعيشة فمكث بها خمس سنوات ونصف ولم يحصل على طائل ونسخ هناك عدة كتب إلى الوزير ومحمد راغب باشا حين كان رئيس الكتاب في الدولة العلية ثم عاد لدمشق ثم ذهب ثانيا وثالثا لأسلامبول فلم ينل قدر الكفاف فاشتغل بنسخ الكتب وكان خطه مقبولا وكانت استقامته في دار داخل المدرسة القجماسية بالقرب من باب السرايا عند سوق الأروام **وكان والدي** يحبه ويكرمه وكتب له كتبا بخطه وبالجملة فقد كان من خيار الأنام وكانت وفاته في ربيع الثاني فجأة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ودفن في تربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم المخللاتي." (١)

"علي بن إسمعيل بن حسن بن حمزة بن حسن الحسيني المعروف كأسلافه بالعجلاني الحنفي الدمشقي نقيب الأشراف بدمشق السيد الشريف الحسيب النسيب الرئيس العاقل الكامل المتفوق كان من أعيان دمشق المنوه بهم والرؤساء المشار إليهم صاحب وجاهة ونباهة حسن الخصال لطيف الصحبة والعشرة عذب المفاكهة والمداعبة له عقل وافر ودرية في الأمور يحرص على الكمالات ويتحرز مما يشين عرضه ويزريه ولكثرة عقله كان يتوهم كثيرا ويتخيل في الأشياء أمورا كأنما كان بها بصيرا ولد بدمشق وبها نشأ وتوفي والده وهو صغير وذلك في يوم السبت عاشر رجب سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف وجده بعده أيضا في سنة أربعين وكان نقيب الأشراف بدمشق ومن صدورها الأخيار فنشأ المترجم في كنف مفتي دمشق المولى حامد العمادي وبينهم قرابة وهي إن والدة والد المترجم المذكور ابنة المولى علي العمادي المفتي والد حامد العمادي المذكور فيكون العمادي حامد المذكور خال والده ثم المترجم بعد التمييز نبل وتفوق وأعطاه الله القبول من صغره فتولى نقابة دمشق مع وجود عم والده السيد عبد الله العجلاني وكان ذلك في سنة خمسين ومائة وألف ثم عزل عنها مرات وأخرا استبد بها من حدود سنة اثنين وسبعين إلى أن مات وكان في تلك الأوقات نقيبا السيد حمزة بن يحيى بن حمزة الحسيني ففي أثناء الفتنة بين الينكجرية اليرلية والقبيقول يرلي يكيجر يله قبو قولي بيننده برفتنه اولمش ايمش وما جرى في تلك الأيام في أيام الوزير حسين

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٣٨٠/١

باشا ابن مكي الغزي كان النقيب ابن حمزة المذكور هو المشار إليه والمعول عليه فبعد نظام الأمور وتهميد الفتنة ومجئ الوزير عبد الله باشا شته جي حاكما لدمشق وأميرا على الحاج وجهت النقابة إلى المترجم وبقيت عليه إلى أن مات ولم يعزل بعدها وعلت حرمته ونفذت كلمته وتقاه العالم واحترمته الوزراء والحكام والقضاة وكان مقبول الشفاعة عندهم محترما بين الناس نافذ الأمر عالي الكلمة تتردد إليه الناس وهو يكرمهم ويقوم بواجبهم من الاحترام والتودد وأعطاه الله القبول وأنشأ عقارات ودورا وأملاكا كثيرة وعمر بيتهم وأنار سراجهم وزاد جاههم بحيث لم يصل أحد من بني عجلان إلى ما وصل إليه من متاع الدنيا والثروة وكان بدره سعدا منيرا وكوكب حظه ظهيرا وتولى وظائف وتداريس ومدارس كثيرة وكانت عليه اقطاعات وقرى بطريق المالكانة كذلك هو نالها بجهده وجده وكانت عليه رتبة موصلة السليمانية المتعارفة بين الموالي الرومية وجمع كتبا نفيسة حسنة وغالبها هو استنسخها وكان في أمر المعاش متقنا وفي أمور الدنيا وافر التدبير وكان في أمور القرى والزراعة والحراثة مجدا بحيث إن قراه وحوانيته جميعها معمورة ويضرب بها المثل في دمشق بين أرباب الفلائح لعله يريد الفلاحة وكان نقيا من نقيصة في عرضه ودينه وكان لوالدي كالأخ الشقيق ونشأ هو وإياه سوية وكل منهما يحب الآخر ويحترمه ويوده بحيث لا يصغي أحدهما إلا للآخر ولم يثنهما عن بعضهما تخالفات الأيام والأحقاب وكانا متحدين من وجوه أولها موافقة الأسم ووجود السيادة والمجد وثانيا الشكل والمهابة ولطف الأخلاق فانهما كانا متشابهين في ذلك وثالثها السن فانهما كانا متساويين في العمر إلا أن العجلاني المترجم كان أكبر من والدي بشيء قليل ومن الاتفاق إن والدي مات بعد وفاته بسنة وأشهر وكان هو لوالدي مطيعا سميعا لما يريد ويرضى متفقا على رأيه منقادا لأستحسانه وأمره **وكان والدي** يجله وله عنده رتبة رفيعة ولم يزالا كذلك إلى أن توفي المترجم ولحقه الوالد وماتا رحمهما الله تعالى وتولى المترجم نيابة المحكمة الباب سنة خمس وسبعين ومائة وألف وحج إلى بيت الله الحرام وبالجملة فكان أحد صدور دمشق ورؤسائها وكانت ولادته سنة سبع وعشرين ومائة وألف وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ودفن بمقبرتهم الخاصة بهم الملاصقة لمسجد الدبان بمحلة السويقة المحروقة ورثى بالقصائد العديدة وكثر الأسف عليه وكان جده السيد حسن من صدور دمشق له الشهرة التامة تولى النقابة مرارا وتصدر كأسلافه ولم يزل كذلك حتى توفي وتولى النقابة بعده أخوه السيد عبد الله مدة وبالجملة فبنو عجلان طائفة شرف وسيادة قديما وحديثا والمترجم من وجوههم رحمهم الله تعالى.

علي الأسدي." (١)

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٩/٢

"قبل ذلك خانا يسكنه أهل الفسق والفجور فأنقذه الله من الظلمات إلى النور وشرط في كتاب وقفه أنه لا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب للتتن وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد كذلك هناك وكان كثير الصدقات مسارعا إلى القربات وله من التآليف المفردات القرآنية في مجلدين تفسير للآيات وجعله باللغات الثلاث أولا بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية وهو مشهور بين علماء الروم وغيرها وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية وتحريرات ومكاتبات وكانت وفاته في قسطنطينية في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف وصلى عليه في جامع أبي أيوب خالد الأنصاري رضي الله عنه ودفن في درسخانة المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا ورثى بالقصائد الكثيرة العربية والتركية ومن ذلك ما رثاه تلميذه الشيخ أحمد المنيني مؤرخا وفاته حيث قالل ذلك خانا يسكنه أهل الفسق والفجور فأنقذه الله من الظلمات إلى النور وشرط في كتاب وقفه أنه لا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب للتتن وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد كذلك هناك وكان كثير الصدقات مسارعا إلى القربات وله من التآليف المفردات القرآنية في مجلدين تفسير للآيات وجعله باللغات الثلاث أولا بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية وهو مشهور بين علماء الروم وغيرها وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية وتحريرات ومكاتبات وكانت وفاته في قسطنطينية في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف وصلى عليه في جامع أبي أيوب خالد الأنصاري رضي الله عنه ودفن في درسخانة المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا ورثى بالقصائد الكثيرة العربية والتركية ومن ذلك ما رثاه تلميذه الشيخ أحمد المنيني مؤرخا وفاته حيث قال

غوث البرايا مرشد العباد في ... سنن السلوك إلى مناهج قربه

بحر الحقيقة والشريعة من سرت ... أنواره في الأفق مسرى شهبه

انسان عين الوقت كامله الذي ... يم المعارف قطرة من سحبه

الملجأ الاحمى مراد الله من ... لحماه يهرع عائذ من كربه

قد جاءه من ربه بشرى الرضا ... بلقاء مولاه الكريم وحزبه

إلى آخرها وهي طويلة ورثى بغير ذلك رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

مكي الجوخي

ابن محمد سعيد بن يس بن سليمان بن طه بن سليمان الجوخي الشافعي الحلبي الأصل الدمشقي المولد الفاضل البارع الأديب اللغوي الضابط كان أحد البارعين في الأدب وفنونه وله شعر حسن واطلاع تام في

اللغة مع ضبطها وكان يتفحص عن النكات والأحاسن من الأشعار والفوائد ويضبطها مع باع في النحو والفقه وغيره ذا ثروة مشتغلا بالمتاجرة والاكتساب من ذلك قدم جده يس من حلب إلى دمشق في حدود سنة ستين وألف ونزل في خان الجوخية بدمشق في تجارة فلما بلغ الخبر إلى مفتي دمشق العلامة المولى أحمد المهمنداري الحلبي أرسل بعض خدمه إليه وأنزله عنده وكان يتردد إلى الخان المذكور ويعود يبيت عنده ثم بعد مدة اشترى دارا في محلة مدرسة الباذرائية وتوطن بها وتزوج وصار له أولاد منهم محمد سعيد والد المترجم ثم ولد لمحمد سعيد أولاد منهم المترجم وهو أنجبهم ونشأ في حجر والده وقرأ القرآن على الشيخ حسين البيتماني وأخذ عن غيره ثم طلب العلم واجتهد في تحصيله فقرأ على الشيخ محمد الغزي وهو أول شيخ أخذ عنه ورباه وأخذ عن غيره من جماعة أفاضل أجلاء وارتحل إلى حلب وأخذ عن عالمها الشيخ طه الجبريني والشيخ محمد المواهبي ولما حج في سنة ثمانين ومائة **وكان والدي** في تلك السنة حاجا وكنت مع والدي وكان سني دون البلوغ فأخذ عن علماء الحرمين وصار له تآليف فاختصر شرح الأذكار للنووي واختصر شرح الصدور وله مجاميع وشعر وفوائد وله ضبط في اللغة والأدبيات وغير ذلك وله ديوان شعر وبالجملة فقد كان من أدباء ذلك القرن ومن شعره الباهر ما مدح به الجناب الرفيع صلى الله عليه وسلم بقوله

بك يا سيد الأنام التجائي ... وعياذي من طارق اللأواء

يا ضياء الوجود يا رحمة الل ... ه التي ترتجي لكشف البلاء." (١)

"وكانت وفاة المترجم في شعبان سنة ستين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى والقنيطري نسبة إلى القنيطرة وهي تكية ناحية تركمان بناها لا لامصطفى باشا رحمه الله تعالى.

السيد مصطفى العلواني

ابن إبراهيم بن حسن بن أويس المعروف بالأويسي العلواني الشافعي الحموي نزيل دمشق أحد الأفاضل كان أديبا بارعا ناثرا ناظما كاتبا لوذعيا ألمعيا له الحسب والنسب محرزا دقائق الكمالات جانيا ثمرات الفضائل والمعارف ولد بحماه سنة ثمان ومائة وألف كما أخبرني ونشأ في حجر والده وقرأ عليه وبه تخرج في فن العربية والأدب وقراءة القرآن وحمله على طلب العلم ونزل بمدرسة الباذرائية واشتغل بقراءة العلوم على أفاضل دمشق فمنهم الشيخ إسمعيل العجلوني وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي ولازمه في الدروس وأخذ عن الشيخ عبد الله البصروي وعن الشيخ محمد العجلوني وعن الشيخ عبد السلام الكاملي

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٢/١٤٦

ونظم الشعر والانشاء البليغ مع خط حسن باهر متناسق وشرف نفس وكان ملازم السكون في خلوته وارتحل إلى الروم مرات متعددة وعاد ببعضها متقلدا نقابة بلدته حماه وعزل منها ثم عاد إلى الروم لقضاء ما فات وبلوغ المرام وآخر أمره أن جعل دمشق مأواه وسكنه وكان في السوداء متسما بغاية لا تدرك وكان والدي يحبه وهو من أصدقائه وكتب لوالدي عدة كتب بخطه وأجازني بمروياته عن شيوخه واجازة خاصة بخطه وأجازني بمنظومته التي نظمها بطريق التوسل بأسمائه الحسنى جل وعلا وبأسمائه صلى الله عليه وسلم وأخبرني أنه اجتمع بالجد الكبير الأستاذ الشيخ مراد الحسيني قدس سره حين ارتحاله إلى الديار الرومية في سنة تسع عشرة بعد المائة وأخبرني أنه لما ذهب به ولاده إلى الجد وكان الجد مستقبل القبلة بعد اتمام صلاة ذلك الوقت فلما رآه الجد دعا له ولمس ظهره بكفه وكان المترجم من العلماء الأفاضل البارعين بفنون الأدب وغيره وشعره عليه طلاوة فمن شعره قوله

أشرف الأنبياء يا نقطة الكو ... ن ومبنى هذا الوجود العجيب

يا رسولا آياته قد أذابت ... من ظلام الأهواء كل مريب

يا عزيزا على الآله وفي فص ... ل القضا المستبد بالتقريب

أنت باب الآله من يأت من أع ... تابه نال غاية المرغوب

أنت أنت الملاذ إن أفظع الكر ... ب ومدت للفتك أيدي الخطوب

أنت ملجأ المؤملين فكم من ... ك أنيخ الرجا بواد عشيب

أنت ذخر الضعيف أن يخش عند ال ... بعث والحشر هول يوم عصيب

يا شفيعا هناك إذ يوقع الأن ... فس في المزعجات كرب الذنوب

يا كريما حيا العطاش على الحو ... ض إذا ما أتوا بأعذب شوب

كيف يخشى وقع الحوادث عند ... منك قد لاذ بالجناب الرحيب

فأغثني وكن مجيري فإني ... منك للبر صرت أي رقيب

مع أني إلى علاك تشفع ... ت بصديقك الحليم المهيب

وأبي حفص الذي وافق القر ... آن منه لخير رأى مصيب

وابن عفان ذي الحياء شهيد ... الدار ظلما بدون شك وريب

وعلي ليث الحروب أبي السب ... طين زوج البتول باب الغبوب

وبأصحابك الهداة الألى من ... ك لقد أتحفوا بأكمل سيب

وبأتباعهم ذوي الذب عن هد ... يك كيلا يغشاه شوب كذوب
وخصوصا منهم هداة اجتهاد ... قد أذابوا فيه سويدا القلوب
بابن ادريس الذي منك أدنت ... ه لعمري قرابة التعصيب
والمرقى أبي حنيفة عالي ال ... كعب في نيل أشرف المطلوب
وامام المدينة الحبر حقا ... مالك الشرع حائز التقريب
والزكي التقي أحمد من في ال ... علم قد حاز كل فن غريب
وعليك الصلاة يا خاتم الرس ... ل وأعلى معظم وحبيب
ما توالى من مصطفى بن أويس ... لك مدح مع سح دمع سكوب." (١)

"جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور. لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله. وكيف ينكر، وهو المزن يحمد بكل لسان؟ أو كيف يستر وهو الشمس، لا تخفى بكل مكان؟ وكنت أنا بعد فرخا أزغب، في الاستضاءة بنوره أرغب. وكان هو ووالدي رحمة الله عليهما بنيسابور لصيقي دار، وقريبي جوار. فكم حملت كتبا تدور بينهما في الإخوانيات، وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات. وما زال بي رؤفا علي حانيا، حتى ظننته أبا ثانيا، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره، ومساء تتلاطم أمواج قاره. ووجدت بعد وفاته مجلدة من محاسن أشعاره، وفيها ثمار بيانه، وعليها آثار بنانه. فالتقطت منها ما يصلح لكتابي هذا من أوساط عقودها، وأناسي عيونها. فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبي الفضل الميكالي يعاتبه:

يا سيدا بالمكرمات ارتدى ... وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى ... مودة طال عليها المدى؟
إن غبت لم أطلب وهذا سلي ... مان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله ... فقال: ما لي لا أرى الهدهدا؟

ومن ذلك قوله:

وسائل عن دمعي السائل ... وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له الأرض في ناظري ... أوسع منها كفة الحابل
بليت، والله، بمملوكة ... في مقلتيها ملكا بابل
فإن لحاني عاذل في الهوى ... يوما فما العاذل بالعادل

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١٥٣/٢

وأنشدني الشيخ والدي، رحمة الله عليه، قال: أنشدني لنفسه:

ولو أنني أنصفت في إكرامه ... لجلال مهديه الكريم الألمع

لقضمته حب الفؤاد لحبه ... وجعلت مربطه سواد المدمع

وخلعت ثم قطعت غير مضيق ... برد الشباب لجله والبراقع

وله:

سقيا لعهد سروري ... والعيش بين السراري

إذ طير سعدي جوار ... مع امتلاك الجواري

وغيم لهوي مطير ... وزند أنسي وار

أيام عيشي كعودي ... وقد ملكت اختياري

أجري بغير عذار ... أجني بغير اعتذار

وله في الشكوى:

ثلاث قد منيت بهن أضحت ... لنار القلب مني كالأثافي

ديون أنقضت ظهري وجور ... من الأيام شاب له غدافي

وفقدان الكفاف، وأي عيش ... لمن يمنى بفقدان الكفاف؟

وله في معناه أيضا:

الليل أسهره فهمي راتب ... والصبح أكرهه ففيه نوائب

فكأن ذاك قذى لطرفي مسهد ... وكأن هذا فيه سيف قاضب

الحاكم أبو سعد

عبد الرحمن بن محمد بن دوست

ليس اليوم بخراسان أدب مسموع، إلا وهو منسوب إليه متفق بالإجماع عليه، وكان أصم أصلخ يضع الكتاب في حجره، ويؤديه بلفظه. فيسمع ولا يسمع، كالمسن يشحذ ولا يقطع. **وكان والدي**، رحمه الله، من المختلفين إليه والمغترفين مما لديه، والمخترفين لثمار أغصان بنان يديه. ورأيته أنا وقد طوى العمر ومراحله، وبلغ من الكبر ساحله. ولم أتزود منه إلا الإكتحال بطلعته، وكأن فضة ناظري بعد منقوشة بصورته. فمما أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد، أيده الله، وهو من أعيان تلامذته، الرماة من جعبته، النحاة إلى كعبته، قوله:

لما رأيت شبابي ... يهيم في كل واد
عجبت من شيب فودي ... ومن شباب فؤادي
ولم أسمع في الكناية عن مقيل المتوفى بدهليز الآخرة، أملح من قوله في الأمير أحمد الميكالي لما بنى المشهد بباب معمر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة:
حسدوه إذ لم يدركوا مسعاته ... لما ابتنى دهليز باب الآخره
وتيقنوا علما بأن وراءه ... من جنة الفردوس دارا فاخره
قلت: والحاكم أبو سعد كما أثنى على نفسه، فقال:
ولقد شربت من العلوم بأنقع ... وسقيت غيري من علومي أنقعا
وحويت آدابا لبست جمالها ... وبهاءها وحلفت ألا أنزعا
وله يرثي الشيخ أبا منصور الثعالبي، رحمة الله عليهما:
كان أبو منصور الثعلبي ... أبرع في الآداب من ثعلب
ليت الردى قدمني قبله ... لكنه أروغ من ثعلب." (١)
"متى ترجو خلوص الود مني ... ولم يك في اصطناع منك همه؟
فلا تطلب لدي لسان صدق ... وجاوزني عساك تنال ثمه
وقرأت له فصلا، كتبه تحت أبيات شعر له، كتبها على ما سمح به الخاطر، لا للحكم لأنه نادر، ورجوت أن يذكرني بها ذاكر. وهذا كما حكي عن بعض أهل الأبلة أنه غرس ودية واحدة في موضع منها، مع كثرة نخيلها وأشجارها، وخضرها وأنهارها، وكتب عليها: " هذا ما أمكننا " فصار ذلك الموضع من أعجب منتزهاتها، وأطيب جنانها.
القاضي أبو سعد علي بن عبد الله الناصحي
جرت بينه وبين الحاكم أبي سعد بن دوست، رحمهما الله، مبادهة. فقال القاضي:
وما وصل الكتاب إلي حتى ... أجبت إلى الذي استدعاه مني
فقال أبو سعد:
جزاه الله عن مولاه خيرا ... وخفف ثقل هذا الشكر عني
فقال القاضي:

---
(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/١٥٤

وأولى الشيخ عزا مستفادا ... وحقق فيه مأمولي وظني

فكم لي نعمة من غير ذكر ... وكم لك منة من غير من

الشيخ أبو علي الحسن بن عبد الله العثماني

واسطة عقد نيسابور، وأول دستها، ووجه تختها، وعين إنسانها. لا بل إنسان عينها، والمخصوص بزينها، والمنصوص من بينها. وكلماته كلها حكم وأمثال، وإن عزت لها أشباه وأمثال، وبيني وبينه ودان، موروث ومكتسب، وسبب من آصرة الأدب، كأنه في الآمتزاج والاتشاج نسب **وكان والدي**، رحمه الله، مفتونا به، مشغوفا بأدبه. وكتب إليه جوابا عن رقعة طواها على خطبة مودته. فنشرها والدي عن صدق رغبته. أما رغبته في خطبة مودتي سرا وجهرا، ورهبته عن الوقوع دون واجبها برا ومهرا:

فقد خاطبته فيها ... ليكفي المهر ترفيها

فنفس الشاطر الجنة ... لا الزوجة تسفيها

وإن سفه رأي جا ... هل بالطرف تسفيها

وكتب هو إلى والدي، رحمها الله:

إن كلام أبي أحمد الحسن ... أسا كلام الهموم والحزن

سحر ولكن يحكي الصبا سحرا ... عن نشره غب عارض هتن

أنشدني بعض من يصاحبه ... شعرا له ارتحت حين أنشدني

ما أنشد الشعر بل ضللت من ال ... بهجة أسنى علق فأنشدني

وكتب إليه:

الله يعلم أنني متبجح ... بمحاسن الحسن بن عبد الله

كم للظريف أبي علي نكتة ... غريب فلم تدر الخلائق ما هي

كجواهر الأصداف بل كزواهر ال ... أسداف بل عظمت عن الأشباه

شاهت وجوه الطالبين لشأوه ... فهم البياذق وهو مثل الشاه

فأجاب عنها بأبيات قال في أثنائها:

يا هدهدا هو للفيوج بحمله ... في هامة الرأس الكتاب مضاه

اذهب إليه بالكتاب فألقه ... بالقرب منه وإن نهاك الناهي

وتول عنه فانظرن في خفية ... ثم اذكر الحسن بن عبد الله

فأجبت عنها بأبيات على غير رويها وهي:
تلك الجنان قطوفهن دوان ... تشدو حمائمها على الأغصان
أم صدغ معشوق تصولج مسكه ... من ورد وجنته على ميدان؟
أم روضة بيد السحاب مروضة ... لنسيمها لعب بغصن البان
أم شعر أظرف من مشى فوق الثرى ... الحسن بن عبد الله ذي الإحسان؟
فأجاب عنها بأبيات وهو بقرية يان من ناحية أرغيان:
عثمان يوم الدار لم يك جازعا ... جزعى لحرقة فرقة العثماني
ريح الصبا خلي قضيب البان ... هبي على قلبي بقرية يان
هبي عليه سحرة قولي له: ... كم ذا المقام كذا بدار هوان
قد كنت تولع بالبديع وشعره ... فارجع فقد وافى بديع زماني
أين البديع من الظريف الفاضل اب ... ن الفاضل الفرد البديع الثاني؟
ومنها، وقد ختم بهذه الأبيات:
سلسل خطوطك ما غدا متسلسلا ... شاطئ الجمام الزرق بالأغصان
واسجع بشعرك ما شدا متصلصلا ... شادي الحمام الورق في الغيطان." (١)

"المولى الفاضل محمد الشهير بيكان واشتهر عنده بالفضيلة التامة وكان الامير وقتئذ على قسطموني اسمعيل بك نجل الامير جندار واتفق ان اكمل في ذلك الوقت مدرسة مظفر الدين الواقعة في بلدة طاشكبري من نواحي قسطموني فارسل الامير اسمعيل الى المولى يكان والتمس منه ان يرسل اليه واحدا من طلبته لتدريس المدرسة المزبورة فأرسل المولى المزبور جدي وعين كل يوم له ثلاثين درهما لوظيفة التدريس وعين له كل يوم خمسين درهما من محصول كرة النحاس وعاش هناك في نعمة وافرة وعزة متكاثرة ثم ان السلطان محمد خان لما اخذ تلك البلاد من يد اسمعيل بك المذكور فرغ جدي عماعين له من محصول كرة النحاس تورعا لمداخلة بعض البدع عليها ولما بنى السلطان محمد خان المدارس الثمان بقسطنطينية ذكر المولى خير الدين الذي كان معلما للسلطان محمد خان جدي المرحوم لتدريس احدى الثمان ومدحه عنده وكان قد قرأ على جدي فارسل اليه السلطان محمد خان امرا ليجيء الى قسطنطينية ويدرس في احدى المدارس الثمان فلم يمتثل جدي امره فعزله السلطان محمد خان عن المدرسة المذكورة

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/١٦٠

وقال إذا جاء لطلب المنصب اكرهه على المقام بقسطنيطنية فلم يذهب جدي وقال بعض اغنياء اهل البلدة لعله ليس للمولى مال يستعين به على السفر ويستحيي ان يسأل وأفرز ذلك البعض عن ماله عشرة آلاف درهم وأتى بها الى جدي وقال استعن بها على السفر فلم يقبل وقال لا يليق بي ان اتوجه الى غير باب الله تعالى بعد هذا كان المولى الوالد رحمه الله يقول كان معاشنا بعد هذا العزل اوسع وأرغد مما كان في أيام المنصب قال ثم ان اهالي كرة النحاس اتوا اليه وأخذوه الى كرة النحاس بعد تضرع كثير وابرام وافر وكان يعظ الناس في كل يوم جمعة ومات هناك ودفن عند الجامع في سنة تسع وسبعين وثمانمائة قال المولى الوالد **كان والدي** رحمه الله تعالى مدرسا في المدرسة المزبورة مدة اربعين سنة وكان مشتهرا بعلمي البلاغة وكان له معرفة تامة بالاصولين والفقه والتفسير والحديث وكان متشرعا متورعا طاهر الظاهر والباطن متحرزا عن اللغو وفضول الكلام وكان يكثر الاعتكاف في المسجد وتلاوة القرآن وصوم

". (١)

"على شرح الطوالع للسيد العبري توفي رحمه الله تعالى وهو مدرس بالمدرسة المزبورة في أوائل سلطنة السلطان محمد خان روح الله روحه ونور ضريحه ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين درويش محمد بن خضر شاه

وكان رحمه الله تعالى مدرسا بسلطانية بروسه وقرأ والدي عليه وكان يحكي من فضائله وزهده وتقواه مالا يمكن وصفه وكان يلبس عباءة ويلف رأسه بشملة ويذهب من بيته الى المدرسة ماشيا قال المولى الوالد رحمه الله تعالى لما مر السلطان محمد خان بمدينة بروسه لقصد محاربة السلطان حسن الطويل استقبله المولى المذكور على حماره ووقف في جنب الطريق ولما مر عليه السلطان محمد خان سلم عليه المولى المذكور ثم رجع وقال السلطان محمد خان وكان جهوري الصوت أليس هذا درويش محمد قال الوزير محمود باشا بلى هو ذاك قال السلطان محمد خان للوزير ادرك خلفه واوصه بالدعاء **وكان الوالد** المرحوم يقول كان المولى المذكور مجاب الدعوة وكان هو مشهورا بذلك عند السلطان والناس وكانوا يتبركون بأنفاسه الشريفة وكان من عادته ان يحلق رأسه في السنة مرة واختار لذلك يوم عاشوراء وكان الناس يجتمعون في ذلك اليوم على بابه ويأخذون من شعره ويداوون به المرضى قال رحمه الله تعالى وربما يجيء بعض الناس وهو في الدرس ويلتمسون من شعره لاجل المرضى وكان يكشف لهم رأسه فيأخذون من شعره قال

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٧٣

ولقد سرق كتاب لبعض الطلبة فأمر المولى المذكور ان يجتمع عنده من بالمدرسة من الطلبة والمتأدبين فنظر اليهم نظرة وقال لواحد من التأدبين هات الكتاب فأنكر الرجل واستبعد ذلك كل من حضر لاعتقادهم لذلك الرجل بالصلاح وقال فتشوا حجرته ففتشوا فوجدوا الكتاب في حجرته فقال له تب من هذا الفعل فتاب عنده وقال المولى الوالد رحمه الله تعالى كان المولى المذكور ثقيل اللسان لا يحسن تجويد القرآن ولذلك كان لا يؤم في الصلاة اصلا قال وقد سقط المولى المذكور من السطح ومات من ذلك روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

". (١)

" ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى ابن الاشرف

قرأ على المولى خواجه زاده وكان يشهد له بالفضيلة التامة ثم قرا على المولى علي الطوسي وصار معيدا لدرسه واشتهرت فضائله في الافاق حتى ان بعض الطلبة تحاكموا في البحث الى المولى الطوسي ولم يشف غللهم ثم ذهبوا الى المولى المذكور فحل اشكالهم في أول كلامه حتى يروى انه ليس عنده مشكل اصلا في مسئلة من المسائل وكان رحمه الله تعالى اعجوبة زمانه ونادرة أوانه حكى المولى الوالد رحمه الله تعالى عنه انه قال امرني والدي بحفظ الفاظ متن من كل علم قبل أن أقرأ معانيها فلما شرعت في قراءتها وبلغت الى مرتبة الاستخراج صار ما حفظته جميعا معلوما عندي دفعة واحدة **وكان والدي** يقول لو داوم هو على الاشتغال لانسى ذكر المتقدمين الا انه اخترمته صروف الايام وجرى عليه ما جرى وتفصيل ذلك انه مال الى طريق التصوف والتحق بزمرة الصوفية ثم رغب في السباحة واقتدى به طائفة القلندرية وأخذوه معهم جبرا وقهرا ولم يتخلص من أيديهم حتى سار معهم في البلاد زمانا كثيرا الى ان مات رحمه الله تعالى ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى عبدالله الاماسي

قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا بمدرسة اماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة مرزيفون ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيدخان باماسيه ومات وهو مدرس بها وكان عالما بالعلوم الادبية والاصول والفقه والحديث والتفسير وكان عارفا عابدا زاهدا صالحا صاحب كرامات وكان يقرئ الطلبة مفتاح العلوم من غير مراجعة الى الشرح وكان علم البلاغة نصب عينيه وانتفع به الكثيرون وكان يصرف اوقاته في العبادة والعلم

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/١٠٣

ولا يلتفت الى احوال الدنيا روح الله تعالى روحه ونور ضريحه ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى حاجي بابا الطوسي

كان رحمه الله تعالى عالما بالعلوم الادبية والشرعية مشتغلا بالدرس وانتفع به كثير من الطلبة وشاع تصانيفه بين الطلبة منها اعراب الكافية في النحو و اعراب

". (١)

"يوسف بالي بن شمس الدين الفناري ثم قرأ على المولى يكان ثم صار مدرسا بمدرسة اسمعيل بك ببلدة قسطموني وبنى الامير المذكور تلك المدرسة لاجله ووقف عليها ثلثمائة مجلدة من التفاسير والاحاديث والشرعيات والعقليات ودرس هناك واستفاد من تلك الكتب وأفاد الطلبة وانتفع به كثيرون وكان رحمه الله تعالى عالما بالعربية والعلوم الشرعية والعقلية وكان عارفا بالعلوم الرياضية ايضا وقد قرأها على المولى فتح الله الشرواني من تلامذة المولى قاضي زاده الرومي وكان حافظا للقرآن العظيم وعارفا بعلوم القراءات وكان ماهرا في علم التفسير غاية المهارة وكان يذكر الناس كل يوم الجمعة ولما جلس السلطان بايزيدخان على سرير السلطنة ووصفوه عنده بالفضيلة في التفسير والمهارة في التذكير عين له كل يوم خمسين درهما لاجل التفسير وكان يذكر الناس تارة في جامع ايا صوفية وتارة في جامع السلطان محمد خان وقد حضر السلطان بايزيد خان في جامع ايا صوفية لاستماع تفسيره وقد ختم تفسير القرآن العظيم في جامع ايا صوفية ثم قال ايها الناس اني سألت الله تعالى ان يمهلني الى ختم تفسير القرآن العظيم ولعل الله تعالى يختمني عقيب ذلك فدعا الله سبحانه وتعالى بالختم على الخير والايمان فامن الناس لدعائه ثم اتى بيته ومرض وتوفي رحمه الله تعالى كان خال والدي واشتاذه **وكان والدي** رحمه الله يحكي انه كان معدن الصلاح ومجمع مكارم الاخلاق وكان قنوعا راضيا من العيش بالقليل وكان مشتغلا بنفسه منقطعا الى الله تعالى منجمعا عن خلقه وصنف تفسير سورة الدخان واهداه الى السلطان بايزيدخان واستحسنه علماء عصره ورأيته بخطه وعرفت منه انه كان آية كبرى في علم التفسير وكتب على حواشي كتاب تفسير القاضي فوائد حل بها المواضع المشكلة من ذلك الكتاب وصنف حواشي على شرح الوقاية لصدر الشريعة ولقد أجاد فيها كل الاجادة ومات رحمه الله تءالى بمدينة قسطنطينية سنة ا حدى وتسعمائة ودفن عند مزار الشيخ ابن الوفاء قدس سره العزيز ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى اخي يوسف بن جنيد التوقاتي

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/١٢٨

." (١)

" ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى يوسف الحميدي الشهير بشيخ سنان

قرا على علماء عصره ثم صار معيدا لدرس الفاضل قاضي زاده ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خواجه زاده ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة احمد باشا ابن ولي الدين بمدينة بروسه ثم عزل عن ذلك ومات في وطنه وكان مشتغلا بالعلم اشد الاشتغال ولم يكن ذكيا ولكن كان طبعه منقحا خالصا من الاوهام وكان يسكن ببعض الرباطات بمدينة بروسه متجردا عن العلائق الدنيوية وكان راضيا من العيش بالقليل ولم يتزوج في مدة عمره وكان يأتي الى والدي احيانا **وكان والدي** يكرمه اشد الاكرام لاجتماعه معه في بعض المدارس عند بعض الموالي وله حواش على شرح المفتاح للسيد الشريف وهي حاشية مقبولة عند الطلبة وسمعت ان له حواشي على شرح العقائد للعلامة التفتازاني لكن لم اطلع عليها ومات رحمه الله تعالى سنة احدى او اثنتي عشرة وتسعمائة ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى جعفر بن التاجي بك كان والده مدبرا لامور ال سلطان بايزيدخان وقت امارته على امسايه ورغب هو في طلب العلم وقرا على المولى ابن الحاج حسن وعلى المولى القسطلاني وعلى المولى خطيب زاده وعلى المولى خواجه زاده واشتهر بالفضائل في الافاق فاعطاه السلطان بايزيدخان مدرسة الوزير محمود باشا بمدينة قسطنطينية ودرس هناك وافاد فاشتهرت فضائله بين الطلبة ورغب في خدمته الفضلاء ثم جعله السلطان بايزيدخان موقعا للديوان العالي فسلك مسلك الامراء وعاش في ظل حمايته بدولة وافرة وحشمة متكاثرة ثم اصابته عين الزمان فانتهبت داره وعزل عن منصبه في آخر سلطنة السلطان بايزيدخان لحادثة يطول شرحها وليس هذا المقام موضع ذكرها وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد ولم يقبل ولما جلس السلطان سليم خان على سرير السلطنة اضاف اليها قضاء بعض البلاد فقبلها ثم جعله موقعا بالديوان العالي ثانيا ثم جعله قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية اناطولي ثم قتله لامر او جب ذلك والقصة يطول شرحها مع خروجها عن مقصود الكتاب وله نظم بالتركية

." (٢)

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/١٦٦

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/١٩٦

" الناس علمه وصلاحيته فذكروا أن المظفر قعد يوما في مجلس حافل بقصر الجند مع جماعة من أعيان دولته الحرفا لم يكن الوزير فيهم فذكروا الجند ومن بها من الفقهاء فذكروا هذا إبراهيم فقال السلطان يا ناس إنه يذكر عنه أمور لا تليق وكان ابن الجنيد من الحاضرين فقال يا مولانا أنا أخبر بهذا الرجل وأنه فقيه الشافعية لكن صار له أعداء يحسدونه ويكذبون عليه ويتركون من يكذب عليه كراهة له فوقع ذلك في قلب السلطان وغلب عليه ثم أمر ولده الأشرف أن يستدعيه إليه ويقرأ عليه ففعل ذلك ولما حضر وجده فقيها كاملا ورجلا فاضلا فلازمه على أن يكون له وزيرا فلم يقبل فجعل له افتقادا جيدا في كل سنة وكان يغلب عليه ما قال صللم تمعددوا واخشوشنوا وكان لبسه القطن وتفقه عليه جماعة من أهل الجند منهم أبو بكر بن فليح وابن المغربي أبو بكر ووالدي وأخذ عنه شيخي أبو الحسن الأصبحي وجمع كبير وكانت وفاته بالجند أيض١ مستهل ربيع الأول من سنة تسعين وستمائة **وكان والدي** إذ ذاك في الجند حاضرا قد طلعها من زبيد لاستعادة مدرسة ابن عباس فلما نزل زبيد لاطلاع أولاده تقدم إلى الإمام ابن عجيل وأخبر بموته فقال الفقيه قد بلغني ذلك وصليت عليه في جماعة وقبر إلى جنب قبر أبيه وأما أخوه محمد فكان حافظا لكتاب الله تعالى من أحسن الناس لهجة به

من سمعه يقرأه استعذب ذلك وطرب له رتبه بنو عمران إماما بالجامع بعد أبيه وكان يتخضع لهم ويتودد إليهم ولم يكن لديه فقه شاف فكان بنو عمران يركنون إليه لذلك ويقولون هو لا يروم ما يروم أخوه فلبث إماما بالجامع حتى انفصلوا عن القضاء ولبث بعدهم إماما نحو سنة ثم فصله بنو محمد بن عمر فلبث منفصلا مدة سنين ثم توفي بالجند لتسع وسبعمائة تقريبا وخلف ابنا اسمه عيسى كانت أمه من بني الأمجد الكتاب فغلب عليه اللبن فطلع كاتبا من كتاب الحساب وهو الذي ذكر أولا أني أدركته وبقيت لابن مفلت ذرية ببلد العوادر منهم بقية بقريتهم أنامر المتقدم ذكرها ولما خربت القرية انتقلوا إلى جبل سورق ومنهم فقهاء الأنصال وحكامها والغالب عليهم أن ليسوا فقهاء بل يسمون بالفقهاء استصحابا للاسم كما يسمى اليتيم بعد بلوغه

انقضى ذكر من حققه ابن سمرة في جزيرة اليمن من الفقهاء ومن كان بعصره طالبا ثم لم يبق غير يسير إما لسهو أو ليجعلهم مع من تأخر من ناحيتهم بمكان واحد وهم جماعة أفردهم بالفصل الذي ختم به كتابه وجعله مختصا بذكرالقضاة وقد أدخل

". (١)

" المجيرية وجعل نظرها الى بعض قوم هذا القاضي وهي بيد ذريته الى عصرنا مسكنا

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القاسم الرياحي الحميري مولده سنة تسع وتسعين وخمسماية وتفقه بمحمد بن مضمون غالبا واصل بلده اب وكان والده قاضيا بها فلما دنت وفاته حذره من القضاء فلما توفي لم يتعرض له قبولا لوصية أبيه فحدثت عليهم مظالم كثيرة شنيعة شقت به وبأخوته وأهله فقالت له والدته يا بني اذهب الى سير واعلم قاضي القضاة بوفاة والدكم وما عمل اهل الامر معكم فلعله يتركك به مكانة ابيك تتغطى فيه انت واخوتك عن الظلم والاعداء قال فقلت الان قابل نهي الوالد أمر الوالدة فتعارضا ثم تقدمت الى قاضي القضاة الى المصنعة فحين رأني وسلمت عليه اخبرته بوفاة الوالد فترحم عليه ترحما كليا وعزاني وقال لم لا جيت من يوم توفي فاخبرته القصة فنصبني **مكان والدي** ثم عدت البلد فلبثت قاضيا واستترنا عن الظلم وانقمع عن الاعداء فلما توفي القاضي عمر مقدم الذكر انفا بتعز بعث الى قاضي القضاة فحين جيته قال لي قد استخرت الله واستنبتك على قضاء تعز واستنبت اخاك احمد مكانك فاعتذرت فلم يقبل مني والزمني التقدم الى تعز فتقدمتها عقيب وفاة القاضي عمر وكان ذلك من اهل سير عادة يحبون ابقا اهل الأسباب وذراريهم ان وجدوا أنما منعهم عن ترك محم دولد القاضي عمر لكراهته للوقوف مكان ابيه محافظة على وصية ابيه اذ وصاه بالحذر من القضاء ولم يزالوا على ذلك في الغالب حتى انقرضوا ومن شك في ذلك بحث عن ذرية الفقيه

". (٢)

"أبو الحسن بن أبي الحسين القطان الشاماتي، قال أبو كامل البصيرى: أبو الحسن القطان هو الناقد الناظر، من شامات نيسابور، سمعت منه كتاب " المدخل " في التفسير، يرويه عن أبي القاسم بن حبيب، وقال: كان أبو القاسم بن حبيب عندنا بنيسابور كرامي المذهب أولا، ثم تحول إلى أصحاب الشافعي رحمه الله، وكان في داره بستان وبئر، وكان إذا قصده إنسان من الغرباء: إن كان ذا ثروة طمع في ماله، ويأخذ منه حتى يقرأ له، وإن كان فقيرا أمره بنزح الماء من البئر لبستانه بقدر طاقته حتى يفيده، وكان لا يفعل بأهل بلده ذلك، وكنا نستفيد منه مجانا.

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٤٥٢/١

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٩٩/٢

قال أبو الحسن: وشامات على ناحية نيسابور، **كان والدي** أبو الحسين منها، كان يتفقه في مسجدها، ويتزهد فيها.

وأبو جعفر محمد بن محمد بن أحمد الاديب الشاماتي منها، شيخ ثقة أديب فاضل عفيف، من أهل نيسابور، روى عن الاستاذ أبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، وأبي محمد عبد الله بن يوسف بن ماموية الاصبهاني وغيرهما، روى لنا عنه أبو نصر الغازي الحافظ بأصبهان، وأبو سعد ناصر بن سهل البغدادي بنوقان، وعبد الله بن أبي القاسم الجصاص بنيسابور، وغيرهم، مات في شعبان سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

ومن القدماء: أبو حامد أحمد بن الفضل بن منصور الشاماتي، يروي عن محمد بن رافع، وأيوب بن الحسن، روى عنه أبو عبد الله الديناري، وأبو الطيب الذهلي.

وأبو محمد جعفر بن أحمد بن أبي عبد الرحمن الشاماتي، من أهل نيسابور، تفقه على

أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وروى الحديث عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ومحمد بن رافع، وإسحاق بن منصور، وأبي كريب، ويونس بن عبد الاعلى، وأحمد بن عبدة الضبي، وأبي موسى وبندار، روى عنه أبو عبد الله بن أبي يعقوب، توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

وحامد بن محمود بن معقل الشاماتي القطان النيسابوري، والد أبي العباس، سمع محمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن يوسف، وعبد الله بن هاشم، توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

روى عنه أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه، وأبو عبد الله بن دينار العدل، وابنه أبو العباس الشاماتي.

وأما ابنه أبو العباس محمد بن حامد الشاماتي، يروي عن أبي العباس محمد بن يونس الكديمي، والسري بن خزيمة، والحسين بن الفضل البلخي، وأحمد بن نصر اللباد، ومحمد بن أيوب الرازي، و عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي مسلم إبراهيم بن عبد الله." (١)

"الكجي وغيرهم، روى عنه أبو علي الحسين بن علي الحافظ، وأبو زكريا يحيى بن محمد العنبري والحاكم أبو عبد الله الحافظ، وذكره الحاكم في " التاريخ " فقال: أبو عبد الله

المقرئ الشعراني، كان من أئمة القراء، ومن أعيان الشيوخ والشهود، ومن العباد المجتهدين **وكان والدي** رحمه الله يقدمني إليه كل جمعة تبركا بدعائه وقد أرسل شعره الابيض، ولعلي ما رأيت أنور من شعره وحضرت معه غير مرة ضيافات الوالد والخال أبي علي، ولم أرزق السماع منه وتوفي يوم الاثنين لعشر ليال

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٣/٣٨٥

خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

وصلى عليه أبو يعلى الغازي في المصلى بباب معمر، ودفن في مقبرة باب معمر.

وأبو أحمد عبد الله بن أبي حامد أحمد بن جعفر بن أحمد بن بكر بن زياد بن علي بن مهران الشيباني الشعراني، كان من أكثر أقرانه سماعا، وكان له ثروة ظاهرة فأنفق أكثرها على العلماء وأهل العلم، وفي الحج والجهاد وأعمال البر، إلا الصدقات لابيه فإنها بقيت عليه.

يروي عن أبي العباس السراج، وأبي العباس الماسرجسي، وبالعراق من أبي جعفر بن البختري الرزاز، وبمكة من أبي سعيد بن الاعرابي، كتب عنه الناس ببغداد بانتقاء أبي بكر بن الجعابي، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في " التاريخ " وقال: أرسل الشعر في حجته الثالثة، ثم لم يزل على رأسه إلى أن مات، فقيل له الشعراني.

وتوفي فجأة يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

وأبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن زكريا الرملي الشعراني، يقال له " صاحب الوفرة "، يروي عن آدم بن أبي إياس العسقلاني مات سنة ثمان وثمانين ومائتين.

الشعيبي: بضم الشين المعجمة، وفتح العين المهملة، وسكون الياء، بعدها الباء المنقوطة بواحدة.

هذه النسبة إلى الجد، وهو " شعيب " وجماعة كثيرة في البلاد ينتسبون بهذه النسبة، فمنهم جماعة بفوشنج: أبو جعفر محمد بن أحمد الشعيبى الفوشنجي، سمع الكثير وحدث بمصر.

وأبو سعيد الشعيبي، من المتأخرين بنيسابور، كان ينتخب على الشيوخ.

وجماعة ببخارى من أولاد أبي الحسن علي بن شعيب البخاري من أهل العلم والخير، منهم:." (١)

"باب الفاء واللام.

الفلخاري: هذه قرية بين مروالروذ وبنج ديه (١) وهي قرية معروفة.

خرج منها من

الامة أستاذنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن على بن عطاء الفلخاري المعروف بالمرو روذي سكن مرو وتفقه على الامام الحسن البيهقي صاحب القاضي حسين **وكان والدي** أوصى إليه بأولاده وأطفاله وكان يقوم بأمورنا أحسن قيام وكان يحتاط حتى كان لا يشرب الماء من كوز دارنا احترازا عن أكل أموال اليتامى والانتفاع بما لهم، وكان من العلماء الورعين العاملين بالعلم محتاطا في اللقمة مصيبا في الفتاوى،

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٤٣٤/٣

علقت عليه من الفقه كتاب الطهارة ولم يتفق لي الاتمام عليه لامر عرض ومانع وقع (والله تعالى) يجزيه عني أحسن الجزاء.

نزلت بهذه القرية وهي فلخار غير مرة ويقال لهذه (القرية) أيضا فرخار (بالراء أيضا) غير أني رأيت على ظهر كتاب المسند للحماني الذي سمعناه من لفظه: الفلخاري باللام وهو أعرف بقريته ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بفلخار وقتل بمرو شهيدا في الوقعة الخوارزم شاهية، أصابه سهم عائر وهو في الصلاة. وتوفي منه في شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمرو ودفن في داره بأسف الماجان (١).

الفلسطيني: بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة وبعدها الطاء المهملة المكسورة وبعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون.

هذه النسبة إلى فلسطين وهي ناحية كبيرة وراء الاردن مشتملة على عدة من البلاد المعروفة مثل بيت المقدس ونابلس وغزة والرملة وغيرها كلها من كور فسلطين ولعلها نسبت إلى فلسطين بن كسلوخيم بن لنطي ين يونان، وقيل سميت فسلطين بفلشتان ويقال فلشتيم بن كلسوخيم بن كنعان بن حام بن نوح فعربته العرب، وقيل كانت فلسطين للعيص بن إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام) وأبو عبد الله ضمرة بن ربيعة الفلسطيني الرملي الحملي ذكرته في الحاء.

وعبد الحميد بن حميد الفلسطيني، يروي عن رجل عن أبي هريرة (رضي الله عنه) [هامش...(١) بنج ديه: معناه بالفارسية: خمس القرى وهي كذلك خمس قرى متقاربة من نواحي مرو الروذ ثم من نواحي خراسان عمرت حتى اتصلت العمارة بخمس القرى وصارت كالمحال.

معجم البلدان، وبلدان الخلافة الشرقية ٤٤٨.

(٢) الماجان: في معجم البلدان نهر كان يشق مدينة مرو والماخان من قرى هذه المدينة.

وفي بلدان الخلافة

الشرقية ٤٤٥: أن الماجان كان يطلق على الربض الغربي العظيم في مرو وإن الرواة صحفوه إلى ماخان].." (١)

"بالري، في سنة تسع وثمانين ومائة.

وقيل: مات برنبويه، إحدى قرى الري.

وقيل: مات بطوس، سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة.

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٣٩٧/٤

والله أعلم.

وأبو بكر محمد بن الحسين بن حمدون بن داود بن حمدون الصيدلاني الكسائي، من أهل مصر، قال أبو زكريا يحيى بن علي الطحان المقري المصري: سمعت منه.

وتوفي سنة ستين وثلاثمائة.

وأبو منصور محمد بن أحمد بن بابويه الكسائي، صاحب أبي العباس أحمد بن هارون الفقيه.

سمع أبا عمرو الحيري، والمؤمل بن الحسن، وأبا حامد الشرقي، ومكي بن عبدان.

وحدث.

سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وتوفي في شهر رمضان، سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى الاديب الكسائي، كان أديبا، فاضلا.

حدث

بكتاب " صحيح مسلم بن الحجاج " عن صاحبه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان.

ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ، في " تاريخه "، فقال: أبو بكر الكسائي الاديب، كان من قدماء الادباء بنيسابور، وتخرج به جماعة في الادب، ثم إنه على كبر السن حدث ب " صحيح مسلم بن الحجاج "، من كتاد جديد بخط يده، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم، وكان يقول في أول كل حديث: حدثنا إبراهيم، حدثنا مسلم.

فأنكرته، وكان قد قرأه غير مرة، فحضرني رحمه الله وعاتبني، فقلت: أنت أحد مشايخنا من الادباء، والمعرفة بيننا أكثر من خمسين سنة، فلو أخرجت أصلك العتيق، وأخبرتني بالحديث فيه على وجهه ؟ فقال لي: قد كان والدي حضرني مجلس إبراهيم لسماع هذا الكتاب، ثم لم أجد سماعي، فقال لي أبو أحمد بن عيسى: قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس لتسمع.

وأنت تنام لصغرك، ولم يبق بعدي لهذا الكتاب راو غيرك، فاكتبه من كتابي، فإنك تنتفع به.

فكتبته من كتابه.

فلما حدثني بهذا، قلت: هذا لا يحل لك، فاتق الله فيه.

فقام من مجلسي، وشكاني بعد ذلك، فهذا حديثه، ثم كتب إلي بعد ذلك رقعة بخط يده طويلة. يذكر فيها أنه وجد جزءا من سماعه من إبراهيم، فراسلته بأن يعرض علي ذلك الجزء، فلم يفعل.

فهذا حديثه، رحمنا الله وإياه.

قال: توفي أبو بكر الاديب الكسائي ليلة الاضحى، من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.
قلت: روى عنه كتاب " صحيح مسلم " أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله البجلي الحافظ.
وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يعقوب المروزي الكسائي، الملقب بطريق غريب.." [١]

"ما وراء النهر وانصرف إلى نيسابور بعد وفاة أبيه، وذلك في أيام صاحب الجيش أبي نصر منصور بن قرانكين ثم إنه خرج إلى الجوزجانان فاستوزر بها فبقي عند أولئك الملوك لوزارة الاب ثم الابن وآخر ما رأيته ببخارى سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ صاحب التاريخ ثم قال: وكتبنا عنه وانتخبت عليه ثم جاءنا بغتة من جوزجانان سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وكان من عقلاء الرجال.

وقال الحاكم: كنا مع أبي عمر المنكدري ببخارى فبلغني أن علي بن موسى الزراد قال له يوما: يا أبا عمر بلغني أنك قرمطي.

فقال أبو عمر: أنا رجل من تميم قريش **وكان والدي** من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتعلق بنا هذا القول وكل ذي نعمة محسود فسكت علي بن موسى.

المنواثي: بفتح الميم، وسكون النون أو فتحها، وفتح الواو، وفي آخرها الثاء المثلثة، هذه النسبة إلى منواث، وهي قرية من أعمال عكا.

وأبو عبد الله بن أحمد عطا الروذباري المنواثي، شيخ الصوفية في وقته، نشأ ببغداد، وأقام بها دهرا طويلا، ثم انتقل عنها فنزل صور من بلاد ساحل الشام، ومات بمنواث، (قرية من أعمال عكا)، فحمل إلى صور فدفن بها.

حدث عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني

والقاضي أبي عبد الله المحاملي ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول وغيرهم روى أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا قال أبو عبد الله الصوري الحافظ، حدثونا عن أبي عبد الله الروذباري عن إسماعيل بن محمد الصفار عن الحسن بن عرفة أحاديث لم يروها الصفار عن ابن عرفة.

قال الصوري: ولا أظنه ممن كان يتعمد الكذب لكنه شبه عليه.

روى عنه عبد الله بن أبي الحسن السراج الطوسي وأبو الحسين أحمد بن الحسين بن أحمد الواعظ وعبد الله بن أحمد بن أبي السرى وغيرهم.

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٦٧/٥

وكانت وفاته (في ذي الحجة) سنة تسع وستين وثلاث مئة في قرية منواث من عمل عكا وحمل إلى صور فدفن بها.

المنويي: بفتح الميم، وضم النون المشددة، وفي آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى منويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه.

وهو أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدرريس بن الحسن بن منويه الاستراباذي المنويي الادريسي ذكرته في ترجمة الادريسي في أول الكتاب، وإنما أوردته لان بعض الرواة ربما ينسبه إلى جده حتى يعرف، وكان هو من حفاظ الحديث المتقنين فيه، سكن سمرقند وتوفي بها في سلخ ذي الحجة سنة خمس وأربع مئة.

المنيحي: بفتح الميم، وكسر النون، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، وفي." (١)

"كان من رجال الله المعدودة، وكان رضي الله عنه يبيع السمك القديد مع البطيخ مع التمر حنا، والمرسين والياسمين، والورد وكان إذا أتاه فقير يستعين به في شيء من الدنيا يقول: له هات لي ما تقدر عليه من الرصاص فإذا جاء به يقول له: ذوبه بالنار فإذا أذابه يأخذ الشيخ بإصبعه شيئا يسيرا من الترب ثم يقول: عليه باسم الله، ويحركه فإذا هو ذهب لوقته، وأنكر عليه مرة قاض في دمياط، وقال له: ما مذهبك فقال: حنشي ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت، وكان رضي الله عنه يمشي في البلد، ويقول: يا علماء البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وكراماته رضي الله عنه كثيرة، وأرسل مرة سيدي حسين أبو علي رضي الله عنه السلام له. فقال: سيدي على المحلي رضي الله عنه نعطيك هدية في نظير السلام ثم غرف له من البحر ملء القفة جواهر فقال: الفقير ليس لي، ولا لشيخي حاجة بالجواهر فردها في البحر. مات سنة نيف، وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى

سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى

رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من المدققين في الورع، ويقول: الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم، وكان إذا طحن في طاحون يقلب الحجر، ويخرج ما تحته من دقيق الناس يعجنه للكلاب ثم يطحن، ويخلى للناس بعده الدقيق من قمحه، ولم يأكل فراخ الحمام الذي في أبراج الريف إلى أن مات، **وكان والدي**

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٥/٣٩٩

رحمه الله تعالى يأتيه بفتاوى العلماء بحله فيقول: يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله عز وجل ثم يقول: يا ولدي إنها تأكل الحب أيام البذار، ويطيرونها بالمقلاع، ولذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون، ولو كان الفلاحون يسمحون بما يأكله الحمام ما فعلوا شيئا مما ذكرناه ثم بالغ فتورع عن أكل العسل النحل، وقال: إني رأيت أهل الفواكه ببلادنا يطيرون النحل عن زهر الخوخ، والمشمش وغيرهم، ولا يسمحون بأكل أزهارهم، فقال له: والدي رحمه الله تعال أما قال: الله تعالى المالك الحقيقي "كلي من كل الثمرات " فقال: الثمرات المملوكة أم المباحة؟ فسكت والدي ثم قال له: والدي إن كل تفيد العموم فنحن على العموم فقال: الخاص مقدم على العام، وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها فكشف والدي رحمه الله رأسه، واستغفر، وقال: مثلي لا يكون معلما لك يا سيدي، وكان يقرئ الأطفال، ولا يدخل جوفه قط شيئا من ناحيتهم، ولا من ناحية آبائهم حتى في أيام الغلاء كان يجوع، ويطعم ذلك لأرامل البلد، وأيتامها، وكان عنده موهبة معلقة في سقف الزاوية كل صغير فضل من خبزه شيء يضعه فيها قال: عمى الشيخ عبد الرحمن فكانت تملأ كل يوم، وكان الأطفال نحو مائة نفس، فيرسل العرفاء بقفف صغار بعد العشاء تفرقه على مساكين البلد، وأوقات هو بنفسه، وإذا كان الزمان زمان رخاء يترصد المراكب التي ترسي من قلة الريح بساحل بلده فيرسله لهم مع الجبن، والفول الحار، ومعهما مهما وجد، وكان لا يأكل قط من طعام فلاح، ولا شيخ بلد، ولا مباشر، ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه، وقدم إليه مرة رجل قباني في بولاق طعاما فلم يأكله فقال: يا سيدي هذا حلال هذا من عرقي فقال: لا آكل من طعام من يمسك الميزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الخلاص.." (١)

"ثم أصبح السلطان من الغد وخلع على سيدي سودون بنيابة الشام ثانيا، وعلى الأمير دمرداش المحمدي نائب حماة باستقراره في نيابة حلب عوضا عن آقبغا الجمالي الأطروش، وعلى الأمير شيخ المحمودي المؤيد باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن سودون بلطا، وعلى الأمير دقماق المحمدي باستقراره في نيابة حماة عوضا عن دمرداش المحمدي، وعلى الأمير ألطنبغا العثماني باستمراره على نيابة صفد، وعلى الأمير جنتمر التركماني نائب حمص بنيابة بعلبك، وعلى الأمير بشباي من باكي باستقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن بي خجا المدعو طيفور.

واستمر السلطان بعساكره في دمشق إلى ليلة الأحد رابع عشر شعبان، فاتفقت الأمراء المصريون على قتل جماعة من المقبوض عليهم، فذبح في الليلة المذكورة الأمير الكبير أيتمش البجاسي، وجلبان الكمشبغاوي

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣٣٧

المعروف بقراسقل نائب حلب كان في دولة أستاذه الملك الظاهر برقوق، وأرغون شاه البيدمري الظاهري أمير مجلس كان، وأحمد بن يلبغا العمري أمير مجلس كان وابن أستاذ الملك الظاهر برقوق، وآقبغا الطولوتمري الظاهري اللكاش أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وأمير مجلس، وفارس الأعرج حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وفيه يقول الشيخ المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدي:

يا دهر كم تفني الكرام عامدا ... هل أنت سبع للورى ممارس

أيتمش رب العلا صرعته ... ورحت للندب الهمام فارس

والأمير يعقوب شاه الظاهري الحاجب الثاني وأحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وبي خجا المدعو طيفور نائب غزة كان ثم حاجب حجاب دمشق، والأمير بيغوت اليحياوي الظاهري أحد أمراء الطبلخانات، والأمير مبارك المجنون، والأمير بهادر العثماني الظاهري نائب البيرة وجميع من قتل من هؤلاء المذكورين هم من عظماء مماليك الملك الظاهر برقوق، قتلتهم خجداشيتهم بذنب واحد لأجل الرئاسة، ولم يكن فيهم غير ظاهري إلا الأتابك أيتمش، وهو أيضا ممن أقامه الملك الظاهر برقوق وأنشأه، بل كان اشتراه أيضا في سلطنته الأولى حسب ما ذكرناه وكان أيتمش عند الظاهر بمنزلة عظيمة لسلامة باطنه، ولين جانبه وشيخوخته؛ فإنه كان بمعزل عن إثارة الفتن؛ ويكفيك أن منطاشا لما ملك الديار المصرية، بعد خلع الظاهر برقوق والقبض على الناصري، قتل غالب حواشي الملك الظاهر برقوق، وكان أيتمش في حبسه بقلعة دمشق وهو أتابك العساكر وعظيم دولة برقوق، فلم يتعرض إليه بسوء، لكونه كان مكفوفا عن الشرور والفتن، إلا هؤلاء القوم، فإنهم لما ظفروا بتنم وأصحابه لم يرحموا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره، ولهذا سلط الله تعالى بعضهم على بعض، إلى أن تفانوا جميعا.

ثم جهزوا رأس الأتابك أيتمش المذكور، ورأس فارس الحاجب لا غير إلى الديار المصرية، فعلقتا بباب قلعة الجبل، ثم بباب زويلة أياما، ثم سلمتا إلى أهلهما.

ثم خلع السلطان الملك الناصر على الأمير يشبك الشعباني الخازندار باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن سيدي سودون المنتقل إلى نيابة الشام واستمر السلطان بدمشق إلى ليلة الخميس رابع شهر رمضان، فقتل في الليلة المذكورة الأمير تنم الحسني نائب الشام بمحبسه بقلعة دمشق، وقتل معه الأمير سودون بلطا نائب طرابلس أيضا، خنقا بعد أن استصفيت أموالهما بالعقوبة، ثم سلما إلى أهلهما، فدفن تنم بتربته التي أنشأها عند ميدان الحصى خارج دمشق. وكان تنم المذكور – رحمه الله – من محاسن الدنيا، وكانت مدة

ولايته على دمشق سبع سنين وستة أشهر ونصفا. ولقد أخبرني بعض مماليك الوالد – رحمه الله – قال: لما حضر تيمورلنك العساكر المصرية بدمشق، **كان الوالد** يوم ذلك متولي نيابة دمشق، وكان مقيما على بعض أبواب دمشق لحفظها، وكان نوروز الحافظي على باب آخر؛ فركب نوروز الحافظي في بعض الأيام، وأتى الوالد ووقف يحدثه، فكان من جملة كلامه للوالد: يا فلان، انظر عساكر هذا اللعين ما أكثرها! والله لو عاش أستاذنا لما قدر عليه لكثرة عساكره فتبسم الوالد وخاشنه في اللفظ يمازحه، وقال له: والله لو كان تنم حيا للقيه من الفرات وهزمه أقبح هزيمة؛ وإنما عساكرنا الآن مفلولة، وآراؤهم مختلفة، وليس فيهم من يرجع إلى كلامه، فلهذا كان ما ترى. انتهى.." (١)

"ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمي الظاهري المعروف بخاص خرجي – وكان تأخر عن طلوع الخدمة – بأن يستقر في نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل والتجأ إلى بيت الأمير إينال باي، فاجتمع طائفة من المماليك ومضوا إلى يشبك بن أزدمر، ورثوه في ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأول، وقد وصل قريبا من سرياقوس، وضربوا الحاجب المرسم عليه، وصار العسكر فرقتين. وأظهر المماليك الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان، وجلس الأتابك بيبرس بجماعة من الأمراء في بيته. وصار السلطان بالقلعة وعنده عدة أمراء، وتمادى الحال على ذلك يوم الخميس والجمعة والسبت والناس في قلق، والقالة بينهم.

فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، وآجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلك، وباتوا على ما هم عليه، وأصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه وقد كثروا وطلبوا من السلطان الوالد وأرغون من بشبغا. **وكان الوالد** قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نيابة غزة، فلم يستجرىء أحد يتكلم في خروجه من القاهرة، واستمر على إمرته، فأبى الملك الناصر أن يرسله إليهم، فقال الوالد: " هذا أمر يطول، ولا بد من النزول " ، فنزل إليهم ومعه أرغون، وكلم الأمراء في سبب طلبهم إياه، وخشن للأتابك بيبرس في القول، فإنه كان مسفر الوالد لما ولي نيابة حلب في أيام الملك الظاهر برقوق، فلم يتكلم بيبرس ولا غيره بكلمة واحدة، وسكت الجميع. فلما طال المجلس قال الوالد: " ما تتكلمون! " فعند ذلك تكلم شخص من الخاصكية الظاهرية يقال له قرمش الأعور – وهو الذي قطع رأسه في دولة الملك الأشرف برسباي من أجل جاني بك الصوفي حسبما يأتي ذكره – وقال قرمش: " يا خوند، المقصود أنك تخرج من الديار المصرية حتى تسكن هذه الفتنة، ثم تعود بعد أيام، أو يعطيك السلطان ما تختار من البلاد " . فقال

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٣٩٠

الوالد: " بسم الله حتى أشاور السلطان ثم أسافر " وخرج فلم يجرؤ أحد أن يقبضه ولا يرسم عليه، وعاد إلى بيته ولم يطلع إلى السلطان.

وكان سكنه بالبيت الذي بباب الرميلة تجاه مصلاة المؤمني، وأقام به يومه. وتجهز وخرج في الليل في نحو مائة مملوك من خواصه، فلم يقف له أحد على خبر، وسار من البرية إلى القدس الشريف في دون الخمسة أيام، ولم يجتز بقطيا خوفا من تسليط العربان عليه.

وكان لما خرج من بيت بيبرس أرسل إليه السلطان يعلمه أنه أيضا يريد يختفي ويترك السلطنة، فلهذا جد الوالد في السير لئلا يخرج القوم في أثره ويقبضون عليه.

فلما كان وقت الظهر من يوم خروج الوالد من مصر وهو يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول فقد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من قلعة الجبل ولم يعرف له خبر.

وسبب تركه السلطنة أنه كان في يوم النوروز جلس السلطان مع جماعة من الأمراء والخاصكية من مماليك أبيه، وشرب معهم حتى سكر، ثم ألقى بنفسه إلى فسقية هناك، فألقى الجماعة أنفسهم معه، وقد غلب على السلطان السكر، وصار يسبح معهم في الماء ويمازحهم، وترك الوقار، فجاء من خلفه الأمير أزبك الإبراهيمي المعروف بخاص خرجي، وقيل غيره، وأزبك الأشهر، وأغمه في الماء مرارا وهو يمرق من تحته كأنه يمازحه حتى قبض عليه وغرقه في الماء حتى كادت نفسه تزهق، ففطن به بعض مماليك أبيه من الأروام ممن كان معهم أيضا في الفسقية، وخلصه منه، وأفحش في سب أزبك المذكور، وأراد قتله، فمنعه السلطان من ذلك، وقال: "كان يلعب معي " وأسرها في نفسه.

ثم طلع السلطان من الفسقية، وذهب كل واحد إلى حال سبيله. فذكر السلطان بعد ذلك للوالد ما وقع له مع أزبك المذكور، وأمره أن يكتم ذلك لوقته، فأخذ الوالد يزول عنه ويهونه عليه.

ثم عرف السلطان جماعة من أكابر أمراء الجراكسة بذلك، فلم يلتفتوا لقوله وقالوا: لم يرد بذلك إلا مباسطة السلطان، فعند ذلك تحقق السلطان أنهم يريدون قتله، وكان ذلك بعد خروج الأمراء من السجن وظهور يشبك ورفقته، وقد كثروا وعظم جمعهم، فلم يجد الملك الناصر بدا من أن يفوز بنفسه ويترك لهم ملك مصر.." (١)

"ثم قدم الخبر على السلطان أن تركمان الطاعة قاتلوا نوروزا وكسروه كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد لذلك. ثم أمر السلطان دمرداش المحمدي بالتوجه إلى محل كفالته بحلب. هذا ونواب الغيبة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٢٨/٣

بدمشق في أمر كبير من مصادرات الشيخية، وقبضوا على جماعة كبيرة من حواشيه، منهم: علم الدين داود، وصلاح الدين أخوه ابنا الكويز – قبض عليهما من بيت نصراني بدمشق، فأهينا – وقبض أيضا على شهاب الدين أحمد الصفدي موقع الأمير شيخ، وتوجه الطواشي فيروز الخازندار فتسلمهم من دمشق. هذا والملك الناصر مستمر على حصار قلعة صرخد، وأحرق جسر القلعة، فامتنع شيخ بمن معه داخلها. فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير أن يقاتل من جهته، والسلطان في لهوه وطربه لا يركب إلى جهة القلعة إلا ثملا. ثم طلب السلطان مكاحل النفط، والمدافع من قلعة الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة – وكان فيها ما يرمي بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا. وتمادى الحصار ليلا ونهارا، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتي جمل، فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمى بحجره، وزنة حجره تسعون رطلا بالدمشقي. فلما رأى شيخ ذلك خاف خوفا عظيما، وتحقق أنه متى ظفر به الملك الناصر على هذه الصورة لا يبقيه، فترامى على الوالد، وعلى بقية الأمراء، وألقى إليهم الأوراق في السهام. وأخذ شيخ لا يقطع كتبه عن الوالد في كل يوم وساعة، وهو يقول له في الكتب: صن دماء المسلمين واجعلنا عتقاءك، وما لك فينا جميلة، فإننا إنياتك، وخشداشيتك، ولم يكن في القوم من له علي أنا خاصة شفقة وإحسان غيرك وأنت أتابك العساكر وحمو السلطان، وأعظم مماليك أبيه، فأنت عنده في مقام برقوق، وكلمتك لا ترد عنده، وشفاعتك مقبولة وأشياء كثيرة من هذا الكلام وأشباهه. **وكان الوالد** يميل إلى الأمير شيخ لما كان لشيخ عليه من الخدم بالقصر السلطاني أيام أستاذهما الملك الظاهر برقوق من تلبيسه القماش، والقيام في خدمه. ثم كاتب شيخ أيضا الأمير جمال الدين الأستادار، وفتح الله كاتب السر، وكان جمال الدين قد انحط قدره عند الملك الناصر في الباطن، واتفق السلطان مع الوالد على مسكه بدمشق، فمنعه الوالد من ذلك، ووعده أنه يكفيه أمره ويمسكه بالقرب من القاهرة، حتى لا يفر أحد من أقاربه وحواشيه.

ثم أخذ الوالد مع السلطان في أمر شيخ ورفقته في كل يوم وساعة، ولا زال يخذل الملك الناصر عن قتالهم، ويحسن له الرضى عنهم حتى أذعن السلطان، وشرط عليه شروطا، فعند ذلك ركب الوالد ومعه الخليفة المستعين بالله العباس، وفتح الله كاتب السر، في يوم السبت ثاني عشرين شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة وثمانمائة المذكورة، وساروا حتى نزلوا على جانب الخندق، وخرج شيخ وجلس بداخل باب القلعة، فأخذ الوالد يوبخه على أفعاله، وما وقع للناس والبلاد بسببه، وهو ساكت لا يتكلم – وقيل إن شيخا أراد الخروج إليهم فغمزه الوالد ألا يخرج، ففطن شيخ بها، وجلس بداخل باب القلعة. ثم أخذ فتح الله أيضا يحذره مخالفة السلطان، ويخوفه عواقب البغي، وفي كل ذلك يعتذر شيخ للوالد بأعذار مقبولة، ويستعفي

من مقابلة السلطان، خوفا من سوء ما اجترمه، والوالد يشتد عليه، ويلزمه بالخروج معه إلى السلطان في الظاهر، وفي الباطن يشير عليه بعدم الخروج – هكذا حكى الملك المؤيد شيخ بعد سلطنته. وطال الكلام حتى قام الوالد، والخليفة، وفتح الله، وأعادوا بالجواب على السلطان، فأبى السلطان الرضى عنه إلا أن ينزل إليه. فكلم الوالد السلطان في العفو عن ذلك، فلم يقبل، فكرر عليه السؤال مرات، وقبل يده والأرض غير مرة، واعتذر عن عدم حضوره بأعذار مقبولة.." (١)

"ثم سار السلطان في ليلة الأحد من الكسوة. واستولى بكتمر جلق على دمشق، ونزل بدار السعادة. وسار السلطان حتى نزل الرملة في رابع عشرينه، وركب منها وسار مخفا يريد زيارة القدس، وبعث الأثقال إلى غزة، ودخل القدس وزاره، وتصدق بخمسة آلاف دينار، وعشرين ألف درهم فضة، وبات ليلته في القدس. وسار من الغد إلى الخليل عليه السلام فبات به، ثم توجه إلى غزة، فدخلها في، سابر عشرينه، وأقام بها إلى ثاني جمادى الأولى، فرحل منها.

وأما دمشق، فإنه قدم إليها في ثالث جمادى الأولى كتاب السلطان إلى أعيان أهل دمشق بأنه قد ولى الأمير شيخا نيابة طرابلس، فإن قصد دمشق فدافعوه عنها وقاتلوه. وسببه أن الأمير شيخا كان قصد دخول دمشق، وكتب إلى الأمير بكتمر جلق يستأذنه في الحضور إليها ليقضي بها أشغاله ثم يرحل إلى طرابلس. وكان الذي قصده الأمير شيخ على حقيقته، وليس له غرض في أخذ دمشق، فلم يأذن له بكتمر في الحضور إليها وخاشنه بالكلام. فقال شيخ: أنا أسير إلى جهة دمشق ولا أدخلها. وسار حتى نزل شيخ في ليلة الجمعة عاشر جمادى الأولى على شقحب وكان الأمير بكتمر قد خرج بعساكر دمشق إلى لقائه، ونزل بقبة يلبغا، ثم ركب ليلا يريد كبس الأمير شيخ، فصدف كشافته عند خان ابن ذي النون فواقعهم. فبلغ ذلك شيخا، فركب وأتى بكتمر وصدمه بمن معه صدمة كسره فيها، وانهزم بكتمر بمن معه إلى جهة صفد، ومعه قريب من مائة فارس، وعدة من الأمراء، وتخلف عنه جميع عساكر دمشق. وسار شيخ حتى أتى دمشق بكرة يوم الجمعة، ونزل بدار السعادة من غير ممانع، وقد تلقاه أعيان الدماشقة، فاعتذر إليهم، وحلف لهم أنه لم يقصد سوى النزول بالميدان خارج دمشق ليقضي أشغاله، وأنه لم يكن له استعداد لقتال، وأنه كتب يستأذن الأمير بكتمر في ذلك، فأبى ثم خرج وقاتله فانهزم. وسأل شيخ، جماعة من أعيان دمشق أن يكتبوا للسلطان بذلك، بعد أن كتب بهذا جميعه محضرا، وأراد إرساله إلى السلطان، فلم يجسر أحد من الشاميين أن يمضي به إلى السلطان الملك الناصر، خوفا من سطوته.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٦٠/٣

ثم في ثالث عشره ولى الأمير شيخ شهاب الدين أحمد بن الشهيد نظر جيش دمشق، وولى شمس الدين محمد بن التباني نظر الجامع الأموي، وولى تغري برمش أستاداره نيابة بعلبك، وولى إياسا الكركي نيابة القدس، وولى منكلي بغا كاشف القبلية، وولى الشريف محمد بن دغا، محتسب دمشق وأما السلطان فإنه لما خرج من مدينة غزة سار منها حتى نزل قرية غيتا خارج مدينة بلبيس في يوم الخميس تاسع جمادى الأولى. ولما استقر السلطان في المنزلة المذكورة، وقد خرج الناس لتلقي العسكر، وخرج غالب أقارب جمال الدين الأستادار إلى تلقيه، وفرشت له الدور بالقاهرة، فركب الوالد بقماش جلوسه من مخيمه من غير أن يجتمع بالسلطان، لاتفاق كان بينهما من دمشق في القبض على جمال الدين المذكور لأسباب نذكرها. وكان الوالد يكره جمال الدين بالطبع، على أنه باشر أيام عظمته أستادارية الوالد، مضافا إلى أستادارية السلطان، وصار يجلس مع مباشريه وينفذ الأمور، ومع ذلك لم يقبل عليه الوالد، لقلة دينه وسفكه الدماء، وعظم ظلمه. وسار الوالد من مخيمه، ومماليكه مشاة حوله، يقصد وطاق جمال الدين.

حدثني القاضي شرف الدين أبو بكر بن العجمي، موقع جمال الدين، وزوج بنت أخيه، قال: كنت جالسا بين يدي الأمير جمال الدين الأستادار في وطاقه، وقد حضر إلى تلقيه غالب أقاربه، فقيل له: إن الأمير الكبير تغري بردي قادم إلى جهتك. فلما سمع جمال الدين ذلك تغير لونه وقال: هذا من دون عسكر السلطان لا يعودني في مرضي! فما مجيئه في هذا الوقت لخير. ونهض من وقته قبل أن نرد عليه الجواب، وخرج من خامه ماشيا إلى جهة الوالد خطوات كثيرة غالبها هرولة حتى لقي الوالد – وهو راكب – فقبل رجله في الركاب، فمسكه الوالد من رأسه ثم أمر به فقيد في الحال، وقال لمن تولى تقييده: هذا الأمير جمال الدين عظيم الدولة! أبصر له قيدا ثقيلا يصلح له،، فبكى جمال الدين ودخل تحت ذيله.." [١]

"ثم أمر الوالد بالقبض على جميع أقاربه وحواشيه، فقبض على ابنه أحمد، وعلى ابني أخته أحمد وحمزة. وكان الوالد ندب جماعة من مماليكه إلى القاهرة للحوطة على دور جمال الدين وأقاربه، ثم أخذهم الوالد، وأركبهم بالقيود، وسار بهم إلى جهة الديار المصرية. كل ذلك والسلطان لا يعلم بما وقع إلا بعد سير الوالد إلى جهة القاهرة. وأخذ جمال الدين في طريقه يترفق للوالد ويعده ويسأله القيام في أمره، كل ذلك والوالد لا يعتبه إلا على قتل أستاداره عماد الدين إسماعيل وأخذ ماله.

وكان خبر إسماعيل مع جمال الدين المذكور أن إسماعيل كان أستادار الوالد، وكان له عز وثروة ومعرفة ورئاسة قبل أن يترأس جمال الدين، فكان يستخف بجمال الدين، ويطلق لسانه في حقه، وجمال الدين لا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٦٢/٣

يصل إليه من انتمائه للوالد. فأخذ جمال الدين يسعى في أستادارية الوالد مدة طويلة حتى ولاه الوالد أستاداريته، بعد أن بذل جمال الدين مالا كثيرا للوالد ولحواشيه. واستأذن الوالد أن يقبض على عماد الدين، إسماعيل ويؤدبه، ويظهر للوالد في جهته جملة كبيرة من الأموال، وفي ظن الوالد أنه يوبخه بالكلام، أو يهينه ببعض الضرب ثم يطلقه، فأذن له الوالد في ذلك. وكان عماد الدين، إسماعيل المذكور مسافرا، فلما قدم من السفر ركب وأتى إلى الوالد – **وكان الوالد** تغير عليه قبل ذلك لسبب من الأسباب – فقبل يد الوالد، وخرج من عنده، فصدف جمال الدين عند مدرسة سودون من زادة، فقال له الأمير جمال الدين: بسم الله يا أمير عماد الدين، أين الهدية؟ فعاد معه عماد الدين، وحال وصوله إلى بيته أجرى عليه العقوبة، وأخذ منه أربعين ألف دينار، ثم ذبحه من ليلته. فلما سمع الوالد بقتلته من الغد كاد عقله أن يذهب، وأراد الركوب في الحال والطلوع إلى السلطان، فقال له حواشيه وخواصه: يا خوند قد فات الأمر، وما عسى أن يصنع فيه الملك الناصر مع حصوصيته عنده .فسكت الوالد على دغل، وأخذ في توغير خاطر السلطان عليه، ويعرف السلطان بأفعال جمال الدين. ولا زال به حتى تغير عليه السلطان، مع أمور أخر وقعت من جمال الدين، فكان ذلك أكبر أسباب ذهاب جمال الدين،وأراح الله المسلمين منه.

ثم ركب السلطان من غيتا وسار حتى نزل بالخانقاه، ثم سار حتى طلع إلى قلعة الجبل في يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى المذكور، بعد أن زينت له القاهرة ومصر، وخرج الناس لتلقيه، فكان لدخوله يوم عظيم، وحمل الوالد على رأسه القبة والطير. ولما استقر السلطان بقلعة الجبل – وقد حبس بها جمال الدين – ثم رسم السلطان للوالد أن يتسلم جمال الدين ويعاقبه، فقال الوالد: يا مولانا السلطان! جمال الدين كلب لا يتسلمه إلا كلب مثله، فقال تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم: يا خوند! أنا ذلك الكلب،، فسلمه السلطان له.

وأما أسباب القبض على جمال الدين فكثيرة، منها: ما فعله ليلة بيسان رما استشاره السلطان هو وفتح الله، وفر الأمراء. وكان جمال الدين لما خرج من عند السلطان أرسل إلى الأمراء بذلك، وطلب جمال الدين صيرفيه عبد الرحمن وأمره فصر للأمير شيخ المحمودي نائب الشام بخمسة آلاف دينار يرسلها له صحبة الأمراء المتوجهين في الليل إليه، وإلى تمراز بثلاثة آلاف دينار، وهو رأس الأمراء الذين عزموا على الفرار، وعلى رفقته: سودون بقجة، وعلان، وإينال، لكل واحد بألفي دينار، وبعث بالمبلغ إليهم، وأعلمهم بما عزم

عليه السلطان من القبض عليهم، فكان هذا من أكبر الأسباب في هلاك جمال الدين، ولم يعلم السلطان ذلك إلا بعد أيام.." (١)

"فركب السلطان وتلقاه وألبسه تشريفا، وخلع على الأمير الكبير بنظر البيمارستان المنصوري ودخل السلطان من باب النصر وشق القاهرة، ونزل بمدرسته التي أنشأها جمال الدين الأستادار له برحبة باب العيد المعروفة بالجمالية، وقد أثبت القضاة أنها له وسميت بالناصرية. ثم ركب السلطان من المدرسة المذكورة، ونزل بمدرسة والده المعروفة بالبرقوقية ببين القصرين، ثم ركب منها وأمر الأتابك دمرداش بعبور البيمارستان المنصوري، وتوجه السلطان إلى جهة القلعة.

ثم في ثاني عشر صفر من سنة أربع عشرة وثمانمائة عين السلطان اثنين وعشرين أميرا من الأمراء البطالين ليتوجهوا إلى الشام على إقطاعات عينها السلطان لهم، منهم: الأمير حرمان الحسني، وتمان تمر الناصري، وسونجبغا، وشادي خجا، وألطنبغا، وقاني باي الأشقر، ومعهم مائتا مملوك، ليكونوا أعوانا للوالد بدمشق، وفي خدمته. **وكان الوالد** شفع في هؤلاء المذكورين حتى أطلقهم السلطان – على عادتهم – من السجن، ثم أمر السلطان بقتل جانبك القرمي، وأسندمر الحاجب، وسودون البجاسي، وقاني باي أخي بلاط، والجميع كانوا بسجن الإسكندرية.

ثم في حادي عشرين صفر خلع السلطان على تقي الدين عبد الوهاب ابن الوزير فخر الدين ماجد بن أبي شاكر باستقراره في وظيفة نظر الخاص، وكانت شاغرة منذ توفي مجد الدين عبد الغني بن الهيصم في ليلة الأربعاء العشرين من شعبان من سنه ثلاث عشرة وثمانمائة. ثم أمسك السلطان بثلاثة أمراء من أمراء الألوف، وهم: قاني باي المحمدي، ويشبك الموساوي الأفقم، وكمشبغا الفيسي، وقبض على جماعة أخر من الطبلخانات والعشرات، وهم: الأمير منجك، والأمير قاني باي الصغير العمري ابن بنت أخت الملك الظاهر برقوق – وقاني باي هذا جد خوند بنت جرباش الكريمي وزوجة السلطان الملك الظاهر جقمق لأمها – وكان أمير عشرة، وعلى الأمير شاهين، وخير بك، ومأمور، وخشكلدي، وحملوا الجميع إلى سجن الإسكندرية فسجنوا بها.

ثم رسم السلطان للأمير تمراز الناصري أن يكون طرخانا لا يمشي في الخدمة، ويقيم بداره أو يتوجه إلى دمياط ة وتمراز هذا هو الذي كان فر من السلطان وصحبته الأمراء من بيسان إلى الأمير شيخ.

ثم خلع السلطان على الأمير سنقر الرومي باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن قاني باي المحمدي المقبوض

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٦٣/٣

عليه قبل تاريخه.

ثم أرسل الوالد إلى السلطان يعلمه برفع الطاعون من دمشق وغيرها، وأنه أحصي من مات من أهل دمشق فقط فكانوا خمسين ألفا سوى من لم يعرف.

وفي أول شهر ربيع الأول، قدم الأمير إينال المحمدي الساقي المعروف بضضع من سجن الإسكندرية - بطلب من السلطان - ورسم له أن يكون بطالا بالقاهرة.

ثم أخرج السلطان إقطاع الأمير جرباش كباشة، ورسم له بأن يتوجه إلى دمياط بطالا.

ثم بعده توجه تمراز الناصري المقدم ذكره إلى دمياط أيضا بطالا.

ثم قبض السلطان على جماعة من كبار المماليك الظاهرية - برقوق - وحبسهم بالبرج من القلعة.

ثم قدم الخبر على السلطان بأن شيخا ونوروزا لم يمضيا حكم المناشير السلطانية ، وأنهما أخرجا إقطاعات حلب وطرابلس لجماعتهما، وأن الأمير شيخا سير يشبك العثماني لمحاصرة قلعة البيرة وقلعة الروم، وأن عزمهما العود لما كانا عليه من الخروج عن الطاعة.

فعلم السلطان عند ذلك أن الذي يحرك هؤلاء على الخروج عن الطاعة والعصيان إنما هم المماليك الظاهرية برقوق، الذين هم في خدمة السلطان، ووافقه على ذلك أكابر أمرائه، وحسنوا له القبض عليهم، **وكان الوالد** ينهاه عن مسكهم، ويحذره من الوقوع في ذلك. فلما استقر الوالد في نيابة دمشق خلا له الجو، وفعل ما حدثته نفسه مما كان فيه ذهاب روحه، فقبض الملك الناصر على جماعة كبيرة منهم، وحبسهم بالبرج من القلعة، ثم قتلهم بعد شهر، وكانوا جمعا كبيرا.

ثم أمسك السلطان الأمير خير بك نائب غزة، وهو يومئذ من أمراء الألوف بالديار المصرية.

ثم ورد الخبر على السلطان بحصار عسكر نوروز لحصن الأكراد، فاختبط السلطان وكتب إلى شيخ ونوروز بالتهديد والوعيد.

ثم في أول شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير أسنبغا الزردكاش - أحد أمراء الألوف وزوج أخته خوند بيرم بنت الملك الظاهر برقوق - باستقراره شاد الشراب خاناه عوضا عن الأمير سودون الأشقر.." (١)

"والخامسة في محرم سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، وهي التي حصر فيها شيخا ونوروزا بصرخد.

والسادسة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وهي التي حصر فيها أيضا شيخا ونوروزا بقلعة الكرك.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٧٥/٣

والتجريدة السابعة هذه.

فجملة تجاريده ثماني سفرات بواقعة السعيدية – انتهى.

ثم خرج الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس، والقضاة الأربعة، وهم: قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني الشافعي، وقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفي، وقاضي القضاة المالكي، وقاضي القضاة الحنبلي، ونزل الجميع بالريدانية. وتردد السلطان في مدة إقامته بالريدانية إلى التربة التي أنشأها على قبر أبيه بالصحراء خارج باب النصر، وبات بها ليالي، ونحر بها ضحاياه. وجعل الأمير يلبغا الناصري نائب الغيبة بالقاهرة، وجعل في باب السلسلة الأمير ألطنبغا العثماني، وبقلعة الجبل الأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشراب خاناه، وزوج أخته خوند بيرم، وولى نيابة القلعة للأمير شاهين الرومي عوضا عن كمشبغا الجمالي، وبعث كمشبغا الجمالي صحبة حريمه، وقدمهم بين يديه بمرحلة.

ثم رحل السلطان من تربة أبيه قبيل الغروب من يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة من سنة أربع عشرة وثمانمائة، لطالع اختاره له الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقاعة. وقد حزر ابن زقاعة وقت ركوبه، وعوق السلطان عن الركوب – والعساكر واقفة – حتى دخل الوقت الذي اختاره له، فأمره فيه بالركوب، فركب السلطان وسار يريد البلاد الشامية، ونزل بمخيمه من الريدانية، وفي ظنه أنه منصور على أعدائه، لعظم عساكره، ولطالع اختاره له ابن زقاعة، فكانت عليه أيشم السفرات، فلعمري هل رجع الشيخ برهان الدين بن زقاعة المذكور بعد ذلك عن معرفة هذا العلم أم استمر على دعواه؟!.

وأنا أتعجب من وقاحة أرباب هذا الشأن حيث يقع لهم مثل هذا الغلط الفاحش وأمثاله، ثم يعودون إلى الكلام فيه والعمل به – انتهى.

ثم استقل السلطان بالمسير في سحر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة.

وفي هذا الشهر انتكس الوالد ثالث مرة، ولزم الفراش إلى أن مات حسبما يأتي ذكره.

وأما السلطان الملك الناصر فإنه قبل المسير حذر عسكره من الرحيل قبل النفير، فبلغه وهو بالريدانية أن طائفة رحلت، فركب بنفسه وقبض على واحد ووسطه، ونصب مشنقة، فما وصل إلى غزة حتى قتل عدة من الغلمان، من أجل الرحيل قبل النفير، فتشاءم الناس بهذه السفرة.

ثم سار حتى نزل مدينة غزة، فوسط بها تسعة عشر نفرا من المماليك الظاهرية، وهو لا يعقل من شدة السكر. وعقيب ذلك بلغه أن الأمراء الذين بالجاليش توجهوا بأجمعهم إلى شيخ ونوروز. وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى دمشق، دخلوا إلى الوالد، وقد ثقل في الضعف، وسلموا عليه، وأخبره بكتمر جلق

وطوغان أنهما بمن معهما يريدون التوجه إلى شيخ ونوروز، فرجعهم الوالد عن ذلك، فذكروا له أعذارا فسكت عنهم. فقاموا عنه وخرجوا بأجمعهم وتوجهوا إلى شيخ ونوروز – ما خلا شاهين الزردكاش – فإنه لم يوافقهم على الذهاب، فمسكوه وذهبوا به إلى شيخ ونوروز.

ولما بلغ الملك الناصر ذلك، ركب وسار من غزة مجدا في طلبهم، وقد نفرت منه القلوب، حتى نزل بالكسوة في يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجة، فألبس من معه من العساكر السلاح ورتبهم بنفسه ثم سار بهم قاصدا دمشق حتى دخلها من يومه وقت الزوال، وقد خرج أعيان دمشق وعوامها لتلقيه وللفرجة عليه، وزينت لقدومه دمشق. ونزل بالقلعة بعد أن نزل عند الوالد بدار السعادة وسلم عليه، وأمر زوجته خوند فاطمة، بالإقامة عند الوالد.

ثم أصبح يوم الأربعاء أول محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة خلع على القاضي شهاب الدين أحمد بن الكشك وأعاده إلى قضاء الحنفية بدمشق.

ثم شفع الوالد في القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي، فطلبه السلطان بدار السعادة وأطلقه من سجنه بقلعة دمشق.

ثم أفرج السلطان أيضا عن الأمير نكباي الحاجب، **وكان الوالد** قبض عليه وحبسه.." (١)

"وتوفي قاضي القضاة محب الدين محمد بن محمد بن محمد الحلبي الحنفي، المعروف بابن الشحنة، في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر بحلب عن ست وستين سنة. وكان إماما عالما بارعا، أفتى ودرس بحلب ودمشق والقاهرة، وولي القضاء بحلب ثم بدمشق، ثم ولاه الملك الناصر فرج، قضاء الديار المصرية لما حوصر بدمشق، في يوم الخميس ثالث عشرين المحرم من هذه السنة، عوضا عن ناصر الدين بن العديم، بحكم توجهه إلى شيخ ونوروز، فلم تطل مدته وعزل من قبل المستعين، وأعيد ابن العديم.

وتوفي الوالد – وهو على نيابة دمشق بها – في يوم الخميس سادس عشر المحرم. ونذكر التعريف به: فهو تغري بردي بن عبد الله من خواجا بشبغا. كان رومي الجنس. اشتراه الملك الظاهر برقوق في أوائل سلطنته، وأعتقه، وجعله في يوم عتقه خاصكيا، ثم جعله ساقيا، وأنعم عليه بحصة من شبين القصر، ثم جعله رأس نوبة الجمدارية إلى أن نكب الملك الظاهر برقوق وخلع وحبس بسجن الكرك، فحبس الوالد بدمشق، فإنه كان قد توجه مع من توجه من عسكر السلطان لقتال الناصري ومنطاش، فقبض عليه هناك، وسجن. ودام في سجن دمشق إلى أن أخرجه الأمير بزلار العمري نائب دمشق، وجعله بخدمته هو ودمرداش المحمدي

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٠/٣

ودقماق المحمدي.

واستمر الوالد بدمشق إلى أن خرج الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك، فبادر الوالد بالتوجه إليه قبل أن يستفحل أمره، وحضر معه الوقعة المشهورة التي كانت بينه وبين منطاش. وحمل الوالد في الوقعة المذكورة على شخص من أمراء منطاش يسمى آقبغا اليلبغاوي، فقنطره عن فرسه، فسأل برقوق عنه، فقيل له تغري بردي، فتفاءل برقوق باسمه، لأن معناه: الله أعطى، وأنعم عليه بإقطاع إمرة طبلخاناه دفعة واحدة، مع أنه كان أنعم عليه قبل خروجه للسفر بإمرة عشرة، غير أنه لم يباشر ذلك.

ثم أرسله الملك الظاهر برقوق، إلى مصر يبشر من بها بسلطنته ونصرته على منطاش، ودخل الظاهر في أثره إلى مصر. وبعد قليل أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، ثم جعله رأس نوبة النوب، ثم ولاه نيابة حلب بعد جلبان قراسقل. ثم عزله، وأنعم عليه بتقدمة ألف بمصر على خبز شيخ الصفوي الخاصكي أمير مجلس. وقبل أن يخلع عليه بإمرة مجلس نقله إلى إمرة سلاخ عوضا عن بكلمش العلائي بحكم مسكه. واستمر على ذلك إلى أن كانت وقعة الأتابك أيتمش مع الملك الناصر فرج في سنة اثنتين وثمانمائة.

وكان الوالد قد انضم على أيتمش هو وجماعة من الأمراء – حسبما ذكرناه في ترجمة الملك الناصر فرج – وانهزم الجميع بعد الوقعة، وخرجوا من مصر إلى الأمير تنم نائب الشام، وعادوا صحبته، فانكسر تنم أيضا، وقبض على الجميع، وقتلوا بقلعة دمشق إلا الوالد لشفاعة أم الملك الناصر فيه وآقبغا الأطروش، وقتل من عداهما. ودام الوالد بسجن قلعة دمشق إلى أن أطلق، وتوجه إلى القدس بطالا بسفارة أم الملك الناصر أيضا، فدام بالقدس إلى أن طلبه الملك الناصر بغزة وخلع عليه بنيابة دمشق، عوضا عن سودون قريب الملك الظاهر برقوق، بحكم أسره مع تيمور. فحكم الوالد دمشق مدة، ثم انهزم مع الملك الناصر فرج، إلى الديار المصرية، واستولى تيمور على دمشق. وأنعم الملك الناصر فرج، على الوالد بتقدمة ألف بالقاهرة، فدام مدة يسيرة، وخلع عليه أيضا بإعادته لنيابة دمشق، بعد خروج تيمور منها، كل ذلك في سنة ثلاث وثمانمائة. فتوجه الوالد إليها، وأقام بها إلى أن بلغه نية الملك الناصر بالقبض عليه، ففر منها وتوجه إلى دمرداش نائب حلب، وعصيا معا، ووقع لهما أمور وحروب إلى أن انهزما.

وتوجه الوالد إلى بلاد التركمان، فأقام بها مدة إلى أن طلب إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وأجلس رأس الميسرة أتابكا. واستمر على ذلك إلى أن اختفى الملك الناصر فرج، وخلع بأخيه المنصور عبد العزيز، فخرج الوالد من الديار المصرية على البرية بجماعة من مماليكه إلى أن توجه إلى القدس، فدام

في برية القدس إلى أن عاد الملك الناصر أفرج، إلى السلطنة ودخل على الأخت، وكان الناصر عقد عقده عليها قبل خلعه بحضرة الوالد." (١)

"وتوفي الأمير سيف الدين آقبردي بن عبد الله المؤيدي المنقار، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، في ليلة الخميس سابع عشرين صفر بدمشق. وكان توجه إليها صحبة أستاذه الملك المؤيد. وهو أحد أعيان مماليك الملك المؤيد شيخ: اشتراه أيام إمرته وقاسى معه تلك الحروب والفتن والتشتت في البلاد، فلما تسلطن أمره عشرة، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه، وجعله رأس نوبة ثانيا – وهو أول من حكم ممن ولي هذه الوظيفة – وقعدت النقباء على بابه، ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، ثم ولي نيابة إسكندرية مدة، ثم عزله وأقره على إقطاعه، وأخذه بصحبته إلى التجريدة وهو مريض في محفة فمات بالبلاد الشامية. وكان شجاعا مقداما كريما، مع جهل وظلم وجبروت، وخلق سيء، وبطش وحدة مزاج، وقبح منظر. قلت: وعلى كل حال مساوئه أكثر من محاسنه.

وتوفي القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن الفوي الحنفي، أخو الصاحب بدر الدين بن نصر الله – كان وكيل بيت المال، وناظر الكسوة، وأحد نواب الحكم الحنفية، وهو والد صاحبنا القاضي تقي الدين بن نصر الله – في ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة بالقاهرة. وكان مولده في سنة ستين وسبعمائة، ومات في حياة والده، وكان من أعيان الديار المصرية ورؤسائها.

وتوفي الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع شرف الدين موسى بن علي المناوي المالكي، الفقيه العابد، بمكة المشرفة في ثاني شهر رمضان، وكان من الأبدال. جاور بمكة والمدينة سنين، وكان أولا بالقاهرة في طلب العلم، وحفظ الموطأ حفظا جيدا، وبرع في الفقه والعربية، وشارك في فنون، ثم تزهد في الدنيا، وترك ما كان بيده من الوظائف من غير عوض يعوضه في ذلك، وانفرد بالصحراء مدة، ثم خرج إلى مكة في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وأقبل على العبادة متخليا من كل شيء من أمور الدنيا، معرضا عن جميع الناس، حتى صار أكثر إقامته بمكة في الجبال، لا يدخلها إلا في يوم الجمعة، أو في النادر، وكان يقصد للزيارة والتبرك به، وكان ممن لا يريد الشهرة.

وتوفي الأمير سيف الدين آقباي بن عبد الله المؤيدي، نائب الشام بها في قلعة دمشق في ذي القعدة، وقد مر من ذكره ما فيه كفاية عن ذكره ثانيا عند خروجه من قلعة دمشق والقبض عليه، كل ذلك في ترجمة أستاذه الملك المؤيد شيخ. وهو أحد أعيان مماليك المؤيد، وأحد الأربعة المعدودة بالشهامة والشجاعة،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥١/٤

وهم: الأمير جاني بك المؤيدي الدوادار، والأمير آقباي الخازندار ثم الدوادار هذا، والأمير يشبك اليوسفي المشد ثم نائب حلب الآتي ذكره، والأمير آقبردي المؤيدي المنقار المقدم ذكره في هذه السنة، فهؤلاء الأربعة كانوا من الشجعان ضاهوا أعيان مماليك الملك الظاهر برقوق، بل بالغ بعض خشداشيتهم بأنهم أعظم وأشهم، وفي ذلك نظر.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن جعفر البلالي الشافعي، شيخ خانقاه سعيد السعداء بها، في يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان. وكان فقيها فاضلا معتقدا، وله شهرة كبيرة. **وكان الوالد** يحبه، ويبره بالأموال والغلال، وغير ذلك.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد السلاخوري، نائب دمياط، قتيلا في رابع عشر ذي الحجة، بعد ما ولي عدة وظائف بالبذل والسعي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع سواء، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

السنة السابعة من سلطنة المؤيد شيخ

وهي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

فيها كان الطاعون بالديار المصرية، ومات جماعة من الأعيان وغيرهم ووقع الطاعون بها أيضا في التي تليها حسبما يأتي ذكره.

وفيها توفي الأمير سيف الدين مشترك بن عبد الله القاسمي الظاهري نائب غزة – كان – ثم أحد مقدمي الألوف بدمشق بها، في سادس عشر جمادى الأولى. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق، وتأمر في دولة الملك الناصر فرج، ثم ولاه الملك المؤيد نيابة غزة، ثم نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، إلى أن مات.." (١)

"**وكان الوالد** من جملة أوصياء إينال حطب، فأخذه الوالد وجعله إنيا لمملوكه شاهين أمير آخور، فجعله شاهين في الطبقة، وسفاه تغري برمش؛ ثم أخرج له الوالد خيلا وقماشا مع جملة مماليك أخر، وجعله جمدارا؛ فدام على ذلك إلى أن تولى الوالد نيابة دمشق التي مات فيها، فأفسد تغري برمش هذا من مماليك الوالد مملوكين، وأخذهما وهرب إلى طرابلس: أحدهما في قيد الحياة إلى يومنا هذا جملة المماليك السلطانية، واسمه أيضا تغري برمش الصغير. وبلغ الوالد خبرهما فأمر أن يكتب إلى الأمير جانم نائب طرابلس بالقبض عليهم الثلاثة وإرسالهم إليه في الحديد، فخشي أغاتهم شاهين الأمير آخور عليهم من

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٦١/٤

الضرب والإخراق، فسأل الوالد أنه يسافر إليهم ويقبض عليهم ويأتي بهم، فرسم له الوالد بذلك.
وتوجه شاهين إليهم، فوجدهم بقاعة في طرابلس، فنزل عن فرسه ودخل عليهم استخفافا بهم؛ فحال ما وقع بصرهم عليه، هرب تغري برمش الصغير ويوسف، ووثب تغري برمش ليهرب، فلحقه شاهين، فجذب سيفه وضرب شاهين به فقتله، ثم هرب. فكتب الأمير جانم نائب طرابلس محضرا بواقعة الحال، وأرسله إلى الوالد، ومع المحضر يوسف وتغري برمش الصغير؛ وهرب تغري برمش هذا، فرس الوالد بتحصيل تغري برمش المذكور وشنقه. **وكان الوالد** مشغولا بمرض موته، وماش بعد مدة يسيرة.
وخدم تغري برمش هذا عند الأمير طوخ الظاهري برقوق، ويقال له طوخ، بطيخ، نائب حلب، وترقى عنده، وصار رأس نوبته. ثم خدم بعده عند جقمق الأرغون شاوي الدوادار، وصار أيضا رأس نوبته ثم دواداره في آخر أيامه؛ وكار لجقمق دوادار آخر يسمى إينال الحمار، فكان جقمق يقول " دواداري : الواحد حمار والآخر ثور " .
ثم مشى حال تغري برمش بعد عند أبناء جنسه؛ وسببه أنه لما انكسر أستاذه جقمق في دمشق، وتوجه إلى بعض قلاع الشام، وتحصن بها، إلى أن أنزل منها وقتل بدسيسة من تغري برمش هذا، فأنعم عليه ططر بإمرة عشرة بالقاهرة؛ ثم جعله الملك الأشرف أمير طبلخاناه، ونائب قلعة الجبل، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف في سنة سبع وعشرين، ثم جعله نائب غيبته بديار مصر لما سافر لآمد، ثم جعله أمير آخور كبيرا بعد الأمير جقمق العلائي، بحكم انتقال جقمق إلى إمرة سلاح؛ ثم ولاه نيابة حلب بعد عزل قرقماس الشعباني عنها، فدام بحلب إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، فبايعه ولبس خلعته، ثم عصى بعد ذلك – وليت الخمول عصى أولا قبل مبايعته، فكان يصير له عذر في الجملة! – ثم وقع له بعد عصيانه ما حكيناه في ترجمة الملك الظاهر جقمق، إلى أن انكسر وأمسك، ثم ضربت رقبته تحت قلعة حلب، وسنه نحو الخمسين.
وكان تغري برمش رجلا طوالا مليح الشكل عاقلا مدبرا كثير الدهاء والمكر؛ وكان يجيد رمي النشاب ولعب الكرة؛ وكان عارفا بأمور دنياه وأمر معيشته، متجملا في مركبه وملبسه ومماليكه، إلا أنه كان بخيلا شحيحا حريصا على جمع المال، قليل الدين لا يحفظ مسألة تامة في دينه، مع قلة فهم وذوق، وغلاظة طبع، على قاعدة أوباش التراكمين؛ وكان عاريا من سائر العلوم والفنون، غير ما ذكرنا؛ لم أره منذ عمري مسك كتابا بيده ليقرأه، هذا مع الجبن وعم الثبات في الحروب، وقلة الرأي في تنفيذ العساكر؛ وما وقع له مع ناصر الدين بك بن دلغادر في نيابته على حلب من الحروب والانتصار عليه، كل ذلك كان بكثرة الشوكة وسعد الملك الأشرف برسباي.

وأما لما صار الأمر له، لم يفلح في واقعة من الوقائع، بل صار كلما دبر أمرا انعكس عليه؛ فإنه كان ظنينا برأي نفسه، وليس له إطلاع في أحوال السلف بالكلية، ولم يستشر أحدا في أمره؛ فحينئذ خمل وأخمل وتمزقت جميع عساكره وخانه حتى مماليكه مشترواته؛ ومع هذا كله هو عند القوم في رتبة عليا من العقل والمعرفة والتدبير؛ وعذرهم أنه لو لم يكن كذلك ما صار أميرا – انتهى.

ومات تغري برمش، والمحضر المكتتب عليه بسبب قتله لشاهين عندنا. وقد طلبه مني غير مرة وأنا أسوف به من وقت إلى وقت، وابدي له أعذارا غير مقبولة، وأوري له في كلامي، فيمشي ذلك ويطيب خاطره، إلى أن عصى فطلبني الملك الظاهر جقمق، وسألني عن المحضر، فقلت: " عندي " ، فكاد يطير فرحا. ثم أفحش أمر تغري برمش في الحلبيين حتى أوجب ذلك قتله بغير محضر ولا حكم حاكم.." (١)

"٩٣٩ – سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح بن أبي بكر ابن سعد شيخنا القاضي سعد الدين شيخ المذهب وطراز علمه المذهب العالم الكبير وحامل لواء التفسير أبو السعادات بن القاضي شمس الدين النابلسي الأصل المقدسي الحنفي نزيل القاهرة ويعرف بابن الديري نسبة لمكان بمردا جبل نابلس أو الدير الذي بحارة المرادويين من بيت المقدس. ولد في يوم الثلاثاء سابع عشر رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة كما كتبه بخطه وأخبرنا به غير مرة ونقل أبيه أنه في سنة ست وستين؛ وقيل في التي تليها ببيت المقدس ونشأ به فحفظ القرآن عند الشيخ حافظ وغيره وكتبا منها الكنز وبعض المنظومة وجميع مختصر ابن الحاجب الأصلي والمشارق لعياض وحفظ أكثره في اثنى عشر يوما؛ وكان سريع الحفظ مفرط الذكاء فعنى به أبوه وأعانه هو بنفسه فأكب على الاشتغال وتفقه بأبيه وبالكمال الشريحي وسمع دروسه في الكشاف وبحميد الدين الرومي والعلاء بن النقيب وغيرهم وعن والده أخذ الاصلين والمعاني والبيان وكذا أخذ المعاني والبيان عن خير الدين وأصول الفقه أيضا مع النحو عن الشمس بن الخطيب الشافعي والنحو فقط عن المحب الفاسي والكمال المذكور وسمع على أبي الخير بن العلائي وإبراهيم ومحمد ابني العماد اسماعيل القلقشندي الصحيح ووالده والشهاب بن المهندس والزين القبابي في آخرين منهم بقراءة محمد بن كريم العطار، وأجاز له فيما أخبرني به النجم بن الكشك والصدر بن العز والصدر سليمان الياسوفي والشهاب الحسباني والشرف الغزي والزين القرشي وتذاكر معه وابن الكفري الحنفي وجماعة وانه اجتمع بجماعة من مشايخ الصوفية كالشيخ محمد القرمي وعبد الله البسطامي وسعد الهندي وأبي بكر الموصلي قال وكنت ودعته عند توجهي للحج في سنة سبع وتسعين ودعا لي؛ **وكان والدي** أوصاني أن لا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٢١/٤

أنزل إلا في وسط الناس فلم يمكني ذلك إلا في عرفة بل كنا إذا نزلنا في الوسط يرتحل من بجانبنا اتفاقا حتى نبقى في الطرف فكنت أتعجب من ذلك قال ومع هذا فإننا حفظنا ولم نفقد مما معنا سوى سكين كنت أشتريتها في الطريق وكان يختلج في فكري ان فيها شبهة، ولازلت أتعجب مما اتفق لنا إلى أن لقيت بأراضي غزة جمالا شيخا يتكلم بكلام جيد في علم التصوف فكنت أتعجب منه إلى أن أعلمني بأنه أدرك جماعة منهم الموصلي المشار إليه كان قد حج به قال وانه لم يزل يوصيني أن لا أنزل إلا في طرف الناس فإنه أطيب راحة وأقرب لقضاء الحاجة والمحفوظ من حفظ الله؛ قال فحينئذ علمت أن ما اتفق لنا في الانفراد كان من مدده، وكذا اجتمع بالشمس القونوي صاحب درر البحار وأجاز له وبحافظ الدين البزازي صاحب جامع الفتاوي؛ وروى الهداية وغيرها عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم القرماني الرومي؛ وكذا ناظر بالقاهرة السراج بن الملقن في مسألة البسملة في الوضوء في مذهب مالك وأحمد في آخرين من العلماء بالقاهرة ودمشق وغيرهما؛ وأكثر من الرواية بالاجازة عن البرهان إبراهيم بن الزين عبد الرحيم بن جماعة القاضي بأجازته من ابن عمه العز أبي محمد عبد العزيز بن جماعة القاضي وهو يروي عن أبيه القاضي بدر الدين عن القاضي فهذا مسلسل بالقضاة، ولو اعتنى لأدرك الاسناد العالي لكنه شمر عن ساعد الاجتهاد وكحل عيني البصر والبصيرة بميل السهاد حتى صار من أوعية العلم مع ما رزقه الله من التواضع والحلم؛ واشتهر بمعرفة الفقه حفظا وتنزيلا للوقائع وخبرة بالمدارك واستحضارا للخلاف حتى كان والده يقدمه على نفسه في الفقه وغيره. وولي عدة وظائف ببلاده كالمعظمية والشركسية والمنجكية؛ وانتفع الناس بدروسه وفتاويه، وجد في العلوم حتى رجح على والده في حياته؛ وحج مرارا أولها في سنة إحدى وثمانمائة، ومرة في سنة إحدى وعشرين على أبيه وهو قاضي الحنفية بها ثم وردها بعد موته في ثاني عيد الأضحى سنة سبع وعشرين، وولي بها مشيخة المؤيدية تصوفا وتدريسا بل كان قد باشرهما في حياته لما ولي القضاء، وانتفع الناس به في الفتاوي والمواعيد والأشغال؛ ودرس بعده بعدة أماكن كالفخرية ابن أبي الفرج بتقرير واقفها وكجامع المارداني في الدرس الذي رتبه فيه صرغتمش قبل بناء مدرسته برغبة البدر حسن القدسي له عنه قبيل موته فباشره درسا واحدا ثم انتزعه منه الأشرف برسباي لامامة المحب الاقصرائي، وتألم هو وأحبابه لذلك واعتذر المحب بعدم." (١)

"سمع صحيح مسلم على ابن عبد الهادي والسنن لأبي داود على عبد العزيز بن عبد القادر بن أبي الدر سمعت منه قديما وحديثا وحدث قبل موته بيسير مع النور الأبياري الماضي بالسنن في البيبرسية وكان

---

(١) الضوء اللامع، ٢/١٤٠

أحد صوفييها. مات في شعبان سنة ثلاث عشرة. وأما في معجمه فإنه قال: علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السرنجي – بالسين – وأنه سمع عليه الأربعين تخريج ابن سعد من مسلم، وهو في عقود المقريزي في علي بن عبد الله بن عبد الله السرنجي.

علي بن عبد الرحمن البيروذي ثم الدمشقي ابن أخي العلامة الشمس بن خطيب يبرود. سمع من بقية أصحاب الفخر وأخذ عن ابن رافع كثيرا وتفقه على عمه وعلى ابن قاضي شهبة وكان يفهم جيدا لكن قال ابن حجي أنه كان مقترا على نفسه جماعة للمال ولم يتزوج فيما علمت. مات في ذي القعدة سنة تسع بخليص وهو محرم.

علي بن عبد الرحمن الجنائي. مضى فيمن جده سليم.

علي بن عبد الرحمن القمني. فيمن جده علي.

علي بن عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن بن علي بن إسماعيل العلاء وربما قيل له التقي أبو الحسن القلقشندي المقدسي الشافعي أخو أحمد ووالد إبراهيم الماضيين. ولد سنة أربع وثمانمائة ببيت المقدس وقرأ القرآن على الزين أبي بكر الهيثمي والتنبيه وعرضه على إبراهيم العرابي والحاجبية وعرضها على عمر البلخي وحضر في الفقه عند الزين ماهر وغيره وسمع على إبراهيم بن الشهاب أبي محمود والشمس محمد بن سعيد ويوسف الغانمي ومحمد بن يوسف البازي في آخرين، وتنزل بالصلاحية طالبا ثم معيدا وتكمل له نصف خطابة المسجد الأقصى بعد موت أخيه ولقيته ببيت المقدس فقرأت عليه أشياء وكان خيرا. مات في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة أربع وسبعين رحمه الله.

علي بن عبد السلام بن الشيخ أحمد بن علي بن سيدهم النحريري الشافعي الرفاعي ويعرف بابن حمصيص – بمهملة مفتوحة وصادين مهملتين أولاهما مكسورة. ولد سنة إحدى وثمانمائة بالنحرارية. ومات في أواخر سنة أربع وخمسين بها ظنا.

علي شاه بن الخواجا عبد السلام بن حسن الجرجاني الأصل البحري الشافعي نزيل مكة والآتي شقيقه محمد. شاب سمع على مكة أربعي النووي وغيرها واشتغل قليلا وهو عاقل لا بأس به.

علي بن عبد السلام بن موسى نور الدين البهوتي الأصل الدمياطي الشلفعي الواعظ الماضي أبوه وأخو الولوي محمد الآتي. ممن ولد تقريبا في سنة سبع وخمسين وثمانمائة بدمياط وحفظ القرآن والنحو النصف الأول وجميع الجرومية واشتغل بالفقه والعربية عند الشهاب البيجوري وغيره وتميز واعتنى بقراءة الحديث ولازمني في أشياء من تصانيفي وغيرها ولقيني بمكة فأخذ عني بها أيضا وكذا أخذ عن الديمي وتكلم عن

الناس ببلده وفي مكة وغيرهما وزار القدس والخليل وأخذ عن الشهاب العميري، والغالب عليه الخير وسلامة الفطرة وأظنه يتولع بالنظم وأخوه أفضل منه.

علي المدعو كمال الدين محمد بن عبد الظاهر الشريف الأخميمي القاهري نزيل البردبكية؛ ممن أخذ عن العلاء الحصني والزيني زكريا؛ وتميز مع خير وعقل وسكون وقد تردد إلي قليلا.

علي بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو الحسن بن صاحب المغرب أبي فارس. ولاه ابن أخيه المنتصر أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي فارس بجاية. فلما مات وخلفه أخوه أبو عمرو عثمان امتنع هذا من مبايعته ورأى أحقيته به وساعده فقيه بجاية منصور بن علي بن عثمان فكانت حروب وخطوب آل الأمر فيها إلى. مات سنة خمس وخمسين.

علي بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التقي بن العز بن الصلاح المصري التاجر الكارمي ويعرف بالخروبي. ذكره شيخنا في أنبائه وقال: من أعيان التجار بمصر حج مرارا وكان ذا مروءة وخير عفيفا عن الفواحش دينا متصونا أوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم الشريف المكي فعمر بها بعد الاحتراق، قال: **وكان والدي** قد تزوج أخته وماتت قبله وكان عمي زوج عمته وعمه زوج عمتي فكانت بيننا مودة أكيدة وكان بي برا محسنا شفوفا جزاه الله عني خيرا. مات في رجب بعيد يوم الخميس ثاني عشرية سنة اثنتين. وقال في ترجمة عمه: إن هذا مات في سنة ثلاث؛ وفيها أرخه المقريزي، وما هنا أشبه وقد أكمل الستين رحمه الله؛ وقال غيره: إنه ولد سنة أربع وأربعين أنه كان هو وأبوه وجده من الأكابر تجار مصر قال:." (١)

"٩٨٨ – يحيى بن عبد الغني بن يعقوب الشرف بن الفخر بن الشرف والد أبي الخير محمد الماضي ويعرف بابن فخيرة تصغير أبيه. ممن كتب في المماليك كأبيه وولده.

٩٨٩ – يحيى بن عبد القادر بن محمد بن عبد الوهاب الشرف الأسيوطي الأصل القاهري الظاهري نسبة للظاهرية القديمة الشافعي الشاذلي سبط الشمس النحريري ولذا يعرف بالنحريري. ولد بالظاهرية القديمة ونشأ بها فحفظ القرآن وجل المنهاج واشتغل فيه على البدر حسن الأعرج والسنتاوي واشتغل بتعليم الأبناء وبالنساخة وصحب المتصوفة، وحج وجاور سنة سبع وتسعين وقرأ على السيد عبد الله في المنهاج وعلى القول البديع وغيره من تصانيفي من نسخ كتبها بخطه بل وأخذ عني بالقاهرة أشياء، وهو ساكن قانع في رفد أخيه وأبيهما.

---

(١) الضوء اللامع، ٣/٧٤

٩٩٠ – يحيى بن كري املدين عبد الكريم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة المكي الحنبلي الماضي أبوه وجده. ولد في صفر سنة إحدى وسبعين بمكة ونشأ فحفظ القرآن وأربعي النووي والوجيز في فروعهم وأصول ابن اللحام وألفية النحو وعرض واشتغل على أبيه وهو ممن سمع مني بمكة في سنة ست وثمانين ثم في سنتي ثلاث وأربع وتسعين وأظنه عرض علي بعض المحفوظات، وسافر بعد أبيه في أثناء سنة تسع وتسعين بحرا إلى القاهرة وكتبت سلامته.

٩٩١ – يحيى بن عجلان الأسيوطي الأصل المكي ويعرف بابن الشريفة ممن حفظ القرآن والمنهاج وسافر إلى الحبشة والهند والقاهرة والشام للاسترزاق، وكان ينفد ما يدخل عليه أولا فأولا، وهو ممن سمع من شيخنا. ويقال له الطائي نسبة لجد له اسمه طي. مات بالقاهرة في طاعون سنة ثلاث وسبعين.

٩٩٢ – يحيى بن علي بن أحمد بن حسن شرف الدين الرحبي الأصل المكي سبط يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي المغربي المالكي الآتي ويعرف كأبيه بالمغيربي. ولد في ليلة الأربعاء رابع عشرى ربيع الأول سنة خمس وستين بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن وختمه عند الشروع في التاسعة وأربعي النووي والشاطبية والرسالة وألفية النحو عرض في سنة تسع وسبعين على قضاة مكة الأربعة وعمر بن فهد، واشتغل قليلا وحضر عند الفخر بن ظهيرة وأخيه البرهاني مع ذكاء وفهم ثم تعانى التجارة بعد أن أثبت البرهان بن ظهيرة رشده وسلمه ماله ولم يعهد له فيما بلغني ترشيد من هو في حجره سواه، وسافر في التجارة لدمشق وتلقن في القاهرة الذكر من الزين عبد الرحيم الأبناسي وله تردد إلي وسماع علي ولي إليه زائد الميل ونعم هو تواضعا وأدبا وفهما وذكاء وحسن عشرة بحيث صار بيته بمكة وغيرها مألفا لأحبابه مع عدم اتساع دائرته زاده الله فضلا ورد عليه أخاه سالما غانما.

٩٩٣ – يحيى بن علي بن داود بن سليمان الجمال الخفركي ثم السجستاني. أخذ عنه الطاووسي ووصفه بالإرشاد وأنه شيخ الصوفية، قال وسمعت عليه آداب المريدين وقرأت عليه موضحة الأسرار وأنه شيخ الصوفية، قال وسمعت عليه آداب المريدين وقرأت عليه موضحة الأسرار ومرآة الناظرين في شرح منازل السائرين كلاهما من تصنيفه وكذلك أجوبة أسئلتي الأربعين المسماة طراز الدقائق في إبراز الحقائق وذلك في أيام اعتزاله بشيراز سنة سبع وعشرين وأجاز لي.

٩٩٤ – يحيى بن علي بن قرا برج الشرف الطشلاقي القاهري. عامي ينظم الأزجال والمواليا ونحو ذلك ويأتي منه بما يستحسن مع كونه غاية في الفاقة والهيئة الرثة وهو صاحب تلك المنصوبة في القاضي الموازية لما عمله غيره في الفقيه والجندي وقد كتبها عنه المحب بن جناق الحنبلي وكان ممن يكثر التردد إليه

وانتفع به في ذلك وسمعت منه بعضها وأولها:

من قال أنا قاضي مصاب لقد أصاب ... أنا الفقيه واسمي عميد من الصعيد

كان والدي يرعى الحصيد مع الدواب

وكذا سمعت من نظمه أشياء ومن ذلك قصيدة قالها في المناوي حين ختمت عنده قراءة السيرة النبوية فيما أظن وفيها في مدحي عدة أبيات. مات قبل السبعين بكثير.." (١)

"وأمه الولية الصالحة فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي ابن أبي بكر، وأثنى عليه جماعة من الكبراء وأشار إليه غير واحد من الصلحاء، وكان والده يحبه ويجله ويعظمه ويحترمه حتى أني سمعته مرارا يقول: ما أحد يعرف قدري مثل والدي عبد الله، وكان بعض أولاد السيد عبد الله المذكور يقرأ عليه بعض المدائح التي قيلت في سيدي الشيخ عبد الله العيدروس فقال له عند ذلك: لا تشهد هذا إلا في أبيك أو كما قال، وكان بنى المساجد والنخيل التي اتخذها والدي بحضرموت كلها على يديه، وكان والدي قد جعله وكيلا مطلقا في كل مما يتعلق به لما رآى من نجابته وكياسته، ولم يسافر من بلده تريم الامرة واحدة فانه قد دخل فيها إلى الهند لزيارة والده وذلك سنة ست وستين ورجع إليها في عامه وله من المصنفات شجرة آل باعلوي وضعها على أسلوب بديع. ومن كراماته أنه كان أمرني بالسفر إلى بروج والاقامة بها إلى أن يأذن الله. وما كان في ذلك مصلحة من حيث الظاهر، وامتثلت اشارته ففتح الله علي من فضله بأشياء ما كنت أتوقعها، ومنها أنه كان في بعض السنين كتب يأمر بالاهتمام في عمارة قبة على ضريح والده نفع الله به، وما كان يتيسر ذلك بسبب قلة توفيق أهل الزمان، وعدم مساعدتهم في فعل الخير. ثم وقع الشروع فيها بعد ذلك وتيسر بناؤها على احسن ما يكون ببركته نفع الله به آمين، وكان كف بصره الشريف منذ سنوات ثم رد الله عليه بصره وعد ذلك من خرق العادات، وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن علي البسكري مهنئا له بهذه الأبيات:

حمدا لما اولاك مولاك من ... نعمائه الظاهرة الخافيه

قد نور الأبصار من نوره ... فالعين كالسمع غدت واعيه

وسل سيفا كان في غمده ... على عتاة حسد طاغيه

يهني عفيف الدين غوث الورى ... قطب الملا أنواره الزاهيه

يهناك نور الحق ها قد أتى ... من فضل رب عينه راعيه

---

(١) الضوء اللامع، ٥/١٣١

فالحمد لله وشكراً له ... على زوال العلل الماضيه

قد سرنا والله ما قد أتى ... من صحة تبقى ومن عافيه

وسر سادتنا وأهل ومن ... قد كان في الحضر وفي الباديه

وسر أهل الجود ثم التقى ... وخص مولى ذاته ساميه

غوث الورى فخر العلا سيد ... إلى المعالي نفسه راقيه

عبد الاله القادر الفخر من ... يمناه بالجود غدت ساريه

ذو غرة كالبدر في تمه ... ترتاح منه الند والغاليه

والمسك والكافور والعنبر ... الرطب إذا وافا مع الناغيه

كذا شهاب الدين ذو الحال من ... كل الملا منه الدعا راجيه

والعيدروس القطب رب الندا ... حاوي العلا ذو الأنفس الزاكيه

قد سرهم والله أخباركم ... من كل مكتوب ومن ناحيه

فدم مدى الأيام في نعمة ... تبقى لكم في عيشة راضيه

والعبد يرجو منكم دعوة ... بان ينال إلا من في الفانيه

في الدين والدنيا وفي الأهل ما ... كانوا بذي الدنيا وفي الثانيه

وصل يارب على المصطفى ... وآله ما دامت العاليه

سنة ست وأربعين بعد التسعمائة." (١)

"وقد خمس هذه الأبيات الفقيه صالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر، وخمسها أيضا الشيخ محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده المذكور، وصدرها وعجزها أيضا صاحبنا الشيخ الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن العلامة علي بن محمد البسكري المكي المالكي المغربي تغمد الله برحمته، وكان والدي رحمه الله رأى في المنام قبل ولادتي بنحو نصف شهر جماعة من أولياء الله تعالى: منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، والشيخ أبو بكر العيدروس رضي الله عنه وغيرهما، وكان الشيخ عبد القادر يريد حاجة من الوالد فذلك هو الذي حمله على تسميتي بهذا الاسم، وكناني أيضا أبا بكر ولقبني محيي الدين، وتقرر عنده انه سيكون لي شأن، وكان قل ان يسلم له أحد من الاولاد بأرض الهند فما عاش له منهم غيري، وكان يحبني جدا وقال لي مرة: إذا وقع زمانك افعل ما شئت وكم لي منه من اشارات تضيق على بسطها

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١١١

العبارات والأولى الآن طي حكايتها والمرجو من الله عود ثمرتها وبركتها، وحكى بعض الثقات قال جاء بعض الوزراء الكبار إلى والدك يطلب منه الدعاء في أمر من الأمور وأنت إذا ذاك صغير جدا وكنت جالسا بين يديه فقرأت في الحال هذه الآية " واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب " فقال الشيخ لهم: يكفيكم هذا الفال هذا مثل الوحي قال: ثم قضيت تلك الحاجة باذن الله تعالى، وكانت أمي أم ولد هندية وهبتها بعض النساء من ارباب الخير وبيت الملك المشهورة بالصدقات الجليلة والهبات الجزيله والكرم والاحسان والفضل والامتنان لأبي رحمه الله واعطتها حينئذ جميع ما تحتاج إليه من أثاث البيت، وأخدمتها جملة من الجواري، وكانت تنظرها مثل ابنتها وتزورها في الشهر مرات، وكانت هي إذ ذاك بكرا ولم تلد له أحدا من الأولاد غيري، وكانت من الصالحات، على جانب عظيم من التواضع وسلامة الصدر وحسن الاخلاق وكثرة الانفاق، توفيت ضحى يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان سنة عشر بعد الالف، وكان آخر كلامها لا أله إلا الله، وقبره بجوار سيدي الوالد خارج قبته الشريفة رحمها الله تعالى، وقرأت القرآن العظيم حتى ختمته على يد بعض أولياء الله تعالى وذلك في حياة الوالد تغشاة الله بالرحمة، واشتغلت بعد قراءة القرآن بتحصيل طرف من العلم، وقرأت عدة من المتون على جماعة من العلماء الأعلام وتصدت لنشر العلم ومزاحمة أهله وذلك بكرم الله وفصله والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم، ومعرفة فضلهم وتعظيمهم مع التطفل معهم بالاقوال والتشبه بهم في الأفعال وتكسير سوادهم ورعي ودادهم وشاركت في كثير من الفنون وتفرغت لتحصيل العلوم النافعة لوجه الله تعالى وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة وبالغت في طلبها من اقطار البلاد البعيدة مع ما صار الي من كتب الوالد رحمه الله فاجتمع عندي منها جملة عديدة، ولما بلغني ان سيدي الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال: من حصل كتاب احياء علوم الدين وجعله في أربعين جلدا ضمنت له على الله بالجنة فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد، ووقفت لاستماع الأحاديث النبوية واشتغال الأوقات بها مع صدق النية، وطاعت كثيرا من الكتب باعانة الله تعالى، ووقفت على أشياء غريبة فيها وفيما تلقيته عن المشايخ الأفراد وفضلاء العصر الأمجاد وغيرهم من الثقات. فلم يفتني بحمد الله سبحانه اشارة صوفية، أو مسئلة علمية أو نكتة ادبية، ولكني مع ذلك اظهر التجاهل في ذلك لأن الكلام على اشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي الشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققا بها، ومع ذلك فلا يجوز له ان يتكلم فيها مع غير أهلها لانها مبنية على المواجيد والاذواق لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق. واما نكت الأدب فلا يحسن بعاقل أن يشتهر بمعرفة علمها. والله المسؤول ان يجعل ذلك مقربا اليه، وموجبا للزلفى عنده ولديه، وان يتم لنا كمال السعادة بان يرزقنا حسن الخاتمة

عند الموت حتى نظفر بالحسنى وزيادة مع الدينا وأحبابنا ومشايخنا وأصحابنا وأخواننا وذرارينا انه أكرم مسؤول قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب، ثم من الله علي بعد ذلك وله الحمد لا أحصى ثناء عليه بما لا كان لي قط في حساب فسبحان المتفضل المنعم المعطي الوهاب حتى سارت بمصنفاتي الرفاق، وقال بفضلي علماء الآفاق ورزقت محبة ارباب القلوب من اولياء الله تعالى وحظيت." (١)

"وكان مولعا بكتب الشاذلية، وكان يميل إلى طريقتهم السينة حتى قيل فيه أنه شاذني زمانه روي ذلك عن الشيخ الكبير والولي الشهير أحمد ين سهل، وكان يعظم الشيخ محيي الدين ابن عربي، ويقري كتبه، وكان له في أقتنائها أشد عناية حتى أن كتاب الفتوحات المكية كان لا يوجد بحضرموت إلا عنده، ولما كتب والدي إلى ولده السيد عبد الله ان يحصله له طلبه من الشيخ حسين فامتنع اولا وسأل بعض الثقات أن السيد عبد الله يريد يحصله لنفسه أو لوالده فقال: لا بل لوالده فأعطاه إياه، وحكي أن الشيخ بل النسخة التي كانت عنده عند وفاته ما خلا باب الوصايا منه وقال: أنما فعلته تعظيما لشأنه لأن الناس لا يفهمون معانيه فيقعون في الغلط بسبب ذلك. قلت: وكان الشيخ من المشايخ المربين وكتب الشيخ ابن عربي أشتملت على علوم لا يفهمها إلا أهل النهايات وتضر بارباب البدايات. قال الحافظ السيوطي: والقول الفصل عندي في ابن عربي طريفة لا يرضاها فرقنا أهل العصر لا من يعتقده ولا من يحط عليه. وهي أعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه قلت: وحكى الشيخ الإمام العلامة بحرق أنه سمع الشيخ أبا بكر العيدروس يقول: لا اذكر ان والدي ضربني ولا انتهرني إلا مرة واحدة بسبب انه رأى بيدي جزءا من كتاب الفتوحات المكية لأبن عربي فغضب غضبا شديدا فهجرتها من يومئذ قال: **وكان والدي** ينهى عن مطالعة كتابي الفتوح والفصوص لأبن عربي ويامر. بحسن الظن فيه وباعتقاد انه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين ويقول: ان كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا ارباب النهايات وتضر بارباب البدايات.قال الشيخ بحرق: وأنا أيضا على هذه العقيدة وأدركت عليها جماعة من المشايخ المقتدى بهم قلت: وهذا المقتدى بهم قلت: وهذا مقتضى كلام السيوطي رحمه الله وأنا أيضا على هذه العقيدة وهذه الطريقة أسلم والله أعلم، ووجدت بخط صاحب الترجمة سيدي الشيخ حسين ابن الفقيه عبد الله بالحاج بافضل رضي الله عنه ونفع به آمين. ان الشيخ الإمام ولي الله تعالى محيي الدين النووي لما رأى كلامه وطالعه قال: الكلام كلام صوفي. ثم قال الشيخ حسين وهو كما قاله هذا الإمام ان كلامة كلام الصوفية وانما هو بسط

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٦٧

العبارة في موضع الأشارة وما يحمله من ينكر على الصوفية، ووجدت بخطه أيضا ما صورته هذه الأبيات تصلح في الشيخ محي الدين:

دعوه لا تلوموه دعوه ... فقد علم الذي لم تعلموه

رأى علم الهدى فسمى إليه ... وطالب مطلبا لم تطلبوه

اجاب دعاه لما دعاه ... وقام بحقه ووضعتموه

بنفسي من ممنوح قرب ... وطاعم مطمعا لم تطعموه

قلت: وعلى الي حكاية غريبة وقعت للشيخ ابن عربي تدل على فضله العظيم اذكرها هنا تيمنا بذكره واستشعاره بعضيم قدره ولان المؤرخين يقولون: من ذكر انسانا وعلم له نادرة فلم يذكرها فقد ظلمه ذكر بعض المعتنين بأخباره والمداونين لمحاسن آثاره ان صاحب اشبيلية ارسل مالا عظيما إلى مكة شرفها الله تعالى وأوصى الوكيل ان لا يفرق هذا المال إلا اعلم أهل الأرض واتفق انه اجتمع تلك السنة بمكة شرفها الله تعالى من المشايخ والعلماء والفقهاء ومن كل ذي فن من العلوم ما لم يجتمع في عصر من الأعصار وهي السنة التي اجتمع فيها الشيخ شهاب الدين السهروردي بالشيخ محيي الدين رضي الله عنهما، وقال كل واحد منهما في شأن صاحبه ما قال فاجمع الكل على الشيخ محيي الدين رضي الله عنه، وان لا يفرق المال سواه ففرقه فلما فرغ من تفريقه قال: لو لا ان خوفي خرق الاجماع لامتنعت فقال: له بعض أصحابه لم يا سيدي؟ قال: ما اريد به وجه الله، بل اريد به التفاخر فقال: له بين لي ذلك فقال: ان صاحب الغرب اراد ان يفتخر بي على سائر ملوك الأرض إذ قد علم انه لا يفرقه سواي فما اراد به وجه الله تعالى، بل أراد التفاخر فبلغ ذلك المجلس إلى صاحب اشبيلية فبكى، وقال: صدق الشيخ هذا اردت. ومن شعر ولده محمد وكان قد جاور بالمدينة الشريفة فطلب منه بعض الأصحاب العود إلى وطنه وكتب إليه هذه الأبيات:

لو قيل لي في حضرموت جواهر ... تعطى من لكل طليب

أو قيل لي ما تشتهي وما تهوى ... تجده غاية المطلوب." (١)

"وفيها: قرأ القرىن العظيم على ظهر القلب راجا علي خان سلطان برهان فور، وهو يومئذ سلطان وفي سن الكهولة، وجعل تاريخ ذلك العام الشيخ عبد اللطيف الدبير " حفظ " .

سنة تسع وثمانين بعد التسعمائة

وفي ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وثمانين: توفي الشيخ الفاضل المحدث المعمر عبد

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٧٢

المعطي ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبد الله باكثير المكي ثم الحضرمي بأحمد اباد، وكان مولده في رجب سنة خمس وتسعمائة، وكان من الادباء الفاضلين، والشعراء المصقعين، ولد بمكة ونشأ بها ولقي جماعة من العلماء الفاضلين، وشارك في النقول والمعقول، وتفنن في كثير من العلوم. دخل الهند آخرا وأقام بها، وكان حسن المحاضرة لطيف المحاورة فكها له ملح موادر، ولم يزل على قدم الصلاح والتعفف إلى أن مات، وحكي عنه أنه قرأكتاب الشفاء على بعض مشايخه في مجلس واحد وذلك بعد صلاة الصبح إلى أول الظهر، من شيوخه : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لأنه سمع عليه صحيح البخاري بقراءة والده فهو يرويه عنه سماعا كما في اصطلاح أهل الحديث، والشيخ زكريا يرويه عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني. ولهذا اشتهر صاحب الترجمة في زمنة بالسند العالي وتميز عن أقرانه بذلك فازدحم الناس على الأخذ منه وصار له من الحظ بسبب ذلك ملا يزيد عليه، وسمعت عليه مجالس من صحيح البخاري وأنا صغير وتلفظ لي حينئذ بالإجازة، **وكان والدي** طلب منه أن يجعلها في ارجوزة حتى يضيفها إلى جنب قصائده فلم يقدر الله ذلك. ومن تصانيفه : كتاب أسماء رجال البخاري. ويذكر فيه كل من اشتمل عليه الكتاب المذكور من شيخ البخاري إلى الصحابي راوي الحديث، ولم يتمه والقدر الذي كتبه منه نحو مجلد ضخم والظاهر أنه لو تم يكون في مجلدين وهو مفيد في بابه جدا ومن شعره:

ضاق ذرعي مما ألاقي يا الهي ... وإليك الشكوى من اللاؤه

يا عليما بما يجن فؤادي ... يا رجائي في شدتي ورخاء

يا بديع السماء يا مالك الملك ... ويا ذا الجلال والآلاء

يا لطيفا بخلقه ورحيما ... بالبرايا سا سابغ النعماء

لك ملك السماء والأرض و ... الخلق ولك الأمر يا سميع الدعاء

فأقل عثرتي الهي ويسر ... كل عسر يا أرحم الرحماء

وانلني ما ارتجيه ووسع ... لي رزقي براحة وهناء

ونه مضمنا للبيت الثاني

يا رب يا من عليه مستندي ... ومن على فضله العميم معتمدي

" خذ بيدي قبل أن أقول لمن ... ألقاه عند القيام خذ بيدي "

فامنن آلهي في سمعي وفي بصري ... بصحة دائماوفي جسدي

وما بقى لي من الحياة يكن ... في دعة سيدي وفي رغد

ومنه مضمنا قواعد الإسلام الخمس التي جاء الحديث. إن الإسلام بنى عليها:

هنيئا لمن صح اسلامه ... ونال من الدين أوفى نصيب

أقام الصلاة الصلاة وآتى الزكاة ... وصام وحج وزار الحبيب

ومنه

فرج هموم من أستطعت ... من منجد أو متهم

فالخير كل الخير في ... تفريج ؟هم المسلم

ومنه

يا مالك يا فتاح يا رزاق ... يا من تكفل الخلق بالارزاق

فرج علينا الهي كل أمر ضاق ... وأمنن برزق وسيع فايض دفاق

قال وقد جربتهما فوجتدتهما للفرج بعد الشدة مفيدة.

ومنه في الاثنى عشر الأئمة

بالمصطفى وعلي التبول ... وبالبسطين ثم علي والباقر العلم

جعفرو موسى علي وجواد كذا ... علي الحسن وكذا المهدي ذي الشيم

ومنه

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض وفضلكم قد شاع في الأمم

يا آل بيت رسول الله مدحكم ... في الذكر جاء فما مدحي وما كلم؟

ومنه

وميمات الدواة تعد سبعا ... وسبعا عندهن بلا خطاء

مداد ثم محبرة مقص ... ومرملة ومصمغة الغراء

ومكشطة وملقمة قط ... ومصلقة ومموهة لماء." (١)

"عذولي زادني في الحب عذلا ... وأكثر في مغالبتي وآذا

وصار يلوم من أهواه حتى ... شكى من لوم عذالي وآذا

ومنه

بلغ حبيبي ما ألقاه إذ أبصرته ... أما عذولي قل له دع عنك ما اضمرته

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٨٠

ومنه معمى في أحمد

لنا إن دارت الكأس العقار ... باطراح الرماح دم مدار

وكتب إليه الأديب الفاضل جمال الدين ابن ملازاده في مستهل شهر رمضان هذان البيتان:

يا قطب أهل العلم في أم القرى ... رمضان هل بهجة لم توصف؟

فتهن وحدك إن ذاتك أصبحت ... هي أشرف في أشرف في أشرف

فأجابه قطب الدين الحنفي وأرسل إليه دينارا:

يا أوحد الفضلاء أنت جمالنا ... فتهن بالشعر الشريف الأشرف

شعر بشعر لا ربا فيه وإن ... زاد العيار بوزن هذا الأشرف

وكان الشيخ قطب الدين قد سعى لأخيه محب الدين في القضاء ببلاد اليمن، فلما مات المذكور سعى كذلك لابنه فقرر في وظيفة أبيه فقال الأديب الفاضل جمال الدين ملا زاده أيضا في ذلك:

وليت قطب الدين صنوك قاضيا ... ثم ابنه فليأمن الآفاتا

من مات بعد ولاية قطبية ... كأخيك عشت وكأبنه ما ماتا

من افادات الشيخ قطب الدين رحمه الله تعالى أن لفظ " ابن خلكان " ضبط على صورة الفعلين خل أمرا من خلي أي ترك فعل ماص وكان الناقصة. وسبب تسميته بذلك أنه كان يكثر أن يقول **كان والدي** كذا، وكان جدي كذا فإنه من البرامكة فقيل له خل كان قال: ورأيت من ضبطه بسكون اللام والباقي على حاله والله أعلم.

وفيها: توفي العلامة رضي الدين القازاني المخزومي المكي بمكة المشرفة رحمه الله تعالى وكان أوحد عصره في الأدب والنظم الحسن. ومن شعره:

قل للروافض أنتم في سبكم ... شيخا التقى وحبنا علم الهدى

مثل النصارى لا نسب لاجلهم ... عيسى وأن سبوا النبي محمدا

وفيها: ظهر جراد بنواحي كجرات فقيل للشاه فتح الله ضع له تاريخا فقال " منتشر " .

" لطيفة " نزل الجراد قرب قبيلة زيد ونزل الجراد إلى جانب قرية عمرو فقام أهل قبيلة زيد قالوا لأهل قبيلة عمرو ما نحن نصيد جرادا احتمى بكم. فلما سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت: لا سمع ولا طاعة ولا تمكنه من صيد جوارنا فقام القتال بين الفريقين ولا زالوا على قتالهم إلى أن قتلوا هاتين الفئتين وأنشد بعض قبيلة عمرو يقول:

ومنا من أجار جراد نجد ... وحرمه على المتصيدينا

" غريبة " مرض زيد مرضا شديدا إلى أن تعبت الأطباء من علاجه لقلة ملاقاة أدويته فلما أشرف على الهلاك قال الطبيب لقرابته: اطعموه ما يشتهي وأراد فإنه من الهالكين، وصار المريض يأكل ما اشتهي واراد إلى بعض الأيام فدار في خاطره الجراد فاشترى وامعن في الأكل منه فلما أكثر منه تعافى من مرضه وشاهده الطبيب فقال له: بالله عليك أخبرني ما تناولت من الدواء وما شربت من الأشربة وما غذاؤك من المأكل؟ فقال: الجراد فقال الطبيب: صدقت لأن الجراد يكون قد قعد على حشائش أكل منها ولم تصل منفعتها إلى فهم مخلوق إلى الآن وافق خاصية تلك الحشائش لدائك برئت وكان الجراد واسطة لعافيتك والله أني نظرت في جميع كتب الطب على أن أعرف لدائك دواء فما صح لي ذلك فقلت بترك الحمية لك والله أعلم.

" نادرة " قال الأصمعي أتيت البادية فإذا اعرابي قد زرع برا له فلما انتهى إلى سنبله أتاه الجراد فجعله ينظر إلى الزرع ولا يدري ما يصنع وأنشأ يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له ... بالله لا تشتغل يوما بافساد

فقال منهم خطيب فوق سنبلة ... أنا على سفر لا بد من زاد

قلت: وفي بعض السنين قدم كجرات بعض مشايخ العجم بقصد الحج، وكان معه مريدون كثيرون فقال بعض الأدباء جاء الملخ من بلخ شبه بهم لكثرتهم بالجراد وهم يسمونه بالفارسية: ملخ.

سنة إحدى وتسعين بعد التسعمائة." (١)

"وفيها: في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ العلامة أبو السعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الحنبلي، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان له اليد الطولى في جميع العلوم، وأنه قرأ في المذاهب الأربعة. ومن شيوخه الشيخ الكبير المحقق العلامة أبو الحسن البكري، وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي، والشيخ محمد الحطاب في آخرين من أهل مكة حضرموت وزبيد يكثر عددهم. ويقال أن الذين أخذ عنهم يزيدون على التسعين واجازوه، ومقروآته كثيرة جدا لا تنحصر. ومن محفوظاته الاربعين النواوية، والعقائد النسفية والمقنع في فقه الحنابله وجمع الجوامع في أصول الفقه والفية ابن مالك في النحو وتلخيص المفتاح في المعاني والبيان والشاطبية في القرآت ونور العيون في السير لابن سيد الناس، وكان يحفظ القرآن العظيم ويقرا للسبعة مع التجويد، ونظم ونثر والف

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٩١

غير واحدة من الرسائل المفيدة منها الذي تكلم فيها على آية الكرسي وهي مفيدة جدا، ومنها شرح مختصر الانوار المسمى نور الأبصار في فقه الشافعية، ومنها رسالة في اللغة، ومنها كتاب جليل جعله باسم بعض السلاطين، ورزق الحظ في زمانه. وسمعته يقول: الانس بالله نور ساطع، والانس بالناس سم قاطع. ومن غريب الاتفاق انه قال: حضرت مجلس بعض الوزراء فوقع الكلام في الاستفهام الانكاري فقال: بعض أهل العلم هذا كقوله " اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون: وأشار الي بالتعريض ففهمت منه ذلك فاستحضرت حينئذ وقلت مخاطبا له قوله " أفرأيت من اتخذ آلهه هواه واضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون " فخجل ذلك الرجل وكان والدي يسميه شيخ الاسلام، وكان جوادا قال بعضهم: ما رايت اسخى منه، وقال آخر: ما أظن أن أحدا من الاشراف العرب ودخل الهند إلا وله عليه احسان، وكان لا يمسك شيئا ولذلك كان كثير الاستقراض، وكان تغلب عليه الحدة، وكان من شدة تواضعه لأصحابه ربما ينسبونه إلى التملق وكان له عقيدة مفرطة في السادة آل باعلوي، وذهب إلى حضرموت لزيارتهم فلقى جماعة من اعيانهم وعادت عليه بركتهم، ودخل الهند وأقام بها مديدة ثم رجع إلى وطنه مكة المشرفة في سنة سبع وخمسين فحج ذلك العام وزار النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حج في السنة التي تليها وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة فاقام بها إلى ان توفي بها رحمه الله، وكان مع جلالة قدره يغضب من ذكر " الفار " وقيل انه لقب اخيه عبد القادر لقبه به من لا أخلاق له من أهل مكة. فكان الذي يقصدونه اذيته يذكرونه له فيتعب من ذلك، وكتب إليه بعضهم هذا الاستفتاء:

يا أيها الشيخ يا من ... هو بدينه فار

يا من إذا أشتعل ... نار الذكاء منه فار

ماذا تقول لنا ... في بركة مات بها فار؟

تبددت منه أجزاؤه ... ولم يبق فار

اجب لنا مسرعا ... الماء في التنور فار

وللأديب علي باكثير المكي رحمه الله في المنى:

يا علماء العصر ما قولكم ... في مشكل حير كل الأمم ؟

رأيت فارا عندكم وهو لا ... يقتل في الحل ولا في الحرم

ومن شعره

طبعت على حب المعزة والثناء ... وأرجواهما في طول عمري ديدني

وها أنا أوصي كل خل معزز ... بان لا يداني للدنا من يدي دني

ومنحه الشيخ الفاضل عبد اللطيف الابير بقصيدة. منها:

يا علامة الدنيا ويا عالم غدا ... يقصر عن غاياته في العلى البدر

ومن لاح مثل الصبح فضل كماله ... فضاء به الأقطار وافتخر العصر

ويا أيها البحر الخضم لعلمه ... وللرفق بالطلاب يا أيها البر

وفاكهة الدنيا يهناه ذا الهنى ... وجمع علم فاح من طيها النشر

أب السعادات واصل محامد ... فمن أمه بالنجح آل كذا اليسر

تباهت به كجرات لما ثوى بها ... فإن فحرت يوما يحق لها الفخر." (١)

"أنوار ذاتك أشرقت ذاتي ... فمحيت عن كوني وكل صفاتي

وخرجت عن كل الوجود حقيقة ... فجمال وجهك فائق اللذات

ومن شعره أيضا:

قد كان لي ارب قبل الوصول بكم ... فمذ تجليتم صرنا بلا أرب

ادهشتموني عن الاحساس قاطبة ... فصرت فردا لكم في سائر الرتب

وهو الذي أفتى بحلية القهوة، حتى قال في ذلك من أبيات:

كاللبن الخالص في حله ... ما فارقته بغير السواد

وله أيضا فيها. هذه الأبيات:

أقول لمن قد ضاق بالهم صدره ... وأصبح من كثر التشاغل في فكر

عليك بشرب الصالحين فإنه ... شراب طهور سامي الذكر والقدر

فمطبوخ قشر البن قد شاع ذكره ... عليك به تنجو من الهم في الصدر

وخل ابن عبد الحق يفتي برأيه ... وخذها بفتوى من أبي الحسن البكري

واجتمع هو وجدي الشريف عبد الله بن شيخ عند الحرم الشريف وتعانقا، وكان مع الأستاذ ولده صاحب الترجمة، فطلب له الدعاء من جدي، **وكان والدي** مع أبيه حينئذ، فطلب له مثل ذلك من الشيخ أبي الحسن البكري فاستجاب الله دعاؤهما في الاثنين وصارا كلاهما آيتين ففاق كل منهما في عصره الاقران،

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٢٠٠

وصار قدوره لأهل زمانه، وكان مولده سنة تسع وتسعين وثمانمائة ولم اطلع على تاريخ وفاته هذا وهو الذي منعني من ان اترجم له في هذا التاريخ بالاستقلال وإلا فهم حري بذلك اذ هو أوحد زمانه علما وحالا ومقاما ومعرفة رحمه الله. نعم مات رضي الله عنه في عشر الستين بلا خلاف فانه توفي وعمر ولده شيخ الإسلام محمد البكري احد وعشرون سنة، ومات المذكور سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وعمره نيف وستون سنة فليعلم والله أعلم، وخلف الشيخ محمد أولادا أجلهم الشيخ زين العابدين، مشى على طريقه والده في الإملاء والدرس، والجود والكرم، ومحاسن الأخلاق والشيم، مع الجاه العظيم، والقبول التام عند الخاص والعام، وذكروا عنه كرامات ولم يزل كذلك حتى مات في سنة ثلاث عشرة بعد الألف رحمه الله قتلة بعض باشوات مصر ظلما لان الشيخ كان اغلظ له بالقول في بعض الأمور فغضب وقتله، ثم أن أهل مصر المحروسة قاموا على ذلك الرجل وقتلوه. ومن شعره:

دار فكري يا رب في كل خلق ... لم أجد محسنا سوك وحقك

فاغثني فانني عبد رقك ... وتعطف وامنن علي برزقك

وفيها: توفي الشيخ العلامة محمد بن عبد الحق العقيلي المالكي بمكة،وكان قد تربى في حجر الشيخ الإمام العلامة علي بن محمد البسكري المالك، واخذ عنه وقرا عليه فهو من اجل تلامذته، ولهذا اوصى إليه وقت وفاته بتربية ولده صاحبنا الشيخ العلامة أحمد بن علي البسكري. فاخذ عنه وقرأ عليه حتى برع، وانتهى إلى ما انتهى إليه رحمه الله آمين، وسمعت صاحبنا الشيخ العلامة أحمد بن علي البسكري. قال: سمعت شيخنا جمال الدين محمد بن عبد الحق المالكي يقول إن الشيخ الكبير الرباني العارف بالله محمد بن عراق أرسل إلى الشيخ العلامة أحمد بن عبد الغفار المالكي أن يترك شرب القهوة فيما بين الناس،ويشربها في خلوة، وان يترك لعب الشطرنج. فقال له الشيخ أحمد بن عبد الغفار: اما ما أمرتني به من ترك شرب القهوة فيما بين الناس وشربها في الخلوه. فكان الأولى أن تأمرني بعكس ذلك، وأما ما أمرتني من ترك السماع فلا سمع ولا طاعة في ذلك، وأما ما أمرتني به من ترك لعب الشطرنج فهو حق وصدق غير أنى قد ابتليت بهذا الداء، فاسأل الله لي تعجيل الدواء والسلام. قلت: وكان تلميذه سيدنا وصاحبنا الشيخ أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح، متبعا للكتاب والسنة، سالكا على نهج السلف الصالح، متصفا بالعفاف قانعا بالكفاف لا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولا بمطالعة أو كتابة مظهرا للجمالة، له جملة مصنفات، منها: رسالة في القهوة مفيدة جدا، وكان كف بصره قبل وفاته بقليل، وكانت وفاته في ليلة السبت ثالث عشر شهر بيع الثاني سنة تسع بعد الألف باحمد اباد، وعمره سبعون سنة رحمه الله ومن

شعره:

أقسمت بالله ما حالت مودتكم ... يوما ولا حلت عن عهدي وميثاقي

ولا تنفست أنفاسا اردها ... إلا وفي ضمنها دمعي وأشواقي." (١)

" ٤٩ أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم فلما حضرته الوفاة دعاني فقال يا بني قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث وقد أظل زمانه فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما فإن الله يزيدك بهذا خيرا فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلل بالتكبير ألسنتهم وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤدرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم فلما قرأت هذا قلت في نفسي والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من ذكر الكذابين وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله صلى." (٢)

"والجعل من قوله ﴿جعلنا﴾ هو الجعل التشريعي أي شرعنا لكل موالي لهم حق في ماله كما في قوله تعالى ﴿فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ الإسراء:٣٣].

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٢١١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٤١٨

والموالي جمع مولى وهو محل الولي، أي القرب، وهو محل مجازي وقرب مجازي، والولاء اسم المصدر للولي المجازي.

وفي نظم الآية تقاد ير جديرة بالاعتبار، وجامعة لمعان من التشريع: الأول: ولكل تارك، أي تارك ملا جعلنا موالي، أي أهل ولاء له، أي قرب، أي ورقة. ويتعلق ﴿مما ترك﴾ بما في موالي من معنى يلونه، أي يرثونه، ومن للتبعيض، أي يرثون مما ترك، وما صدق ما الموصولة هو المال، والصلة قرينة على كون المراد بالموالي الميراث، وكون المضاف إليه كل هو الهالك أو التارك، ﴿ولكل﴾ متعلق بجعلنا، قدم على متعلقة للاهتمام. وقوله ﴿الوالدان﴾ استئناف بياني بين به المراد من موالي، ويصلح أن يبين به كل المقدر له مضاف. تقديره: لكل تارك. وتبين كلا اللفظيين سواء في المعنى، لأن التارك: والد أو قريب، والموالي: والدون أو قرابة. وفي ذكر ﴿الوالدان﴾ غنية عن ذكر الأبناء لتلازمهما، فإن **كان الوالدان** من الورثة فالهالك ولد وإلا فالهالك والد. والتعريف في ﴿الوالدان والأقربون﴾ عوض عن مضاف إليه أي: والداهم وأقربوهم، والمضاف إليه المحذوف يدل على الموالي، وهذا التقدير يناسب أن يكون ناشيءا عن قوله ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ [النساء:٣٢]، أي ولكل من الصنفين جعلنا موالي يرثونه، وهو الجعل الذي في آيات المواريث.

والتقدير الثاني: ولكل شيء مما تركه الوالدان والأقربون جعلنا موالي، أي قوما يلونه بالإرث، أي يرثونه، أي يكون تراثا لهم، فيكون المضاف إليه المحذوف اسما نكرة عاما يبين نوعه المقام، ويكون ﴿مما ترك﴾ بيانا لما في تنوين كل من الإيهام، ويكون الوالدان ﴿والأقربون﴾ فاعلا لترك.

وهذا التقدير يناسب أن يكون ناشيء عن قوله ﴿ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء:٣٢] أي في الأموال، أي ولكل من الذين فضلنا بعضهم على بعض جعلنا موالي يؤول إليهم المال، فلا تتمنوا ما ليس لكم فيه حق في حياة أصحابه، ولا ما جعلناه للموالي بعد موت أصحابه.." (١)

"فقال له حارثة : يا محمد أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته ، تفكون العاني وتطعمون الاسير ، ابني عبدك فامتن علينا وأحسن إلينا في فدائه فانك ابن سيد قومه فإنا سنرفع لك في الفداء ما أحببت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكم خيرا من ذلك قالوا : وما هو قال : أخيره فان اختاركم فخذوه بغير فداء وان اختارني فكفوا عنه قالوا : جزاك الله خيرا فقد أحسنت فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا زيد اتعرف هؤلاء قال : نعم ، هذا أبي وعمي وأخي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا من قد عرفته فان اخترتهم فأذهب معهم وان اخترتني فأنا من تعلم فقال زيد : ما أنا بمختار

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٩/٤

عليك أحدا أبدا أنت مني **بمكان الوالد** والعم قال له أبوه وعمه : يا زيد تختار العبودية على الربوبية قال : ما أنا بمفارق هذا الرجل ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه قال : أشهدوا أنه حر وانه ابني يرثني وأرثه فطلبت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه فلم يزل في الجاهلية يدعى : زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ فدعي زيد بن حارثة.

وأخرج ابن عساكر من طريق زيد ابن شيبة عن الحسن بن عثمان رضي الله عنه قال : حدثني عدة من الفقهاء وأهل العلم قالوا : كان عامر بن ربيعة يقال له : عامر بن الخطاب وإليه كان ينسب فأنزل الله فيه وفي زيد بن حارثة." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد ، فقال : من هذا ؟ قلت الوليد ، فقال : ' قد اتخذتم الوليد حنانا . غيروا اسمه ، سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد ' . انتهت هذه الفائدة الحديثية .

ولد صاحب الترجمة في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة . وأخذ العلم عن عمه القاضي أبي السعادات وغيره ، ولازم والدي بمكة وبالقاهرة ، فأخذ عنه الفقه والأصول و العربية ، والمعاني والبيان ، وبه تخرج في الفقه والأصول . وانتفع بالشيخ أبي الفضل المغربي في سائر الفنون . وأخذ أيضا عن الحافظ بن حجر ، والكمال ابن الهمام ، وشيخنا التقي الشمني ، وشيخنا الشرف المناوي ، وشيخنا الكافيجي وبرع ومهر في الفنون . وولي قضاء مكة المشرفة نحو ثلاثين سنة . وانتهت إليه رياسة الحجاز على الإطلاق . مات في ليلة الجمعة سادس ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة .

ولما جاورت بمكة المشرفة اتفقت لي معه قضية أوجبت بعض النفور ، لما كنت أرى أنه لا يصدر منه ذلك ، لأنه نشو والدي ، وغرس نعمته ، وتربية بيته ، لأنه كان في أول أمره فقيرا مملقا خاملا . **فكان والدي** هو الذي يوءويه ويقوم بموءنته ، ويعلمه العلم ، ويعرف به الأكابر ، ويسعى له بالمرتبات . فلما صار إلى ما صار إليه ، ورحت إلى هناك رام أن أكون في كنفه وتحت لوائه ، كما كان هو عند والدي ، وكما يكون أهل مصر عنده ، رغبة في ماله . وأنا لست هناك ، انما أراه واحدا من جماعة أبي كان يحملني وأنا صغير على كتفه . فلم يبلغ مني ما رامه . فكان لا يزال." (٢)

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧١٩/١١

(٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص/٢٠

"لا يجزي : لا يقضي ، ومنه قيل للمتقاضي : المتجازي ، وتقدم الكلام في ذلك في أوائل البقرة.
ولما **كان الوالد** أكثر شفقة على الولد من الولد على أبيه ، بدأ به أولا ، وأتى في الإسناد إلى الوالد بالفعل المقتضي للتجدد ، لأن شفقته متجددة على الولد في كل حال ، وأتى في الإسناد إلى الولد باسم الفاعل ، لأنه يدل على الثبوت ، والثبوت يصدق بالمرة الواحدة. والجملة من لا يجزي صفة ليوم ، والضمير محذوف ، أي منه ، فإما أن يحذف برمته ، وإما على التدريج حذف الخبر ، فتعدى الفعل إلى الضمير وهو منصوب فحذف. وقرأ الجمهور : لا يجزي مضارع جزى ؛ وعكرمة : بضم الياء وفتح الزاي مبنيا للمفعول ؛ وأبو السماك ، وعامر بن عبد الله ، وأبو السوار : لا يجزىء ، بضم الياء وكسر الزاي مهموزا ، ووومعناه : لا يغني ؛ يقال : أجزأت عنك جزاء فلان : أي أغنيت. ويجوز في ﴿ولا مولود﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون معطوفا عرى والد ، والجملة من قوله : ﴿هو﴾ ، صفة مولود. والثاني : أن يكون مبتدأ ، وهو مبتدأ ثان ، وجاز خبره ، والجملة خبر للأول ، وجاز الابتداء به ، وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك ، وهو النفي. وذهل المهدوي فقال : لا يكون ﴿ولا مولود﴾ مبتدأ ، لأنه نكرة وما بعده صفة ، فيبقى بلا خبر و﴿شياا﴾ منصوب بجاز ، وهو من باب الأعمال ، لأنه يطلبه ﴿لا يجزى﴾ ويطلبه ﴿جاز﴾ ، فجعلناه من أعمال الثاني ، لأنه المختار. وقرأ ابن أبي إسحاق ، وابن أبي عبلة ، ويعقوب : نغرنكم ، بالنون الخفيفة. وقرأ سماك بن حرب ، وأبو حيوة : الغرور بالضم ، وهو مصدر ؛ والجمهور : بالفتح ، وفسره ابن مجاهد والضحاك بالشيطان ، ويمكن حمل قراءة الضم عليه جعل الشيطان نفس الغرور مبالغة.
وقال الزمخشري : فإن قلت : قوله : ﴿ولا مولود هو جاز عن والدها شياا ﴾ هو وارد على طريق من التوكيد ، لم يرد عليه ما هو معطوف عليه. قلت : الأمر كذلك ، رأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية ، وقد انضم إلى ذلك قوله : ﴿هو﴾ ، وقوله : ﴿مولود﴾ ، والسبب في مجيئه هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين ، وغالبهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي ، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس أن ينفعوا آباءهم في الآخرة ، وأن يشفعوا لهم ، وأن يغنوا عنهم من الله شيئا ، فلذلك جيء به على الطريق الأوكد.
ومعنى التوكيد في لفظ المولود : أن الواحد منهم لو شفع للوالد الأدنى الذي ولد منه ، لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده ، لأن الولد يقع على الولد ، وولد الولد بخلاف المولود ، فإنه لمن ولد منك.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٢
﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ : يروى أن الحارث بن عمارة المحاربي قال : يا رسول الله ، أخبرني عن

الساعة متى قيامها ؟ وإني لقد ألقيت حباتي في الأرض ، وقد أبطأت عني السماء ، متى تمطر ؟ وأخبرني عن امرأتي ، فقد اشتملت على ما في بطنها ، أذكر أم أنثى ؟ وعلمت أمس ، فما أعمل غدا ؟ وهذا مولدي قد عرفته ، فأين أموت ؟ فنزلت. وفي الحديث : "خمس لا يعلمهن إلا الله" ، وتلا هذه الآية. وعلم : مصدر أضيف إلى الساعة ، والمعنى : علم يقين ، وفيها : ﴿وينزل الغيث﴾ في آياته من غير تقديم ولا تأخير. ﴿ما فى الارحام﴾ من ذكر أم أنثى ، تام أو ناقص ، ﴿وما تدرى نفس﴾ ، برة أو فاجرة. ﴿ماذا تكسب غدا ﴾ من خير أو شر ، وربما عزمت على أحدهما فعلمت ضده. ﴿بأى أرض تموت﴾ : وربما أقامت بمكان ناوية أن لا تفارقه إلى أن تدفن به ، ثم تدفن في مكان لم يحظر لها ببال قط. وأسند العلم إلى الله ، والدراية للنفس ، لما في الدراية من معنى الختل والحيلة ؛ ولذا وصف الله بالعالم ، ولا يوصف بالداري. وأما قوله :

لاهم لا أدري وأنت الداري

فقول عربي جلف جاهلي ، جاهل بما يطلق على الله من الصفات ، وما يجوز منها وما يمتنع. وقرأ الجمهور : ﴿بأى أرض﴾ . وقرأ موسى الأسواري ، وابن أبي عبلة : بأية أرض ، بتاء التأنيث لإضافتها إلى الموت ،

١٩٤

وهي لغة قليلة فيهما. كما أن كلا إذا أضيفت إلى مؤنث قد تؤنث ، تقول : كلهن فعلن ذلك ، وتدري معلقة في الموضعين. فالجملة من قوله : ﴿ماذا تكسب﴾ في موضع مفعول ﴿تدرى﴾ ، ويجوز أن يكون ماذا كلها موصولا منصوبا بتدري ، كأنه قال : وما تدري نفس الشيء التي تكسب غدا. وبأي متعلق بتموت ، والباء ظرفية ، أي : في أي أرض ؟ فالجملة في موضع نصب بتدري. ووقع الإخبار بأن الله استأثر بعلمه هذه الخمس ، لأنها جواب لسائل سأل ، وهو يستأثر بعلم أشياء لا يحصيها إلا هو ، وهذه الخمس. جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٢." (١)

"وقرأ الكوفيون : عقدت بتخفيف القاف من غير ألف ، وشدد القاف حمزة من رواية علي بن كبشة ، والباقون عاقدت بألف ، وجوزوا في إعراب الذين وجوها. أحدها : أن يكون مبتدأ والخبر فآتوهم. والثاني : أن يكون منصوبا من باب الاشتغال نحو : زيدا فاضربه. الثالث : أن يكون مرفوعا معطوفا على الوالدان والأقربون ، والضمير في فآتوهم عائد على موالي إذا **كان الوالدان** ومن عطف عليه موروثين ، وإن كانوا

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، /

وارثين فيجوز أن يعود على موالي ، ويجوز أن يعود على الوالدين والمعطوف عليه. الرابع : أن يكون منصوبا معطوفا على موالي قاله : أبو البقاء ، وقال : أي وجعلنا الذين عاقدت وراثا ، وكان ذلك ونسخ انتهى. ولا يمكن أن يكون على هذا التقدير الذي قدره أن يكون معطوفا على موالي لفساد العطف ، إذ يصير التقدير : ولكل إنسان ، أو : لكل شيء من المال جعلنا وراثا. والذين عاقدت أيمانكم ، فإن كان من عطف الجمل وحذف المفعول الثاني لدلالة المعنى عليه أمكن ذلك ، أي جعلنا وراثا لكل شيء من المال ، أي : لكل إنسان ، وجعلنا الذين عاقدت أيمانكم وراثا. وهو بعد ذلك توجيه متكلف ، ومفعول عاقدت ضمير محذوف أي : عاقدتهم أيمانكم ، وكذلك في قراءة عقدت هو محذوف تقديره : عقدت حلفهم ، أو عهدهم أيمانكم. وإسناد المعاقدة أو العقد للإيمان سواء أريد بها القسم ، أم الجارحة ، مجاز بل فاعل ذلك هو الشخص.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٩

﴿إن الله كان على كل شيء شهيدا﴾ لما ذكر تعالى تشريع التوريث ، وأمر بإيتاء النصيب ، أخبر تعالى أنه مطلع على كل شيء فهو المجازى به ، وفي ذلك تهديد للعاصي ، ووعد للمطيع ، وتنبيه على أنه شهيد على المعاقدة بينكم. والصلة فأوفوا بالعهد.

﴿الرجال قوامون على النسآء بما فضل الله بعضهم على بعض وبمآ أنفقوا من أموالهم﴾ قيل : سبب نزول هذه الآية أن امرأة لطمها زوجها فاستعدت ، فقضى لها بالقصاص ، فنزلت. فقال صلى الله عليه وسلم : "أردت أمرا وأراد الله غيره" قاله : الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، والسدي وغيرهم. فذكر التبريزي والزمخشري وابن عطية : أنها حبيبة بنت زيد بن أبي زهير زوج

٢٣٨

الربيع بن عمر ، وأحد النقباء من الأنصار. وطولوا القصة وفي آخرها : فرفع القصاص بين الرجل والمرأة ، وقال الكلبي : هي حبيبة بنت محمد بن سلمة زوج سعيد بن الربيع. وقال أبو روق : هي جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى زوج ثابت بن قيس بن شماس. وقيل : نزل معها : ﴿ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيها﴾ وفي سبب من عين المرأة أن زوجها لطمها بسبب نشوزها. وقيل : سبب النزول قول أم سلمة المتقدم : لما تمنى النساء درجة الرجال عرفن وجه الفضيلة قيل : المراد بالرحال هنا من فيهم صدامة وحزم ، لا مطلق من له لحية. فكم من ذي لحية لا يكون له نفع ولا ضر ولا حرم ، ولذلك يقال : رجل بين الرجولية والرجولة. ولذلك ادعى بعض المفسرين أن في الكلام حذفا تقديره : الرجال قوامون على النساء

إن كانوا رجالا. وأنشد :

أكل امرىء تحسبين امرأونار توقد بالليل نارا

والذي يظهر أن هذا إخبار عن الجنس لم يتعرض فيه إلى اعتبار أفراده ، كأنه قيل : هذا الجنس قوام على هذا الجنس. وقال ابن عباس : قوامون مسلطون على تأديب النساء في الحق. ويشهد لهذا القول طاعتهن لهم في طاعة الله. وقوام : صفة مبالغة ، ويقال : قيام وقيم ، وهو الذي يقوم بالأمر ويحفظه. وفي الحديث : "أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن" والباء في بما للسبب ، وما مصدرية أي : بتفضيل الله. ومن جعلها بمعنى الذي فقد أبعد ، إذ لا ضمير في الجملة وتقديره محذوفا مسوغ لحذفه ، فلا يجوز.

والضمير في بعضهم عائد على الرجال والنساء. وذكر تغليبا للمذكر على المؤنث ، والمراد بالبعض الأول الرجال ، وبالثاني النساء. والمعنى : أنهم قوامون عليهن بسبب تفصيل الله الرجال على النساء ، هكذا قرروا هذا المعنى. قالوا : وعدل عن الضميرين فلم يأت بما فضل الله عليهن لما في ذكر بعض من الإبهام الذي لا يقتضي عموم الضمير ، فرب أنثى فضلت ذكرا. وفي هذا دليل على أن الولاية تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة ، وذكروا أشياء مما فضل به الرجال على النساء على سبيل التمثيل. فقال الربيع : الجمعة والجماعة. وقال الحسن : النفقة عليهن. وينبو عنه قوله : وبما أنفقوا. وقيل : التصرف والتجارات. وقيل : الغزو ، وكمال الدين ، والعقل. وقيل : العقل والرأي ، وحل الأربع ، وملك النكاح ، والطلاق ، والرجعة ، وكمال العبادات ، وفضيلة الشهادات ، والتعصيب ، وزيادة السهم في الميراث ، والديات ، والصلاحية للنبوة ، والخلافة ، والإمامة ، والخطابة ، والجهاد ، والرمي ، والآذان ، والاعتكاف ، والحمالة ، والقسامة ، وانتساب الأولاد ، واللحي ، وكشف الوجوه ، والعمائم التي هي تيجان العرب ، والولاية ، والتزويج ، والاستدعاء إلى الفراش ، والكتابة في الغالب ، وعدد الزوجات ، والوطء بملك اليمين.

." (١)

"٧- الأوزاعي رحمه الله تعالى :

نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن ، وقيل الأوزاع قرية بالشام بدمشق .

٨- الآجري رحمه الله تعالى :

نسبة إلى قرية ببغداد يقال لها آجر .

٩- ألب أرسلان رحمه الله :

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١٩٣/٣

هو أبو شجاع ، الملقب عضد الدولة ، المسمى باللغة التركية " ألب أرسلان " ومعناه " أسد شجاع " ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .

١٠- بختنصر :

مركب مزجي كـ(حضرموت) و (بعلبك) ، وتركيبه من (بخت)بمعنى (ابن) ، و(نصر)اسم صنم وجد عنده هذا الملك لقيطا أول ولادته ، فنسب إليه ؛ إذ لم يعرف له أب .

١١- ابن خلكان :

(من إفادات الشيخ قطب الدين رحمه الله تعالى أن لفظ "ابن خلكان" (*) ضبط على صورة الفعلين (خل) أمرا من خلي أي ترك فعل ماض و(كان) الناقصة. وسبب تسميته بذلك أنه كان يكثر أن يقول كان والدي كذا، وكان جدي كذا فإنه من البرامكة فقيل له خل كان قال:ورأيت من ضبطه بسكون اللام والباقي على حاله والله أعلم) انتهى . النور السافر عن أخبار القرن العاشر / العيدروس ت١٠٣٨ هج .

(*)ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي أبو العباس صاحب وفيات الأعيان ٦٠٨ – ٦٨١ هج)

١٢- الإمام الطبري رحمه الله تعالى :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري نسبة الى طبرستان .

١٣- الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى :

أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الأزدي الطحاوي ، نسبة إلى طحا قرية بصعيد مصر .

١٤- الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن شهاب ، أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي ، المعروف بـ(ابن حجر)وهو لقب لبعض آبائه .

١٥-الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى :

محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني نسبة إلى شوكان ، قرية من قرى السجامية : إحدى قبائل خولان ، على مسافة يوم واحد من صنعاء .

١٦- الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى :." [1]

---

(١) إتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء [١].، ص/٤

"- ١٥ -

سمعت الشيخ الأديب أبا الفضل جعفر بن إسماعيل النحوي بالإسكندرية، يقول: سمعت سابي بمصر يقول، سمعت أبا الحسين يحيى ابن نجاح الواعظ الأندلسي بمكة يقول: إذا ذكرت شيئا فخذوه بقبول واحفظوه فأني لا اعود اذكره إن سئلت عنه.

وسمعته يقول: كان يحيى بن نجاح الواعظ الأندلسي (١) مصنف " الخيرات " إذا وعظ وزهره الناس له قال: **كان والدي** عبدا لفلان، وأمي جارية اشتريت بكذا وكذا دينارا فلا يغرك يا يحيى مدح هؤلاء، قال: وهو مصنف " جامع سبل الخيرات " نفعه الله بذلك.

---

(١) راجع ترجمة ابن نجاح في الصلة: ٦٢٨.." [1]

"و أبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. قال أبن سعيد: **كان والدي** يعجب بقوله:

إن سيل الصباح في الشرق ... عاد بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادب الورق ... أتراها خافت من الغرق

فبكت سحرة على الورق

و اشتهر باشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل. قال أبن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا بن الفضل، لك على الوشاحين الفضل بقولك:

وأحسرنا لزمان مضى ... عشية بان الهوى وانقضى

وأفرد بالرغم لا بالرضا ... وبت على جمرات الغضى

أعانق بالفكر تلك الطلول ... وألثم بالوهم تلك الرسوم

قل: وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة، فما سمعته يقول: لله درك إلا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ... ما الليل المشوق من فجر

جمد الصبح ليس يطرد ... ما لليالي فيما أظن غد

صح يا ليل انك الأبد

أو فقضت قوادم النسر ... فنجوم السماء لا تسرى

---

(١) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، ص/٣٤

و من محاسن موشحات أبن الصابوني قوله:

ما حال صب ذي ضني واكتئاب ... أمرضته يا ويلتاه الطبيب

عامله محبوبه باجتناب ثم ... اقتدى فيه الكرى بالحبيب بالحبيب

جفا جفوني النوم لكنني ... لم ابكه إلا لفقد الخيال

وذا الوصال اليوم قد عزني ... منه كما شاء وشاء الوصال

فلست باللأئم من صدني ... بصورة الحق ولا بالمحال

و اشتهر ببر العداوة أبن خلف الجزاري صاحب الموشحة المشهورة:

يد الإصباح ... قد زناد الأنوار من مجامر الزهر

و أبن الخرز البجائي، وله من موشحة:

ثغر الزمان موافق ... حياك منه بابتسام

و من محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة أبن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها فمنها قوله:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس

فهو في نار وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس

و قد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما ... في الكرى أو خلسة المختلس

إذ يقود الدهر اشتات المنى ... تنقل الخطو على ما يرسم

زمرا بين فرادي وثنى ... مثلما يدعو الوفود الموسم

والحيا قد جلل الروض سنى ... فثغور الزهر فيه تبسم

وروى النعمان عن ماء السما ... كيف يروي مالك عن أنس

فكساه الحسن ثوبا معلما ... يزدهي منه بأبهى ملبس

في ليال كتمتا سر الهوى ... بالدجى لولا شموس الغرر

مال نجم الكأس فيها وهوى ... مستقيم السير سعد الأثر

وطر ما فيه من عيب سوى ... أنه مر كلمح البصر

حين لذلك النوم مع حلو اللمى ... هجم الصبح هجوم الحرس

غارت الشهب بنا أو ربما ... أثرت فينا عيون النرجس
أي شيء لأمري قد خلصا ... فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الأزهار منه الفرصا ... أمنت من مكره ما تتقيه
فإذا الماء تناجى والحصى ... وخلا كل خليل بأخيه
تبصر الورد غيور برما ... يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيبا فهما ... يسرق السمع بأذني فرس
يأهل الحي من وادي الغضى ... وبقلبي مسكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا ... لا أبالي شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى ... تعتقدوا عانيكم من كربه
واتقوا الله وأحيوا مغرما ... يتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليكم كرما ... أفترضون عفاء الحبس
وبقلبي منكم مقترب ... بأحاديث المنى وهو بعيد
قمر أطلع منه المغرب ... شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوي محسن أو مذهب ... في هواه بين وعد ووعيد
ساحر المفلة معسول اللمى ... جال في النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى ... ففؤادي نهبة المفترس
إن يكن جار وخاب الأمل ... وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول ... ليس في الحب لمحبوب ذنوب
أمره معتمد ممتثل ... في ضلوع قد براها وقلوب." (١)

"من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون ، أمن أوصى منهم أم من لم يوص ، يعني : أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا ، وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر ؛ لأن عرض الدنيا ، وإن كان قريبا عاجلا في الصورة إلا أنه باق ، وفي الحقيقة الأقرب الأدنى.

وقيل : إن الله – تعالى – لما ذكر أنصباء الأولاد ، وأنصباء الأبوين ، وكانت العقول لا تدرك معاني تلك

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/١٧٨

التقديرات ، فربما خطر ببال الإنسان أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت أنفع له وأصلح لا سيما وقد كانت قسمة المواريث عند العرب على غير هذا الوجه فأزال الله – تعالى – هذه الشبهة بأن قال : إن عقولكم لا تحيط بمصالحكم ، فربما اعتقدتم في شيء أنه صالح لكم ، وهو عين المضرة ، وربما اعتقدتم في شيء أنه مضرة ، ويكون عين المصلحة ، وأما الإله الرحيم فهو يعلم مغيبات الأمور وعواقبها ، وكأنه قال : اتركوا تقديرات المواريث بالمقادير التي تستحسنها عقولكم وانقادوا للمقادير التي قدرها الله تعالى عليكم بقوله ﴿آبآؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ إشارة إلى ترك ما يميل الطبع إليه من قسمة المواريث.

قوله : ﴿فريضة من الله﴾ إشارة إلى وجوب الانقياد إلى المقادير الشرعية.

وقال ابن عباس : " لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا " أي : أطوعهم الله – عز وجل – من الآباء والأبناء أرفع درجة يوم القيامة [والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، فإذا كان الوالد أرفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع إليه ولده وإن كان الولد أرفع درجة] رفع إليه والده لتقر بذلك أعينهم.

قوله : ﴿نفعا﴾ نصب على التمييز من " أقرب " ، وهو منقول من الفاعلية ، واجب النصب ؛ لأنه متى وقع تمييز بعد " أفعل " التفضيل ، فإن صح أن يصاغ منها مسند إلى ذلك التمييز على جهة الفاعلية وجل النصب كهذه الآية ، إذ يصح أن يقال : أيهم أقرب لكم نفعه ، وإن لم يصح ذلك وجب جره نحو : " زيد أحسن فقيه " بخلاف " زيد أحسن فقها " ، وهذه قاعدة مفيدة و " لكم " متعلق بـ " أقرب ".

قوله : ﴿فريضة﴾ فيها ثلاثة أوجه : أظهرها : أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة من الوصية ؛ لأن معنى "

٢٢١

يوصيكم " : فرض عليكم ذلك ، فصار المعنى : " يوصيكم الله وصية فرض " ، فهو مصدر على غير الصدر.

والثاني : أنها مصدر [منصوب بفعل] محذوف من لفظها.

قال أبو البقاء : و ﴿فريضة﴾ مصدر لفعل محذوف ، أي : فرض الله ذلك فريضة.

والثالث : قاله مكي وغيره : أنها حال ؛ لأنها ليست مصدرا ، وكلام الزمخشري محتمل للوجهين الأولين ، فإنه قال : " فريضة " نصبت نصب المصدر المؤكد ، أي : " فرض الله ذلك فرضا ".

ثم قال : " إن الله كان عليما " أي : بأمور العباد " حكيما " بنصب الأحكام.

فإن قيل : لم قال كان عليما حكيما مع أنه لم يزل كذلك ؟ .

فالجواب قال الخليل : الخبر عن الله تعالى بهذه الألفاظ ، كالخبر بالحال والاستقبال ؛ لأنه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان.

قال سيبويه : القوم لما شاهدوا علما وحكمة وفضلا وإحسانا تعجبوا ، فقيل لهم : إن الله كذلك ، ولم يزل موصوفا بهذه الصفات.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٠٦

اعلم أن أقسام الوراثة ثلاثة : قسم لا يسقط بحال وهم : الآباء والأولاد والأزواج قسمان ، والثالث هو المسمى بالكلالة وهذا القسم متأخر عن القسمين الأولين لأنه قد يعرض لهم السقوط بالكلية ، ولأنهم يدلون إلى الميت بواسطة ، والقسمان الأولان يدلون بأنفسهم فقدم الله تعالى الوارث بالنسب ؛ لأنه أعلاها ثم ثنى بذكر الوارث بالسبب الذي لا يسقط بحال ، لأنه دون الأول وهو الزوجان ثم ذكر القسم الثالث بعدهما ؛ لأنه دونهما ، ولما جعل

٢٢٢

." (١)

"صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ [الآية : ٤٤] لأن الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال : ﴿يأتي يوم لا مرد له﴾ [الروم : ٤٣] فقدم التخويف ، وههنا الذكر للترغيب ؛ لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف.

والوعد.

قوله : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه﴾ هذا عطف على ما تقدم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه ، وحين جعلناه واعظا لغيره.

قوله : " يا بني " قرأ ابن كثير بإسكان الياء وفتحها حفص والباقون بالكسر ﴿لا تشرك بالله﴾ بدأ في الوعظ بالأهم وهو المنع من الإشراك وقال : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ ، أما أنه ظلم فلأنه وضع النفس الشريفة المكرمة في عبادة الخسيس ، فوضع العبادة في غير موضعها.

قوله : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريب منها في الص،ورة بين أنها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله (في بعض الصور) كخدمة الأبوين ثم بين السبب فقال : " حملته أمه "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٣٩٢

يعني لله على العبد نعمة الابتداء بالخلق ونعمة الإبقاء بالرزق أي صارت بقدرة الله سبب وجود فإنها حملته وبرضاه حصل التربية والبقاء.

قوله : ﴿وهنا على وهن﴾ يجوز أن ينتصب على الحال من (أمه) أي ضعفا على ضعف.

وقال ابن عباس : شدة عل شدة ، وقال مجاهد : مشقة بعد مشقة وقال الزجاج : المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة ، وقيل : الحمل ضعف والوضع ضعف ، وقيل : منصوب على إسقاط الخافض أي في وهن.

قال أبو البقاء : " وعلى وهن " صفة له " الوهنا ".

وقرأ الثقفي وأبو عمرو - في رواية - وهنا

٤٤٥

على وهن - بفتح الهاء فيهما - فاحتمل أن تكونا لغتين كالشعر والشعر ، واحتمل أن يكون المفتوح مصدر " وهن " بالكسر يوهن وهنا.

قوله : " وفصاله " قرأ الجحدري وقتادة وأبو رجاء والحسن " وفصله " دون ألف - أي وفطامه في عامين.

فإن قيل : وصى الله بالوالدين ، وذكر السبب في حق الأم مع أن الأب وجد منه الحشر من الأم لأنه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.

فالجواب : أن المشقة الحاصلة للأم أعظم فإن الأب حمله خلفة لكونه من جملة جسده ، والأم حملته ثقلا آدميا مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة.

قوله : " أن اشكر " في " أن " وجهان : أحدهما : أنها مفسرة.

والثاني : أنها مصدرية في محل نصب . " وصينا " قاله الزجاج ، لما كان الوالدان سبب وجود الولد والموجد في الحقيقة للولد والوالدين هو الله أمر بأن يشكر قبلهما.

ثم بين الفرق بين " إلي المصير " أي المرجع ، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

قوله : ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ يعني أن خدمتهما واجبة ، وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاقة الله فإن أفضى إليه فلا تطعهما ، وتقدم تفسير الآية في العنكبوت.

وقوله : " معروفا " صفة لمصدر محذوف أي صحابا معروفا وقيل : الأصل : بمعروف.

قوله : ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي - صلى الله عليه وسلم -

٤٤٦

قال عطا عن ابن عباس : يريد : أبا بكر ، وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له : (لقد) صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم حملهم إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى أسلموا وهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر قال الله (تعالى) : ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ يعني أبا بكر.

قوله : " إلي " متعلق " بأناب " ثم " إلي " متعلق بمحذوف لأنه خبر " مرجعكم " فأنبئكم بما كنتم تعملون.

قيل : نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه ، وقيل : الآية عامة.

قوله : ﴿يا بني إنهآ﴾ هذا الضمير يرجع إلى الخطيئة ، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه : يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها (الله) ؟ فقال : ﴿يا بني إنهآ إن تك مثقال حبة من خردل﴾.

قوله : " إن تك " الضمير ضمير القصة ، والجملة الشريطة مفسرة (للضمير) ، وتقدم أن نافعا يقرأ مثقال بالرفع على أن كان تامة وهو فاعلها وعلى هذا فيقال : لم ألحقت فله تاء التأنيث ؟ قيل : لإضافته إلى مؤنث ؛ ولأنه بمعنى " زنة حبة " ، وجوز الزمخشري في ضمير " إنها " أن تكون للحبة من السيئات والإحسان في قراءة من نصب " مثقال ".

وقيل : الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي إن التي سألت عنها (إن تك) ، قال المفسرون : إنه سأل أباه أرأيت الحبة تقع في مغاص البحر يعلمها الله ؟ .

٤٤٧

".[1]

"[2] وكان هذا دأب منكوتمر يوحش بين لاجين وبين الأمراء ويتقصد إبادتهم فشرع لاجين في العمل على إمساك من قدر عليهم منهم واغتيال من لا يقدر على إمساكه وندب لهذا صلغاي بن حمدان وكان خؤونا نماما غربال أسرار ولما جاء قبجق وحدثه **وكان والدي** حاضرا قال فقال له السلطان يسلم عليك ويقول لك قد حصل القصد بإلقاء السمعة والمهابة وما بقي للتتار حركة وأنا قد بعثني أرد العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق فقال له قبجق لما قال لك السلطان هذا كان منكوتمر حاضرا عنده قال

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٨٧

(٢) ٦٦

وإلا فأين يغيب ذاك قال والدي تفهمت بها خيانة ابن حمدان ثم إن ابن حمدان قطع الكلام وقال يا خوند أنا جيعان وقد اشتهيت كركيا يشوى لي فقال هاهنا كركي مشوي هاتوه فأتوا به وأنا قاعد فلما أتى به قال ابن حمدان لا يقطع لي أحد أنا أقطع لنفسي ثم إنه أخرج سيخا كان معه وجعل يقطع برأسه ويأكل ثم قطع بسفل ذلك السيخ وقدمه رقبجق وقال له أنا قد قطعت لك وأنت إن اشتهيت تأكل وإن اشتهيت لا تأكل ففهم قبجق أنه قد سم له ما قطعه له وغضب وأربد وجهه واسود وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى ثم قال أما ما آكل شيئا قال والدي فقمت من عنده وشرع قبجق فيما هم فيه وهم بما هم به ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان وركب بكتمر السرح دار وألبكي نائب صفد عائدين إلى حمص حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما كان أريد بهما بحلب فشكا هو إليهما ما أريد به بحمص وأجمعوا على الرأي ﷺ." (١)

"(٢) إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء هكذا أثبته بالرفع رجع ما انقطع من بقية ترجمة القاضي فتح الدين القليوبي وقال له يوما فخر الدين الأحدب المعروف بابن القابلة **كان والدي** يدعو الله تعالى أن يرزقه ولدا نجيبا فقال فتح الدين لا جرم أنك جئت بختيا قال فتح الدين كان بيني وبين الجلال الهوريني صحبة ورفقة فولي قضاء منية بني خصيب فأهدى إلى بسرا فوجدت نواه كثيرا فكتبت إليه أرسلت لي بسرا حقيقته نوى عار فليس لجسمه جلباب ولئن تباعدت الجسوم فودنا باق ونحن على النوى أحباب قلت سبقه إلى هذا التضمين سراج الدين الوراق رحمه الله تعالى ونقلته من خطه قال أهدى إلي الرشيد الماوردي قدور تمر كربس فكتبت إليه من أبيات يا من غدا لي واضعا بقدوره قدرا له فوق السماء قباب جاءت بأنواع النوى فمجلبب أدما وعار ماله جلباب وعلى النقير لتمرها أثر عفى فهدى إليه الحائرين ذباب أرجيع ما لاك الحجاز بعثته والرزق سد فما لديه باب أم خلت زجاجا أخاك ومصر من شؤم النوى قفر الرحاب يباب وإذا تباعدت الجسوم فودنا باق ونحن على النوى أحباب ﷺ." (٣)

" صفحة رقم ٢٢٠

الإناث ، ولم يمنعه مانع من قتل ولا مخالفة دين ونحوه) مثل حظ الأنثيين) أي نصيب من شأنه أن يغني ويسعد ، وهو الثلثان ، إذا انفردتا فللواحدة معه الثلث ، فأثبت سبحانه للإناث حظا تغليظا لهم من منعهن

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٦٦/٤

(٢) ٢٤٦

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٢٤٦/٤

مطلقا ، ونقصهن عن نصيب الرجال تعريضا بأنهم أصابوا في نفس الحكم بانزالهن عن درجة الرجال .
ولما بان سهم الذكر مع الأنثى بعبارة النص ، واشعر ذلك بأن لهن إرثا في الجملة وعند الاجتماع مع الذكر ، وفهم بحسب إشارة النص وهي ما ثبت بنظمه ، لكنه غير مقصود ، ولا سبق له النص – حكم الأنثيين إذا لم يكن معهن ذكر ، وهو أن لهما الثلثين ، وكان ذلك أيضا مفهما لأن الواحدة غذا كان لها مع الأخ الثلث كان لها ذلك مع الأخت إذا لم يكن ثم ذكر من باب الأولى ، فاقتضى ذلك أنهن إذا كن ثلاثا أو أكثر ليس معهم ذكر استغرقن التركة ، وإن كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد على الثلث ؛ بين أن ا لأمر ليس كذلك – كما تقدم – بقوله مبينا إرثهن حال الانفراد : (فإن كن) أي الوارثات) نساء) أي إناثا .
ولما كان ذلك قد يحمل على أقل الجمع ، وهو اثنتان حقيقة أو مجازا حقق ونفى هذا الاحتمال بقوله : (فوق اثنتين) أي لا ذكر معهن) فلهن ثلثا ما ترك) أي الميت ، لا أزيد من الثلثين) وإن كانت) أي الوارثة) واحدة) أي منفردة ، ليس معها غيرها) فلها النصف) أي فقط .
ولما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم إذا كانوا صغارا ، **وكان الوالد** أقرب الناس إلى الولد وأحقهم بصلته وأشدهم اتصالا به أتبعه حكمه فقال : (ولأبويه) أي الميت ، ثم فصل بعد أن أجمل ليكون الكلام آكد ، ويكون سامعه إليه أشوق بقوله مبدلا بتكرير العامل : (لكل واحد منهما) أي أبيه وأمه اللذين ثنيا بأبوين) السدس مما ترك (ثم بين شرط ذلك فقال : (إن كان له) أي الميت) ولد) أي ذكر ، فإن كانت أنثى أخذ الأب السدس فرضا ، والباقي بعد الفروض حق عصوبة .
ولما بين حكمهما مع الأولاد تلاه بحالة فقدهم فقال : (فإن لم يكن له ولد) أي ذكر ولا أنثى) وورثه أبواه) أي فقط) فلأمه الثلث) أي وللأب الباقي لأن الفرض أنه لا وارث له غيرهما ، ولما كان التقدير : هذا مع فقد الإخوة أيضا ، بني عليه قوله : (فإن كان له إخوة) أي اثنان فصاعدا ذكورا أو لا ، مع فقد الأولاد) فلأمه السدس) أي لأن الإخوة ينقصونها عن الثلث إليه ، والباقي للأب ، ولا شيء لهم ، وأما الأخت الواحدة فإنها لا تنقصها إلى السدس سواء كانت وارثة أو لا ، وكذا الأخ إذا كان واحدا ، ثم بين أن هذا كله بعد إخراج الوصية والدين لأن ذلك سبق فيه حق الميت الذي جمع المال." (١)
" صفحة رقم ١٥
ما أوصاه به في حقنا – هكذا كان الأصل ، ولكنه عبر بما يشمل غيره فقال : (الإنسان) أي هذا النوع على لسان أول نبي أرسلنا وهلم جرا وبما ركزناه في كل فطرة من أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان) بوالديه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٢٢٠

(فكأنه قال : إن لقمان عرف نعمتنا عليه وعلى أبناء نوعه لوصيتنا لأولادهم بهم فشكرنا ولفن عنا نهيهم بذلك عن الشرك لأنه كفران لنعمة المنعم ، فانتهى في نفسه ونهى ولده ، فكانت بذلك حكيما .

ولما كانت الأم في مقام الاحتقار لما لأب من العظمة بالقوة والعقل والكد عليها وعلى ولدها ، نوه بها ونبه على ما يختص به من أسباب وجود الولد وبقائه عن الأب مما حصل لها من المشقة بسببه وما لها إليه من التربية .

فقال معللا أو مستأنفا : (حملته أمه وهنا) أي حال كونها ذات وهن تحمله في أحشائها ، وبالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف بتضاعفه كلما أثقلت) على وهن) أي هو قائم بها من نفس خلقها وتركيبها إلى ما يزيدها التمادي بالحمل ، ثم أشار إلى ما لها عليه من المنة بالشفقة وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئا بقوله : (وفصاله) أي فطامه من الرضاعة بعد وضعه .

ولما **كان الوالدان** يعدان وجدان الولد من أعظم أسباب الخير والسرور ، عبر في أمره بالعام الذي تدور مادته على السعة لذلك وترجية لهما بالعول عليه وتعظيما لحقهما بالتعبير بما يشير إلى صعوبة ما قاسيا فيه باتساع زمنه فقال : (في عامين (تقاسي فيهما في منامه وقيامه ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، وفي التعبير بالعام أيضا إشارة إلى تعظيم منتهاه بكونها تعد أيام رضاعه – مع كونها أضعف ما يكون في تربيته – أيام سعة وسرور ، والتعبير ب (في) مشيرا إلى أن الوالدين لهما أن يفطماه قبل تمامهما على حسب ما يحتمله حاله ، وتدعو إليه المصلحة من أمره .

ولما ذكر الوصية وأشار إلى أمهات أسبابها ، ذكر الموصى به فقال مفسرا ل (وصينا) : (أن اشكر (ولما كان الشكر منظورا إليه أتم نظر ، قصر فعله ، أي أوجد هذه الحقيقة ولتكن من همك .

ولما كان لا بد له من متعلق ، كان كأنه قال : لمن ؟ فقال مقدما ما هو أساس الموصى به في الوالدين ليكون معتدا به ، لافتا القول إلى ضمير الواحد من غير تعظيم تنصيصا على المراد : (لي) أي لأني المنعم بالحقيقة) ولوالديك (لكوني جعلتهما سببا لوجودك والإحسان بتربيتك ، وذكر الإنسان بهذا الذكر في سورة الحكمة إشارة إلى أنه أتم الموجودات حكمة قال الرازي في آخر سورة الأحزاب من لوامعه : الموجودات كلها كالشجرة ، والإنسان ثمرتها ، وهي القشور والإنسان لبابها ، وكالمبادئ والإنسان كمالها ، ومن أين للعالم ما للإنسان ؟ بل العالم." (١)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/١٥

" صفحة رقم ١٦

العلوي فيه ، ليس في العالم العلوي ما فيه ، فقد جمع ما بين العالمين بنفسه وجسده ، واستجمع الكونين بعقله وحسه ، وارتفع عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به وحيا قوليا ، وسلم لمن له الخلق والأمر تسليما اختياريا طوعيا .

ثم علل الأمر بالشكر محذرا فقال : (إلي (لا إلى غيري) المصير) أي فأسالك عن ذلك كما كانت منهما البداءة ظاهرا بما جعلت لهما من التسبب في ذلك ، فيسألانك عن القيام بحقوقهما وإن قصرت فيها شكواك إلى الناس وأقاما عليك الحجة وأخذا بحقهما .

ولما ذكر سبحانه وصيته بهما وأكد حقهما ، أتبعه الدليل على ما ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك فقال : (وإن جاهداك) أي مع ما أمرتك به من طاعتهما ، وأشار بصيغة المفاعلة إلى مخالفتهما وإن بالغا في الحمل على ذلك) على أن تشرك بي (وأشار بأداة الاستعلاء إلى أنه لا مطمع لمن أطاعهما في ذلك ولو باللفظ فقط أن يكون في عداد المحسنين وإن **كان الوالدن** في غاية العلو والتمكن من الأسباب الفاتنة له بخلاف سورة العنكبوت فإنها لمطلق الفتنة ، وليست لقوة الكفار ، فعبر فيها بلام العلة ، إشارة إلى المطلق الجهاد الصادق بقويه وضعيفه ، ففي الموضعين نوع رمز إلى أنه إن ضعف عنهما أطاع باللسان ، ولم يخرجه ذلك عن الإيمان ، كما أخرجه هنا عن الوصف بالإحسان ، ولذلك حذر في الآية التي بعد تلك من النفاق لأجل الفتنة ، وأحال سبحانه على اتباع الأدلة على حكم ما وهب من العقل عدلا وإنصافا فقال : (ما ليس لك به علم (إشارة إلى أنه لا يمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بنوع من أنواع الدلالات بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول ، وتظافرت عليه من الأنبياء والرسل النقول ، وأما الوجه الذي سماه أهل الألحاد بمذهب الاتحاد توحيدا فقد كفى في أنه ليس به علم إطابقهم على أنه خارج عن طور العقل ، مخالف لكل ما ورد عن الأنبياء من نقل ، وإن لبسوا بإدعاء متابعة بعض الآيات كما بينه كتابي الفارض ، فلا يمكن أن يتمذهب به أحد إلا بعد الانسلاخ من العقل والتكذيب بالنقل ، فلم يناد أحد على نفسه بالإبطال ما نادوا به على أنفسهم ولكن من يضلل الله فما له من هاد .

فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع ، قال مسببا عنه : (فلا تطعهما) أي في ذلك ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه ، بل خالفهما ، وإن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به ، لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه ، ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد لآبائهم في ذلك

.

ولما كان هذا قد يفهم الإعراض عنهما رأسا في كل أمر إذا خالفا في الدين ، أشار." [1]

" صفحة رقم ٥٦٦

والاستعطاف بالأقوال ، كانت الحضرتان للنصر ، وكانت حضرة الغيب أعظمهما نصرا وأشدهما أزرا ، فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على **السكان والديار** بسطوة الواحد القهار ، على أنا إذا نظرنا إليه من حيث كونه جائز البروز كان البارز فله حكمه - فسبحان من شمل علمه ، ودقت حكمته فنفذ حكمه .

.. .." [2]

"ثم توفي ابن القزويني ليلة الأحد الخامس من شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وصلى عليه بين الحربية والعتابيين مما يلي الخندق وحضره عالم كثير وجرى تشغيب بين أصحابنا وبين المخالفين لنا في الفروع .

فحضر الوالد السعيد سنة خسس وأربعين في دار الخلافة مجلس أبي القاسم على بن الحسن رئيس الرؤساء ومعه جم غفير وعدد كثير من شيوخ الفقهاء وأماثل أهل الدين والدنيا .

فقال رئيس الرؤساء في ذلك اليوم على رؤوس الأشهاد: القرآن كلام الله وأخبار الصفات تمر كما جاءت وأصلح بين الفريقين ففاز الوالد السعيد بخير الدارين إن شاء الله .

ولو تتبعنا هذه المقامات لطالت الحكايات .

وكان من قضاء الله تعالى: أن توفي قاضي القضاة ابن ماكولا فتبين للإمام (٢/١٩٩) القائم بأمر الله احتياج الحريم إلى قاض عالم زاهد فراسل رئيس الرؤساء بالشيخ أبي منصور بن يوسف وبغيره إلى الوالد السعيد وخوطب ليلي القضاء بدار الخلافة والحريم أجمع فامتنع من ذلك فكرر عليه السؤال فلما لم يجد بدا من ذلك اشترط عليهم شرائط .

منها: أنه لا يحضر أيام المواكب الشريفة ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان وفي كل شهر يقصد نهر المعلى يوما وباب الأزج يوما ويستخلف من ينوب عنه في الحريم. فأجيب إلى ذلك .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/١٦

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/٥٦٦

وقد كان ترشح لولاية القضاء بالحريم القاضي أبو الطيب الطبري فعدل عنه إلى الوالد السعيد وقلد القضاء في الدماء والفروج والأموال ثم أضيف إلى ولايته بالحريم: قضاء حران وحلوان واستناب فيهما فأحيا الله بالوالد السعيد من صناعة القضاء ما أميت من رسومها ونشر ما طوي من أعلامها فعاد الحكم بموضعه جديدا والقضاء بتدبيره رشيدا .

وكان كما قال فيه تلميذه علي بن نصر العكبري لما ولي الوالد القضاء

رفع الله راية الإسلام ... حين ردت إلى الأجل الإمام

التقى النقي ذي المنطق الصا ... ئب في كل حجة وكلام

خائف مشفق إذا حضر الخصما ... ن يخشى من هول يوم الخصام

لم يزده القضاء فخرا ولكن ... قد كسا الفخر سائر الأحكام

بك يا ابن الحسين شدت عرى الد ... ين وقامت دعائم الإسلام

رحمة من مدبر الخلق للخل ... ق أظلت إذ قمت في ذا المقام

تمم الله للخليفة ما أع ... طاه من نعمة مدى الأيام

فلقد قلد القضاء رفيع القد ... ر ذا رأفة على الأيتام

قد حوى من رعاية الدين ... ما يعصمه من مواقف الآثام

(٢/٢٠٠) وصل الله ما حباه من النع ... ماء بنعماه في جنان المقام

فلم يزل جاريا على سديد القضاء وإنفاذ الحكم والأوصياء إلى أن توفي .

وكان الوالد السعيد قد رد القضاء بباب الأزج إلى الجيلي وجعل صاحبه أبا علي يعقوب مشرفا عليه فلما تبين له من حال الجيلي الاختلال عزله ثم رد النظر في عقد الأنكحة والمداينات بباب الأزج إلى تلميذه أبي علي يعقوب .

واستناب أبا عبد الله بن البقال في النظر في العقار بباب الأزج .

واستنانب بدار الخلافة ونهر المعلى أبا الحسن السيبي .

ولو ذهبت أشرح قضاياه السديدة: لكانت كتابا قائما بنفسه .

ومعلوم ما خص الله سبحانه هذا الوالد السعيد من النعم الدينية والرتب السامية العلية وكونه إمام وقته وفريد دهره وقريع عصره لا يعرف في شرق الأرض وغربها شخص يتقدم في علم مذهبه عليه أو يضاف في ذلك إليه .

هذا مع تقدمه في هذه البلدة على فقهاء زمانه بقراءته للقرآن بالقراءات العشر وكثرة سماعه للحديث وعلو إسناده في المرويات .

ولقد حضر الناس مجلسه وهو يملي حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد صلاة الجمعة بجامع المنصور على كرسي عبد الله بن إمامنا أحمد رضي الله عنه وكان المبلغون عنه في حلقته والمستملون ثلاثة أحدهم: خالي أبو محمد جابر والثاني: أبو منصور بن الأنباري والثالث: أبو علي البرداني .

وأخبرني جماعة من الفقهاء ممن حضر الإملاء: أنهم سجدوا في حلقة الإملاء على ظهور الناس لكثرة الزحام في صلاة الجمعة في حلقة الإملاء .

وما رأى الناس في زمانهم مجلسا للحديث اجتمع فيه ذلك الجم الغفير والعدد الكثير .." (١)

"وسمعت من يذكر: أنه حزر العدد بالألوف وذلك مع نباهة من حضر من الأعيان وأماثل هذا الزمان من النقباء وقاضي القضاة والشهود والفقهاء وكان (٢٠١/٢) يوما مشهودا والناس إذ ذاك يسمعون والكتبة يكتبون وبالنظر إليه يتبركون وبفضله يقرون ويشهدون .

وحضرت أنا أكثر أماليه بجامع المنصور .

وأجاز لي إجازة ولأخي أبي حازم حفظه الله سأله الإجازة لنا: خالنا أبو محمد بن جابر فأجاز لنا في مرضه لفظا .

حدثنا الوالد السعيد إملاء من لفظه وأصله يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع المنصور في التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة قال: حدثنا أبو الحسين بن أخي ميمي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا أبو روح محمد بن زياد بن فروة البلدي قال: حدثنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم عز وجل عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقرأ: فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

قال لنا الوالد السعيد: هذا الحديث صحيح أخرجه البخاري عن يوسف بن موسى عن عاصم بن يوسف اليربوعي عن ابن شهاب وكأني سمعته من البخاري .

وقد امتدح بعض أهل العلم الوالد السعيد بأبيات منها:

---

(١) طبقات الحنابلة، ١٩٨/٢

الحنبليون قوم لا شبيه لهم ... في الدين والزهد والتقوى إذا ذكروا

أحكامهم بكتاب الله مذ خلقوا ... وبالحديث وما جاءت به النذر

إن الإمام أبا يعلى فقيههم ... حبر عروف بما يأتي وما يذر

صلى فاقتدر فلك المسطور إن فخروا ... ما نائم مثل يقظان به سهر

ومعلوم ما كان عليه شيوخ عصره وعلماء وقته من بين موافق ومخالف من توقيرهم له في حداثة سنه وسالف دهره وأنه كان إذ ذاك معدودا من الأماثل (٢٠٢/٢) والأعيان وشيوخ العلماء وذوي الأسنان الذين قد شح بهم الزمان وذلك عند معرفتهم بعلمه وديانته وتقدمه في النظر والتحقيق وتخصصه بسلوك أحسن طريق وإنما يعرف الفضل لأهله من كان في نفسه فاضلا ويشهد بالعقل لأهله من كان في نفسه عاقلا وقد قيل: نقد الجوهر أشد عوزا من الجوهر .

كان الوالد السعيد متميزا بالزهادة على كافة أهل العلم قلما ونقل في طلبه قدماء كما قال عمر لسلمان عليهما السلام حين دون الدواوين " مع من تريد أن أكتبك؟ قال: مع الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا " .

كان في قناعته كما قال أبو حمزة الصوفي: كنت إذا أصابتني فاقة قلت في نفسي: إلى من أهدي هذه الفاقة؟ ثم فكرت فلم أجد أحق بها مني فطويتها والأبيات مشهورة في المعنى

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا ... على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإقراض من كيس صبرها ... عليك وإنظارا إلى زمن اليسر

فإن فعلت كنت الغنى وإن أبي ... ت فكل نوع عندها واسع العذر

وقال: كتب أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي الحافظ من مكة حياها الله كتابا ذكر فيه أبياتا جوابا عن كتابه فقال :

كتابك سيدي لما أتاني ... سررت به وجدد لي ابتهاجا

وذكرك بالجميل لنا جميل ... يقلدنا ولم نمزج مزاجا

جللت عن التصنع في وداد ... فلم نر في توددك اعوجاجا

وقد كثر المداجي والمرائي ... فلا تحفل عن راءي وداجا

حييت معمرا وجزيت خيرا ... وعشت لدين ذي التقوى سراجا

وناهيك بأبي نصر السجزي مع علمه ودينه وزهده .." (١)

"واعلم أن الله سبحانه اصطفى رسلا من خلقه فبعثهم بالدعاء إليه والصبر على ما نالهم من جهلة خلقه وامتحنهم من المحن بصنوف من البلاء وضروب من المحن واللأواء وكل ذلك تكريما لهم غير تذليل وتشريفا غير تخسير ولا تقليل .

وكان أرفع رسله عنده منزلة: أشدهم اجتهادا وأخذا في إمضاء أمره مع البلية بأهل دهره قال الله عز وجل لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى: واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وقال عز وجل له - صلى الله عليه وسلم - ولأتباعه: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب وقال عز وجل: ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .

(٢/٢١٣) فلم يخل جل ثناؤه أحدا من مكرمي رسله وأنبيائه ومقربي أصفيائه وأوليائه من محنة في عاجلته دون آجلته يستوجب بصبره عليها ما أعد له من الدرجات التي قسم مصيره إليها وجعل سبحانه علماء الأمم الماضين خلفاء أنبيائهم المرسلين والقوام بما جاءوا به من الدين يرخصون عن أحكامه ويحامون عن حدوده وأعلامه يدفعون عنه كيد الشيطان ويحرسونه من الترك والنسيان لا يصدهم عن التمسك بالحق ولا يثنيهم عن التعطف على الخلق: سوء ما به ينالون توخيا لثواب الله الذي له يطلبون وفيه يرغبون .

ثم جعل سبحانه علماء هذه الأمة أفضل علماء الأمم قسما وأوفرهم من الخيرات حظا أعد لهم الكرامات وقسم لهم المنازل والدرجات مع ابتلائه سبحانه لمؤمنيهم بالمنافقين ولصادقيهم بالمكذبين ولخيارهم بالأشرار ولصالحيهم بالفجار وللأماثل الرفعاء بأوضع السفهاء فلم يكن يثني العلماء ما يلقونه من الأذى عن القيام بحقوق الله تعالى في عباده وإظهار الحق في بلاده.

ولقد كان الوالد السعيد - نضر الله وجهه - ممن سلك به هذه الطريق عندما ابتلي به من أذية هذا الفريق وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " طوبى للغرباء طوبى للغرباء قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: ناس صالحون قليل بين ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يطيعهم " رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢/٢٠٠

ومن تظاهر بإنكار البدع: فسبيله أن يصبر على أذية المخالفين محتسبا عند الله عز وجل وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " المؤمن موكل به أربعة: مؤمن يحسده وفاسق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يكيده " .

(٢١٤/٢) وقال الحسن البصري: " ما كان مؤمن قط فيما مضى ولا يكون مؤمن فيما بقي إلا إلى جنبه منافق يؤذيه " .

وروى خباب بن الأرت رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " أيها الناس اتقوا الله فوالله إن كان الرجل من المؤمنين من قبلكم ليوضع المنشار على رأسه فيشق بنصفين وما يرده عن دينه فاتقوا الله فإن الله فاتح عليكم وصانع لكم " .

وروى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " ليس أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يدعون له ولدا ويجعلون له صاحبة وهو يرزقهم ويعافيهم " أخرجه البخاري.

وإذا كان البارىء عز وجل يصبر على ما يقول فيه الجاحدون والمشركون مع قدرته على إهلاكهم وإفنائهم ومنعهم مما يتفوهون به لما سبق في علمه من الإملاء لهم ليزدادوا إثما والأنبياء عليهم السلام قد صبروا على ما أوذوا به والصالحون قد تأسوا بهم في ذلك .

فالواحد منا مع علمه بتقصيره في كل معنى: لا ينبغي له أن يقلق لكلمة تسوءه وإذا كان القيام بالذب عن أهل الحق دينا واحتسابا فالصبر على ما يصيبه هو من تمام الاحتساب وقد جاء في الحديث: " إن الرجل ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فينظر فيه حسنات لم يعملها فيقول: يا رب أي شيء هذا؟ فيقول الله عز وجل: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر " .

ويروى عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: " لولا أني أكره أن يعصى الله عز وجل لسرني أن لا يبقى في المصر أحد إلا اغتابني وأي شيء أشهى من حسنة يجدها المرء في صحيفته لم يعملها " .." (١)

"سمعت أبا الحسن النهري قال: كنت في بعض الأيام أمشي مع القاضي والدك فالتفت فقال لي: لا تلتفت إذا مشيت فإنه ينسب فاعل ذلك إلى الحمق.

قال النهري: وقال لي والدك يوما آخر وأنا أمشي معه: إذا مشيت مع من تعظمه أين تمشي منه؟ فقلت: لا أدري فقال: عن يمينه تقيمه مقام الإمام في الصلاة وتخلي له الجانب الأيسر إذا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله في الجانب الأيسر .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢١٢/٢

وقال النهري أيضا: لما قدم الوزير ابن دراست عبرت أبصره ففاتني درس ذلك اليوم فلما حضرت قلت: يا سيدنا تتفضل وتعيد لي الدرس؟ فقال: أين كنت في أمسنا؟ فقلت: مضيت أبصرت ابن دارست فأنكر علي ذلك إنكارا شديدا وقال: ويحك تمضي وتنظر إلى الظلمة؟ وعنفني على ذلك وروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " النظر إلى الظالمين يطفيء نور الإيمان " أو كما قال .

قال: وكان ينهانا دائما عن مخالطة أبناء الدنيا والنظر إليهم والاجتماع بهم ويأمرنا بالاشتغال بالعلم ومخالطة الصالحين .

وسمعت خالي عبد الله يقول: حضرت مع القاضي الإمام والدك في دار رئيس الرؤساء بعد مجيء طغرلبك وقد أنفذ إليه غير مرة ليحضر فلما حضر قربه رئيس الرؤساء وزاد في إكرامه وإعظامه وأجلسه حتى مس بعضه بجنب المخدة وقال له: ما سمعه أهل المجلس لم يزل بيت المسلمة وبيت الفراء ممتزجين مختلطين فما هذا الانقطاع؟ فقال له القاضي الإمام: يروى عن شيخنا إبراهيم الحربي: أنه (٢/٢٢٣) استزاره المعتضد وقربه وأجازه فرد جائزته فقال له: اكتم مجلسنا ولا تخبر بما فعلنا بك وبما قابلتنا به فقال له الحربي: لي إخوان لو علموا باجتماعي معك هجروني فقال له رئيس الرؤساء كلاما أسره إليه ومد كمه إليه فتأخر القاضي الإمام عنه وسمعته يقول: أنا في كفاية ودعة فقلت له: يا سيدنا ما قال لك؟ قال: قال لي: معي شيء من بقية ذلك الإرث المستطاب وليس مما قد تلوثنا به من الدنيا فأحب أن تأخذه وتصرفه في بعض حوائجك فقلت له: أنا في كفاية ودعة أو كما قال .

وسمعت بعض أصحابنا يحكى أنه لما حصب الإمام القائم بالله – رضوان الله عليه – وعوفي: حضر الشيخ أبو منصور بن يوسف عند الوالد السعيد وقال له: لو سهل عليك أن تمضي إلى باب القربة لتهنيء الإمام بالعافية؟ فمضى إلى هناك فخرج إليه محمد الوكيل ومعه جائزة سنية وعرفه شكر الإمام لسعيه وتبركه بأدعيته ويسأله قبول ذلك قال: فوالله ما مسها ولا قبلها فروجع في ذلك فأبي أو كما قال .

وسمعت جماعة من أهل يحكون: أن في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة لما وقع النهب ببغداد بالجانب الغربي منها وانتقل الوالد السعيد من درب الدبرج إلى باب البصرة وكان في داره بدرب الدبرج خبز يابس فنقله معه وترك نقل رحله لتعذر من يحمله واختار حمل الخبز اليابس على الرحل النفيس وكان يقتات منه ويبله بالماء وقال: هذه الأطعمة اليوم نهوب وغصوب ولا أطعم من ذلك شيئا فبقي ما شاء الله يتقوت من ذلك الخبز اليابس المبلول ويتقلل من طعمه إلى أن نفد ولحق الوالد السعيد من ذلك الخبز اليابس المبلول مرض وكان قد **مرض.**

وكان الوالد السعيد في كل ليلة جمعة يختم الختمة في المسجد بعد صلاة العشاء الآخرة ويدعو ويؤمن الحاضرون على دعائه ما أخل بهذا سنين عديدة إلا لمرض أو لعذر مستفيض سوى ما كان يختمه في غير تلك الليلة .

(٢/٢٢٤) فهذا القدر الذي ذكرته إشارة إلى بعض مناقب الوالد السعيد .

ولقد أجمع الفقهاء والعلماء وأصحاب الحديث والقراء والأدباء والفصحاء وسائر الناس على اختلافهم على صحة رأيه ووفور عقله وحسن معتقده وجميل طريقته ولطف نفسه وعلو همته وورعه وتقشفه ونزاهته وعفته .

وكان ممن جمعت له القلوب فإنه روى عن محمد بن واسع أنه قال: " إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله تعالى إليه أقبل إليه بقلوب المؤمنين " .

فلنختم الآن أخبار الوالد السعيد الذي من الله الكريم عليه بعلم الفقه وتعليمه وتدريسه وتصنيفه أفضل العلوم وأجزلها للثواب المقسوم وأولاها بصرف الفكر إليه ووقف الرأي الصائب عليه فإنه العروة الوثقى والحجة المثلى الدالة على طاعة الله جل ذكره وأداء مفترضاته والتمييز به بين محرماته محللاته والوقوف على حدوده ومعالمه وشروطه ومراسمه وإن ربحه الجنة وخسرانه النار .." [١]

"روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " العلماء أمناء الرسل على عباده ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فإذا خالطوا السلطان ودخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم .

(٢/٢٢٥) وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " .

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " أفضل العبادة: الفقه قليل الفقه خير من كثير العبادة " .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين: الفقه " .

وقال أبو هريرة: " لأن أجلس ساعة فأتفقه: أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى الغداة " .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢/٢٢٢

وروى علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " الأنبياء قادة والعلماء سادة ومجالستهم عبادة " .

وسئل عبد الله بن عباس عن الجهاد فقال للسائل: " ألا أدلك على أفضل الجهاد؟ قال: بلى قال: تبني مسجدا وتعلم فيه القرآن والفقه والسنة " .

قلت أنا: ولفضيلة الفقه دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عباس بالفقه في الدين فقال: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " فأجاب الله دعاء نبيه - صلى الله عليه وسلم - فوفر فقهه وزكاه وثمره ونماه وجعله نورا يستضاء به وحجة باقية في عقبه .

فالحمد لله الذي أنعم علينا بأن وفقنا لاتباع الوالد السعيد في أصوله وفروعه وجنبنا مخالفته وجعلنا من ذريته وأهل محبته وشغلنا بعلومه وما أتعب نفسه في جمعه في ليله ونهاره وسفره وحضره وشبابه وكبره من أتباعه السنن الشرعية (٢/٢٢٦) والشعائر الدينية الفارقة بين الأبرار والفجار والحاجزة بين الجنة والنار .

أنشدني بعض أصحابه وتلامذته:

من اقتنى وسيلة وذخرا ... يرجو بها مثوبة وأجرا

فحجتي يوم أوافى الحشرا ... معتقدي لمذهب ابن الفراء

قلت أنا: ومعتقدنا ومعتقد الوالد السعيد ومن تقدمه من أئمتنا: مبني على حرفين: السكوت عن " لم؟ " في أفعاله عز وجل وعن "كيف " ؟ في أوصافه تبارك وتعالى .

نسأل الله الكريم أن يزهدنا فيما زهد الوالد السعيد فيه فإنه كان يذم الدنيا ويأمر بالتقلل منها.

أنبأنا أحمد بن علي الخطيب حدثنا عبد الرحمن بن المهتدي بالله حدثنا الحسين بن أبي معشر أخبرنا وكيع عن المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مالي وللدنيا ؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها " .

وروى أبو ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من زهد في الدنيا أدخل الله عز وجل الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سليما إلى دار السلام " .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد " .

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من كانت نيته طلب الآخرة: جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له " .

وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: " يا رسول الله الرجل يحب (٢/٢٢٧) القوم ولما يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب " .

وكان الوالد السعيد – نور الله ضريحه – قد اجتمع فيه ما رواه ابن عباس قال: قيل: " يا رسول الله أي مجلسنا خير؟ قال: من ذكركم بالله رؤيته وزاد في عملكم منطقه وذكركم الآخرة بعلمه " .

وهذا بعض مناقبه وفضائله وما هو شائع له بين الناس من زهده وعلمه أكثر فأغنانا عن أن نسطره ولولا أن أكثر من رآه وعاصرة وحضر مجلسه وناظره قد درج وانقرض: لما ذكرنا هذه الشذرات من مناقبه إذ كانت تتضمن مدحنا والإنسان لا يمدح نفسه .

ولعل ناظرا في هذا الذي أوردناه وسطرناه يقول: كيف استجاز مدح والده على لسانه وهو الأصل ومدح الأصل مدح للفرع ؟.." (١)

"سمع الحديث من جماعة منهم: أبو القاسم بن بشران وأبو إسحاق البرمكي وأبو الحسين بن الحراني وأبو علي بن المذهب والوالد السعيد .

ودرس الفقه على الوالد السعيد وأجلس في حلقة النظر والفتوى بجامع المنصور في الموضع الذي كان يجلس فيه شيخ الوالد ابن حامد ولم يزل على ذلك: يدرس ويفتي ويناظر إلى أن خرج من بغداد سنة خمسين وأربعمائة إلى ثغر آمد – حماه الله – لما جرى على الإمام القائم بأمر الله – رضوان الله عليه – واستوطنها ودرس بها .

وكان له الأصحاب بها وبرع منهم: أبو الحسن بن الغازي .

ورحل إليه أخي أبو القاسم إلى آمد وعلق عنه من الخلاف والمذهب ثم عاد الأخ إلى بغداد لأجل الوالد .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢/٢٢٤

ومات بآمد سنة سبع أو ثمان وستين وأربعمائة وقبره هناك يقصد ويتبرك به وكان يدرس في مقصورة بجامع آمد .

أبو الحسن على بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم العكبري المعروف بابن جدا:

سمع الحديث من أبي علي بن شهاب وأبي القاسم هبة الله الطبري وأبي القاسم بن بشران وأبي علي بن شاذان وأبي علي بن المذهب وغيرهم .

وقرأ الفقه على الوالد السعيد وله مصنف في الأصول .

وكان شيخا صالحا دينا كثير الصلاة حسن التلاوة للقرآن وكان ذا لسن وفصاحة في المجالس والمحافل .

(٢/٢٣٥) وتوفي فجأة في الصلاة في شهر رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة وصلى عليه بجامع المنصور ودفن في مقابر إمامنا رضي الله عنه .

أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء: أخي الأكبر الشاب العالم الورع الصالح.

ولد يوم السبت السابع من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة .

هكذا قرأت بخط الوالد السعيد .

سمع الحديث من أبي محمد الجوهري والوالد السعيد وجده لأمه جابر بن ياسين وأبي الحسين بن المهتدي وأبي الحسين بن الأبنوسي وأبي الحسين بن النقور وأبي جعفر بن المسلمة وأبي الغنائم بن المأمون ومحمد بن وشاح وأحمد بن ساوس وعلي الملطي وعبد الله بن هزارمرد الصريفيني في خلق كثير .

ورحل في طلب العلم والحديث إلى البلاد: واسط والبصرة والكوفة وعكبرا والموصل والجزيرة وآمد وغير ذلك .

وقرأ بآمد على تلميذ والده: أبي الحسن البغدادي قطعة صالحة من الخلاف والمذهب .

وكان قد علق قبل سفرته عن تلميذ والده الشريف أبي جعفر .

وكان حضر قبل ذلك درس والده السعيد وعلق عنه .

وكان يحضر مجالس النظر في الجمع وغيرها ويتكلم في المسائل مع شيوخ عصره .

وكان الوالد السعيد يأتم به في صلاة التراويح إلى أن توفي رحمة الله عليه .

وهو الذي تولى الصلاة على الوالد السعيد بجامع المنصور وتقدم على شيوخ الطوائف .

وكان ذا عفة وديانة وصيانة .

(٢٣٦/٢) وكان له معرفة بالجرح والتعديل وأسماء الرجال والكنى وغير ذلك .

وقرأ القرآن بالروايات الكثيرة على الشيوخ الذين انتهى الإسناد إليهم مثل: ابن الخياط وابن البنا وأبي الخطاب الصوفي وأحمد بن الحسن اللحياني .

ولما ظهرت البدع في سنة تسع وستين وأربعمائة هاجر من بلدنا إلى حرم الله .

وكانت وفاته في مضيه إلى مكة بموضع يعرف بمعدن النقرة في أواخر ذي القعدة من هذه السنة .

فتوفي وله ست وعشرون سنة وثلاثة أشهر ونيف وعشرون يوما تقريبا .

وكان رحمه الله حسن التلاوة للقرآن كثير الدرس له مع معرفته بعلومه وعلوم حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

وكان حسن الخط صحيحا فهما لقراءة الحديث .

رحمه الله وبارك له فيما صار إليه ونفعه بما كتب وقرأ وسمع وسعى واجتهد وعوضه بشبابه الجنة آمين .

؟أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد البرداني :

صحب الوالد السعيد وتردد إلى مجالسه في الفقه وسماع الحديث .

وكان رجلا صالحا .

وتوفي ليلة الجمعة الثالثة من ذي الحجة سنة تسع وستين وأربعمائة .

وحمل إلى جامع المنصور وصلى عليه ابنه أحمد .

ودفن في مقبرة إمامنا أحمد إلى جنب أبي الحسن بن الرهنية الزاهد .

وكان مولده: سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

(٢٣٧/٢) ثم شيخنا وأستاذنا الشريف الزاهد الورع العابد:

أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب :

ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة .." (١)

"ودخلت عليه ذات يوم من تلك الأيام فرأيته يقرأ في المصحف فقال لي: قال الله تعالى: واستعينوا بالصبر والصلاة تدري ما الصبر؟ فقلت: لا فقال: هو الصوم ولم يفطر حتى بلغ منه المرض نهايته .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢/٢٣٤

وكان يكثر الدرس للقرآن فلما ثقل مرضه وضج الناس من حبسه أخرج (٢/٢٤٠) إلى الحريم الظاهري بالجانب الغربي فمات هناك .

وكان الوالد السعيد – في مرضه الذي مات فيه – قد أوصى بأن يغسله الشريف أبو جعفر فحضر وتولى ذلك بنفسه وعرف ذلك الإمام القائم بأمر الله .

فلما حضرت القائم بأمر الله الوفاة قال: يغسلني الذي غسل ابن الفراء: ابن أبي موسى وعدل عن جميع أهل العلم والقضاة والأشراف ففعل وكان ذلك في يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة فصعد باب الغرفة وأدخل من هناك إلى حجرة الإمام القائم بآمر الله وهو ميت مسجى فيها فغسله وعاونه في غسله من صب ماء وغيره عفيف وصافي وسلامة ومسعود .

وتنزه أن يأخذ مما هناك شيئا فقيل له: قد أوصى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة من المال والثياب وهي حاضرة هناك لها قيمة فأبى أخذها فقيل له: فقميص أمير المؤمنين تتبرك به فأخذ فوطة نفسه فنشف بها الإمام القائم بأمر الله وقال: قد لحق هذه الفوطة وهي ملكي بركة أمير المؤمنين ولم يأخذ القميص .

فقلت له بعد اجتماعي معه: أين سهمنا مما كان هناك؟ فقال: أحييت حال شيخنا والدك الإمام أبي يعلى يقال: هذا غلامه تنزه عن هذا القدر الكثير فكيف لو كان الوالد السعيد؟ .

ولو ذهبت أشرح طريقته وزهده وورعه لما احتمله هذا الموضع .

وحاله أشهر وأمره أظهر من ذلك .

ولقد بلغ من قدره ومحله عند الإمام المقتدي بأمر الله: أنه لما فرغ شيخنا الشريف من غسل الإمام القائم بأمر الله: لم يأذن له بالمسير إلى منزله حتى بايع الناس الإمام المقتدي بأمر الله على الإجماع واستدعاه لبيعته مفردا مخليا به فبايعه ثم قال له شيخنا الشريف في جملة كلامه له:

(٢/٢٤١) إذا سيد منا مضى قام سيد ... قؤول بما قال الكرام فعول

ثم أذن له بالمضي إلى منزله بعد بيعته .

وانتهى إليه في وقته الرحلة بطلب مذهب إمامنا أحمد .

وتوفي يوم الخميس النصف من صفر سنة سبعين وأربعمائة وأخرجت جنازته في غداة يوم الجمعة وحضرت الجنازة وكان يوما مشهودا لكثرة الخلق وعظم الحزن والبكاء وكان جمعا لم أر مثله لجنازة بعد جنازة الوالد السعيد .

وتقدم للصلاة عليه أخوه أبو الفضل بجامع المدينة وحفر له بجنب قبر إمامنا أحمد فدفن فيه وأخذ الناس من تراب قبره الكثير تبركا به .

ولزم الناس قبره ليلا ونهارا مدة طويلة ويقرأون ختمات ويكثرون الدعاء .

ولقد بلغني أنه ختم على قبره في مدة شهور ألوف ختمات .

وكثرت المنامات من الصالحين بالرؤى الصالحة له .

فمن جملة ما رئي له في المنام بعد وفاته: أن الرائي له حكى: أنه قال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما وضعت في قبري رأيت قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب وقائل يقول: هذه لك أدخل من أي أبوابها شئت .

ورآه إنسان آخر في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: التقيت بأحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا جعفر لقد جاهدت في الله حق جهاده وقد أعطاك الله تعالى الرضا .

ورآه أبو بكر المعروف بابن القيمة في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له: مات الناس وكنت آخرهم أو كما قال .

(٢٤٢/٢) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني أبو القاسم:

رحل في طلب العلم وكتب وصنف تصانيف كثيرة .

وكان قدوة أهل السنة بأصبهان وشيخهم في وقته .

وكان مجتهدا متبعا آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - ويحرض الناس عليها .

وكان شديدا على أهل البدع مباينا لهم وما كان في عصره وبلده مثله في ورعه وزهده وصيانته وحاله أظهر من ذلك .

وكانت بينه وبين الوالد السعيد مكاتبات .

مولده: سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وفيها ولد جدي لأمي جابر .

ومات ابن منده في شوال سنة سبعين وأربعمائة فيما بلغنا .

سمع والده وإبراهيم بن حرشبة في آخرين كثيرين .

أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الرزاز المقرىء المعروف بابن حمدوه :

سمع الحديث من جماعة منهم أبو الحسين بن سمعون ومن بعده .

وتفقه على الوالد السعيد في السنة التي تفقه فيها شيخنا الشريف أبو جعفر وكانا يصطحبان إلى مجلس الوالد السعيد .." (١)

"ومات ليلة النصف من جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ودفن في داره بباب المراتب ثم نقل بعد ذلك إلى مقبرة إمامنا لما توفي ابنه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

قال أبو محمد التميمي: أنفذ الخليفة المطيع لله بمال عظيم ليبني على قبر أحمد بن حنبل قبة فقال له جدي وأبو بكر عبد العزيز: أليس تريد أن تتقرب إلى الله تعالى بذلك؟ فقال: بلى فقالا له: إن مذهبه أن لا يبنى عليه شيء فقال: تصدقوا بالمال على من ترونه فقالا له: بل تصدق به على من تريد أنت فتصدق به .

وقال أيضا: لما توفي أبو الفرج تحرجت أن أدفنه في الدكة مع أحمد ثم دفنته فلما كان الليل: رأيته في النوم فقال لي: يا محمد ضيقت على الإمام فقلت: تحب أنبشك وأدفنك في موضع آخر؟ فقال: إذا نقلتني عن هذا الرجل فبمن أتبرك؟ .

(٢٥٢/٢) أبو إسحاق إبراهيم الخزاز:

كان صالحا مقرئا دينا وسمع من الوالد السعيد وحضر بعض أماليه .

ومات يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وصليت عليه إماما بجامع المنصور .

أبو يعلى بن الكيال: كان رجلا صالحا وتردد إلى الوالد السعيد زمانا متواصلا.

وسمع منع علما واسعا وكان عبدا صالحا وقيل: إنه كان يحفظ الاسم الأعظم .

أبو الحسن علي بن المبارك النهري :

ولد بدرب النهر من الكرخ فعرف بالنهري .

وتفقه على الوالد السعيد في حياته وبعد مماته.

وكان كثير الذكاء قيما بالفرائض .

سمع من الوالد السعيد الحديث الكثير .

وتوفي في ذي القعدة سنة نيف وثمانين وأربعمائة .

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢٣٩/٢

وسألني ولده الكبير الصلاة على أبيه إماما بجامع المنصور ففعلت ودفن في مقبرة الجامع .

أبو محمد عبد الله بن جابر بن ياسين خالي:

سمع من الوالد السعيد الكثير وكان أحد من يستملي له بجامع المنصور وعلق عنه قطعة من المذهب والخلاف وكتب أشياء من تصانيفه .

وسمع من خلق كثير منهم أبو علي بن شاذان وأبو القاسم بن بشران في آخرين .

وحدث وسمع منه جماعة وسمعت منه عدة أجزاء .

(٢٥٣/٢) وكان صادق اللهجة حسن الوجه مليح المحاضرة كثير القراءة للقرآن مليح الخط حسن الحساب .

مولده: سنة تسع عشرة وأربعمائة .

وموته: يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وصليت عليه إماما .

ودفن في تربة والده قريبا من قبر إمامنا رضي الله عنهم .

أبو عبد الله محمد بن الحسن الراداني :

صحب الوالد السعيد وكان زاهدا ورعا عالما بالقراءات وغيرها .

مات يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

أبو الحسن بن زفر العكبري :

صحب الوالد السعيد وسمع درسه .

وكان صالحا كثير التلاوة والتلقين للقرآن .

وبلغني أنه سرد الصوم خمسا وسبعين سنة .

ومات وسنه تسعون سنة .

وكانت وفاته قبل وفاة أبي عبد الله الراداني بأيام لا أحفظ عددها .

٢ - أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرداني : سمع درس الوالد السعيد سنين وسمع منه الحديث الكثير وكان أحد المستملين على الوالد السعيد بجامع المنصور.

وتوفي عشية يوم الأربعاء لعشر من شوال سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ودفن في يوم الخميس .

أبو القاسم الغوري

كان شيخا صالحا مقرئا دينا .

(٢٥٤/٢) أبو منصور محمد بن أحمد بن علي الخياط المقرىء:

الشيخ الصالح الثقة الدين .

قرأ القرآن على أبي نصر بن مسرور المقرىء وغيره ولم يزل يقرىء ويلقن إلى حين وفاته. وكان حسن التلقين والتلاوة .

وسمع من عبد الغفار المؤدب وأبي القاسم بن بشران وأبي عبد الله أخي الخلال وأبي منصور بن السواق وأبي الحسن بن القزويني وأبي القاسم بن الدمناني في آخرين .

وتفقه على الوالد السعيد وكان الوالد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم في مسجده ويصلي خلفه .

فسمعته يقول: أول يوم جلس والدك القاضي الإمام للقضاء واجتمع الناس: حضرت صلاة الظهر فتأخرت وقلت: يا سيدنا نتجمل بالصلاة وراءك فقال لي: تقدم يا أبا منصور جمالك صلاتي وراءك .

فغرس له في قلوب العامة والخاصة نباهة وجلالة .

وكان كثير الصيام ومداومة القيام .

ولد سنة إحدى وأربعمائة .

وتوفي في المحرم سنة تسع وتسعين وصلى عليه سبطه أبو محمد في جامع القصر وصلى عليه في جامع المنصور .

وكان الخلق على جنازته متوفرون .." (١)

""""""" صفحة رقم ٢٣١ """""

القضاء ثمان سنين وبسط السبكي ترجمته في الطبقات الكبرى قال ولم ندرك أحدا من مشايخنا يختلف في ان ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة وأنه استاذ زمانه علما ودينا وقال في موضع آخر كان والدي من معظمي الشيخ تقي الدين ومبجليه إلى حد يطول شرحه وقال ابن كثير في طبقاته أحد علماء وقته بل اجلهم وأكثرهم علما ودينا وورعا وتقشفا ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم وله التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث فاق فيه على أقرانه وبرز على أهل زمانه رحلت إليه الطلبة من الآفاق ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق وترجمته طويلة مشهورة وهذا الكتاب مبني على الاختصار توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة ودفن بالقرافة

---

(١) طبقات الحنابلة، ٢٥١/٢

الصغرى ودقيق العيد لقب لجده وهب

ومن تصانيفه الإلمام في الحديث وتوفي ولم يبيضه فلذلك وقعت فيه أماكن على وجه الوهم وكتاب الإمام بهمزة مكسورة بعدها ميم شرح الإلمام وهو الكتاب الكبير العظيم الشأن قال الإسنوي وقد كان أكمله فحسده عليه بعض كبار هذا الشأن ممن في نفسه منه عداوة فدس من سرق أكثر هذه الأجزاء وأعدمها وبقي منها الموجود عند الناس اليوم وهو نحو أربعة أجزاء فلا حول ولا قوة إلا بالله كذا سمعته من الشيخ شمس الدين ابن عدلان وكان عارفا بحاله وله شرح العمدة أملاه إملاء وأملأ شرحا على العنوان في أصول الفقه." (١)

""""" صفحة رقم ٢٣٤ """"

والعذراوية وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وخالط النائب آقوش الأفرم وجرت له أمور لا يحسن ذكرها ولا يرشد أمرها وأخرجت جهاته وانتقل إلى حلب فأقام بها مدة ودرس ثم انتقل إلى الديار المصرية ودرس بحلقة الشافعي بجامع مصر وبالمشهد الحسيني وبالمدرسة الناصرية وهو أول من درس بها وكان من الأذكياء وله نظم رائق وديوان مجموع وجمع كتاب الأشباه والنظائر ومات قبل تحريره فحرره وزاد عليه ابن أخيه زين الدين وشرع في شرح الأحكام لعبد الحق فكتب منه ثلاث مجلدات دالات على تبحره في الحديث والفقه والأصول ذكر له السبكي في الطبقات الكبرى ترجمة طويلة وقال كان الوالد يعظمه ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الأشعري توفي في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ولما بلغت وفاته ابن تيمية قال أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين

٥٢٠ محمد بن محمد بن بهرام القاضي شمس الدين أبو عبد الله الكوراني." (٢)

""""" صفحة رقم ٧٤ """"

وقعد للتدريس والفتوى ومجلس المناظرة وتعليم الخاص والعام وكان ماهرا في إلقاء الدروس

وأما زهده وورعه فإليه المنتهى

قال الإمام أبو سعيد بن الإمام أبي القاسم القشيري كان أئمتنا في عصره والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال والفضل والخصال الحميدة أنه لو جاز أن يبعث الله نبيا في عصره لما كان إلا هو من

---

(١) طبقات الشافعية ـ لابن قاضى شهبة، ٢/٢٣١

(٢) طبقات الشافعية ـ لابن قاضى شهبة، ٢/٢٣٤

حسن طريقته وزهده وكمال فضله

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني لو كان الشيخ أبو محمد في بني إسرائيل لنقل إلينا شمائله ولافتخروا به

ومن ورعه أنه ما كان يستند في داره المملوكة له إلى الجدار المشترك بينه وبين جيرانه ولا يدق فيه وتدا وأنه كان يحتاط في أداء الزكاة حتى كان يؤدي في سنة واحدة مرتين حذرا من نسيان النية أو دفعها إلى غير المستحق

وعن الشيخ أبي محمد أنه قال نحن من العرب من قبيلة يقال لها سنبس

ومن ظريف ما يحكى ما ذكره أبو عبد الله الفراوي قال سمعت إمام الحرمين يقول **كان والدي** يقول في دعاء قنوت الصبح اللهم لا تعقنا عن العلم بعائق ولا تمنعنا عنه بمانع." (١)

""""" صفحة رقم ١٤٠ """"

وقد حكى لي والدي رحمه الله عن شيخه الدمياطي هذا فقلت له ليس الأمر كذلك ولم يكن والدي يعرف ترجمة هذا الكرجي فكتب عني هذا في كتابه معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي

وقال قال لي ابني عبد الوهاب إنه ليس من أصحاب الشيخ أبي إسحاق ولكن من أصحاب أصحابه وكان يدرس كتابه

وكان الوالد رحمه الله يعتمد ما أقوله فلذلك يعز إلي غالبا في تصانيفه ما كان يسمعه مني ويقع منه موقع الاستحسان أحسن الله جزاءه

وقد ذكر هذا الشيخ في كتابه الذرائع أنه أخذ الفقه عن أبي منصور محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني عن الإمام أبي بكر عبد الله بن أحمد الزاذقاني عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني

ثم قال ابن السمعاني وله قصيدة بائية في السنة شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف تزيد على مائتي بيت قرأتها عليه في داره بالكرج." (٢)

""""" صفحة رقم ٣٢ """"

قال **وكان والدي** لما توفي فوض النظر في مصالحي إليه وفي مصالح أخي وجعله وصيا

قال وكان إذا دخل مدرستنا لا يشرب الماء في زاويتنا ولا في دارنا ويحتاط في ذلك

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٥/٧٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٦/١٤٠

قال وقتل في الوقعة الخوارزمشاهية في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة أصابه سهمان فبقي بعدهما ثلاثة أيام ومات

٧٢٢ إبراهيم بن الحسن بن طاهر أبو طاهر الحموي المعروف بالحصني

من فقهاء دمشق

ولد في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة بحماة

وتفقه ببغداد وسمع أبا علي بن نبهان الكاتب وأبا طالب الزينبي وأبا طاهر الحنائي وابن الموازيني وغيرهم

روى عنه ابن السمعاني وابن عساكر وابنه القاسم بن عساكر وأبو القاسم بن صصرى وأبو نصر بن الشيرازي وغيرهم

وقدم دمشق واجتمع بالملك العادل نور الدين وحكى عن نفسه أنه كان عنده يوما." (١)

""""" صفحة رقم ٤٣ """

وقال أبو سعد بن السمعاني برع في الفقه وفاق أقرانه في حدة الخاطر والاعتراض وجرى اللسان وقهر الخصوم **وكان والدي** استنابه في التدريس بالنظامية بمرو فتولى ذلك وتفقه عليه جماعة ثم خرج من مرو إلى غزنة وأكرم مورده وبلغ إلى لوهور وشاع ذكره بالفضل والنظر في تلك الديار وحصل له مبلغ من الأموال العبيد والخدم وانصرف منها وقصد العراق فورد العراق ودرس بالنظامية بها وعلق عليه تعليقة الخلاف وانتشر ذكره في الأقطار ورحل إليه طلبة العلم من الأمصار وصار مقصدا للكل

قال وسمع بنيسابور بقراءة والدي

قال وما أظنه روى شيئا من الحديث

قال ورجع من خراسان إلى العراق يعني بعد أن أنفذ إليها رسولا من جهة السلطان محمود إلى مرو وكان قد فتر سوقه وما زال حاله يصعد وينزل إلى أن أدركته منيته بهمذان بعد العشرين وخمسمائة

قال وسمعت أبا بكر محمد بن علي بن عمر الخطيب يقول سمعت فقيها من أهل قزوين وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمذان قال كنا معه في بيت وقت أن قرب ارتحاله فقال لنا اخرجوا من ها هنا فخرجنا فوقفت على الباب وتسمعت فسمعته يلطم وجهه ويقول واحسرتا على ما فرطت في جنب الله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٣٢/٧

وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردد هذه الكلمة إلى أن مات
رحمه الله تعالى." (١)

""""" صفحة رقم ٣٠٣ """"

وذكر الرافعي أيضا أن الشيخ ملكداد علق عن صاحب التهذيب مجموعة بعبارة أكثر مما يوجد في التصنيف وبزيادة فروع ومسائل

قال وتفقه أيضا على القاضي أبي سعد الهروي

قال وكان محصلا طول عمره حافظا كثير البركة تخرج به جماعة من أهل البلد وغيرهم ومدحه محمد بن أبي الربيع الغرناطى بقصيده قال فيها

إذا قرأ التنزيل أذعن حاسد

لخير إمام لا ينوه بالدعوى

وإن أسند الأخبار عن سيد الورى

يقول له الإسلام فخرا كذا يروى

وإن قام في محرابه بادي الضنا

وطول قلت الغصن جف فما يلوى

يمد يديه شاكيا سوء ماجنى

إلى خير مرفوع إليه يد الشكوى

يقول إلهي هب لي الآن زلتي

وما استدرج الشيطان منى وما استهوى

فذاك الفتى كل الفتى ليس عنده

يسود لدى التحصيل إلا فتى التقوى

توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

وكان والدي يديم ذكره والثناء عليه ويقول رباني كما يربي الوالد الشفيق ولده وكان أستاذه في الأدب وجميع السير في الأخلاق كما كان أستاذه في الفقه والحديث ولم يسافر مدة حياته احتراما له وتبركا بأنفاسه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٤٣/٧

هذا كله كلام الرافعي

٩٩٨ منصور بن أحمد بن المفضل بن نصر بن عصام المنهاجي الإسفزاري أبو القاسم

قال ابن السمعاني كان فقيها متورعا حسن السيرة ظهر له القبول التام." (١)

""""" صفحة رقم ١٥٦ """"

وكان من تلاوة القرآن وكثرة التعبد وقيام الليل وسلامة الصدر وعدم الاختلاط بأبناء الدنيا بمكان استنبته في الحكم بدمشق ونزلت له عن تدريس التقوية ثم تدريس الناصرية وكان قد درس قبلهما في حياة الوالد رحمه الله بالحلقة القوصية بالجامع فاجتمع له التداريس الثلاثة مع إعادة الركنية وإعادة العالدية الصغرى وتصدير على الجامع وإمامة الكلاسة

وكان الوالد رحمه الله يحبه وكان هو يحضر دروس الوالد ويسمع كلامه

وسألني مرات أن يقرأ عليه شيئا فما تهيأ له لكنا كنا نطالع في ليالي الشتاء سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة أو أربع وأربعين بدار الحديث الأشرفية الرافعي أنا والغزي وتاج الدين المراكشي في غالب الليل ويخرج الوالد في بعض الأحايين ويجلس معنا فيسمع قراءتي تارة وقراءته أخرى ويأخذ عنه

توفي الغزي ليلة الأحد رابع عشر رجب سنة سبعين وسبعمائة بمنزله بالعادلية الصغرى بدمشق فإنه كان معيدها

وسكن في بيت التدريس أعاره إياه مدرسها الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني فسكن فيه مدة سنين ودفن من الغد بتربتنا بسفح قاسيون والناس عليه باكون متأسفون فإنه حكم بدمشق نحو أربع عشرة سنة لا يعرف منه غير لين الجانب وخفض الجناح وحسن الخلق مع لزوم التقوى ومحبة الفقراء." (٢)

""""" صفحة رقم ١٦٨ """"

وأحمد بن إبراهيم بن محمد المقدسي ويوسف بن مظفر بن كوركبك

وأجاز له في سنة مولده الحافظ أبو محمد الدمياطي وغيره

وحدث وكتب بخطه وقرأ بنفسه وكان أستاذ زمانه في حسن قراءة الحديث صحة وأداء واسترسالا وبيانا ونغمة

وانتقى على بعض شيوخه وخرج لعم والده جدي رحمه الله مشيخة سمعناها بقراءته

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٣٠٣/٧

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ١٥٦/٩

وتفقه على جده الشيخ صدر الدين يحيى وعلى الشيخ الإمام الوالد وبه تخرج في كل فنونه وعلى الشيخ قطب الدين السنباطي

وقرأ النحو على الشيخ أبي حيان وكمل عليه التسهيل وغيره وتلا عليه بالسبع

وكان الوالد رحمه الله كثير المحبة له والتعظيم لدينه وورعه وتفننه في العلوم

درس بالقاهرة بالمدرسة السيفية وناب في الحكم ثم انتقل إلى دمشق وناب في القضاء عن الوالد ودرس بالمدرسة الركنية وخلفه صاحب حمص

وقد ذكره شيخنا الذهبي في المعجم المختص وأثنى على علمه ودينه

مولده في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعمائة

وتوفي في ثاني عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبعمائة ودفن بقاسيون

أخبرنا الحافظ أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي بقراءتي عليه من حفظي بقرية يلدا من دمشق

أخبرنا أبو العباس الحجار وست الوزراء ح

وكتب إلي الحجار قالا أخبرنا ابن الزبيدي أخبرنا أبو الوقت أخبرنا." [1]

""""" صفحة رقم ٢٥٤ """"

كان الوالد رحمه الله يعظم الشيخ صدر الدين ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الأشعري

درس بدمشق بالشاميتين والعذراوية

وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وباشرها مدة ثم درس في آخر عمره بالقاهرة بزاوية الشافعي والمشهد الحسيني وهو أول من درس بالمدرسة الناصرية بها

ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في تاريخه فقال إمام له نسب في قريش أعرق وحسب في بني عبد شمس مثل الشمس أشرق وعلم لو أن البحر شطأ شبهه لأغرق وفهم لو أن الفجر سطع نظيره لأحرق وثبت طنب على المجرة ومد رواقه فتلألأ بالمسرة ونشر رايته البيضاء الأموية وحولها ثغور الكواكب المنيرة وارتفع أن يقاس بنظير واتضع والثريا تاج فوق مفرقه والجوزاء تحته سرير

وهمة دون السما لا يقصرها وحكمة عن سبق القدما لا يؤخرها

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٩/١٦٨

مع جبين وضاح ويمين منها الكرم يستماح وأدب أشهى من رشف الرضاب وأحلى من رضا الحبائب الغضاب وخلق شرح الله صدره ومنح فضله أندت الرياض المخضرة انتهى." (١)

""""" صفحة رقم ١٨١ """"

نقلت من خط أخي شيخنا شيخ الإسلام أبي حامد أحمد سلمه الله تعالى أن الوالد أنشد هذه الأبيات حين أخذت منه مشيخة جامع طولون في سنة تسع عشرة وأن والدته الجدة ناصرية أسفت عليه وكان ذلك بعد ولادة الأخ أبي حامد قال **فكان الوالد** يقول ها يا أم وما أدراك أن هذا الميعاد يعود ويكون رزق هذا المولود فعاد إليه في سنة سبع وعشرين واستمر بيده إلى سنة تسع وثلاثين لما ولي قضاء الشام واستمر باسم الأخ أبي حامد وهو الآن بيده جعله الله كلمة باقية في عقبه

قلت وقد ضمن صاحبنا الحافظ الكبير صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي البيت الأول من هذه القصيدة في أبيات له وهي

ألا إنما الدنيا مطية راكب

تسير به في مهمة وسباسب

فإما إلى خير يسر نواله

وإما إلى شر وسوء معاطب

فلولا ثلاث هن أفضل مقصد

لما كنت في طول الحياة براغب

ملازمة خير اعتقاد منزها

عن النقص والتشبيه رب المواهب

ونشر علوم للشريعة ناظما

عقود معانيها لتفيهم طالب

وصوني نفسي عن مزاحمة على

دني حطام أو علي مناصب

ففي ذاك بالقنوع وراحة

معجلة من خوف ضد مغالب

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٩/٢٥٥

وحسبك في ذا قول عالم عصره

مقال محق صادق غير كاذب

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب

ورتبة أهل العلم أسنى المراتب." (١)

""""" صفحة رقم ١٩٠ """"

وأنشدنا لنفسه وقد وقف على كتاب المناقضات للأخ الشيخ الإمام العلامة بهاء الدين أبي حامد أحمد أمتع الله ببقائه

أبو حامد في العلم أمثال أنجم

وفي النقد كالإبريز أخلص بالسبك

فأولهم من إسفراين نشؤه

وثانيهم الطوسي والثالث السبكي

وهذه منقبة للأخ سلمه الله فأي مرتبة أعلى من تشبيه والده وهو من هو علما ودينا وتحرزا في المقال له بالغزالي وأبي حامد الإسفرايني

ولقد **كان الوالد** رضي الله عنه يجل الأخ ويعظمه سمعته غير مرة يقول أحمد والد وهذا يشبه قول الأستاذ أبي سهل الصعلوكي في ولده الأستاذ أبي الطيب." (٢)

""""" صفحة رقم ٢٨٨ """"

وإياك ثم إياك أن تنظر إلى إطلاق أن الجار والمجرور فضله في الكلام وتأخذه على الإطلاق بل تأمل موارد تقدمه وتأخره في الكتاب العزيز والسنة وكلام الفصحاء وتفهم هذه القاعدة الجليلة التي يفهم منها اللفظ والمعنى واعلم أنه لا بد من المحافظة على قواعد العربية وعلى فهم معنى كلام العرب ومقاصدها

وقواعد العربية تقتضي أن الجار والمجرور فضلة في الكلام لا عمدة له وأن الفعل هو المخبر به والاسم هو المخبر عنه فهذا أصل الكلام ووضعه ثم قد يكون ذلك مقصود المتكلم وقد لا يكون على هذه الصورة فإنه قد يكون المخبر عنه والمخبر به معلومين أو كالمعلومين ويكون محط الفائدة في كونه على الصفة المستفادة من الجار والمجرور كما نحن فيه فإن المضطجع ووضع جنبه معلوم ورفعه كالمعلوم وإنما قلنا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ١٠/١٨١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ١٠/١٩٠

كالمعلوم ولم نقل معلوم لأنه قد يموت

حضرت الشيخ رضي الله عنه وقد جاءه بريدي من جهة أرغون نائب الشام يقول له عنه قال لك ملك الأمراء بأي مستند تكتب على كتاب بعلبك وهو ملك غيرك بغير إذن صاحبه وقد أفسدته بكتابتك عليه اكتب لنا جوابك

وكان الوالد قد كتب على مكتوب قرية حريثا من بعلبك أنه إثبات باطل فلا يغتر به وكان قصده الحق والخشية من الاغترار بالكتاب." (١)

""""" صفحة رقم ٣٧٣ """"

وسمع من أبي المعالي الأبرقوهي وعلي بن محمد بن هارون وعلي بن عيسى بن القيم وغيرهم

وقد خرجت له أيام تفقهي عليه أجزاء من مروياته حدث بها

وكان الوالد يجله ويعظمه في الفقه كان بين يدي الوالد في دروس القاهرة ثم ولي قضاء القضاة بحلب فأقام بها أشهرا ثم صرف عنها وفيه يقول إذ ذاك الشيخ زين الدين ابن الوردي

كان والله عفيفا نزها

وله عرض عريض ما اتهم

وهو لا يدري مدارة الورى

ومداراة الورى أمر مهم

وورد دمشق فولاه الوالد تدريس المدرسة النورية بحمص فأقام بها مدة ثم دخل مصر وحضر الدروس على عادته ثم ولي قضاء البر ثم ولي قضاء صفد فحضر إليها وبها توفي في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة

وله شرح على مختصر التبريزي ذكر فيه لنفسه مباحث يسيرة

١٤٠٢ عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس

الشيخ الفقيه الأديب النحوي

زين الدين ابن الوردي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ١٠/٢٨٨

تفقه على قاضي القضاة شرف الدين البارزي
وولي القضاء في بلاد حلب ثم ترك وأقام بحلب." (١)
""""" صفحة رقم ٣٩٨ """"
قال فذكر لي البرزالي وملازمته لي ثم انتهى إلى المزي فقال وينبغي لك عزله من مشيخة دار الحديث الأشرفية قال الشيخ الإمام فاقشعر جلدي وغاب فكري وقلت في نفسي هذا إمام المحدثين والله لو عاش الدارقطني استحيي أن يدرس مكانه
قال وسكت ثم منعت الناس من الدخول علي ليلا وقلت هذه بلدة كبيرة الفتن
فقلت أنا للشيخ الإمام إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد وأن يكون أشعري العقيدة والمزي وإن كان حين ولي كتب بخطه بأنه أشعري إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك
فقال أعرف أن هذا هو الذي لاحظه صدر الدين ولكن من ذا الذي يتجاسر أن يقول المزي ما يصلح لدار الحديث والله ركني ما يحمل هذا الكلام
فانظر عظمة المزي عنده
وكنت أنا كثير الملازمة للذهبي أمضي إليه في كل يوم مرتين بكرة والعصر وأما المزي فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة لي والمحبة في بحيث يعرف من عرف حال معه أنه لم يكن يحب أحدا كمحبته في وكنت أنا شابا فيقع ذلك مني موقعا عظيما وأما المزي فكان رجلا عبوسا مهيبا
وكان الوالد يحب لو كان أمري على العكس أعني يحب أن ألازم المزي أكثر من ملازمة الذهب لعظمة المزي عنده." (٢)

" وحج ، فسمع ببغداد من : أبي نصر الزينبي ، وأبي الحسين عاصم . وسمع بالمدينة – حرسها الله – من أبي نصر ابن ودعان قاضي الموصل . وكان يروي كتبا كثيرة بنص من الثبت . قال الحافظ أبو سعد المروزي : سمعت محمد بن الفضل الفراوي يقول : كنا نسمع (مسند) أبي عوانه الإسفراييني من الأستاذ أبي القاسم القشيري ، وكان يحضر معنا رجل من المحتشمين ، عليه ثياب رفيعة ، وكان يقعد

(١) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع، ٣٧٣/١٠
(٢) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع، ٣٩٨/١٠

بجنب الأستاذ ، وكان والدي يتولى القراءة على الأستاذ الإمام ، ويقعد بين يديه ، ويقعدني بجنبه ، وما كان يتركني أن ألتفت يمنة ويسرة ، واتفق بعد قراءة جملة من الكتاب أنه انقطع ذلك المحتشم عن المجلس يوما لعارض ، وخرج الأستاذ على العادة ، وقعد ، وكان في أكثر الأوقات يخرج وعليه قميص أسود خشن ، وعمامة صغيرة ، وكنت أظن أن والدي يقرأ الكتاب على ذلك المحتشم الذي عليه البزة الحسنة ، فاليوم الذي انقطع فيه شرع والدي في القراءة على العادة ، فقلت له : يا سيدي ! على من نقرأ الحديث والشيخ ما حضر ؟ فقال : وكأنك كنت تظن أن شيخك ذاك الشخص الذي غاب ، وأني كنت أقرأ عليه الكتاب ؟ قلت : بلى ، فضاق صدره ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، يا بني ! شيخك هذا القاعد ، وأشار إلى الأستاذ ، وعلم الموضع ، وأعاد لي من أول الكتاب إلى الموضع ، وقال : ما لم تعرف شيخك لا يجوز لك أن تروي عنه .

". (١)

" ثم قال : كذا كان والدي رحمه الله يسمعني من الشيوخ . قال أبو سعد : وكان له مجلس الإملاء كل أحد بعد العصر في مسجد المطرز ، ولعله أملى أكثر من ألف مجلس ، وما ترك الإملاء إلى أن مات . توفي – رحمه الله – يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال سنة ثلاثين وخمس مئة ، ودفن عند قبر الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة قال أبو سعد : أذكر أنا في شهر رمضان سنة ثلاثين ، حملنا محفته على رقابنا إلى قبر مسلم بن الحجاج بنصراباذ لإتمام ' الصحيح ' عند قبر المصنف ، فبعد أن فرغ القارئ من قراءة الكتاب بكى ، ودعا ، وأبكى الحاضرين ، وقال : لعل هذا الكتاب لا يقرأ علي بعد هذا ، قال : وما قرئ عليه بعد ذلك كما جرى على لسانه رحمه الله تعالى .

". (٢)

"٤٠٥ وطائقة ومات في رجب قاله في العبر وفيها أبو بكر الطريثيثي بضم المهملة أوله وفتح الراء وسكون التحتية ومثلثتين بينهما تحتية نسبة إلى طريثيث ناحية بنيسابور أحمد بن علي بن حسين بن زكريا ويعرف بابن زهر الصوفي البغدادي من اعيان الصوفية ومشاهيرهم روى عن أبي الفضل القطان واللالكائي

---

(١) طبقات الفقهاء الشافعية، ٢٣٨/١

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية، ٢٣٩/١

وطائفة وهو ضعيف عاش ستا وثمانين سنة وفيها أبو علي الجاجرمي بفتح الجيمين وسكون الراء نسبة إلى جاجرم بلد بين نيسابور وجرجان اسمعيل بن علي النيسابوري الزاهد القدوة الواعظ وله إحدى وتسعون سنة روى عن عبد الله بن باكوية وعدة قال السخاوي حضر درس زين الإسلام القشيري وخدمه مدة ثم اشتغل بالعزلة وكان يجلس في الاسبوع يوما للتذكير قال اسمعيل **كان والدي** دعا بمكة اللهم ارزقني ولدا لا يكون وصيا ولا صاحب وقف ولا قاضيا ولا خطيبا قال فقلت له يا ابت وما للخطيب قال يا بني أليس يدعو للظلمة وتوفي إسمعيل في عصر يوم الخميس ثامن عشر المحرم وصلى عليه يوم الجمعة العصر تاسع عشره ودفن في مشهد الأمام محمد بن خزيمة وفيها دقاق شمس الملوك أبو نصر بن تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق ولي دمشق بعد أبيه عشر سنين ومرض مدة ومات في رمضان وقيل سموه في عنب ودفن بخانكاه الطواويس وفيها أبو عبد الله بن البسرى الحسين بن علي بن أحمد بن محمد البندار توفي في جمادي الأخرى وله ثمان وثمانون سنة قال السلفي لم يرو لنا عن عبد الله بن يحيى السكري سواه وفيها أبو ياسر الطباخ ظاهر بن أسد الشيرازي ثم البغدادي المواقيتي روى عن عبد الملك بن بشران وغيره وتوفي في رجب وفيها احمد بن بشرويه الأصبهاني كان صالحا من الأعيان قال ابن ناصر." (١)

"٢٩ واستسقى ودعا فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة وقال عبد الله بن النحاس **كان والدي** يحب الشيخ أبا عمر فقال لي يوم جمعة أنا أصلي الجمعة خل فالشيخ ومذهبي أن بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومذهبه أنها ليست من الفاتحة فمضينا إلى المسجد فوجدنا الشيخ فسلم على والدي وعانقه وقال يا أخي صل وأنت طيب القلب فإنني ما تركت بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة مذ أممت بالناس وله كرامات كثيرة وقد أطال الضياء ترجمته وكذلك سبط ابن الجوزي في المرآة وقال كان معتدل القامة حسن الوجه عليه أنوار العبادة لا يزال متبسما نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام وكان يحمل الشيخ من الجبل إلى بيوت الأرامل واليتامى ويحمل إليهم في الليل الدراهم والدقيق ولا يعرفونه ولا نهر أحدا ولا أوجع قلب أحد وكان أخوه الموفق يقول هو شيخنا ربانا وأحسن إلينا وعلمنا وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ومن غاب منهم خلفه في أهله وهو الذي هاجر بنا وسفرنا إلى بغداد وبنى الدير ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته وكان مجاب الدعوة وما كتب لأحد ورقة

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣/٤٠٤

للحمى إلا وشفاه الله تعالى وذكر جماعة أن الشيخ قطب قبل موته بست سنين وقال سبط ابن الجوزي كان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية ويمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين وينهى عن صحبة المبتدعين ويأمر بصحبة الصالحين قال وأنشدني لنفسه (أوصيكم في القول بالقرآن * بقول أهل الحق والإيقان) (ليس بمخلوق ولا بفان * لكن كلام الملك الديان) (آياته مشرقة المعاني * متلوة في اللفظ باللسان)." (١)

"١٠٩ في النحو وناب في الحكم بدمشق مدة ثم ولي قضاء القضاة بها غير مرة فلم تحمد سيرته وكان لا يزال يخرج على السلطان ويترامى على الشر ويلج في مضايق الفتن حبا في الرياسة انتهى كلام المقريزي وعده ابن ناصر الدين في الحفاظ وأثنى عليه وتوفي بدمشق في يوم الأربعاء عشر ربيع الآخر عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام وفيها شهاب الدين أحمد بن رضي الدين أبي بكر بن موفق الدين علي بن محمد الناشري الزبيدي اليمني الشافعي قال ابن حجر في أنباء الغمر عنى بالعلم وبرع في الفقه وشارك في غيره وتخرج به أهل بلده مدة طويلة وولي قضاء زبيد فراعى الحق في أحكامه فتعصبوا عليه فعزل وانتهت إليه رياسة الفتوى ببلده وكان شديد الحط على صوفية زبيد المنتمين إلى كلام ابن العربي وكان يستكثر من كلام من يرد عليه فجمع من ذلك شيئا كثيرا في فساد مذهبه ووهاء عقيدته اجتمعت به بزبيد ونعم الشيخ كان مات في خامس عشرى المحرم وقد جاوز السبعين انتهى وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي المصري ثم المقدسي الشافعي الفرضي الحاسب ابن الهايم ولد سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة واشتغل بالقاهرة وحصل طرفا صالحا من الفقه وعنى بالفرائض والحساب حتى فاق الأقارن ورحل إليه الناس من الآفاق وصنف التصانيف النافعة في ذلك ودرس بالقدس في أماكن وناب عن القمني في تدريس الصلاحية مدة فلما قدم نوروز القدس في هذه السنة لملاقاة زوجته بنت الظاهر قرر الهروي في الصلاحية ثم قسمها بينه وبين ابن الهائم لقيام أهل البلد معه وسمع منه ابن حجر وتوفي في بيت المقدس في جمادى الآخرة وفيها تغرى بردى بن عبد الله ومعنى تغرى بردى بلغة التتار ألله أعطى الظاهري نائب الشام قال ولده في المنهل الصافي **كان والدي** رومي الجنس اشتراه." (٢)

"٤١٦ الطالوي في السانحات داود بن عمر الأنطاكي نزيل القاهرة المعزية والمميز على من له فيها المزية المتوحد بأنواع الفضائل والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل سيما علم الأبدان المقدم على علم الأديان فإنه

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد، ٥/٢٨

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد، ٧/١٠٨

بلغ فيه الغاية التي لا تدرك وأما معرفته لأقسام النبض فآية له باهرة وكرامة على صدق دعواه ظاهرة ولقد سألته عن مسقط رأسه ومشعل نبراسه فأخبرني أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض قال وقد بلغت سيارة النجوم وأنا لا أستطيع أن أقوم لعارض ريح تحكم في الأعصاب وكان والدي رئيس قرية حبيب النجار واتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين وبنى فيه حجرات للمجاورين ورتب لها في كل يوم من الطعام ما يحمله إليه بعض الخدام وكنت أحمل إلى الرباط فأقيم فيه سحابة يومي وإذا برجل من أفاضل العجم يدعى محمد شريف نزل بالرباط فلما رآني سأل عني فأخبر فاصطنع لي دهنا مسدني به في حر الشمس ولفني في لفافة من فرقي إلى قدمي حتى كدت أموت وتكرر منه ذلك الفعل مرارا من غير فاصل فقمت على قدمي ثم أقرأني في المنطق والرياضي والطبيعي ثم أفادني اللغة اليونانية وقال إني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها غيري فأخذتها عنه وأنا الآن فيها بحمد الله هو إذ ذاك ثم سار فسرت إلى جبل عاملة ثم إلى دمشق واجتمعت ببعض علمائها كأبي الفتح المغربي والبدر الغزي والعلاء العمادي ثم دخلت مصر وها أنا فيها إلى الآن قال وكان فيه دعابة وحسن سجايا وكرم نجار وخوف من المعاد وخشية من الله كان يقوم الليل إلا قليلا ويتبتل إلى ربه تبتيلا وكان إذا سئل عن شيء من العلوم الحكمية والطبيعية والرياضية أملى ما يدهش العقل بحيث يجيب على السؤال الواحد بنحو الكراسة ومن مصنفاته التذكرة جمع فيها الطب والحكمة ثم اختصرها في مجلدة وشرح قصيدة النفس لابن سينا شرحا حافلا نفيسا وقرىء عليه قال وأجازني إجازة طنانة ثم أوردها في السانحات فراجعه." (1)

"٤٢٢ (بلغ حبيبي بعض ما * ألقاه إن أبصرته) (أما عذولي قل له * دع عنك ما أضمرته) ومنه معمى في أحمد (لنا إن دارت الكاس العقار * بأطراف الرماح دم مدار) ومن إفاداته أن لفظ ابن خلكان ضبط على صورة الفعلين خل أمر من التخلية وكان الناقصة قال وسببه أنه كان يكثر قوله كان والدي كذا كان جدي كذا كان فلان كذا فقيل له خل كان فغلبت عليه انتهى وتوفي رحمه الله تعالى بمكة المشرفة وفيها الشريف أبو نمى محمد بن بركات صاحب مكة قال في النور ولبعض فضلاء مكة في تاريخ وفاته (يا من به طبنا وطاب الوجود * قد كنت بدرا في سماء السعود) (ما صرت في الترب ولكنما * أسكنك الله جنان الخلود) ولد سنة عشر وتسعمائة وتوفي يوم عاشوراء انتهى وفيها المولى محمد بن نور الله المشتهر بأخي زادة نسبة إلى جده من قبل أمه المولى أخي يوسف التوقاتي محشى صدر الشريعة قال في العقد المنظوم نشأ صاحب الترجمة في طلب العلم والسيادة وأخذ عن جلة من المشايخ منهم عرب جلبي

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٨/٤١٣

والمولى عبد الباقي ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم قلد المدارس إلى أن قلد قضاء حلب ثم برسة ثم أدرنة ثم صار قاضيا بالعساكر في ولاية أناضولي ثم تقاعد بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث السليمانية فدام على الدرس والإفادة ونشر العلوم والمعارف إلى الوفاة وكان بحرا من بحار العلوم زاخرا وطودا من أطواد الفهوم باذخا يقذف للقريب من جواهر معارفه عجائب ويبعث للغريب من طماطم فضائله سحائب طالما فتح بمفاتيح أنظاره الدقيقة مغالق المعضلات وحل بخاطره اليقظان وفكره العجيب الشان عقد المشكلات عديم النظير." (١)

"الدكتور حمد الجنيدل : كان شيخنا – يرحمه الله – من العلم بمكان وله طريقة متميزة في إلقاء الدروس وتأثير عجيب على مستمعيه بأسلوب سهل متين وعلم جم وجوامع كلم يتقن عدة علوم من أبرزها علم التفسير أستاذا وفي كل ما أشرت إليه قمة يتمنى كل طالب علم أن يستمع له وكان لا يدرس من كتاب بل له حافظة قوية جدا كما كانت له نكتة حلوة طريفة يعرفها كل من عاشره مع صراحة تامة ببراءة وطهر . وعندي من إملائه ما يزيد عن مائة ورقة من التفسير كتبتها بقلمي أثناء تدريسه بالمعهد العالي للقضاء أعتبرها أنفس ما لدي في مكتبتي الخاصة . ولعل الله أن يسهل لنا إخراجها وطبعها .

أبناء الشيخ عبد الرزاق عفيفي : في منزل أسرة الفقيد تحدث ابنه الأكبر وهو الأستاذ محمد نبيل عبد الرزاق عفيفي وه المراقب المالي للإدارات المالية وإدارات شؤون الموظفين بالخطوط السعودية والذي تحدث عن البرنامج اليومي الكامل للشيخ مِن الصباح الى المساء يقول محمد : **كان والدي** يذهب للعمل في الصباح ويجلس الى ما بعد صلاة الظهر في الإفتاء ثم يقضي وقت الظهر في القيلولة وبعد العصر كان يجلس في كثير من الأحيان في البيت يقرأ ويطالع وينظر في الفتاوي والبحوث العلمية أما بعد المغرب فيستقبل طلبة العلم والزوار الى العشاء حيث يدخل للقراءة والاطلاع والراحة بعد ذلك .

وكان – يرحمه الله – قدوة في عمل الخير وكان ينصحنا دائما كما عودنا على الصبر على قضاء الله .

أما محمود ابن الشيخ فقد قال : إن الشيخ كان يحثنا على الخير والعمل الطيب وعدم الإكثار في الكلام حتى مع بعضنا البعض في المنزل وخاصة فيما بين الذكور والإناث .

رحمك الله يا عبد الرزاق عفيفي

فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي." (٢)

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤١٩/٨

(٢) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفى، ٢٣٩/٣

"سيرة سماحة الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

مفتي الديار السعودية

رحمه الله تعالى

إعداد

الشيخ: ناصر بن حمد الفهد

١٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد :

فإن قراءة سير الصالحين تبعث في النفس الرغبة في التأسي ، وتثير في القلب كوامن الإيمان والحرص على الخير ، والرغبة في الاستزادة من الصالحات .

ولعل من أبرز العلماء الذين شهد لهم بالتقوى والصلاح والجرأة في قول الحق والسير على نهج السلف – نحسبه كذلك– صاحب السماحة الشيخ/ محمد ابن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى ، فهو نسيج وحده رحمه الله تعالى ، فقد جمع الله له أمورا قل أن تجتمع في رجل واحد ،فقد كان رحمه الله أمة لوحده علما وعملا وجهادا وخدمة للمسلمين ونفعا لهم .

وقد كان للوالد – حفظه الله تعالى – صلة وثيقة بالشيخ محمد رحمه الله إذ عمل عنده ما يقارب من ثمانية عشر عاما وصحبه في حلقات الدرس وفي منزله وفي رحلاته وفي مجالسه العامة والخاصة، **وكان الوالد** كثيرا ما يتحدث عنه وعن فقهه وفتاواه وعلمه وأحاديثه وفوائده .
وقد طلبت من الوالد حفظه الله تعالى أن يذكر لي بعض ما يعرفه عن حياة الشيخ وسيرته فوافق جزاه الله

خيرا، فكان هذا الكتيب الذي أملاه علي ورأيت إخراجه تعميما للفائدة.

واعلم أن جميع ما في هذه النبذة هي من إملاء الوالد من حفظه لم يرجع فيها إلى كتاب ولا لغيره، ولم أفعل شيئا فيها سوى الترتيب وإعادة الصياغة في بعض المواضع ، وتقديمي لها بهذه المقدمة ، وبترجمة موجزة للراوي ،وصلى الله على محمد.

ناصر بن حمد بن حمين الفهد

ترجمة الراوي

هو الشيخ حمد بن حمين بن حمد بن فهد الفرهود من الأساعدة من الروقة من قبيلة عتيبة الهوازنية.." [١]

"ويروى عن نجيب بن أبى عبيد البسرى قال: " **كان والدي** في المحرس الغربي بعكا، في ليلة النصف من شعبان، وأنا في الرواق السادس، انظر إلى البحر؛ فبينا أنا أنظر إذا شخص يمشى على الماء، ثم بعد الماء مشى على الهواء، وجاء إلى والدى، فدخل من طاقته التي هو فيها ينظر إلى البحر، فجلس معه مليا يتحادثان، ثم قام والدى فودعه، ورجع الرجل من حيث جاء.يمشى في الهواء، فقمت إلى والدي، قلت له: " يا أبت!، من هذا الذي كان عندك، يمشى على الماء، ثم الهواء؟ " ، فقال: " يا بنى! رأيته؟ " ، قلت: " نعم " ، قال: " الحمد لله رب العالمين، الذى سوى بك وبنظرك له، يا بنى!، هذا الخضر. نحن اليوم في الدنيا سبعة، ستة يجيئون إلى أبيك، وأبوك لا يروح إلى واحد منهم " .

أبو العباس السيارى

؟ - ٣٤٢ للهجرة

القاسم بن القاسم السيارى أبو العباس، أصله من مرو. وصحب أبا بكر الواسطي، وصار رأسا في علوم الطائفة، مع فقه علمه، وكتابته الحديث الكثير.

مات سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة.

من كلامه: " من حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى على لسانه الحكمة " .

وقال: " ظلم الأطماع تمنع أنوار المشاهدات؛ وما استقام إيمان عبد حتى يصبر على الذل مثلما صبر على

(١) سيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ص/١

العز " .

وقال: " لو جاز أن يصلى ببيت شعر لجاز أن يصلى بهذا البيت:

أتمنى على الزمان محالا ... أن ترى مقلتاي طلعة حر

وقيل له يوما: " بماذا يروض المريد نفسه؟ وكيف يروضها؟ " . فقال: " بالصبر على الأوامر، واجتناب النواهي، وصحبة الصالحين، وخدمة الرفقة ن وجالسة الفقراء. والمرء حيث وضع نفسه " . ثم أنشد متمثلا:

صبرت على اللذات حتى تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وكانت على الأيام نفس عزيزة ... فلما رأت عزمي على الذل ذلت

وينشد:

فلما استنار الصبح أدرج ضوءه ... بأسفار أنوار ضوء الكواكب

يجرعهم كأسا، لو ابتلى اللظى ... بتحريقه طارت، كأسرع ذاهب

أبو تمام التكريتي

؟ - ٥٤٨ للهجرة

كامل بن سالم التكريتي أبو تمام؛ قدم بغداد وصار من الأعيان صحب أبا الوفاء الفيروز ابادي مدة.

ومات سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ببغداد.

أبو على الرومي

؟ - ٣١٢ للهجرة

لبيب بن عبد الله الرومى العابد، أبو على الزاهد الورع. يقصد للتبرك، وله كلام حسن.

مات سنة اثنتي عشرة وثلثمائة.

ومن كلامه: الظرف هو الأنس بالأوامر، والاستحياش من الزواجر " .

وقال: " الظريف لا يحيف، ويرضى باليسير من الدنيا " .

وسبب سلوكه أنه كان مملوكا لجندي، فرباه وعلمه العمل بالسلاح، وأعتقه؛ ومات سيده، فاخذ رزقه، وتزوج زوجته صيانة لها. قال: " ثم إنه اتفق أن حية دخلت جحرا، فأمسكت ذنبها، فنهشت يدى فشلت، ثم بعد مدة شلت الأخرى بغير سبب أعرفه، ثم جفت رجلاي، ثم عميت ثم خرست؛ فبقيت كذلك سنة، لم يبق لى صحيح غير سمعى، اسمع به ما اكره وأنا طريح على ظهري. فدخلت امرأة على زوجتي، فقالت:

"كيف حال زوجك؟ " فقالت: " لا حي فيرجى، ولا ميت فيبلى! " فتألمت من ذلك، واستغثت بالله. فنمت وانتهت وقت السحر، وإحدى يدى على صدرى، فعجبت فحركتها فتحركت، ففرحت ثم حركت رجلي، ثم الأخرى، ثم قمت، ثم رأيت، ثم انطلق لساني بأن قلت: " يا قديم الإحسان!، لك المجد! " ثم صحت بزوجتي فأتتنى، فقصصت شاربا كان لى على زي الجند، وقلت: " لا أخدم غير ربى! " ، وخرجت من الدار، وطلقت الزوجة، ولزمت عبادة ربى " .

محفوظ بن محمود النيسأبوري

؟ - ٣٠٣ للهجرة

محفوظ بن محمود، من أصحاب أبى حفص النيسأبوري. من قدماء مشايخ نيسأبور وجلتهم.

صحب أبا عثمان، وحمدونا القصار، وعليا النصر اباذى، وغيرهم. وكان من الورعين.

مات سنة ثلاث - أو أربع - وثلثمائة بنيسأبور، ودفن بجنب أبى حفص.

ومن كلامه: " من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون " .

وقال: " أكثر الناس خيرا أسلمهم صدرا للمسلمين " .

مظفر القرميسيني

؟ - ق٤ للهجرة

مظفر القرميسيني من مشايخ الجبل. صحب عبد الله الخراز، وغيره.

من كلامه: " الصوم على ثلاثة اوجه:صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بمخالفة الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم " .." (١)

"

وطائقة ومات في رجب قاله في العبر

وفيها أبو بكر الطريثيثي بضم المهملة أوله وفتح الراء وسكون التحتية ومثلثين بينهما تحتية نسبة إلى طريثيث ناحية بنيسابور أحمد بن علي بن حسين بن زكريا ويعرف بابن زهر الصوفي البغدادي من اعيان الصوفية ومشاهيرهم روى عن أبي الفضل القطان واللالكائي وطائفة وهو ضعيف عاش ستا وثمانين سنة

وفيها أبو علي الجاجرمي بفتح الجيمين وسكون الراء نسبة إلى جاجرم بلد بين نيسابور وجرجان اسمعيل بن علي النيسابوري الزاهد القدوة الواعظ وله إحدى وتسعون سنة روى عن عبد الله بن باكوية وعدة

(١) طبقات الأولياء، ص/٦١

قال السخاوي حضر درس زين الإسلام القشيري وخدمه مدة ثم اشتغل بالعزلة وكان يجلس في الاسبوع يوما للتذكير قال اسمعيل كان والدي دعا بمكة اللهم ارزقني ولدا لا يكون وصيا ولا صاحب وقف ولا قاضيا ولا خطيبا قال فقلت له يا ابت وما للخطيب قال يا بني أليس يدعو للظلمة وتوفي إسمعيل في عصر يوم الخميس ثامن عشر المحرم وصلى عليه يوم الجمعة العصر تاسع عشرة ودفن في مشهد الأمام محمد بن خزيمة

وفيها دقاق شمس الملوك أبو نصر بن تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق ولي دمشق بعد أبيه عشر سنين ومرض مدة ومات في رمضان وقيل سموه في عنب ودفن بخانكاه الطواويس

وفيها أبو عبد الله بن البسري الحسين بن علي بن أحمد بن محمد البندار توفي في جمادى الآخرة وله ثمان وثمانون سنة قال السلفي لم يرو لنا عن عبد الله بن يحيى السكري سواه

وفيها أبو ياسر الطباخ ظاهر بن أسد الشيرازي ثم البغدادي المواقيتي روى عن عبد الملك بن بشران وغيره وتوفي في رجب

وفيها احمد بن بشرويه الأصبهاني كان صالحا من الأعيان قال ابن ناصر

(١) ".

" واستسقى ودعا فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة وقال عبد الله بن النحاس كان والدي يحب الشيخ أبا عمر فقال لي يوم جمعة أنا أصلي الجمعة خلف الشيخ ومذهبي أن بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومذهبه أنها ليست من الفاتحة فمضينا إلى المسجد فوجدنا الشيخ فسلم على والدي وعانقه وقال يا أخي صل وأنت طيب القلب فإنني ما تركت بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة مذ أممت بالناس وله كرامات كثيرة وقد أطال الضياء ترجمته وكذلك سبط ابن الجوزي في المرآة وقال كان معتدل القامة حسن الوجه عليه أنوار العبادة لا يزال متبسما نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام وكان يحمل الشيخ من الجبل إلى بيوت الأرامل واليتامى ويحمل إليهم في الليل الدراهم والدقيق ولا يعرفونه ولا نهر أحدا ولا أوجع قلب أحد وكان أخوه الموفق يقول هو شيخنا ربانا وأحسن إلينا وعلمنا وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ومن غاب منهم خلفه في أهله وهو الذي هاجر بنا

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣/٤٠٥

وسفرنا إلى بغداد وبنى الدير ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته وكان مجاب الدعوة وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا وشفاه الله تعالى وذكر جماعة أن الشيخ قطب قبل موته بست سنين وقال سبط ابن الجوزي كان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية ويمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين وينهى عن صحبة المبتدعين ويأمر بصحبة الصالحين قال وأنشدني لنفسه

(أوصيكم في القول بالقرآن ** بقول أهل الحق والإيقان)

(ليس بمخلوق ولا بفان ** لكن كلام الملك الديان)

(آياته مشرقة المعاني ** متلوة في اللفظ باللسان)

." (١)

" في النحو وناب في الحكم بدمشق مدة ثم ولي قضاء القضاة بها غير مرة فلم تحمد سيرته وكان لا يزال يخرج على السلطان ويترامى على الشر ويلج في مضايق الفتن حبا في الرياسة انتهى كلام المقريزي وعده ابن ناصر الدين في الحفاظ وأثنى عليه وتوفي بدمشق في يوم الأربعاء عشر ربيع الآخر عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام

وفيها شهاب الدين أحمد بن رضي الدين أبي بكر بن موفق الدين علي بن محمد الناشري الزبيدي اليمني الشافعي قال ابن حجر في أنباء الغمر عنى بالعلم وبرع في الفقه وشارك في غيره وتخرج به أهل بلده مدة طويلة وولي قضاء زبيد فراعى الحق في أحكامه فتعصبوا عليه فعزل وانتهت إليه رياسة الفتوى ببلده وكان شديد الحط على صوفية زبيد المنتمين إلى كلام ابن العربي وكان يستكثر من كلام من يرد عليه فجمع من ذلك شيئا كثيرا في فساد مذهبه ووهاء عقيدته اجتمعت به بزبيد ونعم الشيخ كان مات في خامس عشرى المحرم وقد جاوز السبعين انتهى

وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي المصري ثم المقدسي الشافعي الفرضي الحاسب ابن الهايم ولد سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة واشتغل بالقاهرة وحصل طرفا صالحا من الفقه وعنى بالفرائض والحساب حتى فاق الأقران ورحل إليه الناس من الآفاق وصنف التصانيف النافعة في ذلك ودرس

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢٩/٥

بالقدس في أماكن وناب عن القمني في تدريس الصلاحية مدة فلما قدم نوروز القدس في هذه السنة لملاقاة زوجته بنت الظاهر قرر الهروي في الصلاحية ثم قسمها بينه وبين ابن الهائم لقيام أهل البلد معه وسمع منه ابن حجر وتوفي في بيت المقدس في جمادى الآخرة

وفيها تغرى بردى بن عبد الله ومعنى تغرى بردى بلغة التتار ألله أعطى الظاهري نائب الشام قال ولده في المنهل الصافي **كان والدي** رومي الجنس اشتراه

---

(١) ".

" الطالوي في السانحات داود بن عمر الأنطاكي نزيل القاهرة المعزية والمميز على من له فيها المزية المتوحد بأنواع الفضائل والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل سيما علم الأبدان المقدم على علم الأديان فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك وأما معرفته لأقسام النبض فآية له باهرة وكرامة على صدق دعواه ظاهرة ولقد سألته عن مسقط رأسه ومشعل نبراسه فأخبرني أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض قال وقد بلغت سيارة النجوم وأنا لا أستطيع أن أقوم لعارض ريح تحكم في الأعصاب **وكان والدي** رئيس قرية حبيب النجار واتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين وبنى فيه حجرات للمجاورين ورتب لها في كل يوم من الطعام ما يحمله إليه بعض الخدام وكنت أحمل إلى الرباط فأقيم فيه سحابة يومي وإذا برجل من أفاضل العجم يدعى محمد شريف نزل بالرباط فلما رآني سأل عني فأخبر فاصطنع لي دهنا مسدني به في حر الشمس ولفني في لفافة من فرقي إلى قدمي حتى كدت أموت وتكرر منه ذلك الفعل مرارا من غير فاصل فقمت على قدمي ثم أقرأني في المنطق والرياضي والطبيعي ثم أفادني اللغة اليونانية وقال إني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها غيري فأخذتها عنه وأنا الآن فيها بحمد الله هو إذ ذاك ثم سار فسرت إلى جبل عاملة ثم إلى دمشق واجتمعت ببعض علمائها كأبي الفتح المغربي والبدر الغزي والعلاء العمادي ثم دخلت مصر وها أنا فيها إلى الآن قال وكان فيه دعابة وحسن سجايا وكرم نجار وخوف من المعاد وخشية من الله كان يقوم الليل إلا قليلا ويتبتل إلى ربه تبتيلا وكان إذا سئل عن شيء من العلوم الحكمية والطبيعية والرياضية أملى ما يدهش العقل بحيث يجيب على السؤال الواحد بنحو الكراسة ومن مصنفاته التذكرة جمع فيها الطب والحكمة ثم اختصرها في مجلدة وشرح قصيدة النفس لابن سينا شرحا حافلا نفيسا وقرىء عليه قال وأجازني إجازة طنانة ثم أوردها في السانحات فراجعه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ١٠٩/٧

". (١)

"

(بلغ حبيبي بعض ما ** ألقاه إن أبصرته)

(أما عذولي قل له ** دع عنك ما أضمرته)

ومنه معمى في أحمد

(لنا إن دارت الكاس العقار ** بأطراف الرماح دم مدار)

ومن إفاداته أن لفظ ابن خلكان ضبط على صورة الفعلين خل أمر من التخلية وكان الناقصة قال وسببه أنه كان يكثر قول **كان والدي** كذا كان جدي كذا كان فلان كذا فقيل له خل كان فغلبت عليه انتهى وتوفي رحمه الله تعالى بمكة المشرفة وفيها الشريف أبو نمى محمد بن بركات صاحب مكة قال في النور ولبعض فضلاء مكة في تاريخ وفاته

(يا من به طبنا وطاب الوجود ** قد كنت بدرا في سماء السعود)

(ما صرت في الترب ولكنما ** أسكنك الله جنان الخلود)

ولد سنة عشر وتسعمائة وتوفي يوم عاشوراء انتهى

وفيها المولى محمد بن نور الله المشتهر بأخي زادة نسبة إلى جده من قبل أمه المولى أخي يوسف التوقاتي محشى صدر الشريعة قال في العقد المنظوم نشأ صاحب الترجمة في طلب العلم والسيادة وأخذ عن جلة من المشايخ منهم عرب جلبي والمولى عبد الباقي ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم قلد المدارس إلى أن قلد قضاء حلب ثم برسة ثم أدرنة ثم صار قاضيا بالعساكر في ولاية أناضولي ثم تقاعد بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث السليمانية فدام على الدرس والإفادة ونشر العلوم والمعارف إلى الوفاة وكان بحرا من بحار العلوم زاخرا وطودا من أطواد الفهوم باذخا يقذف للقريب من جواهر معارفه عجائب ويبعث للغريب من طماطم فضائله سحائب طالما فتح بمفاتيح أنظاره الدقيقة مغالق المعضلات وحل بخاطره اليقظان وفكره العجيب الشان عقد المشكلات عديم النظير

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس، ٤١٦/٨

." (١)

"طاهر بن أحمد بن عبد الله البغدادي، روى الحروف عن منصور بن محمد الضبي، روى عنه الحسين بن محمد القلانسي.

طاهر بن أحمد النجار مؤلف كتاب الإيماء إلى لفظ بياض أمام مقري.

" ت " طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الحسن الحلبي نزيل مصر استاذ عارف وثقة ضابط وحجة محرر شيخ الداني ومؤلف التذكرة في القرآت الثمان، أخذ القرآت عرصا عن " ج " أبيه و " ج " عبد العزيز بن علي ثم رحل إلى العراق فقرأ بالبصرة على محمد بن يوسف بن نهار الحرتكي و " ت " علي بن محمد بن الهاشمي وعلي بن محمد بن خشنام المالكي وسمع الحروف مع أبيه من " ج " إبراهيم بن محمد بن مروان وعتيق ابن ماشاء الله و " ت " عبد الله بن المبارك و " ج " عبد الله بن المبارك و " ج " عبد الله بن محمد بن المفسر وأبي الفتح بن بدهن وسمع سبعة ابن مجاهد من أبي الحسن علي بن محمد بن اسحاق الحلبي المعدل عنه، روى القرآت عنه عرضا وسماعا الحافظ " ت " أبو عمرو عثمان بن سعيد وإبراهيم بن ثابت الاقليسي وأحمد بن بابشاذ الجوهري وأبو الفضل عبد الرحمن الرازي وأبو عبد الله محمد ابن أحمد القزويني، قال الداني لم ير في وقته مثله في فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته كتبنا عنه كثيرا وتوفي بمصر لعشر مضين من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

طاهر بن عرب بن إبراهيم بن أحمد الإمام الفاضل العالم المحقق المدقق المجود المرتل المقري الكامل المجيد المفيد استاذ القراء وصفوة العلماء نخبة المحققين عمدة المقرئين فخر الدين أبو الحسين الأصبهاني أدام الله النفع به ووصل أسباب شهرة علم القرآن بسببه، ولد فيما أخبر في سابع محرم سنة ست وثمانين وسبعمائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين تقريبا وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة وطاف البلاد وساح في الأغوار والانجاد حتى برع في فنون من العلم سيما العربية، ثم أخذ القرآت عن شيخي ومخدومي والدي وقرأ عليه ختمام كاملات الأولى جمع فيها القرآت العشر حسب ما تضمنه واشتمل عليه كتب الوالد النشر ومختصره التقريب ومنظمته الارجوزة المسماة بطيبة النشر وما وافق ذلك من الكتب المطولات قراءة صحيحة مجودة مرتلة مشتملة على جميع الأوجه والطرق الصحيحة التي اختارها الوالد وارتضاها الختمة الثانية جمع فيها بين روايتي قتيبة ونصير بمضمن غاية أبي العلاء ومبهج سبط الخياط ومصباح الشهرزوري وكامل الهذلي وكفاية أبي العز القلانسي وغير ذلك الختمة الثالثة رواية العمري عن أبي جعفر بمضمن الغاية

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٤٢٢/٨

والكامل والمصباح وغيرها الختمة الرابعة بقراءة الإمام أبي عبد الله محمد بن محيصن المكي بمضن المبهج الختمة الخامسة بقراءة الإمام أبي سليمان الأعمش بمضمن المبهج وما وافق ذلك من كتاب الجامع والروضة، وكان ملازما للوالد سفرا وحضرا في الحج وغيره فافاد واستفاد واتقن ما قرأ به على الوالد وأجاد وانتفع به الناس وزال بتحقيقه وتدقيقه عن أهل هذا العلم الشريف كثير من الالتباس وكان من أخص الناس وأعزهم عند الوالد واعتنى به أشد عناية حتى صار معلمي ومنه تعلمت العروض وحفظت عليه الطيبة وكنت أعرض عليه القرآت أولا ثم على الوالد وهو حاضر **وكان الوالد** حين يقرى الناس يحضره أولا ثم يأخذ على الناس اعتمادا عليه وعلى حذقه ولا يكاد يأخذ على أحد وهو غائب وكان آية في استحضار القرآت عجيبة غاية في استنباط النكت الغريبة وقد شهد الوالد بأنه في هذا العلم المبارك لا يداني ولا يشارك، وقرأ على الوالد جميع كتاب النشر وتقريبه وغير ذلك من تصانيفه وعرض عليه من حفظه كتاب طيبة النشر من غير توقف ولا تلعثم وسمع منه غير ذلك من الأحاديث المسلسلات والعشاريات وقرأ عليه أكثر صحيح البخاري وأنا حاضرة وبيدي كتاب الوالد وسمع منه بعضه قبل ذلك بأصبهان سنة ثمان وثمانمائة ونظم قصيدة في قرآت العشر على وزن الشاطبية ورويها استحسنها الوالد وطالعها وسماها بالطاهرة وقصيدة في اختلاف الآيات سماها نظم الجواهر على وزن الشاطبية أيضا لكن رويها الراء أتى فيها ببدائع، وقرره الوالد أن يجلس مكانه بار القرآن التي أنشأها داخل مدينة شيراز وأن يكون خليفته بها قائما مقامه غاب الوالد أو حضر فاجتمع عليه الناس ورحل إليه من البلاد وكتبته سلمى بنت المؤلف.." (١)

"أسأل الله مبتهلا لديه، مادا يدي إليه، أن يحيل على مولانا هذه السنة، وما يتلوها من أخواتها، بالصالحات الباقيات، والزيادات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله، وأمد يستأنفه، موفرا على المتقدم له، قاصرا عن المتأخر عنه، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزا منصورا، محميا موفورا، باسطا يده، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد، ساميا طرفه، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحة ركابه، فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك، فائزة قداحه، فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما يتوجه إليه أمنيته جامحة، وتسمو له همته طامحة.

وحدث هلال بن المحسن: حدثني جدي أبو إسحاق: ثم وجدت هذا الخبر بخط المحسن بن إبراهيم قال: حدثني والدي أبو إسحاق، قال: **كان والدي** أبو الحسن يلزمني في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتحلي بصناعته، وينهاني عن التعرض لغير ذلك، فقويت فيها قوة شديدة، وجعل لي برسم الخدمة

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء، ص/١٤٩

في البيمارستان عشرون دينارا في كل شهر، وكنت أتردد إلى جماعة من الرؤساء، خلافة له، ونيابة عنه، وأنا مع ذلك كاره للطب، ومائل إلى قراءة كتب الأدب، كاللغة والشعر، والنحو والرسائل والأدب، وكان إذا أحس بهذا مني، يعاتبني عليه، وينهاني عنه، ويقول: يا بني، لا تعدل عن صناعة أسلافك، فلما كان في بعض الأيام، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن أشياء كثيرة، كلفه إياها، ومسائل في الطب وغيره، سأله عنها، وكان الكتاب طويلا بليغا، قد تأنق منشئه، وتغارب، فأجاب عن تلك المسائل، وعمل جملا لما يريده، وأنفذها على يدي إلى كاتب، لم يكن في ذلك العصر أبلغ منه، وسأله إنشاء الجواب عنه، قال: فمضيت، وأنشأت أنا الجواب، وأطلته وحررته، وجئت به إليه، فلما قرأه، قال: يا بني سبحان الله، ما أفضل هذا الرجل وأبلغه، فقلت له: هذا من إنشائي، فكاد يطير فرحا، وضمني إليه، وقبل بين عيني، وقال: قد أذنت لك الآن، فامض، فكن كاتبا.

كان أبو إسحاق الصابئ واقفا بين يدي عضد الدولة، وبين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور، صاحب خراسان، وعلى رأسه غلام تركي، حسن الوجه، جميل، الخليقة، وكان مائلا إليه، ورأيت الشمس إذا وجبت عليه حجبه عنها، إلى أن استتم قراءة ما كان في يده، ثم التفت إليه، فقال له: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وقفت لتحجبني عن الشمس ... نفس أعز علي من نفسي

ظلت تظللني ومن عجب ... شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك، وطوى الكتب، وجعله مجلسا للقرب، وألقي على الجواري الستائر، فغنوا به في ذلك اليوم، وهو في الخامس من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وكتب إلى بعض أصدقائه: ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال، لضاق علي فيه المرتكض والمجال، لأن الناس عندنا – ما خلا الأعيان الشواذ الذين أنت بحمد الله أولهم – طائفتان: مجاملة، ترى أنها قد وفتك خيرها، إذا كفتك شرها، وأجزلت لك رفدها، إذا أجنبتك كيدها. ومكاشفة، تنزو إلى القبيح، نزو الجنادب، أو تدب، دبيب العقارب، فإن عوتبوا، حسروا قناع الشقاق، وإن غولظوا، تلثموا بلثام النفاق. والفريقان في ذاك كما قلت منذ أيام:

أيارب، كل الناس أبناء علة ... أما تعثر الدنيا لنا بصديق

وجوه بها من مضمر الغل شاهد ... ذوات أديم في النفاق صفيق

إذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم ... قذى لعيون أو شجا لحلوق

وإن أظهروا برد الودود وظله ... أسروا من الشحناء حر حريق

أخو وحدة قد آنستني كأنني ... بها نازل في معشر ورفيق

فذلك خير للفتى من ثوائه ... بمسبعة من صاحب وصديق." (١)

"القاضي، صاحب الخط المليح، والعقل الصحيح. مات في التاسع عشر من شعبان، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومولده في ذي القعدة، سنة تسع وخمسمائة. سألت ولده أبا محمد، عبد الله بن أحمد عنه، فأعطاني جزءا بخط والده هذا، وقد ضمنه ذكر نفسه، وذكر ولده، فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة، إلا ما أبينه، فقال: أنا أحمد بن علي، بن هبة الله، بن علي الزوال، " وأصله الزول، وإنما غيره المتكلمون، وزادوا ألفا، والزول: الرجل الشجاع، وقد ذكر ذلك في كتاب الألفاظ لابن السكيت " ، بن محمد، بن يعقوب، بن الحسين، ابن عبد الله المأمون بالله، الخليفة، بن هارون الرشيد بالله الخليفة، بن محمد المهدي بالله الخليفة، بن عبد الله المنصور بالله الخليفة، بن محمد الكامل، بن علي السجاد، ابن عبد الله خير الأمة، بن العباس سيد العمومة، ابن عبد المطلب شيبة الحمد، بن هاشم عمرو العلا، ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، هو قريش بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، ابن أد، بن أدد، بن اليسع، بن الهميسع، بن سلامان، ابن ثبت، بن جميل، بن قيدار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن آزر، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، ابن أرغو، بن فالع، بن عابر، بن سالخ، ابن أرفخشذ، ابن سام، بن نوح، بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس بن ليارد، بن مهلائيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم، أبي البشر، فطرة الله عز وجل، ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء، ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة، ولدت بدرب فيروز، في الدار المعروفة الآن، بورثة ابن الثقفي، القاضي عز الدين، قاضي القضاة، – رحمه الله – ، **وكان والدي** يومئذ، كاتب الزمام في الأيام المستظهرية، وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدة، وكنت مذ نشأت، ختمت القرآن، وقرأته للعشرة، على المرزقي – رحمه الله – ، الأمين أبي بكر، أنا وحجة الإسلام، أبو محمد، إسماعيل بن الجواليقي – وفقه الله – ، وكنا نترافق حين الحداثة في القراءة على الشيوخ، ويتكثر بعضنا ببعض، ونتعاضد في القراءة، وكتبت الخط على أبي سعيد الحسن بن منصور، أبي الحسن الجزري، – رحمه الله – ، وكان صالحا أديبا، صائم الدهر، عالما في فنون من العلم، فقيها، **وكان والدي** يؤثرني من دون إخوتي، لما يراه من اشتغالي بالعلم، فإنني منذ انفصلت من

---

(١) معجم الأدباء، ١/٥٠

المكتب، رجعت بقراءة النحو واللغة، إلى شيخنا أوحد الزمان، أبي منصور بن الجواليقي، – رحمه الله – ، وصحبته إحدى عشرة سنة، وقرأت عليه كتبا كثيرة من حفظي، ويغر حفظي، حتى توليت القضاء، سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وكان الحكم والقضاء على دجيل، إلى والدي المقدم ذكره، مضافا إلى الخطابة، فحين ولي أمر ديوان الزمام ببغداد، رد القضاء إلى ولده هبة الله، الملقب بتاج العلا، وكان يخاطب من الديوان العزيز – مجده الله – بالأجل الأوحد، زين الإسلام، نجم الكفاءة، تاج العلا، جمال الشرف، مجد القضاة، عين الكفاءة، وكان بعد ذلك أضيف إليه نظر دجيل أجمع، مع المخزنيات، وكان ذا سطوة وشجاعة، وثروة كبيرة، ومماليك من الأتراك، والإماء والعبيد، والقرايا والأملاك، والرياسة التامة، والصيت والذكر الجميل، بين العرب والعجم، وكان له معروف كبير، ودار مضيف بحربي، يجتمع إليها أمراء العرب على طبقاتهم، وغيرهم من الغرباء، وكان له نواب في القضاء بحربي، والحظيرة، وغيرهما، وكانت ولايته من قاضي القضاة الدامغاني، إلى أن درج بالموصل مسموما مخافة منه، لما شوهد من رياسته، وتبع العرب والتركمان له، وحمل السلاح، والجند الكثير، والاستطالة العظيمة، وأنفذ ميتا في ستارة حتى دفن بحربي، في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وانحدر ولده علي بن هبة الله، بن علي، طالبا مكانه ببذل المال الجم، وكان وزير الزمان يومئذ، شرف الدين علي بن طراد الزينبي، في أوائل الأيام المقتفوية، فترك مع بذله، ووليت بعد أن أحضرت، وقيل لي: قد رسم توليك من غير قربة، لتميزك بالعلم، وكان لي من العمر يومئذ، أربع وعشرون سنة، واعتزى ابن أخي بعد ذلك، إلى ديوان السلطنة، وخاطب الديوان العزيز في ذلك فلم يجب، ودخل في النوبة جماعة من الأهل والأكابر من ولاة الأمر، فتوسط الحال على أن يكون لولده مجلس وساطة، وحكم." (١)

"وذكره العماد الأصفهاني في كتاب الخريدة ووصفه بالرياسة والشرف وقال: حدثني والدي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذات يوم وشرف الدين البيهقي قد قصده في مركبه وهو حينئذ والي الري ونقله إلى منزله وتكفل بتسديد خلله، وكان حينئذ يترشح لوزارة السلطان وهو كبير الشان، ومازالا بالري مقيمين متوانسين حتى فرق بينهما محتوم البين، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

قال: وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية، **وكان والدي** يثني عليه أبدا ويقول: إنه ما نظر إلى نظيره، ولامثلت لعينه عين مثله، صنف كتاب وشاح الدميه، ذيله على كتاب أبي الحسن الباخرزي وهو موجود بخراسان، وأورد فيه لنفسه:

---

(١) معجم الأدباء، ١/١٧٤

تراجعت الأمور على قفاها ... كما يتراجع البغل الرموح

وتستبق الحوادث مقدمات ... كما يتقدم الكبش النطوح

وقوله:

يشير بأطراف لطاف كأنها ... أنابيب مسك أو أساريع إسحل

وتومي بلحظ فاتر الطرف فاتن ... بمرود سحر بابلي مكحل

ينم على مابيننا من تجاذب ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وله:

يا خالق العرش حملت الورى ... لما طغى الماء على جارية

وعبدك الآن طغى ماؤه ... في صلبه فاحمل على جارية

قال المؤلف: هكذا ذكر العماد في كتابه، وإذا عارضت قوله بما ذكره البيهقي عن نفسه في كتبه الذي نقلت لفظه منه من خطة، وجدت فيه اختلافا في التاريخ وغيره والله أعلم.

ومن شعر أبي الحسن البيهقي الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح في عزيز الدين أبي الفتوح على بن فضل الله المستوفي الطغرائي ونقلته من خطه:

شموسي في أفق الحياه هلال ... وأمنى من صرف الزمان محال

وأطلب والمطلوب عز وجوده ... وأرجو وتحقيق الرجاء محال

إلى كم أرجى من زماني مسرة ... وقد شاب من رأس الزمان قذال

وبال الطاووس ألوان ريشه ... وعلم الفتى حقا عليه وبال

وللدهر تفريق الأحبة عادة ... وللجهل داء في الطباع عضال

لقد ساد بالمال المصون معاشر ... وأخلاقهم للمخزيات عيال

وبينهم ذل المطامع عزة ... وعندهم كسب الحرام حلال

وله:

ضجيعي في ليلى جوى ونحيب ... وإلفى في نومي ضنى ولغوب

دجا ليل آمالي وأبطأ صبحه ... وللمنذرات السود فيه نعيب

وتلسعني الأيام فهي أراقم ... وتخدعني الآمال فهي كذوب

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وباعي في ظل الوصال رحيب؟

خليلي لاتركن إلى الدهر آمنا ... فإحسانه بالسيئات مشوب

وكم جاهل قد قال لي أنت ناقص ... فهيج ليث الحقد وهو غضوب

وعيرني بالعلم والحلم والنهى ... قبائل من أهل الهوى وشعوب

فقلت لهم: لاتعذلوني فإنني ... لصفو زجاجات العلوم شروب

وماضرني أني عليم بمشكل ... وقد مس أهل الدهر منه لغوب

لئن عد علم المرء جرما لديكم ... فذلك جرم لست منه أتوب

كفى حزنا أني مقيم ببلدة ... بها صاحب العلم الرصين غريب

وذكر أيضا في هذا الكتاب قال: دخلت على الأمير يعقوب بن اسحاق المظفر بن نظام الملك، فأكرمني وقابلني بالتعظيم والتفخيم فقلت بديهة:

يعقوب يظهر دائما في لفظه ... عسلا لديه يطمه يعسوبه

وغدا بحمد الله صدرا مكرما ... يعلو نطاق المشتري عرقوبه

فسقى أنامله حدائق لفظه ... وجرى على نهج العلا يعبوبه

قد غاب يوسف خاطري عن مصره ... ويشم ريح قميصه يعقوبه

فأشار إلي وقال: هل لك أن تنسج على منوالي فيما قلت؟ فأنشدني لنفسه:

أعاذل مهلا ليس عذلك ينفع ... وقولك فينا دائما ليس ينجع

وهل يصبر الصب المشوق على الجوى ... وفي الوصل مشتاق وفي الهجر مجزع؟." (١)

"وحدثني أدام الله علوه قال: حججت في موسم سنة ثمان وستمائة، **وكان والدي** في صحبتي فصادفت بمكة جماعة من أهل بلدنا، وكنت بعيد العهد بلقاء أحد منهم، فرآني رجل فالتحق بي كما جرت العادة، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاء وهم إلى منزلنا فقضوا حقنا بالسلام والسؤال والحرمة، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كل واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له، وكان فيما جاءونا به ظرف كبير مملوء عسلا، وآخر سمنا على جمل وهو وقره، فألقاه في خيمتنا فأمرت الغلمان أن يعلموا منه حيسا فيكثروا على عادة تلك البلاد، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف، وإذا رجل شديد الأدمة مشوه الخلقة، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتاب بهما فقال لي: أتعرف هذين؟

---

(١) معجم الأدباء، ٢/ ٧٨

فقلت: نعم، هذان ظرفان جارنا بهما رجل على سبيل الهدية، أحدهما سمن والآخر عسل، فقال لي: ليس الأمر كذلك، ثم حط يده على بطنهما وعصر فخرج من فمهما نار أحسست بلفحها في وجهي، وجعلت أمسح فمي من شدة حرهما وانزعجت من هول ما رأيت، وقمت من فراشي خائفا فما استطعت النوم إلى الغداة، واجتمعت بمهديهما وكان يعرف بابن الشجاع فقلت له: أخبرني عن هذين الطرفين ما خبرهما؟ فقال: اشتريتهما وجئت بهما، فقلت: يا هذا، هل فيهما شبهة؟ فتحلف أنهما من خالص ماله، فأخبرته بالحال فبكى حينئذ، ومد يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهدته وقال: والله ما أعرف أن في مالي شبهة، إلا أن لي أختين ما أنصفتهما في تركة أبيهما، وأنا أعاهد الله أنني أرجع من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما.

قال الصاحب – أدام الله علوه: فعلمت أنها لي موعظة، فعاهدت الله ألا آكل بعدها من طعام لا أعرف من أين وجهه؟ فكان لا يأكل لأحد طعاما ويقول: الناس لا يعرفون بواطن الأمور ويظنونني أفعل ذلك كبرا، ومن أين لي بما يقوم بعذري عندهم؟ ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي: جرت اليوم ظريفة، فقلت له: هات خبرها – أدام الله إمتاعنا بك – ، فما زلت تأتي بالظرائف والطرف.

فقال: حضرت اليوم في مجلس الملك الرحيم أتابك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعام الملوك: شواء وشرائح وسنبوسك وحلاوات وغيرها كما جرت العادة، فتأملته فنفرت نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قاربت الظهر ولم أتغد فلم أنبسط ولا مددت يدي إليه. فقال لي: مالك لا تأكل وكان قد عرف عادتي؟ فقلت له: إن نفسي لا تقبل هذا الطعام ولا تشتهيه. فقال: لعلك شبعان، فقلت: لا والله، إلا أنني أجد في نفسي نفورا منه، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدة عليها عدة غضائر من الدجاج فلم تقبل نفسي إلا دجاجة واحدة معمولة تحت رمان فمددت يدي إليها وتناولت منها.

قال: فرأيت أتابك وهو يتعجب فقلت له: ما الخبر؟ فقال: اعلم أنه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من أين وجهه وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة؟ وأما الباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة، وتشاركت أنا وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحب الرمان، وكان أتابك لا يأكل إلا من مال الجوالي فقط، فجعلت أعجب من ذلك. فقال أدام الله علوه: اعلم أنني لا أحسب هذا كرامة لي ولكني أعده نعمة من الله في حقي، فإن امتناعي لم يكن عن شيء كرهته ولا ريب اطلعت عليه، ولكن كان انقباضا ونفرة لا أعرف سببها، ولا الإبانة على معناها.

كان صفي الدين الأسود عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتابا له يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة – وكان معروفا بالبغاء – أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وآئين الدولة العلوية، وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلدا، ودفع له فيه ما سمح ببيعه، وعرض على الصاحب الكبير جمال الدين الأكرم أدام الله علاه وكبت أعداءه، فأراد شراءه واتفق رحيل الملك الأشرف إلى الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير أدام الله علوه ضن بالكتاب واغتبط، واحتج وخلط، وزعم أنه قدمه للخزانة الأشرفية، فكتب الصاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي – وكان وسيطه في شرا الكتاب المذكور – ما هذه نسخته: العز لله وحده." (١)

"حدثني كمال الدين – أدام الله معاليه – قال: قال لي والدي: احفظ اللمع حتى أعطيك كذا وكذا، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ، وهو الضياء بن دهن الحصا، ثم قال لي: احفظ القدوري حتى أهب لك كذا وكذا من الدراهم كثيرة أيضا، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود، **وكان والدي** رحمه الله يحرضني على ذلك، ويتولى صقل الكاغد لي بنفسه، فإني لأذكر مرة وقد خرجنا إلى ضيعة لنا فأمرني بالتجويد. فقلت: ليس ههنا كاغد جيد، فأخذ بنفسه كاغدا كان معنا رديا، وتناول شربة اسفيذر وكانت معنا، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي: اكتب ولم يكن خطه بالجيد، وإنما كان يعرف أصول الخط، فكان يقول لي: هذا جيد وهذا رديء، وكان عنده خط ابن البواب، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنت منه ما أردت، ولم أكتب على أحد مشهور إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي، ورد إلينا إلى حلب فكتبت عليه أياما قلائل لم يحصل منه فيها طائل: ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوجني بقوم من أعيان حلب وساق إليهم ما جرت العادة بتقدمته في مثل ذلك، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيق صدري منهم، فوهب لهم الوالد جميع ما كان ساقه إليهم وطلقتهم، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي وهو شيخ أصحاب الشافعي، وأعظم أهل حلب منزلة وقدرا ومالا وحالا وجاها. وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان، **وكان والدي** رحمه الله بارا بي، لم يكن يلتذ بشيء من الدنيا التذاذه بالنظر في مصالحي وكان يقول: أشتهي أرى لك ولدا ذكرا يمشي فولد أحمد ولدي ورآه، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت، فيوم مات مشى الطفل حتى وقع في صدره، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي، وما حضرت مجلسه قط فأقبل

---

(١) معجم الأدباء، ١٨٨/٢

على أحد إقباله علي مع صغر السن، واتفق أن مرضت في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة مرضا أيس مني فيه، فكان يخطر ببالي وأنا مريض أن الله تعالى لابد وأن يمن بالعافية لثقتي بصحة رؤيا الوالد وكنت أقول: ما بلغت بعد مبلغا يكون تفسيرا لتلك الرؤيا إلى أن من الله بالعافية وله الحمد والمنة، فذهب عني ذلك الخيال، وليس يخطر منه في هذا الوقت ببالي شيء، لأن نعم الله علي سابغة، وأياديه في حقي شائعة. قلت: ولما مات والده بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شادبخت، وهي من أجل مدارس حلب وأعيانها، فولي التدريس بها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة. هذا، وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الواسخ، إلا أنه رئي أهلا لذلك دون غيره، وتصدر وألقى الدرس بجنان قوى ولسان لوذعي فأبهر العالم، وأعجب الناس.

وصنف مع هذا السن كتبا منها: كتاب الدراري في ذكر الذراري جمعه للملك الظاهر، وقدمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب. كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح صنفه للملك الأشرف، - وكان قد سير من حران يطلبه، فإنه لما وقف على خطه اشتهى أن يراه، فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه، وخلع عليه وشرفه - . كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة - ، وأنا سألته جمعه فجمعه لي، وكتبه في نحو أسبوع وهو عشر كراريس - . كتاب في الخط وعلومه، ووصف آدابه وأقلامه وطروسه، وما جاء فيه من الحديث والحكم، وهو إلى وقتي هذا لم يتم. كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء، ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية، والملوك والأمراء والكتاب. وشاع ذكره في البلاد، وعرف خطه بين الحاضر والباد، فتهاداه الملوك، وجعل مع اللآلئ في السلوك، وضربت به في حياته الأمثال، وجعل للناس في زمانه حذوا ومثالا، فمما رغب في خطه أنه اشترى وجهة واحدة بخط ابن البواب بأربعين درهما، ونقلها إلى ورقة عتيقة ووهبها من حي." (١)

" حرف الجيم

١٧٨ - أنشدني أبو الفضل جعفر بن محمد بن العويق النجار لنفسه

١٧٩ - جعفر هذا كان له طبع طيع في الشعر ولم تكن له معرفة بالعربية والنحو وله في مقطعات وشعر كثير وتوفي في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

والعويق يذكر مع ابن الغريق الهاشمي ونسله إن شاء الله

---

(١) معجم الأدباء، ٢/٢١١

١٨٠ - سمعت الشيخ الأديب أبا الفضل جعفر بن إسماعيل النحوي بالإسكندرية يقول سمعت أبي بمصر يقول سمعت أبا الحسين يحيى بن نجاح الواعظ الأندلسي بمكة يقول إذا ذكرت شيئا فخذوه بقبول واحفظوه فإني لا أعود أذكره إلا إن سئلت عنه

وسمعته يقول كان يحيى بن نجاح الواعظ الأندلسي مصنف سبل الخيرات إذا وعظ وزهزه الناس له قال **كان والدي** عبدا لفلان وأمي جارية اشتريت بكذا وكذا دينارا فلا يغرنك يا يحيى مدح هؤلاء قال وهو مصنف جامع سبل الخيرات نفعه الله بذلك

١٨١ - سمعت الشيخ أبا الفضل جعفر بن إسماعيل النحوي بالإسكندرية ." [١]

" (طوبى لمن رزق الوصال ... من الحبيب بغير بين) - الكامل -

٥٨١ - عبد الواحد هذا كان من أهل القرآن ويؤم في مسجد من مساجد الإسكندرية وقال كان أبي من القدس وانتقل إلى هذا الثغر وولدني ههنا وقد صحبت أبا بكر محمد بن إبراهيم الحنيفي الفقيه وأبا علي نميم بن بازل المقرئ وعليه قرأت القرآن

٥٨٢ - عبد الواحد بن أبي عمر المديني من شيوخ الصوفية دخل في الطريقة من صغره وخدم السيد الزاهد أبا هاشم العلوي شيخه وسافر كثيرا وكان يخدم في رباط ابن حمك ويلبس المرقعة وكان الشيخ معمر يبالغ في إكرامه ويمدحه وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة أو قبلها بأشهر وكان يحبني **لمكان والدي** وصحبته لجدي إذ كان جدي أيضا مريدا لأبي هاشم السيد الزاهد وحضرت عرسه بعد موته وحضره شيوخ البلد معمر بن احمد وأبو طاهر الراراني وحمزة العلوي وعبد الكريم الحسناباذي وأبو سعيد تميم وآخرون

٥٨٣ - أخبرنا أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني قاضي طبرستان بالري أنا أبو غانم أحمد بن علي بن الحسين الكراعي بمرو ثنا أبو العباس عبد الله بن الحسين بن الحسن النضري ثنا الحارث بن أبي أسامة التميمي ثنا محمد بن كناسة الأسدي ثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه عن عبد الله بن عمرو قال أتى رجل النبي فقال إني أريد الجهاد فقال أحي أبواك قال نعم قال ففيهما فجاهد

٥٨٤ - بلغنا أن أبا المحاسن أملى بآمل وقتل بعد فراغه من الإملاء في محرم سنة اثنتين وخمسمائة

---

(١) معجم السفر، ص/٦٦

وكان العماد محمد بن أبي سعد الوزان صدر الري في عصره يقول القاضي أبو المحاسن شافعي عصره وفي شيوخه كثرة وقد كتب بآمل عن عبد الله بن جعفر الخبازي ونظرائه وبالري عن أبي طاهر بن حمدان وبنيسابور عن ." [1]

"راقب الخلوة حتى أمكنت ... ورعى (١) السامر حتى هجعا

كابد الأهوال في زورته ... ثم ما سلم حتى ودعا ومن شعر كشاجم يصف النار (٢) :

كأنما الجمر والرماد وقد ... كاد يواري من نورها نورا

ورد جني القطاف أحمر قد ... ذرت عليه الأكف كافورا وقال أيضا (٣) :

جاءت بوجه كأنه قمر ... على قوام كأنه غصن

غنت فلم تبق في جارحة ... إلا تمنت بأنها أذن وقال أيضا (٤) :

أرى وصالك لا يصفو لآمله ... والهجر يتبعه ركضا على الأثر

كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت ... عليه أبعدها من منزع الوتر ٥١٢ (٥)

" ابن قادوس "

محمود بن إسماعيل بن قادوس القاضي، أبو الفتح المصري الكاتب

---

(١) ص: ودعا، والتصويب عن ابن خلكان والديوان: ٧٦.

(٢) الديوان: ١٠٧.

(٣) لم يردا في الديوان.

(٤) لم يردا في الديوان.

(٥) الزركشي: ٣٢٢ والخريدة (قسم مصر) ١: ٢٢٦ وحسن المحاضرة ١: ٥٦٣ وأخبار مصر لابن ميسر ٢: ٩٧ وقال الزركشي: ((وقع ديوانه في مجلدين لطيفين)) وقد أكثر من الاختيار له؛ ولم ترد هذه النرجمة في المطبوعة.." [2]

"- المقدمة -

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) معجم السفر، ص/١٨٣

(٢) فوات الوفيات، ٤/١٠٠

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فإن خدمة كتاب الله والعناية بتسهيل فهمه أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، ومن أجل الطاعات، وأعظم القربات، وقد أفنى العلماء أعمارهم ووجهوا هممهم إلى العناية بالكتاب العزيز، فألفت حوله الكتب الكثيرة في علوم القرآن، وفي تفسيره، وأسباب نزوله، وإعجازه، وقراءاته، وإعرابه، وغير ذلك من أنواعه.
ومما اهتم به الكثيرون: معرفة غريب القرآن، وتفسير غامضه، وشرح ما يصعب فهمه، فقد كثرت التآليف فيه منذ القرون الأولى، وعرفت بأسماء مختلفة؛ كمعاني القرآن، وغريبه، وتفسير مفرداته أو كلماته، وقد اختلف المصنفون في مناهجهم، فمنهم من جعله على حروف المعجم، ومنهم من جعله على ترتيب سور القرآن، ومنهم المقل، ومنهم المكثر.
وقد أنعم الله علي ووفقني أن أعيش مع كتاب الله منذ صغري حتى حفظته، **وكان والدي** رحمه الله خير معين لي على مراجعته، وكانت أكثر الأوقات بركة وأعظمها نفعا تلك التي عشتها مع كتاب الله، ولما كان من تمام المنفعة أن يفهم القارئ ما غمض من الكلمات استعنت بالله على تأليف هذا الكتاب الذي سميته «تفسير غريب القرآن» اخترت فيه أهم الكلمات التي تحتاج إلى بيان، ونقلت شرحها من كتب التفسير وغريب القرآن مما كتبه الأقدمون والمعاصرون، ملتزمة في العقائد بمنهج السلف الكرام، وأسأل الله أن ينفع بالكتاب، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه.

كاملة الكواري

الدوحة ـ قطر

١٨/ ٢ / ١٤٢٩هـ

٢٥/ ٢ / ٢٠٠٨م." (١)

"أبو الحسن الأنطاكي حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جلب طعاما إلى مصر من أمصار المسلمين كان له أجر شهيد".
٣٤ - أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن المهلبي الجرجاني والد أبي ذر جندب سمعت أبا ذر جندب بن أحمد يقول **كان والدي** ينبهني في الليل ويخرجني إلى المسجد لأصلي الليل معه يقول لي

---

(١) تفسير غريب القرآن - الكواري، كاملة الكواري /

نحب أن تعتاد هذا

أخبرنا أبو ذر جندب بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن ثنا أبي حدثنا أبو عمر الخراساني محمد بن عبدك حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا محمد بن إسحاق الأندلسي حدثنا غالب عن عبيد الله القرقساني حدثنا سعيد بن المسيب قال: سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى بيته يصنع؟ قالت: يرقع ثوبه ويخصف نعله ويعالج سلاحه

٣٥- أبو العلاء أحمد بن صالح بن محمد بن صالح التميمي الآبسكوني نزل في ساحل الشام بصور١ وبنى بها٢٠/ألف محرسا "قاله- ٢" لنا بن عدي روى عن محمد بن حميد وأبي زرعة الرازي وكان كثير الحديث لم يرو لنا عنه غير بن عدي

أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ حدثنا أبو العلاء أحمد بن صالح بن محمد بن صالح التميمي الآبسكوني بصور حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا مهران بن أبي عمر عن سفيان الثوري عن هشام عن بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا وقع الذباب في المرق فاغمسوا

---

١ في الأصل "بالصور"، وفي الأنساب الورقة ١٢/ب على الصواب.

٢ موضعه بياض في الأصل.." (١)

"قال مجاهد: في الدنيا، وقرأ بعضهم: (أيهما أقرب لكم نفعا) أي رفع بالابتداء، ولم يعمل فيه ال (ما) قبله، لأنه استفهام و (أقرب) خبره و (نفعا) نصب على التمييز، كأنه يقول: لا يدرون أي الوارثين والموروثين أسرع موتا فيرثه صاحبه، فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه.

وقال ابن عباس: أطوعكم لله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة، لأن الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، فإن **كان الوالد** أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده في درجته ليقر بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله والديه إلى درجته ليقر بذلك عينيهما.

قال الحسن: لا تدرون بأيهم أنتم أسعد في الدين والدنيا.

فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما. ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن يعني وللزوجات الربع مما ت‌ركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل

---

(١) تاريخ جرجان حمزة السهمي ص/٨٥

يورث كلالة أو امرأة نظم الآية: وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة، وهو نصب على المصدر، وقيل: على الحال، وقيل: على خبر ما لم يسم فاعله، تقديرها: وإن كان رجل يورث ماله كلالة.

وقرأ الحسن وعيسى: (يورث) بكسر الراء [جعلا] فعلا له.

واختلفوا في الكلالة:

فقال الضحاك والسدي: هو الموروث. سعيد بن جبير: هم الورثة. النضر بن شميل: هو المال. واختلفوا أيضا في معناه وحكمه:

فروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الكلالة، فقرأ آخر سورة النساء، فرد عليه السائل فقال صلى الله عليه وسلم: «لست بزائدك حتى أزاد» «١» [٢٥٤] .

وروى شعبة عن عاصم الأحوال قال: سمعت الشعبي يقول: إن أبا بكر (رضي الله عنه) قال في الكلالة: أقضي فيها قضاء وأن كان صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمن الشيطان ومني، والله بريء منه: هو ما دون الوالد والولد، يقول: كل وارث دونهما كلالة قال: فلما كان عمر (رضي الله عنه) بعده قال: إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر: هو ما خلا الوالد والولد.

وقال طاوس: هو ما دون الولد. والحكم: هو ما دون الأب. عطية: هم الأخوة للأم.

عبيد بن عمير: هم الأخوة للأب. وقيل: هم الأخوة والأخوات.

---

(١) تأويل مختلف الحديث: ١٨٥، (بتفاوت) .." [١]

"كان عندنا بهمذان برد شديد، وكان على سطحنا مري في آنية، فانكسرت الآنية وانصب المري على السطح، فجمد حتى صار مثل الجلد، فقطعت منه خفين ولبستهما وركبت به إلى دار السلطان: أو كما قال.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمذاني قال نبأنا صالح بن أحمد الحافظ.

قال: محمد بن الحسين بن سعيد بن أبان أبو بجعفر ويعرف بالطيان، روى عن محمد ابن الجهم السمري، وإبراهيم بن الهيثم البلدي، ويحيى بن أبي طالب، وعبد الله بن أبي ميسرة، وإبراهيم بن الحسين، وإبراهيم بن نصر. وكان جار أبي عبد الله بن بليل ومصلاه في مسجده ويحدث فيه، ولم يسمع منه شيئا. وتركنا الكتابة عنه في هوى عبد الرحمن بن حمدان. وكان عبد عبد الرحمن يسيء القول فيه في سماع «المسند»

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٢٦٩

لإبراهيم بن نصر، وهو يتكلم في عبد الرحمن ويفرط، **وكان والدي** يندم على تركنا الكتابة عنه والسماع منه.

٦٩٨- محمد بن الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد، وأبو الحسن المعروف والده بعبيد العجل:

حدث عن زكريا بن يحيى المروزي، وموسى بن يحيى المروزي، وموسى بن هارون الطوسي، وحماد بن محمد الواسطي. روى عنه أبو بكر بن شاذان، وأبو الحسن الدارقطني.

وبلغني عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي أنه ذكره. فقال: كان سيئ الحال في الحديث.

حدثني عبيد الله بن أبي الفتح عن طلحة بن محمد بن جعفر. وأخبرنا علي بن محمد السمسار قال أنبأنا عبد الله بن عثمان الصفار قال نبأنا عبد الباقي بن قانع: أن أبا الحسن بن عبيد مات في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. زاد عبد الباقي: في رجب.

وقرأت في كتاب أبي عمرو عثمان بن محمد بن جابر: أن ابن عبيد توفي في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقين من رجب.

٦٩٩- محمد بن الحسين بن حمدون، صاحب الطعام:

حدث عن أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي، روى عنه أبو الحسن الدارقطني.

٧٠٠- محمد بن الحسين بن سعيد، أبو عبد الله الزعفراني الواسطي [١] :

سمع أحمد بن الخليل البرجلاني، وأبا بكر أحمد بن أبي خيثمة النسائي، وأبا الأحوص محمد بن الهيثم العكبري، وزكريا بن يحيى الساجي. وكان عنده عن أبي

---

[١] ٧٠٠- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ١٤/٧٣.." [١]

"كتب إلى أبو مسلم هشام بن عبد الرحيم الاصبهانى أنبأ سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءة عليه أنبأ أحمد بن محمود الثقفي ومنصور بن الحسين قالا أنبأ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقرئ حدثنا أبو حفص عمر بن الحسن الصيرفي بمدينة النعمانية بانتخاب إبراهيم بن مندة حدثنا ابن عرفة حدثنا هشيم بن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى إسحاق السبعي عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب لا يمس ماء [١] .

١١٥٦- عمر بن الحسن المناطقى:

حدث عن أبي محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، روى عنه أبو الحسن محمد ابن على بن محمد

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢/٢٣٦

بن صخر الأزدى في مشيخته.

أنبأنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب عن أبى جعفر محمد بن على الطبري أنبأ أبو خلف عبد الرحيم بن محمد بن أبى خلف الطبري أنبأ القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدى بمكة حدثنا عمر بن الحسن البغدادي المن!طقى ببغداد حدثنا جعفر بن محمد الخلدى حدثنا الحارث بن أبى أسامة حدثنا داود حدثنا عباد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كم من عاقل عقل عن أمر الله وهو حقير عند الناس دميم المنظر ينجو غدا، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غدا في القيامة» [٢] .

حدثناه عاليا أبو محمد بن الأخضر من لفظه حدثنا محمد بن عبد الباقي أنبأ جعفر ابن أحمد السراج أنبأ الحسن بن أحمد البزار حدثنا جعفر الخلدى فذكره.

١١٥٧- عمر بن الحسين بن عمر بن الحسين النحوي، أبو حفص بن أبى العز:

من أهل الحربية، هكذا رأيت نسبة بخط أحمد بن سليمان الحربي، وقد تقدم ذكر والده، سألته عن نسبته إلى البحري فقال: كان والدي تاجرا يسافر ويطول فيه أسفاره فلقب بالبحري، سمع أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي ابن البطي وأبا العباس أحمد بن على الشيرجي وأبا بكر أحمد بن

---

[١] انظر الحديث في: سنن الترمذي ١/١٧. ومسند أحمد ٦/١٤٦.

[٢] انظر الحدث في: الجامع الصغير ٢/٨٢.." (١)

"قال: المعنى كنت بريئا وكان والدي منه بريئا (١). ونحو هذا قال الفراء، وأنشد للفرزدق (٢):

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى ... وأبي فكان وكنت غير غدور (٣)

وقال المبرد: فعيل يكون للواحد والجميع، وأنشد هو وأبو عبيدة:

يا عاذلاتي لا تطلن ملامتي ... إن العواذل لسن (٤) لي بأمير (٥)

وقال الله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩] (٦). والمراد بالقعيد هاهنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم، قال مجاهد: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات (٧).

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٠/٤٥

(١) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٤٤.

(٢) في (أ): (الفرزدق) والصواب ما أثبته. سبق ترجمته في سورة النساء.

(٣) ورد البيت في "الكتاب" ١/ ٣٨، "الإنصاف" ص ٩٥، "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٧٧، "المذكر والمؤنث" ص ٦٧٧، "الإيضاح في شرح المفصل"١/ ١٦٨، وليس في "ديوان الفرزدق". والشاهد فيه: "غدور" ولم يقل: "غدورين".

(٤) أي: (ليس).

(٥) قال البغدادي في شرح أبيات "مغني اللبيب" ٤/ ٤٨٣: والبيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم، ولم أقف على قائله اهـ. ونسب في بعض المصادر ليزيد ابن الصعق.

انظر: "تهذيب اللغة" ٦/ ٢٤٤، "اللسان" ٢/ ٦٥٨ (ظهر)، "الخصائص" ٣/ ١٧١ ، "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٤٣، وقوله: (بأمير) أي لسن لي بأمراء.

(٦) ومما قال عند تفسيره لآية: قال الفراء: وإنما وحد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب بها العرب إلى الواحد وإلى الجمع، ولا يجوز أن تقول: حسن أولئك رجلا. وقال بعضهم: حسن كل واحد منهما رفيقا

(٧) انظر: "جامع البيان" ٢٦/ ٩٩، "الوسيط" ٤/ ١٦٥.." [1]

"أحدهما: أن هذا فصل معترض بين ذكر الوراث وأنصبائهم، وبين قوله: ﴿فريضة من الله﴾، ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية، ومعنى هذا الفصل في قول ابن عباس والكلبي: أن الله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، فأطوعكم لله عز وجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة (١). فإن **كان الوالد** أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده بمسألته (٢)، ليقر بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع درجة من والديه، رفع الله إليه والديه، فقال الله عز وجل: ﴿لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾، لأن أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة، وسبقه إلى منزلة عالية تكون سببا لرفعه إليها (٣).

القول الثاني: أن هذا فصل معترض بينهما، ومعناه متعلق بمعنى الآية.

يقول: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق، ولكن الله تعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فأفسدتم وضيعتم وأعطيتم من

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٩٤/٢٠

لا يستحق ومنعتم من يجب له الميراث، وهذا قول الزجاج (٤)، وابن الأنباري، وجماعة من أهل المعاني (٥)، وإليه أشار ابن عباس في

---

(١) أخرجه عن ابن عباس ابن جرير بنحوه ٨/ ٤٩، وسنده حسن. انظر: "تحقيق المروي" عن ابن عباس ١/ ١٨٤، وذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤/ ٢٣ أ.

(٢) في (أ): (بمسلته).

(٣) ذكر الهواري معنى ذلك من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقريبا منه قولا للكلبي. انظر "تفسير كتاب الله العزيز" ١/ ٣٥٥، "الكشف والبيان" ٤/ ٢٣ أ، "معالم التنزيل" ٢/ ١٧٨.

(٤) ساق الزجاج القولين من دون اختيار لأحدهما. انظر: "معاني القرآن" ٢/ ٢٤.

(٥) انظر: "تفسير الطبري" ٤/ ٢٨١ - ٢٨٢، "إيضاح الوقف والابتداء" ٢/ ٥٩٣، "الدر المنثور" ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.." [1]

"وتوفي فجأة في الصلاة في شهر رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة وصلى عليه بجامع المنصور ودفن في مقابر إمامنا رضي الله عنه.

أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء: أخي الأكبر الشاب العالم الورع الصالح.

ولد يوم السبت السابع من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.

هكذا قرأت بخط الوالد السعيد.

سمع الحديث من أبي محمد الجوهري والوالد السعيد وجده لأمه جابر بن ياسين وأبي الحسين بن المهتدي وأبي الحسين بن الأبنوسي وأبي الحسين بن النقور وأبي جعفر بن المسلمة وأبي الغنائم بن المأمون ومحمد بن وشاح وأحمد بن ساوس وعلي الملطي وعبد الله بن هزارمرد الصريفيني في خلق كثير.

ورحل في طلب العلم والحديث إلى البلاد: واسط والبصرة والكوفة وعكبرا والموصل والجزيرة وآمد وغير ذلك.

وقرأ بآمد على تلميذ والده: أبي الحسن البغدادي قطعه صالحة من الخلاف والمذهب.

وكان قد علق قبل سفرته عن تلميذ والده الشريف أبي جعفر.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٣٦٥

وكان حضر قبل ذلك درس والده السعيد وعلق عنه.
وكان يحضر مجالس النظر في الجمع وغيرها ويتكلم في المسائل مع شيوخ عصره.
وكان الوالد السعيد يأتم به في صلاة التراويح إلى أن توفي رحمة الله عليه.
وهو الذي تولى الصلاة على الوالد السعيد بجامع المنصور وتقدم على شيوخ الطوائف.
وكان ذا عفة وديانة وصيانة.." (١)

"المبتدأ والمبعث " لمحمد بن إسحاق بن يسار، **وكان والدي** رحمه الله سمع جميع الكتاب منه، ولما وافيت سرخس أردت أن أقرأ عليه هذا الكتاب فمضيت وسألته ذلك فاعتذر، وقال: أني ضعيف وكبرت فالأولى أن تقتصر على المناولة له دون السماع ففعلت وناولني الكتاب، وقرأت عليه جزءا من حديث العبدوسي وكانت ولادته في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين بسرخس، ومات بها ليلة الأحد من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة.

٨٦٠ - أبو طاهر الجلفري
أبو طاهر محمد بن محمد بن الحارث بم محمد بن الحارث بن محمد الحارثي الجلفري المروزي.
كان فقيها، واعظا، من بيت العلم والحديث، خيرا. سمع أباه أبا سعد، وأبا القاسم إسماعيل بن محمد بن أحمد الزاهري، وأبا بكر محمد بن عبد الله ابن أبي توبة الخطيب، والسيد أبا القاسم علي بن موسى الموسوي، وغيرهم. سمعت منه أجزاء، وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمئة. وتوفي يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ودفن بسنجذان." (٢)
"ثم قدم مرو، وتلمذ لجدي رحمه الله وعلق عليه الخلاف.
وكان حاد الخاطر، حسن المحاورة، كثير المحفوظ، ذا رأي وشهامة، وإصابة في التدبير، وكان الأكابر يصادقونه ويستضيئون برأيه ويزورونه.
سمع الحديث الكثير، وحدث بالكتب الكبار.
سمع بمرو الروذ: أبا عبد الله محمد بن محمد بن محمد العلاء البغوي، وأبا جعفر أحمد بن أبي أحمد بن متويه المقرئ المرو الروذي، وبالدزق العليا: أبا بكر محمد بن أحمد بن علي القاضي الدزقي، وبنج

---

(١) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ٢/٢٣٥
(٢) التحبير في المعجم الكبير السمعاني، عبد الكريم ٢/٢١٨

ديه: أبا منصور المظفر بن منصور الرازي، وبمرو: جدي الإمام أبا المظفر منصور بن محمد السمعاني، وأبا القاسم إسماعيل بن محمد الزاهري، وأبا عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ الأصبهاني، وغيرهم.

سمعت منه الكثير، **وكان والدي** رحمه الله لما توفي فوض النظر في مصالحي وأخي إليه، وجعله وصيا، فأحسن القيام بالوصاية، وضبط أمورنا أحسن ضبط، وكان إذا دخل مدرستنا لا يشرب الماء من دارنا، ويحتاط في ذلك.

والله تعالى يجزيه عنا أحسن الجزاء، ويرحمه ويغفر له.

لقنني الفرائض، وتعلمت منه المقدرات، وعلقت عنه المذهب كتاب الطهارة، ثم." (١)

"شيخ آخر: هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن يعقوب، الأرزي، الحافظ، الزاغولي

، من أهل زاغلول، قرية ببنج دية.

قدم مرو، وأقام بها.

وتفقه علي الإمام الموفق بن عبد الكريم الهروي، والإمام والدي رحمه الله.

وكان والدي يكرمه ويدنيه لعلمه وفضله وورعه وحرصه على طلب الحديث.

وكان حسن الخط كثير الضبط، صنف كتابا سماه «قيد الأوائل» جمع فيه كل نوع من العلوم الشرعية، ربما يبلغ أربع مائة مجلد، وشريته.

سافر إلى هراة ونيسابور، وسمع بها الحديث الكثير.

وكان ثقة، صدوقا، متقنا، ثبتا فيما ينقله ويذكره.." (٢)

"حيدرة الجعفري، وغيرهم.

كتب إلي الإجازة بجميع مسموعاته، وسمعت من ابنه الخطيب ببخارى فيما أظن وكانت وفاته في صفر، سنة أربع وثلاثين وخمس مائة.

شيخ آخر: هو أبو نصر، محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد

---

(١) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني السمعاني، عبد الكريم ص/٣٣٤

(٢) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني السمعاني، عبد الكريم ص/١٤٣٧

بن أحمد بن يحيى بن جعفر بن محمود، الخموشي، السرخسي، من أهل سرخس.

كان شيخا كبيرا، جليل القدر، ثقة، صدوقا، مكثرا من الحديث، سديد السيرة.
وبيت الخموشية معروف بسرخس بالأمانة، والصدق، والتزكية والعدالة.
سمع أبا نصر زهير بن الحسن الخدامي، وأبا القاسم عبد الله بن العباس العبدوسي وغيرهما.
وكان عنده كتاب المبتدأ والمبعث لمحمد بن إسحاق بن يسار.
وكان والدي رحمه الله سمع جميع الكتاب منه، ولما وافيت سرخس أردت أن أقرأ عليه هذا الكتاب فمضيت وسألته ذلك، فاعتذر، وقال: إني ضعيف وكبرت، وداري نزل فيها الأمير الأجل جوهر،." (١)

"أحمد بن الليث المقرئ الشيرازي بخط يده مع أبي الحسن الشيرازي يعزيني بوفاة أحمد بن منصور فسألت أبا الحسن فذكر أنه توفي في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وأنه حضر تجهيزه والصلاة عليه ووصف أبو الحسن من حرقة أهل شيراز وتفجعهم عليه ما يطول شرحه وذكر أنه توفي وهو ابن ثمان وستين سنة

٢٧٣ - أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس الغساني الفقيه المالكي المعروف بابن قبيس من أهل داريا ذكر لي ابنه أبو الحسن الفقيه أن أصلهم من الثغور وأن جدهم محمدا سكن داريا سمع أبا محمد بن أبي نصر وعبد الوهاب الميداني وأبا علي الحسن بن علي الكفرطابي (١) والقاضي عبد الوهاب بن علي المالكي وأبا الحسن عبد الرحمن بن محمد بن ياسر الجوبري (٢) وأبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المري وأبا القاسم عبد العزيز بن علي الشهروزي وأبا الحسن علي بن حمدان البلخي روى عنه أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الدهستاني وكناه أبو منصور ووهم في ذلك وحدثنا عنه ابنه أبو الحسن وأبو الحسن الفقيه وأبو محمد بن الأكفاني أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور وعلي بن المسلم الفقيهان قالا أنا أبو العباس أحمد بن منصور الفقيه أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا خيثمة بن سليمان أنا العباس بن الوليد أخبرني أبي نا الأوزاعي حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتبع الدجال سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة

---

(١) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني السمعاني، عبد الكريم ص/١٥٩٦

[١٣٩٧] سمعت أبا الحسن بن قبيس يقول كان والدي رحمه الله يقول لست أعرف مولدي

---

(١) ضبطت عن الانساب وهذه النسبة إلى كفر طاب بلدة من بلاد الشام عند معرة النعمان بين حلب وحماه

(٢) الجوبري هذه النسبة إلى جوبر: قرية من قرى دمشق

(الانساب) وذكره السمعاني باسم: عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن ياسر الجوبري أبو الحسن." [١]

"القاسم قيل له كتب إليك أبو القاسم بن ذكر قال سمعت الشيخ أبا بكر الهلالي يقول كلما بلغه عن بخيت (١) بن أبي عبيد البسري قال كان والدي أبو عبيد في المحرس الغربي بعكا في ليلة النصف من شعبان في الطاقة الغربية من الرواق القبلي وأنا في الرواق الشامي في طاقة أنظر إلى البحر فبينا أنا أنظر إلى البحر إذا أنا بشخص يمشي على الماء ثم بعد الماء مشى على الهواء حتى جاء إلى والدي أبي عبيد فدخل من طاقته التي هو فيها ينظر فيها (٢) فجلس معه مليا يتحادثان ثم قام والدي فودعه ورجع الرجل من حيث جاء يمشي في الهواء فقمت إلى والدي فقلت له يا أبه من هذا الذي كان عندك يمشي على الماء ثم من بعد الماء على الهواء فقال يا بني وهل رأيته قلت نعم يا أبه قال الحمد لله رب العالمين الذي سرني بك وبنظرك له يا بني هذا أبو العباس الخضر عليه السلام يا بني نحن في الدنيا سبعة ستة يجيئون إلى أبيك وابوك م‍ا يمضي إلى واحد منهم قال ابن ذكر وحدثني أبو محمد المرعشي رفع إلى أبي زرعة قال قال أبو زرعة يوما لأبي عبيد محمد بن حسان البسري يا أستاذ أنا أحبك شديد المحبة فقال له أبو عبيد مثل أيش تحبني فقال لو أمر بك ربك إلى النار وأمر بي إلى الجنة لأفتديتك بنفسي فقال له أبو عبيد أنا أحبك أشد من هذا فقال أبو زرعة أيش أشد من هذا فقال أبو عبيد أنا أعرف بالله منك قرأت على أبي الحسين أحمد بن كامل عن ابي القاسم عبد الرحمن بن علي بن القاسم الصوري أنبأنا أبو بكر محمد بن علي الخطيب حدثنا علي بن محمد الحنائي حدثنا عبدان أبن عمر المنبجي حدثنا أبو بكر محمد بن داود الدينوري قال سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت ابن أبي عبيد عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال يا رب أعرنا إياه حتى نرجع إلى بسرى (٣) يعني

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١/٦

(١) بالاصل: نحيب وفي " ز " ود: نجيب وفي معجم البلدان (بسر) : " نجيب " والمثبت والضبط: بخيت أوله باء مضمومة وبعدها خاء معجمة مفتوحة وآخره تاء معجمة باثنتين من فوقها عن الاكمال ١ / ٢١٠

(٢) كذا بالاصل: " ينظر فيها " وفي د و " ز ": ينظر إلى البحر

(٣) كذا بالاصل: " بسري " وفي د و " ز ": " بسر " وكله تصحيف والصواب: " بسر " كما في معجم البلدان وقد مرت صوابا في أول الترجمة." [١]

"الحجاج بن رشدين ومحمد بن مشكان الأنطاكي وعبد الله بن أحمد بن أبي مسرة المكي وإبراهيم بن الهيثم البلدي ويحيى بن أبي طالب (١) ومحمد بن الجهم السمري (٢) وإبراهيم بن الحسين وإبراهيم بن نصر الهمدانيين روى عنه أبو الحسن الدارقطني وأبو الحسين بن البواب وعلي بن الحسن القاضي أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا (٣) البنا قالا أنبأنا أبو الحسين بن الآنبوسي أنبأنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا محمد بن الحسين بن سعيد الهمذاني (٤) حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا عثمان بن قائد حدثنا بكر ابن خنيس (٥) عن حصين بن عبد الرحمن عن عمارة بن روبية عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعلموا ما شئتم فإن الله لن ينفعكم به حتى تعملوا

[١١٠٥٥] أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الحسن علي بن أحمد قالا حدثنا و (٦) أبو منصور بن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب (٧) أنبأنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمداني (٨) حدثنا صالح بن أحمد الحافظ قال محمد بن الحسين بن سعيد بن أبان أبو جعفر ويعرف بالطيان روى عن محمد بن الجهم السمري وإبراهيم بن الهيثم البلدي ويحيى بن أبي طالب وعبد الله بن أبي مسرة (٩) وإبراهيم بن نصر وكان جار أبي عبد الله ابن بلبل (١٠) ومصلاة في مسجدة ويحدث فيه ولم يسمع منه شيئا وتركنا الكتابة عنه في هوى عبد الرحمن بن حمدان وكان عبد الرحمن يسئ القول فيه في سماع المسند لإبراهيم ابن نصر وهو يتكلم في عبد الرحمن ويفرط **وكان والدي** يندم على تركنا الكتابة عنه والسماع منه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٦٣

(٢) هو يحيى بن أبي طالب جعفر بن عبد الله بن الزبرقان أبو بكر البغدادي ترجمته في سير أعلام النبلاء

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨٥/٥٢

١٢ / ٦١٩

(٣) في د: أنبأنا تصحيف

(٤) في د هنا: الهمداني تصحيف

(٥) بالاصل ود: حنيس تصحيف ترجمته في تهذيب الكمال ٣ / ١٣٤

(٦) زيادة عن د لتقويم السند

(٧) رواه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ٢ / ٢٣٩

(٨) كذا بالاصل ود وفي تاريخ بغداد: الهمذاني

(٩) بالاصل ود: ميسرة والمثبت عن تاريخ بغداد

(١٠) في د وتاريخ بغداد: بليل وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زياد أبو عبد الله ابن بلبل الواسطي الهمذاني ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٣٤." [١]

"وأفامية (١) وكفر طاب وقدم دمشق من اطرابلس (٢) لأخذ أبيه حصن الدولة بن منزو إلى أبي الحسن بن عمار لما تزوجها ذكر لي الأمير أبو المغيث منقذ بن مرشد بن منقذ أنه كان جوادا كريما شجاعا صواما قواما وكان بارا بأبيه حسن الفعل معه حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي سلامة مرشد بن علي قال مات جدي الأمير أبو الحسن وتولى الأمر بعده عمي عز الدولة أبو المرهف نصر وهو الذي ربى إخوته وكان نصر من زهاد المسلمين وأهل القرآن وكان له شعر في الزهد وكان برا بوالده فعمل فيه والده جزى الله نصرا خير ما جزيت به * رجال قضوا فرض العلا وتنفلوا هو الولد البر اللطيف فإن رمى * به حادث فهو الحمام المعجل سألقاك يوم الحشر أبيض واضحا * وأشكر عند الله ما كنت تفعل * وهي عدة أبيات زادني فيها أبو المغيث عن أبيه لجده إلى الله أشكو من فراقك لوعة * ثبتت في الأحشاء يوم تزلزل تفديك يا نصر رجال محلهم * من المجد والإحسان أن يتقولوا * وحدثنا أبو عبد الله قال ولما مرض عز الدولة (٣) ما كان له من شعر فمن ذلك ما **كان والدي** يحفظه حين أتته أمشاط من مصر آبنوس وعاج فأنشده (٤) كنت أستعمل البياض في الأمشاط * عجبا بلمتي وشبابي فاتخذت السواد في حالة الشيب * سلوا عن الصبا بالتصابي * انشدني أبو المظفر اسامة بن المرشد بن علي الكناني وكتبه لي بخطه انشدني والدي أبو سلامة مرشد بن علي انشدني اخي أبو المظفر نصر لنفسه

كنت استعمل البياض من الامشاط * عجبا بلمتي وشبابي فاتخذت السواد في حالة الشيب * سلو عن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٤٢/٥٢

---

(١) أقامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ويسميها فامية (معجم البلدان)

(٢) في " ز ": الطرابلسي

(٣) غير مقروءة بالاصل وتقرأ في م و " ز ": غسل

(٤) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم واستدرك عن " ز "." [١]

"روى عنه مطر بن العلاء الفزاري الغداني أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر العمري قال أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي شريح الأنصاري قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرزاني أنا أبو أحمد حميد بن زنجويه النسوي نا أبو أيوب ثنا مطر (١) بن العلاء الفزاري حدثني أبو سليمان الحرستاني قال أتيت أنس بن مالك فسمعته يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قال حين يصبح وحين يمسي وحين يصبح أربع مرات اللهم إني أشهدك وملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أربعا غدوة وأربعا عشيا ثم مات دخل الجنة أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر وأبو تراب حيدرة بن أحمد إذنا قالا أنا علي بن الحسين بن أحمد بن صصري أنا تمام بن محمد أنا أبو الميمون نا أبو الأصبع عبد العزيز بن سعيد الهاشمي نا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن ثنا مطر بن العلاء الفزاري نا أبو سليمان الحرستاني قال كان والدي مع أنس بن مالك بنيسابور إذ كان عليها واليا أميرا فتوفي والدي وجعل وصيته إلى أنس بن مالك وقد احتلمت فدفع إلي ما ترك أبي فسمعته هو يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قال حين يصبح وحين يمسي أربع مرات اللهم إني أشهدك وملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أربعا غدوة وأربعا عشية ثم مات دخل الجنة رواه أبو الحسن علي بن داود (٢) أبي وقال أبو سليمان الحرشاوي أنبأنا أبو جعفر بن أبي علي أنا أبو بكر الصفار أنا أحمد بن علي بن منجويه أنا أبو أحمد قال أبو سليمان الخراساني سمع أنس بن مالك قاله البخاري

٨٥٧٧ - أبو سليمان القرشي العامري ثم البسري من ولد بسر أبي أرطاة (٣)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧/٦٢

(١) بالاصل: مطرف

(٢) زيادة عن مختصري ابن منظور وأبي شامة

(٣) كلمة غير مقروءة بالاصل." [١]

"**كان والدي** في سكرة الموت يقول لي: يا أبا عبد الله، ما لي في الدنيا حسرة غير أني مشيت في ركاب الشيوخ، وترددت إلى مجالسهم، وسافرت إلى أماكنهم بالحجاز واليمن والشام وديار مصر وغيرها. وها أنا أموت ولم يؤخذ عني كل ما سمعته على الوجه الذي أردته «١» .

قال: وكان أبي من الثقات خيرا كثير المعروف. ذكر أنه حج سنة أربع عشرة، وأنه دخل اليمن وسمع بها، وقرأ القرآن بمكة ودمشق وغيرهما وانتقل إلى الاسكندرية في قحط مصر.

وتوفي بها سنة إحدى وتسعين وأربعمئة.

قال الحافظ: قرأت بخط غيث بن علي بن عبد السلام الصوري:

سألت شيخنا أبا العباس أحمد بن إبراهيم الرازي عن مولده فذكر أن له نيفا وستين سنة. قال: وكان سؤالي إياه في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين باسكندرية.

[محدث الثغر، ووالد صاحب السداسيات] «٢» .

[حج «٣» سنة أربع عشرة وأربعمئة، ودخل اليمن.

وسمع بمصر شعيب بن عبد الله بن المنهال وطبقته، ثم سمع ولده من ابن حمصة وابن الطفال، وعدة. وسمع هو بدمشق من علي ابن السمسار، وتلا على الحسين بن عامر، وتلا بمكة بروايات على أبي عبد الله الكارزيني، وانتقل إلى الاسكندرية في القحط الكائن في قرب سنة ستين وأربعمئة، وقرؤوا عليه كثيرا. وكتب عنه الحافظ أبو زكريا البخاري، ومكي الرميلي، وغيث الأرمنازي، وعبد المحسن الشيحي، وسمع عليه ابنه أبو عبد الله الشاهد الكثير بالاسكندرية وبمصر.

قال السلفي: كان خيرا، من الثقات، كثير المعروف] «٤» .." [٢]

"كما يؤمر، وبين الحالين بون بعيد. وكيف جرى الأمر فهما هما، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما. ومما يدل على إناخة كلكل الزمان عليه، وصرف صروفه بعد النباهة إليه، فصل كتبه إلى صديق له يستميحه وهو [١] : «ولما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطرف، وتجحف بعد التحيف، وصادف ما تجدد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٩/٦٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١/٧١

علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة، وعظاما مبرية، وحشاشة مشفية، وبقية مودية، جعلت أختار الجهات، وأعتام الجنبات، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل، ولا يخيب آمله إذا أمل، وكان سيدي أولها إذا عددت وأولاها إذا اعتمدت، وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي، يتظلم منها إذ تخطه، إشفاقا على مائه مما يريقه، لولا الثقة بأنه يحقن مياه الوجوه ويحميها، ويجمها ولا يقذيها» .

فصل من كتاب إلى عضد الدولة في تهنئة بتحويل سنته [٢] : «أسأل الله مبتهلا لديه، مادا يدي إليه، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات، والزيادات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفيا [٣] على المتقدم له، قاصرا عن المتأخر عنه، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزا منصورا، محميا موفورا [٤] باسطا يده فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد، ساميا طرفه فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك، فائزة قداحه فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحة، وتسمو له همته طامحة» .

وحدث هلال بن المحسن، حدثني جدي أبو إسحاق- ثم وجدت هذا الخبر بخط المحسن بن ابراهيم- قال حدثني والدي أبو إسحاق قال: **كان والدي** أبو الحسن يلزمني في الحداثة والصبا قراءة كتب الطب والتحلي بصناعته، وينهاني عن التعرض

---

[١] اليتيمة ٢: ٢٥١ والمختار من رسائل الصابي: ٢٨١- ٢٨٢.

[٢] اليتيمة ٢: ٢٤٧.

[٣] م: موفرا.

[4] م: منصورا.." (١)

"مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن ثبت بن جميل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، بن ليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر، فطرة الله عز وجل. ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة، ولدت بدرب فيروز في الدار المعروفة الآن بورثة ابن الثقفي القاضي عز

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٤٢/١

الدين، قاضي القضاة رحمه الله، **وكان والدي** يومئذ كاتب الزمام في الأيام المستظهرية وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدة. وكنت منذ نشأت ختمت القرآن وقرأته للعشرة على المرزوقي رحمه الله الأمين أبي بكر، أنا وحجة الإسلام أبو محمد إسماعيل بن الجواليقي وفقه الله، وكنا نترافق حين الحداثة في القراءة على الشيوخ، ويتكثر بعضنا ببعض ونتعاضد في القراءة. وكتبت الخط على أبي سعيد الحسن بن منصور أبي الحسن الجزري رحمه الله، وكان صالحا أديبا صائم الدهر عالما في فنون من العلم فقيها، **وكان والدي** يؤثرني من دون إخواني لما يراه من اشتغالي بالعلم، فإنني منذ انفصلت من المكتب رجعت بقراءة النحو واللغة إلى شيخنا أوحد الزمان أبي منصور ابن الجواليقي رحمه الله، وصحبته إحدى عشرة سنة، وقرأت عليه كتبا كثيرة من حفظي وغير حفظي، حتى توليت القضاء سنة أربع وثلاثين وخمسمائة» .

«وكان الحكم والقضاء على دجيل إلى والدي المقدم ذكره مضافا إلى الخطابة، فحين ولي أمر ديوان الزمام ببغداد رد القضاء إلى ولده هبة الله الملقب بتاج العلى، وكان يخاطب من الديوان العزيز مجده الله بالأجل الأوحد زين الإسلام نجم الكفاة تاج العلى جمال الشرف مجد القضاة عين الكفاة، وكان بعد ذلك أضيف إليه نظر دجيل أجمع مع المخزنيات، وكان ذا سطوة وشجاعة، وثروة كبيرة، ومماليك من الأتراك والاماء والعبيد، والقرايا والأملاك، والرياسة التامة، والصيت والذكر الجميل بين العرب والعجم، وكان له معروف كبير ودار مضيف بحربي [١] يجتمع إليها أمراء

---

[١] حربي: اسم قرية بين بغداد وتكريت.." (١)

"تصنيف «كتاب دمية القصر» في جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة، وانه هو بدأ بتصنيف الوشاح في غرة جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وفرغ منه في رمضان سنة خمس وثلاثين.

وأنشد لنفسه في «كتاب الوشاح» أشعارا، منها في مخلص الدين أبي الفضل محمد بن عاصم كاتب الإنشاء في ديوان السلطان سنجر، قال: وهو ابن أخت أبي إسماعيل الطغرائي «١» :

كريم على أوج النجوم علاه ... وأيقظ نوام المديح نداه «٢»

سرى واهتدى طبعي بنجم كماله ... وأحمد في وقت الصباح سراه

له روضة أبدت من الفضل نرجسا ... وغصنا من الإقبال طاب جناه

أعاد رضاع القلب في رحل ورده ... وغادر في قلبي ضواع هواه

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤٤٩/١

تفرق أشجان الأفاضل يمنة ... ويجمع كل الصيد جوف فراه

لقد زرت أشراف الزمان وإنما ... أبى الفضل إلا أن أزور فناه

وذكره العماد الأصفهاني في «كتاب الخريدة» ووصفه بالرياسة والشرف وقال:

حدثني والدي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذات يوم وشرف الدين البيهقي قد قصده في مركبه، وهو حينئذ والي الري، ونقله إلى منزله، وتكفل بتسديد خلله، وكان حينئذ يترشح لوزارة السلطان، وهو كبير الشان، وما زالا بالري مقيمين متوانسين، حتى فرق بينهما محتوم البين، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

قال: وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية، **وكان والدي** يثني عليه أبدا ويقول: إنه ما نظر إلى نظيره ولا مثلت لعينه عين مثله. صنف «كتاب وشاح الدمية» ذيله على كتاب أبي الحسن الباخرزي، وهو موجود بخراسان، وأورد فيه لنفسه:

تراجعت الأمور على قفاها ... كما يتراجع البغل الرموح

وتستبق الحوادث مقدمات ... كما يتقدم الكبش النطوح." (١)

"بهذا السبب ألف ألف درهم أو ما يقاربها.

وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة، وكان ينوب بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعة من الكتاب، وكان حسن الخط على طريقة ابن مقلة، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلبا للراحة ونظرا في مصالحه، فطلب من السلطان إذنا فقال: يحتاج في ذلك إلى إذن صاحبك، فكتب العماد إلى القاضي يلتمس غيره ليؤذن له فقد طاعت غيبته عن أهله، فكتب القاضي في الجواب كتابا يقول فيه: وأما التماس العوض عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره، وهو ذو لسان صهصلق منطيق، وخاطر ينفق في سعة كل مضيق؟

وكتب إلى القاضي الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميل على جوانبه كأنا ... إذا ملنا نميل على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه:

فديتك من مائل كالغصون ... إذا ملن أدنين مني الثمارا

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٧٦٤/٤

وتزهد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة.

وحدثني- أدام الله علوه- قال: حججت في موسم سنة ثمان وستمائة «١» ، **وكان والدي** في صحبتي، فصادفت بمكة جماعة من أهل بلدنا، وكنت بعيد العهد بلقاء أحد منهم، فرآني رجل فالتحق بي كما جرت العادة، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاءوا هم إلى منزلنا فقضوا حقنا بالسلام والسؤال والحرمة، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كل واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له، وكان فيما جاؤونا به ظرف كبير مملوء عسلا وآخر سمنا على جمل وهو وقره، فألقاه في خيمتنا، فأمرت الغلمان أن يعملوا منه حيسا فيكثروا على عادة تلك البلاد، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت، فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف وإذا رجل شديد الأدمة مشوه الخلقة، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم." (١)

"موته، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها، وأكثر السماع على الشيخ الشريف افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة وفي سنة ثمان وستمائة، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضا، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن في النوبتين كثيرا من مسموعاته.

حدثني كمال الدين أدام الله معاليه قال، قال لي والدي: احفظ «اللمع» حتى أعطيك كذا وكذا، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ وهو الضياء بن دهن الحصى ثم قال لي: احفظ «القدوري» حتى أهب لك كذا وكذا- لدراهم كثيرة أيضا، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود، **وكان والدي** رحمه الله يحرضني على ذلك ويتولى صقل الكاغد لي بنفسه، فإني لأذكر مرة، وقد خرجنا إلى ضيعة لنا، فأمرني بالتجويد فقلت: ليس هاهنا كاغد جيد، فأخذ بنفسه كاغدا كان معنا رديا وتناول شربة اسفيذر، وكانت معنا، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي:

اكتب، ولم يكن خطه بالجيد وإنما كان يعرف أصول الخط، فكان يقول لي: هذا جيد وهذا رديء، وكان عنده خط ابن البواب، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنت منه ما أردت، ولم أكتب على أحد مشهور، إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي، ورد إلينا إلى حلب، فكتبت عليه أياما قلائل لم يحصل منه فيها طائل، ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوجني بقوم من أعيان أهل حلب، وساق إليهم ما جرت العادة بتقدمته في مثل ذلك، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيق صدري منهم، فوهب لهم الوالد جميع ما

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٠٣٣/٥

كان ساقه إليهم وطلقتهم، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي، وهو شيخ أصحاب الشافعي، وأعظم أهل حلب منزلة وقدرا ومالا وحالا وجاها، وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان، **وكان والدي** رحمه الله بارا بي لم يكن يلتذ بشيء من الدنيا التذاذه بالنظر في مصالحي، وكان يقول: اشتهي أرى لك ولدا ذكرا يمشي، فولد أحمد ولدي ورآه، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت، فيوم مات مشى الطفل حتى وقع في صدره، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي وما حضرت مجلسه قط فما أقبل على أحد إقباله علي مع صغر السن،." (١)

"والأدب حافظ متقن **كان والدي** يقول ما رأيت بالعراق من يعرف الحديث ويفهمه غير اثنين إسماعيل الجوزي بأصبهان والمؤتمن بن أحمد ببغداد ثم قال أبو سعد ذكر لي أن مولده في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم عيد الأضحى من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

قلت وحدثنا عنه بأصبهان جماعة منهم أبو مسلم بن عبد الرحمن بن الأخوة وزاهر بن أحمد الثقفي أبو المجد الضرير وفضل الله بن عثمان الجوزداني وغيرهم.

أخبرنا أبو نجيح فضل الله بن عثمان بأصبهان قال أنبأ إسماعيل بن محمد بن الفضل إملاء في صفر من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة قال أنبأ أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ببغداد قال أنبأ محمد بن عمر بن علي بن خلف قال أنبأ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا أحمد بن حنبل وجدي وزهير بن حارث وسريج بن يونس وابن المقرئ قالوا ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عم ابن عمر قال مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل يعظ أخاه في الحياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحياء من الإيمان" ١.

٢٤٨- إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو القا بن أبي بكر ابن السمرقندي.

ولد بدمشق يوم الجمعة رابع شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربعمائة وسمع بها من جماعة منهم عبد العزيز بن أحمد الكتاني وأحمد بن منصور بن قبيس والحافظ أبي بكر الخطيب وغيرهم وببغداد من

---

١ أخرجه مسلم في صحيحة: كتاب الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، والترمذي في سننه أبواب الإيمان: باب ماجاء في الحياء من الإيمان، وابن ماجه في سننه: المقدمة: باب في الإيمان.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٠٨٥/٥

راجع ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ٨٥/١٩، المنتظم ٩٨/١٠، الكامل ٩٠/١١، الوافي بالوفيات ٨٨/٩، سير أعلام النبلاء ٢٨/٢٠، ذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد:٧٢، شذرات الذهب ١١٢/٤، تهذيب ابن عساكر ١٣/٣.-٢٤٨." (١)

"عثمان الصوف النيسابوري المعروف بالعيار.

حدث عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبي الفضل عبيد الله بن محمد الفامي والحسن بن أحمد المخلدي وأحمد بن محمد بن عمر الخفاف ومحمد بن محمد بن الحسن بن هانئ البزار وحدث بصحيح البخاري عن أبي علي محمد بن عمر بن شبويه وسماعه منه في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

حدث عنه أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي وزاهر بن طاهر الشحامي وأبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي وغيرهم من اهل نيسابور وانتقى عليه الحافظ أبو بكر بن الحسين البيهقي ورحل إلى أصبهان فحدث بها فروى عنه من اهلها الحسين بن عبد الملك الخلال وسعيد بن أبي الرجا الصيرفي وغانم بن أحمد الجلودي وفاطمة بنت محمد بن الحسن البغدادي والحسين بن طلحة بن الحسين ابن أبي ذر الصالحاني وعتيق بن الحسين الرويدشتي وغيرهم.

قال عبد الغافر بن إسماعيل في تاريخ نيسابور سعيد بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن نعيم بن أشكاب سمع من شيوخ خراسان معروف بالحديث سمع صحيح البخاري من أبي علي الشبوبي بمرو وحدث بنيسابور سمع من أبي طاهر ابن خزيمة والمخلدي وأبي بكر بن هانيء وأبي الفضل الفامي والجوزقي والخفاف واشريحي وطبقتهم توفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة زاد غيره في ربيع الأول بغزنه.

حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الجبلي الحافظ قال أنبأ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي في كتابه قال سمعت الشيخ الإمام أبا بكر محمد بن منصور السمعاني ببغداد يقول سمعت صالح بن أبي صالح المؤذن بنيسابور يقول **كان والدي** سيىء الرأي في سعيد بن أبي سعيد العيار الصوفي ويتكلم فيه ويطعن فيما روى عن بشر الإسفرائيني خاصة وذكر ابن السمعاني قصة ذهبت علي.

أخبرنا محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله المضري بأصبهان قال:." (٢)

---

(١) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ابن نقطة ص/٢١١

(٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ابن نقطة ص/٢٨٩

"والد المؤرخ ابن خلكان- وذكر سكناه في اربل وتدريسه بها حتى وفاته في رمضان سنة ٦٠٩ باربل. اما الفاسي (العقد ٢٨٥/٦) فقد ذكر وفاته سنة ٦٠٧. كذلك ترجم له المنذري (تكملة ٣٥/٤) وذكر وفاته باربل في ١٣ رمضان سنة ٦٠٩، واشار الى تدريسه بالمدرسة المجاهدية باربل وتحديثه بمكة واربل، كما ذكر شيوخه. ويبدو ان معظم هذه المعلومات منقولة عن «تاريخ اربل» لانه اقدم مرجع ترجم له، علما بابن اخيه، ابن خلكان لم يترجم له. وله ترجمة ايضا في «طبقات الاسنوي» ٤٩٥/١.

٢- ورد في «الفوائد البهية» ص ١٢ حاشية، ان عبد القادر العيدروس نقل في «النوع السافر في اخبار القرن العاشر» عن قطب الدين المكي انه قال ان لفظ «خلكان» ضبط على صورة الفعلين «خل» امر من خلى اي ترك، و «كان» ، وان سبب تسميته بذلك انه كان كثيرا يقول «**كان والدي** كذا، **كان والدي** كذا» فقيل «خل كان» . ثم قال «ورأيت من ضبطه بسكون اللام والباقي على حاله» . وفي «طبقات الشافعية» لابن شهبة (انظر طبقات الاسنوي ٤٩٥/١) ان «خلكان» قرية من عمل اربل (وعلق على ذلك المحقق الجبوري بقوله بان القرية لا زالت موجودة في قضاء رانية التابعة للواء السليماني) وهو وهم من الاسنوي- على حد قول ابن شهبة- وانما هو اسم لبعض اجداده. اه. ويبدو ان الصحيح هو ما ذكره ابن المستوفي- وهو الاربلي العريق- من ان النسبة هي الى قرية معروفة بجده منسوبة إليه على طريق النسبة الكردية. والظاهر ان احد اجداده كان يدعى «خل» وهو اسم معروف، فنسبت اليه القرية وصارت «خلكان» .

هذا ووجد عشيرة كردية تسمى «خالكاني» مؤلف من ٤٠٠ أسرة وهي نصف رحالة، قادمة بالاصل من منطقة راوندوز (وهي من اعمال اربل) وتسكن حاليا غربي بحيرة قوجحصار (هي دنيسر) وفقا لما ذكر امين زكي." (١)

"ورجع، وأحضر إلي تلك الغضارة بعينها، فقلت: ما هذه؟ فقال: هذه احضرها إلي الشيخ أبو الحسين وفيها العجة مع الخبز.

قال لي أحمد بن يحيى: وحدثتني عمتي المذكورة قالت: أخبرني أخي، بعض ولد الشيخ أبى الحسين قال: **كان والدي** أبو الحسين يجمع قشور البطيخ التي تلقي فيجعلها في قدر، ويأخذ مغرفة ويحركها ويخرجها فنأكلها، فنجدها من أطيب الأطعمة، فلما توفي الشيخ عمد بعض ولده ففعل مثل ما كان يفعل، فلم يطق أحد أن يأكلها، فقال بعضهم: القشور القشور، والقدر القدر، والمغرفة المغرفة، ولكن اليد التي كانت

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٤٧٣/٢

تحركها ليست اليد. (٧٠- ظ) .

سمعت سيف الدين موسى بن شيخنا محمد بن راجح المقدسي يقول لي بحلب:

حكى لي الفقيه يعقوب الزنكلوني، من أصحاب الشيخ عثمان بن مرزوق عن صاحب الشيخ أبي الحسين الزاهد أنه قال: سافرت أنا والشيخ أبو الحسين رحمه الله من غزة إلى عسقلان، فاشتد بنا الحر وعطشنا، فقال لي: يا فـلان تجيء حتى تزرع مقثأة؟ فقلت له: مبارك، فقال: أيما أحب إليك تحفر أم تزرع؟ فقلت: أحفر والشيخ يزرع، فحفرت له جوبا «١» كثيرة وهو يطرح في كل جوبة حصاتين من الأرض، إلى أن زرعنا شيئا كثيرا، ثم انتقلنا فاستظللنا تحت شجرة بعيدا عن الموضع، فقال لي بعد ساعة: يا فلان، اذهب فآتنا من المقثاة ببطيخ، فذهبت فلم أر شيئا، فجئت معه فأقبلنا على المقثاة فإذا هي كلها لجة خضراء، فيها من البطيخ شيء كثير كبار وصغار، فأكلنا حتى شبعنا، ثم أخذ من ذلك البطيخ فوضعه في الخرج على الدابة، وحملناه معنا إلى عسقلان، وكان قد أصاب أهل عسقلان مرض، فما أكل أحد من أهل عسقلان قطعة إلا وبرأ من ذلك المرض.

قال لي موسى: وحكت لي ستي أم الشيخ عمر زوجة الشيخ أبو عمر قالت:

جاء الشيخ أبو الحسين إلينا ليلا بمردا قرية من نابلس، في وقت بارد (٧١- و) فقعد عند جماعتنا ساعة وبين أيديهم نار يصطلون بها، ثم نهض قائما. فقالوا له:

يا سيدي أين تمشي في هذا الوقت المظلم البارد؟ فقال: أنا آخذ من هذه النار." (١)

"هؤلاء ملائكة قد نزلوا من السماء لنصرة الاسلام، وقيل للباب الآخر هذا الباب الاخر باب رحمة له سنين لم يفتح، وقد فتح الآن لتنزل منه الرحمة على الناس.

أخبرني أبو العباس بن عبد الواحد قال: أخبرني شخص من كبار الصالحين يعرف بعمر بن الزغب أنه كان مجاورا بالمدينة المقدسة، وأنه خرج في بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع الإمامية فيه لقراءة المصرع الى قبة العباس، فسأل شيئا في محبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما جرت عادة السؤال، فقال له رجل شيخ من الحاضرين: اجلس حتى تفرغ، فلما فرغوا أخذه الى داره وسلط عبدين له عليه، فكتفاه وأوجعاه ضربا، ثم قطع لسانه، وقال: اخرج الى الذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك، فجاء وهو مقطوع اللسان تجاه الحجرة المقدسة يستغيث ويقول:

يا رسول الله تعلم ما قد جرى علي في محبة صاحبك، فإن كان صاحبك (٢٤٤ ظ) على حق أحب أن

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٤١٨/١٠

يرجع الي لساني، فإن لم يرجع الى لساني وإلا شككت في ايماني، قال: فبينما هو في أثناء الليل إذ استيقظ فوجد لسانه في فيه كما كان قبل قطعه، ثم عاد في مثل ذلك اليوم في العام المقبل الى القبة المذكورة، وقام وقال: أريد في محبة أبي بكر الصديق دينارا مصريا، فقال له حدث من الحاضرين اقعد حتى تفرغ، فلما فرغوا أتى به ذلك الحدث الى تلك الدار التي قطع فيها لسانه فأدخله إليها وأجلسه في مكان مفروش وأحضر له طبق طعام وواكله واستزاده في الأكل حتى اكتفى، ثم رفع الطعام وفتح بيتا، وجعل الفتى يبكي، فقام عمر المذكور لينظر سبب بكائه، فرأى قردا مربوطا عنده وهو ينظر إليه ويبكي، فسأله عن ذلك، فازداد بكاؤه وارتفع نحيبه، ثم سكنه حتى سكن، وسأله عن ذلك القرد ما هو، فقال لي: إن حلفت لي أنك لا تحكي هذه الحكاية في المدينة المقدسة أخبرتك، فحلف له بما استحلفه أنه لا يخبر بها أحد في المدينة النبوية، فقال له: اعلم أنه أتانا شخص في العام الماضي وطلب شيئا في قبة العباس التي أتيت إلينا العام فيها، وسأل شيئا في محبة أبي بكر الصديق **وكان والدي** من فقهاء الإمامية وعلماء الشيعة ممن يرجع الى فتياه وقوله في." (١)

"ولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسمائة في دولة الملك الصالح اسماعيل بن محمود بن زنكي، ومن بعده في دولة عز الدين مسعود بن مودود، ودولة عماد الدين زنكي بن مودود، وصدرا من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فانتقلت المناصب الدينية بحكم المذهب من الحنفية إلى الشافعية «١» ، فعزل والدي عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، ووليه القاضي محي الدين محمد بن علي قاضي دمشق.

وكان عمي أبو غانم إذ ذاك مجاورا بمكة حرسها الله، فحج والدي تلك السنة، واجتمع به بمكة، وعاد إلى حلب.

وكان والدي قبل ولايته القضاء قد ولي الخطابة بقلعة حلب في أيام نور الدين محمود بن زنكي، وخطب بالمسجد الجامع بحلب في أيام ولده الملك الصالح اسماعيل نيابة عن أخيه أبي غانم، وولي أيضا قبل ولايته القضاء في أيام الملك الصالح خزانة بيت المال.

وكان رحمه الله حسن السيرة في أحكامه، جاريا فيها على أحسن قانون، متحريا في قضاياه، مقيما لناموس الشريعة المطهرة؛ وكان رحمه الله يقول لي:

يا بني والله ما (١١٠- ظ) أوثر لك أن تتولى القضاء، فإن عرض عليك لا تتوله فإنني ما استرحت منذ

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٠٢١/٢

وليته حتى تركته، ولكني أوثر أن تكون مدرسا، وأن تتولى مدرسة الحلاويين، فقدر الله تعالى أن وفقني لما كان يؤثره لي بعد وفاته.

وكان رحمه الله قد سمع أباه القاضي أبا الفضل هبة الله بن محمد بن أبي جرادة، وأبا المظفر سعيد بن سهيل بن محمد الفلكي وزير خوارزم، والشيخ أبا زكريا يحيى ابن المنصور الزاهد المغربي، وأبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن جزي الأندلسي والشيخ محمد بن علي بن محمد الترمذي؛ وحدث عن هؤلاء، وسمع جماعة من شيوخنا مثل: يحيى بن عقيل بن شريف بن رفاعة السعدي، وأبي اليمن الكندي، وأبي علي الأوقي، وأبي عبد الله الدربندي، وجماعة غيرهم، وكان يحضر قراءتي عليهم.." (١)

"اجتمعت به في البيت المقدس، وشاهدت منه وليا من أولياء الله تعالى، قد أجمع الناس كلهم قاطبة على خيره وصلاحه، صائم النهار قائم الليل، قد أثرت العبادة وقيام الليل في بدنه، نحيل البدن مصفر اللون، ذابل الشفتين، منقطع الى الله مستغن عن الناس، معرض عن الدنيا وزخرفها، دخل الشام ومر بحلب مجتازا في طريقه الى الديار المصرية في سنة سبعين وخمسمائة في دولة الملك الصالح اسماعيل ابن محمود بن زنكي، وأقام بالاسكندرية، وصحب بها الحافظ أبا طاهر السلفي وخدمه، وسمع (١٥٨- ظ) منه الكثير، وسمع من غيره من شيوخ الاسكندرية، مثل أبي الجيوش عساكر بن علي بن نصر المقرئ، وأبي المحاسن المشرف بن مؤيد ابن علي الهمداني وغيرهم، وكان سمع بمكة أبا الفضل يونس بن محمد بندار، ورابط بعد ذلك بعكا مدة، ونزل بالخضراء وهي دويرة بناها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بعسقلان، ووقف بها الاجزاء التي سمعها، وأقام بها الى أن خربت، فانتقل الى البيت المقدس، ولزم المسجد الأقصى، وأقام بدويرة الصوفية التي قبلي المسجد الى جانب المحراب، وانقطع الى الله تعالى الى أن سلم البيت المقدس الى الفرنج في سنة ست وعشرين «١» ، وانتقل منه الناس، فلم يبرح مكانه، ولزم موضعه ذلك وعبادته الى أن أدركه أجله رحمه الله، قرأت عليه الكثير من مسموعاته مدة مقامي بالبيت المقدس، وكان والدي رحمه الله يحضر معي مجلس السماع بالمسجد، وذلك في سنة تسع وستمائة، وكانت تعجبه قراءتي الحديث، أول ما حضرت عنده وطلبت السماع منه: قال لي: هاهنا من يحدث غيري فأعدت الطلب منه، فأخرج إلي جزءا، فلما قرأته مال الي وأخرج الي جميع ما كان عنده من مسموعاته، وتطفل «٢» بذلك وكان يجتمع معي جمع وافر للسماع منه رحمه الله.

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الأوقي بالمسجد الأقصى قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٢١١/٣

بن أحمد الأصبهاني بالاسكندرية قال: أخبرنا أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي رئيس أصبهان قال:

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي قال: أخبرنا عبد الله بن يعقوب." (١)

"وقرأ عليه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وانتفع به، ومهر في النحو وكان ينزل ماشيا إليه من قلعة دمشق الى داره، وقرأ عليه جماعة من الشيوخ العلماء، وكان قدم حلب وسكنها مدة واتصل بها بالأمير حسن ابن الداية، ثم سافر عن حلب الى دمشق وخدم بها عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، فنفق عليه (٩٣- ظ) واستوزره، وكان يقارضه بالشعر، ثم اتصل بأخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بعد موته بالديار المصرية، ثم عاد الى دمشق، فأقام بها واتخذ بها دارا وبستانا وملكا يعود عليه نفعه.

وكان حسن الأخلاق، جميل الصورة، تام الخلق والخلق، وكان يكتب خطا حسنا، دخلت إليه داره بدمشق في سنة ثلاث وستمائة مع والدي، وقرأت عليه المقامات الحريرية وغيرها من كتب الأدب، ولما شرعت في فراءة المقامات عليه أعجبته قراءتي وسألني: أتحفظها فقلت له: لا، فمال إلي واعتنى بأمري، وكان يأذن لي كلما جئت إليه، ولما عزمت على العود الى حلب قال لي: اجعل نفسك أن تعود إلينا، فأثر كلامه عندي، وآثرت الرحلة إليه، **وكان والدي** رحمه الله لا يسمح بمفارقتي، الى أن سمح بأن يزور البيت المقدس فاستصحبني معه، ووصلت معه الى دمشق، ودخلت الى الشيخ رحمه الله فقرأت عليه عدة من كتب الأدب والحديث في سنة ثمان وستمائة، ثم عدت من البيت المقدس، وكنت أتردد إليه وأسمع منه بقراءتي عليه وقراءة غيري في سنة تسع وستمائة، وسألته عن مولده فقال- وكتبه لي بخطه- في سنة عشرين وخمسمائة في شعبانها.

وقال لي أبو الحسين يحيى العطار أنه قال له: في الخامس والعشرين منه.

أخبرنا الإمام العلامة أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي- بقراءتي عليه- قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن (٩٤- و) ابراهيم بن عيسى الباقلاني المقرئ قال: حدثنا أبو بكر أحمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٢٨٥/٥

حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبه عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند رسول." [1]

"يا شيبتي دومي ولا تترحلي ... وتيقني أني بوصلك مولع

قد كنت أفزع من حلولك مرة ... فالآن من خوف الترحل أفزع

قال أبو الفتح وسمعته ينشد:

واخجلتني من وقوفي بباب دارهم ... يقول ساكنها من أنت يا رجل

قال أبو الفتح: **كان والدي** يردد هذا البيت ويبكي.

أخبرنا أبو هاشم بن الفضل قال: قال لنا تاج الاسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني: سعد (٢٧٠- و) بن محمد بن جعفر بن ابراهيم الأسد أباذي أبو نصر، ولد بأسد أباذ، ونشأ بحلوان في خدمة الشيخ أبي طالب يحيى بن علي الدسكري، ثم سافر الكثير ورحل في طلب الحديث الى العراق والشام ومصر، وحج تسع حجج، ذكر لي ابنه أبو الفتح ذلك، وتعب في جمع الحديث وأكثر منه، وخرج لنفسه الفوائد والأربعين.

سمع بنيسابور أبا حفص عمر بن أحمد بن مسرور الماوردي، وأبا الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، وأبا عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، وأخاه أبا يعلى اسحاق بن عبد الرحمن، وأبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وأبا سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني، وبحلوان أبا الطيب يحيى بن علي بن الطيب الدسكري، وبميا فارقين أبا الطيب سلامة بن اسحاق بن محمد الآمدي، وأبا مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي، وبعسقلان أبا سعد اسماعيل ابن علي بن الحسن بن المثنى الأستراباذي، وأبا الحسن علي بن صالح بن أحمد الطلانسي، وبصور أبا الفرج عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان الغزال، وبشيراز أبا بكر أحمد بن محمد بن سلمة الصوفي، وأبا الوفاء المسيب بن أبي الحسين الكرميني، وبالرملة أبا الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجمان الصوفي، وبتنيس الحسن بن محمد بن الحسن المروالروذي، وبقزوين أبا يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الحافظ، وبالري أبا علي أحمد بن العباس بن ابراهيم العصاري، وبخوي أبا الفرج سعد بن أحمد بن علي بن ميمون الدينوري، وبدهستان أبا أحمد عبد الحليم (٢٧٠- ظ) بن محمد بن عبد الحليم بن أحمد بن." [2]

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٠٠٤/٩

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٢٦٠/٩

"يوسف المعلم، وبأصبهان أبا طاهر عبد الكريم بن عبد الواحد الحسنأباذي، وبفارس أبا الفتح ناصر بن الخضر الصوفي، وأبا الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي، وبجرجان أبا سعد محمد بن الحسين بن علي بن بهارة البكر أباذي، وبثغر آمد أبا منصور محمد بن أحمد بن القاسم الأصبهاني، وببسطام أبا الفرج صالح بن محمد بن الحسين الخطيب، وجماعة سواهم.

روى لنا عنه ابنه أبو الفتح محمد بن سعد بمرو، وأبو منصور عبد الخالق ابن زاهر بن طاهر الشحامي بنيسابور، وأبو صالح عبد الملك بن أبي سعيد القشيري بطوس، وغيرهم.

سألت أبا الفتح محمد بن سعد بن محمد بن جعفر الأسد أباذي عن مولد أبيه أبي نصر، فقال: كان والدي ابن سبع وتسعين سنة، ففي التقدير مولده سنة سبع وثلاثمائة بأسد أباذ.

وقال: سألت أبا الفتح بن أبي نصر الأسداباذي عن وفاة والده، فقال: توفي في شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببشخوان، احدى قرى نسا رحمه الله.." [١]

"إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧)

﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ يعني الملكين الحافظين ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ التلقي التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن أجل الطوى رماني

أي رماني بأمر كنت منه بريئا وكان والدي منه بريئا واذا منصوب باقرب لما فيه منى يقرب والمعنى إنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك الحكمة وهى مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات." [٢]

"قلباكما. والقول الثاني أن أقل الجمع ثلاثة وهو قول الجمهور العلماء وهو الأصح. إنما حجب العلماء الأم بالأخوين لدليل اتفقوا عليه وهو أن لفظ الاخوة يطلق على الأخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم إن الإخوة إذا حجبوا الأم من الثلث إلى السدس فإنهم لا يرثون شيئا البتة بل يأخذ الأب

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٢٦١/٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٦٤/٣

الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فإن للأم السدس والباقي وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة: وإنما حجب الأخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب شيئا معونة للأب لأنه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الأم من بعد وصية يوصي بها أو دين يعني أن هذه الأنصباء والسهام إنما تقسيم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لأن لفظه أو لا توجب الترتيب. وإنما هي لأحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما إلى الآخر قال علي رضي الله عنه: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين. وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا إجماع على أن الدين مقدم على الوصية والإرث مؤخر عنهما لأن الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة.

قوله تعالى: آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس: إن الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فأطوعكم لله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة، فإن كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده إليه وإن كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله إليه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى:

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه إلى منزلة عالية تكون سببا لرفعته إليها، وقيل إن هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا. فمنكم من يظن أن الأب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون منم يستحق الميراث فريضة من الله يعني ما قدر من المواريث لأهلها فريضة واجبة إن الله كان عليما حكيما يعني كان عليما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الأحكام، وقيل معناه عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة أقوال: أحدها أن الله تعالى كان عليما بالأشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك، الثاني حكى الزجاج عن سيبويه أنه قال: إن القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم إن الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم. الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الأشياء كالخبر بالحال والاستقبال لأن صفات الله تعالى لا

يجوز عليها الزوال والتقلب. قوله عز وجل:

[سورة النساء (٤): آية ١٢]

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم (١٢)

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية." (١)

"نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم في قوله: وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى [النجم: ٣] وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع..

ومن ذلك في التوراة: مولده بمكة أو مسكنه بطيبة وأمته الحمادون، وبيان ذلك أن أمته يقرءون: الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقيل كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال يا بني: قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه وقد قطعتها من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما، فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما، فإن الله يزيدك بهذا خيرا، فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلى من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٣٥٠

فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون الذي يحمدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتتذلل بالتكبير ألسنتهم، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت في نفسي:

والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا وتخوفت ما **كان والدي** حذرني وخوفني من ذكر الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن.." (١)

"ثالثا – رحلاته في طلب العلم

كان الذهبي يتحسر على الرحلة إلى البلدان الأخرى، لما لذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع، ولقاء الحفاظ، والمذاكرة لهم، والاستفادة عنهم (١) .

إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة، بل منعه في بعض الأحيان، قال في ترجمة أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد

اللطيف بن محمد بن وريدة البغدادي الحنبلي شيخ المستنصرية " ٥٩٩ ٦٩٧ (٢) هـ ": " وقد هممت بالرحلة إليه، ثم تركته **لمكان الوالد** (٣) "، وقال في ترجمته من " معرفة القراء الكبار ": " وانفرد عن أقرانه، وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفا من الوالد، فإنه كان يمنعني (٤) "، وقال في ترجمة المكين الأسمر المقرئ الإسكندراني المتوفى سنة ٦٩٢ هـ: " ولما مات شيخنا الفاضلي، فازددت تلهفا وتحسرا على لقيه، ولم يكن الوالد يمكنني من السفر (٥) ".

ولم يكن الذهبي ابنا عاقا يخالف إرادة والده، لا سيما أن آداب طلب العلم تقتضي استئذان الأبوين في

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٠٦/١

الرحلة (٦) ، ووجوب طاعتهما وبرهما، وترك الرحلة مع كراهتهما ذلك وسخطهما (٧) .

ويبدو لنا أن الذهبي

---

(١) راجع عن أهمية الرحلة: الخطيب البغدادي: " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع "، " باب الرحلة في الحديث إلى البلاد النائية للقاء الحفاظ وتحصيل الأسانيد العالية " الورقة ١٦٨ ١٦٩ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ٣٧١١ ج ١) .

(٢) الدكتور ناجي معروف: " تاريخ علماء المستنصرية "، ١ / ٣٤٥ ٣٤٢.

(٣) الذهبي: " معجم الشيوخ "، م ١ الورقة ٧٤.

(٤) الذهبي: " معرفة القراء "، ص ٥٥٦ وقال في " تاريخ الإسلام ": " وكنت في سنة أربع وتسعين وسنة خمس أتلهف على لقيه، وأتحسر، وما يمكنني الرحلة إليه **لمكان الوالد** ثم الوالدة " الورقة ٢٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٥١ وانظر أمثلة أخرى في " معجم الشيوخ "، م ١ الورقة ٥.

(٦) الخطيب البغدادي.

" الجامع لأخلاق الراوي "، الورقة ١٧٠.

(٧) الخطيب البغدادي: " الجامع "، الورقة ١٧٥ ١٧١.." [١]

"الزينبي وإسماعيل بن مسعدة وطبقتهم ببغداد، وكان أولا قد سمع من أبي بكر الخطيب بصور، ومن أبي عثمان بن ورقاء ببيت المقدس، والحسن بن مكي الشيزري بحلب، وسمع بأصبهان أبا عمرو بن منده وطبقته، وبنيسابور أبا بكر بن خلف وطبقته، وبهراة شيخ الإسلام أبا إسماعيل وطبقته، وبالبصرة أبا علي التستري وطبقته، وأكب على الطلب ببغداد مدة ثم تزهد وانقطع وأقبل على شأنه. روى عنه سعد الخير الأندلسي وابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري ومحمد بن أبي بكر الشيحي وأبو طاهر السلفي وأبو سعد بن البغدادي ومحمد بن علي بن فولاد وآخرون. قال أبو الوقت: كان شيخ الإسلام إذا رأى المؤتمن قال: لا يمكن أحد أن يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما دام هذا حيا. وقال الضياء بن هبة الله: سألت السلفي عن المؤتمن الساجي فقال: حافظ متقن لم أر أحسن قراءة للحديث منه، تفقه في صباه على الشيخ أبي إسحاق وكتب الشامل بخطه عن بن الصباغ ثم خرج إلى الشام وسكن القدس زمانا،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين المقدمة/٢٤

وقال لي: إنه سمع من الخطيب حديثا واحدا ولم يكن عنده به نسخة، انتفعت بصحبته، وقال أبو نصر الفاهي: أقام المؤتمن بهراة نحو عشر سنين وقرأ الكثير وكتب جامع الترمذي ست مرات وكان فيه صلف وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه. قال أبو بكر السمعاني: ما رأيت بالعراق من يفهم الحديث غير رجلين: المؤتمن ببغداد وإسماعيل التيمي بأصبهان.

وقال يحيى بن منده: قدم الساجي وسمع من أبي كتاب "معرفة الصحابة" وكتاب "التوحيد" و"الأمالي" وحديث بن عيينة لجدي، فلما أخذ في قراءة "غرائب شعبة" وبلغ إلى حديث عمر في لبس الحرير كان الوالد في حال الانتقال إلى الله وقضى نحبه عند انتهاء ذلك بعد العشاء الآخرة هذا ما رأينا، ثم قدم بن طاهر وقرأنا عليه جزءا من مجموعاته فيه: سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون: إنما تمم الساجي كتاب "معرفة الصحابة" على أبي عمرو بعد موته وذلك أنه كان يقرأ عليه وهو في النزع ومات وهو يقرأ وكان يصاح به تريد أن تغسل الشيخ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت: ما جرى ذلك، يجب أن يصلح هذا فإنه كذب. وأما قراءة "معرفة الصحابة" فكان قبل موت الوالد بشهرين؛ وكان المؤتمن -والله- ورعا زاهدا صابرا على الفقر، رحمه الله تعالى.

قال بن ناصر: سألت المؤتمن عن مولده فقال: في صفر سنة خمس وأربعين وأربعمائة وتوفي في صفر سنة سبع وخمسمائة وصليت عليه، وكان عالما فهما ثقة مأمونا.

سمعت أبا الحسين اليونيني أنا جعفر أنا السلفي، سمعت المؤتمن الساجي يقول: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر الخطيب. وسمعت المؤتمن يقول: كان أبو بكر -يعني الخطيب- يقول: من صنف فقد جعل عقله في طبق يعرضه على الناس.." (١)

"وها هي ذز مسرودة على وفق حروف الهجاء: ١ " - " اختصار الغوامض وامبهمات " لابن بشكوال.

ذكره مترجموه الثلاثة، وذكره السخاوي منهم باسم: " تلخيص المبهمات، ولم يسمه البرهان، إنما جاء على وجه المخطوطة - وهي بخط البرهان -: " الغوامض والمبهمات في الاسماء الواقعة في الاحاديث ".

اختصرها ابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، كاتبها، بحذف الاسانيد، وعزو ما قدر على عزوه من الاحاديث إلى الكتب التي هي فيها "، فسميته كما تراه وعندي صورة عنه.

والكتاب في ٢٩ ورقة مملوءة بالحواشي غير الواضحة، فكأنها مسودة الكتاب، وكان اختصاره له في أربعة

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٣١/٤

أيام، من يوم الاربعاء ١١ من شوال إلى يوم السبت ١٤ من شوال من عام ٧٨٤ بالقاهرة، كما جاء في آخر النسخة.

وقد طبع كتاب ابن بشكوال في مجلدين طبعة تحتاج إلى تحرير، باسم " غوامض الاسماء الميهمة الواقعة في متون الاحاديث المسندة ".

٢ " - " الاغتباط بمعرفة من رميبالاختلاط "، وموضوعه واضح من اسمه، وكان لا عج الوغبة في إفرادهم برسالة قديم في نفسه، فانه قال - ولغير مناسبة تامة - في مقدمة " نثل الهميان " ٤ / أالآتي برقم ٢١:

" أخبرني شيخي حافظ الوقت العراقي أن صالح الدين العلائي شيخه أفرد من اختلط، وذكر شيخي أن عنده منه نسخة، ولكن لم أقف أنا عليه ".

وكان هذا أول القرن التاسع.

و" الاغتباط " هذا رسالة لطيفة، ألفها في ٢ من جمادي الاولى سنة ٨١٨، منها نسخة بحلب بخط عمر بن محمد النصيبي تلميذ السبط - كما تقدم - وعليها خطه، وعنها طبع الكتاب، طبعه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله، مع الرسالتين الآتيتين برقم ٥: ٦.

ومنها نسخة في الظاهرية بخط تلميذ السبط: ابن زريق، وعنها صورة في المكتبة المركزية في الجامع الاسلامية بالمدينة المنورة، في ٧ ورقات ونصف، رقمها ٩٥٨.

٣ " - " إملاءات على صحيح البخاري " قال التقي ابن فهد والسخاوي: للمترجم عدة إملاءات على " صحيح البخاري "كتبها عنه جمع من الطلبة ولم أقف على خبرها باكثر من ذلك.

٤ " - " التاريخ ".

لم يذكره مترجموه الثلاثة، إنما رأيت اسمه كذلك دون اسم علمي له، وذلك فيما نقله العلامة الطباخ رحمه الله في " إعلام النبلاء " ٤: ٣٦٩ وهو يتحدث عن المدرسة السلطانية البرانية

١- بحلب المعروفة الآن ب " جامع السلطانية " مقابل باب القلعة بجوار دار الحكومة السراي) .

نقل الاستاذ الطباخ عن "كنوز الذهب " لابي ذر ابن البرهان قوله: " واعلم أن هذه المدرسة قبل محنة تيمر

تيمورلنك- لما كان والدي مشتغلا بالعلم، كانت روضة الادباء، ودوحة العلماء، كان أولاد حبيب الثلاثة:

وهم محمد والحسن والحسين يسكنون بها، وينظمون وينثرون ويحدثون، ويأتي إليهم الناس أفواجا للاخذ عنهم، وتراجم الثلاثة في " تاريخ " والدي، وشعرهم كثير مشهور ".." (١)

"وكان هذا دأب منكوتمر يوحش بين لاجين وبين الأمراء، ويتقصد إبادتهم، فشرع لاجين في العمل على إمساك من قدر عليهم منهم، واغتيال من لا يقدر على إمساكه، وندب لهذا صلغاي بن حمدان، وكان خؤونا نماما غربال أسرار.

ولما جاء قبجق وحدثه **وكان والدي** حاضرا، قال: فقال له: السلطان يسلم عليك، ويقول لك: قد حصل القصد بإلقاء السمعة والمهابة، وما بقي للتتار حركة، وأنا قد بعثني أرد العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق.

فقال له قبجق: لما قال لك السلطان هذا، كان منكوتمر حاضرا عنده؟ قال: وإلا فأين يغيب ذاك. قال والدي: تفهمت بها خيانة ابن حمدان.

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام، وقال: يا خوند أنا جيعان وقد اشتهيت كركيا يشوى لي. فقال: هاهنا كركي مشوي هاتوه، فأتوا به وأنا قاعد، فلما أتى به، قال ابن حمدان: لا يقطع لي أحد، أنا أقطع لنفسي، ثم إنه أخرج سيخا كان معه، وجعل يقطع برأسه، ويأكل، ثم قطع بسفل ذلك السيخ وقدمه لقبجق، وقال له: أنا قد قطعت لك وأنت إن اشتهيت تأكل، وإن اشتهيت لا تأكل، ففهم قبجق أنه قد سم له ما قطعه له، وغضب وأربد وجهه واسود وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى، ثم قال: أما ما آكل شيئا.

قال والدي: فقمت من عنده، وشرع قبجق فيما هم فيه، وهم بما هم به.

ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان، وركب بكتمر السرح دار وألبكي نائب صفد، عائدين إلى حمص حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما كان أريد بهما بحلب، فشكا هو إليهما ما أريد به بحمص، وأجمعوا على الرأي.." (٢)

"إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن ... لقاؤك إلا من وراء وراء

هكذا أثبته بالرفع.

رجع ما انقطع من بقية ترجمة القاضي فتح الدين القليوبي: وقال له يوما فخر الدين الأحدب المعروف بابن القابلة: **كان والدي** يدعو الله تعالى أن يرزقه ولدا نجيبا، فقال فتح الدين: لا جرم أنك جئت بختيا، قال

---

(١) الكاشف الذهبي، شمس الدين ٢٢١/١

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٦٦/٤

فتح الدين: كان بيني وبين الجلال الهوريني صحبة ورفقة، فولي قضاء منية بني خصيب، فأهدى إلى بسرا، فوجدت نواه كثيرا، فكتبت إليه:

أرسلت لي بسرا حقيقته نوى ... عار فليس لجسمه جلباب

ولئن تباعدت الجسوم فودنا ... باق، ونحن على النوى أحباب

قلت: سبقه إلى هذا التضمين سراج الدين الوراق - رحمه الله تعالى -، ونقلته من خطه، قال: أهدى إلي الرشيد الماوردي قدور تمر كربس، فكتبت إليه من أبيات:

يا من غدا لي واضعا بقدوره ... قدرا له فوق السماء قباب

جاءت بأنواع النوى، فمجلبب ... أدما، وعار ماله جلباب

وعلى النقير لتمرها أثر عفى ... فهدى إليه الحائرين ذباب

أرجيع ما لاك الحجاز بعثته ... والرزق سد فما لديه باب

أم خلت زجاجا أخاك ومصر من ... شؤم النوى قفر الرحاب يباب

وإذا تباعدت الجسوم فودنا ... باق، ونحن على النوى أحباب." [١]

"راقب الخلوة حتى أمكنت ... ورعى (١) السامر حتى هجعا

كابد الأهوال في زورته ... ثم ما سلم حتى ودعا ومن شعر كشاجم يصف النار (٢) :

كأنما الجمر والرماد وقد ... كاد يواري من نورها نورا

ورد جني القطاف أحمر قد ... ذرت عليه الأكف كافورا وقال أيضا (٣) :

جاءت بوجه كأنه قمر ... على قوام كأنه غصن

غنت فلم تبق في جارحة ... إلا تمنت بأنها أذن وقال أيضا (٤) :

أرى وصالك لا يصفو لآمله ... والهجر يتبعه ركضا على الأثر

كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت ... عليه أبعدها من منزع الوتر ٥١٢ (٥)

" ابن قادوس "

محمود بن إسماعيل بن قادوس القاضي، أبو الفتح المصري الكاتب

---

(١) ص: ودعا، والتصويب عن ابن خلكان والديوان: ٧٦.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٢٤٦

(٢) الديوان: ١٠٧.

(٣) لم يردا في الديوان.

(٤) لم يردا في الديوان.

(٥) الزركشي: ٣٢٢ والخريدة (قسم مصر) ١: ٢٢٦ وحسن المحاضرة ١: ٥٦٣ وأخبار مصر لابن ميسر ٢: ٩٧ وقال الزركشي: ((وقع ديوانه في مجلدين لطيفين)) وقد أكثر من الاختيار له؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.." [١]

"قد ولد في حدود سنة خمس مائة، ونشأ فصار إماما في العلوم كلها حتى ما كان يتقدمه كبيرا جدلي، وفيه في الفصاحة والبيان والفهم والذكاء، وكان أبوه يفضله على نفسه في اللغة وجريان اللسان، وقد شرح الصحيحين فأملى من كل واحد منهما صدرا صالحا، وله تصانيف كثيرة مع صغر

سنة، ثم اخترمته المنية بهمذان سنة ست وعشرين، فكان والده يروي عنه وجادة، وكان شديد الفجعة عليه، قال: وسمعت من يحكي عنه في اليوم الذي قدم بولده ميتا، وجلس للتعزية، جدد الوضوء في تلك اليوم مرات قريبا من ثلاثين مرة كل ذلك يصلي ركعتين، قال: وسمعت غير واحد من أصحابه أنه كان يملي شرح مسلم عند قبر ولده أبي عبد الله، فلما كان يوم ختم الكتاب عمل مأدبة، وحلاوة كثيرة، وحملت إلى المقبرة رحمهما الله، وقال أبو سعد السمعاني: هو أستاذي في الحديث، وعنه أخذت هذا القدر، وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارفا بالمتون والأسانيد، وكنت إذا سألت عن

الغوامض والمشكلات أجاب في الحال بجواب شاف، جمع الكثير وكتب وذهب إلى أصوله في آخر عمره، وأملى بجامع أصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس وسمعته يقول: والدك ما كان يترك مجلس إملائي، قال ابن السمعاني: **وكان والدي** يقول: ما رأيت بالعراق من يعرف الحديث ويفهم غير اثنين إسماعيل الجوزي بأصبهان، والمؤتمن الساجي ببغداد.

قال ابن السمعاني: وسمعت أبا القاسم الحافظ بدمشق يثني عليه، وقال: رأيته قد ضعف وساء حفظه، وكذا أثنى عليه غير واحد من الحفاظ.

وقال السلفي: كان فاضلا في العربية ومعرفة الرجال، سمعت أبا عامر." [٢]

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤/١٠٠

(٢) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/٥٩٣

"على وهن – بفتح الهاء فيهما – فاحتمل أن تكونا لغتين كالشعر والشعر، واحتمل أن يكون المفتوح مصدر «وهن» بالكسر يوهن وهنا.

قوله: «وفصاله» قرأ الجحدري وقتادة وأبو رجاء والحسن «وفصله» دون ألف – أي وفطامه في عامين.

فإن قيل: وصى الله بالوالدين، وذكر السبب في حق الأم مع أن الأب وجد منه الحشر من الأم لأنه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.

فالجواب: أن المشقة الحاصلة للأم أعظم فإن الأب حمله خلفة لكونه من جملة جسده، والأم حملته ثقلا آدميا مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة.

قوله: «أن اشكر» في «أن» وجهان:

أحدهما: أنها مفسرة.

والثاني: أنها مصدرية في محل نصب «وصينا» قاله الزجاج، لما **كان الوالدان** سبب وجود الولد والموجد في الحقيقة للولد والوالدين هو الله أمر بأن يشكر قبلهما. ثم بين الفرق بين «إلي المصير» أي المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

قوله: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ يعني أن خدمتهما واجبة، وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاقة الله فإن أفضى إليه فلا تطعهما، وتقدم تفسير الآية في العنكبوت.

وقوله: «معروفا» صفة لمصدر محذوف أي صحابا معروفا وقيل: الأصل: بمعروف.

قوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي – صلى الله عليه وسلم –." (١)

"لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون، أمن أوصى منهم أم من لم يوص، يعني: أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا، وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر؛ لأن عرض الدنيا، وإن كان قريبا عاجلا في الصورة إلا أنه باق، وفي الحقيقة الأقرب الأدنى.

وقيل: إن الله – تعالى – لما ذكر أنصباء الأولاد، وأنصباء الأبوين، وكانت العقول لا تدرك معاني تلك التقديرات، فربما خطر ببال الإنسان أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت أنفع له وأصلح لا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٦/١٥

سيما وقد كانت قسمة المواريث عند العرب على غير هذا الوجه فأزال الله – تعالى – هذه الشبهة بأن قال: إن عقولكم لا تحيط بمصالحكم، فربما اعتقدتم في شيء أنه صالح لكم، وهو عين المضرة، وربما اعتقدتم في شيء أنه مضرة، ويكون عين المصلحة، وأما الإله الرحيم فهو يعلم مغيبات الأمور وعواقبها، وكأنه قال: اتركوا تقديرات المواريث بالمقادير التي تستحسنها عقولكم وانقادوا للمقادير التي قدرها الله تعالى عليكم بقوله ﴿آبآؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ إشارة إلى ترك ما يميل الطبع إليه من قسمة المواريث.

قوله: ﴿فريضة من الله﴾ إشارة إلى وجوب الانقياد إلى المقادير الشرعية.

وقال ابن عباس: «لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا» أي: أطوعهم الله – عز وجل – من الآباء والأبناء أرفع درجة يوم القيامة [والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، فإذا **كان الوالد** أرفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع إليه ولده وإن كان الولد أرفع درجة] رفع إليه والده لتقر بذلك أعينهم.

قوله: ﴿نفعا﴾ نصب على التمييز من «أقرب» ، وهو منقول من الفاعلية، واجب النصب؛ لأنه متى وقع تمييز بعد «أفعل» التفضيل، فإن صح أن يصاغ منها مسند إلى ذلك التمييز على جهة الفاعلية وجل النصب كهذه الآية، إذ يصح أن يقال: أيهم أقرب لكم نفعه، وإن لم يصح ذلك وجب جره نحو: «زيد أحسن فقيه» بخلاف «زيد أحسن فقها» ، وهذه قاعدة مفيدة و «لكم» متعلق ب «أقرب» .

قوله: ﴿فريضة﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة من الوصية؛ لأن معنى «." [1]

"بعهد منه بذلك، وأمر أن يكتب على قبره بهذه الأبيات «١» : [الطويل]

بنيت ولم «٢» أسكن وحصنت جاهدا ... فلما أتى المقدور صيره «٣» قبري

ولم يك «٤» حظي غير ما أنت مبصر ... بعينك ما بين الذراع إلى الشبر

فيا زائرا قبري أوصيك جاهدا ... عليك بتقوى الله في السر والجهر

فلا «٥» تحسنن بالدهر ظنا فإنما ... من الحزم ألا يستنام «٦» إلى الدهر

أحمد بن محمد بن طلحة «٧»

من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن جده طلحة.

حاله: قال صاحب «القدح المعلى» «٨» : من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية، كتب عن ولاة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٢٢١

الأمر «٩» من بني عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود «١٠» ، حين تغلب على الأندلس، وربما استوزره «١١» ، وهو ممن **كان والدي** يكثر مجالسته، وبينهما مزاورة، ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه من «١٢» مجالسته.

شعره: قال «١٣» : سمعته يوما «١٤» يقول، تقيمون القيامة بحبيب «١٥» ، والبحتري، والمتنبي، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون." (١)

"المتعبدين. كان له ورد بين العشاءين، يقرأ فيه سبعا من القرآن قائما وقاعدا، حتى طعن في السن.

وقال ابن ناصر عنه: كان شيخا صالحا، زاهدا، صائما أكثر وقته، ذا كرامات ظهرت له بعد موته.

قال أبو الحسين: **كان الوالد** السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم بمسجده ويصلي خلفه.

قال عبد الوهاب الأنماطي: توفي الشيخ الزاهد أبو منصور، في يوم الأربعاء، وقت الظهر، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. وصلى عليه يوم الخميس في جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله. كان الجمع كثيرا جدا. وعبر به إلى جامع المنصور، فصلي عليه أيضا، وحضرت ذلك. وكان الجمع وافرا عظيما. وكانت الصلاة عليه في داخل المقصورة عند القبلة. ومضيت معه إلى باب حرب. ودفن - في الدكة بجنب الشيخ أبي الوفاء بن قواس.

وقال ابن الجوزي: مات وسنه سبع وتسعون سنة، ممتعا بسمعه وبصره وعقله. وحضر جنازته ما ل ا يحد من الناس، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون: ما رأينا جمعا قط هكذا، لا جمع ابن القزويني، ولا جمع ابن الفراء، ولا جمع الشريف أبي جعفر. وهذه الجموع التي." (٢)

"إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه. ويرسل إليهم شيئا من ذلك، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء.

وذكر أنه أثرى وكثر ماله، وأن الأشرف كتب له كتابا بقرية يونين. فأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة. فلما شعر الشيخ بذلك أخذ الكتاب ومزقه. وقال: أنا في غنية عن ذلك.

قال: **وكان والدي** لا يقبل شيئا من الصدقة. ويزعم أنه من فرية جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم.

قال: وكان قبل ذلك فقيرا لا مال له.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/١٠٤

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ١/٢٢٦

وكان للشيخ عبد الله زوجة لها ابنة جميلة. فكان الشيخ عبد الله يقول لها: زوجيها من الشيخ محمد، فتقول له: إنه فقير، وأنا أحب أن تكون ابنتي سعيدة. فيقول: كأني أراه وإياها في دار، وفيها بركة، وله رزق كثير، والملوك يترددون إلى زيارته. فزوجتها منه. فكان الأمر كذلك. وكانت أول زوجاته. وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه. بنو العادل وغيرهم. وكذلك مشايخ العلماء، كابن الصلاح، وابن عبد السلام، وابن الحاجب، والحصري. والقضاة، كابن سناء الدولة، وابن الجوزي، وغيرهم.

وكان الناس ينتفعون بعلومه وفنونه، ويتلقون عنه الطريق الحسنة.

وكان عظيم الهيبة، منور الشيبة، مليح الصورة، ضخما، حسن السمت والوقار.

وكان." (١)

"لامرأته: " طيني الباب، وألق إلى من الكوة رغيفا " فإذا كان يوم العيد فتحته، ودخلت امرأته البيت، فإذا فيه ثلاثين رغيفا في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة.

وجاء ولده أليه فقال: " إني أخرجت جرة فيها سمن، فوقعت فانكسرت، فذهب رأس مالي! "، فقال: " يا بني! اجعل رأس مالك رأس مال أبيك، فوالله ما لأبيك رأس مال في الدنيا والآخرة إلا الله تعالى! ".

وقال أبو عبيد البسرى، قال لي الخضر: " يا أبا عبيد!، أنا أجئ إلى العارفين في اليقظة، وأجئ إلى المريدين في المنام أودهم ". فرأيت مناما، وكان فيما بيني وبينه يحضر، وكان قبل ذلك يجيئني في اليقظة، فقلت له: " اعبر لي " فقال: " أنا أزور من يدخر شيئا لغد مناما " فلما استيقظت جعلت أنظر وأفكر، فلم أر شيئا أعرفه، فجاءت المرأة، فرأت على اثر الندم، فأخبرتها، فقالت: نعم! قد كان جاءنا أمس نصف درهم فرفعته، وقلت: " يكون لنا غدا ".

ويروى عن نجيب بن أبي عبيد البسرى قال: " **كان والدي**." (٢)

"كتب الوالد النشر ومختصره التقريب ومنظمته الأرجوزة المسماة بطيبة النشر وما وافق ذلك من الكتب المطولات قراءة صحيحة مجودة مرتلة مشتملة على جميع الأوجه والطرق الصحيحة التي اختارها الوالد وارتضاها الختمة الثانية جمع فيها بين روايتي قتيبة ونصير بمضمن غاية أبي العلاء ومبهج سبط الخياط ومصباح الشهرزوري وكامل الهذلي وكفاية أبي العز القلانسي وغير ذلك الختمة الثالثة رواية العمري عن أبي جعفر بمضمن الغاية والكامل والمصباح وغيرها الختمة الرابعة بقراءة الإمام أبي عبد الله محمد بن محيصن

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٦٩/٤

(٢) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٣٦٤

المكي بمضن المبهج الختمة الخامسة بقراءة الإمام أبي سليمان الأعمش بمضمن المبهج وما وافق ذلك من كتاب الجامع والروضة، وكان ملازما للوالد سفرا وحضرا في الحج وغيره فأفاد واستفاد وأتقن ما قرأ به على الوالد وأجاد وانتفع به الناس وزال بتحقيقه وتدقيقه عن أهل هذا العلم الشريف كثير من الالتباس وكان من أخص الناس وأعزهم عند الوالد واعتنى به أشد عناية حتى صار معلمي ومنه تعلمت العروض وحفظت عليه الطيبة وكنت أعرض عليه القراءات أولا ثم على الوالد وهو حاضر **وكان الوالد** حين يقرئ الناس يحضره أولا ثم يأخذ على الناس اعتمادا عليه وعلى حذقه ولا يكاد يأخذ على أحد وهو غائب وكان آية في استحضار القراءات عجيبة غاية في استنباط النكت الغريبة١ وقد شهد الوالد بأنه في هذا العلم المبارك لا يداني ولا يشارك، وقرأ على الوالد جميع كتاب النشر وتقريبه وغير ذلك من تصانيفه وعرض عليه من حفظه كتاب طيبة النشر من غير توقف ولا تلعثم وسمع منه غير ذلك من الأحاديث المسلسلات والعشاريات وقرأ عليه أكثر صحيح البخاري وأنا حاضرة وبيدي كتاب الوالد وسمع منه بعضه قبل ذلك بأصبهان سنة ثمان وثمانمائة ونظم قصيدة في قراءات العشر على وزن الشاطبية ورويها استحسنها الوالد وطالعها وسماها بالطاهرة وقصيدة في اختلاف الآيات سماها نظم الجواهر على وزن الشاطبية أيضا لكن رويها الراء أتى فيها ببدائع، وقرره الوالد أن يجلس مكانه بدار القرآن٢

---

١ النكت العربية ع.

٢ بدار القرآن ق بدار القراء ع.." (١)

"لو أخرجت الي أصلك أو أخبرتني الخبر على وجهه فقال: **كان والدي** يحضرني مجلس إبراهيم ثم لم أجد سماعي فقال لي أحمد بن عيسى: قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس لتسمع وأنت قائم لصغرك ولم يبق بعدي لهذا الكتاب راو غيرك فاكتبه من كتابي فكتبته من كتابه فقلت له لا يحل لك فاتق الله فقام من مجلسي وشكاني ثم أرسل الي ورقة يقول: فيها إنه وجد جزأ من سماعه فراسلته بان يعرض علي ذلك الجزء فلم يفعل توفي ليلة الأضحى سنة خمس وثمانين وثلاث مائة.

١٠٢ - "محمد" بن إبراهيم عن أحمد بن زفر لا يعرفإن إلا في حديث الخلفاء الراشدين في آخر جزء المناديلي وهو موضوع.

١٠٣ - "محمد" بن إبراهيم البصري عن فرات بن السائب وعنه محمد بن حاتم البغدادي قال أبو عبد

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري ١/٣٤٠

الله بن مندة: الحافظ كان صاحب مناكير.

١٠٤ - "محمد" بن إبراهيم بن المنذر الحافظ العلامة أبو بكر النيسابوري صاحب التصانيف عدل صادق فيما علمت إلا ما ق ا ل فيه مسلمة بن قاسم الأندلسي كان لا يحسن الحديث ونسب إلى العقيلي إنه كان يحمل عليه وينسبه إلى الكذب وكان يروي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي ولم ير الربيع ولا سمع منه وذكر غير ذلك توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مائة ولا عبرة بقول مسلمة وأما العقيلي فكلامه من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض مع أنه لم يذكر في كتاب الضعفاء وقال أبو الحسن بن القطان لا يلتفت إلى كلام العقيلي فيه انتهى وروايته عن الربيع عن الشافعي يحتمل أن تكون بطريق الإجازة وغاية ما فيه أنه تساهل في ذلك بإطلاق أنا وقد اعتمد على بن المنذر جماعة من الأئمة فيما صنفه في الخلافيات وكتابه الإشراف في الاختلاف من أحسن المصنفات في فنه وقد." (١)

"المؤتمن يقول لا يمكن أحد ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما دام هذا حيا وقال السلفي حافظ متقن لم ار أحسن قراءة للحديث منه تفقه في صباه على الشيخ أبي إسحاق وكتب الشامل عن ابن الصباغ بخطه ثم خرج الى الشام فأقام بالقدس زمانا انتفعت بصحبته ببغداد وسعى الي وانا بثغر سلماس وقال أبو نصر العاني أقام المؤتمن بهراة نحو عشر سنين وقرأ االكثير وكان فيه ألطف نفس وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه وقال أبو بكر بن السمعاني ما رأيت ببغداد من يفهم الحديث غير رجلين المؤتمن وإسماعيل بن محمد التميمي وقال يحيى بن مندة قدم المؤتمن أصبهان وسمع من والدي كتاب معرفة الصحابة وكتاب التوحيد والامالى وحديث ابن عيينة لجدى فلما أخذ في قراءة غرائب شعبة مر الى حديث عمر في تدليس الحديث فلما انتهى الى هذا الحديث **كان الوالد** في حال الانتقال الى الآخرة وقضى نحبه عند انتهاء ذلك قال يحيى وهذا ما رأينا وشاهدنا وعلمنا ثم قدم بن طاهر سنة ست وخمس مائة وقرأ عليه أبو نصر النورمانى خبرا من الحكايات فيه سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون إنما تمم الساجي كتاب معرفة الصحابة عن أبي عمرو بعد موته وذلك انه كان يقرأ عليه وهو في النزع ثم مات وهو يقرأ عليه بمكانه فصاح به يزيد ان نغسل الشيخ قال: قال يحيى فلما سمعت ذلك قلت ما جرى ذلك يجب ان يصلح هذا فإنه كذب وزور وكتب في الحال على حاشية النسخة صورة الواقعة وكان والله المؤتمن ورعا زاهدا صابرا على الفقر وكان قراءته معرفة الصحابة قبل موت الوالد بشهرين وقال ابن ناصر سألت عن مولده

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٢٧/٥

فقال في صفر سنة خمس وأربعين وأربع مائة وتوفي في صفر سنة سبع وخمس مائة وكان فهما عالما ثقة مأمونا.." (١)

"بقلعتها إلى أن نوفي الظاهر برقوق وتسلطن الناصر فرج، وخرج الأمير تنم الحستي نائب الشام عن الطاعة، وأطلق آقبغا هذا وصار من حزبه إلى أن كانت الوقعة، وقبض على نتم وعلى آقبغا المذكور بعد أن قاتل آقبغا يومئذ قتالا شديدا وأظهر من الشجاعة ما لا مزيد عليه، فإنه كان في جاليش تنم، **وكان والدي** هو مقدم العساكر في الجاليش المذكور، وكان آقبغا على ميسرته ودمرداش المحمدي نائب حلب على ميمنته، فلما تصافقوا للقتال ووقع العين في العين انهزم دمرداش ومعه الزيني فرج بن منجك بمن معهم من المماليك إلى جهة الملك الناصر طائعين له، وبقى والدي وآقبغا هذا في جمع متوسط لا يمكنهم الرجوع إلى تنم فإنه على مسافة يريد عنهم إلى خلف، فالتقوا مع العسكر السلطاني، وطال القتال بينهم إلى أن كانت الهزيمة عليهم، وقبض على آقبغا ثم على والدي فيما بعد، وحبس آقبغا هذا بقلعة دمشق إلى أن قتل بها مع من قتل من ا لأمراء في رابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانمائة. رحمه الله.

آقبغا المارداني

...... - ٧٩٣هـ -...... - ١٣٩٠م آقبغا بن عبد الله المارداني، الأمير علاء الدين، نائب الوجه القبلي.." (٢)

"وسبعمائة **كان والدي** إذ ذاك محبوسا بدمشق، فإنه كان قد توجه صحبة العسكر لقتال الناصري فلما انكسر العسكر قبض عليه مع من قبض عليه من حواشي برقوق ودام في حبس دمشق إلى أن أخرجه الأمير بزلار نائب دمشق، وصار بخدمته هو والأمير دمرداش المحمدي، والأمير دقماق المحمدي، فداموا بخدمة الأمير بزلار إلى أن خرج الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك طالبا ملكه، فبادر والدي إليه، وفر من عند الأمير بزلار ولحق به قبل أن يستفحل أمره، وشهد الوقعة المشهورة بين الظاهر وبين منطاش بعد خروج الظاهر من حبس الكرك، وحمل والدي رحمه الله تعالى في الوقعة المذكورة على شخص من الأمراء المنطاشية يسمى آقبغا اليلبغارى، فقنطره عن فرسه، فسأل الملك الظاهر برقوق وقال: من هذا الذي قنطر

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ١١٠/٦

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٤٨٣/٢

آقبغا: فقيل له: تغرى بردى فتفاءل بإسمه، فإن معناه بالعربي الله أعطى، فأنعم الملك الظاهر بإقطاع المذكور على والدي رحمه الله إمرة عشرين، ولهذا كان يقال تغرى بردى أخذ الإمرة برمحه.." (١)

"**كان والدي** رحمه الله مع الأتابك أيتمش، ووقع ما ذكرناه في ترجمة أيتمش وغيره من إنهزامهم وتوجههم إلى الأمير تنم نائب الشام، وعودهم صحبة تنم إلى غزة، وقتالهم مع الملك الناصر فرج والقبض عليهم، ولما قبض على الأنابك أيتمش وعلى تنم، وعلى جماعة أمراء أخر، قبض على والدي أيضا معهم، قتل منهم من قتل وبقي والدي رحمه الله مدة في حبس دمشق، ثم أفرج عنه وتوجه إلى القدس بطالا، إلى أن ورد تيمور إلى البلاد الحلبية، وخرج الملك الناصر إلى البلاد الشامية، فلما وصل إلى غزة طلب والدي رحمه الله من القدس، ورسم له بنيابة دمشق عوضا عن الأمير سودون قريب الملك الظاهر برقوق بحكم قبض تيمور عليه وأسره بأيدي الجغتاى، فامتنع والدي رحمه لله من لبس التشريف، وقال: معي رأى اسمعوه منى، فقالوا له: قل، فقال: هذه دمشق بلد عظيم عامر بالخلق والسلاح وأهله داخلهم الرعب لما سمعوا ما وقع لأهل حلب، وأنا إلى نيابتها وأنوجه إليها وأحصن أسوارها وأبراجها وأقاتل تيمور بها أشهرا، وهو لا يطيق أخذها مني في مدة يسيرة، والسلطان يستقر بعسكره في غزة، وفصل الشتاء قد أقبل، فيصير تيمور بيني وبين السلطان إن توجه إلى السلطان صرت أنا خلفه فيصير بين عسكرين فلا ينهض بالظفر،." (٢)

"مناوشة في هذه السفرة، وسبب ذلك أن العادة إذا سار نائب دمشق بسنجقه يحفظ نائب حلب سنجقه إذا كانا معا، فلم يفعل والدي ذلك، بل سارا معا وسنجقها مرتفع، فوقع بعض كلام بين السلاح دجارية من الطائفتين وتقاتلا بالدبابيس ساعة، ثم خمدت الفتنة بينهم، كل ذلك ووالدي رحمه الله يتجاهل تجاهل العارف حتى نزل كل إلى مخيمه ظاهر حلب، فكلم والدي رحمه الله بعض أعيان ماليكه في هذه الواقعة، فقال: أنا ما خرجت من مصر جنديا، أراد بذلك أنه ولى نيابة حلب لما كان رأس نوبة النوب بالديار المصرية، وتنم خرج من مصر أمير عشرة وصار مقدما بدمشق، حسبما ذكرناه وبلغ تنم ذلك فبقى في النفس ما فيها، وفي الظاهر الصلح بينهما واقع، فلما وصل تنم إلى دمشق أرسل إلى الملك الظاهر يلوح له بعصيان والدي إلى أن وغر خاطره عليه، وطلب والدي رحمه الله وعزل من نيابة حلب، وصار أمير سلاح بديار مصر.

كل ذلك وتنم في نيابة دمشق إلى أن توفي الملك الظاهر برقوق في سنة إحدى وثمانمائة، وتسلطن من

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٥/٤

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٧/٤

بعده ابنه الملك الناصر فرج، وجهز إلى تنم تشريفا باستمراره على نيابة دمشق، فلبس الأمير تنم التشريف وقبل الأرض، واستمر في ولايته بدمشق إلى أن بلغه ما وقع للأتابكى أيتمش المذكور بمن معه من أعيان الأمراء حسبما ذكرناه وتوجه نحو الأمير تنم إلى دمشق، **وكان والدي**." (١)

"في ذلك اليوم ما هو أعجب من أن يحكى، ثم توجه إلى داره ولم يطلع في يومه إلى القلعة، ولم يفخر بما وقع منه من الفروسية والشجاعة، وبلغ الظاهر ذلك فأعجبه منه، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

ولما مات الملك الظاهر برقوق، وتسلطن ولده الملك الناصر فرج من بعده ترقى شاهين كتك هذا في دولته حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم تنقل في عدة وظائف حتى ولي إمرة سلاح. وتوجه الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية، لقتال الأمير بن شيخ ونوروز في سنة أربع عشرة وثمانمائة، وعين الأمير شاهين الأفرم هذا، مع جماعة من الأمراء في الجاليش، وأمرهم بتقدمهم على عادة الجاليش. فساروا حتى وصلوا إلى دمشق، ودخلوا سلموا على والدي رحمه الله بدار سعادة دمشق، **وكان والدي** ضعيفا في مرض موته، وكان شاهين المذكور من إخوة والدي رحمه الله، فأسر لوالدي رحمه الله بأنه يريد العصيان على الملك الناصر والإلحاق بشيخ ونوروز، ثم قبل يده وقام، وخرج من وقته بمن معه عن طاعة الناصر، ولحق بالأمير بن شيخ ونوروز، واستمر عندهما حتى انكسر الملك الناصر، وحوصر بقلعة دمشق، ثم قتل. وتسلطن الخليفة المستعين بالله العباسي، وصار الأمير شيخ المحمودي مدبر المملكة بالديار." (٢)

"وفيه توفي أيضا الإمام عز الدين أبو الحامد محمد بن العلامة عز الدين أبي البقاء الحاضري المذكور هو ووالده في قضاة حلب الحنيفة «١» .

وفيه توفي الرئيس الفاضل صلاح الدين صالح بن الرئيس شهاب الدين بن السفاح «٢» الشافعي كاتب سر حلب المذكور في فصل أهلها الذين سلفوا.

[ولي الدين بن شرف الدين الأنصاري] :

وفيه توفي الخطيب البليغ الشاب السعيد ولي الدين بن العلامة شرف الدين الأنصاري المذكور والده في فصل القضاة. كان شابا حسنا. لطيف المزاج. حسن المحاضرة، عليه سيماء الأنصار، خطب بجامع حلب بعد والده، وترقى إلى قضاء الشافعية فاخترمته المنية، قرأ على والدي كثيرا، **وكان والدي** يعظمه ويقدمه على (٢٢ ظ) م أقرانه لنسبه وصحبة والده، وقعت له محنة مع المؤيد «٣» فباع منها بعض كتبه، ولما توفي

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ١٦٩/٤

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٢٠٩/٦

خلف ولدا صغيرا اسمه يوسف فغيروه بموسى فنشأ في حشمة ورئاسة، وخطب مكان أبيه ثم توفي وهو شاب في سنه وانقرض هذا البيت المبارك «٤» .

«فائدة «٥»

» : كانت الطواعين المشهورة العظام في الإسلام خمسة أ:

- طاعون شيرويه بالمدائن في عهده عليه السلام سنة ست من الهجرة. ثم." [1]

"ومحرابها وحائطها القبلي وقناطرها من الرخام الأسود والأصفر وأبوابها من الخيط المنجور في غاية الحسن، وصانع ذلك هو الحاج أحمد بن الفقيه بترتيب الحاج عبد الله الخشاب وكان من أهل الخير إلا باب الشباك الذي عند قبر والد الواقف فإنه من صنعة شخص أعجمي حضر إلى حلب فادعى معرفة الصنعة فاستعمله القاضي شهاب الدين في هذا الباب وفي حاجبه فكلفه عليه كلفة زائدة عن حده فاصرفه. واستعمل الحاج أحمد المذكور. وكان يقول لو عملت هذا الباب من ذهب ما كلفت عليه هذا القدر. انتهى.

ورخام صحنها في غاية الجودة. وتأنق القاضي شهاب الدين المذكور في بنائها، وجعل له فيها خلوة لينقطع عن المباشرات فيها. وكان مغرما بهذا الجامع. مكثرا لذكره.

وعمل لنفسه جبة من الصوف الأسود ليلبسها عند جلوسه في الخلوة. واقتطع من ملكه، و [ا] شترى أملاكا فوقفها على هذا الجامع و [ا] شترى كتبا نفيسة ووقفها عليه. ورتب خطيبا فخطب بهذا الجامع.

وقد خطب بهذا الجامع الشيخ عمر الاعزازي وهو من أهل الخير والصلاح.

وخطب به شيخنا الشيخ محمد الاعزازي وسيأتي تاريخ وفاته مع ترجمته.

ورتب مدرسا فدرس بها الشيخ علي الكردي- تلميذ والدي- وهو من أهل الفضل. **وكان والدي** يميل إليه، ويحبه. ثم سافر الشيخ علي إلى القاهرة وقرأ على مشايخها.

ودرس بها الشيخ العلامة قاضي المسلمين أبو بكر بن اسحاق الحنفي «١» . والشيخ." [2]

"السلطانية بحلب. فقالوا نحب أن نزوره معك، ونسأله «١» عن أشياء من فقه وتفسير وغيرهما. فعزمنا على زيارته إلى بالس. فبينما نحن عازمون إذ جاء بعض الفقراء فقال الشيخ: يدعوك. فقلت له: أين هو. فقال في زاوية الشيخ أبي الفتح الكناني. وكان من أصحابه. فخرجت أنا وجماعة من الفقهاء فقلت جاؤوا ليزوروا الشيخ ويسلموا عليه. فقال: قد حدث أمر عجيب. قلت وأي شيء حدث؟ قال: ألجم الشيخ

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/١٦٩

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/٢٥٤

كل واحد منهم بلجام. وقد يمثل سره سبعا. وهو ينظر في وجه كل واحد منهم، فلما طال نبأ المجلس لم يجسر أحد منا أن يتكلم قال لهم الشيخ: لم لا تتكلمون؟

لم لا تسألون. فلم يجسر أحد أن يتكلم. فقال الشيخ للذي على يمينه: فسألتك كذا والجواب عنها كذا. فما زال حتى أتى على آخرهم. فقاموا بأجمعهم. واستغفروا الله، وتابوا.

واعلم أن هذه المدرسة قبل محنة تمر لما **كان والدي** يشتغل بالعلم كانت (٤٩ و) ف روضة الأدباء ودوحة العلماء كان أولاد حبيب الثلاثة وهم: محمد «٢» والحسن «٣»." (١)

"ولها منارة محكمة قصيرة. وعليها كتابة كوفية لا أدري ما هي «١» (!)

«المدرسة الشرفية الشافعية» :

أنشأها الشيخ الإمام شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن العجمي- وترجمته مع أقاربه- وأصرف على عمارتها ما ينيف على أربعمائة ألف؛ كذا قال ابن شداد «٢» وكان بشماليتها قبل فتنة تمر صندوق من الخشب ذكر أقارب واقفها أنه لأجل آلة العمارة «٣» .

وبعضهم يقول: ملأه دراهم وأصرفها في عمارتها وبالغ بعضهم فقال: أنفق ملأه دراهم برسم مونة لطعام الفعول.

وأخوه الشيخ شمس الدين جدي كان يحسن الكيمياء. ويدفع لأخيه ليعمر بها؛ كما سيأتي في الشمسية.

وهذه المدرسة عظيمة؛ قال الذهبي فيها: وهي حسنة مليحة. وهي في غاية الارتفاع، وحسن البناء والصنعة. فالبوابة لم ينسج على منوالها وإيوانها فرد في بابه، ومحرابها غاية في الجودة، ورخام أرضها محكم، وبركتها من أعاجيب الدنيا؛ (٥١ و) ف عشرة أحجار لا يهتدى إلى تركيبها إلا الحذاق. وعمقها الآن قامة وبسطة وقيل: كانت أعمق من ذلك.

وببركة واقفها وقع بها أناس ولم يغرق منهم أحد وضرب «٤» صاحبها التتار فيها.

والحجر الأصفر الشمالي منها رؤي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عليه. **وكان والدي** لا يصعد فوقه. بل يغسله. ويتوضأ إلى جانبه.." (٢)

"وكان يأتي الماء إليها في زمن واقفها من دولاب [ا] تجاه باب المدرسة الكبير، وصنع لها واقفها سربا لأجل خلائها من المدرسة إلى خارج البلد لم يشارك أحد فيه، بل مختص بهذه المدرسة. وقد خسفت

---

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢٩٩/١

(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٣١٠/١

تنورتها إلى خارج المدرسة شماليها. وأسقفت.

وبهذه التنورة جباب لأجل القاذورات إذا امتلأت سرحت في السراب. ولما خسفت أخذ خشب الشمالية وأسقفت به. **وكان والدي** يقول: لا بد أن يخسف ثانيا. لأنه كان أولا قبوا وقد ترك الشيخ يعقوب القيم بالمدرسة بهذا السرداب (٥١ ظ) م فرآه محكما فوصل إلى باب الرواحية. ورجع.

وهذه المدرسة مبنية بالحجر الهرقلي، وعليها نورانية ظاهرة. ورؤيتها تورث فرحا وانشراح صدر. وكيف لا ومعلم بنائها هو العبد الصالح شيخ الطريقة أبو بكر النصبة المدفون بمقام الشيخ فارس في جبل بابلي، واسمه مكتوب على محرابها. واسم النحات مكتوب على بابها. واسمه أبو الثناء بن ياقوت وصنع لها طرازا على حائطها الأعظم ليكتب عليه ما أراد. وكذلك على إيوانها. فلم يتفق ذلك. لأن واقفها اخترمته المنية. ولم يكملها. ومدة عمارتها أربعون سنة. وكان رحمه الله لا يجلس على دككها التي خارج بابها لئلا تنسب إليه إنما كان يجلس على دككها داخل الباب، وفي إيوانها.

وهذه المدرسة بها ثلاثة أدوار من الخلاوى المحكمة البناء والأبواب والخزائن. وبها بأعلى «١» الإيوان مع أعلى «٢» حاصلها المعروف الآن بالمغارة قاعة مليحة للمدرس، ولهذه القاعة باب من الإيوان. وباب من أرض المدرسة. وبصدر هذا الإيوان بادهبخ له ثلاثة أبواب ثم سد بابان منهم لأجل الزلزلة خوفا على الإيوان.." (١)

"وولي نيابة الحكم بحلب عن شيخنا المؤرخ. وقرأت عليه بحلب بعض شرح (منهاج الأصول) . **وكان والدي** وشيخنا يعظمانه. وكان أثرى ببلده وكثرت أولاده فمات الجميع في حياته فكان يبكي عليهم. ويذكر قول أبي ذؤيب:

أودى بني ... «١» لهواهم ... ... «٢» ولكل جنب مصرع

ثم توفي ولد ولده وكان شحيحا مع كثرة ماله وكان من أولاده شخص يقال له محمد كان ذكيا حفظ محافيظ وعرضها على والدي رحمهم الله تعالى.

وفي شهر ربيع الأول اجتمع العامة على شرف الدين يعقوب المالكي «٣» قاضي المالكية بحلب، وأخرجوه من المدرسة الشادبختية الحنفية وأخذوه إلى تحت القلعة مجرجرا، فرجموه، وأرادوا قتله وأراد بعضهم إلقاءه في الخندق وسبب ذلك ما تقدم منه من أخذ الرشا ونصر الباطل وعند إقامة الحق وأكل أموال الناس. ومن جملة ما قاموا عليه بسببه أن شخصا قتل آخر. فقامت البينة عنده على ذلك فقال لا أقتله حتى آخذ كذا

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/٣١١

وكذا. ثم إن يعقوب المذكور من بين العوام الذين جاؤوا إلى دار بني الشحنة فأحجم الناس عنه فمكث هناك غير مبال بما اتفق له. وكان سيء الخلق قبيح الشكالة، لا نورانية عليه كما قال الشاعر:

يأتيك في ثوب من التطليس ... يروي حديث الخزي عن إبليس

وفي هذا الشهر جد شاهين نائب القلعة «٤» في عداوة الفقهاء وتتبع عثراتهم والنظر إلى ما في أيديهم من الوظائف. وكان قد أحضر مرسوما بالنظر على الأوقاف ودار على المدارس، وصار الشخص يخرج إليه بكتاب الوقف فلا يلتفت إليه ولا يقرؤه." (١)

"كثيرة، **وكان والدي** يقدمه في الجلوس على أقرانه اتباعا للسنة:" قدموا قريشا".

ويثني على عقله ورجاء أن يكون خلفا عن آبائه وكان سني الاعتقاد.

وفي يوم الجمعة تاسع صفر صلي بجامع حلب صلاة الغائب عليه وعلى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن التنسي المالكي قاضي مصر.

وفي العشر الآخر من صفر سنة ثلاث ورد المرسوم الظاهري بعمارة سور حلب.

وفي العشر الأول من ربيع الأول ورد المرسوم الظاهري بعمارة جسر يغرا فخرج المهندسون من حماة وحلب ووقفوا على الجسر وقالوا إن عمارة جسر جديد أنفع من ترميم الجسر العتيق وذكروا أن عمارته لا تكمل إلا في سنتين. وأنه يريد اثني عشر ألف دينار تقريبا وأن عمارته يكون من حجارة قلعة دربساك. فطولع السلطان بذلك وفي يوم السبت رابع عشري ربيع الأول صلب محمد الشهير بالمخلع صاحب شرطة حلب مع جماعة من السراق لأن بعض السراق أقر عليه أنه كان يعاملهم وضربوه ضربا بليغا فلم يعترف. وعزقت امرأة خارج حلب عند جسر باب انطاكية لأنها كانت تدخل السوق وتعرفهم من أين ينقبوا ويدخلوا «١» ، وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر دخل حلب قصاد صاحب الروم مرادباك ومعهم جماعة من الفرنج الذين أسرهم في بعض وقائعه وعليهم آلة الحرب ومعه لواء مذهب ونزلوا بيت الكلتاوي وكان قد أرسلهم إلى السلطان.

وفي العشر الأوسط من جمادى الأولى سقط نجم فأضاءت له حلب.

وفي العشر الأوسط من رجب تكررت الزلازل بحلب حتى في ليلة الخميس خامس عشر الشهر المذكور

---

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١٨٨/٢

زلزلت عدة مرات. وفي ليلة الأحد خامس عشر منه زلزلت ثلاث مرات أيضا. وفي العشر الأول من شعبان تكررت الزلازل حتى في ليلة." (١)

"وفي يوم الخميس رابع عشري صفر لبس المقر الأشرفي محمد بن شيخنا أبي الفضل تشريفا بقضاء الحنفية ونظر الجيش عوضا عن والده بعد أن استعفى والده عنهما وأقام بالديار المصرية.

وفي سابع عشرين توفي الرئيس كمال الدين محمد بن الرئيس ناصر الدين ابن البارزي الشافعي. وكان رئيسا صدرا وعالما وناظما ناثرا جوادا، مفضالا على العلماء والفضلاء. مجلسه مجلس علم. مملوء بالفضلاء، ولهم مرتبات عليه، ويأكل الطعام الفاخر، ويطعمهم إياه. وحج من مصر حجة أصرف عليها ما يزيد على ستين ألف دينار، ولي قضاء دمشق وكتابة السر بالديار المصرية، وهو من مشايخي بالإجازة، وقرأ على والدي لما كان والده قاضي حلب، وهو من بيت العلم والفضل والحشمة والسؤدد وفي الجملة كان من محاسن الدنيا، قرأ على الشيخ علاء الدين البخاري.... «١» .

وفي ثاني ربيع الأول توفي الشيخ الفاضل المعري المجيد العدل الرضي زين الدين عمر بن محمد بن عمر بن السعي الشافعي الجبريني نسبة إلى جبرين (الفستق) الشهير بابن المعصراني.

وكان والده عاميا فحبب إليه طلب العلم، فحفظ القرآن في صغره ولازم الشيخ عبيد المقرئ «٢» وقرأ عليه كثيرا. ثم انتقل إلى دمشق فجمع السبع على الشيخ زين الدين ابن اللبان. وقرأ على البرماوي شارح البخاري بالقدس ثم قدم حلب ولازم والدي- رحمه الله تعالى- كثيرا وسكن المدرسة الشريفة لأجل ملازمة والدي فانتفع به وكان والدي يعظمه ويحبه/ (٢٧ ظ) م ويثنى على جودة خطه وحج مرتين وحفظ (المنهاجين) و (ألفية ابن مالك) و (العراقي) و (الشاطبية) وقرأ على شيخنا." (٢)

"قاضي المسلمين ابن خطيب الناصرية قطعة من (المنهاج) حلا. وكتب برهة وبيض قطعة من تاريخه، ثم كتب حكم القضاة بعده والناس يميلون إليه لجودة خطه ودماثة أخلاقه، ولطف مفاكهته، وحسن معاشرته وغزارة عقله. وكان عارفا بالشروط وقرأ على ابن الخرزي شرح ابن عقيل على الألفية.

ودفن رحمه الله تعالى بالقرب من قبر الشيخ شهاب الدين بن هلال خارج باب الفرج.

وفي يوم الأربعاء سابع ربيع الأول بعد صلاة العصر خرجت غيمة عظيمة على حلب وسمع لها دوي كالرعد القاصف وألقت بردا كبارا كبيض الحمام وأكبر وخاف الناس من خراب البيوت خوفا عظيما وكانت ساعة

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢/٢٢٣

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢/٢٤٥

عظيمة لم أشهد مثلها.

وفي ثاني عشر ربيع الأول توفي العبد الصالح شمس الدين أبو عبد الله محمد الخباز وكان عبدا صالحا ناسكا عابدا زاهدا متقللا من الدنيا منقطعا عن الناس يخبز في التنور. ومهما يحصل له ينفقه على الفقراء والصلحاء، هذا دأبه ويحفظ القرآن ويقرأه كثيرا. والسلطان والعامي عنده على حد سواء ولما كان بالقاهرة مر عليه بطعام السلطان. وكان مفتخرا فقال هذا منتن الريح. لأنه شمه على ما هو عليه.

فأخبرني من أثق به أن تغري ورمش نائب حلب جاء إلى الجامع مصليا و [مر] عليه. فازدحموا بالقبلية فجاء مملوك وضايقه فزيق عليه فقام من جانبه وصار المكان خاليا لا يجلس فيه أحد مع ازدحام المماليك.

وأخبر الشيخ ابن الشماع قال كنت أعمر بيتي وهو- البيت الذي بناه عند الدباغة- فضاقت يدي فجاء إلي ودفع إلي دنانير فلما اتسعت يدي دفعت إليه الدنانير فلم يأخذها وكان لا يدخر درهما أبدا. ولا يقيم له علما بل من أقام علما بحلب دخل تحت علمه ولازمه.

وكان والدي- رحمه الله- يعتقده ويقول: هو أثبت قدما من مشايخه.." (١)

"بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمن، ولا سرور للمؤمن أكثر من غفران ذنوبه ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة لأنه لموسى عليه السلام وكرامة النبي صلى الله عليه وسلم تتضاعف على غيره قال الروياني ليس لنا عبادة تكفر ما بعدها غير صوم يوم عرفة قال الزركشي في قواعده وليس كما قال ففي الحديث الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام وزكاة الفطر طهرة للصائم ويجوز تقديمها من أول رمضان وإن تأخرت كانت رافعة وإن تقدمت كانت دافعة أي تدفع عن الصائم الوقوع في الإثم ويقع السؤال عن هذا التكفير هل هو ممن عليه ذنب أم هو عام فيقال إن كان عليه ذنوب فيكفرها وإلا فيعطى من الثواب بقدر ما يكفر ذلك القدر لو كان عليه ذنب وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة قلت يا رسول الله لمن هي قال لمن صام يوم عرفة يا عائشة من أصبح صائما يوم عرفة فتح الله عليه ثلاثين بابا من الخير وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر فإذا أفطر وشرب الماء استغفر له كل عرق في جسمه وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت نعم اليوم يوم عرفة يوم خير وبركة ويوم رحمة ومغفرة فمن صامه جعل الله له نصيبا في ثواب من حضر الموقف وباعده الله عن النار سبعين خريفا وعن الفضل بن العباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ لسانه وبصره يوم عرفة غفر له إلى يوم عرفة وقال عمر رضي الله عنه قال النبي

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢٤٦/٢

صلى الله عليه وسلم لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له قال رجل لأهل عرفة يا رسول الله أم للناس عامة قال بل للناس عامة ... حكاية: قال ابن جارود خرجت أنا وصاحب لي في طلب العلم فمررنا عشية عرفة على مدينة قوم لوط فقلت لصاجي ندخل هذه المدينة ونشكر الله على ما عافانا مما ابتلاهم به فبينما نحن نطوف اذ رأيت رجلا كوسجا أغبر الوجه فقلنا له من أنت فتغافل عنا فقلنا له لعلك إبليس قال نعم قلنا له من أين أقبلت قال هذا وجهي من عرفات كنت أشفيت صدري من قوم أذنبوا منذ خمسين سنة فنزلت الرحمة عليهم في هذا اليوم فجعلت التراب على رأسي أنظر هؤلاء المعذبين حتى يسكن غضبي ... لطيفة: الكوسج من قل شعر وجهه وانحصر عن عارضية وقال في الروضة الكوسج عند أبي حنيفة من عدد أسنانه ثمانية وعشرون وهي مذكورة في باب الأمانة ... حكاية: قال العباس بن مرداس رضي الله عنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة لأمته فأجيب بأني قد كفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم حقه فقال أي رب إن شئت أعطيت

المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعادي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه ... حكاية: قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر، وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفا وخمسمائة صنم تعبد من دون الله، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت فقال محمد رسول الله فسألته عن مسائل فأجابها فقالت إكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت هذا لمن يطلب الفردوس قليل فلما ماتت طرحوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكفنها وصلى عليها ثم قال والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة ثم جاء جبريل وقال يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بحق يوم عرفة اصرف عني هذه الكلاب فخضعت له فقال عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم إن ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى

أرسلني رحمة ولم يعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي صلى الله عليه وسلم.. حكاية: قال بعض الصالحين رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال **كان والدي** يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به ... لوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله تعالى قد استجاب دعادي وغفر لأمتي أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه ... حكاية: قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر، وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفا وخمسمائة صنم تعبد من." (١)

"دون الله، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت فقال محمد رسول الله فسألته عن مسائل فأجابها فقالت إكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت هذا لمن يطلب الفردوس قليل فلما ماتت طرحوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكفنها وصلى عليها ثم قال والذي نفسي بيده ما ماتت حتى رأت منزلها في الجنة ثم جاء جبريل وقال يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بحق يوم عرفة اصرف عني هذه الكلاب فخضعت له فقال عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم إن ربك يأمرني أن أطيعك فما تريد فبكى وقال إن الله تعالى أرسلني رحمة ولم يعثني عذابا ثم قال اللهم بحق آدم وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان قال ابن عباس فوالله لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبي صلى الله عليه وسلم.. حكاية: قال بعض الصالحين رأيت رجلا بمكة يقول اللهم بحق صائمي عرفة لا تحرمني ثواب عرفة فقلت له في ذلك فقال

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١٧٢/١

كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رايته في المنام فقلت له في ذلك فقال كان والدي يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا الدعاء ولما وضعت في قبري جاءني نور فقيل لي هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به ...

فائدة: أكرم الله هذه الأمة بصيام عرفة وأكرم فيه أربعة من الأنبياء أكرم آدم بالتوبة وموسى بالتكليم ومحمد بالحج وإكمال الدين وإبراهيم بفداء الذبيح وهو إسماعيل كما تقدم في باب المحبة قال النيسابوري في تفسيره هربت هاجر من سيدتها سارة فقال لها ملك إلى أين قالت أهرب من سيدتي قال ارجعي واخضعي لها فإن الله تعالى يكثر ذريتك وستحبلين وتلدين ولدا إسمه إسماعيل يكون عين الناس فلما أمر إبراهيم بذبحه في المنام لأن منام الأنبياء وحي وقيل أن الله تعالى أمر جبريل بذلك فقال يا رب بيني وبينه صداقة وهو شيخ كبير وما بشرته إلا بخير فلا أبشره بهذا فحوله الله تعالى في المنام ليلة عرفة فلما أصبح ذبح مائة من الغنم فجاءت نار فأكلتها فظن أنه في فقيل له ليلة الأضحى خليل الرحمن قرب ولدك إسماعيل فلما أصبح قال لأمه إغسلي رأسه وادهنيه ففعلت فلما خرج جاء الشيطان وقال يا هاجر إن إبراهيم يريد ذبح إسماعيل قالت ولم قال زعم أن الله تعالى أمره فقالت سلمنا الأمر لله فلحق إسماعيل وقال له كما قال لأمه فرد عليه كما ردت عليه أمه ثم قال يا إبراهيم تريد ذبح ولدك قال نعم قال جاءك شيطان في المنام فقال إليك عني يا عدو الله فلما وصل إلى الجبل قال يا بني إني أريد أن أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ولكن إذا أضجعتني فشد وثاقي لئلا يصيبك من دمي وكن على البلاء صابرا وادفع قميصي إلى أمي ليكون لها تذكرة وأقرئها السلام مني وإن سألتك عني فقل تركته عند من هو خير منك ومني فقال إبراهيم يا رب إرحم ضعفي وكبر سني فإن لم ترحمني فارحم هذا الولد الصبي الصغير الذي لا ذنب له وكان عمره سبع سنين وقيل ثلاثة عشر فضجت الملائكة." (١)

"وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام أم قوما وهم له كارهون ... حكاية: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ولد صالح فلما حضره الموت قال لولده لا تحلف بالله كاذبا ولا صادقا فلما مات تسامع به الناس فتسابق إليه بنو إسرائيل فكان الرجل يقول له لي عند أبيك كذا وكذا من المال فيدفعه إليه حتى افتقر فخرج بزوجته وولديه إلى البحر فانكسرت بهم السفينة فصار كل واحد على لوح فوقع الرجل في جزيرة فناداه مناد أيها الرجل البار لوالديه إن الله تعالى يريد أن يخرج لك كنزا وهو في موضع كذا فكشف عنه فوجده فساق إليه بعض الناس فأحسن إليهم فتسامع الناس به

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١٧٣/١

فقصدوه وصارت الجزيرة بلدا وصار الرجل كبيرها فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته فقصده وقربه ولم يعرفه ثم سمع ولده الآخر فقصده وقربه أيضا ثم سمع زوج امرأته الذي صارت الزوجة إليه فتوجه بها إليه فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة في المركب ودخل عليه ومعه هدية فقربه وقال له نم عندنا الليلة فقال تركت امرأتي في مركب وعاهدتها لا أكل أمرها إلى غيري فقال أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة فلما دخل عليها قال أحدهما للآخر قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة ونخاف من النوم فاذكر لي وأنا أذكر لك ما رأينا من الأخبار فقال أحدهما كان لي أخ إسمه كاسمك فركب والدنا في البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه قال كيف كان إسم والدك قال فلان قال وأمك قال فلانة فترامى عليه وقال أنت أخي ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدها في هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة قال لها أيتها المرأة ما الذي رأيت من هذين فقالت أيها الملك دعهما يذكران كلامهما البارجة فذكرا ذلك فوثب الملك عن سريره وقال أنتما والله ولدي وقالت المرأة والله أنا أمهما وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فسبحان من فرقهم وجمعهم ... حكاية: رأيت في القنية للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول حول الكعبة: شعر: هـ وصارت الجزيرة بلدا وصار الرجل كبيرها فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته فقصده وقربه ولم يعرفه ثم سمع ولده الآخر فقصده وقربه أيضا ثم سمع زوج امرأته الذي صارت الزوجة إليه فتوجه بها إليه فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة في المركب ودخل عليه ومعه هدية فقربه وقال له نم عندنا الليلة فقال تركت امرأتي في مركب وعاهدتها لا أكل أمرها إلى غيري فقال أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة فلما دخل عليها قال أحدهما للآخر قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة ونخاف من النوم فاذكر لي وأنا أذكر لك ما رأينا من الأخبار فقال أحدهما كان لي أخ إسمه كاسمك فركب والدنا في البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه قال كيف كان إسم والدك قال فلان قال وأمك قال فلانة فترامى عليه وقال أنت أخي ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدها في هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة قال لها أيتها المرأة ما الذي رأيت من هذين فقالت أيها الملك دعهما يذكران كلامهما البارجة فذكرا ذلك فوثب الملك عن سريره وقال أنتما والله ولدي وقالت المرأة والله أنا أمهما وهو على جمعهم إذا يشاء قدير فسبحان من فرقهم وجمعهم ... حكاية: رأيت في القنية للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول حول الكعبة: شعر:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم.

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي ويا قيوم لم تنم

هب لي بجودك ما أخطأت من جرم ... يا من إليه أشار القوم بالكرم

إن كان عفوك لم يسبق لمجترم ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال يا حسن أدركه فإذا هو رجل حسن الوجه إلا أنه قد شل جانبه الأيمن فقال أجب أمير المؤمنين فجاء يجر شقه فقال من أنت قال من العرب **وكان والدي** يتهاون عن المعاصي فلطمته على وجهه فركب ناقته وأتى الكعبة وقال: شعر:

يا من إليه أتى الحجاج من بعد ... يرجون لطف عزيز واحد صمد

هذي منازل ما قد خاب قاصدها ... فخذ بحقي يا رحمن من ولدي

فسل منه بجود منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد." (١)

"الفقراء وقبوله ابن أبي النصر فتغيرت خواطرهم عليه فمرض من حينه واشتكى حتى طلب منهم المحاللة والرضى فنفذ فيه السهم وانقضى الأمر فقضى وأخبرني الجمال المطري وكان ملازما خدمتهم لأن مسكنه في الحجرة التي عند باب رباطهم أن صاحب الترجمة لما دخل مكة قصد زيادة النجم الأصبهاني فلما جلس إليه أراد أن يسأله عن اسمه فبدره وقال: اسمي مكتوب بين عينيك ففهم مقاله وأنه كاشفه وأنه اسمه كإسمه عبد الله واتفق أنني لما عزمت على التوجه لمكة من طريق الماشي في حال الشبوبية سنة عشر وسبعمائة ظنا جاء أبي إليه وأعلمه بذلك، فأمره أن يرسلني إليه فجئته فقال لي: بلغني أنك تريد مكة؟ فقلت: نعم لأجل العمرة في رمضان فقال لي: من رفقتك؟ فذكرت له جماعة من الفراشين وغيرهم فقال لي: ليس في هؤلاء من هو من جنسك ولا من تليق بك مرافقتهم ولكن اصبر قليلا حتى ننظر لك رفقاء فقلت له: قد ضاق الوقت ومضى أكثر رمضان فقال لي: اسمع ما أقول لك فذهبت عنه ووثقت بوعده فما كان إلا قليلا وورد الشيخ محمد بن عمران الخضري وجماعة من الصالحين للزيارة فدعاني الشيخ وقال: سافر مع هذا فسافرت معهم فرأيت منه ومن أصحابه من الخدمة والمؤانسة ما لو **كان والدي** معي لم يبلغه ولم أحمل معهم سوى عصاي فدخلت مكة ليلة ثامن عشري رمضان وخرجت يوم العيد متوجها إلى المدينة مع الشيخ الصالح محمود اللاري ذي الأخلاق الحميدة والمعاشرة الجميلة والديانة التامة والمبادرة لانتظار الصلاة من أول الوقت فصحبته بإشارة الشيخين أبوي عبد الله النحوي والشريف الفاسي فكان نعم الصاحب

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١/١٩٩

... ووصلت المدينة في ستة أيام. وكان ذلك كله ببركة رأي صاحب الترجمة وخاطر والدي وكان صاحب الترجمة قد ابتلي في آخر عمره بالبواسير وانقطع في بيته لذلك ولزم حجرته وقاسى منه مقاساة شديدة بحيث كان يقول: لو جاز لي سؤال الموت لسألته، من شدة ما قاسى وله من المناقب والأحوال العلية ما لا أحصيه وهو صاحب القصيدة الجليلة السائرة المباركة التي أولها:

دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى ذكراها

ورأى بعض الصالحين وأشك أهو صاحبها أو غيره - النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأنشده إياها فلما بلغ آخرها وهو قوله:

والحمد لله الكريم وهذه ... كملت وظني أنه يرضاها

قال له صلى الله عليه وسلم: رضيناها رضيناها وممن أخذ عنه عبد الواحد الجزولي الآتي وذكره المجد فقال: الشيخ أبو محمد ذو المقامات الفاخرة والكرامات الظاهرة والولاية العلية والعناية الجلية والزند الوري بالأنوار والقلب الروي بالأسرار. كان أعبد مشايخ أهل عصره وأزهدهم وأقدرهم على الرياضة وأجهدهم وأعلاهم في الطريق عنانا." (١)

"مولده في سنة إحدى وخمسين وستمائة، بمدينة أنكورية (١) من بلاد الروم.

وتفقه على أبيه وغيره، وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وولي القضاء بخرت برت (٢)، وعمره سبع عشرة سنة.

وقدم مع أبيه دمشق واستقر في قضاء قضاة الحنفية بها عوضا عن أبيه لما توجه إلى مصر في ثاني صفر سنة ست وتسعين وستمائة، ودرس وأفتى وعمي في آخر عمره. وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

قال الشهاب أحمد (٣) بن يحيى بن فضل الله العمري: وهو كبير المروءة لقصاده، حسن المعاشرة، طيب الأخلاق، طيب النفس جدا.

وله نيف وسبعون سنة يدرس بدمشق، وغالب مفتي مذهبه من الحكام والمدرسين كانوا فقهاء عنده، وقل منهم من درس وأفتى بغير خطه.

حكى لي أعجوبة جرت له، قال: **كان والدي** [قد] (٤) سفرني

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ٢ /٦٨

(١) تسميها العرب انكورية، ضبطها أبو الفداء إسماعيل في تقويم البلدان فقال: (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية وهاء في الآخر).

وأنقرة: كانت باقليم غلاطية القديمة بآسيا الصغرى (الاناضول). وفيها دفن امرؤ القيس الشاعر المشهور سنة ٥٦٥ م. وافتتحها المعتصم الخليفة العباسي سنة ٢٢٣ هـ.

وعندها أسر تيمورلنك السلطان بايزيد العثماني سنة ١١١٧ هـ ١٤٠١ م. وهي الآن مقر الحكومة التركية. (حواشي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٠/ ١٠٩).

(٢) في الأصل: «خربرت»، والصواب في: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، والجواهر المضيئة، وقضاة دمشق لابن طولون.

(٣) في الأصل: «قال الشهاب بن أحمد»، تحريف، صوابه في: حسن المحاضرة، والدرر الكامنة.

(٤) تكملة عن مسالك الأبصار.." [1]

"وعن الشيخ أبي محمد، أنه قال: نحن من العرب، من قرية يقال لها سنبس.

ومن ظريف ما يحكى ما ذكره أبو عبد الله الفراوي قال: سمعت إمام الحرمين يقول: **كان والدي** يقول في دعاء قنوت الصبح: لا تعقنا عن العلم بعائق، ولا تمنعنا عنه بمانع.

وروي أن الشيخ أبا محمد رأى إبراهيم الخليل عليه السلام في منامه، فأومأ لتقبيل رجليه، فمنعه ذلك تكريما له. قال: فقبلت عقبيه، وأولت ذلك البركة والرفعة تكون في عقبي.

قال الشيخ تاج الدين السبكي: وأي بركة ورفعة مثل إمام الحرمين ولده. توفي الشيخ أبو محمد سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة بنيسابور.

قال أبو صالح المؤذن: غسلته، فلما لففته في الأكفان رأيت يده اليمنى إلى الإبط منيرة كلون القمر، فتحيرت وقلت هذه بركات فتاويه.

ومن تصانيفه: «الفروق» و «السلسلة» و «التبصرة» في الفقه، و «التذكرة» و «مختصر المختصر» و «شرح رسالة الشافعي» و «مختصر في موقف الإمام والمأموم»، وله «تفسير» كبير يشتمل على عشرة أنواع من العلوم، في كل آية.

ومن شعره يرثي بعض أصدقائه:

رأيت العلم بكاء حزينا ... ونادى الفضل وا حزنا وبؤسى (١)

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١/ ٣٦

سألتهما بذاك فقيل أودى ... أبو سهل محمد بن موسى

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي.." [1]

"فأقاموا به مدة نحو سنتين ثم انتقلوا الى الجبل. قال الشيخ أبو عمر. فقال الناس: الصالحية الصالحية ينسبونا الى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون.

وقال أبو الفرج ابن الحنبلي: **وكان والدي** هو الذي أنزلهم في مسجد أبي صالح فاستوخم المسجد عليهم فمات منهم في شهر واحد قريب (١) من أربعين نفسا فأشار عليهم والدي بالانتقال الى الجبل حيث هم الان وكان رأيا مباركا وبنوا فيه المنازل وقيل لها الصالحية بهم.

قال: وقال أبو شامة الذهبي: بهم سميت الصالحية لصلاحهم.

وكان الشيخ أبو عمر يوري ذلك عنهم ويقول: انما هي نسبة الى مسجد أبي صالح لاننا نزلنا فيه أولا لا أنا من الصالحين.

الباب الثاني

في اصل وضع الصالحية

اعلم أن الصالحية اسلامية محدثة في آخر قرن الخمسمائة. وكان سبب وضعها مهاجرة أولاد قدامة المقادسة رضي الله عنهم من تلك البلاد الى دمشق من جور الفرنج.

أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي عمر الصالحي (انا) أبو الفرج عند الرحمن بن يوسف بن فريج (٢) (أنا) أبو الحسن علي بن عمر بن عبد الرحيم (أنا) التقي سليمان بن حمزة بن أبي عمر (أنا) الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي.

---

(١) في الاصل: قريبا.

(٢) في الاصل: فريج.." [2]

"اليوم الذي ماتت فيه جدتي فاطمة بنت نعمة بنت اربع سنين قالت والدتي واقمنا بالمسجد الى جمادى الآخرة وصعدنا فيه الى الدير في السنة الرابعة.

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١/٢٦٠

(٢) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٦٦

[مخاصمة بني الحنبلي لبني قدامة]

وبه الى الحافظ ضياء الدين قال سمعت خالي الامام الرباني موفق الدين ابا محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة بارك الله في عمره يقول لما جئنا الى مسجد ابي صالح واقمنا فيه وكان في يد بيت الحنبلي **وكان والدي** يؤم فيه الناس وكنا نقرأ فيه السبع وكان قد ترك يعني قراءة السبع وصار الناس يأتون الى والدي ويزورنه فخاف بنو الحنبلي منا ان نأخذ الوقف من ايديهم فجاؤوا الينا وقالوا ما نخليكم في المسجد حتى تكتبوا خطوطكم أنكم من تحت ايدينا وانكم نزلتم علينا ففعلنا وكان رجل يسمى بابي القاسم الصوري وكان يجيء الى عندنا ويصفنا للناس ويحصل لنا اشياء، منها انا لما قدمنا ومعنا صغار واحتجنا الى كسوة الشتاء حصل لنا جبايا وثيابا قال فجاء بنو الحنبلي اليه وضربوه في المسجد وخاصموا الشيخ وسمعوه ما يكره ثم مضوا يستعدون الى السلطان علينا قال فاتفق ان السلطان كان في الميدان وكان معه الاعز وكان صديقنا وابن ابي عصرون يعني القاضي وكان في قلبه عليهم فلما استعدوا علينا قال له الاعز وابن ابي عصرون في حقنا: ان هؤلاء قد جاؤوا مهاجرين ووصفا الشيخ وهم يحفظون القرآن فقال نور الدين رحمه الله يعني محمود بن زنكي الشهيد نكتب لهؤلاء المهاجرين به كتابا ويسلم اليهم الوقف والمسجد فكتبوا كتابا وعلم عليه السلطان وجاء به القاضي ابن ابي عصرون والاعز الى عندنا الى المسجد فاخذنا الوقف والمسجد وجعلنا على الوقف محمد بن عمتي وكان اهل باب شرقي يخرجون الى ظاهر الباب ويشربون الخمر ونحن." (١)

"وإذ يكاد ... الحسن المكان البهيج إن يحيتا

نهر أظله ... دوح عليه أنيق مورق فيتان

والماء يجري ... وعائم وغريق من جنى الريحان

واشتهر بعده أبن حيون. إلى إن قال أبن خلدون: وبعد هؤلاء أبن حمزون بمرسية. ذكر أبن الرائس إن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه: فأنشده موشحه لنفسه، فقال له أبن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف؛ فقال: على مثل ماذا؟ قال على مثل قولي:

يا هاجري هل إلى الوصال ... منك سبيل

أو هل ترى عن هواك سالي ... قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. قال أبن سعيد: **كان والدي** يعجب بقوله:

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٧٩

إن سيل الصباح في الشرق ... عاد بحرا في أجمع الأفق
فتداعت نوادب الورق ... أتراها خافت من الغرق
فبكت سحرة على الورق
واشتهر باشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل. قال أبن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا بن الفضل، لك على الوشاحين الفضل بقولك:
وأحسرنا لزمان مضى ... عشية بان الهوى وانقضى
وأفرد بالرغم لا بالرضا ... وبت على جمرات الغضى." (١)

"وصاحب سيدي محمد بن عراق. كان يحفظ القرآن العظيم، والمنهاج للنووي. وحدثني تلميذه الشيخ الصالح العارف بالله تعالى يوسف الدجاني الأربدي أن الشيخ أحمد الدجاني كان لا يعرف النحو، فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا أحمد تعلم النحو. قال: فقلت له: يا رسول الله علمني، فألقى علي شيئا من أصول العربية، ثم انصرف قال: فلما ولى لحقته إلى بيت الخلوة، فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وضممت اللام من رسول. قال: فعاد إلي. وقال لي: أما علمتك النحو أن لا تلحن قل: رسول الله بفتح اللام. قال: فاشتغلت في النحو، ففتح علي فيه. دخل إلى دمشق في أوائل رجب سنة إحدى وخمسين وتسعمائة بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام، وكاتب الولايات، وخطب بجامع دمشق يوم الجمعة منتصف رجب، وشكره الناس على خطبته، وزار الشيخ محيي الدين بن العربي، وأقام الذكر عنده. قال ابن طولون: وحذوه فيه حذو شيخه الشيخ محمد بن عراق، وسألته عن سنه وقت موت الشيخ محمد الجلجولي رضي الله تعالى عنه. فقال: نحو ثمان سنين قلت: وتقدم أن وفاته كانت سنة عشر وتسعمائة، وسافر راجعا إلى القدس الشريف مستهل شعبان صحبه الشيخ عيسى الصفوري، وكان الشيخ عيسى ذاهبا إلى مصر في قافلة. قلت: وحدثني الشيخ أحمد بن سليمان أنه لما اجتمع بصاحب الترجمة في القدس، وهو في صحبة الشيخ شهاب الدين أخي حدثهم أنهم كانوا في حضرة الشيخ علي بن ميمون، فشكوا إليه خاطرا، فطردهم، فكانوا على باب الخلوة أياما، ثم شكوا إليه فقال: تتوبون قالوا: نعم. فقال: قولوا: يا إلهي تب علينا، واعف عنا أجمعين يا رحمان يا رحيم وكرروها، ففعلوا، فردهم، ثم استحسن الشيخ أن يلازموا على ذلك في مجالس الذكر عند الختام، فصار ذلك من طريقتهم، وقال لي والد شيخنا: ورد الخبر بموت الشيخ الصالح العابد أحمد الدجاني ببيت

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٢١١

المقدس. وأنه توفي في جمادى الأولى سنة تسع بتقديم التاء وستين وتسعمائة. قال: وصليت عليه في جامع الجديد في جمادى الآخرة رحمه الله تعالى.

أحمد الشلاح

أحمد بن عمر الشلاح، الشيخ الفاضل المقرىء المجود، الحافظ لكتاب الله تعالى شهاب الدين أحمد الضرير. كان يحضر دروس الشيخ الوالد في التقوية وغيرها، ويقرأ القرآن العظيم في المجلس. قرأ القرآن العظيم على الشيخ أحمد بن عبد القادر ابن التينة مؤدب الأطفال، وأقرأه إياها للعشر، ثم قرأ في القراءات على الشيخ شهاب الدين الطيبي، **وكان الوالد**، والشيخ الطيبي يقول كل منهما: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل، فليسمعه من الشيخ أحمد الضرير، وكان يقرأ في الجامع على الكرسي بعد صلاة المغرب دون الربع من الحزب في كل ليلة يبدأ من أول القرآن إلى ختمه حالا مرتجلا ما كان." (١)

"المشهورين المعتقدين ولد بدمشق سنة أربع وعشرين ومائة وألف وقرأ بها القرآن وغيره من العلوم وأخذ الطريقة الخلوتية عن والده وأقام الذكر والتوحيد على عادتهم في زأويتهم المعروفة بهم الكائنة بالقرب من باب جيرون قريب الجامع الأموي واعتقده الناس وكتب التمائم والتعأويز للمرضى وغيرها واحترمه الكبار والصغار وكان مبجلا معتقدا اجتمعت به مرات بمجلس والدي وغيره وكان يزورني وأنتفعت بدعواته **وكان الوالد** يجله ويحترمه ولم يزل على حالته هذه إلى أن مات توفي يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف وصلى عليه بالجامع الأموي وحضرت مع من كان مصليا عليه ودفن من يومه بمقبرة باب الصغير

أبو بكر بن مصطفى باشا

أبو بكر بن مصطفى باشا الحنفي القسطنطيني أحد خواجكان الدولة العثمانية وهم باصطلاح الدولة أعان الكتاب وروسائهم كان من أرباب المعارف والكمال والوقار حسن الأخلاق يكتب الخطوط الحسنة كالثلث والنسخي والديواني ماهرا بهم صاحب دراية ومعرفة ولد بقسطنطينية وبها نشأ ودخل السراي السلطانية وصار من علمائها الذين يحدثون السلطان ثم ان السلطان أحمد خان الثالث أخرجه كعادتهم برتبة الخواجكان وأعطاه منصب الموقوفات ثم بعد ذلك صار طغرأى الدولة المعروف بالتوفيعي وأمين الدفتر

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٣/١٠٩

وكاتب أوجاق البنكجريان ومعناه العسكر الجديد ومثل ذلك من المناصب العالية وكان والده من الوزراء ويعرف بقره كوز مصطفى باشا ومعناه بالعربية أسود العين ولم يزل المترجم على حالته إلى أن مات وكأنت وفاته بقسطنطينية في شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى

أبو بكر ابن قنصه

السيد أبو بكر بن منصور المعروف بابن قنصة الشريف لامه الحنفي الحلبي الفاضل الكامل من المنوه بهم في حلب بين روسائها ولد بها في سنة أربع وثمانين وألف وقرأ على الفضلاء بها وبرع وصار مدرسا صاحب رتبة وكان له لدى الحكام في أموره اقدام نفي وأحلى بسببه مرارا منها في سنة أربع وستين ومائة وألف أجلاه الوزير السيد أحمد باشا مع من ساق من أعيان حلب فاستقام في بلدة." (١)

"وقرأ في الأموي بالسنة المذكورة ولازم التدريس والاقراء والافادة ولزمه الطلبة للأنتفاع والاستفادة وأقرأ من كتب النحو والصرف والمعاني والمنطق والاصول والحديث وغيرهما في مجالس عامة وخاصة وأنتفع به خلق وأخذ عنه جم غفير وكنت قرأت عليه شيئا من النحو وكان يقيم الذكر في الجمعات في الجامع الأموي في المشهد المعروف ببني السفر جلاني وطريقته الطريقة الشاذلية المزطارية وهو أخذها عن جماعة منهم والده عن الاستاذ الشيخ محمد المغربي المزطاري إلى أخر السند وكذلك عن الشيخ إبراهيم كرامة الاسكندراني وتنافس هو وخليفة المزطاري الذي هو من بني السفرجلاني بخصوص ذلك وأرادوا أخذ المشهد لأجل ذلك ووقع بينهم ما وقع من الحصام والجدال واستقر الحال على أن ابن الشيخ عبد الرزاق السفرجلاني خليفة المرطاري يكون في المشهد الكائن بالقرب من باب البريد المعروف بمشهد الحرمين وأن يكون المترجم في المشهد الثاني الذي كان يقيم به الذكر الشيخ عبد الرزاق المذكور وصار لكل تلاميذ ومريدون وصار للمترجم تدريس البخاري في مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظيم وكان قبل ذلك له بها وظيفة حفاظة الكتب **وكان والدي** أحدث له في وقف السنانية عشرة دارهم عثمانية في كل يوم وكان يجله ويحترمه وبالجملة فقد كان أحد مشاهير الافاضل بدمشق ولم يزل على حاله إلى أن تبرأ الدار الآخرة وكأنت وفاته في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ودفن من اليوم في تربة باب الصغير وسيأتي ذكر والده محمد في محله رحمهما الله تعالى

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٥٣/١

أبو المكارم بن حبيب

أبو المكارم محمد بن مصطفى بن حبيب الشيخ الفاضل الأوحد الملقب بالدده الحنفي الارضرومي السيد الشريف نزيل دار السلطنة قسطنطينية وقاضيها وأحد علمائها الاعلام الافاضل قدم دار السلطنة في دولة المرحوم المولى شيخ الاسلام فيض الله المفتي بالدولة العثمانية وأدخله الطريق وسلكه وترقى بالرتب حتى صار قاضيا في الغلطة خارج قسطنطينية ثم ولى قضاء البلدة المذكورة بعد مدة واشتهر وتفوق ونهض للمعالي وتسنم ذراها وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها وعظم شأنه وقدره واتسعت دائرته وكل ذلك لتقرب شيخ الاسلام المذكور للحضرة السلطانية ونفوذ كلمته وإقبال الملك عليه وكان المترجم مع هذا فاضلا." (١)

"زين الدين مصطفى بن محمد رئيس الكتاب وأنتسب إليه فجعله من أعيان الكتاب وأقبل بكليته عليه ورسم له أن يكون من روسائهم وولي بعض المناصب ككتابة الصدر الوزير الأعظم ثم صار رئيس الجأويشية وانعقدت عليه أمور الدولة وفوضت إليه في أيام السلطان أبو التأييد والظفر نظام الدين مصطفى خان في المعسكر السلطاني وكان هو مع من كان في المعسكر السلطاني أيام الغزا والجهاد على الكفار الروسية وحمدت سيرته بين أعيان الدولة وكان الوزراء والأمراء والحكام ينقادون إلى كلامه ويستشيرونه في أمور الدولة وترتيب العساكر وتقليد المناصب واستقام على هذه الحالة قدر خمس سنين ثم بعد وقوع الصلح بين المسلمين والكفار وانقضاء الأمر ورجوع الوزراء والأمراء وأعيان الكتاب صحبة المعسكر السلطاني واللواء الشريف إلى دار السلطنة قسطنطينية صار محاسب الأموال السلطانية وثاني وكلاء بيت المال والروزنامجية الكبيرة وأمين المطبخ السلطاني اجتمعت به في دار السلطنة في جمادي الثانية سنة سبع وسبعين ومائة وألف وسمعت من فوائده وصحبته واطلعني على آثاره منها حديقة الروساء ومنها خميلة الكبراء تشتمل الأولى على تراجم روساء الكتاب في دولة العثمانية والثانية تشتمل على تراجم الخواص والمقربين روساء خدام الحرم السلطاني الأمراء السود والحبشان وسمعت من أشعاره ونثاره الكثير وكان بينه وبين والدي محبة ومودة وله أخذ عن الجد العارف محمد بهاء الدين المرادي الحسيني وكنت أسمع خبره من الوالد وغيره قبل الاجتماع **وكان الوالد** يراسله ويكاتبه واجتمع به بقسطنطينية وكان خبيرا بالأمور بصيرا بأعقابها له رأي ووفرة عقل وقوة ذكاء وقريحة غير قرية وفضل لا ينكر وأدب غض وحسن ترسل في الألسن الثلاث ولا يكتب إلا جيدا مع حسن الخط والضبط والأعيان والكتاب تتنافس بتحريراته ورسائله وفي آخر أمره ضعف بصره وقل نظره وقويت علي الأمراض والهرم ومات ولده الأديب النجيب عمار الكاتب في

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٦٦/١

حياته فتأسف عليه وحزن لفقده وكدر مصابه توفى وأنا بدار السلطنة في ليلة الأحد ثالث شوال سنة سبع وتسعين ومائة وألف ودفن بمقبرة اسكدار ومن نثره هذه المقامة سماها الزلالية البشارية فيما جرى بين ركبان الجاديه تشتمل على أمثال كثيرة وهي هذه

حركني الشوق إلى التنقل يوما من الأيام مع رفيقي بشار بن بسام أخذا بقول بعض أصحاب الأمالي لا يصلح النفس إذ كأنت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال فنزلنا نحر النهار على عادة الهوز بطفطاف الراموز فأجلنا." (١)

"الأديب الألمعي ولد بدمشق سنة خمسين ومائة وألف وقرأ القرآن على الشيخ سليمان بن محمد أبي الدنيا بن جمال الدين المصري المقري وعلى الشهاب أحمد بن عبد اللطيف التونسي المغربي وتلاه وحفظ بعض المتون وقرأ في الفقه والتفسير والنحو وأخذ علم التفسير الشريف والحديث وبقية العلوم من منطوق ومفهوم عن أجلاء منهم الامام علاء الدين علي بن صادق بن محمد الطاغستاني الحنفي تريل دمشق قرأ عليه الكثير والشيخ أحمد أثير الدين بن عبيد الله بن عبد الله العطار الشافعي وأنتفع به وأبو الفتوح البرهان إبراهيم بن عبد الله السويدي البغدادي وجده لأمه الامام الكبير أبو النجاح أحمد بن علي المنيني الحنفي والشيخ الفاضل محمد ابن حسين الحصاري الحنفي وغيرهم وبرع وتفوق وكان له ذكاء تام وحذق زائد وقوة حافظة وسرعة حفظ ومتانة مع حسن الأخلاق ودماثة الطبع ونظافة الملبوس وحسن المطارحة والصحبة وجودة الخط وسرعته وكثرة العقل وحسن التدبير والادراك التام وكان الوالد يحبه كثيرا ويثني عليه ويجله وصرفه بأملاكه وعقاراته كيف شاء وأذن له بتعاطي أموره وادارة دائرته فتعاطى ذلك وباشره طبق رضاء الوالد وكان لا يخرج عن ارادته بأمر من الامور ويكلفه الوالد إلى أشياء لا يطيق حملها أحد وهو يتلقاها بالبشاشة والقبول ومع ذلك واشتغاله بامور والده الجلائل كان لا يشغله عن المذاكرة والمطالعة شيء ولا يفتر عن تعاطي مطارحات الأدب بين أصحابه واخوانه ولما كان الوالد يقري الهداية في السليمانية كان يعيد له الدروس واشتهر فضله وأدبه ونبله واعطاه الله القبول وأحبه الناس وذهب إلى دار السلطنة قسطنطينية مع والده وجده وإلى القدس والخليل وعمر الدار التي هي بالقرب من دارنا جوار الحمام العقيقي وصرف عليها المال الكثير وزينها أنواع النقوش وأحجار الرخام واتقن صنعها ولما مات استوحش منها الوالد وباعها بأبخس ثمن وكان يحبني ويودني ويبذل جهده في مرضاتي رحمه الله تعالى مع أنه هو الاكبر سنا وقد رأو كان ينظم الشعر وينثر الاسجاع في الرسائل التي تصدر عن والدي وشعره قليل منه هذه الأبيات

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٧٤/١

نقلتها من خطه

لقد كنت أهواها ولم أدر ما الهوى ... وزاد غرامي الآن والعين تدمع

ومذ علمت أني شغفت بحبها ... جفتني صديقي دلني كيف اصنع

وان شئت أن أسلو هواها بغيرها ... فلا مقلتي ترقا ولا الاذن تسمع

فقل لي خليلي هل إلى الوصل شافع ... إلى مالكي أم هل إلى القرب مهيع." (١)

"إلى الولي الكبير سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه السيد الشريف القادري الحموي الحنفي أبو يعقوب الشيخ المعتقد الكامل أحد المشائخ المشهورين المعظمين ولد في حماه سنة احدى عشرة ومائة وألف كما أخبرني صاحبنا القاضي حسين ابن الرئيس على المستوفي الحموي نقلا عنه وهو أكبر اخوته يعقوب ومحمد وصالح وعبد الرحمن ونشأ في كنف والده ولما استقر والده وأعمامه واخوته بدمشق وسكنوها استقام معهم وأخذ عن والده الطريقة القادرية ولقنه الذكر واشتهر أمره واحترمه الناس وكان الحكام والقضاة يبجلونه ويحترمونه اجتمعت به بدمشق وكان يدعو لي ويكتب لي بخطه بعض التعأويذ والتمائم **وكان الوالد** يحترمه ويجله ولم يزل شيخا معتبرا محترما حتى مات شهيدا قتله في واقعة أبي الذهب المصريين مع أهالي الشام جماعة من عسكر الأتراك طمعا في ماله فوق معرة النعمان وهو ذاهب إلى حلب وكان ذلك في شعبان سنة خمس وثمانين ومائة وألف ودفن خارج المعرة والحموي بفتح الحاء والميم نسبة إلى حماة البلد المعروفة المشهورة توطنها أسلافه من قديم الزمان وهم رؤساؤها وأعيانها ومشائخها وأحوالهم غنية عن التطويل وكلهم مشائخ معتقدون وسيأتي ذكر أخيه محمد وابني عمه ان شاء الله تعالى.

السيد إسحق المنير

السيد اسحق بن محمد بن علي المعروف بالمنير الحسني الشافعي الحموي الأصل الدمشقي الشيخ العالم الصالح كان من خيار الأخيار من الأمة المحمدية وكان والده من المعمرين الأخيار اتفق أهل عصره على صلاحه ودياته وكأنت له كرامات وأحوال عجيبة وكان في جميع أحواله ماشيا على نهج الكتاب والسنة وتوفي في سنة احدى وستين وألف وخلف ثلاثة أولاد أكبرهم السيد حسن كان من خلاصة الخلاصات عانا فقيها ورعا زاهدا وكان في عصره فردا من أفراده جمع بين العلم والعمل وترجمه الأمين المحبي في تاريخه وأثنى عليه وذكر أن وفاته كأنت في شوال سنة أربع وتسعين وألف وأوسطهم السيد عبد الرحمن كان

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٤٦/١

عالما عاملا تقيا نقيا توفي سنة تسع وثمانين وألف وثالثهم صاحب الترجمة قال المحبي في تاريخه عند ترجمة والد المترجم ولقد حكى لي بعض الاخوان عن صدوق من الناس انه رأى والدهم فسأله عن مرتبتهم في الولاية فقال أما حسن فكنا نتجارى نحن واياه فسبقنا." (١)

"عنها ووليها ابن عمي المولى الشريف عبد الله بن طاهر المرادي ودخل دمشق في أواسط سنة تسع وثمانين **وكان الوالد** يجله ويحترمه واتصل بأخته أم الخير خديجة والدة الأخ الفاضل أحمد السعيد المار الذكر وتزوج بها وأيضا عمي المار ذكره تزوج بأخته الثانية ام اليمن خانم وجاءه منها ولده أبو الفخر مصطفى وبيننا وبينهم محبة قديمة ومودة وله في الوالد المدائح ذكرت أغلبها في مطمح الواجد وكان والده وعمه أبو الفرج عبد الرحمن المنيني من أصحاب الجد الاستاذ الشيخ مراد بن علي البخاري وصحباه في السفر والحضر عدة سنين وهما من خواص تلامذته القائمين بخدمته والملازمين لحضرته والمستظلين باقياء فضائله وخضرته توفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء ثالث ذي الحجة ختام سنة اثنين وتسعين ومائة وألف وصلى عليه بالجامع الشريف الأموي ودفن في مقبرة مرج الدحراح خارج باب الفراديس ومن شعره ما أنشدنيه من لفظه لنفسه يمدح بها بعض الأعيان

أيها السائق المجد تصبر ... عمرك الله فالفؤاد تفطر

وقف الركب ساعة عل طرفي ... بسنا الا هيف المحجب يظفر

أو ما قد علمت ان فؤادي ... صاده من ظبائها العين جؤذر

ثم عج بي نحو الربوع ففيها ... قد تركت الفؤاد بالحب مؤسر

في هوى أغيد من الشمس أبهى ... فلذا البدر من محياه أسفر

أكحل الطرف لين العطف أحوى ... كامل الظرف أهيف القد أحور

ذو جبين كالبدر من ليل شعر ... وثنايا سلسا لها العذب شكر

ولحاظ لسحر باب تعزى ... ولعمري بل منه أمضى وأسحر

صاد عقلي بحسنه مذ تبدى ... قلت جل الذي لحسنك صور

ورماني بالصد والبعد عنه ... ان حظي منه الصدود مقدر

وكساني ثوب السقام نحولا ... ولقتلي سيف اللواحظ أشهر

فشهودي عليه عند مدمعي ... ولعمري يمين ان هو أنكر

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١/٢٢٠

وهواني قد لذ لي من هواه ... ان خلع العذار في الحب يغفر

آبا لوصل لو يبل أو أمى ... من لهيب من هجره يتسعر

لا مني في هواه من ليس يدري ... وأخو الوجد والصبابة يعذر

فاذيعوا يا امة العشق شوقي ... لمليح من الجاذر انفر

قد كوى مهجتي بنار التجافي ... ولقوس الصدود والهجر أوتر." (١)

"أناس كثيرون وفاق أقرانه وشاع صيته وكان شهما جليلا له تصرف تام ومهارة في صناعة التوريق وكأنت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة وألف بمصر القاهرة رحمه الله.

حسين باشا حسني

حسين باشا بن عبد الله الملقب بحسني القسنطيني أحد وزراء الدولة العثمانية في عهد السلطان مصطفى خان الثالث ابن السلطان أحمد خان الثالث العثماني تغمدهم الله بالرضوان تقلبت به الأحوال وصار رئيسا للعسكر الجديد المعروف بالينكجرية ثم صار أمير الأمراء وحاكم البحرين وبعده أعطى الوزارة وكان شهما جليلا مدبرا جسورا كاملا مكملا توفي في جزيرة قندية سنة ست وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى وحسني منسوب للمحسن وهو لقب له على طريقة شعراء الفرس والروم في الألقاب وبالجملة فقد كان نادرة دهره ووحيد عصره رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين.

حسين السرميني

السيد حسين ابن السيد عبد الرحمن بن محمد الشهير بالسرميني الحنفي الدمشقي كان مجانا بارعا طارح التكليف سالكا بين أبناء زمانه له في كل مقام مقال ولد بدمشق وقرأ وجالس الأعيان وانخرط في مجالسهم ولازمهم وادعى نظم الشعر والفضل حتى شرع في التدريس بمدرسة الخصاصية الكائنة بسوق الدرويشة بالقرب من سراية الحكم لكونه كان متوليها وقف الوزير طويل أحمد باشا وصارت له رتبة اكنجي المتعارفة بين الموالي وكان أحد من يتولى النيابات بالمحاكم كالعونية وغيرها كوالده السيد عبد الرحمن المتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وبالجملة فقد كان ممن يؤنس بحضوره وعشرته **وكان والدي** يسعفه لأنه كان من أخص المحسوبين والمنسوبين إليه وقد ترجمه الشيخ سعيد السمان في كتابه وقال في وصفه أليف

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢٤٣/١

ودادي الذي عهوده وثيقة وحليف مرادي الذي درر ذممه نسيقه غبطني عليه الزمن ومتعني باخائه الغالي الثمن فصرفت إليه وجهة الألفة ورفعت ما بيننا حجاب الكلفة فإذا اجتمعنا نودان لا نفترق وإذا افترقنا عاد كل منا وهو أسف فرق فهو لي مطمح سرور وراحة قلبي المحرور تبسم لي تباشير الرضى من خلائقه فاقطع حبال وثوقي من علائقه فما رأيته الا وهشيت ولا طارحته الا وطربت وانبشيت كأنه من ملح تصور ومن اهتضام النفس تكون وبسوار." [١]

"وغيرهم وحج مع والده ووالدي وارتحل إلى قسطنطينية مع الجد واجتمع بسلطانها الملك الأعظم محمود خان وأدناه من حضرته وكان إذا جاء إلى زيارة الجد يقوم بخدمته عمي صاحب الترجمة واجتمع بعلماء الدولة ورؤسائها ومشايخ الاسلام بها ووزرائها العظام وكان كثير الاتحاد مع الوالد لا يفترقان أكثر الأحيان وكان يعامل الوالد معاملة الوالد وإذا رآه يقبل يده ويتأدب بخضرته **وكان الوالد** يجله ويحترمه ويسعى باكرامه وتوقيره واحترامه وكان حسن الأخلاق كريم النفس سليم الباطن من الحقد والغيظ لا يذكر أحدا بسوء يحسن لمن يسئ إليه ولا يظهر لأحد مقتا ولا عبوسا كثير التواضع والرفق بالناس يجالس الدرأويش والفقراء ويجلس على خوان الأكل معهم ويحادثهم ولا يستأنف من القعود معهم ويلتذ بصحبتهم ويعتقد على الأولياء والمشايخ ويحب العلماء والأفاضل ويسعى برعيهم واكرامهم ويبذل لهم العطايا والنوال وكان كثير التعبد والتهجد ملازم الصلوات والأوراد والأدعية ولما مات والدي في شوال سنة أربع وثمانين ومائة وألف أقيم مفتي الحنفية مكانه عمي المترجم بارادة أهل دمشق قاطبة واتفاقهم وعرض للأبواب السلطانية بذلك وذهب أحد خدامنا إلى دار السلطنة قسطنطينية مع العروض ولما وصل خبر موت الوالد رسم بالأمر السلطاني لعمي نظام الدين المترجم بالفتوى وجاءته المناشير السلطانية والمراسيم العثمانية تتضمن ابقاء جميع الوظائف التي كأنت على والدي والتوالي والرواتب والتداريس وغيرها وبعد مدة أعطى رتبة قضاء القدس كي يزيد اعتباره وينمو اشتهاره وباشر الأفتاء بهمة علية ومكارم حاتمية وزهد أدهمي وسخاء حاتمي وعفة ونزاهة وتقوى وديانة وأنتشرت فتأويه وأرغم أنف منأويه وامتدحه الشعراء وقصدته الأدبا ووردت عليه العلماء من البلاد وقام باحترامهم واكرامهم وسعى فيما يرضيهم وينفعهم وانعقدت عليه رياسة دمشق وكان هو المرجع و المقصد في امورها وازالة مدلهماتها واصلاح فسادها وتنظيم قراها وبلادها وسياسة رعاياها وحماية فقرائها وصيانة اغنيائها ووصل خبره إلى السلطان الأعظم أبي النصر غياث الدين عبد الحميد خان رحمه الله تعالى فانسر من حال عمي المترجم ودعا له وكتب إليه كتابا يتضمن استحلاب دعواته وحثه

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٥٦/٢

على قيامه بالرياسة واعمار دمشق وصيأنتها من الظلم والتعدي وأرسل له ألف دينار ولم يزل على حاله إلى أن مات سمعت من فوائده رضي الله عنه وأنتصحت بنصائحه وتربيته وكان يحبني ويودني ويقدمني على أولاده ويقوم باحترامي وتعظيمي وكنت أشاهد منه مودة الوالد لولده وحنو المرضعات على الفطيم وأنتفعت بدعواته ولما مات تكدرت لموته وحزنت." (١)

"محمد الجعفري ثم ترك الأقراء والاشتغال بالعلم ولازم منازل طوائف العرب وصار يجلب السمن إلى دمشق ويبيعه ولم يزل على حالته إلى أن مات وكان من أحباب والدي وأصدقائه **وكان الوالد** يبره ويحفل به وامتدح الوالد بقوله تلك الظباء التي قد زانها الحور إلى آخر القصيدة ومن شعره قوله

سل من لحظه الحسام وسنه ... رشأ قتله الأحبة سنه

وتبدي لهن يوسف حسن ... فلهذا قطعن أيديهنه

وانثنى يعطف الدلال قواما ... وهو فرد الجمال يأسرهنه

تفضح الغصن منه بانة قد ... في اعتدال القنا وهز الأسنه

ناظرا لي بطرف ريم كناس ... أحور الطرف مالك للأجنه

دب ماء الحياة في وجنتيه ... حين حلت حشاشتي نارهنه

صاد كل القلوب في لحظات ... منذ أمست لعمدهن أكنه

وعجيب ذا الفتك من أين للال ... حاظ والسقم لاح في جفنهنه

الأمان الآمان بالله رفقا ... ياعبون المها بمغرمكنه

أسرتني وأوات صدغيه لما ... كلمتني لذعا عقاربهنه

وانطوت في مطوى كشحيه منا ... أعين طالما تمنطقهنه

يا غزالا إذا رنا أسكرتنا ... حان ألحاظه بخمر تهنه

وهلا لا إذا بدا بدياجي الشعر فيه انطوت بدور الدجنه

عمرك الله يا نشجي ترفق ... وتعطف علي المتيم منه

وامنح الصب فيك لحظة وصل ... منك آماله تحققهنه

وقد نسجها على منوال قصيدة الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي التي مطلعها

جذبتنا إلى الملاح أعنه ... وسقتنا الردى لواحظهنه

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٧١/٢

ورأينا بالغمز ضرب سيوف ... وبتلك الجفون وخزا سنة

ولصاحب الترجمة من قصيدة مطلعها

تكامل حسنا مفي نضارته الخد ... على حين أذكى جمر وجنته الوقد

فكان مليك الحسن في شرعة الهوى ... وكل فتى يهوي الجمال له عبد

وكنت وشأني في الصبابة مطلق ... فأوثقني عشقا ولج بي الوجد

فعدت وليلي ليل صب لقد قضى ... من الهجر إذا مسى بواصله السهد

أسامر زهر الأفق على أن أرى ... به طالعي للوصل قارنه السعد

بروحي رشا كالبدر طلعة وجهه ... بعيد مناط القرط ليس له وعد." (١)

"بغزة وقدم دمشق واستوطنها ودرس بالجامع الأموي وفي مدرسة الوزير سليمان باشا العظم الذي أنشأها بالقرب من داره داخل زقاق باب البريد ولزمه جماعة من الطلبة واستمر على الأقراء والافادة وكان منهمكا بحب الدنيا وكان يكثر الترداد على آغة أوجاق اليرلية بدمشق يوسف أغا الشهير بابن جبري وله عنده مزيد الرفعة وتردد إلى الوالد أيضا **وكان الوالد** يحسن إليه ويبره ويشهد بأدبه ونبله وله فيه الشعر والمديح فمن نظمه ما امتدح به والدي بقوله

عيون المها ردي سهامك عن نحري ... فمالي على رشق اللواحظ من صبر

وابق على الصب المتيم قلبه ... فقد راعه ما في الجفون من السحر

إلى الله أشكو ان في القلب لوعة ... تقلب أحشاء المحب على الجمر

وأجفان عين قد تجافت عن الكري ... فما تلتقي الا على دمعة تجري

سلوا لليل يخبركم دجاه بأنني ... أبيت سميرا لنجم فيه إلى الفجر

أبت مقلتي الا مجانبة الكري ... فواخجلي هل لي إلى الطيف من عذر

أهيم اشتياقا نحو دار ألفتها ... فآها وآها ثم آها على مصر

ترقرق ماء النيل فيها كأنه ... لجين مذاب فوق أرض من التبر

ولولا بقايا طعمه في مذاقتي ... لما ظهرت تلك الحلاوة في شعري

وقائله لما رأت ما أصابني ... وصبري على داء أمر من الصبر

أتذكر مصرا بعدما صرت داخلا ... رحاب هلال المجد في وجنة الدهر

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/١٣٤

على علا معنى العلا باشتراكه ... له في اشتقاق صار في السر والجهر

إليه أنتهي ما في النهى من مدائح ... جواهره في الجيد تزهو وفي النحر

له في مقام الجمع فرق وانما ... حقيقته التوحيد في عالم الذر

إلى الغير لم ينظر وإن حان لفتة ... فتلك مبادي الأمر من مبدأ السر

يربى مريديه بأدنى التفاتة ... ولولا المرادي ما نظرت سنا البدر

فإن مدحوه باكتساب معارف ... أقول علوم الوهب في صدره تجري

وإن خاض بحر البحث منه جداولا ... تفجر من عين الحقيقة بالدر

فما الفخر في التفسير ما المجد في اللغة ... وما ابن دريد منه في النثر والشعر

وما السعد في علم المعاني وغيره ... إليه سوى مثل القلامة في الظفر

تنال به الفتيا بأوراقها على ... فضائله كالطل في مبسم الزهر

فطرزها منه اليراع بدائعا ... لو أبصرها النعمان قال بها فخري

تجارت معاليه إلى غير غاية ... فغايتها قول الخلائق لا ندري

فيا واحد الدنيا وبيت قصيدها ... وشامة وجه الشام من غير ما نكر." (١)

"حسن المصليحي واشتغل عليهم وحصل منهم معقولا ومنقولا وأجازوه بالفقه والنحو والأصول والحديث وغير ذلك من العلوم وحصل فضلا لا بأس به وقدم دمشق في سنة اثنين وسبعين ومائة وألف واشتغل بالأقرأ والتدريس فأقرأ في الجامع الأموي صيفا وشتاء ولزمه الطلبة وهو الآن مستقيم على ذلك غير إنه يتعرض للوكالات والخصومات والدعاوي فبسبب ذلك يقع في المضرات ويصير هدفا لسهام أقوال الناس وهو مستقيم على ذلك بالباع والذراع وهو ممن **كان والدي** يودهم ويكرمهم وله الينا تودد وتردد وبالجملة فهو من الأفاضل المتفوقين وكانت وفاته قبيل العصر من يوم الثلاثاء لعشري ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة وألف ودفن من يومه بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن الموصلي

عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بالموصلي الشافعي الميداني الدمشقي الصوفي الاستاذ الكامل المربي شيخ الطريقة الأفضل أحد مشاهير المشايخ المعتقدين وهو وأسلافه مشايخ مشاهير لهم

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/٢١٥

حفدة ومريدون وأملاك وعقارات وقد اشتهروا ببني الموصلي وينتهي نسبهم إلى الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ أبي بكر الشيباني رضي الله عنه وكان صاحب الترجمة شيخا أديبا فاضلا بارعا ناظما ولد في سنة احدى وثلاثين وألف وطلب العلم ومهر وساد وأقبل على مطالعة الدواوين الشعرية وله نظم حسن كثير وديوانه متداول وكان معتقدا عند خاصة الناس وعامتهم مبجلا معظما كريم الأخلاق كثير السخاء مصون اللسان وقد اشتهر بالأدب وبهر وفاق على أهل عصره ووالده كان فقيها فرضيا حسن الخلق مبذول النعم وله ثروة وافرة وتوفي في المدينة المنورة في محرم سنة أربع وخمسين وألف ودفن ببقيع الغرقد وولده المترجم ترجمه الأديب السيد الأمين المحبي في نفحته وقال في وصفه هو في الميدان سابق طلق عنانه وكأنما حشر الصواب بين بيانه وبناته من ملأ رتعوا بأنضر خميله وبذلوا ما شاء السماح من عارفة جميله مكانه في السراة ذروة الثمام وليديه في الجود آثار الغمام لا ينبئ الا عن ظل الكرامة الأندى ولا يبيت الا حيث المحلق والندي وقد متعني الدهر برهة بحضرته فتقلبت معه في بهجة العيش ونضرته وسمعت لفظا غذاء الروح وشاهدت خلقا فيض الملائكة والروح إلى تثبت يستخف الجبال الرواسي وانعطاف يلين القلوب القواسي وأنا من ذلك العهد لا افتر عن تذكره بخاطري وأتمثل شخصه في ضميري حتى كأنه حاضري وله أشعار كلها نكت للمستملي وملح للذيق المستحلي وفيها نخب للفتاك وسبح للنساك يقول ما يشاء فتستحسنه." (١)

"وكان ساكنا مستقيما ولد بدمشق في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف كما أخبرني هو من لفظه وحفظ القرآن على والده المقدم ذكره وهو في سن السبع وأقرأه بعده مقدمة التجويد للميداني والجزرية والأجرومية مع اعرابها للشيخ نجم الدين وحصة من الشاطبية ثم بعد وفاته بثلاث سنوات لازم شيوخ الجامع الأموي فقرا على الشيخ محمد الغزي والسيد خليل الدسوقي والشيخ محمد البقاعي والشيخ محمود الغزي نزيل دمشق ثم بعد سنتين لازم وقرأ على الشيخ أحمد المنيني والشيخ إسمعيل العجلوني والشيخ صالح الجينيني والشيخ محمد قولقسز والشيخ عبد الله البصروي والشيخ علي كزبر وحضر درس الحديث في الجامع الأموي في رمضان بعد صلاة الصبح صحبة والده على الشيخ محمد الكاملي وكذلك درس ولده الشيخ عبد السلام في المحل المزبور ودخل في اجازتهما العامة وكذلك درس الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي في التفسير وغيره ودخل في اجازته العامة وحضر درس الشيخ عبد القادر التغلبي والشيخ عبد الرحمن المجلد والشيخ أحمد الغزي والشيخ مصطفى المحيوي ابن سوار ودخل في اجازتهم العامة

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/٢٥٩

كما أخبرني وأخبرني أيضا إن والده أخذه في صحبته إلى الجامع الأموي وأحضره درس الشيخ أبي المواهب الحنبلي في ختمه للجامع الصغير سنة وفاته وكان رحمه الله مشتغلا بنسخ الكتب لأجل المعيشة ولما ضاقت به الأحوال في سنة احدى وخمسين ذهب إلى اسلامبول لأجل المعيشة فمكث بها خمس سنوات ونصف ولم يحصل على طائل ونسخ هناك عدة كتب إلى الوزير ومحمد راغب باشا حين كان رئيس الكتاب في الدولة العلية ثم عاد لدمشق ثم ذهب ثانيا وثالثا لأسلامبول فلم ينل قدر الكفاف فاشتغل بنسخ الكتب وكان خطه مقبولا وكانت استقامته في دار داخل المدرسة القجماسية بالقرب من باب السرايا عند سوق الأروام **وكان والدي** يحبه ويكرمه وكتب له كتبا بخطه وبالجملة فقد كان من خيار الأنام وكانت وفاته في ربيع الثاني فجأة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ودفن في تربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم المخللاتي

عبد الرحيم بن علي المخللاتي الشافعي الدمشقي العالم العلامة الأديب الفاضل كان اماما في الفرائض والحساب والفلك وله يد في العلوم ولد بدمشق في سنة احدى ومائة وألف وقرأ على جماعة واشتغل بالطلب منهم العلامة الشيخ محمد الحبال قرأ عليه وانتفع به والشيخ الياس الكردي نزيل دمشق والمحقق الشيخ عبد الرحيم الكابلي نزيلها أيضا والشيخ عبد السلام الكاملي والشيخ عبد الجليل الحنبلي والشيخ." (١)

"في عرضه ودينه وكان لوالدي كالأخ الشقيق ونشأ هو وإياه سوية وكل منهما يحب الآخر ويحترمه ويوده بحيث لا يصغي أحدهما إلا للآخر ولم يثنهما عن بعضهما تخالفات الأيام والأحقاب وكانا متحدين من وجوه أولها موافقة الأسم ووجود السيادة والمجد وثانيا الشكل والمهابة ولطف الأخلاق فانهما كانا متشابهين في ذلك وثالثها السن فانهما كانا متساويين في العمر إلا أن العجلاني المترجم كان أكبر من والدي بشيء قليل ومن الاتفاق إن والدي مات بعد وفاته بسنة وأشهر وكان هو لوالدي مطيعا سميعا لما يريد ويرضى متفقا على رأيه منقادا لأستحسانه وأمره **وكان والدي** يجله وله عنده رتبة رفيعة ولم يزالا كذلك إلى أن توفي المترجم ولحقه الوالد وماتا رحمهما الله تعالى وتولى المترجم نيابة المحكمة الباب سنة خمس وسبعين ومائة وألف وحج إلى بيت الله الحرام وبالجملة فكان أحد صدور دمشق ورؤسائها وكانت ولادته سنة سبع وعشرين ومائة وألف وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ودفن بمقبرتهم الخاصة بهم الملاصقة

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٦/٣

لمسجد الدبان بمحلة السويقة المحروقة ورثى بالقصائد العديدة وكثر الأسف عليه وكان جده السيد حسن من صدور دمشق له الشهرة التامة تولى النقابة مرارا وتصدر كأسلافه ولم يزل كذلك حتى توفي وتولى النقابة بعده أخوه السيد عبد الله مدة وبالجملة فبنو عجلان طائفة شرف وسيادة قديما وحديثا والمترجم من وجوههم رحمهم الله تعالى.

علي الأسدي

علي بن أسد الله بن علي كان عالما نحريرا وفاضلا كبيرا ولد سنة ثمان وأربعين وألف وقرأ على جماعة من العلماء منهم الشيخ سعيد أفندي نقيب زاده والشيخ العالم العلامة السيد محمد أفندي الكواكبي وكان جل قراءته على الشيخ العالم العامل أبي الوفاء العرضي وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة إلى أن مات وكان إذ ذاك متوليا على جامع بني أمية بحلب وفي أيام توليته عليه أمر بمرم١ت الجامع المذكور ومرمات بعض حيطانه فظهر من أحد الحيطان لما قشروا عنه الكاس رائحه تفوق المسك والعنبر وإذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبرا في مكانه الآن وحمل الصندوق إليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة وألف وكانت وفاة المترجم سنة ثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.." (١)

"الملجأ الاحمى مراد الله من ... لحماه يهرع عائذ من كربه

قد جاءه من ربه بشرى الرضا ... بلقاء مولاه الكريم وحزبه

إلى آخرها وهي طويلة ورثى بغير ذلك رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

مكي الجوخي

ابن محمد سعيد بن يس بن سليمان بن طه بن سليمان الجوخي الشافعي الحلبي الأصل الدمشقي المولد الفاضل البارع الأديب اللغوي الضابط كان أحد البارعين في الأدب وفنونه وله شعر حسن واطلاع تام في اللغة مع ضبطها وكان يتفحص عن النكات والأحاسن من الأشعار والفوائد ويضبطها مع باع في النحو والفقه وغيره ذا ثروة مشتغلا بالمتاجرة والاكتساب من ذلك قدم جده يس من حلب إلى دمشق في حدود

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢٠٨/٣

سنة ستين وألف ونزل في خان الجوخية بدمشق في تجارة فلما بلغ الخبر إلى مفتي دمشق العلامة المولى أحمد المهمنداري الحلبي أرسل بعض خدمه إليه وأنزله عنده وكان يتردد إلى الخان المذكور ويعود يبيت عنده ثم بعد مدة اشترى دارا في محلة مدرسة الباذرائية وتوطن بها وتزوج وصار له أولاد منهم محمد سعيد والد المترجم ثم ولد لمحمد سعيد أولاد منهم المترجم وهو أنجبهم ونشأ في حجر والده وقرأ القرآن على الشيخ حسين البيتماني وأخذ عن غيره ثم طلب العلم واجتهد في تحصيله فقرأ على الشيخ محمد الغزي وهو أول شيخ أخذ عنه ورباه وأخذ عن غيره من جماعة أفاضل أجلاء وارتحل إلى حلب وأخذ عن عالمها الشيخ طه الجبريني والشيخ محمد المواهبي ولما حج في سنة ثمانين ومائة **وكان والدي** في تلك السنة حاجا وكنت مع والدي وكان سني دون البلوغ فأخذ عن علماء الحرمين وصار له تآليف فاختصر شرح الأذكار للنووي واختصر شرح الصدور وله مجاميع وشعر وفوائد وله ضبط في اللغة والأدبيات وغير ذلك وله ديوان شعر وبالجملة فقدكان من أدباء ذلك القرن ومن شعره الباهر ما مدح به الجناب الرفيع صلى الله عليه وسلم بقوله

بك يا سيد الأنام التجائي ... وعياذي من طارق اللأواء

يا ضياء الوجود يا رحمة الل ... ه التي ترتجي لكشف البلاء

يا نبي الهدى وخير البرايا ... من حباه الآله بالاسراء

يا مغيث الملهوف يا من بعليا ... ه التجأنا في البؤس والضراء

أنت شمس العلوم بحر العطايا ... منبع الفضل سيد الأنبياء

أنت مصباح كل جود وتهدى ... كل سار إلى الطريق السواء." (١)

"وممن انشد في ذلك الشيخ سعيد السمان فقال

سألنا ورود الروض حين وردنا ... حماها لماذا النشر عنا طويتم

فقالوا طوينا عرفه خشية الصبا ... إذا ما سرت فيه تنم عليكم

وقوله

ألا قل لمن أودعته السر في الورى ... يكتمه عن صنوه وصديقه

ألم تر أن الورد يكتم في الربا ... شذاه ولم يسمح به لشقيقه

وكانت وفاة المترجم في شعبان سنة ستين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى والقنيطري

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٤/ ١٣١

نسبة إلى القنيطرة وهي تكية ناحية تركمان بناها لا لامصطفى باشا رحمه الله تعالى.

السيد مصطفى العلواني

ابن إبراهيم بن حسن بن أويس المعروف بالأويسي العلواني الشافعي الحموي نزيل دمشق أحد الأفاضل كان أديبا بارعا ناثرا ناظما كاتبا لوذعيا ألمعيا له الحسب والنسب محرزا دقائق الكمالات جانيا ثمرات الفضائل والمعارف ولد بحماه سنة ثمان ومائة وألف كما أخبرني ونشأ في حجر والده وقرأ عليه وبه تخرج في فن العربية والأدب وقراءة القرآن وحمله على طلب العلم ونزل بمدرسة الباذرائية واشتغل بقراءة العلوم على أفاضل دمشق فمنهم الشيخ إسمعيل العجلوني وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي ولازمه في الدروس وأخذ عن الشيخ عبد الله البصروي وعن الشيخ محمد العجلوني وعن الشيخ عبد السلام الكاملي ونظم الشعر والانشاء البليغ مع خط حسن باهر متناسق وشرف نفس وكان ملازم السكون في خلوته وارتحل إلى الروم مرات متعددة وعاد ببعضها متقلدا نقابة بلدته حماه وعزل منها ثم عاد إلى الروم لقضاء ما فات وبلوغ المرام وآخر أمره أن جعل دمشق مأواه وسكنه وكان في السوداء متسما بغاية لا تدرك **وكان والدي** يحبه وهو من أصدقائه وكتب لوالدي عدة كتب بخطه وأجازني بمروياته عن شيوخه واجازة خاصة بخطه وأجازني بمنظومته التي نظمها بطريق التوسل بأسمائه الحسنى جل وعلا وبأسمائه صلى الله عليه وسلم وأخبرني أنه اجتمع بالجد الكبير الأستاذ الشيخ مراد الحسيني قدس سره حين ارتحاله إلى الديار الرومية في سنة تسع عشرة بعد المائة وأخبرني أنه لما ذهب به ولاده إلى الجد وكان الجد مستقبل القبلة بعد اتمام صلاة ذلك الوقت فلما رآه الجد دعا له ولمس ظهره بكفه وكان المترجم من العلماء الأفاضل البارعين بفنون الأدب وغيره وشعره عليه طلاوة فمن شعره قوله." (١)

"يقول الحق جل جلاله: كتب الله عليكم أن توصوا للوالدين والأقربين إذا حضر أحدكم الموت، إن ترك المستحضر خيرا أي: مالا، قال سيدنا علي- كرم الله وجهه-: (ألف درهم فصاعدا، فلا وصية في أقل) .

وقال النخعي: (خمسمائة درهم لا أقل) . وقال الزهري: (تجب فيما قل وكثر) ، وعن عائشة- رضى الله عنها-:

(أن رجلا أراد أن يوصي، فسألته: كم مالك؟ فقال: ثلاثة آلاف. فقالت: كم عيالك؟ فقال: أربعة، فقالت:

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٤/ ١٤٢

لا، إنما قال الله تعالى إن ترك خيرا وإن هذا لشئ يسير، فاتركه لعيالك) .

وتكون تلك الوصية بالمعروف، أي: بالعدل، فلا يفضل الذكور، ولا يتجاوز الثلث. قد حق الله ذلك حقا واجبا على المتقين، فمن غيره من الأوصياء أو الشهود بعد ما سمعه وعلمه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه من الأوصياء أو الشهود، لأنه هو الذي خالف الشرع وغير دون الميت، إن الله سميع عليم فلا يخفى عليه من بدل أو غير، فهو حسيبه ومعاقبه، فمن خاف أي: علم من موص جنفا أي: ميلا بالخطأ في الوصية، أو إثما تعمدا للجنف، فأصلح بين الموصى لهم وبين الورثة، بأن أجراهم على منهاج الشرع، أو نقص للموصى لهم، أو زاد لمصلحة رآها فلا إثم عليه لأنه تبديل لمصلحة. والتبديل الذي فيه الإثم إنما هو تبديل الهوى، إن الله غفور رحيم فيغفر للمبدل لمصلحة ويرحمه.

وهذه الآية منسوخة في وصية الوالدين، محكمة في الأقربين غير الوارثين، بقوله- عليه الصلاة والسلام- فى الحديث المشهور: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه. فلا وصية لوارث» ، فإذا **كان الوالدان** غير وارثين كالكافرين أو العبدين فهي محكمة، والله تعالى أعلم.

الإشارة: اعلم أن المريد إذا منع نفسه من الشهوات، وحفظ قلبه من الخطرات، وصان سره من الغفلات- وأعظم الشهوات حب الرئاسة والجاه، فإذا قتل نفسه ونزل بها إلى السفليات حتى حضرها الموت، وانقطع عنها الخواطر والخيالات- فإنها تفيض بالعلوم والواردات، فالواجب من طريق الجزم أن يقيد تلك العلوم، أو يوصي من يقيدها لينتفع بها الوالدان وهما الأشياخ، والأقربون وهم الإخوان. فإن الحكمة ترد في حال التجلي كالجبل، فإن لم يقيدها وأهملها رجعت كالجمل، فإن أهملها رجعت كالكبش، فإن أهملها رجعت كالطير، ثم ترجع كالبيضة ثم تذهب. هكذا كان يقول شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه، وكان شيخه سيدي العربي بن عبد الله يقول له:

(إن ورد عليك وارد فقيده وأعطني منه نسخة) . وهكذا كان أشياخنا يأمروننا بتقييد الواردات، فمن قيد واردا." (١)

"وقرأ القرآن العظيم وبعض المقدمات من الفقه والعربية وغيرها على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري نزيل حلب وأبي عبد الله محمد بن محمد التافلاني المغربي، وأخذ الطريقة القادرية عن أبي بكر تقي الدين بن أحمد القادري الحلبي، وارتحل إلى حماه، وقرأ بها على البدر حسن بن كديمة وأبي محمد عبد الله الحواط، ثم ارتحل إلى مصر واشتغل بالتحصيل والأخذ وقرأ على علمائها في غالب الفنون، منهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢١٠/١

بو المكارم محمد نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي وجل انتفاعه به وعليه، وأخوه الجمال يوسف وأبو العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي وأبو محمد الحسن المدابغي والشهاب أحمد الجوهري وعفيف الدين عبد الله بن محمد الشبراوي ونور الدين علي العمروسي وأبو عبد الله محمد بن محمد البليدي المالكي وأبو الصفا خليل المالكي، وأبو محمد عبد الكريم الزيات وأبو داوود سليمان الزيات وأبو السخا عطية الله الأجهوري والسر ا ج عمر الشنواني وأبو الحسن علي الصعيدي، وأبو الروج عيسى البراوي والشمس محمد الفارسكوري وأبو عبد الله العشماوي وغيرهم. وحج ولقي هناك عام حجه أبا الإرشاد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي، وأخذ عنه الطرائق وغيرها وانتفع بدعواته ونفحاته وارتفع بأنظاره ولمحاته، وأخذ بالمدينة المنورة على أبي البقاء محمد حياه بن إبراهيم السندي، واستقام بمصر عدة سنين وتفرق وتنبل ودرس بها، وأقرأ بعض العلوم واشتهر أمره وراج حاله حتى شهد بفضله مشايخه، وبعدها دخل حلب، ومنها قدم إلى دمشق فرغب أهلها به وصال عادة مشايخ الطرق، ولزمه جماعة وأخذوا عنه، وأقبل عليه الناس واشتهر واستقام بدمشق بعياله نحو عشرين سنة، وفي أثناء المدة كان يأتي إلى حلب لزيارة أحبابه وأقاربه، رأيت بخط خليل أفندي المرادي صاحب التاريخ قال: وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي وجعله وقفا على المترجم، ومن بعده على من يصير خليفة بعده من." (١)

"وإلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وساح البلاد وأدرك المشايخ الأمجاد، ولازم أصحاب الشيخ محمد بن يوسف الجونبوري في كجرات وإقليم الدكن، واستحسن طريقتهم في الترك والتجريد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدخل في جماعة المتمهدي المذكور، ثم جاء إلى بيانه وأقام بها مدة طويلة كآحاد الناس غير مقيد برسوم المشايخ، وناله من سليم شاه السوري سلطان الهند أذى كثير حتى عيل صبره فخرج من بيانه وساح البلاد مدة، ثم جاء إلى سرهند واعتزل بها ورجع عن القول بالمهدية للسيد محمد بن يوسف الجونبوري.

قال: ولما أسس أكبر شاه التيموري عبادت خانه بمدينة فتح بور طلبه من سرهند، واحتظ بصحبته أياما، ثم رخصه فاعتزل بها، ولقيه أكبر شاه مرة ثانية بسرهند وأعطاه أرضا خراجية وكان لا يقبل، فأصر على ذلك فلم يسعه إلا القبول، ولكن النيازي لم ينتفع بها قط وعاش في الفقر والفناء كما كان يعيش سابقا، كان عمله باحياء العلوم للغزالي، انتهى.

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥٦٣

وقال السيد الوالد في مهر جهانتاب: إنه لما رحل إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة أخذ الحديث عن أئمة العصر، وقيل إنه رجع عن العقيدة الباطلة في المهدي، وله مصنفات عديدة، منها القربة إلى الله وإلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها مرآة الصفا والصراط المستقيم، انتهى.

توفي بسرهند سنة ألف وله تسعون سنة، كما في المنتخب.

الشيخ عبد الله الكوئلي

الشيخ الفاضل عبد الله الحسيني الكوئلي، أحد العلماء المشهورين في عصر الشيخ عبد القدوس الكنكوهي، ذكره ركن الدين محمد بن عبد القدوس في اللطائف القدوسية.

الشيخ عبد المجيد الكنكوهي

الشيخ الفاضل عبد المجيد بن عبد القدوس بن إسماعيل الحنفي الشيخ حميد الدين الكنكوهي، أحد العلماء المتصوفين، ولد ونشأ بكنكوه وسافر للعلم، فقرأ على مولنا قطب الدين السرهندي والشيخ أحمد الحسيني الملتاني وعلى غيرهما من العلماء، وانتفع بأبيه وأخذ عنه الطريقة ولازمه مدة حياته، له رسالة في إثبات وحدة الوجود، ذكره ركن الدين محمد في اللطائف القدوسية.

الشيخ عبد المعطي باكثير المكي

الشيخ العالم الكبير المحدث عبد المعطي بن الحسن بن عبد الله باكثير المكي ثم الهندي الأحمد آبادي، أحد العلماء المحدثين، ذكره عبد القادر الحضرمي في النور السافر، قال: وكان مولده سنة خمس وتسعمائة بمكة ونشأ بها، ولقي جماعة من العلماء الفاضلين، وشارك في المعقول والمنقول، وتفنن في كثير من العلوم، ودخل الهند آخرا وأقام بها.

وكان حسن المحاضرة لطيف المحاورة، فكها، له ملح ونوادر، ولم يزل على قدم الصلاح والتعفف إلى أن مات، وحكى أنه قرأ كتاب الشفاء على بعض مشايخه في مجلس واحد، وذلك بعد صلاة الصبح إلى أول الظهر، ومن شيوخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لأنه سمع عليه صحيح البخاري بقراءة والده، وهو يرويه عنه سماعا -كما في اصطلاح أهل الحديث- والشيخ زكريا يرويه عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، ولهذا اشتهر صاحب الترجمة في زمنه بالسند العالي وتميز عن أقرانه بذلك، فازدحم الناس على الأخذ منه وصار له من الحظ بسبب ذلك ما لا مزيد عليه، وسمعت عليه مجالس من صحيح البخاري وأنا صغير وتلفظ حينئذ بالإجازة **وكان والدي** طلب منه أن يجعلها في أرجوزة حتى يضيفها إلى جنب قصائده فلم يقدره الله على ذلك، ومن تصانيفه كتاب

أسماء رجال البخاري، يذكر فيه كل من اشتمل عليه الكتاب المذكور من شيخ البخاري إلى الصحابي راوي الحديث ولم يتمه، والذي كتب منه نحو مجلد ضخم، والظاهر أنه لو يتم يكون في مجلدين، وهو مفيد في بابه، ومن شعره قوله في شمعة:
وممشوقة هيفاء لدن قوامها من البيض تزري بالمثقفة السمر." (١)

"مات يوم العيد من شوال سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وله ثلاث وسبعون سنة، وقبره مشهور ظاهر بمدينة بيدر، ذكره السيد الوالد.

الشيخ محمد بن أحمد الفاكهي

الشيخ الفاضل العلامة محمد بن أحمد بن علي الحنبلي الفاكهي المكي أبو السعادات الكجراتي، كان من كبار العلماء، ذكره عبد القادر الحضرمي في النور السافر، قال: إنه ولد سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم، وإنه قرأ في المذاهب الأربعة، ومن شيوخه الشيخ الكبير المحقق العلامة أبو الحسن البكري وشيخ الإسلام بن حجر الهيتمي والشيخ محمد بن الخطاب في آخرين من أهل مكة وحضر موت وزبيد يكثر عددهم، ويقال إن الذين أخذ عنهم يزيدون عن تسعين وأجازوه، ومقروءاته كثيرة جدا لا تنحصر، ومن محفوظاته: الأربعين النواوية، والعقائد النسفية، والمقنع في فقه الحنابلة، وجمع الجوامع في أصول الفقه، وألفية ابن مالك في النحو، وتلخيص المفتاح في المعاني والبيان، والشاطبية في القراءات، ونور العيون في السير لابن سيد الناس، وكان يحفظ القرآن الكريم، ويقرأ للسبعة مع التجويد، ونظم ونثر، وألف غير واحدة من الرسائل المفيدة، منها رسالة تكلم فيها على آية الكرسي وهي مفيدة جدا، ومنها شرح مختصر الأنوار المسمى نور الأبصار في فقه الشافعية، ومنها رسالة في اللغة، ومنها كتاب جليل جعله باسم باب السلاطين، ورزق الحظ في زمانه، وسمعته يقول الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع، رحمه الله! ومن غرائب الاتفاق أنه قال: حضرت بعض مجالس الوزراء فوقع الكلام في الاستفهام الإنكاري فقال بعض أهل العلم، هذا كقوله تعالى "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" وأشار إلي بالتعريض، ففهمت منه ذلك فاستحضرت حينئذ وقلت مخاطبا له: وقوله تعالى "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" فخجل ذلك الرجل.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٣٧٧/٤

قال الحضرمي: وكان والدي يسميه شيخ الإسلام، وكان جوادا، قال بعضهم: ما رأيت أسخى منه، وقال آخر: ما أظن أحدا من الأشراف والعرب دخل الهند إلا وله عليه إحسان، وكان لا يمسك شيئا، ولذلك كان كثير الاستقراض، وكان يغلب عليه الحدة، وكان من شدة تواضعه لأصحابه ربما ينسبونه إلى التملق، وكان له عقيدة مفرطة في السادة آل باعلوي، وذهب إلى حضرموت لزيارتهم فلقي جماعة من أعيانهم وعادت عليه بركتهم ودخل الهند وأقام بها مدة مديدة، ثم رجع إلى وطنه مكة المشرفة في سنة سبع وخمسين فحج ذلك العام وزار النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حج في السنة التي تليها وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة فأقام بها إلى أن توفي إلى رحمة الله، وصاحبه الشيخ الفاضل عبد اللطيف الدبير مدحه بقصيدة منها قوله:

يا علامة الدنيا ويا عالم غدا يقصر عن غاياته في العلا البدر

ومن لاح مثل الصبح فضل كماله فضاء به الأقطار وافتخر العصر

ويا أيها البحر الخضم لعلمه وبالرفق للطلاب يا أيها البر

وفاكهة الدنيا ينهاه ذا الهنا وجمع علوم فاح من طيبها النشر

أب لسعادات وأصل محامد فمن أمه بالنجح آل كذا اليسر

تباهت له كجرات لما ثوى بها فإن فخرت يوما يحق لها الفخر

توفي يوم الجمعة لتسع بقين من جمادي الأولى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة بمدينة أحمد آباد فدفن بها، كما في النور السافر.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

بقية الكرامات المأثورة

وهي السادسة من مقالات الكرامات

خلاصة ما مر في مقالات الكرامات السابقة أنها جائزة وفاقا لأهل السنة ولا ينبغي أن ينازع في هذا عاقل - وأن الوقوع بالفعل لا يثبت إلا بالنقل الصحيح عن المعصوم أو المشاهدة، فإن تواتر كان الثبوت قطعيا لا يمكن للعارف به جحوده،

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٠٤/٤

وإلا كان ظنيا. وإن مثبتي الوقوع احتجوا بالقرآن العزيز، وقصارى ما سلم لهم من احتجاجهم هو وقوع الإلهام الإلهي الصحيح، وبما يؤثر عن الصحابة عليهم الرضوان، وقد بحثنا في خمس مما أحصاه السبكي وأرجأنا البحث في الباقيات خشية السآمة من تكرار الكلام، في موضوع واحد كما قلنا في (المنار) ٣٥

وليس في هذا القسم متواتر، وإنما هي آحاد، منها ما إسناده صحيح ومنها الواهي والمنكر، ودونكم الآن سائر تلك الآثار:

(٦) ومما وقع على يد الفاروق قصة النار الخارجة من الجبل، قال السبكي: كانت تخرج من كهف في جبل فتحرق ما مرت به، فخرجت في زمن عمر رضي الله تعالى عنه، فأمر أبا موسى الأشعري أو تميما الداري -عليهما الرضوان- أن يدخلها الكهف، فجعل يحبسها بردائه حتى أدخلها، فلم تخرج بعد، قال ولعله قصد بذلك منع أذاها.

أقول: لا أعرف لهذا الأثر سندا قويا ولا ضعيفا، ولا يخلو خروج هذه النار من أن يكون بسبب أو بغير سبب، فإن كان الثاني فهو خارقة من الخوارق فكيف وقعت تلك الخارقة؟ وهل كانت كرامة لصحابي أو ولي آخر غير معروف، ثم زالت بكرامة آخر، أم تقع الخوارق بنفسها؟ وإن كانت بسبب، فما هو ذلك السبب؟ وأين ذلك الكهف، وهل لتلك النار من أثر فيه؟ إذا وقفنا على أجوبة صحيحة لهذه الأسئلة نتكلم عنها، ومن الحماقة إضاعة الوقت في إيراد الاحتمالات الخيالية والخوض فيها مع الخائضين.

(٧) ومنها أنه عرض جيشا يبعثه إلى الشام فعرضت له طائفة، فأعرض عنهم أولا وثانيا وثالثا، فتبين بالآخرة أنه كان فيهم قاتل عثمان أو قاتل علي (رض) وهذا من الإلهام.

(٨) على يد عثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه، قال السبكي: دخل عليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها، فقال له عثمان يدخل أحدكم وفي عينه أثر الزنا، فقال الرجل: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ! قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن. أقول: إن هذه الفراسة من قبيل الإلهام الذي أثبتاه، ولكن

يتفق مثله لآحاد الناس، أذكر أن شابا جاءني وأنا في ميضأة جامع القلمون (بلدتي التي ولدت فيها، وهي بجوار طرابلس الشام) حاسرا عن ذراعي أريد الوضوء، ففاجأته بحكاية هذا الأثر فقال: إنها لمكاشفة، وإني كنت في الطريق أغازل امرأة وأمتع نظري بمحاسنها، فقلت: كلا، لا مكاشفة وإنما هو شيء وقع في قلبي عندما رأيتك، وما أنا مما كان معك على يقين .

وسنتكلم على المكاشفة والفراسة في مقالة أو مقالات في وقت ما.

(٩) على يد علي المرتضى أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه قال:

روي أن عليا وولديه الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم سمعوا قائلا يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم هب لي بجودك فضل العفو عن زللي ... يامن إليه رجاء الخلق في الحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال علي لولده: اطلب هذا القائل، فأتاه فقال له: أجب أمير المؤمنين، فأقبل يجر شقه حتى وقف بين يديه، فقال: قد سمعت خطابك، فما قصتك؟ فقال: إني كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان، وكان والدي يعظني ويقول: إن لله سطوات ونقمات وما هي من الظالمين ببعيد، فلما ألح علي في المعصية ضربته، فحلف ليدعون علي ويأتي مكة مستغيثا إلى الله، ففعل ودعا فلم يتم دعاه حتى تكتف شقي الأيمن (كذا) فندمت على ما كان مني وداريته فأرضيته إلى أن ضمن لي أن يدعو لي حيث دعا علي، فقدمت له ناقة وأركبته فنفرت ورمت به بين صخرتين فمات هناك، فقال له علي رضي الله عنه: آلله عليك إن كان أبوك رضي عنك، فقال: آلله كذلك، فقام علي كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرها لله عز وجل، فقال له: يا مبارك قم، فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان، ثم قال: لولا أنك حلفت أن أباك رضي عنك ما دعوت لك. قال السبكي: قلت: أما الدعاء فلا إشكال فيه إذ ليس فيه إظهار كرامة، ولكنا نبحث في هذا الأثر في موضعين: أحدهما فيما نحن بصدده من السر في إظهاره – كرم الله وجهه – الكرامة في قوله:

قم، فنقول: لعله لما دعا أذن له أن يقول ذلك، أو رأى أن قيامه موقوف بإذن الله تعالى على هذا المقال، فلم يكن من ذكره بد، والثاني كونه صلى ركعات ولم يقتصر على ركعتين، فنقول: ينبغي للداعي أن يبدأ بعمل صالح يتنور به قلبه ليعضد الدعاء، ولذلك كان الدعاء، وعقيب المكتوبات أقرب إلى الإجابة وأقل الصلاة ركعتان، فإن حصل بهما نور وأشرقت علائم القبول فالأولى الدعاء عقيبهما، وإلا فليصل إلى أن تلوح له أمارات القبول فيعرض إذ ذاك عن الصلاة ويفتتح الدعاء، فإنه أقرب إلى الإجابة. اهـ ملخصا.

أقول: لا أعرف راوي هذا الأثر ولا درجة إسناده في القوة والضعف، ولا أنكر أنه يجوز أن يستجيب الله تعالى دعاء بعض عباده بمحض قدرته، أو بأن يجعل سبب الأمر الذي يطلب مقارنا للدعاء، أو عقيبه فيحصل المطلوب.

والأمر المحبوب إذ حصل بسبب خفي أو جلي عند طلبه من الله تعالى يسمى حصوله استجابة، إذ لم يشترط أحد في الاستجابة أن تكون بوجه مخالف لسنة الله تعالى في الخلق، وقد يكون سبب شفاء المرض تأثيرا أو تأثرا روحانيا، والتأثر قد يكون بسبب الاعتقاد سواء كان حقا أم باطلا، وأما تأثير نفس في أخرى، فأنا أعتقد أنه سنة إلهية في الناس، وإن أنكره كثير من الحكماء والعلماء، وقد يكون بأعمال تعين عليه كالصلوات والأذكار مع الخشوع والاستحضار، فإن ذلك يجمع الهمة ويقوي العزيمة والإرادة على ما تتوجه إليه النفس وصاحبه يشعر من نفسه بأن له هذا الأثر، ولذلك يأتي بما يدل عليه قبيل حصوله، ومنه الإصابة بالعين،

وهذا النوع مما نقل عن جميع الملل، ورأيت الشعراني وغيره من المتصوفة يثبته حتى لوثنيي الهند وهو بحث فلسفي دقيق سنوفيه حقه من البحث في وقت آخر إن شاء الله تعالى.

(١٠) على يد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر السبكي قصة الاستسقاء به عام الرمادة في زمن عمر رضي الله عنه وكيف أن الله أغاثهم بالمطر سريعا، أقول: عام الرمادة هو عام ثمانية عشر وسمي بذلك لأن الأرض اغبرت لشدة الجدب، والأثر في هذا عند البخاري وغيره، قال القسطلاني في

الشرح: كان من دعاء العباس ذلك اليوم (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس، وليتأمل أهل الفهم قول العباس عليه الرضوان فهو عبرة لمن يعقل، وذكر السبكي بمناسبة استجابة الدعاء بالاستسقاء ما كان مشهورا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من استجابة دعائه.

(١١) على يد ابن عمر رضي الله عنه، وذكر أنه قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنح، فبصبص بذنبه وتنحى وذهب، أقول: ينقل مثل هذا الأثر عن أهل البوادي والضاربين في القفار ويقولون: إن من شنشنة الأسد وعاده أن يعف عمن يقابله بالسكينة والوقار، ويلقاه بالملق والاعتبار، ولهم في هذا حكايات يتراءى لمن نظر في مصادرها المختلفة أنه لابد أن يكون لها أصل، ولا شك أن أحدا من المصدقين بتلك الحكايات لا يعدها خوارق عادات، على أنني إذا ثبت عندي أثر ابن عمر رضي الله عنهما بسند صحيح فإنني أعتده كرامة أكرمه الله تعالى بها بإلهام الأسد التنحي عن الطريق، ولكن لا أقول: إن فيه مخالفة لسنته تعالى في الخلق، فإن مثل هذه الإلهامات بخلاف ما تقتضيه العادات الطبيعية الغالبة معهود في العجماوات وفي الإنسان أيضا، ويعسر على الحكيم إدراج الكثير منها تحت ناموس طبيعي غير الإلهام.

(١٢) على يد العلاء الحضرمي وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة بجيش، فحال بينهم وبين الموضع البحر فدعا الله تعالى ومشوا على الماء، هذه عبارة السبكي وهي صريحة في أن الكرامة حصلت لكل واحد من الجيش، ولو كانت هذه القصة واقعة لنقلت بالتواتر، ولرواها أصحاب الصحاح جميعهم، ثم أين ذلك الموضع؟ وما هو البحر الذي (يحول) بينه وبين المدينة؟

(١٣) ماجاء أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما صحفة طعام فسبحت حتى سمعا التسبيح، أقول: تسبيح الله تعالى تنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله، وقد نطقت به العوالم العلوية والسفلية أي دلت عليه بذواتها

وأصواتها ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (الإسراء: ٤٤) وذهب بعض الناس إلى أن كل شيء يسبح لله بلسان المقال، ولو كان هذا هو الواقع لقال تعالى: ولكن لا تسمعون تسبيحهم، ولم يقل: (لا تفقهون) ثم إن الله تعالى لا يطل سنة من سنن الكون إلا لحكمة بالغة كإعذار الأمم بآية على يد نبيهم ليؤمنوا فينجوا، أو يصروا على العناد فيهلكوا بنزول العذاب، فما الحكمة بوقوع هذه الخارقة لرجلين من أقوى الصحابة إيمانا، وآية القرآن الذي يتلونه تعلو عندهما على جميع الخوارق؟ والكفار يلحون بطلب الآيات الكونية من النبي صلى الله عليه وسلم، والله يأمره بأن يتلو في جوابهم: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (العنكبوت: ٥١) ثم من الذي حدث منهما بهذه الكرامة مع أن الأصل الذي عليه السبكي وغيره أنه يجب إخفاء الكرامات؟ وإذا قيل: إنهما حدثا بها لتقوية إيمان بعض الناس نقول: وهل يقوى إلا إيمان من سمع بأذنه؟ إذا كان لهذا الأثر أصل فهو أنهما كانا يتكلمان في دلالة الكائنات على تنزيه مبدعها وغفلة القلوب الضالة من هذا، فقالا ما مثاله: إن هذا الطعام يسبح لله، أو إننا نسمعه يسبح الله، ومثل هذا التعبير من المجازات الشائعة في اللغة يسندون النطق إلى الديار والآثار، وينظمون ذلك بالأشعار، أو إنهما لتمكن هذا المعنى من نفسيهما كان يتجلى لهما في كل شيء، وقد وقع مثل هذا الكثير من العشاق ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (البقرة: ١٦٥) .

(١٣) ما اشتهر أن عمران بن حصين رضي الله عنه كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى، فانحبس عنه ذلك، ثم أعاده الله عليه، أقول: تقدم في الكلام على كرامة مريم العذراء عليها السلام أن سماع كلام الملائكة بالإلهامات الصحيحة والمعارف الإلهية قد يكون كرامة لأصحاب النفوس الزكية والأرواح القدسية، وهو من سنن الله في الخلق لا من مبطلاتها أو مبدلاتها، ولا مانع من ثبوته لهذا الصحابي الجليل.

(١٤) ما اشتهر من قصة خالد بن الوليد في شرب السم وعدم إضراره به،

أقول: إن مقدارا من السم يقتل رجلا ضعيف المزاج أو معتدله، ربما لا يقتل قوي المزاج، وأعرف رجلا تسمم دمه بالصديد ونجا منه، وقال له الأطباء: لا نعرفها لغيرك، وأعرف رجلا آخر كانت تلسعه الأفاعي فتموت هي ولا يصيبه منها أذى، وقع له هذا غير مرة، فإذا ثبت أن ما شربه خالد رضي الله تعالى عنه من السم كان كافيا لإهلاكه ولم يهلك، فلا شك أنه يكون من الخوارق الخارجة عن سنن الله تعالى المطردة في الخلق، ويعلم الله أن غرضي من فتح باب التأويل المحافظة على دين الله تعالى، وإرشاد عباده إلى التمييز بين الحقائق والأوهام، فإن القرآن العزيز أيد العقل والاختبار بأن لهذا الكون سننا لا تبديل لها ولا تحويل، وما كان لمؤمن أن يهدم هذه الأركان الثابتة بحكايات أكثرها لم ينقل بسند معروف صحيح يوجب الظن بوقوع مضمونه، ولولا أن المحدثين (جزاهم الله أفضل الجزاء) اعتنوا بضبط أخبار السلف والبحث في أسانيدها لرأينا في الكتب ألوفا من هذه الآثار التي لم نر منها الآن إلا بضعة عشر أكثرها لا يعرف له إسناد يحتج به، وسنتكلم على ما أجابوا به عن قلة كرامات الصحابة عليهم الرضوان وكثرة كرامات من بعدهم في مقالة أخرى إن شاء الله تعالى.

((يتبع بمقال تال))

________." (١)

"الكاتب: عبد العزيز محمد

____

أميل القرن التاسع عشر

(١٩) من أراسم إلى هيلانة في أول مايو سنة -١٨٥

تسألينني في خاتمة مكتوبك عما نسمي به ولدنا، نسميه (أميل) إذا كان ذكرا؛ إحياء لذكر ذلك الكتاب [١] الذي كنت أقرأه لك في مطالعاتنا الليلية، فكان في نفسك مبعث الطرب والإعجاب حتى إني كنت أكف عن القراءة حينا بعد حين لأشاهد وجهك في ضوء المصباح، فأتبين فيه ذلك، ياله من عهد تحفظه ذاكرتي لتلك الأيام

____

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٢/٦٥٨

السعيدة.

من البدع التي جرت بها ألسنة الأكياس [٢] من الناس منذ حين سبهم جان جاك روسو واحتقارهم إياه، فويل لهم مما يرمون به قبر ذلك الكاتب العظيم من نبال اللعن والقدح، وإنهم لجديرون بالرثاء لعقولهم، لم يكن ذنب الرجل الكبير سوى أنه خالف سنة أهل النظر في عصره وهي اعتقادهم في إصلاح المجتمع الإنساني على الرجال ومخاطبتهم إياهم فيه بأن وجه خطابه إلى الوالدات والأطفال، وهوأمر هدا‌ه إليه ما فطر عليه من جودة الطبع وذكاء القريحة، على أننا لو جردنا كتاب (أميل) مما فيه من العبارات الفصيحة التي امتلات بها صحفه، والشتائم الشديدة المنبعثة عن وجدان كبر عليه احتمال الضيم والهوان، والحماسة في نصرة الفضيلة، والانفعالات الشريفة التي كانت تعرو مؤلفه المؤمن بالله دون وحيه لأنبيائه عند نظره في بدائع الصنع ومحاسن الكون- لوجردنا الكتاب من كل ذلك فما الذي يبقى لنا فيه؟ يرجع كل ما قاله المؤلف في الطريقة التي أراد وضعها للتربية إلى هذه القاعدة، وهي السير علي مقتضى الفطرة ومعاملة الأطفال معاملة العقلاء، نسلم له ما يقول، ونحن نرى أن اتباع الفطرة في كل ما تدعو إليه يفضي بالطفل إلى حالة التوحش والهمجية، لكن ذلك الحكيم على عدم إيمانه بالوحي كان يعتقد أن أصل الكمال في الفطرة والنقص إنما يعرض لها من فساد التربية، أما كلامه في خطاب العقل، فلا شك أنه جدير بأن تصا‌غ له من أجله أجمل عبارات المدح تنويها بفضله، ولا بدع في أن عرف له القرن الثامن عشر قدره بعد إنكاره، فأقام له من الآثار ما خلد ذكره وأحيا اسمه، لكن العقل من دون جميع قوى الإنسان هو الذي يكون في طور الطفولية أقلها نموا، فكيف إذن يعتمد على هذه القوة الكامنة في إيصال معنى الخير إلى نفس الطفل.

لروسو فوق ذلك أغاليط أخرى كان يعتقد صحتها، وكان من شأنها أن تعوقنا عن التقدم في أخلاقنا وأوضاعنا، من هذه الأغاليط: اعتقاده بوجوب الرضوخ لما للجمهور الأغلب من السلطة المطلقة، فإنا نجده في كتابه المسمى (بالعقد الاجتماعي) قد انتصر للحكومة فيما تدعيه لنفسها من حق تربية الأمة بما

أقامه عليه من البراهين.
ألا أبين لك كيف كان نفع روسو للأطفال خاصة بما نشره في كتبه من الانتصار لهم والدفاع عن حقوقهم؟ كان ذلك بما ألقته تلك الكتب في نفوس الفرنساويين من بذور الثورة وهيأتها به لها .

لم يقدر الناس ما نشأ عن هذه الحادثة الكبرى في نظام الأسرة (العائلة) من ضروب التغير حق قدره، فإنها قد خففت من ثقل الولاية الأبوية تخفيفا عجيبا على غير علم من الناس جميعا؛ لأن المؤرخين قلما يلتفتون إلى ما يحصل في البيوت من تهذيب الأخلاق وصلاح العادات، فلم يكد رجال الثورتين اللتين حدثتا في سنتي ١٧٨٩و ١٧٩٢ يدركون ما كان يعتور تلك الأخلاق والعادات البيتية من الاستحالة، على قربها منهم وسهولة ملاحظتها عليهم، ذلك لأنه ليس في وسع أحد أن يلاحظ أعمال جميع الناس، فإذا أريد الوقوف على أثر أنواع هذه الاستحالة وصنوف ذلك التغير وجب الرجوع إلى ما كتب من السير في أواخر القرن السابع عشر، أو في أوائل القرن الثامن عشر، هنالك يرى ما كان بين الزوج وزوجته، والوالدة وأولادها من التكلف في العشرة والمقاسحة [*] والمجافاة في المعاملة، نعم إن قولي هذا خاص بأهل البيوتات؛ لأننا لا نعلم شيئا من أحوال الطبقات الأخرى، لكن هؤلاء لا بد أنهم كانوا يحتذون مثال سراة الأمة وزعماء الدولة.

كان البيت في ذلك العهد مؤسسا على إحدى الوصايا العشر التي وصى الله سبحانه بها موسى (عليه السلام) وهي (أكرم أباك وأمك) فلم يوص موسى أبدا بحبهما.

كانت الزوجة في الغالب تدعو زوجها سيدا وهو يدعوها سيدة، فكان تخاطبهما باسميهما مع كونه هو لذة العشرة والاختلاط لا يكاد يقع منهما في حضرة الأجانب، فالثورة هي التي أدخلت في البيوت عادة التخاطب بضمير المفرد، وسوت بين الولد البكر ومن يتلونه من إخوته في الحقوق، فاجتثت بذلك أصول التباين والاختلاف، وأعلت من شأن المرأة، ورفعت من قدرها كما وثقت ما يربطها بالرجل من عقدة النكاح، وأصبح البيت بحكم الشؤون ومجرى الحوادث مرجعا لأصداء المحاورات

والمناقشات في المصالح العامة، وصار صوت الرجل وزوجته في محادثتهما أخلص وأشد مما كان قبل، كان للكنيسة في الطفل من الحقوق إلى وقت قيام الثورة في سنة ١٧٨٩م أكثر مما كان لأهله فيه، فإن البيت كان قد استعار من الدير ما فيه من صلابة المعاملة الباردة بسبب أن الوالدة في الغالب كانت تربى فيه، لا أعني بذلك أن الأم ما كانت تحب أولادها قبل الثورة، وأعوذ بالله أن يخطر هذا بفكري، ولكني مع اعتقادي حبها إياهم، أعتقد اعتقادا ثابتا أن الثورة قد ساعدت على تخليص محبات القلوب من قيود التكلف، فكما أن منشأ جميع الحركات العظمى للأرض هو ما في باطنها من النار، كذلك منشأ حوادث الإنسان الكبرى هو ما في قلبه من حب.

ذلك شأن الإنسان في جميع الأزمان، فمن حياته في الهند حيث كان الطفل لا يعتبر إلا برعوما [٣] من نبات قبيلته، وفي رومة التي كان الوالد فيها يملك على ولده حق حياته وموته إلى أن صار إلى هذه المجتمعات الحديثة التي كاد يكون للطفل فيها وجود مستقل، قد رقيت الأسرة في أطوار وجودها الأصلية جميع معارج الحرية، فلا بد في تغيير شكل الحكومة وإصلاحها من تغيير معنى الأبوة أيضا ورده إلى حده.

أطول جميع الثورات بقاء وأخلدها أثرا هي التي كان لها من الزمن ما استحوذت فيه على عقول الناشئين، فالإصلاح الديني مثلا وهو مذهب البروتستانت لا يزال حيا في ألمانيا وسويسره وهولانده وإنكلترا؛ لأن رجاله في هذه البلدان وفي غيرها أسعدهم الحظ بتأسيس مدارس فيها لتربية الأحداث علي أصولها وعقائدها، أما الثورة الفرنساوية فإنها علي العكس من ذلك قد أعوز رجالها الزمن لتنفيذ مقاصدهم؛ لأنهم كانوا قد اختطوا على عجل وهم في مهب رياح الفتنة خطة مثلى للتعليم العام، لكن أعاصير الحوادث قد دافعتهم، فحيل بينهم وبين ما كانوا يقصدون، لما وضعت الطريقة التي نجري عليها الآن في التربية كانت نيران الفتنة قد خمدت، ومراجل أفكار العصيان قد سكنت، فعهد إلى رجال الحكومة النيابية الذين حكموا على الثائرين من رصفائهم بالقتل – حكم سيسيرون على كاتيلينا

وأشياعه [٤] بتجديد ما اندثر من التعاليم القديمة، فما لبثت هذه التعاليم أن فاضت منها على الناس أصول الحكومة الفردية، أي حكومة الاستبداد، وأصبحت القوة الحاكمة هي مدير المدرسة والأستاذ الأكبر لتعليم الدين، ورئيس الجند الأكبر والشارع الأكبر، بل الكل الأكبر الذي انحصرت فيه جميع الوظائف، ورجا الناس من هذا الإله الذي هو من صنعهم أن يضيء عقول الأمة، وأن يصنع لهم علماء وأنصاف علماء، فصار التعليم الابتدائي والثانوي، بل صارت جميع درجات
التعليم محوطة بسياج حصين من القوانين، معاذ الله أن أكون آسفا على ما أراه من انتشار العلوم وعموم المعارف، ولكني ضعيف اليقين بتأثير عمل الحكومة إذا كان الغرض من التعليم هو تربية رجال أحرار، فإنها ماوضعت لذلك، وإن لأعضاء المجتمع الإنساني وظائف كما لأعضاء الأجسام لا يمكن تغييرها بمجرد توجيه العزيمة إلى ذلك.

سمعت غيرمرة أن الجهل كان العقبة الكبرى في طريق كمال الحرية، وأنا
موقن بصحة هذه القضية، وسمعت أيضا ممن قالوها أن الحكومة قد قررت أن يكون التعليم مجانيا وإلزاميا، وستكون الأحوال حينئذ على ما يرام، أنا لا أصدق هذا وأضرب الصين مثلا لأولئك الذين يرون في دواليب التعليم التي تديرها يد الحكومة وسيلة لتحرير العقول، يكاد كل رجل في تلك المملكة يعرف القراءة والكتابة، ففيها من المدارس الابتدائية والثانوية وطرق الامتحان ما يفوق الحصر، والصينيون هم الذين اخترعوا فن الطباعة، وهو أكثر الفنون اليدوية أثرا في قلب شؤون العالم، وذلك قبل أن يعرف في أوربا بخمسمائة عام، فماذا كانت النتيجة؟ أنا لا أزيد عنك علما بها.

لم يكن من التعليم الذي كانت الأساتذة تفيضه على الناس إلا أن أتقن تحجير الأوضاع الاجتماعية وجعلها أصلب مما كانت، كذلك يكون الشأن عند جميع الأمم التي يكون الغرض من التربية فيها إيجاد رعايا للحكومة في القالب الذي تريده، ولوشئت لذكرت أمة أوروبية ليس بينها وبين الصين من هذه الجهة كبير فرق، فإن التعليم الابتدائي فيها يثبت كل يوم في نفوس الأطفال خلق الانقياد الأعمى بسبب

تداخل السلطتين الدينية والسياسية فيه، المعلم في هذه الحالة هو نائب الحاكم الجائر، ألم تري أن دينيس [٥] لما خلع من الملك اشتغل بوظيفة مدير مدرسة؟

((يتبع بمقال تال))

---

(١) كتاب جان جاك روسو المسمى أميل القرن الثامن عشر.

(٢) الأكياس: جمع كيس وهو الظريف حسن الفعل.

(*) المقاسحة: المبايسة؛ أي: المعاملة بالشدة.

(٣) هو الزهر قبل تفتحه.

(٤) سيسيرون هو مرقوس توليوس سيسيرون، أشهر خطباء الرومان، ولد في سنة ١٠٧ وتوفي سنة ٤٣ قبل المسيح ، وعين حاكما في سنة ٦٣ وأخمد ثورة كاتيلينا والحرب التي قامت بين بومبيه وقيصر، وكاتيلينا شريف من أشراف روما كان جمع حزبا وثار به على مجلس الشيوخ ورومة فقهره سيسيرون.

(٥) هو حاكم جائر كان في سيرا كوزا، فطرده منها ديون ثم تميلون ومات وهو مدير مدرسة قورنته سنة ٣٤٣ ق م.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الأذهان لتلقي ما يفيضه الله على ألسنة أهل الإيمان من الإخوان.

قال (الأستاذ الرئيس) مخاطبا (الشيخ السندي) : إنك يا مولانا لم تشاركنا في البحث إلى الآن، فنرجوك أن تتكرم على إخوانك بنبذة من عرفانك تنور بها أفكارنا، ونرجوك أن لا تحتشم من التلعثم في بعض التعبيرات اللغوية لغلبة العجمة

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٦٦٦/٢

عليك فإن لك أسوة بالفيروزابادي والسعد والفخر وغيرهم.

فقال (الشيخ السندي) : إنكم أيها السادة الإخوان، سراة أفاضل الزمان، وسباق فرسان كل ميدان، قد أفدتم وأجدتم ولم تتركوا لقائل من مجال، ولا لمثلي غير الإصغاء والامتثال، وإني أحب أن أذكر لكم حالتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما أثرته في هذه المفاوضات فأقول: إنني من خلفاء الطريقة النقشبندية، وإذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بعد والدي مرجعا لعامة خلفائها ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيالات كاشغر وقازان حتى سبيريا وتلك الأنحاء وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار.

ومن المعلوم أن طريقتنا من أقرب الطرائق للإخلاص وأقلها انحرافا عن ظاهر الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات، وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الأنبياء والصالحين فيها مظنة الشرك إلى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقنعت وأقلعت والحمد لله.

على أني عزمت أيضا على أن أتلطف في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى أن أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد وإلى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلبا ولسانا بدون عدد مخصوص معين قياما وقعودا وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شاءوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتمعين بدون تداع. وأن يتركوا المراقبة ويستعيضوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه.

وقد فتح الله علي ببركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب إلى إحدى الطرائق الصوفية وكنت قبل أحمل ذلك على

مجرد إخلاص المرشدين، والآن اتضح لي أن السبب هو أن السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقا لا يعلم أن الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الأحكام في المعاملات تكثيرا ضيع الناس وشوش الإفتاء والقضاء حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيها.

فتوسيع الفقهاء دائرة الأحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقا أوقع الأمة في ارتباك عظيم ارتباكا جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلما ناجيا لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم، فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون اضطرارا فيهون عليهم التهاون اختيارا كالغريق لا يحذر البلل؛ لأنه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته، وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته. وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب إمامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة ويتنبه لإظهارها كلها ليكون أدى فريضته؟

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله إلى غير ذلك ليكون عند الحنفية الماتريدية والشافعية الأشاعرة مسلما مقلدا يرجى له قبول الإيمان؟ ومن من العامة يحيط علما بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفرة بقرة بني إسرائيل مثلا لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انفساخ نكاحه؟ وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح إلى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزية التدين به في الدنيا قبل الآخرة.

فبهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجا إلا بالالتجاء إلى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين. (مرحى) وهم القائلون: إن العلم حجاب و: بلمحة تقع الصلحة. و: بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وليا، وبنفخة في وجه المريد أو تفلة في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التي لدغت

صاحب الغار عليه الرضوان] ١] وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة. وهم المقررون
بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب، وأن الاعتقاد أولى من الانتقاد
وأن الاعتراض وجب الحرمان؛ أي: أن تحسين الظن بالفساق والفجار أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال
التي تجعله نوعا من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين.

على أن الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين – وأين هم؟ – لفروا منهم فرارهم
من الأسد؛ لأن ليس عند هؤلاء إلا التوسل بالأسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس
من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا
وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضا عن
الملاهي المضرة، وذلك طلبا للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة
الأبدية في الآخرة. وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من ہذه المطالب
التهذيبية الشاقة، ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها وتلمس بها إلا من
وفقه الله وكشف عن بصيرته. وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز
كلمة الله أعزه الله، ومن نصر الله نصره الله، ومن توقع الخير أو الشر جازما نال
ما توقع، ومن تصفو نفسه يلهم رشده ومن اتكل على الله حقا كفاه الله ما أهمه،
ومن دعا الله مضطرا أجاب دعاءه إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن
وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى) .

قال (الأستاذ الرئيس) : قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقهة
المتشددة والمتصوفة المخففة وإني ملحق تقريره بما يناسب أن يكون مقدمة تاريخية
لبحث التصوف فأقول:

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم إن التوسع في
الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهله حرمة مخصصة بين الناس، وصار بعض
المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة ب ا لتلبس بالتنسك وإلزام النفس بالتمرن عليه
وإذا كان من لوازم استحصال تلك الحرمة إظهار التقشف؛ اتخذوا الصوف دثارا
واسم الفقر شعارا فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء أن بعض العلماء من

هؤلاء المعتزين بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضا فصاروا يدعون الناس إلى التنسك ويرشدونهم إلى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق.

وإذ كانت إرادة الاعتزاز بالدين إرادة حسنة؛ لأن فيها إعزازا لكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الأولين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا.

أما دخول الفساد على التصوف وإضراره بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوها لباسا إسلاميا فجعلوه علما مخصوصا ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن. وهكذا بعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا.

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاما كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وألفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها ألبتة حتى ولا في مخيلة قائليها كما أن قارئيها أو سامعيها لا يتصورون لها معنى مطلقا وإن كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتلمظ بأن للقوم اصطلاحات لا تدرك إلا بالذوق الذي لا يعرفه إلا من شرب مشربهم.

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفرا، ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم؛ لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحيين. وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه إعظاما لأنفسهم في نظر حمقى

ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله. (له بقية)
(المنار) لقد بالغ الرجل رحمه الله في النقد وأن للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما أن لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل.
((يتبع بمقال تال))

---

(١) المنار - المنقول أن الصديق لسعته حية لا عقرب ولم يصح.." [(١)]
"الكاتب: محمد رشيد رضا

المصاب العظيم
بوالدنا البر الرحيم

] إنا لله وإنا إليه راجعون [[*]
في يوم الأحد رابع رجب الحرام، فجعنا بوفاة والدنا، ومربينا، ومربي اليتامى، وكافل الأرامل، الشيخ الجليل، السيد النبيل، علي رضا الحسيني الحسني أحد سادات الديار الشامية المشهورين وأجواد الأمة المحسنين، وله من السن ستون سنة، أو ثلاث وستون سنة في الأكثر - وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته - فصبرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته؛ فلم نقل ولم نفعل ما لا يرضي ربنا -جل جلاله- فله ما أعطى وله ما أخذ وإليه المصير.
ولد تغمده الله - تعالى - برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام، وفيها تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابة أشهر علماء الديار السورية، وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين، وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة، ثم انقطع عن الطلب قبل أن يتم حضور الكتب، ويصل إلى مقام التدريس لشدة حاجة والده إليه في إدارة أملاكه، والنظر في أعماله مع الحكومة والناس؛ إذ

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٠١/٥

لم يكن يومئذ له ولد رشيد سواه، ولكنه لم ينقطع عن المطالعة في كتب الدين والأدب والتاريخ، بل كان يتراوح بين هذه الكتب ما سمح له الوقت، وكان قوي الذاكرة طلق اللسان جريء الجنان، يذكر ما يحفظ من الأشعار، وأخبار الأوائل، ووقائع الأواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها، ولكنه كان يعيد الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة؛ فإن اتفق أن كان محرفا أو ملحونا أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالبا، وإن عرف بعد حفظه ما فيه من خطأ أو تحريف، كأنما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو، وكأن ما يعرض بعد ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مراكز الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا إذا أورد المحفوظ لأجل بيان صحته. ومن قوة ذاكرته أنه كان يحفظ كل ما مر به في سفره وحضره، وكل ما له عند الناس، أو لهم عنده من الحقوق المالية وإن طال عليها الزمان.

وكان مهيبا وقورا حتى في طور الشباب؛ يجله كل من جالسه وإن كان أكبر منه سنا أو فضلا وجاها كمشايخه وكبار الحكام. وأعرف ما عرف به، وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء؛ فقد كان مضيافا متلافا، مبذول القرى لكل طارق من غني وفقير، وقريب وغريب، ومسلم وغير مسلم، كل من نزل به يلقى ما يليق به من الإكرام والحفاوة، وكان في أول العهد يتكلف لأهل الوجاهة والثروة؛ إذا استضافوه زيادة عما جرت به العادة في المنزل، ويقدم لغيرهم ما راج حتى كنا ننكر عليه، ثم رجع عن هذا إلى قاعدة الصوفية (لا نبخل بموجود، ولا نتكلف لمفقود) حتى ربما أنكرنا ذلك أحيانا، ولا حاجة لاستثناء ما لأهل الخصوصية الذين يدعوهم إليه من الاختصاص، وإنما الكلام في العادة اليومية مع الضيوف، وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام إليهم بنفسه أحيانا. وقد جاع الناس في سنة من السنوات؛ فكان يرسل الدقيق والأرز إلى بيوت القانعين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام، والناس نيام، وله في إخفاء الصدقة حذق غريب.

أنعم السلاطين العظام على جدنا الثالث بسبعة قراريط من مال عشر القلمون وما يتبعها من المزارع؛ لينفق منها على مسجده الذي جدده في القرية، وعلى نفسه

فلما وصل هذا إلى والدنا -رحمه الله تعالى- كان في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونها (الالتزام) ثم يسمح لأكثر الأهالي بعشر كثير مما يزرعون من البقول وغيرها، وما يجنون من الثمار، لا يعنى إلا بعشر حب الحصيد والزيتون، وكان كثيرا ما يفوض إليهم أمر ما يجب عليه من غير أن يخرص ويقدر: يجيئه الرجل بشيء من النقد يزعم أنه عشر ما استفاده من أرضه فيقبل.

وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع ما لك عند الناس ثم تأخذ ما شئت وتسمح بما شئت - فلا يعجبه.

وكان كريما بجاهه أيضا، إذا قصد بحاجة أو قدر على دفع مكروه أوجب منفعة للناس فإنه يبذل جهده.

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام، والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه، وإنني منذ دخلت في سن التمييز أرى في دارنا وجهاء النصارى من طرابلس ولبنان، بل أرى فيها القسوس والرهبان، لا سيما أيام الأعياد، وأرى الوالد -رحمه الله تعالى- يجاملهم كما يجامل من يزوره من الحكام ووجهاء المسلمين، ويذكر ما يعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف، وقد كان هذا من أسباب دعوتي إلى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقي البلاد مع القسط والبر المشروعين فإن الإنسان إذا تربى على شيء، ورأى ثمرته في نفسه وفي من يعاشر، كان أعرف بفائدته لاتفاق فكره ووجدانه فيه.

وكان شديد الغيرة على الدولة العلية. وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظمائها كالمرحومين شرواني باشا وحمدي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم، والصدر الأعظم من قبل، وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم، فكان لإجلاله لهؤلاء، واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الأمل في الدولة. ولا أعلم أنه صدر منه قول، ولا فعل ينافي الإخلاص للدولة، والسلطان المعظم، وكان يعز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله ما يشون به عليه، إلا أن يكون حسن ذكره لمصر، وثنائه على أميرها الماضي وأميرها الحاضر، وقد زارها في أيامهما على أنني عرضت عليه عندما زار مصر

في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة الأمير فلم يرض، ومع هذا كان يملأ الأندية ثناء على سموه، وعلى أستاذنا الإمام، وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا، وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام، وجعله تحت المراقبة إلى أن وافاه الحمام، فسببه وشاية من مصر فيه إلى السلطان بأنه من أعوان مريدي إقامة الخلافة العربية (الموهومة) على أنه منذ سنين لم يفارق القرية؛ فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ مريض في قرية لا زعماء فيها ولا ثروة، ولا سياسة، ولا حكومة، ولا مدارس؟

وإن تعجب فعجب عجاب أن تهتم الدولة بأمر الشيخين- الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا - وتأخذ الحذر منهما بعد أن نزل بهما مرض الموت، وأعجب من هذا أن يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما؛ فإن كانا قضيا عمرهما، ولم يحفظ عنهما قول، ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة؛ فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس دولة؟ يا للخجل من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول، الحق أقول: إنني كنت شديد الميل إلى البحث في خلل الدولة، وبيان طرق إصلاحها، وما منعني من الاسترسال في ذلك إلا الشيخان، أعلم أن والدي يستاء إن كتبت ما لا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقا.

وكان الوالد تغمده الله برحمته معتصما بكمال الصبر في المصائب: ابتلي بمرض الصدر المعروف بالربو وهو في شبابه؛ فكانت النوبة تشتد عليه أحيانا حتى يمنعه الزفير من النوم والكلام المتصل، فلا تراه إلا حامدا شاكرا. وكان فخورا بنسبه إلى البيت النبوي خلافا لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر. وكان سنيا شافعي المذهب، ويميل إلى الشيعة إلا أنه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية (لا نسبه ولا نحبه) وينحي على غير الصحابة وعمر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديدا. وقد كان يقرأ في كتاب أمام أستاذه الشيخ محمود نشابة فجاء ذكر معاوية، فقال له الشيخ: لم لم تقل (سيدنا معاوية) قال الوالد (سيدكم معاوية) قال الشيخ: ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكاتب الوحي؟ قال إنني لم أنكر صحبته، ولا كتابته للوحي، ولكن أقول: إنه

لا سيادة لأموي على هاشمي؛ فسكت الشيخ -رحمه الله تعالى- وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم، ولا يذكره إلا بلقب السيد.
وكان – طيب الله ثراه – سليم القلب، بريئا من الحقد والحسد، بعيدا من الإيذاء والانتقام، إلا أنه كان يحتقر من عاداه بقدر ما يتودد لمن والاه، فلا يعرف الدهان والتملق، وكان باطنه خيرا من ظاهره لأعدائه وأحبائه؛ فمهما أعرض عن عدوه وازدرى به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن، وإنني لأستحي أن أصف ما امتاز به في معاملة الأصدقاء لئلا يشتم منها رائحة المنة على أحد منهم، مع أنه كان يرى لهم المنة إذا حكموا في ملكه حكمه فيه.
وجملة القول: إن مزاياه كثيرة، وفضائله عظيمة، ولا بدع؛ فإن البيت الذي نشأ فيه يندر أن يوجد مثله في هذه الأمة الآن؛ في سلامة الفطرة، وطهارة الأخلاق وحسن الفعال؛ وإنني والله لم أحكم إلا بعد الأسفار وطول الاختبار، بل أقول إن قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالعفة والشجاعة، والتقوى، والأخذ بالسنن، والبعد عن البدع، وإنما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها؛ إذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للعامة واستعداد أهلها للعلم عظيم، وكلهم في الأصل شرفاء النسب، مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الإحصاء العام للدولة المودع في الباب العالي المعبر عنه بالدركنار (القلمون سيدة القرى والمزارع) نعم، صار فيها دخلاء كثيرون، أكثرهم من مسلمي لبنان، وأكثر ما يقع فيها من المخالفات الضرب، وسرقة الثمار. وفق الله أهلها وتاب عليهم، إنه هو التواب الرحيم.
ومما كنت أنكره على الوالد -عفا الله عنه – بعد ما عرفت طرق التربية الحديثة، وقرأت علم الأخلاق، اختيار الشدة والترهيب في التربية؛ فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والاتكاء أمامه. وكان يعاقبنا على الذنب بالإعراض والهجران حتى نتوسل إليه بأن يرضى. وقد صار في أخريات سنيه يمازح أولاده الصغار، ويجمعهم على الطعام ذكرانا وإناثا؛ إذا اتفق خلو البيت من الضيوف، وكان يوصينا دائما بالخوف من الله -تعالى- دون سواه. عفا الله عنه

وأحسن إليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه، وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه.

(*) (البقرة: ١٥٦) .." [١]

"الكاتب: محمد رشيد رضا

القانون الأساسي والخط السلطاني به

ننشر هنا أهم مواد هذا القانون في حقوق العثمانيين ليتدبرها القراء منهم

فيعرفوا قيمتهم، وأنهم ليسوا عبيدا لحكامهم. ثم ترجمة الخط السلطاني في الحاجة

إلى هذا القانون.

المادة ٩ - إن جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية بشرط أن لا

يعتدي أحد على حقوق غيره.

١٠ - إن الحرية الشخصية مصونة من جميع أنواع التعدي، ولا يجوز

مجازاة أحد بأي وسيلة كانت إلا بالأسباب والأوجه التي يعينها القانون.

١١ - إن دين الدولة العثمانية هو الإسلام ومع مراعاة هذا الأساس وعدم

الإخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الأديان المعروفة في الممالك

العثمانية بحرية تحت حماية الدولة مع بقاء الامتيازات المعطاة للجماعات المختلفة

كما كانت عليه.

١٢ - إن المطبوعات هي حرة في ضمن دائرة القانون.

١٤ - يسوغ لكل فرد من أفراد التبعة العثمانية أو الجملة منهم الشكوى إلى

جهة الاختصاص من مخالفة القوانين والنظامات أو من أفعال المأمورين.

١٧ - إن العثمانيين جميعهم متساوون أمام القانون، كما أنهم متساوون كذلك

في حقوق وظائف المملكة ما عدا الأحوال الدينية والمذهبية.

٢١ - كل أحد أمين على ماله وملكه الذي تحت تصرفه ، ولا يؤخذ من أحد

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٥٣/٨

ملكه ما لم يثبت لزومه للنفع العام وحينئذ يدفع ثمنه الحقيقي سلفا وفقا للقانون.

٢٣ - لا يسوغ إجبار أحد على الحضور إلى محكمة غير المحكمة المنسوب هو إليها قانونيا وفقا لقانون أصول المحاكمة الذي تقرر وضعه.

٢٤ - المصادرة والتسخير والجريمة من الأمور الممنوعة، وإنما يستثنى من ذلك التكاليف والأحوال التي تعين في أوقات الحرب بحسب الأحوال.

٢٥ - لا يجوز أن يؤخذ من أحد بارة واحدة باسم ويركو ورسوم أو بصفة أخرى ما لم يكن ذلك موافقا للقانون.

٢٦ - إن التعذيب وكل أنواع الأذى ممنوع منعا باتا كليا.

* * *

ترجمة الخط الشريف السلطاني

بالقانون الأساسي

وهو خطاب السلطان لمدحت باشا الصدر الأعظم باعتماد القانون وأمره بتنفيذه.

وزيري سمير المعالي مدحت باشا:

إن التدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيم في إدارة الأمور الداخلية أكثر مما نشأت من الغوائل الخارجية، ومن ميل الأسباب الكافلة أمنية التبعة من حكومتهم المتبوعة إلى الانحطاط؛ فلذا كان والدي الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للإصلاحات خط التنظيمات الذي منح به جميع الرعية الأمن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم موافقة لأحكام الشرع الشريف المقدسة ، وما عشناه إلى الآن في ضمن دائرة الأمن ، وما وفقنا به اليوم إلى وضع وإعلان هذا القانون الأساسي الذي هو ثمرة الآراء والأفكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الأمنية إنما هو من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك أردد خاصة في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار إليه وموفقيته وأصفه بعنوان محيي الدولة ، ولا ريب بأنه لو كان الأوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقة لاستعداد زماننا هذا وإلجاءاته لكان المرحوم المشار إليه

وضع يومئذ أحكام هذا القانون الأساسي الذي نشرناه الآن وأنفذه ، ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بالتمام سعادة حال ملتنا وأرجأها إلى عهد سلطنتنا فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم.

على أن التغييرات التي وقعت بالطبع في أحوال داخلية دولتنا العلية والتوسيعات التي حصلت في مناسباتها الخارجية أوصلت عدم كفاءة شكل إدارة الحكومة لدرجة البداهة ، ولما كان أقصى مقاصدنا الخيرية إزالة الأسباب المانعة للآن من الاستفادة الواجبة من الثروة الطبيعية لمملكتنا وأمتنا ، ومن قابليتهما الفطرية وتقدم صنوف الرعية في طرق الترقي بالتعاون والاتحاد اقتضى لأجل الوصول إلى هذا المقصد أن يوضع للحكومة أساس مأمون منتظم ، وهذا أيضا يتوقف على تأمين هذه الفوائد وتقريرها ، بمعنى أن قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة، أعني بها منع ومحو ضروب الخطآت ، وسوء التصرف المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي أو حكم الأفراد القلائل ليستفيد جميع الأقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ذلك الحق والمنفعة الحريان بالهيئة الاجتماعية المدنية.

ولما كان ربط القوانين والمصالح القائمة بقاعدتي الشورى والحكومة المقيدة المشروعتين ، والثابت خيرهما مما تحتاج إليه هذه الأصول أوعزنا في خطنا الذي أذعنا به جلوسنا إلى وجوب تأليف مجلس عمومي، وحيث إن القانون الأساسي الذي وجب تنظيمه في هذا المطلب قد وضع بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تعينت مركبة من متحيزي الوزارة وصدور العلماء ، ومن سائر رجال وعمال دولتنا العلية ، وجرى عليه التصديق في مجلس وكلائنا بعد إمعان نظر التدقيق ، وكانت المواد المندرجة فيه إنما هي متعلقة بحقوق الخلافة الإسلامية الكبرى ، والسلطنة العثمانية العظمى ، وحرية العثمانيين ومساواتهم ، وصلاحية الوكلاء والمأمورين ومسئوليتهم ، وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل ، وبصحة ميزانية المالية ، وبالمحافظة على مركز الحقوق في إدارة الولايات واتباع أصول المأذونية ، وكان جميع ما ذكر مطابقا لأحكام الشرع الشريف ولاحتياج

الملك والملة ، وقابليتهما في يومنا هذا ، وكانت أخص آمالنا في مطلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة له - فاستنادا على عون الله ومدد روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلنا هذا القانون الأساسي وأرسلنا به لطرفكم بعد أن صادقنا عليه فبادروا لإعلانه في جميع أنحاء الممالك العثمانية وأطرافها؛ ليكون دستورا للعمل إلى ما شاء الله وباشروا بإجراء أحكامه منذ اليوم متخذين أسرع التدابير لتنظيم ما تقرر فيه وتسطر من النظامات والقوانين كما هو مطلوبنا القطعي ، ونسأل جناب الحق المتعالي أن يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكنا وملتنا مظهرا للتوفيق في كل الأعمال.اهـ في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣.

________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

حفلة الأربعين

لتأبين المرحوم السيد حسين وصفي رضا

في مساء الثلاثاء ليلة ١٧ صفر سنة ١٣٣٠ - ٦ فبراير سنة ١٩١٢ اجتمع فضلاء أدباء بيروت وأقاموا حفلة تأبين لفقيدنا السيد حسين وصفي رضا الحسيني في غرف القراءة الأميركانية ، وأذاعوا تذكرة دعوة لحضور فريق أهل الأدب والفضل لمشاركتهم بذلك ، وكان القائمون بهذه الحفلة هم المذيلة أسماؤهم صورة تذكرة الدعوة، وهذا نصها:

ذكرى فقيد

(الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في ٦ شباط يحتفل فريق من إخوان فقيد الأدب المرحوم السيد حسين وصفي رضا بإقامة حفلة تأبين ذكرى لفضله واعترافا بشهامته ، وذلك في غرف القراءة على (السور) فنرجو حضوركم) .

____

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٤٢٤/١١

المتكلمون

الشيخ محيى الدين الخياط مترجم جريدة الولاية، الشيخ مصطفى الغلاييني أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية العثمانية، جرجي أفندي عطية صاحب جريدة المراقب، أمين بك طليع مدير مال قضاء الشوف، إلياس أفندي حنيكاتي كاتب (مطرانخانة الروم) نجيب أفندي بليق مدير مدرسة المقاصد الخيرية، باتر أفندي باولي صاحب جريدة الوطن، جرجي أفندي باز صاحب مجلة الحسناء، محمد علي أفندي النابلسي من التجار ووكيل المنار في بيروت.

وفي الوقت المعين اجتمع كثير من أهل الفضل ، وشاركوا الفضلاء المحتفلين باحتفالهم ، وترأس الاحتفال الأستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية، فتلا رسالة الشيخ محيي الدين الخياط الشيخ عبد الرحمن سلام لعدم حضوره [١] وأتبعها بتأبين له ، وقام الأستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني وقال.

تأبين الشيخ مصطفى الغلاييني

أخلاق الفقيد

(الكمال يعشق)

قضية لا يختلف فيها اثنان، ولا يحيد عن الإقرار بمضمونها إنسان؛ لهذا ترى الناس ميالين طبعا لمن يرون فيه الكمال ، غير أن الكمال أمر معنوي، ليس قيد الحواس ، وقد اعتاد الناس أن يختلفوا في تفسير المحسوسات، وتباينوا في فهم الأمور الظاهرة ، لهذا لا ترى عجبا إذا اختلفوا في تفسير المعاني، وتباينوا في فهم المعقولات ، والكمال من أدق الأشياء المعنوية، وأبعدها من متناول الأفهام ، فإن كان الناس قد انقسموا فرقا وطوائف وأحزابا وجماعات في تفسير ما هو أجلى من الكمال، فأحرى بهم أن لا يتحدوا فكرا في تأويله وتفسيره.

الاختلاف سنة من سنن البشر، وجمع الناس على الاعتقاد بأمر ورفض ما يناقضه ليس مما يمكن، ولا في وسع أحد تحقيقه – وإن تمناه كثير ممن سعوا ويسعون لنفع المجتمع – ذلك لأن الاختلاف في الرأي لم يبرح فطر البشر منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، ومهما ترقى الناس، وبلغوا من سمو الفكر، ومضاء

العزيمة، وقوة الإرادة، فلن يصلوا إلى ما يضم المختلفات ويؤلف بين المتناقضات، هذا في المحسوسات بله المعنويات، ذهب الناس في تفسير الكمال كما ذهبوا في تأويل كل أمر معنوي مذاهب شتى حسبما يتراءى لهم، أو حسبما تعودوا.

لا أذكر الآن مذاهب كل قوم في تفسير معنى الكمال، فإن هذا يحتاج إلى موقف غير هذا الموقف ووقت لا يتسع له أمثال هذا الوقت ، وإنما أذكر ما أذهب إليه، ويذهب إليه كثير غيري ممن هم يشاكلونني طبعا ورأيا ومحجة صواب ، وفي عداد هؤلاء فقيد الكمال السيد حسين وصفي رضا الذي أقمنا هذه الحفلة ذكرى لكماله.

الكمال شجرة عظيمة يتفرع منها فروع كثيرة ، وكل فرع من هذه الفروع يعطي جنيا وأكلا شهيا، هي وإن اختلفت ألوانا، وتباينت أشكالا، فطعمها واحد، ولذتها واحدة.

إن جماعتي الذين عنيتهم يريدون بالكمال (الخلق الحسن) فهو ملاك الفضيلة ورابطة الإخاء، ونبراس الحق، وسلطان المجد، فمن اعتصم بحبله المتين، وتمسك بركنه الركين، فهو من عباد الله الصالحين.

ألا وإن الشاب الصالح، والهمام الأروع، الذي أقمنا هذه الحفلة الكمالية لأجله هو من خطب الأخلاق الفاضلة، فألقت إليه بمقاليدها، وسلمته زمامها، فهام فيها هيام الولهان بغيداء الحسان حتى ملكت لبه ، وصادت فؤاده ، حتى صار كله أخلاقا حسانا ، فلا تقع ناظرة قلبك إذا نظرت إليه إلا على عادة حسنة، وخلق كريم.

إذا تكلمت عن الفقيد الحبيب، فإنما أتكلم بعد الاختبار، وأصف بعد طول المعاشرة ، حتى عرفت منه ما لم يعرف إخوته وإخوانه ، فهو تربي في السن زميلي في طلب العلم.

عرفته منذ عشرة أعوام في مصر، أيام كنت أطلب العلم في أكبر معهد علمي عربي، وهو الأزهر، وأول ما عرفته في إدارة مجلة المنار التي يحررها أخوه الأكبر الأستاذ السيد محمد رشيد رضا ، كنت أول معرفتي إياه أرى فيه انقباضا يظنه الرائي لأول مرة صلفا وكبرا، وإنما هو عقل ورزانة، وبعد عن مخالطة من

لا يتفق فكره مع فكره، ولا يشاكل ذوقه ذوقه ، عرفت فيه مذ عرفته رجل الجد والعمل، والأدب والدرس، والبعد عن سفاسف الأمور، والنأي عن مفسدات الأخلاق، ومجالس من لم يعرف فيهم الملكات الفاضلة، والأخلاق الكريمة.

عرفت فيه رجلا حرا مفرطا، لا يخاف في سبيل الحق لومة لائم، ولا يهاب في الذود عما يعتقده صحيحا عذل عاذل ، وربما تحاشى مجلسه بعض من لا يرون للحق قيمة، حذرا من أن يجيبهم بتوضيح باطلهم، وتبيان فاسدهم ، ومع هذا كله فكان إذا هفا هفوة ورد إلى الصواب، ارتد إليه شاكرا أنعم من هداه.

كان من أخلاقه الطيبة الصبر على المكروه ، وتحمل المشاق في سبيل ما يريد حتى يناله ، ولو أدى به ذلك إلى جهد النفس وصرف المال ، أما من جهة تدينه فقد كان رجلا متدينا حقا، مسلما كما يريد القرآن لا كما يريد القارئون.

وكان رجلا سلما لمن سالمه، حربا على من خاصمه في غير الحق محبا لترقي الأمة والوطن، من غير نظر إلى اختلاف المذاهب والأديان.

وكان لا يعرف التمويه والتضليل، بل يتكلم بما يعتقد دون أن يخشى أحدا لأنه لم يكن في قاموس أخلاقه ما يسمى رياء أو نفاقا.

وأعظم برهان على هذا أنه كان طريد الحكومة الماضية ، وقد حكم عليه بالسجن سنوات لا أعلم عددها ، ففر إلى مصر حيث يقيم أخوه الأكبر ، هاربا بحريته ووجدانه ، ومع هذا فقد كان يأتي إلى هذه الديار دون مبالاة ، ويجتمع بأصدقائه في المحال العامة ، ويتذاكر معهم في الشئون السياسية وحالة البلاد وما هي عليه من التأخر وما تنوء به من أعباء الظلم واضطهاد المصلحين، حتى خشي أن يجالسه فئة غير قليلة من خواص أصدقائه، خشية أن يكونوا قيد الرقابة أو هوان الحكومة الظالمة ، وقد ذكرتني حريته هذه بقصة لطيفة لا بأس بإيرادها:

يوم أعلن الدستور كنت قد واعدته أن ألقاه في بعض الأمكنة، فوافيته قبل الأجل المعين ، وقد برقت أسارير وجهي ، فقال: ما وراءك؟ قلت: (ما كنا نتحدث به الأمس) وكنا نرجو حصوله في سورية بادئ ذي بدء، ثم علمنا أنه سيبدأ في غيرها – وكنا قرأنا قبل بضعة عشر يوما في الجرائد المصرية التي كن

نقرأها خفية، أن فئة من الجيش ستثور للحصول على الدستور، فقال: ذلك ما كنا نبغي ، ثم قمنا من مجلسنا ذلك والصحب ما بين مصدق ومكذب وشاك إلا الفقيد، فذهبنا إلى المكتبة العمومية لنبتاع منها نسخا من القانون الأساسي، فبهت صاحبها وظن أننا جواسيس، فأنكر أن يكون لديه ، فأقسمنا له كل يمين أن الدستور أعلن، وأن الحرية صارت ملكا للأمة، فاعتقد الرجل صدقنا، ودخل دكانه وبحث عن النسخ، وقد دام في البحث ما ينيف عن خمسين دقيقة حتى اهتدى إليها؛ لأن القانون الأساسي كان – كما تعلمون – من الأوراق الضارة في عرفهم وقد اشترك الفقيد مع البيروتيين في كثير من الاحتفالات التي أقيمت إجلالا للدستور، وخطب فيها خطبا كثيرة قد قدرها قدرها كل من سمعها.

وأذكر أنه كان يخطب في إحدى المجامع، فذكر ما كانت عليه الحكومة من التضييق على أهل الذكاء ، ومن عرفوا بحرية الفكر ، **وكان والدي** المرحوم يستمع إلى خطابه، فقاطعه الكلام وقال له: لقد صدقت فيما تقول وإني قد نهيت ولدي كثيرا أن يكلمك أو يجتمع بك إلا حيث يأمن، خوفا من أن يصيبه ما أصابك ، وإن لم يخل من بعض ذلك، وربما كان أصابه كله لولا أن من الله على الأمة بالدستور.

إن الفقيد أيها السادة كان مع كل ما وصفت هماما ، قد ضربت عليه المروءة رواقها، والشهامة قبابها، كان إذا رأى مستنصرا أعانه، أو مظلوما بذل جهده لرفع الظلم عنه ، وكفاه فخرا وشرفا أنه مات شهيد المروءة والشهامة ، دفاعا عن ذات عفاف رآها عرضة لسهام جلف جاف ، يسمعها من قوارص الكلام وبذاءة القول ، ما لم يتحمل الفقيد السكوت عن مثله، فردعه عن تعديه وظلمه، فثارت في رأس ذلك المتشرد الجلف نخوة الجاهلية، فانتضى خنجره وأهوى به إلى السيد يريد القضاء على شهامته وأدبه، غير أن شجاعة الفقيد المشهورة دفعته إلى انتزاع الخنجر من يد ذلك الجبان الخاسر، فأصلح بينهما بعض من كان مارا، فذهب السيد آسفا على مثل هذه الأخلاق السافلة، فلم يخط بضع خطوات حتى فاجأه ذاك الملعون بإطلاق الرصاص فلم يقصده، بل اخترق أحشاءه، وبقى في منزله بضعة أيام، دون أن ينفعه طبيب:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
وقد احتمل مضض هذه الأيام بصبر وسكون دون أن يؤثر عنه كلمة تأوه ،
وقبل أن يفارق هذه الدنيا الفانية بثوان، قال لشقيقته – وكانت تمرضه – بجأش
رابط: (إني سأموت بعد قليل فإياك أن تصرخي واحذري أن يزعجني بصراخه
أحد) ولم يكد يتم هذه الكلمات حتى قال: (لا إله إلا الله) وقد فارق الحياة.
وقد كان لوفاته رنة حزن عمت كل من عرف أخلاقه وأدبه ، وقرأ ما كان
يدبجه يراعه الحر البليغ من المقالات والقصائد في الموضوعات الكثيرة المختلفة.
رحمه الله رحمة واسعة ، وأغدق عليه سحائب الرضوان.
***

تأبين جرجي أفندي نقولا باز
صاحب مجلة الحسناء
ونهض الفاضل جرجي أفندي باز فقال:
سهم واحد أيها الإخوان! سهم من كنانة الدهر يرمي القضاء به الناس على
السواء بلا استثناء ، فيفعل في المصاب فعلا واحدا ، ولكن تأثير فعله يختلف في
الآل والأصحاب ، ولكم ممن يموت ولا يشعر الناس بفقده حتى الأهل قلما يتأثرون،
ولكم فقيد يألم لموته كثيرون ويودون ألا يتعزون ، ولا عبرة بعمر الميت فإن
الشخصية هي المؤثرة ، وبحسب الاحتياج إليها يكون الحزن ، وما حزن الأغنياء
عنها بالمال أو بالعلم أو بالفضل أو بالأدب إلا احتياج إلى ولائها وشعورها، إلى
إملاء فراغ العاطفة، إلى حفظ الحاسات من التأثر.
وهذا فقيدنا لم يعمر بعد ولا توغل في الشباب، لم يشتغل كثيرا ولا اشتهر
في كل صقع وناد، ومع ذلك عد فقده خسارة لا تعوض بأي كان؛ لأن شخصيته
ذات استعداد يحتاج إليه الشرق، لأن نفسه كانت حية حرة كانت تكره الجمود
والخمول، تبغض الجهل والغباوة، تمقت الظلم والاستبداد، تستنكف من الذل
والهوان تأبى الدنايا والتافهات، تستفظع التعصب والاستئثار، كانت تحب العلم،
تؤيد الحق، تناصر الضعيف، تجهر بالرأي، تخلص بالقول، تجرأ بالعمل،

تستقل بالفكر، تسترشد بالبحث، تتأكد بالاختبار ،كانت تعتقد أن المرأة إنسان كالرجل لها حقوق ولها نفس ، وكفاها بهذه السجايا تعريفا لها.

هذا حسين يا قوم! فهلا يليق به هذا الإكرام ، والشرق محتاج إلى أمثاله؟

فهلا يعد فقده خسارة؟ هذا وصفي! فهل أحاط به وصفي؟ ما لي ولقلمه السيال وإنشائه البليغ ولمقالاته الرنانة وآثار كده وجده ، فحسبي منه نفسه والنفس هي الإنسان ، حسبي ذكاؤه ولطفه ، مروءته وشهامته ، حسبي ما وصفت من خفايا نفسه وما كان يرجى من خيرها لمواطنيه، حسبي سبب قتله ، ومن أولى مني بالحزن عليه لهذا لسبب؟ وأنا أحسبه واضعا حجر الزاوية؛ لتأييد حق المرأة في الشرق ، والضحية الأولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق.

إن المبادئ لا تثبت إلا على جثث الشهداء ، والمرسلون قوتهم بشهدائهم فحيث لا شهداء لا مبادئ ، وإذا عد قاسم أمين رسول تعزيز المرأة في الشرق ، فإن وصفي رضا شهيده، ذاك المهندس وهذا المؤسس، الأول قائل، والثاني فاعل، ولذلك أحسبه حجر الزاوية لتأييد حق المرأة ، والضحية الأولى التي قدمها الشرقيون فداء هذا الحق في هيكل الحرية، في حجر الطبيعة، حيث لا حائط ولا سقف ولا مذبح هنالك ضحي حسين ، على قارعة الطريق التهب جوف كبش المحرقة، وفي سبيل حق المرأة استشهد ، رأى وحشا بهيئة رجل يهين ملاكا بهيئة امرأة، ذئبا يكاد يفترس نعجة، قويا يستبد بضعيف ، وعاتيا يظلم ذات حق فأبت مروءته غض النظر ، فتداخل في الأمر فاستغاثت به الفتاة فلباها واستأسد في الدفاع عنها ، وصانها من براثن ذاك الوحش ولكن ببذل دمه ، جعل صدره أولا ترسا لها وإذ عجزت يد الذئب عن إزاحة هذا الصدر همت بتمزيقه بخنجر ، ولكن ساعد الشهيد كانت أقوى فانتزعت الخنجر منها ، وسار الفقيد محافظا على النعجة رافع الجبهة كالأسد، وهل أعظم ممن يدافع عن المرأة في الشرق حيث لا تزال ضعيفة غبية؟ سار ولكنه وأسفاه لم يجتز بضع خطوات حتى فاجأه الرصاص في أحشاه ، وامتزجت أناته باستغاثة الصبية ، ولكن أين من يدفع البلاء؟ لا علم ولا حكومة ولا أطباء حتى ولا بشر ، وإنما أوهام وترهات وأشخاص على الكراسي وقوانين

مكتوبة وشهادات مسهبة وأسماء بلا مسميات وأجسام تأكل وتشرب وتنام ، ألا شلت يد القاتل ، ليت أمه لم تلده ، ليت الشمس لم تشرق عليه ، ليته يشعر بفظاعة جرمه وبأن القتيل خير من ألوف مثله ، فيندبه أكثر مما يندب نفسه ويقول وهو صاعد إلى المشنقة: الويل للمستبد بالمرأة.

وحري بأمثال الفقيد المستهدفين للقتل بتأييد القول بالعمل ، حري بهم وبأصحابهم نصب تمثال له في قلب كل منهم إحياءا لذكره في القلوب ، وقد كان حبيب القلوب.

أحب الحرية الشخصية ومات فداءها، أحب الاستقلال الفكري وقضى ضحيته، أحب الجرأة بالحق والبسالة بالإنصاف وراح شهيد ذلك.

فيا هدف المرأة! فقيد الواجب! يا من ثوى بالدفاع عن امرأة! يا نصير الضعيف ومقاوم الاستبداد! يا مجاهدا خير الجهاد لخير الأمة! لئن غيبك اللحد عنا فذكرك حي معنا وإنا لأدبك وفضلك لناشرون.

***

أبيات جرجي أفندي عطية

وارتجل جرجي أفندى عطية هذه الأبيات:

أيها الساجع هيجت بكايا ... فلقد أذكرتني الحلو السجايا

بلبلا في روض علم شاديا ... أسكتته بغتة لسن المنايا

كان يشدو مطربا ألبابنا ... فغدا في لحظة إحدى الرمايا

غاله سهم أثيم غادر ... وهو لم يأثم ولم يدر الخطايا

لم يكن قط له ذنب سوى ... أنه راقي الحجى سامي المزايا

ألمعي رافع بند النهى ... أريحي نفسه تأبى الدنايا

ورقي المرء في أخلاقه ... قد غدا في شرقنا إحدى البلايا

حظ أهل العلم في الشرق الشقا ... من ربى لبنان حتى حملايا

يطلبون الخير للشعب وما ... من جزا يلقونه إلا الرزايا

يا صريع الحق نم في غبطة ... ولكم للحق في الشرق ضحايا

إن تكن بالقتل جوزيت هنا ... فستلقى الأجر من باري البرايا
فهو يوليك نعيما دائما ... لا تحاكيه من الناس العطايا
أيها الغيث اسق قبرا قد حوى ... من شهيد الفضل هاتيك البقايا
أنبت الزهر عليه وله ... أبدا من صحبه أزكى التحايا
***

قصيدة إلياس أفندي حنيكاتي

وتلى الشاعر الرقيق إلياس أفندي حنيكاتي هذه القصيدة:

لم يحل بعد فجيعة الآداب ... بحسين وصفي غير مر الصاب
شهم لمصرعه القلوب تفطرت ... حزنا وباتت في أشد مصاب
ومحاجر الأدباء من نار الأسى ... جفت فلا تقوى على التسكاب
أمست به (القلمون) مسقط رأسه في حالة تغني عن الإسهاب
تشكو إلى الأوطان وغدا غاله ... تشكو عدو الدين والآداب
تشكو وشكواها تزيد شجونها ... لجسيم رزء لم يكن بحساب
جناتها الخضراء كالآس اغتدت ... حمراء من دمه كما العناب
لم يقترف وزرا يدنس نفسه ... حتى يحل عليه شر عقاب
لكن غيرته على الأعراض قد ... أودت به في عنفوان لشباب
فقضى شهيد شهامة وكفى بها ... مجدا لدى الأعجام والأعراب
يا لهفة الإخوان بعد أخي الوفا ... والفضل بل يا لهفة الكتاب
حر أسير الحق غير مداهن ... فيه ولا وجل ولا هياب
يأبى محاباة الوجوه وضده ... في الناس كل مملق ومحابي
وأشد ما تأباه فيهم نفسه ... لغو الكلام وفارغ الألقاب
آثاره الغراء في بيروت لا ... تنسى ولن تنسى مدى الأحقاب
عرفت ذوو الألباب فيها فضله ... والفضل يعرفه ذوو الألباب
فلذاك إن أحيوا له ذكرى فما ... بالأمر من عجب ولا استغراب
فالمرء يحيا ذكره بطرائف م الآداب لا بمطارف الأثواب

فعليك يا ابن رضا سلام عاطر ... منا وغيث رضى من الوهاب
***
تأبين نجيب أفندي بليق
وقال الفاضل نجيب أفندي بليق:
إخواني!
ماذا عساني أن أقول وقد تقدمني هؤلاء الأفاضل ، فمع اعترافي ب أني لن أوفي الفقيد حقه من الرثاء والتأبين ، ولن أزيد على ما قاله إخواني فيه من السجايا العالية والصفات الحميدة ، أرى أنه لا بد لي من القول ولو كلمة عما اتصف به الفقيد؛ لأني له صديق ومن أدرى بالصديق من الصديق؟
نشأ الفقيد في القلمون إحدى قرى لبنان المجاورة لطرابلس (والتابعة لها من جهة التقسيم الإداري في الولايات العثمانية) ودرج في حجر شيده المجد والفضل، وأثثه العلم والنبل، فتلقى العلوم الابتدائية في القرية ، وتممها في طرابلس، وكان استعداده الفطري وذكاؤه الغريزي يساعدانه في التفوق على أقرانه ويرفعانه إلى أعلى مراتب التلمذة أينما كان، ولا غرو فهو من شجرة عربية الأصل قرشية الفرع هاشمية العود ، وهو في حياته وحتفه كجده الحسين ميتة ونبوغا.
فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا
ولما أفلت إلى مصر أخوه العلامة السيد رشيد من الظلم ورجاله والسوء وآله، عمد إلى محاربة المستبدين الغاشمين وقتالهم باليراع ، فأوجس رجال هذا العهد خيفة من الوكر الذي طار منه النسر ، فضغطوا على الوكر ومن فيه وشرعوا يتفننون في تعذيبهم وتهديدهم؛ لإسكات ذلك الصوت الذي يرن صداه في جاوه والهند وفارس والجزائر ومراكش والشام والقطر المصري ، فطورا يسجنون الولد ، وآونة ينذرون الوالد ، فلم يثنوا بأعمالهم هذه عزيمة نازل مصر ، ولم يقدروا على إخماد تلك الجذوة المشتعلة في أفئدة أهل ذلك البيت ، فلما بلغ الفقيد أشده واشتد ساعده في العلم نشط إليهما على حداثة سنه ولحق بأخيه ، وحذا حذوه في نقد الحكومة الماضية ورجالها السفاكين ، وأقام هناك ست سنين كان في خلالها

يدرس في الأزهر على أشهر أساتيذه منهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رب هذه الثورة الفكرية والنهضة العلمية، وقد طمحت نفسه إلى الكتابة فكان يكتب في المنار والجريدة المصرية وغيرهما تحت إمضاء (المشرقي) وإمضاءات مختلفة ، حتى بلغ درجة في الكتابة إذا لم أقل: تفوق كتابة الذين مارسوها عشرين سنة فهي لا تقل عنهم في شيء، وكان لا يفوته علم من علوم العربية الاثني عشر إلا أحاط به كأحد أساتيذه ، ولا عجب فهو شقيق الأستاذ السيد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده.

ولما من الله على الأمة العثمانية بنعمة الشورى، جاء بيروت مهللا لها فرحا وحبورا، وخطب في الحديقة مرارا كان يرتجل خطابه دون أن يستعد له ، ومع ذلك كانت خطبه لا يشتم منها رائحة الارتجال؛ لأنه – رحمه الله – ضليع في العربية حاضر الذهن ، وكان يكتب المقالة بين لفيف من أصحابه ولا تشغله أحاديثهم ولا تلهيه مسامراتهم عما يكتب ، وكان يجيبهم ويباحثهم ولا يفقد فكرة هيأها أو نتيجة أعدها، ولقد توفرت فيه كل صفات الرجولة التي يحسد صاحبها ويغبط حائزها: إباء لا يمازجه كبر، ووفاء لا يشوبه رياء، ولين لا ضعة فيه، وفخر مجرد من جفاء، و أدب خالص من غرور، وعلم عار عن فضول ،

كان – رحمه الله – قليل الكلام، كثير التفكير، قوي الحجة ثابت الروع ، لا يرضخ لكبير، ولا يستهين بصغير، يلتهب غيرة في إصلاح أمته، ويذوب حسرة على انحطاط قومه، لا يفرق بين طائفة وطائفة إلا بالعلم والفضل ، شأن عظماء الرجال، عظماء النفوس الذين يعتبرون أبناء آدم إخوانا مهما تباينت لغاتهم واختلفت مذاهبهم فهو لعمري حري لمبدئه هذا بالاعتبار والإجلال.

يحق لي أن أبكي حسينا ما دمت حيا؛ لأني أخوه في ثلاث: في العربية، في الوطنية، في المبدأ الذي كان يعيش من أجله ، وإذا مات فموته من أجله وهو تكافؤ أرومات العرب ، وتضافر عيدانهم وجعلهم كتلة واحدة في وجه العدو وصد هجماته عنهم، ولا يتم ذلك إلا بالعلم وردعه قاتله (شلت يداه) عن تعذيب فتاة من دواعي العلم.

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري

وقصارى القول في فقيدنا العزيز: أنه لو عمر عمر من عظم من الرجال أولي النهضات العلمية والسياسية منها لكان له بينهم شأن يحفظه التاريخ ، ويردده له جيل بعد جيل، لكن واأسفاه عاجلته منيته فقصفت به غصنا نضيرا.

يا موت لو أقلت عثرته ... يا موت لو تركته لغد

يا موت لو لم تكن تعاجله ... لكان لا شك كوكب البلد

جرت العادة عند الأمم المتمدنة أن تحيي ذكرى نوابغها بعد وفاتهم ، ولقد تتفاوت درجات النبوغ ، فمنهم من يشتهر بالشجاعة الأدبية ويصرح بمعتقده ولو كان في ذلك ذهاب سالفته، ومنهم من يفني أيامه في التأليف والتنقيب ، ومن هؤلاء الكاتب والشاعر، ومنهم من ينهك قواه ويسهر الليالي الطوال ويسجن نفسه أهلة وأعواما؛ ليأتي قومه والناس بشيء جديد وهذا المخترع والمكتشف، ومنهم من يخدم دولته في قيادة أو إدارة فيجيد القيام بها ويخلص في الخدمة ، ولقد يجدر بالأمم التي شأن أفرادها على ما ذكرت أن تقيم لهم ليالي متعددات ، تذكر فيها آثارهم وأفكارهم فتحيي بعملها هذا شعورا يهب بأبنائها إلى الرقي ، ويربأ بهم نحو العمران وقد تفنن الغربيون في إحياء ذكر عظمائهم وتجديد همم علمائهم ومخترعيهم وقوادهم فتراهم يسمون الشوارع والبواخر الحربية بأسماء أولئك العظماء وينصبون للملأ تمثال كل منهم في الأزقة والشوارع ، حتى إنه لا يكاد يخلو شارع من تمثال عظيم، وبهذه الواسطة وبمثل هذا التشجع يعكف رجال الغرب على العمل دون كد ولا ملل ، والقوم كلهم ما بين مستحسن ومشجع حتى يصل أحدهم إلى غايته وينتهي إلى أمله ، أما الأمم الشرقية فإنها وإخوانها الغربية على طرفي نقيض ، وقد أبدع حافظ إبراهيم في هذا المعنى إذ قال: ينبغ النابغة فينبعث أشقاها للطعن عليه فلا يزال يكيد له حتى يبلغ منه، ويكتب فيها الكاتب فينبري له سفيهها فلا يفتأ ينبح عليه حتى ينشب فيه نابه، ويفسد عليه كتابه، ويشعر فيها الشاعر فيحمل عليه جاهلها فلا ينفك عنه حتى يغلبه على أمره، ويقهره على شعره ، فكيف بعد هذا تزكو لنا حصاة وتصل لنا قناة.

أما بعد إعلان الشورى في بلادنا فقد تغيرت أخلاقنا وتحسنت علائقنا ،

وأصبحنا نعترف للفاضل بفضله – اللهم إلا نفر قليل من طبقة الدنيا – وأنصع دليل لتأييد هذه القضية هو احتفالنا بتأبين المرحوم السيد حسين ، وإحياء ذكرى له تنويها بنجابته ونبله، واعترافا بأدبه وفضله، وإني أيها الأخ السيد أحمد [٢] لا أعزيك وحدك بفقد المرحوم ، بل أعزي النابتة العربية جماعها؛ لأنها فقدت به أخا كريما وشهما عظيما

فأصبح في لحد من الأرض ميتا ... وكانت به حياة تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض ... فحسبك مني مما تجن الجوائح

فما أنا من رزء وإن جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... فقد حسنت من قبل فيك المدائح

***

تأبين أمين بك طليع

وقال أمين بك طليع:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

بيت قاله طرفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة منذ جيل ونصف جيل أتخذه مقدمة لكلامي.

الأسيف مكلف لكلمة عامة وهي أضمن ما يمكن أن يكلف به عاجز مثلي مع من سمعتم وتسمعون من فضلاء الشعراء ومشاهير الكتاب ، خصص كل منهم نفسه بما عرفه في الفقيد – رحمه الله – واختبره فيه من الأخلاق والمعارف والمبادئ والسياسة ، وترك لي تقديم صورة إجمالية؛ لأجاريهم في الموضوع أو بالحري كي لا أحرم من قليل منه في جانب ما أصابني من كثير الأسى والحزن.

فقيدنا العزيز المحتفل بتأبينه هذه الليلة السيد حسين وصفي رضا سليل العترة الحسينية الطاهرة وفرع الشجرة الزكية الزاهرة ، شاب كان في ريعان الصبا ومقتبل العمر، نبت في بيت الحسب، ودرج من مهد الفضيلة والأدب، فنشأ فاضلا أديبا، ولوذعيا أريبا، وشب عاقلا مفكرا، ووطنيا مخلصا، وشهما أبيا، منذ سنوات في بيروت وهو على أهبة السفر إلى القطر المصري لاحقا بأخيه

المصلح الشهير العلامة السيد رشيد ، رسخت بيننا قواعد المودة وتوثقت عرى المصافاة ، فعرفت منه حرا متطرفا أيام كانت الحرية جريمة لا تغتفر، وجريئا مقداما لا تأخذه في الحق لومة لائم أيام كانت الجرأة جزاؤها البوسفور، ينحي باللائمة على دولة الظلم ورئيسها وعملها في نفس بلاد الظلم ، ثم رأيته في مصر بلاد الحرية بلاد النور فرأيته حرا رزينا ، يدرك أن حرية الشخص تنتهي حيث تبتدي حرية شخص آخر، وحادثته هنا وهناك قبل الدستور وبعد الدستور فإذا هو هو: صحيح المذهب فصيح اللهجة ، إذا روى أبدع، وإذا جادل أقنع، وإذا استرعي استمع، حاد الذهن نازه النفس شديد التمسك بنواهي الدين الحنيف مع تسامح نادر المثال مع مخالفيه، وتساهل فيما يعرفه من ملكات أصدقائه ومحبيه.

لا أنسى ولن أنسى أياما معدودات قضيناها هذا الصيف في جبل لبنان حيث الهواء عليل، والنسيم بليل، والماء سلسبيل، وهو بيننا – والهف قلبي عليه! – الدين لا يستثقل رشده، والأخلاقي لا يمج نصحه، والنديم لا يمل مجلسه. لقد كادت تخنقني الزفرات أوزعني اللهم صبرا ... الصحف والمجلات تشهد أنه – رحمه الله – أفاد الأدب باجتهاده، وخدم الوطن بعلمه وجهاده، ودافع في سبيل الشهامة بسعيه ثم – وأسفاه! – بدمه ... – شلت يد القاتل – لو سرت مع العواطف لبكيته بكاء الخنساء على صخر، ولرثيته بكل قصيدة عصماء بكل مبتكر من الشعر، ولا أغزر من عبرات يذرفها الصديق المقيم على الصديق الراحل، ولا أجزل من عبارات يرثي بها الأخ المرحوم الزائل ، ولكن عفوا! فلا أروع هذه الشعائر الرقيقة والقلوب الكريمة (مع ما تعانيه) بمنظوم يستدر عقد الدموع، ومنثور يذكي نارا بين الضلوع، ولا أحاول تجسيم الرزء وتعظيم الخطب ، فإن الرزء في نفسه لجسيم والخطب لجليل.

أما ترى البدر إن تأملت والشمـ ... ـس هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيم

ولا أسهب في بيان الخسارة وكلكم تعرفون أن هذا الوطن العزيز لقي أمس الاحتياج إلى أديب مع كثرة الأدباء، وفي أشد الافتقار إلى حر مع قلة الأحرار ،

يخدمه ويعلي من شأنه ، وكلكم تشعرون أن هذه الفئة – فئة الأدباء والمتنورين – سلسلة مرتبطة الحلقات تعوزها حلقلة تزاد وهي بالطبع تتأثر لحلقة تفقد ، قلت:
إذا مت إلخ ...
شاعر الجاهلية – وعصره عصر يكرم النابغين ويعظم المتفوقين – عرف أن الشرق والشرقيين لا يحفلون بغير وجيه حي ومثر متحرك ، يعظمونهما ويمجدونهما ولا يبالون بغير حاكم حكم يقدسونه ، ويحرقون بين يديه الطيب ويجرون على أقدامه المباخر ، وكأنه أدرك بتلك الألمعية – مع ما كان في زمنه من إجلال العلماء والشعراء – أن العالم والشاعر والأديب قد يحتاجون بعد مفارقة هذه الحياة الدنيا إلى من يذكر لهم أثرا ويذرف عليهم دمعته ، ويستمطر رحمته مثال أمه أو زوجته أو نسيبته (لا يحضرني من هي) بأن تنعيه بما هو عليه من أريحية نادرة وبلاغة معجزة وشاعرية فطرية وطلب إليها أن تشق عليه الجيب.
فمسكين هو النابغة في الشرق ومسكين هو الأديب يضحي بنفسه ليفيد، ويحرق دماغه لينير، يقضي العمر في جهاد مر، وعناء مستمر، فلا مادة يصيب ولا نفس ينال ، وإذا هو مات فلا ينعى ولا يشق عليه جيب ، ولا يكون غير سكون دائم على جسم هامد ، تدل بقياه على ما عاناه من التعب وما تكبده في دنياه من النصب.
بيد أن أدباء بيروت ولبنان انتبهوا منذ عشرات من السنين إلى حظ الأديب من دنياه مادة؛ فعمدوا إلى إقامة مثل هذه الحفلات تقال بها كلمة ، وتذرف دمعة وهي أقل ما يكافأ به أديب ميت، وأفضل ما يشجع به أديب حي فحيا الله هذا الشعور.
إن الإنسان ثلاثة على حد ما قيل: واحد يمر في هذه الحياة ولا يبقي بعده أثرا كما يمر العصفور في الهواء أو السفينة في الماء، وواحد يمر كما يمر الطيب في القارورة يبقي بعده ريحا طيبا لا يذهب بعد ذهابه، وواحد يكون دعامة بنيان عظيم فإذا ذهب سقط ذلك البنيان.
أخونا حسين وصفي رضا مثل كل أديب مر في هذه الحياة كما يمر الطيب في

القارورة وترك بعده طيبا لا يذهب بذهابه ، فأنا أنعيه بما هو أهله من أدب غض، ومحتد كريم، وخلق دمث، وقول حر، وأنشر من أخلاقه ومباديه أريجا يبقى إلى ما شاء الله، وأستمطر على تلك الروح الشريفة شآبيب الرحمة والرضوان ، وأسأل لذويه وخلانه ومحبيه الصبر والسلوان، وللذوات الحاضرين الوقاية من الأحزان.

سلام على روح الحسين ورمسه ... على قمر يا رمس أنت حجابه

فلا تثقلنه فهو عضب مهند ... أبى غمده الدنيا فأنت قرابه

وأنت به قارورة الطيب ضمنها ... شمائله، أخلاقه، وشبابه

لبسنا عليه الخط ثوب حداده ... وللشرق من حظ الأديب خضابه

فيا روحه أنى حللت فبلغي ... مصابك في شرق كبير مصابه

ولا تحرمينا من خيال يزورنا ... فنحن ذووه فاعلمي وصحابه

وبعد تمام الاحتفال ارفض القوم يستمطرون شآبيب الرحمة على تلك الروح الطاهرة ، ويندبون حظ قومهم ويشكرون للمحتفلين عنايتهم بالفضل وأهله اهـ.

وهذا ما انتهى إلينا من وصف هذه الحفلة أثبتناه ، ولا تزال تأتينا تعاز ومراث من الجهات البعيدة والقريبة ، وإننا نشكر للجميع تعازيهم ومشاركتنا الحزن من نشرنا له تعزيته ومن لم ننشرها له؛ لكونها ليست على شرطنا ، لخلوها من ذكر شيء من مناقب الفقيد – سائلين الله أن يشكر عنا سعي الجميع والسلام.

---

(١) لم يرسل إلينا تأبين الشيخ الخياط لندرجه هنا ، وكذلك تأبين الشيخ عبد الرحمن سلام.

(٢) يعني شقيقنا السيد أحمد حمدي رضا وكان حاضر الحفلة.." [١]

"الكاتب: محمد رشيد رضا

مصابنا بالوالدة رحمها الله تعالى

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٤٦٦/١٥

بعد ظهر اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، قد احتسبنا عند الله تعالى والدتنا ومربيتنا وجرثومة أسرتنا السيدة البرة الرحيمة التقية النقية الشريفة (فاطمة أم رشيد) الحسنية الأب والأم، في منتصف العشر التاسع من عمرها، ففقدنا بفقدها أما يندر وجود مثلها في الأمهات – والأمهات أفضل ما في هذه الكائنات – حبا ورحمة وإخلاصا ونصحا وإيثارا للأولاد على النفس مهما تكن صفاتهم وأحوالهم، إلا من أفسدت البيئة فطرتها، وذهب الجهل ومعاشرة الفاسقين أو الخرافيين بدينها، فلا حب فوق حب الأم إلا حب الله تعالى لعباده المقربين، ولا رحمة تعلو رحمتها إلا رحمته عز وجل للمحسنين، بل رحمتها أكبر شجنة من رحمته الواسعة عز وجل، فقد فقدنا من كانت عندنا ومنا وفينا أفضل المخلوقات، من لا يفضلها شيء، ولا يغني عنها شيء، إلا رحمة الله تعالى وصلواته على الصابرين، وبره وإحسانه للبارين المحسنين، ونرجو أن نكون منهم في برنا لأمنا في حياتها، وصبرنا واحتسابنا لها بعد وفاتها، ونسأله تعالى أن يجزيها عنا أفضل ما جزى أما لعباده رؤما لأولادها، رؤوفا بهم، عطوفا عليهم، محسنة لتربيتهم، أمة من إمائه، مؤمنة به، موحدة له، مخلصة في عبادته، وأن يتغمدها برحمته التي يختص بها عباده المقربين، ويرفعها إلى منازل الكرامة في عليين.

كانت رحمها الله تعالى صحيحة البنية سليمة من الأمراض، إلا أنه عرض لها ألم الرثية (الروماتزم) في ركبتيها بعد مجيئها إلى مصر منذ بضع عشرة سنة، فعالجها الطبيب التركي الشهير شرف الدين بك – رحمهما الله تعالى – بصبغة اليود دهانا وشربا، فزال المرض وحجت في موسم سنة ١٣٣٤ وأنا في خدمتها فلم يزعجها شيء من ركوب الشقادف والنزول منها، واحتملت ما أرهقنا من نوء البحر في عودتنا من الطور إلى السويس في باخرة صغيرة وبسهولة.

وصامت معنا شهر رمضان الماضي بدون تعب ولا ضعف، وكانت تفطر وتتسحر من طعامنا القوي التغذية فلا تشكو منه ثقلا ولا طسى ولا سوء هضم، وتصلي معنا في جماعة الأسرة، ثم تغيرت صحتها عقب عيد الفطر، واشتكت واختلف على معالجتها عدة من نطس الأطباء أشهرهم سليمان بك عزمي فخف

المرض؛ ولكنها ضعفت بالتدريج واشتد تعبها في آخر ليلة من حياتها الشريفة الراضية المرضية، وقد صلت الفجر والظهر يوم وفاتها في وقتهما بالإيماء، ولم تقبل أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر كما أفتيتها في مثل هذه الحال، وفاضت روحها في الساعة الثانية بعد الظهر.

وكانت التي تتولى خدمتها الخاصة وتمرضها في كل أيام مرضها كنتها أم أولادنا، حتى أنها كانت تسهر بجانب سريرها ما دامت تعبة محتاجة إلى شيء من الخدمة وتنام بجانبه عند الحاجة. وقد قلت لأم محمد شفيع غير مرة: إن كل خدمة تؤدينها للوالدة فكأنك تؤدينها لشخصي؛ لأنك نائبة فيها عني، فإنني أنا الخليق بأن أقوم بذلك بكل ارتياح مهما يكن نوعه، فلا عذر لك في شيء من التقصير إلا إذا كنت أنا مقصرا معك في شيء ما – وهي بحمد الله واتباعنا لهداية دينه القويم لا تشكو مني شيئا ما – ومن فضل الله علينا جميعا أنني لم أر منها أدنى تقصير فأرشدها إلى تلافيه، وقد قلت لها: إنني لا أشكر لك خدمة الوالدة لجنس الخدمة ونوعها؛ فإن هذا من التكافل المشترك في حياتنا المنزلية، وإنما أشكر لك من أعماق قلبي أنني لم أرك في شيء من هذه الخدمة متبرمة ولا ضجرة.

فهذا الارتياح النفسي لهذا العمل الشريف من الفضائل النفسية لا تكاد توجد في الكنائن، بل قلما تتحلى بها ابنة في تمريض أمها في هذا العصر الذي كثر فيه العقوق، وهضم الحقوق، فأقسمت أنها تشعر في خدمتها بارتياح من تخدم ابنة لها لا أما، ولقد كانت المرحومة خيرا لها من أمها، وأشد تحريا لسرورها من بنتها، فلو كانت أمها معنا لما استطاعت أن تؤلف بيننا مثلها، فأنا أسجل هذا في المنار ليكون مثلا صالحا وأسوة حسنة للمؤمنين، وحجة على الملاحدة والمارقين والفاسقين، الذين يجهلون أن سعادة الحياة المنزلية (العائلية) من زوجية وأمومة وأبوة وأولاد لا تأوي إلا إلى بيوت المعتصمين بهداية الدين القويم، فإليها تأوي وفيها تثوي وتقيم، ولئن طاف منها طائف ببيت من بيوت الملاحدة والفاسقين أو زارته؛ فإنما تلم به إلماما، ولا تلبث أن تهجره عند حدوث الحوادث الشهوانية، وانتياب الكوارث البشرية، فآداب الإسلام أرقى من آداب الإفرنج وأضمن للسعادة،

وإن جهل ذلك المتفرنجون.

أيقنا موت الوالدة التي كنا نتبرك بوجودها، ونهتدي بإرشادها، ونستنزل رحمة الله ومثوبته ببرنا لها ودعائها لنا، ففاضت الأعين دموعا، ورددت الصدور زفيرا ونشيجا، وكررت الألسنة حوقلة واسترجاعا، واضطربت الأفئدة خفقانا ووجيبا، وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، ولا نعمل إلا بما شرعه لنا.

لم نعلن نعيها في الجرائد ولا رقاع البريد ولا أسلاك التليفون؛ وإنما أعلمنا حفيدها السيد محيي الدين رضا بالخبر لبعد داره عن دار المنار، وجهزناها على ملة الإسلام، وسنة رسول الله عليه أفضل السلام، وصليت عليها في رحبة الدار مع من حضر، وشيعناها إلى مقبرة جديدة في زين العابدين، فوارينا شمسها عندما توارت شمس الدنيا بالحجاب، تغمدها الله بالرحمة والرضوان.

لم نعقد لها مأتما، ولم نغير شيئا من عاداتنا حدادا عليها، وقد وصل الخبر إلى بعض جرائد الصباح التي تطبع ليلا فنشرته، ثم نشرته بعض جرائد المساء في اليوم التالي، فأقبل كثير من أصدقائنا المقيمين في القاهرة لتعزيتنا في الدار نهارا وليلا، وأرسل كثيرون منهم برقيات التعزية ورسائلها من الإسكندرية وغيرها من مدن القطر المصري ومصطافه، وكان في مقدمة المعزين بأنفسهم وببرقياتهم إخواننا العلماء، وأخص بالذكر منهم أصحاب الفضيلة شيخ الأزهر الحالي الأستاذ الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، وشيخه السابق الأستاذ محمد مصطفى المراغي، ومفتي الديار المصرية الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم، وبعض رؤساء الكليات والمدرسين في الأزهر، وبعض الوزراء وأولهم صاحب الدولة رئيسهم إسماعيل صدقي باشا، والزعماء وكبار رجال الأحزاب وفي طليعتهم صاحب الدولة مصطفى باشا النحاس رئيس الوفد المصري، ومحمد فتح الله باشا أحد كبراء الوفد ووزراء حكومته السابقة، وحسن باشا عبد الرزاق وإخوته من أركان الحزب الدستوري، ثم جاءتنا كتب التعزية من أصدقائنا المحبين المنبثين في الأقطار حتى لندن وباريس وروما وسورية والحجاز، فنشكر لكل معز من قريب وبعيد فضله ولطفه، وندعو الله

أن يلطف بنا وبهم، ويقينا وإياهم السوء، ويجعلنا من الصابرين على بلائه، الراضين بقضائه، الشاكرين لنعمائه.

كانت الوالدة - أحسن الله تعالى إليها - من أسلم النساء فطرة، وأزكاها نفسا، وأطيبهن قلبا، كانت خير الأزواج لزوجها، وخير الأمهات لأولادها، وكان حظي من حبها وعطفها أكبر من حظوظ إخوتي وأخواتي؛ ولكن فيما لم يحرك غيرة أحد منهم ولا سخطه، حتى **كان والدي** رحمه الله تعالى يلقبني (حبيب أمه) ولا أذكر أنني عصيت لها أمرا في صغري ولا كبري.

أذكر أنني رأيت أترابي من الأطفال مرة قد خرجوا في سماء (مطر) حفاة يمشون في الوحل رافعي أثوابهم إلى ركبهم، فاشتهيت أن أقلدهم وأنا ابن بضع سنين، فجئت الدار فاستأذنتها في أن أخرج حافيا وألحق بهم، فلم تأذن لي، فوقفت في عتبة الدار حافيا ومددت إحدى رجلي إلى خارجها وقلت لها أحطها، قالت: لا تحطها، قلت: أحطها، قالت: لا تحطها، فكررت ذلك مرارا، فلما لم تأذن لي رجعت، وما زلت أذكر هذا لها وتذكره لي فلم أنسه، وما أبرئ نفسي من نسيان غيره.

ولا أذكر أنها ضربتني في صغري إلا مرة واحدة، تململت من سخونة ماء الحمام وحاولت التفصي والهرب، فضربتني بالطاس على ظهري، وما زلت أذكرها بها مازحا، وتعتذر لي عنها تلطفا، ثم كانت أشد عناية من والدي بطلبي للعلم والاهتمام به والارتياح إلى هجرتي إلى مصر، إذ علمت ما لي فيها من النية الصالحة، والرجاء في التكمل بالعلم وخدمة الملة والأمة.

وكانت دقيقة الفهم، رقيقة الشعور والوجدان، تخشع لآيات الزجر والوعيد من القرآن خشوع العارفين المتدبرين، وإذا أنشدتها شيئا من غزل الشعر الغرامي قالت: هذا فتنة، لا ينبغي اشتغال الشبان والشواب به، وقد قرأت لها قصيدة أحمد شوقي في تهنئة السلطان حسين كامل:

الملك فيكم آل إسماعيلا

فلم أتجاوز حتى قالت لي: هذه مرثية لا تهنئة، فعجبت لهذه الفطنة، وسبقها إياي

إلى هذه الفكرة. ثم قرأت لها قصيدته في تهنئة والدة الخديو بعودتها من الآستانة التي مطلعها:

اكشفي الستر وحيي بالجبين ... وأرينا فلق الصبح المبين

فانتقدت هذا المطلع واستهجنته جدا في كلا مصرعيه: فأما الأول فلأن الستر يستعمل غالبا في إخفاء ما يقبح إظهاره، وكشفه يستعمل في الفضيحة، فيقال: كشف الله ستر فلان، وهتكت فلانة سترها، وأما الثاني فلا يخفى وجهه، ولا يحسن كشفه.

وأذكر أنني سمعت وأنا صغير مغنيا في قريتنا القلمون يقول بيتا من أغنية عامية مضمونه أنه يدعو الله أن يغيب القمر ليأخذ البوسة (القبلة) ويرى قلعة حلب على أي شيء هي مبنية فحفظتها فقلتها أمامها، وقالت لي: (اسكت) هذا كلام عيب إياك أن تقوله، وإنني وأيم الحق لم أفهم مغزى هذا الإنكار الشديد إلا بعد أن صرت رجلا كبيرا.

وكانت على نزاهتها وأدبها في القول والفعل ذات دعابة وفكاهة وتنادر في الكلام طبعا بلا تكلف، وكانت تتوخى أن لا يستثقل أحد منها قولا ولا خدمة، فقلما تطلب من أولادها أو أحفادها أو كنتها شيئا بصيغة الأمر، بل تعرض وتكني في الغالب، ولا تكلف أحدا ما تستطيع هي فعله ولا تشتم خادما شتما بذيئا على تقصير، ولكنها قد ترفع صوتها عند الغضب، وقد ورثت ذلك منها وهو منتقد وهو طبع كان يكرهه كل منا.

وكانت مقتصدة شديدة الحرص على كل ما في الدار، لا يهون عليها أن يضيع شيء منه، على حبها للضيافة واعتيادها إكرام الضيوف منذ صارت ربة بيت، وتحب أن يبذل كل ما يستطاع من إكرام الضيوف وبر الإخوان، فإذا أشرنا بشيء من الألوان لم تجده لائقا لقلته اقترحت الزيادة عليه، وما دعوت الأصدقاء إلى الطعام إلا ذكرتني ببعض من لم أذكره لها منهم، حتى كانت تأمرني بدعوة نسيم أفندي صيبعة للإفطار معنا في رمضان مع الصائمين الذين ندعوهم ولا سيما السوريين منهم، فأقول لها مازحا: هو نصراني لا يصوم. فتقول: لكنه صديقك

وابن بلدنا، وذوقه ذوقنا، ولا بد أن يترك الغداء بعد الظهر، أو يخففه ليقبل الأكل معكم بعد المغرب، وأنا لم أذكر لها كلمة نصراني إلا لأجل الصيام، فقد كان من المألوف عندها بدارنا، وإلا فهي معتادة في بلدنا على ضيافة النصارى وغيرهم، بل كان بعض أصدقاء والدي منهم يقيم عندنا أياما في رمضان فيفطر ويتسحر معنا.
وقد ذكرتني جريدة حضرموت – التي تصدر بسنغافورة –بمكرمة لها كنت ناسيا لها، وهي أنه لما جاء مصر صديقي الجليل المرحوم السيد محمد بن عقيل قبل الحرب الكبرى ذكرت لها ذلك عندما علمت به ليلا، فأمرتني أن أذهب من ساعتي تلك إلى الفندق الذي نزل فيه وأجيء به إلى الدار، وقالت: إنه لا يليق بك وهو صديقك القديم، وقد صار لك دار وأهل أن ترضى بنزوله في فنادق المسافرين – وكانت لا تعلم أن هذا معتاد في الأمصار الكبيرة – فلم يسعني إلا امتثال أمرها.
وكانت صبورا شكورا، مات أربعة من بنيها وأربع من بناتها في حياتها فبكتهم البكاء الطبعي الشرعي، دموع تتحادر من العينين، ونشيج يتردد في الصدر، بلا نوح ولا ندب، ولا تغيير شيء من العادات في اللباس والأكل والشرب، ولا غير ذلك مما يسخط الرب.
وأما الشكر فكان أكمل مظاهره منها رضاها من المرحوم الوالد وإطراؤه في كل أعماله على ما كان من شدته في معاملتها ومعاملتنا أحيانا، فلم يكن في أسرتنا مثله في غضبه وشدته عفا الله عنه، وما زالت تمدحه وتثني عليه وتدعو له طول حياتها.
وقد ضارها بزوج أخرى من بنات عمومته بعد ولادتها لي – ولم يجمع أحد من أسرتنا بين زوجين غيره إلا ابن عم له – فلم ينكر هو ولا غيره منها قولا ولا فعلا من غيرة الضرائر على ما كان أهل ضرتها يعملون لإغضابها وإثارة غيرتها ولكنه رحمه الله تعالى ما استطاع أن يطيل عشرة الأخرى فسرحها سراحا جميلا.
ومن أغرب آدابها أنها كانت تعد لأولادها عليها بأقل خدمة يؤدونها مما أوجبه الله عليهم ويعذبهم على تركه، حتى كان يثقل علي هذا منها أحيانا، وقد قلت لها مرة: لماذا تتحامين أو تستثقلين أمر أي كان من كبيرنا وصغيرنا بما تريدين منه

وأنت سيدة الجميع وصاحبة الفضل على الجميع؟ فقالت: بل أنت صاحب الفضل على الجميع. فما آلمتني بكلمة أشد على طبعي من هذه الكلمة، فقلت لها: بل أنا لولا توحيد الله تعالى لما كنت إلا عبدا لك، وانصرفت موجعا من هذا الشعور الغريب.

وأغرب منه أنها كانت تسترقيني إذا وجعت فأرقيها، والرقية مشروعة،

ولم تكن من النساء الخرافيات، وقد ذهبت مرة مع بنتيها لرؤية جامع عمرو فأحاط بهن سدنة القبور فقلن لهم: إنما نحن متفرجات لا زائرات، فانصرفوا.

وأعد من فضل الله تعالى علي أنني ورثت منها سلامة الفطرة وطيب السريرة،

فلم أحمل في قلبي حقدا على مسيء ولا حسدا لذي نعمة، وكذا الاستعداد لذوق اللغة وحسن الفهم، وغير ذلك من أخلاقها وخلقها، كما ورثت من والدي – أكرم الله مثواهما – عزة النفس والشجاعة والنجدة؛ وإنما أذكر هذا تنويها بفضل الوالدين وتحدثا بنعم الله عز وجل، وأعظمها العلم الصحيح بالإسلام، والعمل به، ثم وراثة النسب الشريف.

كنت أتمنى لو تعيش الوالدة مائة سنة أو أكثر متمتعة بالصحة، وسلامة العقل والجسد كما كانت إلى آخر رمضان الماضي، نتمتع بخدمتها وإرضاء الله برضائها، ونقتدي بأخلاقها وآدابها، ونرجو زيادة نعم الله علينا بشكرها له ودعائها لنا.

وكنت على حبي لها أخشى أن تشتد عليها الأمراض فأراها معذبة أو شاكية وجعة، وكانت أصبر على ألم النفس منها على ألم الجسد لأنها لم تتعود هذا، وقد شقت عليها الحمية في هذه الأشهر التي ضعفت فيها لما اعتادته من الترف، وكانت تتوقع أن يزول كل ما عرض لها فتعود إلى سابق صحتها، وتتساءل متى يكون هذا؟ فأذكرها بتجاوز الثمانين لكيلا تتضجر من بطء ما ترجو.

وكنت على تمني أن يطول عمرها أخشى أن أموت قبلها؛ لأنني أعلم أن رزأها بي يكون أكبر المصائب عليها، إذ كنت قرة عينها والعزاء لها والسلوى عن جميع مصائبها، وقد كان يشق علي أن أراها متعبة فلا أستطيع طول المكث معها، وأحمد الله تعالى أن حفظها في مرضها عقلا وفهما وجسما وطهارة حسية

ومعنوية – كما يليق بمبالغة الشافعية في الطهارة – حتى كانت إلى نهاية أجلها حديدة البصر، تنظم الخيوط الدقيقة في أخرات الإبر؛ ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولقد عاشت طيبة وماتت طيبة فنسأله تعالى أن يجمعنا بها في دار كرامته، ويجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ (الأعراف: ١٢٦) .

". (١)

"٤٤ – أبو الحجاج المزي (١) : هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي الدمشقي المعروف بالمزي حافظ الدنيا ومسندها، عندي خطه وإمضاؤه هكذا: يوسف المزي، قال السيوطي عنه: لم تر العيون مثله، وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليه من علم الحديث ورجاله، مات سنة ٧٤٢. قال الذهبي: أحفظ من رأيت أربعة ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي، فابن دقيق العيد أفقههم في الحديث، والدمياطي أعرفهم بالأنساب، وابن تيمية أحفظهم للمتون، والمزي أعرفهم بالرجال. وقال التاج السبكي في ترجمته من الطبقات (٢) : عاصرت أربعا لا خامس لهم هؤلاء الثلاثة، يعني المترجم ووالده والذهبي والبرزالي، ولم أره، وكان يفوقهم في معرفة الأجزاء ورواتها الأحياء، وكانت الثلاثة تعظم المزي وتذعن له ويقرأون عليه ويعترفون بتقديمه. وبالجملة فشيخنا المزي أعجوبة زمانه يقرأ عليه القارئ نهارا كاملا، والطرق تضطرب والأسانيد تختلف وضبط الأسماء يشكل وهو لا يسهو ولا يغفل. وقال السبكي أيضا عن نفسه: إنه كان كثير الملازمة للذهبي يمضي إليه كل يوم مرتين وإنه كان لا يمضي إلى المزي إلا مرتين في الأسبوع، **وكان الوالد** يحب أن ألازم المزي أكثر من ملازمة الذهبي لعظمة المزي عنده، وكنت إذا جئت من عند شيخ من شيوخي يقول هات ما استفدت ما قرأت، فأحكي له مجلسي معه، وإذا جئت من عند المزي يقول لي: جئت من عند الشيخ، ويملأ بها فمه ويرفع بها صوته ليثبت في قلبي عظمته ويحثني على ملازمته، اه. باختصار.

وأشهر مؤلفات المزي كتابه في الأطراف (٣) ، وهو كتاب عظيم عندي

---

(١) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب تهذيب الكمال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف (ط. بيروت ١٩٨٠) ففيها ترجمة مفصلة للمزي وذكر لمصادر ترجمته.

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٧٣/٣٢

(٢) طبقات الشافعية ١: ٣٩٥ (تحقيق الطناحي والحلو) .

(٣) طبع في حيدر آباد في عشر مجلدات.." [١]

"١١ - أبو القاسم، زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري (٤٥٠ تقديرا - ٥٣٣).

١٢ - الإمام أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد (١) بن محمد بن علي بن محمد بن عطاء المرورذي (٤٥٣ - ٥٣٣) في "طبقات الشافعية" (٤/ ١٩٩): "حدث عنه ابن السمعاني، وقال: سمعت منه الكثير، قال: وكان إماما متقنا مصيبا ومناظرا ورعا محتاطا في المأكل والملبوس، حاد الخاطر، حسن المحاورة، كثير المحفوظ، ذا رأي ونباهة وإصابة في التدبير، وكان الأكابر يصادقونه ويستضيئون برأيه ويزورونه، قال: وكان والدي لما توفي فوض النظر في مصالحي ومصالح أخي -كذا - إليه، وجعله وصيا، قال: وكان إذا دخل مدرستنا لا يشرب الماء في زاويتنا ولا في دارنا، ويحتاط في ذلك".

١٣ - أبو محمد، عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري (٤٥٥ تقديرا - ٥٣٤) ذكره أبو سعد في رسم (الخواري) وقال: "كان إماما فاضلا مفتيا متواضعا ... كتبت عنه الكثير بنيسابور، وقرأت عليه الكتب".

١٤ - أبو بكر، محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري البغدادي (٤٤٢ - ٥٣٥).

١٥ - أبو منصور، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز البغدادي (٤٥٠ تقديرا - ٥٣٥).

١٦ - أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، وكان يقال له (جوزي) (٤٥٧ - ٥٣٥) وهو فيما أرى أجل شيوخ أبي سعد، ذكره في رسم (الجوزي) وقال: "أستاذنا وشيخنا وإمامنا ... كان إماما في

---

(١) في (ط): "محمد" خطأ.." [٢]

"أمين ناصر الدين

(١٢٩٧ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٨٠ - ١٩٥٣ م)

أمين بن علي ناصر الدين: شاعر مجيد، لغوي، من أدباء الكتاب. مولده ووفاته في قرية (كفرمتى) بلبنان. تعلم في مدرسة (عبية) الابتدائية الأميركية، ثم بالمدرسة الداودية، وكان يديرها أبوه. كتبت اليه (سنة ١٩١٢) أطلب ترجمته، فكان مما أجاب به: (قبل أن أبلغ العاشرة من، العمر بدأت أقول أبياتا من الشعر، صحيحة

---

(١) فهرس الفهارس الكتاني، عبد الحي ١/١٥٤

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ٢٥/٩٠

الوزن، **فكان والدي** يكتبها لي ويصحح أغلاطها النحوية. وبعد ذلك تلقيت مبادئ العربية وآدابها وبعض العلوم واللغات. ثم عكفت على المطالعة فاستفدت منها ما يستفيد الضعفاء أمثالي. أما أسرتي فهي ولافخر، من ذوات النسب القديم في لبنان ولها آثار مشكورة) واشتهر قبل الدستور العثماني بتحريره جريدة (الصفاء) التي كان يصدرها والده، فتولاها هو سنة١٨٩٩ ثم مجلة (الإصلاح) لوالده أيضا. واستمر يشرف على الصفاء ويكتب أكثر فصولها، مدة ثلاثين عاما. وله من الكتب المطبوعة (دقائق العربية) في اللغة و (صدى الخاطر) ديوان شعره الأول، و (الإلهام) من شعره، و (البينات) مجموعة من مقالاته و (غادة بصرى) قصة. وله قصص روائية اخرى. ومن كتبه التي لم تزل مخطوطة (الفلك) ديوان سائر شعره في مجلد ضخم، و (نثر الجمان) مختارات من إنشائه و (الرافد) معجم في اللغة لأسماء الإنسان وما يتعلق بها من أمراض وأعراض وما يستعمل من الأدوات والأواني، و (هداية المنشئ) معجم لما يسير ويطير ويزحف من الحيوانات والطيور والحشرات، و (بغية المتأدب) لغة، و (سوانح وبوارح) فكاهات، و (الثمر اليانع) نحو وصرف، و (يوم ذي قار) تمثيلية شعرية (١) .

---

(١) رسالة خاصة، بقلمه، جاءتني منه مؤرخة في ١١ رجب ١٣٢٨ ومجلة الزهور ٢: ٤١٩ - ٤٢٣ وفيها قوله: مولدي في محرم ١٢٩٧. ومصادر الدراسة ٢: ٣٨ - ٤٠." [١]

"عكاظ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها، فأوصته عمته خديجة أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا إن قدر عليه، فلما جاء وجد زيدا يباع فيها، فأعجبه ظرفه، فابتاعه، فقدم به عليها، وقال لها: إني قد ابتعت لك غلاما ظريفا عربيا، فإن أعجبك فخذيه وإلا فدعيه، فإنه قد أعجبني - فلما رأته خديجة أعجبها، فأخذته، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عندها، فأعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - ظرفه، فاستوهبه منها، فقالت: أهبه لك، فإن أردت عتقه فالولاء لي - فأبى عليها، فوهبته له؛ إن شاء أعتق وإن شاء أمسك، قال: فشب عند نبي الله - صلى الله عليه وسلم - - ثم إنه خرج في إبل أبي طالب إلى الشام، فمر بأرض قومه، فعرفه عمه، فقام إليه، فقال: من أنت، يا غلام؟ قال: غلام من أهل مكة - قال: من أنفسهم - قال: لا - [قال]: فحر أنت أم مملوك؟ قال: بل مملوك - قال: لمن؟ قال: لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب - فقال له: أعربي أنت أم عجمي؟ قال: بل عربي - قال: ممن أصلك؟ قال: من كلب - قال: من أي كلب؟ قال: من بني عبد ود - قال: ويحك، ابن من

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٨/٢

أنت؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل – قال: وأين أصبت؟ قال: في أخوالي – قال: ومن أخوالك؟ قال: طيئ – قال: ما اسم أمك؟ قال: سعدى – فالتزمه، وقال: ابن حارثة! ودعا أباه، وقال: يا حارثة، هذا ابنك – فأتاه حارثة، فلما نظر إليه عرفه، قال: كيف صنع مولاك إليك؟ قال: يؤثرني على أهله وولده، ورزقت منه حبا، فلا أصنع إلا ما شئت – فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة، فلقوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقال له حارثة: يا محمد، أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، ابني عبدك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه؛ فإنك ابن سيد قومه، فإنا سنرفع لك في الفداء ما أحببت – فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «أعطيكم خيرا من ذلك» – قالوا: وما هو؟ قال: «أخيره، فإن اختاركم فخذوه بغير فداء، وإن اختارني فكفوا عنه» – فقالوا: جزاك الله خيرا، فقد أحسنت – فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقال: «يا زيد، أتعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وعمي وأخي – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «فأنا من قد عرفته، فإن اخترتهم فاذهب معهم، وإن اخترتني فأنا من تعلم» – فقال زيد: ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا، أنت مني بمكان الوالد والعم – قال له أبوه وعمه: يا زيد، أتختار العبودية على الربوبية؟ قال: ما أنا بمفارق هذا الرجل – فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حرصه عليه قال: «اشهدوا أنه حر، وإنه ابني يرثني وأرثه» – فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه، فلم يزل في الجاهلية يدعى: زيد بن
". (١)

"س ١٦: كيف يكون التعاون على البر والتقوى في البيت إذا كان الأب والأخ الأكبر لا يصلون في المسجد؟

الجواب: هذا من أهم التناصح ومن أوجب التعاون، إذا كان الوالد أو الأخ أو غيرهما من أهل البيت يتعاطى شيئا من المنكر يجب التناصح والتعاون والتواصي بالحق على قدر المستطاع، بالأسلوب الحسن، وتحري الوقت المناسب، حتى يزول المنكر، كما قال تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (١) وقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم (٢)» فالوالد له شأن، والوالدة لها شأن، والأخ سواء كان كبيرا أو صغيرا له شأن وكل يعامل بالأسلوب الحسن واللين والرفق بقدر المستطاع حتى يحصل المقصود ويزول المحذور، وعلى الناصح والداعي إلى الله أن يتحرى الأوقات المناسبة والأسلوب المناسب، لا سيما مع الوالدين؛ لأنهما ليسا مثل بقية الأقارب، فلهما شأن عظيم، وبرهما متعين حسب

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٢/١١٩

الطاقة، قال الله جل وعلا: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (٣) ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (٤) الآية، هذا وهما كافران فكيف بالوالدين المسلمين، فإذا **كان الوالدان** الكافران يصحبهما الولد بالمعروف ويحسن إليهما لعله

---

(١) سورة التغابن الآية ١٦

(٢) صحيح البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، صحيح مسلم الحج (١٣٣٧)، سنن الترمذي العلم (٢٦٧٩)، سنن النسائي مناسك الحج (٢٦١٩)، سنن ابن ماجه المقدمة (٢)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٥٠٨).

(٣) سورة لقمان الآية ١٤

(٤) سورة لقمان الآية ١٥." [1]

"يهديهما بأسبابه، فالمسلمان أولى وأحق بذلك. فإذا **كان الوالد** يتكاسل عن الصلاة في المسجد أو يتعاطى شيئا من المعاصي الأخرى كالتدخين أو حلق اللحية أو الإسبال أو غير ذلك من المعاصي التي يقع فيها – فإن الواجب على الولد أن ينصح بالحسنى، ويستعين على ذلك بمن يرى من خيار أهل البيت. وهكذا مع الوالدة والأخ الكبير وغيرهما من أهل البيت حتى يحصل المطلوب.." [2]

"ولكن تحديد الكفاية يختلف بين أسرة صغيرة ومتوسطة وكبيرة، كما يختلف أسلوب المعيشة بين بادية بسيطة ومدنية معقدة، ومراعاة عرف المجتمع في طريقة حياته لا ينكره الفقهاء، ضمن دائرة الحلال؛ فالمبلغ الذي **كان والدي** يعيلنا به في صغري لا يكفيني اليوم لأسبوع واحد، وقد كان يكفينا شهرا، فحد الكفاية يختلف بين زمن وآخر، وشخص وآخر، وأسرة وأخرى، والنصاب الزكوي المحدد ليس كفاية سنة، بل هو الزائد عن حاجات الأسرة الضرورية والحاجية، وتحديد كفاية السنة لا يمكن ضبطه برقم أو استقراء إحصائي، بل هو عائد لضمير المسلم وسلوكه وأخلاقياته، فما زاد عن حاجة الحول وبلغ النصاب المحدد زكاه صاحبه.

وزكاة النقدين ثابتة بالنص، أما نصاب النقد الورقي فهو متغير يوميا تبعا لاختلاف القوة الشرائية للنقود، ومن

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٧٤/٣٧

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٧٥/٣٧

المستحيل ضبطه برقم ثابت طيلة العام، إلا إذا ضمنا ثبات أسعار العملات جميعا بما فيها الذهب والفضة، وأخيرا هل يمكن اعتبار نصاب الغنم (٤٠) شاة كافيا لضمان حياة سنة لأسرة متوسطة في حياتنا المعاصرة؟ وكيف نقدر نصاب النقد الورقي؟

إن تقدير النصاب في النقد الورقي بجعله تابعا لقيمة نصاب بهيمة الأنعام أو نصفه لا يصح؛ لأن المقياس يجب أن يكون ثابتا لا متغيرا، وسعر الغنم لا يثبت، حتى ولا في أوسط البلاد وأكثرها اعتدالا، فعدا عن اختلاف السعر من بلد لآخر - يختلف السعر في الشتاء عن الصيف، وفي سني الجدب عن سني الخصب، وفي موسم التوالد عن المواسم الأخرى، وكلها متغيرات أبعد ما تكون عن حقيقة الثبات المنشودة في الحكم الشرعي، ولا بد لتقدير النصاب من العودة إلى مجموع أنصبة الزكاة، لنرى." [1]

"ج: هذا من أهم التناصح ومن أوجب التعاون، إذا كان الوالد أو الأخ أو غيرهما من أهل البيت يتعاطى شيئا من المنكر فإنه يجب التناصح والتعاون والتواصي بالحق على قدر المستطاع بالأسلوب الحسن وتحري الوقت المناسب حتى يزول المنكر، كما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم (٢)» فالوالد له شأن، وكل يعامل بالأسلوب الحسن واللين والرفق بقدر المستطاع حتى يحصل المقصود ويزول المحذور.

وعلى الناصح والداعي إلى الله أن يتحرى الأوقات المناسبة والأسلوب المناسب لا سيما مع الوالدين؛ لأنهما ليسا مثل بقية الأقارب، فلهما شأن عظيم وبرهما متعين حسب الطاقة. قال الله جل وعلا: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (٣) ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (٤) الآية، هذا وهما كافران، فكيف بالوالدين المسلمين. فإذا كان الوالدان الكافران يصحبهما الولد بالمعروف ويحسن إليهما لعله يهديهما بأسبابه. فالمسلمان أولى وأحق بذلك. فإذا كان الوالد يتكاسل عن الصلاة في المسجد، أو يتعاطى شيئا من المعاصي الأخرى كالتدخين أو حلق اللحية أو الإسبال أو غير ذلك من المعاصي التي يقع فيها،

---

(١) سورة التغابن الآية ١٦

(٢) صحيح البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، صحيح مسلم الحج (١٣٣٧)، سنن الترمذي

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٣٣٤/٣٩

العلم (٢٦٧٩)، سنن النسائي مناسك الحج (٢٦١٩)، سنن ابن ماجه المقدمة (٢)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٥٠٨).

(٣) سورة لقمان الآية ١٤

(٤) سورة لقمان الآية ١٥." [١]

"كثيرا من الأحاديث من مصادرها العالية عن ظهر قلب.

وفي النحو: حفظ ألفية ابن مالك، وقطر الندى لابن هشام (١) وكان الشيخ محبا للعلم – كما قال ابن بسام – لا يثنيه عن طلب العلم أهل ولا مال، فلا يكاد يسمع بعالم من العلماء في بلد من البلاد، إلا شد الرحال إليه، وترك أهله وولده، وسافر بطلب العلم، وقد كانت أولى سفراته إلى قطر، حيث قصدها طلبا للعلم، على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع عام ١٣٥٥هـ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاما، وإذا علم أن وسيلة المواصلات في ذلك الوقت هي الإبل علمنا المشقة الشديدة التي قاساها في سبيل طلب العلم، لكن مما يهونها عليه أنه رحمه الله، يسير مع القوافل التي تذهب من الحوطة، إلى قطر للتجارة وللعمل في الغوص وغيره، وقد لازم الشيخ ابن مانع ثلاث سنين في قطر، ودرس عليه عددا من كتب الحديث والتفسير والفقه، كما حفظ عددا من المتون في الفقه.

وكان من أبرز طلاب الشيخ ابن مانع، في مدرسته التي استقطبت طلاب العلم في قطر، وخارجها، وقد أعجبه سرعة حفظه، وفهمه الشديد للعلم؛ يقول الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن مانع – رحمه الله –: كان الشيخ ابن محمود من أبرز طلبة الوالد رحمه الله، **وكان والدي** يرى فيه مخايل النبوغ، فتعهده واهتم بتعليمه، وكان الشيخ ابن محمود

(١) تحفة الودود تأليف عمر تهاني مختار ص٢٩." [٢]

"فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي، لما سلمت علي، ولا جلست بين يدي، ثم بكى بكاء طويلا، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا. يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضا لسماع " الصحيح " ماشيا مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين.

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٦٠/٧٠

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٨٦/٣٣٦

فكان والدي يضع على يدي حجرين، ويقول: احملهما. فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجرا واحدا، فألقي، ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه، وأقول: لا. فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الآخر، فيلقيه، فأمشي حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذني ويحملني.

وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج. فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه. فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار.

ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي حلواء، فقلت: يا سيدي، قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إلي من أكل الحلواء. فتبسم، وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام. وقدم لنا صحنا فيه حلواء الفانيذ، فأكلنا، وأخرجت الجزء، وسألته إحضار الأصل، فأحضره، وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرت ممن سمع علي خلقا كثيرا، فسل الله السلامة.

فقرأت الجزء، وسررت به، ويسر الله سماع " الصحيح " وغيره مرارا، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي ببغداد في ليلة الثلاثاء من ذي الحجة.." (١)

"ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد عنه ضعفاء المؤمنين، كعمار وصهيب وبلال وخباب وأشباههم، نهاه الله عن ذلك، كما بيناه في سورتي الانعام والكهف.

" ولا أقول لكم عندي خرائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك " أي بل أنا عبد رسول، لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به، ولا أقدر إلا على ما أقدرنى عليه، ولا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله.

" ولا أقول للذين تزدرى أعينكم " يعنى من أتباعه " لن يؤتيهم الله خيرا، الله أعلم بما في أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين " أي لا اشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة، الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما في نفوسهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، كما قالوا في المواضع الاخر: " أنؤمن لك واتبعك الارذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون * وما أنا بطارد المومنين * إن أنا إلا نذير مبين ".

* * * وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى: " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين أعلام/١١٨

فأخذهم الطوفان وهم ظالمون " أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم.

وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربته ومخالفته.

وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصاه فيما بينه وبينه، ألا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقي.." (١)

"صلى الله عليه وسلم وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه وبلغني أنه خرج في مكة وهو يظهر مرة ويستخفي مرة فقلت هو هذا وتخوفت ما **كان والدي** حذرني وخوفني من الكذابين وجعلت أحب أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه قد أتى المدينة فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه فلم يقدر لي حتى بلغني أنه قد توفي صلوات الله عليه وسلامه فقلت في نفسي لعله لم يكن الذي كنت أظن ثم بلغني أن خليفته قام مقامه ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءنا جنوده فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأوخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر ابن الخطاب فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ٤٧ النساء

قال فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي فما كان شيء أحب إلي من الصباح فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت

وقال كعب لعمر عند انصرافه عن الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وكانوا أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره وقوله لا يخالف فعله والقريب والبعيد عنده في الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار متراحمون متواصلون متباذلون

فقال له عمر ثكلتك أمك أحق ما تقول قال أي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما نقول إنه

---

(١) قصص الأنبياء، ٩٢/١

لحق

". (١)

"كثيرا ما يمشي الطفل وحده فيضل الطريق ويتيه في الشارع ، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها سريعا لشروده ، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن والعكس بالعكس وهذه السرعة تلعب دورا كبيرا في نفس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه لهذا سارع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين(١) ، فقد روى الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال : كنا حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءت أم أيمن رضي الله عنهما فقالت : يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، قال : وذاك وأد النهار ـ يقول ارتفاع النهار ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ قوموا فاطلبوا ابني وأخذ كل رجل وجهة وأخذت نحو النبي صلى الله عليه وسلم ـ فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبه . وإذا شجاع ـ أي حية الذكر وقيل الحية مطلقا ـ قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار ، فأسرع إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالتفت مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم انساب ـ أي جرى ـ فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما ، فأفرق بينهما ثم مسح وجوههما وقال : بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر ، فقلت : طوبى لكما نعم المطية مطيتكما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير(٢) منهما فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفا من الحية ، ومسارعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٨٦ .

(٢) معجم الطبراني (٣/٦٥) رقم ٢٦٧٧ وفي المجمع (٩/١٨٢) وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف ، ضعفه الذهبي في المغنى (١/٣٩) .." (٢)

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ٣/٢٩٦

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص/٧٨

"وبعد إسلامه ألف الترجمان كتابه الشهير "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"، وقسمه قسمين؛ القسم الأول: في ذكر قصة إسلامه، والثانية في الردود المفصلة على النصارى، ونختصر هنا قصة انتقاله إلى الإسلام التي أفاض في تفصيلها:

قال: اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة٨٨، **وكان والدي** محسوبا من أهل حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعمل المنطق في ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان٨٩، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم من النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازما ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهي مدينة كبيرة جدا، وهي مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف٩٠ (الذي هو صباغ الله)٩١، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)، وكانت منزلته فيهم في العلم والدين والزهد رفيعة جدا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك.." (١)

"فمتنبىء القاديانية لا يعرف أصله بل إن إله القادياني (شيطانه) لا يعرف أصله. هذا هو نسب أسرة متنبىء القاديانية المجهول. وأما رب هذه الأسرة فقد اشتهر بالولاء الشديد للحكومة البريطانية وبمعاونتهم بكل ما يستطيع ضد المسلمين. فيحدثنا متنبىء القاديانية عن أبيه قائلا: (إن والدي كان من الذين شرفهم حاكم المقاطعة بتخصيص مقعد لهم في قصره خلال المناسبات الرسمية. **وكان والدي** من الموالين المخلصين للحكومة الإنكليزية. وقد أمد الحكومة السامية خلال الثورة الكبرى التي قامت عام ١٨٥٧م(١) بخمسين فرسا اشترها من خالص ماله وبخمسين فارسا. وكان هذا العون أكثر من طاقته، ولكن بعد ذلك بدأ الزوال والانحطاط لأسرتي حتى بقيت أسرتي كأسرة مزارع فقير(٢).

في وسط هذه الأسرة العميلة لبريطانيا نشأ غلام أحمد القادياني عميلا للإنكليز، حيث يصرح بهذه العمالة قائلا: (ولقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنحليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب

---

(١) أم لم يعرفوا رسولهم، ص/١٠٠

طاعة أولي الأمر الإنكليز)(٣).

ويقول في موضع آخر: (وقد ألفت من الكتب والاعلانات والنشرات... وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية وتركيا، وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة)(٤).

---

(١) يقصد بالثورة الكبرى التي قام بها أهل الهند –من المسلمين وغيرهم– ضد الحكم الإنكليزي، لكن لم يحالفهم النجاح. انظر القادياني والقاديانية لأبي الأعلى المودودي ص (١٠).

(٢) التحفة القيصرية: تأليف الميرزا غلام أحمد ص (١٦)، نقلا عن المرجع السابق ص (١٠)، والقاديانية لإحسان ص (١٢٧).

(٣) الميرزا غلام أحمد: ترياق القلوب ص (١٥) نقلا عن القاديانية والاستعمار الإنجليزي لعبد الله سلوم السامرائي ص (٢٦).

(٤) المرجع السابق.." [١]

"وبعد إسلامه ألف الترجمان كتابه الشهير "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"، وقسمه قسمين؛ القسم الأول: في ذكر قصة إسلامه، والثانية في الردود المفصلة على النصارى، ونختصر هنا قصة انتقاله إلى الإسلام التي أفاض في تفصيلها:

قال: اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة ، وكان والدي محسوبا من أهل حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعمل المنطق في ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان ، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم من النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازما ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهي مدينة كبيرة جدا، وهي مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف (الذي هو صباغ الله) ، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)، وكانت منزلته فيهم في العلم والدين والزهد رفيعة جدا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت

---

(١) خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء، ص/٢٣٥

الأسئلة في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك.
." (١)

"فإن قلت: إن سبب ذلك أن «أحدا» لا يقع إلا في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام، وأن «من» المزيدة في «ما من إله إلا الله»، كذلك لا تكون إلا في النفي.
قيل: ففي هذا كفاية، فإنه اعتراف بأن ليسا سواء، لأنهما لو كانا سواء لكان ينبغي أن يكون في «إنما» من النفي مثل ما يكون في «ما» و «إلا» وكما وجدت «إنما» لا تصلح فيما ذكرنا، كذلك تجد «ما» و «إلا» لا تصلح في ضرب من الكلام قد صلحت فيه «إنما، وذلك في مثل قولك: «إنما هو درهم لا دينار»، لو قلت: «ما هو إلا درهم لا دينار»، لم يكن شيئا. وإذ قد بان بهذه الجملة أنهم حين جعلوا «إنما» في معنى «ما» و «إلا»، لم يعنوا أن المعنى فيهما واحد على الإطلاق، وأن يسقطوا الفرق فإني أبين لك أمرهما، وما هو أصل في كل واحد منهما، بعون الله وتوفيقه.
اعلم أن موضع «إنما» على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو رما ينزل هذه المنزلة.
تفسير ذلك أنك تقول للرجل: «إنما هو أخوك» و «إنما هو صاحبك القديم»:
لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، ومثله قوله: [من الخفيف]
إنما أنت والد، والأب القا ... طع أحنى من واصل الأولاد «١»
لم يرد أن يعلم كافورا أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد.
ومثل ذلك قولهم: «إنما يعجل من يخشى الفوت»، وذلك أن من المعلوم الثابت في النفوس أن من لم يخش الفوت لم يعجل.
ومثاله من التنزيل قوله تعالى: إنما يستجيب الذين يسمعون [الأنعام:
٣٦]، وقوله عز وجل: إنما تنذر من اتبع الذكر، وخشي الرحمن بالغيب [يس:

---

(١) البيت للمتنبي في ديوانه (٢/ ٢٢٦)، ط، دار الكتب العلمية، بيروت. من قصيدة مطلعها:

---

(١) المختصر القويم فى دلائل نبوة الرسول الكريم، ص/١٠١

جسم الصلح ما اشتهته الأعادي ... وأذاعته ألسن الحساد

وأرادته أنفس حال تدبي ... رك ما بينها وبين المراد

والقاطع: أي المقاطع، أي: أنت والده، والوالد دائما أحن على الولد من حنو الولد على والده وإن كان الوالد مقاطعا والابن واصلا.." (١)

"الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد كان من الذين جمعهم فيه من كل موضع وأمر الراتب منه أربعة وعشرون طبيبا وكان من جملتهم أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس وكان دأبة أن يدرس فيد الطب لأنه كان محجوبا، وكان منهم أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان، وأبو يعقوب الأهوازي وأبو عيسى بقية ونظيف النفس الرومي وبنو حسون وجماعة طبائعيون. قال عبيد الله وكان والدي جبريل قد أصعد على عضد الدولة من شيراز، ورتب في جملة الطبائغيين في البيمارستان وفي جملة الأطباء الخواص، قال: فكان في البيمارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء أبو النصر الدحني ومن الجرائحيين أبو الخير وأبو الحسن بن تفاح وجماعة ومن المجبرين المشار إليهم أبو الصلت. قال ابن خلكان:." (٢)

"(بصيرة فى .. يا أيها النبى اتق الله)

السور مدنية بالاتفاق. آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها (لا) على اللام منها آية واحدة ﴿يهدي السبيل﴾. سميت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب فى قوله ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾.

معظم مقصود السورة الذى اشتملت عليه: الأمر بالتقوى، وأنه ليس فى صدر واحد قلبان، وأن المتبنى ليس بمنزلة الابن، وأن النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بمكان الوالد، وأزواجه الطاهرات بمكان الأمهات، وأخذ الميثاق على الأنبياء، والسؤال عن صدق الصادقين، وذكر حرب الأحزاب، والشكاية من المنافقين، وذم المعرضين، ووفاء الرجال بالعهد، ورد الكفار بغيظهم، وتخيير أمهات المؤمنين، ووعظهن، ونصحهن، وبيان شرف أهل البيت الطاهرين ووعد المسلمين والمسلمات بالأجور الوافرات، وحديث تزويج زيد وزينب ورفع الحرج عن النبى صلى الله عليه وسلم، وختم الأنبياء به عليه السلام، والأمر بالذكر الكثير، والصلوات

---

(١) دلائل الإعجاز ت هنداوي، الجرجاني، عبد القاهر ص/٢١٦

(٢) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الدكتور أحمد عيسى ص/١٨٨

والتسليمات على المؤمنين، والمخاطبات الشريفة لسيدنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، وبيان النكاح، والطلاق، والعدة، وخصائص النبى صلى الله عليه وسلم فى باب النكاح، وتخييره فى القسم بين الأزواج والحجر عليه فى تبديلهن، ونهى الصحابة عن دخول حجرة النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن منه، وضرب الحجاب، ونهى المؤمنين عن تزوج أزواجه بعده، والموافقة مع الملائكة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، وتهديد المؤذين للنبى وللمؤمنين، وتعليم آداب النساء فى خروجهن من البيوت، وتهديد المنافقين فى إيقاع الأراجيف، وذل الكفار فى النار، والنهى عن إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - والأمر بالقول السديد وبيان عرض الأمانة (على السموات والأرض) إلى آخر السورة.

الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان م ﴿ودع أذاهم﴾ ن آية السيف م ﴿لا يحل لك النسآء من بعد﴾ ن ﴿إنآ أحللنا لك أزواجك﴾.

المتشابهات." (١)

"الزينبي وإسماعيل بن مسعدة وطبقتهم ببغداد، وكان أولا قد سمع من أبي بكر الخطيب بصور، ومن أبي عثمان بن ورقاء ببيت المقدس، والحسن بن مكي الشيزري بحلب، وسمع بأصبهان أبا عمرو بن منده وطبقته، وبنيسابور أبا بكر بن خلف وطبقته، وبهراة شيخ الإسلام أبا إسماعيل وطبقته، وبالبصرة أبا علي التستري وطبقته، وأكب على الطلب ببغداد مدة ثم تزهد وانقطع وأقبل على شأنه. روى عنه سعد الخير الأندلسي وابن ناصر وأبو المعمر الأنصاري ومحمد بن أبي بكر الشيحي وأبو طاهر السلفي وأبو سعد بن البغدادي ومحمد بن علي بن فولاد وآخرون. قال أبو الوقت: كان شيخ الإسلام إذا رأى المؤتمن قال: لا يمكن أحد أن يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما دام هذا حيا. وقال الضياء بن هبة الله: سألت السلفي عن المؤتمن الساجي فقال: حافظ متقن لم أر أحسن قراءة للحديث منه، تفقه في صباه على الشيخ أبي إسحاق وكتب الشامل بخطه عن بن الصباغ ثم خرج إلى الشام وسكن القدس زمانا، وقال لي: إنه سمع من الخطيب حديثا واحدا ولم يكن عنده به نسخة، انتفعت بصحبته، وقال أبو نصر الفاهي: أقام المؤتمن بهراة نحو عشر سنين وقرأ الكثير وكتب جامع الترمذي ست مرات وكان فيه صلف وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه. قال أبو بكر السمعاني: ما رأيت بالعراق من يفهم الحديث غير رجلين: المؤتمن ببغداد وإسماعيل التيمي بأصبهان.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، ص/٢٦٤

وقال يحيى بن منده: قدم الساجي وسمع من أبي كتاب "معرفة الصحابة" وكتاب "التوحيد" و"الأمالي" وحديث بن عيينة لجدي، فلما أخذ في قراءة "غرائب شعبة" وبلغ إلى حديث عمر في لبس الحرير **كان الوالد** في حال الانتقال إلى الله وقضى نحبه عند انتهاء ذلك بعد العشاء الآخرة هذا ما رأينا، ثم قدم بن طاهر وقرأنا عليه جزءا من مجموعاته فيه: سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون: إنما تمم الساجي كتاب "معرفة الصحابة" على أبي عمرو بعد موته وذلك أنه كان يقرأ عليه وهو في النزع ومات وهو يقرأ وكان يصاح به تريد أن تغسل الشيخ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت: ما جرى ذلك، يجب أن يصلح هذا فإنه كذب. وأما قراءة "معرفة الصحابة" فكان قبل موت الوالد بشهرين؛ وكان المؤتمن -والله- ورعا زاهدا صابرا على الفقر، رحمه الله تعالى.

قال بن ناصر: سألت المؤتمن عن مولده فقال: في صفر سنة خمس وأربعين وأربعمائة وتوفي في صفر سنة سبع وخمسمائة وصليت عليه، وكان عالما فهما ثقة مأمونا.

سمعت أبا الحسين اليونيني أنا جعفر أنا السلفي، سمعت المؤتمن الساجي يقول: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر الخطيب. وسمعت المؤتمن يقول: كان أبو بكر -يعني الخطيب- يقول: من صنف فقد جعل عقله في طبق يعرضه على الناس.." (١)

" ٣٤ - أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن المهلبي الجرجاني والد أبي ذر جندب سمعت أبا ذر جندب بن أحمد يقول **كان والدي** ينبهني في الليل ويخرجني إلى المسجد لأصلي الليل معه يقول لي نحب أن تعتاد هذا أخبرنا أبو ذر جندب بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن ثنا أبي حدثنا أبو عمر الخراساني محمد بن عبدك حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا محمد بن إسحاق الأندلسي حدثنا غالب عن عبيد الله القرقساني حدثنا سعيد بن المسيب قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أوى إلى بيته يصنع قالت يرقع ثوبه ويخصف نعله ويعالج سلاحه

٣٥ - أبو العلاء أحمد بن صالح بن محمد بن صالح التميمي الآبسكوني نزل في ساحل الشام بصور وبنى بها محرسا قاله لنا بن عدي روى عن محمد بن حميد وأبي زرعة الرازي وكان كثير الحديث لم يرو لنا عنه غير بن عدي أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ حدثنا أبو العلاء أحمد بن صالح بن محمد بن صالح التميمي الآبسكوني بصور حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا مهران بن أبي عمر عن

---

(١) تذكرة الحفاظ وذيوله، ص/٣١

سفيان الثوري عن هشام عن بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم إذا وقع الذباب في المرق فاغمسوا فيها فان شفاء في أحد جناحيه وفي الآخر سما ." [1]

"كان شيخا، جليل القدر، ثقة، صدوقا، مكثرا من الحديث، سديد السيرة، وبيت الخموشية معروف بسرخس بالأمانة، والصدق، والتزكية والعدالة. سمع أبا نصر زهير بن الحسن الخدامي، وأبا القاسم عبد الله بن العباس العبدوسي، وغيرهما. كان عنده كتاب " المبتدأ والمبعث " لمحمد بن إسحاق بن يسار، **وكان والدي** رحمه الله سمع جميع الكتاب منه، ولما وافيت سرخس أردت أن أقرأ عليه هذا الكتاب فمضيت وسألته ذلك فاعتذر، وقال: أني ضعيف وكبرت فالأولى أن تقتصر على المناولة له دون السماع ففعلت وناولني الكتاب، وقرأت عليه جزءا من حديث العبدوسي وكانت ولادته في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين بسرخس، ومات بها ليلة الأحد من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة.

٨٦٠ - أبو طاهر الجلفري

أبو طاهر محمد بن محمد بن الحارث بم محمد بن الحارث بن محمد الحارثي الجلفري المروزي.

كان فقيها، واعظا، من بيت العلم والحديث، خيرا. سمع أباه أبا سعد، وأبا القاسم إسماعيل بن محمد بن أحمد الزاهري، وأبا بكر محمد بن عبد الله ابن أبي توبة الخطيب، والسيد أبا القاسم علي بن موسى الموسوي، وغيرهم. سمعت منه أجزاء، وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمئة. وتوفي يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ودفن بسنجذان.

٨٦١ - أبو جعفر الخروي

أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن طاهر الحاكمي الخروي من أهل خرو الجبل بين خابران وطوس.

شيخ صالح من أهل العلم، خطيب قريته، وفقيهها. سمع أبا بكر أحمد بن علي الشيرازي، وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، وغيرهما. قرأت عليه جزءا من أول كتاب " سنن الصوفية " لأبي عبد الرحمن السلمي، بروايته عن ابن خلف عنه. وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وأربعمئة. وقال لي لما سألته: ولدت سنة إحدى وخمسين وأربعمئة بخرو. وتوفي بها في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسمئة.

٨٦٢ - أبو عبد الله المقرئ

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الصفار المقرئ من أهل أصبهان.

---

(١) تاريخ جرجان، ص/٨٥

سمع أبا الفتح أحمد بن عبد الله السوذرجاني. كتبت عنه بلاذان إحدى قرى أصبهان.

٨٦٣ - أبو عبد الله السنجري

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين السنجري المقرئ من أهل قرية جيرنج.

شاب صالح ساكن من أولاد القراء المجودين مكتسب. سمع أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق. سمعت منه مجلسا أملاه الحافظ بجيرنج. وتوفي في سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وخمسمئة بقريته.

٨٦٥ - أبو المكارم الميهني

أبو المكارم محمد بن محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الميهني الصوفي من أهل ميهنة.

كان شيخا صائنا خدوما، حسن الأخلاق. سمع بمرو أبا الفتح عبيد الله بن محمد الهشامي، وبميهنة جده أبا الفتح طاهر، وعم والده أبا سعد أسعد ابني بن ناصر الأنصاري، وجماعة سوهم، كتبت عنه بسرخس، ثم بميهنة. وكانت ولادته سنة تسع وسبعين وأربعمئة بميهنة. وقتل في معاقبة الغز بميهنة في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمئة.

٨٦٦ - أبو بكر الدلال

أبو بكر محمد بن محمد بن طاهر بن النعمان البيع الدلال من أهل أصبهان.

من أصحاب عبد الرحمن بن مندة. شيخ كبير مسن. سمع أبا القاسم عبد الرحمن، وأبا عمرو عبد الوهاب ابني أبي عبد الله بن مندة، وغيرهما. سمعت منه أجزاء من كتاب " معرفة الصحابة " لابن مندة بروايته عن ابنيه عنه. ومات بأصبهان في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة.

٨٦٧ - أبو علي الأكاف

أبو علي وقيل أبو إسماعيل محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد الأكاف من أهل أصبهان.

سمع أبا محمد رزق الله التميمي. سمعت منه شيئا يسيرا.

٨٦٩ - أبو الفتوح الشروطي

أبو الفتوح محمد بن محمد بن عبد الله الشروطي من أهل أصبهان.

وقد ذكرت نسبه عند أخيه عباد. سمع القاضي عبد الله بن أبي رجاء محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن سليمان بن حيان التميمي. رأيت على وجه الجزء العاشر من حديث أبي بكر ابن المقرئ حديثا عنه لا أذكره.

٨٧٠ - أبو الفتح البخاري

أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عاصم بن أحمد البخاري الصفار من أهل مرو.." (١)

"محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الواقد أبو عبد الله الخليلي، كريم نبيل نسيب صاحب مروة وجاه ومحبة للعلم وأهله انتهت رياسة الأئمة إليه في عصره وكان يكرم العلماء البلديين والغرباء وينزل الواردين من أهل العلم والأكابر مدرسته وخانقائه ودوره ويرتبطهم، ويسدي إليهم الجميل محمد أقاموا ويسرحهم بإحسان إذا ارتحلوا وفوض تدريس مدرسته إلى والدي رحمه الله وصودر في سنة أربع وخمسين وخمسمائة بأربعين ألف دينار فاداها من غير أن يستخف به أو يشدد عليه واحتفظ بجاهه ومروئته وتوفي في شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة وكان قد سمع الحديث.

من مسموعه صحيح البخاري سمع بتمامه من الأستاذ الشافعي ابن داؤد المقري سنة إحدى عشرة وخمسمائة ومسند الشافعي سمعه من السيد أبي حرب الهمداني سنة خمس وعشرين وخمسمائة بروايته عن أبي بكر الشيروي عن القاضي أبي بكر عن الأصم عن الربيع عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ولما أقعدت في مدرسته **مكان والدي** رحمه الله في اليوم الثالث أو الرابع من وفاته وقد حضر أعيان البلد وفيهم ابنا صاحب المدرسة إبراهيم والفضل أنشأت في خلال فضل رتبته وألقيته على رسم الدروس:

طوبى له طوبى له طوبى ... قزوين منه ملئت طيبا

بزينة دام له نوره ... وركنه يؤتيه تهذيبا

كان أبو عبد الله يلقب بنور الدين واحد ابنيه بالزين والآخر بالركن.

محمد بن إبراهيم بن أبي نعيم إسحاق أبو بكر الاصبهاني ثقة من أهل الحديث ورد قزوين سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وحدث بها سمع أبا مسعود أحمد بن الفرات وروى عنه سننه وروى عنه علي بن أحمد بن ابن صالح والخضر بن أحمد وغيرهما حدث علي بن أحمد بن صالح عن أبي بكر الأصبهاني هذا بسماعه منه بقزوين، قال ثنا يوسف بن زكريا ثنا يعلى عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل موته بثلاث لا يموتن أحد منكم إلا وهو حسن الظن بالله.

رواه أبو داؤد الطيالسي في سنة عن سلام عن الأعمش وأبو سفيان اسمه طلحة بن نافع، وهو واسطي روى عن جابر وابن عمر وابن عباس وقوله لا يموتن أحد منك إلا وهو حسن الظن بالله، يجوز أن يريد به

---

(١) التحبير في المعجم الكبير، ص/١٢١

الترغيب في التوبة والخروج من المظلمة فإنه إذا فعل ذلك حسن ظنه ورجاء الرحمة.

محمد بن إبراهيم بن بندار البصير أبو جعفر التومجيني شيخ صالح خاشع وتومجين من قرى قزوين سمع والدي وأبا بكر محمد بن خليفة الصانعي وأقرانهما، أخبر والدي رحمه الله سنة إحدى وستين وخمسمائة أنبا عبد الخالق بن أحمد بن عبد العالم أنبا أحمد بن الحسن الباقلاني أنبا عبد الملك بن عبد الله بن بشران أنبا أبو بكر الأجري أنبا عبد الله بن صالح أنبا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الإسلام بدأ غريبا كما بدأ.

رواه ابن ماجه في سننه عن سفيان بن وكيع عن حفص وقال في آخره فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال النزاع من القبائل، ورواه عبدان القاضي عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حفص مع هذه الزيادة، ثم قال عبدان هم أصحاب الحديث.

قوله بدأ غريبا إن قرئ بغير همزة فهو ظاهر، يقال: بدأ بالشيء يبدو أي ظهر وقد يسبق إلى اللفظ، بدأ بالهزة لأنه ذكر العود على الأثر والابتداء والإعادة متقابلان يقال بدأ الشيء وابتدأ وعلى هذا فالمبتدأ به محذوف كأنه قال ابتدأ الإسلام لصحبة القرن الأول والغريب البعيد عن الوطن يقال اغترب الرجل وتغرب وغرب يغرب غربة فهو غريب وغرب وغربت الشمس تغرب غروبا وغرب الرجل يغرب وتنحى وتباعد.

يقال اغرب عني أي تباعد وغربت الكلمة غرابة وذلك لبعدها عن الفهم، واغترب إذا تزوج إلى غير أقاربه وسمى الإسلام في أول الأمر غريبا لبعده عما كانوا عليه من الشرك، وأعمال الجاهلية ويعود غريبا لفساد الناس آخر وظهور الفتن وبعدهم عن القيام بواجب الإيمان قوله النزاع من القبائل هو جمع نزيع ونازع وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته وصلى الله على محمد وآله.." (١)

"محمد بن رجاء بن أحمد بن رجاء بن جرير اليماني، سكن آباؤه قزوين، وكانوا من أهل العلم والحديث وذكر الخليل الحافظ في الإرشاد، أن محمدا هذا كان يتزهد ولم يسمع الحديث.

محمد بن رستم الفامي المقرئ، شيخ صالح خير، سمع شرح الغاية للفارسي، من محمد بن آدم الغزنوي اللهاوري، بروايته المثبتة في ترجمته.

محمد بن روشنائي بن أبي اليمين أبو اليمن المرداسي القزويني ويعرف بالفقيه بابويه، كان من أهل العلم والدراية لطيف المحاورة، وكان كثير التردد إلى والدي، وأئمة ذلك العصر رحمهم الله، ويؤنسهم وينسخ لهم

---

(١) التدوين في أخبار قزوين، ٤٨/١

الكتب عن ضبط ومعرفة، وكار يدعى فهرست الكتب لممارسته لها ووقوفه على نسخها، ملكا ووقفا، **وكان والدي** يرتاح بدخوله عليه سمع أبا أحمد عبد الله بن هبة الله الكموني، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.
مما سمعه منه كتاب يوم وليلة لأبي بكر السني وسمع أبا اليمين ابن علي بن محمد الصوفي الدشتكي فضائل قزوين للخليل الحافظ، سنة اثنين وسبعين وخمسمائة. بسماعه عن أبي إسحاق الشحاذي عن الواقد بن الخليل عن أبيه، وسمع معظم الصحيح للبخاري أو جميعه من الأستاذ محمد بن الشافعي بن داؤد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، بسماعه من أبيه وغيره، وأجاز له الشيخ أبو سعد الحصيري، وأبو علي الموسياباذي وناصر بن أبي نضر الخدامي، وعبد الجليل بن محمد المعروف بكوتاه وأبو الخير الباغبان وعبد الأول وغيرهم.
سمع الإمام أحمد بن إسماعيل، ونصر بن محمد الخواري وعبد الواحد بن عبد الماجد القشيري، ومحمد بن محمد البروي وعبد الملك ابن محمد أبا شجاع الهمداني وغيرهم، وقرأ على أبي الفتوح سعد بن سعيد ابن مسعود الرازي الحنفي بقزوين سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.
أنبأ أبو طاهر عبد العزيز بن إبراهيم الزعفراني، بالري سنة عشرين وخمسمائة، أنبأ أبو علي الحسن بن علي بن الحسن الصفار، أنبأ أبو إسحاق إبراهيم بن حمير القزويني، ثنا محمد بن عبد الله بن نعيم ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عمرويه المذكر بمرو ولم نكتبه إلا عنه ثنا أحمد بن الصلت الحماني ثنا بشر بن الوليد القاضي ثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، سمعت أبا حنيفة يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ولد محمد ابن روشنائي سنة أربع عشرة وخمسمائة.
محمد بن روشنائي، أبو بكر بن أبي الفرج الهمداني، سمع بقزوين سنة تسع وستين وخمسمائة، من الإمام أبي محمد النجار جزأ من الحديث فيه، روايته عن السيد أبي حرب العباسي، ثنا محمد بن الحسين البردائي أنبأ إبراهيم بن محمد الخطيب أنبأ أبو جعفر محمد بن أبي حفص العمراني أنبأ أبو جعفر محمد بن إبراهيم النائلي ثنا أبو جعفر محمد بن المفضل الزاهد، أتت عليه مائة وثلاثون سنة أنبأ أبو العباس هرمزدان الكرماني الجيرفتي، ثنا انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ".

حرف الزاء في الآباء

محمد بن الزبير القراء فقيه، سمع القاضي إبراهيم بن حمير الخيارجي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

محمد بن أبي زرعة بن أبي أحمد الصباغ أبو أحمد المتكلم القزويني، سمع الواقد بن الخليل الخطيب سنة أربع وثمانين وأربعمائة.

محمد بن زكريا بن يحيى بن عبد الأعظم القزويني، هو وأبوه من أهل العلم والحديث، وجده يحيى كبير مشهور، وسمع محمد الحسين بن علي الطنافسي، وأقرانه.

محمد بن زكريا السمان المقرئ، سمع الواضح في القرآت العشر لأبي الحسن أحمد بن رضوان المقرئ، من أبي محمد سعد بن الفضل بن النائي المقرئ بقزوين، سنة تسع وخمسمائة، بروايته، عن عبد السيد بن عتاب بن محمد الضرير المقرئ عن المصنف.

محمد بن زنجويه بن خالد المقرئ، أبو الحسن القزويني ذكر الخليل الحافظ أنه كان ثقة، يقرئ في الجامع وأنه سمع محمد بن أيوب وعلي ابن أبي طاهر وأبا يعلى الموصلي وأنه توفي بآذربيجان، سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وأبوه زنجويه، وعمه الحسن بن خالد مقريان ثقتان يأتي ذكرهما.." (١)

"قولها: يلعبان من تحت خصرها برمانتين قال ابن أبى أويس أرادت بالرمانتين ثدييها، وقال أبو عبيد وغيره وصفتها بعظم الكفل، تريد أنها إذا استلقت نبابها الكفل عن الأرض حتى يصير تحتها، فجوة تجري فيها الرمان، والسري السيد الشريف، ويجمع على سريين وأسريا وسراة، والفرس السري الذي يسري في عدوه أي يلج ويتمادى، ويقال هو الفائق المختار من قولهم: لخيار المال، سرانه وشرانة واسترى واشترى: اختار والخطى: الرمح المنسوب إلى الخط وهو موضع على ساحل البحر تنتقل إليه الرماح الهندية ثم ينقل منها وقيل هو ساحل البحر.

قولها: وأراح علي أي ردها من المرعى نعما ثريا، الثري الكثير يقال أثرت الأرض إذا كثر ترابها، وأثرى بنو فلان كثرة أموالهم والثروة: المال الواسع والثراء كثرة المال يقال رجل ثروان وامرأة ثروى، وتصغيرها ثريا وذكر ثريا حملا على اللفظ.

قولها: من كل رايحة زوجا أي ماشية تروح ويروي من كل سائمة وهي الماشية الراعية، يقال سامت هي أي رعت وأسمتها أنا ويروي من كل آبدة وهي المتوحشة، والجمع الأوابد.

قولها: زوجا قيل الزوج يقع على الاثنين كما يقع على الفرد ثم يقال زوجان وقد روى من كل سائمة زوجين: وقيل: الزوج الفرد، إذا كان معه آخر، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يريد أنه أعطاها من كل رائحة صنفا وقد يعبر عن الصنف بالزوج، وقد قيل ذلك في قوه تعالى: " وكنتم أزواجا " ثلاثة.

---

(١) التدوين في أخبار قزوين، ١/١٠٠

قوله: وميري أهلك أي خذي الطعام، واذهبي به إليهم تريد أنه وسع عليها وعلى أهلها.

قولها: أصغر آنية أبي زرع يروي أصفر بالفآء من الصفر، وهو الخالي يريد أن الذي نكحته، وإن كانت بالصفات المذكورة فإن قدره لا يبلغ قدر أبي زرع، وفي بعض الروايات فاستبدلت بعده أي بعد أبي زرع وكل بدل أعور، وهذا مثل معروف أي البدل قاصر، من الأصل غالبا نسبته إليه كنسبة لأعور إلى ذي العينين.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع " زيد في بعض الروايات، إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق وفي بعضها، كنت لك كأبي زرع لأم زرع في الألفة والرفاه لا في الفرقة والخلاء، قال ابن الأنباري: والرفاء، الاجتماع من قولهم رفأت الثوب أرفاه ويقرب منه: قول من يقول الرفا: الموافقة والمواصلة والخلاء في الإبل كالحيوان في الخيل والبغال.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله! بل أنت لي خير من أبى زرع لأم زرع، وهذا هو اللائق لحسن أدبها، وأعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين، والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة وفيما أوردناه ما يحوي معظمه.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي، وفيه العلم وحسن العشرة مع الأهل واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه وفيه أن بعضهن قد ذكرن عيوب أزواجهن، ولم يكن ذلك غيبة لأنهم لم يعرفوا بأعيانهم وأسمائهم وزاد تاج الإسلام أبو بكر السمعاني، فقال فيه دلالة على جواز ذكر أمور الجاهلية واقتصاص أحوالهم، وعلى فضل عائشة رضي الله عنها ومحبته لها بملاطفته إياها، وعلى أن السمر بما يحل جائز، ولمعنى حسن العشرة مع الأهل ونحوه أورد البخاري الحديث في كتاب النكاح ولإشعاره بفضل عائشة أورده مسلم في الفضائل، ولمعنى السمر أورده أبو عيسى الترمذي في أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في باب ترجمة بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السمر وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك كان في السمر لكن القصة تشبه الأسمار وربما ورد نقل، **وكان والدي** رحمه الله يرغبني في حفظ هذا الحديث في صغير لكثرة فوائده، وحسن ألفاظه - وأختم الآن الحديث وشرحه بقولي:

نفسي من جانب طاعاتها ... حلت بواد غير ذي زرع

لكن ربي واسع فضله ... إن اعتنى بي لم يضع ذرع

وصرت ارتاح بإحسانه ... كأم زرع بأبي زرع

أحسن الله بنا وحقق المنى بجوده وسعة رحمته.

فصل

في ذكر طائفة من الذين تفقهوا عليه أو سمعوا منه الحديث أو جمعوا بينهما.." (١)

"كان لأبي الفتح قدم ثابت في التصوف، وسافر الكثير، ورجع إلى خراسان وكان أكثر مقامة بنيسابور، وسمع بميهنة جده أبا سعيد وبنيسابور أبا القاسم القشيري، وببسطام أبا الفضل السهلكي وبقزوين، أحمد بن الخضر خاموش وببغداد أبا الحسين بن النقور، توفي سنة اثنتين وخمسمائة.

كان الشيخ أبو سعيد تفقه على الخضري خمس سنين، ثم بعد وفاته على القفال خمسا أخرى وقرأ الحديث والتفسير على ألام أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي، ويروى عنه أنه قال مررت في انصرافي من عند أبي علي زاهر بلقمان السرخسي، وكان من عقلاء المجانين: فرأيته يخيط خرقة على فروة له خلقة، فنظر إلي فقال يا أبا سعيد أرى أن أخيطك مع هذه الخرقة على فروتي، ثم قام وأخذ بيدي، فمضى إلى خانقاه الشيخ أبي الفضل فدعاه وسلمني إليه وقال هذا منكم فتعهدوه، وانصرف فأدخلني أبو الفضل الخانقاه، وأجلسني في الصفة وأخذ جزأ واشتغل بمطالعته فخطر لي طرب ما في ذلك الجزء.

فقال الشيخ يا أبا سعيد تريد أن تعرف لم بعث الأنبياء، بعثوا جميعا ليأمروا الخلق، بأن يقولوا الله فأمروا بها فسمعها سامعون وما زالوا يقولونها، حتى صاروا هذه الكلمة، واستغرقوا فيها حتى دخلت قلوبهم واستغنوا عن القول قال أبو سعيد، فأثر كلامه في قلبي، ولم أنم تلك الليلة واستأذنت من الغد في الحضور عند الشيخ أبي علي لدرس التفسير فأذن فلما دخلت عليه كان ورد اليوم " قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " فانشرح صدري لأمور، وظهر في تغير عظيم فتنبه له أبو علي وقال لي أين بت البارحة، فقلت عند الشيخ أبي الفضل فقال: قم، وعد إليه فالرجوع منه إلى هذا حرام فلما رجعت إلى أبي الفضل ورأى ولهي وتحيري قال لي:

مستك شدة أي همي نداني بس وبيش

وكان للشيخ أبي سعيد نهضة بعد وفاة أبي الفضل إلى الشيخ أبي العباس القصاب بآمل والشيخ أبو الفضل السرخسي صحب أبا نصر السراج الطوسي، ومنه خرقته وأبو نصر صحب أبا محمد النيسابوري المعروف بالمرتعش، ومنه لبس الخرقة وأبو محمد صحب أبا القاسم الجنيد، ولبس من يده الخرقة، وصحب الجنيد السري والسري معروفا الكرخي، ومعروف داؤد الطائي، وداؤد حبيبا العجمي، وحبيب الحسن البصري، والحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم عنهم أجمعين ويذكر أن الشيخ أبا سعيد رحمه الله توفي في

---

(١) التدوين في أخبار قزوين، ١٢٦/١

شعبان سنة أربعين وأربعمائة وأن آخر ما سمع منه " الحمد لله رب العالمين، وهذه الرباعية مما كان يتمثل به.

آزادي وعشق جون بهم نامدراست ... بنده شدم ونهادم ازيك سو خواست

زين بس جنانكه دار دم دوست رواست ... كفتار وخصومت از ميانه برخاست

ورأيت بخط أبي بكر عبد الله بن أحمد الزبيري، وسمعت صدر المعالي أبا القاسم يقول يوم إلباسه الإمام أبا الفضل الرافعي الخرقة من لا يلبس الخرقة منكم في الظاهر فليلبسها في الباطن يريد فليتب وليرجع إلى الله تعالى.

كان والدي رحمه الله يتكلم من علوم المشائخ ويوردها أحسن إيراد وقرأ عليه جماعة من أهل المعرفة في أسفاره الأخيرة الرسالة من الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله قراءة تثبت واستفادة وهو يشرح لهم الفصل بعد الفصل بما يقضي الحاذقون منه العجب وسمعته، يقول كان لي في زمان التفقه في السفر إزار واحد أصلي عليه وأتعمم به أحيانا وأجعله شعارا بالليل وأتزر به في الحمام وأشد به إلى مأرب أخر، ولا أنسى ما كنت أجده من اللذة في ذلك الانكسار والإقلال.

فصل في حليته

كان رحمه الله تام القد أجيد مائلا إلى النحافة أصلع أبلج الحاجبين واسع الجبهة أكحل العين أشم دقيق الشفتين متراكب الأسنان لطيفها، خفيف اللحية أسمر وهذه الهيات محمودة من الأكثر عند أهل التجربة، وكانت الأسقام كثيرا ما تأتيه.

قد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا أتاه فقال يا رسول الله، كبر سني وسقم جسدي، وذهب مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في جسد لا يبتلي ولا خير في مال لا يزرأ منه، وإن الله إذا أحب عبدا إبتلاه وإذا إبتلاه صبره.." (١)

"الخاء في الآباء

علي بن خلف المقرئ، قد سبق في صدر الكتاب وبعده أيضا ما روى عنه أنه قال: كنا بقزوين، في مسجد التوت ومعنا عبد الرحمن الدشتكي مرابطين.

علي بن ديزوية الخياط، سمع أبا الحسن القطان.

علي بن زيرك، سمع في القرآات لأبي حاتم السجستاني من أبي علي الطوسي بقزوين وليحكم أهل الانجيل

---

(١) التدوين في أخبار قزوين، ١٣٩/١

بجزم اللام والميم الحسن وأبو جعفر ورافع وأبو عمرو وعاصم، وقرأ بكسر اللام وفتح الميم يحيى ابن وثاب والأعمش فالأولى على مذهب الأمر وهي قرأة العامة والثانية على مذهب كي وزعم الخليل وأصحابه أن ما نصب بعد اللام وبعدكي، وحتى باضمار إن الخفيفة.

علي بن سعيد بن عبد الله العسكري أبو الحسن نزيل قزوين قال الخليل بن عبد الله الحافظ، وكان ذا فهم وعلم بهذا الشأن، وله معجم الصحابة متداول بين العلماء رضيه الحفاظ، وروى عنه الكبار لحفظه كاسحق بن محمد والعليين بن مهروية وابن إبراهيم وآخر من روى عنه بالري شيخ يقال له مأمون عمر حتى أدركه الأحداث وحكى أبو القاسم علي بن ثابت، فيما رواه أبو سعد بن زيد الفقيه.

قال سمعت أبا داؤد الفامي يقول أملي علي بن سعيد العسكري بقزوين، ثلاثين ألف حديث من حفظه وكنت أخرج إلى الحج فكتب معي إلى قوم له عندهم، كتب فحملتها فعارض ما أملي بكتبه فلم يوجد عليه غلط في حديث، ورأيت بخط أبي الحسن القطان حدثنا أبو الحسن علي بن سعيد العسكري إملاء بقزوين في جمادي الأولى، سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

ثنا محمد بن حبيب بن سليمان حدثنا محمد بن عمر الواقدي حدثنا محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت توفي أبو بكر رضي الله عنه بالمدينة لثمان ليال بقين من جمادي الأولى سنة ثلاث عشر، وهو يومئذ ابن ثلاث وستين سنة.

علي بن السري الورثاني، سمع أبا علي الطوسي طرفا من القرآت لأبي حاتم السجستاني بقزوين.

علي بن الشافعي بن داؤد بن المختار المقرئ أبو الحسن ويعرف بالأستاذ كان يفتي ويدرس بقزوين، مدة على إتقان ورأى صائب، ونظر سديد وتفقه عليه والدي وأقرانه رحمهم الله، وكان والدي يطنب في الثناء عليه ويصفه بالحدة وجودة الفكر والتصرف والحفظ، وسمع صحيح البخاري من أبيه ومن القاضي أبي الفتح بن عبد الجبار ومن محمد ابن كثير كما حكى، وسمع الخليل بن عبد الجبار والشيوخ وتوفي في جمادي الأولى، سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

علي بن طريف، سمع أبا علي الحسن بن علي الطوسي بقزوين.

العين في الآباء

علي بن عبد الجبار بن أحمد البيع أبو الحسن خال الامام أحمد بن إسماعيل، سمع منه سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، الشطر الآخر من الأربعين، على مذاهب المتحققين من الصوفية للحافظ أبي نعيم بروايته، نازلا عن أبي الفتوح إسماعيل بن أبي منصور الطوسي عن محمد بن حمزة بن إسماعيل الحسني من أبي سعد

المطرد وأبي علي الحداد عنه.

علي بن عبد الحميد بن عبد العزيز بن إسماعيل بن عبد الجبار أبو القاسم الماكي القاضي تفقه على والدي رحمه الله تعالى وغيره، وقضى مدة وكان له في شبابه شهامة وثروة وزينة وتجمل وعامل الناس أعواما بما يقتضيه الهمم العالية، وسمع الحديث من والدي وغيره بقزوين، وسمع الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة ببغداد.

أجاز له حديثه عن أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد ابن المستظهر بالله أبي العباس أحمد أنبأ أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب السيبي أنبأ أبو عبد الله بن محمد الصريفني حدثنا أبو طاهر المخلص حدثنا أبو حامد الحضرمي حدثنا عيسى بن مساور حدثنا نعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، طوبى لمن رآني وآمن بي، ومن رأى من رآني ومن رأى من رأى من رآني، توفي سنة عشر وستمائة.

علي بن عبد الحميد القزويني، روى عن محمد بن سليمان النخعي، رأيت بخط أبي الحسين بن ميمون أنبأ الفرجي عن علي بن عبد الحميد القزويني حدثنا محمد بن سليمان النخعي حدثنا محمد بن سلمة الرهاوي عن فضل ابن الزبير، قال بينا علي رضي الله عنه جالس في الرحبة زلزلت الأرض فضربها علي رضي الله عنه، بيده ثم قال قرى أما أنه ما هو بالقيام ولو كان ذلك لأخبرتني فإني لأنا الذي يحدث أخبارها.." (١)

"والأدب حافظ متقن **كان والدي** يقول ما رأيت بالعراق من يعرف الحديث ويفهمه غير اثنين إسماعيل الجوزي بأصبهان والمؤتمن بن أحمد ببغداد ثم قال أبو سعد ذكر لي أن مولده في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم عيد الأضحى من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

قلت وحدثنا عنه بأصبهان جماعة منهم أبو مسلم بن عبد الرحمن بن الأخوة وزاهر بن أحمد الثقفي أبو المجد الضرير وفضل الله بن عثمان الجوزداني وغيرهم

أخبرنا أبو نجيح فضل الله بن عثمان بأصبهان قال أنبأ إسماعيل بن محمد بن الفضل إملاء في صفر من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة قال أنبأ أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ببغداد قال أنبأ محمد بن عمر بن علي بن خلف قال أنبأ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا أحمد بن حنبل وجدي وزهير بن حارث وسريج بن يونس وابن المقرئ قالوا ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عم ابن عمر قال ((مر النبي

---

(١) التدوين في أخبار قزوين، ٤٥١/١

(ص) برجل يعظ أخاه في الحياء فقال النبي (ص) الحياء من الإيمان)) ٢٤٨ إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو القا بن أبي بكر ابن السمرقندي

ولد بدمشق يوم الجمعة رابع شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربعمائة وسمع بها من جماعة منهم عبد العزيز بن أحمد الكتاني وأحمد بن منصور بن قبيس والحافظ أبي بكر الخطيب وغيرهم وببغداد من أبي الحسين أحمد بن محمد بن النقور وأبي محمد الصريفيني وأبي القاسم بن البسري وإسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي وعبد العزيز بن علي الأنماطي وأبي نصر محمد بن محمد الزينبي وعبد الباقي بن محمد بن غالب العطار في خلق كثير وحدث بمسند أبي داود الطيالسي عن يوسف بن الحسن التفكري الزنجاني

". (١)

"حدث عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبي الفضل عبيد الله بن محمد الفامي والحسن بن أحمد المخلدي وأحمد بن محمد بن عمر الخفاف ومحمد بن محمد بن الحسن بن هانئ البزار وحدث بصحيح البخاري عن أبي علي محمد بن عمر بن شبويه وسماعه منه في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة حدث عنه أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي وزاهر بن طاهر الشحامي وأبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي وغيرهم من اهل نيسابور وانتقى عليه الحافظ أبو بكر بن الحسين البيهقي ورحل إلى أصبهان فحدث بها فروى عنه من اهلها الحسين بن عبد الملك الخلال وسعيد بن أبي الرجا الصيرفي وغانم بن أحمد الجلودي وفاطمة بنت محمد بن الحسن البغدادي والحسين بن طلحة بن الحسين ابن أبي ذر الصالحاني وعتيق بن الحسين الرويدشتي وغيرهم

قال عبد الغافر بن إسماعيل في تاريخ نيسابور سعيد بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن نعيم بن أشكاب سمع من شيوخ خراسان معروف بالحديث سمع صحيح البخاري من أبي علي الشبوبي بمرو وحدث بنيسابور سمع من أبي طاهر ابن خزيمة والمخلدي وأبي بكر بن هانيء وأبي الفضل الفامي والجوزقي والخفاف واشريحي وطبفتهم توفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة زاد غيره في ربيع الأول بغزنه

حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الجبلي الحافظ قال أنبأ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي في كتابه قال سمعت الشيخ الإمام أبا بكر محمد بن منصور السمعاني ببغداد يقول سمعت صالح بن أبي صالح المؤذن بنيسابور يقول **كان والدي** سيى ء الرأي في سعيد بن أبي سعيد العيار الصوفي ويتكلم فيه

---

(١) التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد . لابن النقطة، ص/١٦١

ويطعن فيما روى عن بشر الإسفرائيني خاصة وذكر ابن السمعاني قصة ذهبت علي
أخبرنا محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله المضري بأصبهان قال
." (١)

"وها هي ذز مسرودة على وفق حروف الهجاء: ١ " - " اختصار الغوامض وامبهمات " لابن بشكوال.

ذكره مترجموه الثلاثة، وذكره السخاوي منهم باسم: " تلخيص المبهمات، ولم يسمه البرهان، إنما جاء على وجه المخطوطة - وهي بخط البرهان -: " الغوامض والمبهمات في الاسماء الواقعة في الاحاديث ".

اختصرها ابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، كاتبها، بحذف الاسانيد، وعزو ما قدر على عزوه من الاحاديث إلى الكتب التي هي فيها "، فسميته كما تراه وعندي صورة عنه.

والكتاب في ٢٩ ورقة مملوءة بالحواشي غير الواضحة، فكأنها مسودة الكتاب، وكان اختصاره له في أربعة أيام، من يوم الاربعاء ١١ من شوال إلى يوم السبت ١٤ من شوال من عام ٧٨٤ بالقاهرة، كما جاء في آخر النسخة.

وقد طبع كتاب ابن بشكوال في مجلدين طبعة تحتاج إلى تحرير، باسم " غوامض الاسماء الميهمة الواقعة في متون الاحاديث المسندة ".

٢ " - " الاغتباط بمعرفة من رميبالاختلاط "، وموضوعه واضح من اسمه، وكان لا عج الوغبة في إفرادهم برسالة قديم في نفسه، فانه قال - ولغير مناسبة تامة - في مقدمة " نثل الهميان " ٤ / أ الآتي برقم ٢١:

" أخبرني شيخي حافظ الوقت العراقي أن صالح الدين العلائي شيخه أفرد من اختلط، وذكر شيخي أن عنده منه نسخة، ولكن لم أقف أنا عليه ".

وكان هذا أول القرن التاسع.

و " الاغتباط " هذا رسالة لطيفة، ألفها في ٢ من جمادي الاولى سنة ٨١٨، منها نسخة بحلب بخط عمر بن محمد النصيبي تلميذ السبط - كما تقدم - وعليها خطه، وعنها طبع الكتاب، طبعه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله، مع الرسالتين الآتيتين برقم ٥: ٦.

ومنها نسخة في الظاهرية بخط تلميذ السبط: ابن زريق، وعنها صورة في المكتبة المركزية في الجامع الاسلامية بالمدينة المنورة، في ٧ ورقات ونصف، رقمها ٩٥٨.

---

(١) التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد. لابن النقطة، ص/٢٢٠

٣ " – " إملاءات على صحيح البخاري " قال التقي ابن فهد والسخاوي: للمترجم عدة إملاءات على " صحيح البخاري "كتبها عنه جمع من الطلبة ولم أقف على خبرها باكثر من ذلك.

٤ " – " التاريخ ".

لم يذكره مترجموه الثلاثة، إنما رأيت اسمه كذلك دون اسم علمي له، وذلك فيما نقله العلامة الطباخ رحمه الله في " إعلام النبلاء " ٤: ٣٦٩ وهو يتحدث عن المدرسة السلطانية البرانية

١– بحلب المعروفة الآن ب " جامع السلطانية " مقابل باب القلعة بجوار دار الحكومة السراي).

نقل الاستاذ الطباخ عن "كنوز الذهب " لابي ذر ابن البرهان قوله: " واعلم أن هذه المدرسة قبل محنة تيمر

تيمورلنك– لما **كان والدي** مشتغلا بالعلم، كانت روضة الادباء، ودوحة العلماء، كان أولاد حبيب الثلاثة: وهم محمد والحسن والحسين يسكنون بها، وينظمون وينثرون ويحدثون، وياتي إليهم الناس أفواجا للاخذ عنهم، وتراجم الثلاثة في " تاريخ " والدي، وشعرهم كثير مشهور "..." [١]

"قولها: والأوطاب تمخض، والأوطاب جمع وطب: وهو سقاء اللبن خاصة، والأفعال في جمع فعل قليل والأغلب الفعال، وقد ورد في بعض الروايات: (والوطاب تمخض)، على فوق الغالب، وتمخض: تحرك لاستخراج الزبد، قيل: إشارته بذلك إلى كثرة اللبن عندهم.

قولها: كالفهدين، شبهتهما بالفهدين في كونهما فارهين ممتلئين حسني الصورة.

قولها: يلعبان من تحت خصره برمانتين، قال ابن أبي أويس: أرادت بالرمانتين: ثدييها، وقال أبو عبيد وغيره: وصفتها بعظم الكفل، تريد أنها إذا استلقت نبا بها الكفل عن الأرض حتى يصير تحتها فجوة تجري فيها الرمان.

والسري: السيد الشريف، ويجمع على سريين وأسريا وسراة.

والفرس الشري: الذي يسري في عدوه، أي: يلج ويتمادى، ويقال: هو الفائق المختار من قولهم لخيار المال: سرانة وشرانة، واسترى واشترى: اختار.

والخطى: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو موضع على ساحل البحر تنتقل إليه الرماح الهندية ثم ينقل منها، وقيل: هو ساحل البحر.

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ١٢٢/١

قولها: وأراح علي، أي ردها من المرعى.

نعما ثريا، الثري: الكثير، يقال: أثرت الأرض إذا كثر ترابها، وأثرى بنو فلان: كثرت أموالهم، والثروة: المال الواسع، والثراء: كثرة المال، يقال: رجل ثروان وامرأة ثروى، وتصغيرها ثريا، وذكر ثريا حملا على اللفظ.

قولها: من كل رائحة زوجا، أي: ماشية تروح.

ويروى: (من كل سائمة) وهي الماشية الراعية، يقال: سامت هي، أي: رعت وأسمتها أنا.

ويروى: (من كل آبدة) وهي المتوحشة، والجمع الأوابد.

قولها: زوجا، قيل: الزوج يقع على الاثنين كما يقع على الفرد، ثم يقال: زوجان.

وقد روي: (من كل سائمة زوجين): وقيل: الزوج الفرد، إذا كان معه آخر، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يريد أنه أعطاها من كل رائحة صنفا، وقد يعبر عن الصنف بالزوج، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: (وكنتم أزواجا ثلاثة).

قوله: وميري أهلك، أي: خذي الطعام، و اذهبي به إليهم، تريد أنه وسع عليها وعلى أهلها.

قولها: أصغر آنية أبي زرع، يروي: (أصفر) بالفاء من الصفر، وهو الخالي، يريد: أن الذي نكحته – وإن كان بالصفات المذكورة – فإن قدره لا يبلغ قدر أبي زرع.

وفي بعض الروايات: (فاستبدلت بعده – أي بعد أبي زرع – ولك بدل أعور)، وهذا مثل معروف، أي: البدل قاصر عن الأصل غالبا، نسبته إليه كنسبة الأعور إلى ذي العينين.

كلام النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة

قوله: صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: (كنت لك كأبي زرع لأم زرع)، زيد في بعض الروايات: (إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق)، وفي بعضها: (كنت لك كأبي زرع في الألفة والرفاء، لا في الفرقة والخلاء).

قال ابن الأنباري: والرفاء: الاجتماع، من قولهم: رفأت الثوب أرفأه، ويقرب منه: قول من يقول: الرفاء الموافقة والمواصلة. والخلاء في الإبل: كالحيوان في الخيل والبغال.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قلت يا رسول الله! بل أنت لي خير من أبي زرع لأم زرع)، وهذا هو اللائق لحسن أدبها.

واعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة، وفيما أوردناه ما يحوي معظمه.

فوائد الحديث

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: (وفيه: العلم، وحسن العشرة مع الأهل، واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه.

وفيه: أن بعضهن قد ذكرن عيوب أزواجهن، ولم يكن ذلك غيبة لأنهن لم يعرفوا بأعيانهم وأسمائهم).

وزاد تاج الإسلام أبو بكر السمعاني، فقال: (فيه دلالة على جواز ذكر أمور الجاهلية واقتصاص أحوالهم؛ وعلى فضل عائشة رضي الله عنها ومحبته لها بملاطفته إياها؛ وعلى أن السمر بما يحل جائز).

ولمعنى حسن العشرة مع الأهل ونحوه أورده البخاري الحديث في (كتاب النكاح)، ولإشعاره بفضل عائشة أورده مسلم في (الفضائل)، ولمعنى السمر أورده أبو عيسى الترمذي في (أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم) في باب ترجمة ب: كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السمر؛ وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك كان في السمر، لكن القصة تشبه الأسمار وربما ورد نقل.

وكان والدي رحمه الله يرغبني في حفظ هذا الحديث في صغري لكثرة فوائده، وحسن ألفاظه.

وأختم الآن الحديث وشرحه بقولي:." [١]

"الطيبي؛ التي ليست بصفة للمضاف إليه بل المضاف الصلة الموصوفة بأنها خالصة لحقهما ورضاهما، لا لأمر آخر ولفظ البيهقي «وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فقال: ما أكثر هذا وأطيبه يا رسولالله، قال: ما عمل به فإنه يصل إليهما» قال العاقولي: وفي الحديث تنبيه على اغتنام فضيلة الصلة وأنها طاعة لا يكون إدراكها إلا من جهتهما، فإنه لو فرض أن إنسانا تولد من تراب مثلا ولم يولد له لم يكن لذلك الإنسان سبيل إلى دخول الجنة من صلة الرحم، فإنه لا رحم له، فإذا **كان الوالدان** سببا في مثل هذه الطاعة وجب رعايتهما وحفظهما فيها (وإكرام صديقهما) وبمعناه حديث ابن عمر في الباب (رواه أبو داود) في الأدب، وكذا أخرجه في الأدب بنحوه.

." [٢]

" سعد فأرسل النبي صلى الله عليه و سلم إليه فجاء فقال قوموا إلى سيدكم الحديث وقد أجاب عنه بن الحاج بأجوبة منها أن الأمر بالقيام لغير ما وقع فيه النزاع وإنما هو لينزلوه عن دابته لما كان فيه من المرض كما جاء في بعض الروايات انتهى

---

(١) درة الضرع لحديث أم زرع، ص/٧

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٨/٣

قال الحافظ قد وقع في مسند عائشة عند أحمد من طريق علقمة بن وقاص عنها في قصة غزوة بني قريظة وقصة سعد بن معاذ ومجيئه مطولا وفيه قال أبو سعيد فلما طلع قال النبي صلى الله عليه و سلم قوموا إلى سيدكم فأنزلوه

وسنده حسن وهذه الزيادة تخدش في الاستدلال بقصة سعد على مشروعية القيام المتنازع فيه انتهى

ومما تمسك به النووي حديث كعب بن مالك في قصة توبته وفيه فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول فصافحني وهنأني

وأجاب عنه بن الحاج بأن طلحة إنما قام لتهنئته ومصافحته ولو كان قيامه محل النزاع لما انفرد به فلم ينقل أن النبي صلى الله عليه و سلم قام له ولا أمر به ولا فعله أحد ممن حضروا وإنما انفرد طلحة لقوة المودة بينهما على ما جرت به العادة أن التهنئة والبشارة ونحو ذلك تكون على قدر المودة والخلطة بخلاف السلام فإنه مشروع على من عرفت ومن لم تعرف

ومما تمسك به النووي حديث عائشة قالت ما رأيت أحد كان أشبه سمتا ودلا وهديا برسول الله صلى الله عليه و سلم من فاطمة كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها

أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم

وأجاب عنه بن الحاج باحتمال أن يكون القيام لها لأجل إجلاسها في مكانه إكراما لها لا على وجه القيام المنازع فيه ولا سيما ما عرف من ضيق بيوتهم وقلة الفرش فيها فكانت إرادة إجلاسه لها في موضعه مستلزمة لقيامه

ومما تمسك به النووي ما أخرجه أبو داود عن عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فأجلسه بين يديه

وأجاب عنه بن الحاج بأن هذا القيام لو كان محل النزاع **لكان الوالدان** أولى به من الأخ وإنما قام للأخ إما لأن يوسع له في الرداء أو في المجلس

قلت هذا الحديث معضل كما صرح به بن المنذري في تلخيص السنن فلا يصلح للاستدلال وتمسك النووي بروايات أخرى وأجاب عنها بن الحاج بأنها ليست من محل النزاع والأمر كما قال بن الحاج وأجاب

النووي عن أحاديث كراهة قيام الرجل للرجل بما لا يشفي العليل ولا يروي الغليل كما بينه بن الحاج مفصلا ." (١)

"ونحو ذلك فلا يرد ولا يخيب مع إمكان أسباب الاستحقاق . واختلفوا فيمن أعطى من الصدقة على أنه فقير فتبين غنيا . قال أبوحنيفة ومحمد بن الحسن يجزئه ، وروي ذلك عن الحسن البصرى ، وقال الثورى لا يجزد وكذلك قال الشافعي في أحد قوليه وهو قول أبي يوسف .

٣٤/٢١م ومن باب الصدقة على أهل الذمة

قال أبو داود :

٤٨٣- حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا عيسى بن يونس حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء قالت قدمت علي أمي راغبة في عهد قريش وهي راغمة مشركه فقلت يا رسول الله إن أمى قدمت علي وهي راغمة افأصلها قال نعم فصلي أمك .

قولها راغبة في عهد قريش أي طالبة بري وصلتي وقولها راغمة معناه كارهة للإسلام ساخطة علي تريد أنها لم تقدم مهاجرة راغبة في الدين كما كان يقدم المسلمون من مكة للهجرة والإقامة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أمر بصلتها لأجل الرحم . فأما دفع الصدقة الواجبة إليها فلا يجوز وإنما هي حق للمسلمين لا يجوز صرفها إلى غيرهم ولو كانت أمها مسلمة لم يكن أيضا يجوز لها إعطاؤها الصدقة فإن خلتها مسدودة بوجوب النفقة لها على ولدها إلا أن تكون غارمة فتعطى من سهم الغارمين . فأما من سهم الفقراء والمساكين فلا وكذلك إذا **كان الوالد** غازيا جاز للولد أن يدفع إليه من سهم السبيل .

٣٩/٢٢م ومن باب الرجل يخرج من ماله

قال أبو داود :

٤٨٤- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه من." (٢)

---

(١) تحفة الأحوذي، ٢٦/٨

(٢) تفسير سنن أبي داود (معالم السنن) لأبي سليمان الخطابي، ٣٤٥/١

" ٤٤٤٢ - (رحم الله والدا أعان ولده على بره) بتوفيته ما له عليه من الحقوق فكما أن لك على ولدك حقا فلولدك عليك حق فمتى **كان الوالد** غأويا جافيا جر ولده إلى القطيعة والعقوق

(أبو الشيخ [ابن حبان]) بن حيان (في) كتاب (الثواب عن علي) أمير المؤمنين وكذا عن عمر وقال الحافظ العراقي : وسنده ضعيف ." (١)

"٣٤/٢١م ومن باب الصدقة على أهل الذمة

٤٨٣- قال أبو داود : حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا عيسى بن يونس حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء قالت قدمت علي أمي راغبة في عهد قريش وهي راغمة مشركه فقلت يا رسول الله إن أمى قدمت علي وهي راغمة افأصلها قال نعم فصلي أمك.

قولها راغبة في عهد قريش أي طالبة بري وصلتي وقولها راغمة معناه كارهة للإسلام ساخطة علي تريد أنها لم تقدم مهاجرة راغبة في الدين كما كان يقدم المسلمون من مكة للهجرة والإقامة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أمر بصلتها لأجل الرحم . فأما دفع الصدقة الواجبة إليها فلا يجوز وإنما هي حق للمسلمين لا يجوز صرفها إلى غيرهم ولو كانت أمها مسلمة لم يكن أيضا يجوز لها إعطاؤها الصدقة فإن خلتها مسدودة بوجوب النفقة لها على ولدها إلا أن تكون غارمة فتعطى من سهم الغارمين . فأما من سهم الفقراء والمساكين فلا وكذلك إذا **كان الوالد** غازيا جاز للولد أن يدفع إليه من سهم السبيل.." (٢)

" في عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيت

الحديث (وهي راغمة) بالميم معناه كارهة للإسلام ساخطة علي وفيه جواز صلة القريب المشرك وأم أسماء قتلة وقيل قتيلة بالقاف وتاء مثناة من فوق

واختلف العلماء في أنها أسلمت أم ماتت على كفرها والأكثرون على موتها مشركة

قاله النووي

قال الخطابي وهي راغمة معناه كارهة للإسلام ساخطة علي تريد أنها لم تقدم مهاجرة راغبة في الدين كما كان يقدم المسلمون من مكة للهجرة والإقامة بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم وإنما أمر بصلتها لأجل الرحم فأما دفع الصدقة الواجبة إليها فلا يجوز وإنما هي حق للمسلمين لا يجوز صرفها إلى غيرهم ولو كانت أمها مسلمة ولم يكن أيضا يجوز لها إعطاؤها الصدقة فإن حلتها مسدودة بوجوب النفقة

---

(١) فيض القدير، ٢٩/٤

(٢) معالم السنن للخطابي ٢٨٨، ٧٦/٢

لها على ولدها إلا أن تكون غارمة فتعطي من سهم الفقراء والمساكين فلا وكذلك إذا كان الوالد غازيا جاز للولد أن يدفع إليه من سهم السبيل

قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم

٥ -

(باب ما لا يجوز منعه)

[١٦٦٩] (بهيسة) بضم الموحدة وفتح الهاء قال في التقريب هي الفزارية لا تعرف ويقال إن لها صحبة (لا يحل منعه قال الماء) أي عند عدم احتياج صاحب الماء إليه وإنما أطلق بناء على وسعه عادة (قال الملح) لكثرة احتياج الناس إليه وبذله عرفا (قال أن تفعل الخير) مصدرية أي فعل الخير جميعه (خير لك) لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والخير لا يحل لك منعه فهذا تعميم بعد تخصيص وإيماء إلى أن قوله لا يحل بمعنى لا ينبغي

قال المنذري وأخرجه النسائي ." (١)

"وها هي ذز مسرودة على وفق حروف الهجاء: ١ " - " اختصار الغوامض وامبهمات " لابن بشكوال.

ذكره مترجموه الثلاثة، وذكره السخاوي منهم باسم: " تلخيص المبهمات، ولم يسمه البرهان، إنما جاء على وجه المخطوطة - وهي بخط البرهان -: " الغوامض والمبهمات في الاسماء الواقعة في الاحاديث ".

اختصرها ابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، كاتبها، بحذف الاسانيد، وعزو ما قدر على عزوه من الاحاديث إلى الكتب التي هي فيها "، فسميته كما تراه وعندي صورة عنه.

والكتاب في ٢٩ ورقة مملوءة بالحواشي غير الواضحة، فكأنها مسودة الكتاب، وكان اختصاره له في أربعة أيام، من يوم الاربعاء ١١ من شوال إلى يوم السبت ١٤ من شوال من عام ٧٨٤ بالقاهرة، كما جاء في آخر النسخة.

وقد طبع كتاب ابن بشكوال في مجلدين طبعة تحتاج إلى تحرير، باسم " غوامض الاسماء الميهمة الواقعة في متون الاحاديث المسندة ".

٢ " - " الاغتباط بمعرفة من رمىبالاختلاط "، وموضوعه واضح من اسمه، وكان لا عج الوغبة في إفرادهم برسالة قديم في نفسه، فانه قال - ولغير مناسبة تامة - في مقدمة " نثل الهميان " ٤ / أ الآتي برقم ٢١:

---

(١) عون المعبود، ٥/٥٩

" أخبرني شيخي حافظ الوقت العراقي أن صالح الدين العلائي شيخه أفرد من اختلط، وذكر شيخي أن عنده منه نسخة، ولكن لم أقف أنا عليه ".

وكان هذا أول القرن التاسع.

و " الاغتباط " هذا رسالة لطيفة، ألفها في ٢ من جمادي الاولى سنة ٨١٨، منها نسخة بحلب بخط عمر بن محمد النصيبي تلميذ السبط - كما تقدم - وعليها خطه، وعنها طبع الكتاب، طبعه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله، مع الرسالتين الآتيتين برقم ٥: ٦.

ومنها نسخة في الظاهرية بخط تلميذ السبط: ابن زريق، وعنها صورة في المكتبة المركزية في الجامع الاسلامية بالمدينة المنورة، في ٧ ورقات ونصف، رقمها ٩٥٨.

٣ " - " إملاءات على صحيح البخاري " قال التقي ابن فهد والسخاوي: للمترجم عدة إملاءات على " صحيح البخاري " كتبها عنه جمع من الطلبة ولم أقف على خبرها باكثر من ذلك.

٤ " - " التاريخ ".

لم يذكره مترجموه الثلاثة، إنما رأيت اسمه كذلك دون اسم علمي له، وذلك فيما نقله العلامة الطباخ رحمه الله في " إعلام النبلاء " ٤: ٣٦٩ وهو يتحدث عن المدرسة السلطانية البرانية (١) بحلب المعروفة الآن ب " جامع السلطانية " مقابل باب القلعة بجوار دار الحكومة (السراي).

نقل الاستاذ الطباخ عن " كنوز الذهب " لابي ذر ابن البرهان قوله: " واعلم أن هذه المدرسة قبل محنة تيمر (تيمورلنك) لما **كان والدي** مشتغلا بالعلم، كانت روضة الادباء، ودوحة العلماء، كان أولاد حبيب الثلاثة: وهم محمد والحسن والحسين يسكنون بها، وينظمون وينثرون ويحدثون، وياتي إليهم الناس أفواجا للاخذ عنهم، وتراجم الثلاثة في " تاريخ " والدي، وشعرهم كثير مشهور ".." [1]

"٦٣٤٧ - محمد بن إبراهيم الكسائي روى صحيح مسلم عن أبي سفيان غمزه الحاكم فقال وروى الصحيح من غير أصل انتهى قال الحاكم كان من قدماء الأدباء وتخرج به جماعة ثم انه على كبر السن حدث بصحيح مسلم من كتاب جديد في يده فكان في أول حديث حدثنا إبراهيم ثنا مسلم فانكرته فعاتبني فقلت له لو أخرجت الي أصلك أو أخبرتني الخبر على وجهه فقال **كان والدي** يحضرني مجلس إبراهيم ثم لم أجد سماعي فقال لي أحمد بن عيسى قد كنت أرى أباك يقيمك في المجلس لتسمع وأنت قائم

---

(١) من له رواية في الكتب الستة، ١٢٢/١

لصغرك ولم يبق بعدي لهذا الكتاب راو غيرك فاكتبه من كتابي فكتبته من كتابه فقلت له لا يحل لك فاتق الله فقام من مجلسي وشكاني ثم أرسل." (١)

"وقال يحيى بن مندة قدم المؤتمن أصبهان وسمع من والدي كتاب معرفة الصحابة وكتاب التوحيد والامالي وحديث بن عيينة لجدى فلما أخذ في قراءة غرائب شعبة مر الى حديث عمر في تدليس الحديث فلما انتهى الى هذا الحديث **كان الوالد** في حال الانتقال الى الآخرة وقضى نحبه عند انتهاء ذلك قال يحيى وهذا ما رأينا وشاهدنا وعلمنا ثم قدم بن طاهر سنة ست وخمس مائة وقرأ عليه أبو نصر النورمانى خبرا من الحكايات فيه سمعت أصحابنا بأصبهان يقولون إنما تمم الساجي كتاب معرفة الصحابة عن أبي عمرو بعد موته وذلك انه كان يقرأ عليه وهو في النزع ثم مات وهو يقرأ عليه بمكانه فصاح به يزيد ان نغسل الشيخ قال يحيى فلما سمعت ذلك قلت ما جرى ذلك يجب ان يصلح هذا فإنه كذب وزور وكتب في الحال على حاشية النسخة صورة الواقعة وكان والله المؤتمن ورعا زاهدا صابرا على الفقر وكان قراءته معرفة الصحابة قبل موت الوالد بشهرين وقال بن ناصر سألت عن مولده فقال في صفر سنة خمس وأربعين وأربع مائة وتوفي في صفر سنة سبع وخمس مائة وكان فهما عالما ثقة مأمونا." (٢)

"حدثنا الفضل بن هارون البغدادي ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الله بن عمير عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال * أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابني فقلت لابني لما رأيته هذا نبي الله فأخذته الرعدة منه فقلت يا نبي الله إني رجل طبيب **وكان والدي** طبيبا من أهل بيت أطباء فأرني ظهرك فإن كان سلعة أبطها وإن كان غير ذلك أخبرتك فإنه ليس من إنسان أعلم بجرح أو جراح مني قال لا طبيب إلا الله وعليه بردان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر فقال ابنك هذا قلت أي ورب الكعبة قال من نفسك قلت أشهد به قال أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه

الطبراني في معجمه الكبير ج٢٢/ص٢٨٣ ح٧٢٤." (٣)

" إسحاق إن النبي صلى الله عليه و سلم كتب إلى كسرى وقيصر وكان حجة عليهم فسكت الشافعي (١)

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (اتحقيق أبو غدة)، ٤٨١/٦

(٢) لسان الميزان لابن حجر (اتحقيق أبو غدة)، ١٨٦/٨

(٣) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١٠٠٤٨/١

قال الشيخ أبو الفتح القشيري **كان والدي** رحمه الله يحكي عن شيخه الحافظ أبي الحسن المقدسي المالكي " (٢) " أنه كان يرى أن حجة الشافعي باقية يريد لأن الكلام في الترجيح بالسماع والكتاب ولا في إبطال الاستدلال بالكتاب يعني فلم يكن لقول إسحاق [إن النبي صلى الله عليه و سلم كتب] (٣) إلى آخره معنى لأنه ليس الكلام فيه " (٤) ." [(١)]

"﴿والذين عقدت أيمنكم فئاتوهم نصيبهم﴾ وقرأ الكوفيون: عقدت بتخفيف القاف من غير ألف، وشدد القاف حمزة من رواية علي بن كبشة، والباقون عاقدت بألف، وجوزوا في إعراب الذين وجوها. أحدها: أن يكون مبتدأ والخبر فآتوهم. والثاني: أن يكون منصوبا من باب الاشتغال نحو: زيدا فاضربه. الثالث: أن يكون مرفوعا معطوفا على الوالدان والأقربون، والضمير في فآتوهم عائد على موالي إذا **كان الوالدان** ومن عطف عليه مروثين، وإن كانوا وارثين فيجوز أن يعود على موالي، ويجوز أن يعود على الوالدين والمعطوف عليه. الرابع: أن يكون منصوبا معطوفا على موالي قاله: أبو البقاء، وقال: أي وجعلنا الذين عاقدت وراثا، وكان ذلك ونسخ انتهى. ولا يمكن أن يكون على هذا التقدير الذي قدره أن يكون معطوفا على موالي لفساد العطف، إذ يصير التقدير: ولكل إنسان، أو: لكل شيء من المال جعلنا وراثا. والذين عاقدت أيمانكم، فإن كان من عطف الجمل وحذف المفعول الثاني لدلالة المعنى عليه أمكن ذلك، أي جعلنا وراثا لكل شيء من المال، أي: لكل إنسان، وجعلنا الذين عاقدت أيمانكم وراثا. وهو بعد ذلك توجيه متكلف، ومفعول عاقدت ضمير محذوف أي: عاقدتهم أيمانكم، وكذلك في قراءة عقدت هو محذوف تقديره: عقدت حلفهم، أو عهدهم أيمانكم. وإسناد المعاقدة أو العقد للإيمان سواء أريد بها القسم، أم الجارحة، مجاز بل فاعل ذلك هو الشخص.

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض وبمآ أنفقوا﴾ والباء في بما للسبب، وما مصدرية أي: بتفضيل الله. ومن جعلها بمعنى الذي فقد أبعد، إذ لا ضمير في الجملة وتقديره محذوفا مسوغ لحذفه، فلا يجوز.

وبما أنفقوا من أموالهم: معناه عليهن، وما: مصدرية، أو بمعنى الذي، والعائد محذوف فيه مسوغ الحذف.." [(٢)]

" أفاد الأمر بالقيام بالحق والعدل وذلك موجب على كل أحد إنصاف الناس من نفسه فيما يلزمه لهم وإنصاف المظلوم من ظالمه ومنع الظالم من ظلمه لأن جميع ذلك من القيام بالقسط ثم أكد ذلك

---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح، ٥٤٨/٣

(٢) إعراب القرآن لابن سيده، ٢٦٤/٣

بقوله شهداء لله يعني والله أعلم فيما إذا كان الوصول إلى القسط من طريق الشهادة فتضمن ذلك الأمر بإقامة الشهادة على الظالم المانع من الحق للمظلوم صاحب الحق لاستخراج حقه منه وأيضا له إليه وهو مثل قوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وتضمن أيضا الأمر بالاعتراف والإقرار لصاحب الحق بحقه بقوله تعالى ولو على أنفسكم لأن شهادته على نفسه هو إقراره بما عليه لخصمه فدل ذلك على جواز إقرار المقر على نفسه لغيره وأنه واجب عليه أن يقر إذا طالبه صاحب الحق وقوله تعالى أو الوالدين والأقربين فيه أمر بإقامة الشهادة علىالوالدين والأقربين ودل على جواز شهادة الإنسان على والديه وعلى سائر أقربائه رأنهم والأجنبيين في هذا الموضع بمنزلة وإن **كان الوالدان** إذا شهد عليهما أولادهما ربما أوجب ذلك حبسهما وأن ذلك ليس بعقوق ولا يجب أن يمتنع من الشهادة عليهما لكراهتهما لذلك لأن ذلك منع لهما من الظلم وهو نصرة لهما كما قال ص – أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال ترده عن الظلم فذلك نصر منك إياه وهو مثل قوله ص – لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذا يدل على أنه إنما تجب عليه طاعة الأبوين فيما يحل ويجوز وأنه لا يجوز له أن يطيعهما في معصية الله تعالى لأن الله قد أمره بإقامة الشهادة عليهما مع كراهتهما لذلك

وقوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أمر لنا بأن لا ننظر إلى فقر المشهود عليه بذلك إشفاقا منا عليه فإن الله أولى بحسن النظر لكل أحد من الأغنياء والفقراء وأعلم بمصالح الجميع فعليكم إقامة الشهادة عليهم بما عندكم

وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا يعني لا تتركوا العدل اتباعا للهوى والميل إلى الأقرباء وهو نظير قوله تعالى إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى وفي ذلك دليل على أن على الشاهد إقامة الشهادة على الذي عليه الحق وإن كان عالما بفقره وأنه لا يجوز له الامتناع من إقامتها خوفا من أن يحبسه القاضي لفقد علمه بعدمه

وقوله تعالى وإن تلووا أو تعرضوا فإنه يحتمل ما روي عن ابن عباس أنه في القاضي يتقدم إليه الخصمان فيكون ." (١)

" ابي جعفر بن حمدان يقول **كان والدي** ابو جعفر يصلي صلاة المغرب مع ابي عثمان يعني سعيد اسماعيل وربما اقام في بعض الليالي حتى يصلي معه صلاة العشاء الاخرة فاذا ابطأ علينا خرجت الى مسجد ابي عثمان فخرجت ليلة من الليالي الى مسجد ابي عثمان فخرج علينا لصلاة العشاء الاخرة وعليه

---

(١) أحكام القرآن للجصاص، ٣/٢٧٢

ازار ورداء فصلى بنا ثم دخل داره ورجعت مع ابي الى البيت فقلت لأبي يا ابة ابو عثمان قد احرم فقال لا ولكنه هو ذا يسمع مني المسند الصحيح الذي خرجته على كتاب مسلم فاذا سمع بسنة لم يكن استعملها فيما مضى احب ان يستعملها في يومه وليلته وانه سمع في جملة ما قرىء علي ان النبي صلى الله عليه و سلم في ازار ورداء فأحب ان يستعمل تلك السنة قبل ان يصبح

١٨٦ – سمعت ابا الفتح محمد بن احمد بن ابي الفوارس يقول سمعت محمد ابن عبدالله الحافظ يقول سمعت اسماعيل بن نجيد يقول سمعت ابا عثمان سعيد ابن اسماعيل الزاهد يقول من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لأن الله يقول وان تطيعوه تهتدوا

يتلوه في الثاني ان شاء الله البكور الى مجالس الحديث

والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم

سمع الجزء جميعه على الشيخ الجليل ابي القاسم المبارك بن محمد بن الحسن المعروف بابن البزوري ابقاء الله بحق اجازته عن ابي بكر الخطيب رحمه الله الشيخ الامام العالم ابو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري وبناته فاطمة وزينب وحضرت ليلى ورابعة وفتاه نافع بن عبدالله بقراءة حامد بن ." (١)

"وكان قد انتهت إليه رئاسة المحدثين في الدنيا ،وكنت أنا كثير الملازمة للذهبي أمضي إليه في كل يوم مرتين بكرة والعصر، وأما المزي فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع، وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة لي والمحبة في بحيث يعرف من عرف حال معه أنه لم يكن يحب أحدا كمحبته في، وكنت أنا شابا فيقع ذلك مني موقعا عظيما، وأما المزي فكان رجلا عبوسا مهيبا، **وكان الوالد** يحب لو كان أمري على العكس أعني يحب أن ألازم المزي أكثر من ملازمة الذهبي لعظمة المزي عنده.(١)

وشغر مرة مكان بدار الحديث الأشرفية فنزلني فيه فعجبت من ذلك، فإنه كان لا يرى تنزيل أولاده في المدارس، وها أنا لم أل في عمري فقاهة في غير دار الحديث ولا إعادة إلا عند الشيخ الوالد ،وإنما كان يؤخرنا إلى وقت استحقاق التدريس على هذا ربانا رحمه الله، فسألته فقال ليقال: إنك كنت فقيها عند المزي.

ولما بلغ المزي ذلك أمرهم أن يكتبوا اسمي في الطبقة العليا، فبلغ ذلك الوالد فانزعج وقال: خرجنا من

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي، ١٤٥/١

الجد إلى اللعب لا والله عبد الوهاب شاب ولا يستحق الآن هذه الطبقة، اكتبوا اسمه مع المبتدئين، فقال له شيخنا الذهبي: والله هو فوق هذه الدرجة وهو محدث جيد ،هذه عبارة الذهبي، فضحك الوالد وقال : يكون مع المتوسطين .

وقال الذهبي في التذكرة : إن المزي كان يقرر طريقة السلف في السنة فيعضد ذلك بقواعد كلامية ومباحث نظرية ، قال: وجرى بيننا مجادلات ومعارضات في ذلك تركها أسلم انتهى .

وكان للمزي ديانة متينة وعبادة وسكون وخير.

مولده في ليلة العاشر من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة بظاهر حلب سمع منه ابن تيمية والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس والشيخ الإمام الوالد وخلق لا يحصون ،وصنف تهذيب الكمال المجمع على أنه لم يصنف مثله وكتاب الأطراف توفي في يوم السبت ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بدار الحديث الأشرفية ودفن بمقابر الصوفية اهـ(٢)

وحيث إن الكتاب يحتاج إلى تهذيب وإكمال وتحرير؛ فقد قام الحافظ الشهير أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي بتهذيبه وإكماله في كتاب سماه "تهذيب الكمال" وقد أجاد في هذا الكتاب وأحسن، كما وصفه الحافظ ابن حجر، لكنه أطال فيه أيضا، ويقول ابن السبكي في وصفه: أجمع على أنه لم يصنف مثله ولا يستطاع.

وذيل على كتاب المزي وأكمله الحافظ علاء الدين مغلطاي المتوفى سنة اثنين وستين وسبعمائة للهجرة، وسمى تذييله هذا "إكمال تهذيب الكمال" وهو كتاب كبير جليل نافع، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه انتفع بكتاب مغلطاي هذا.

---

(١) - انظر يا رعاك الله على هذا الأدب الجم ، فمع اختلافه مع الإمام الذهبي لم يمنع ابنه من الانتفاع به ، وحضور مجالسه ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على تدخل القدر في ذلك ، ففي صحيح البخارى(٤٩٤٩) عن على - رضى الله عنه - قال كان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » . قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة » .

ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى) الآية .

(٢) – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي – (ج ١٠ / ص ١٩٦) فما بعدها – ١٤١٧–." [١]

"وكان قد انتهت إليه رئاسة المحدثين في الدنيا ،وكنت أنا كثير الملازمة للذهبي أمضي إليه في كل يوم مرتين بكرة والعصر، وأما المزي فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع، وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة لي والمحبة في بحيث يعرف من عرف حال معه أنه لم يكن يحب أحدا كمحبته في، وكنت أنا شابا فيقع ذلك مني موقعا عظيما، وأما المزي فكان رجلا عبوسا مهيبا، **وكان الوالد** يحب لو كان أمري على العكس أعني يحب أن ألازم المزي أكثر من ملازمة الذهبي لعظمة المزي عنده.(١)

---

(١) – انظر يا رعاك الله على هذا الأدب الجم ، فمع اختلافه مع الإمام الذهبي لم يمنع ابنه من الانتفاع به ، وحضور مجالسه ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على تدخل القدر في ذلك ، ففي صحيح البخارى(٤٩٤٩) عن على – رضى الله عنه – قال كان النبى – صلى الله عليه وسلم – فى جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » . قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى) الآية .." [٢]

"وقد انتشرت الرواية في تلك القبائل منذ أزيد من مائة عام عن طريق هذه المراكز الفرعية، وظل الولاء فيها للمدرسة الأم قائما، كما ظل الانتماء المباشر إلى هذه المدرسة بالقراءة ولو بصورة غير مباشرة محل فخر واعتزاز، وخاصة عند طائفة ممن أدركناهم من المشيخة ممن قرأوا على بعض أولاد الشيخ الزوين كالسيد أحمد وأخيه السيد العربي ثم ولده السيد عبد الرحيم وكان أحفظهم للقراءات وأطولهم مدة في القيام بها في مدرسة جده، وقد أدركته بها رحمه الله.

وكان والدي ـ رحمه الله ـ قد قرأ بهذه المدرسة أيام الشيخ العربي ابن الشيخ الزوين المذكور، وكان شيخ القراءة بها يومئذ الشيخ سعيد الجرموني العبدي المتوفى حول سنة ١٣٨٠هـ، وقد عمر طويلا، ورأيته في هذه المدرسة قبل وفاته بنحو السنتين وهو على حاله المعهود في القيام بمهمته في استقبال طلبة القراءات

---

(١) المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ٢/٤٠

(٢) الخلاصة في علم الجرح والتعديل، ١/٩١

وتصحيح الألواح في المجلس المعتاد لذلك بقرب ضريح الشيخ الزوين رحمه الله.
الفروع التي تفرعت عن مدرسته.." (١)

"المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلقه، وهو المنادى، فكان ذلك إخلالا كبيرا، وإذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلا على العامل فيه جملة النداء، وليس حرف النداء حرف جواب كنعم، ولا، وبلى، وأجل، فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة ما سبق من السؤال على الجمل المحذوفة، فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكد به ألا التي للتنبيه، وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد، وإذا كان قد وجد التوكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ، العاملين في قوله: فأصبحن لا يسألنني عن بما به، والمتفقي اللفظ العاملين في قوله: ولا للما بهم أبدا دواء.
وجاز ذلك، وإن عدوه ضرورة أو قليلا، فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزا، وليس يا في قوله: يا لعنة الله والأقوام كلهم. حرف نداء عندي، بل حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ، وليس مما حذف منه المنادى، لما ذكرناه. انتهى الغرض من كلام أبي حيان، وما اختاره له وجه من النظر] (١).

١٢٢ - يحذف الأول لدلالة الثاني عليه.
[قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ ... المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهو أسلوب عربي معروف، وأنشد له سيبويه في كتابه قول عمرو بن أحمر الباهلي:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... ... بريئا ومن أجل الطوى رمان

وقول قيس بن الخطيم الأنصاري:

نحن بما عندنا وأنت بما ... ... عندك راض والرأي مختلف

وقول ضبائي بن الحارث البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... ... فإني وقيار بها لغريب

فقول ابن أحمر: كنت منه ووالدي بريئا أي كنت بريئا منه **وكان والدي** بريئا منه.

---

(١) قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ص/٤٥٥

(١) - (٦/ ٤٠٢: ٤٠٥) (النمل/٢٥).." [١]

"ومن المهم لطالب علم الحديث أن يكون مكتبة من مصادر السنة " الستة " أو " الثمانية "، لاعتبار أن تسديس الستة يرجع إلى ثمانية كما عرفنا من توجهات علمائنا - رضي الله عنهم - وإرداف ذلك بـ " جامع الأصول "كفهرس لهذه المصادر، و " مجمع الزوائد "، و" المطالب العالية "، يصبح عندنا ثلاثة كتب تجمع بين طياتها عشرين كتابا، ومنها " الستة " أو " الثمانية " مفصلة تفصيلا، وإذا أردت مختصرا لشروح الحديث كلها فعليك بكتاب " النهاية " لابن الأثير فهو ملخص لشروح السنة من أولها إلى آخرها، وترتيبه على حروف المعجم مسهل للاستفادة جدا. وبالممارسة والمزاولة تتابع المكتبة تنمية نفسها بفضل متابعة طالب العلم الاشتغال بخدمة العلم وخدمة الحديث النبوي الشريف.

يقول شعبة بن الحجاج: «من طلب هذا العلم أفلس؛ بعت طست أمي بدرهمين في طلب الحديث»، (يشتري ورق، يشتري أدوات كتابة، يسافر، يرحل، يروح، يجيء) باع الطست بدرهمين ليشتري لوازم طلب علم الحديث، لكن بعد هذا نتيجة مضمونة: (إن الله تكفل لطالب العلم بالعيش الهنيء).

كان والدي - رحمه الله تعالى - يراسلني وأنا في مصر، وكثيرا ما يذكرني بهذه القاعدة، وهو - فيما يظهر - أخذها من جدنا الشيخ نجيب - رحمة الله عليه ورضوانه -. ثم وجدت هذا من مقولة للإمام الشافعي. وقلنا لإخوانكم في السنة الرابعة عقب اطلاعي على هذا العزو: أئمتنا لا يتكلمون إلا بالدليل، فأعطوني الأدلة. وخلال دقائق أحصينا عشر إجابات تحوي أدلة لهذه المقولة منها ﴿وإنا له لحافظون﴾ (١) فطبعا يحفظ برجال محفوظين مكرمين، وغير ذلك من أدلة، تدل على فضل العلم والعلماء، ومهمة رسالتهم.

سوف ننتقل اليوم إلى مرحلة جديدة هي (مرحلة المصادر المصنفة على الأسماء) هذا العنوان يشمل المسانيد والمعاجم وغير ذلك.

المسانيد:

\---------

(١) الأساليب والإطلاقات العربية، أبو المنذر المنياوي ص/١٠٩

هي كتب – كما عرفتم – بدأ تأليفها من مطلع القرن الثالث سنة ٢٠٠ هـ وبعدها. وترتب على أسماء الصحابة: مسند أبي بكر أولا، ثم سيدنا عمر ... إلى آخره. ومنهم من رتبها على ترتيب آخر.

---

(١) [سورة الحجر، الآية: ٩].." (١)

"قال حدثنا محمد بن الجهم قال: حدثنا الفراء قال: حدثني قيس والمفضل الضبي عن الأعمش عن إبراهيم، فأما المفضل فقال عن علقمة عن عبد الله، وقال قيس عن رجل عن عبد الله قال: قرأ رجل على عبد الله «والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» . قال: فجعل عبد الله يقرؤها بالتوحيد. قال: حتى رددها «١» عليه نحوا من عشرين مرة لا يقول ليس كما يقول «٢» وقرأها الحسن: كلتيهما بالجمع، وقرأ بعض أهل الحجاز، الأولى بالتوحيد، والثانية بالجمع «٣» ، ومعنى قوله: (اتبعتهم ذريتهم) يقال: إذا دخل أهل الجنة «٤» الجنة فإن كان الوالد أرفع درجة «٥» من ابنه رفع ابنه إليه، وإن كان الولد أرفع رفع والده إليه «٦» :

[٥٧/ ا] وقوله عز وجل: وما ألتناهم (٢١) :

الألت: النقص، وفيه لغة أخرى: (وما لتناهم «٧» من عملهم من شيء) ، وكذلك هي في قراءة عبد الله، وأبي بن كعب قال الشاعر:

أبلغ بني ثعل عني مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا «٨»

يقول: لا نقصان، ولا زيادة، وقال الآخر:

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتني عن سراها ليت «٩»

---

(١) فى ش: ردها.

(٢) فى ش: تقول، ويبدو أن (لا) مزيدة تحريفا، أو أن فى العبارة سقطا، والأصل: لا يزال يقول.

(٣) قرأ عامة قراء المدينة: واتبعتهم ذريتهم على التوحيد بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع، وقرأته قراء الكوفة.

واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم كلتيهما (على التوحيد) . وقرأ بعض قراء البصرة، وهو أبو عمرو:

---

(١) كيفية التعامل مع الفهرس العام لأسماء كتب السنة، نور الدين عتر ص/٢

وأتبعنا ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم (انظر الاتحاف ٤٠٠ والطبري ٢٧/ ١٥) .

(٤) سقط فى ح.

(٥) فى ش: من درجة، تحريف.

(٦) فى ح، ش إليه أبوه.

(٧) اختلف فى «ألتناهم» فابن كثير بكسر اللام، من ألت يألت كعلم يعلم، وافقه ابن محيصن. وروى ابن شنبوذ إسقاط الهمزة، واللفظ بلام مكسورة كبعناهم، يقال لأنه يليته كباعه يبيعه (الإتحاف ٤٠٠، ٤٠١)

(٨) نسبه فى المحتسب للحطيئة، وروايته فى الشطر الأول:

أبلغ لديك بنى سعد مغلغة ويروى: سراة مكان لديك، ومغلغلة: رسالة تغلغل حتى تصل إليهم انظر الديوان: ١٣٥ والمحتسب ٢/ ٢٩٠

(٩) نسبة فى المحتسب لرؤبة، ولم نعثر عليه فى ديوانه ولا ديوان العجاج، (وانظر المحتسب ٢/ ٢٩١)." [١]

"آخر: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا)

لم يكن للموهوب أن يمتنع على من وهب له، والهبة تصير

ملكا للموهوب له، فكل ما أضيف إليها كان منها.

وليس هو عندي كذلك، لأن الهبة في هذا الموضع هي هبة نعمة لا

هبة ملك، إذ لو كانت هبة ملك لجاز للوالد أن يبيع ولده كما له عند هذا

الناظر - أن يأخذ ماله بغير أمره - ولما جاز للولد أن ينفق من ماله إلا بإذن

أبيه، ولما جاز له وطء جاريته يشتريها بالمال الذي هو في يديه إذ كان ملكه

لأبيه حتى يهبها له أبوه، ولما صحت فيه هبته أيضا، لأن أكثر حال الهبة

أن تصير ملكا للموهوب له كما كان سائر ماله، **ولكان الوالد** أحق

بوطئها، ولما حكم على الموسر إذا كان له والد بصداق نسائه

ونفقاتهن، ونفقة صغار أولاده وعبيده وخدمه، ودفع ديون الناس إذا." [٢]

"**كان الوالد** غازيا جاز للولد أن يدفع إليه من سهم السبيل.

---

(١) معاني القرآن للفراء الفراء، يحيى بن زياد ٩٢/٣

(٢) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام أبو أحمد القصاب ٢٤٨/٢

ومن باب الرجل يخرج من ماله

قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يستكف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى.

قوله يستكف الناس معناه يتعرض للصدقة وهو أن يأخذها ببطن كفه يقال تكفف الرجل واستكف إذا فعل ذلك.

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله عنه أنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

وقوله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى أي عن غنى يعتمده ويستظهر به على النوائب التي تنوبه كقوله في حديث آخر خير الصدقة ما أبقت غنى.

وفي الحديث من الفقه أن الاختيار للمرء أن يستبقي لنفسه قوتا وأن لا ينخلع من ملكه أجمع مرة واحدة لما يخاف عليه من فتنة الفقر وشدة نزاع النفس إلى ما خرج من يده فيندم فيذهب ماله ويبطل أجره ويصير." (١)

"النسخ المعتمدة

١) نسخة المدينة المنورة:

اتصلت بالمعلم بما كنت أسمعه من الشيوخ تعريفا به، ولكن حين أردت الاطلاع عليه ظفرت بنسختين: إحداهما في المكتبة الأحمدية سابقا، والثانية في المكتبة الصادقية وليدة المكتبة العبدلية، وكلتا النسختين لا يمكن اعتمادها في التحقيق.

ولكني كنت أسمع من الوالد الشيخ محمد الصادق (١) ابن الشيخ محمد الطاهر النيفر أن هناك نسخة في المدينة المنورة يمكن الاعتماد عليها، وأين الوصول إلى تلك النسخة في تلك الحقبة إلى أن سنحت

---

(١) معالم السنن الخطابي ٢/٧٧

الفرص المطيبة المباركة في إحدى العمر الرمضانية التي كنت أقضيها بالمدينة المنورة فظفرت بالنسخة المنشودة من المعلم بمكتبة الحرم النبوي.

---

(١) **كان الوالد** رحمه الله تعالى له قرابة بالشيخ محمد العزيز الوزير ومع ذلك كان من شيوخه فاطلع على مكتبته التي جمعها في تونس ونقلها إلى المدينة المنورة حين هاجر إليها، وكانت وفاة الوالد رحمه الله سنة (١٣٥٦).." [1]

"ولم أتمكن من تصويرها لعدم وجود آلة التصوير فكنت نسخت منها كتاب الإيمان الذي نشرته ضمن الرسالة التي كتبتها تاريخيا للمازري، وألقيت خلاصة منها في ملتقى الإمام المازري بالمنستير سنة (١٩٧٥) ثم نشرت المحاضرة تحت عنوان: المازري الفقيه والمتكلم وكتابه المعلم

وقد طبعت هذه الرسالة سنة (١٩٧٨).

ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقتي بالمازري وصرت تائقا إلى إخراج كتابه المعلم محققا على نسخ معتمدة فصح مني العزم، وإن أبت الظروف فسعيت السعي الحثيث للظفر بنسخ إلى أن حصلت على نسخ اعتمدت منها أربعا:

* نسخة المدينة المنورة:

امتلك هذه النسخة المرحوم العلامة الشيخ محمد العزيز (٢) بن محمد الوزير التونسي دفين المدينة المنورة (٣).

---

(٢) العزيز: اختصار لعبد العزيز، وهو مما شاعت التسمية به في تونس فالأصل في اسمه محمد عبد العزيز الوزير، وكذلك مما تمالأ عليه الآباء في تونس تركيب الاسم فاسمه مركب من اسمين محمد وعبد العزيز، بخلاف ما اشتهر في الشرق من تركيب الاسم من علمين أحدهما اسم الابن والآخر اسم الأب.

(٣) الشيخ الوزير هو محمد العزيز بن محمد الوزير من عائلة تونسية عريقة درس ودرس بتونس ثم هاجر إلى المدينة المنورة ودرس بها.

وقد جاء تعريفا به في مجلة التضامن الإسلامي الحجازية أثناء ترجمة الشيخ محمد العربي التباني الجزائري:

---

(١) المعلم بفوائد مسلم المازري ٢٤٣/١

ومن مشائخه أيضا في المسجد النبوي الشريف العلامة المدقق عبد العزيز الوزير التونسي. قرأ عليه قسما من الموطأ للإمام مالك بشرح الزرقاني، ومختصر العلامة خليل في الفقه المالكي، وألفية ابن مالك بشرح الأشموني. وتوفي الشيخ الوزير سنة (١٣٣٨) بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع.

وقد كان العلامة عبد العزيز الوزير كما أخبرني الوالد رحمه الله من النحارير إذ **كان الوالد** أحد تلاميذه، وكذلك أخبرني الشيخ البشير الإبراهيمى الذي قرأ =." (١)

"ويدل على أنه إذا فضل بعضهم على بعض تقذف الهبة وإن عدل عن المأمور خلافا لسفيان الثوري وداود؛ لأنه قال: "فارجعه" ولو لم ينفذ تصرفه وبقي المال على ملكه لما احتاج إلى أن يرجع، وأيضا فقد قال: "أشهد على هذا غيري" ولو كان لغوا لما أمر بالإشهاد عليه، وتسميته جورا لما فيه من الميل والعدول عن الأفضل والأحسن، وتدل أيضا على أن للأب أن يرجع فيما وهب من ولده، والأولى أن لا يفعل ذلك إلا لغرض صحيح ويدل عليه حديث طاوس.

وفيه دليل على أن الأجنبي لا يرجع فيما وهب من الأجنبي، وقد روي عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "العائد في هبته كالعائد في قيئه" (١). والعود في القيء حرام، وفرق بين الأب والأجنبي بأن يد الولد كيد الوالد؛ ألا ترى أنه لا حد بوطء جاريته، ولا يقطع بسرقة ماله؛ **فكان الوالد** في الهبة من الولد في معنى من وهب ولم يقبض.

الأصل

[٨٤٩] أبنا الربيع، أبنا الشافعي، أبنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أنها قالت: جاءتني بريرة فقالت: إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني، فقالت لها عائشة: إن أحب أهلك أن أعدها لهم عددتها ويكون ولاؤك لي فعلت، فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت لهم ذلك فأبوا عليها، فجاءت من عند أهلها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس، فقالت: إني عرضت عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فسألها النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته عائشة، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خذيها

---

(١) المعلم بفوائد مسلم المازري ١/٢٤٤

(١) رواه البخاري (٢٦٢١)، ومسلم (١٦٢٢).." [١]

"فائدة:

عوتب ابن عقيل في تقبيل يد السلطان حين صافحه فقال: "أرأيتم لو **كان والدي** فعل ذلك فقبلت يده أكان خطأ أم واقعا موقعه؟ قالوا: بلى، قال: فالأب يربي ولده تربية خاصة والسلطان يربي العالم تربية عامة فهو بالإكرام أولى"، ثم قال: "وللحال الحاضرة حكم من لابسها وكيف يطلب من المبتلى بحال ما يطلب من الخالي عنها.

فائدة:

أورد شيخنا الهراسي سؤالا على القول بكفر تارك الصلاة وزعم أنه لا جواب عنه فقال: "إذا أراد هذا الرجل معاودة الإسلام فبمإذا يسلم فإنه لم يترك كلمة الإسلام؟ فأجابه ابن عقيل بأن قال: إنما كان كفره بترك الصلاة لا بترك الكلمة فهو إذا عاود فعل الصلاة صارت معاودته للصلاة إسلاما فإن الدال على إسلام الكافر الكلمة أو الصلاة".

قلت: وهذا الذي ذكره شيخنا يرد عليه في كل من كفر بشيء من الأشياء مع إتيانه بالشهادتين وتلك صور عديدة.

فائدة:

سأل سائل فقال: إذا كانت الجنة را موت فيها فكيف يأكلون فيها لحم الطير وهو حيوان قد فارقته الروح؟ فأجيب بأنه يجوز أن لا يكون ميتا.

وهذا جواب." [٢]

"بصيرة فى.. يأيها النبى اتق الله

السورة مدنية بالاتفاق. آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها (لا) على اللام منها آية واحدة ﴿يهدي السبيل﴾ . سميت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب فى قوله ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ .

معظم مقصود السورة الذى اشتملت عليه: الأمر بالتقوى، وأنه ليس فى صدر واحد قلبان، وأن المتبنى ليس

(١) شرح مسند الشافعي الرافعي، عبد الكريم ١٠٨/٣

(٢) بدائع الفوائد ابن القيم ١٧٦/٣

بمنزلة الابن، وأن النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين **بمكان الوالد**، وأزواجه الطاهرات بمكان الأمهات، وأخذ الميثاق على الأنبياء، والسؤال عن صدق الصادقين، وذكر حرب الأحزاب، والشكاية من المنافقين، وذم المعرضين، ووفاء الرجال بالعهد، ورد الكفار بغيظهم، وتخيير أمهات المؤمنين، ووعظهن، ونصحهن، وبيان شرف أهل البيت الطاهرين ووعد المسلمين والمسلمات بالأجور الوافرات، وحديث تزويج زيد وزينب ورفع الحرج عن النبى صلى الله عليه وسلم، وختم الأنبياء به عليه السلام، والأمر بالذكر الكثير،." (١)

"عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك العظيم الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم تسأل الله ما ليس بمعصية وكان وهيب يقول بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتقومون بها على معاصي الله - عز وجل -. رواه الطبسي في الصلاة له من وجهين والنميري في الإعلام وابن بشكوال وعند الطبسي عن مقاتل ابن حيان وحاله معروف في قضية طزيلة من أراد أن يفرج الله كربته ويكشف غمه ويبلغه أمله وأمنيته ويقضي حاجته ودينه ويشرح صدره ويقر عينه فليصل أربع ركعات متى شاء وإن صلاها في جوف الليل أو ضحوة النهار كان أفضل يقرأ في كل ركعة الفاتحة ومعها في الأولى يس وفي الثانية الم تنزيل السجدة. وفي الثالثة الدخان وفي الرابعة تبارك فإذا فرغ من صلواته وسلم فليستقبل القبلة بوجهه ويأخذ في قراءة هذا الدعاء فيقرأه ماية مرة لا يتكلم بينها فإذا فرغ سجد سجده فيصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعل أهل بيته مرات ثم ليسأل الله - عز وجل - حاجته فإنه يرى الإجابة عن قريب إن شاء الله تعالى ثم ساق الدعاء والله أعلم وقد تقد في الصلاة عليه ليلة الأثنين ما يأتي هنا.

(الصلاة عليه في الأحوال كلها)

وأما الصلاة عليه في الأحوال كلها فقد روى ابن أبي شيبة في المصنف له عن أبي وائل قال ما شهد عبد الله مجمعا ولا مأدبة فيقوم حتى يحمد الله ويصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن كان ما يتبع أغفل مكان في السوق فيجلس فيه فيحمد الله ويصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم في هذا الباب أيضا وحكى الشيخ أبو حفص عمر بن الحسن السمرقندي فيما روي عن بعض استاذيه عن أبيه قال سمعت رجلا في الحرم وهو كثير الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث كان من الحرم والبيت وعرفة ومنى فقلت أيها الرجل إن لكل مقام مقالا فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالتطوع بالصلاة سوى إنك تصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال خرجت من خراسان حاجا إلى هذا البيت

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزآبادي ١/٣٧٧

وكان والدي معي فلما بلغنا الكوفة أعتل والدي وقويت به العلة فمات غطيت وجهه بازار ثم غبت عنه وجئت إليه فكشفت وجهه لأراه فإذا صورته كصورة الحمار." (١)

"ذكر فيهما النبي المبعوث، وقد أظل زمانه، وكرهت أن أخبرك بذلك.

ولا آمن عليك بعد وفاتي من بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، وقد قطعتهما من

كتابك، وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما، فلا تتعرض لهما ولا تظهرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه، وانظر فيهما، فإن الله يزيدك بذلك خيرا كثيرا.

فلما مات والدي لم يكن أحب إلي من انقضاء المأتم، حتى أنظر ما في

الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة، ثم استخرجت الورقتين، فإذا فيهما: "محمد رسول الله خاتم النبيين، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال، وتذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم، وأناجيلهم في صدورهم، وهم يأكلون قربانهم في بطونهم، ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأب والأم، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون والشفع لهم.

فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا.

فمكثت بهذا ما شاء الله، حتى بعث النبي – صلى الله عليه وسلم –، وبيني وبينه بلاد بعيدة، لا أقدر على إتيانه.

وبلغني أنه خرج بمكة فهو يظهر مرة ويستخفي أخرى، فقلت: هو هذا.

وتخوفت ما **كان والدي** خوفني وحذرني من الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين

وأتثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي، حتى بلغني أنه توفي صلوات الله وسلامه عليه، فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن.

ثم بلغني أن خليفته قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنودة، فقلت." (٢)

---

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع السخاوي، شمس الدين ص/٢٣٦

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٥٣٧/٢

"١٩١١ – "يا معاذ ما لك لا تأتنا كل غداة؟ قال: يا رسول الله إني أسبح كل غداة سبعة آلاف تسبيحة قبل أن آتيك قال: ألا أعلمك كلمات هن أخف عليك وأثقل في الميزان ولا تحصيه (١) الملائكة ولا أهل الأرض قال: قل لا إله إلا الله عدد رضاه لا إله إلا الله زنة عرشه لا إله إلا الله عدد خلقه لا إله إلا الله ملأ سمواته لا إله إلا الله ملأ أرضه، لا إله إلا الله ملأ ما بينهما". (ابن بركان والديلمي عن ابن مسعود) .

١٩١٢ – "اذكروا الله عند كل شجر وحجر". (حم في الزهد عن عطاء بن يسار مرسلا) .

١٩١٣ – "اذكر الله حيثما كنت وخالق الناس بخلق حسن واتبع السيئه الحسنة تمحها". (ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي ذر) .

١٩١٤ – "اذكروا الله عباد الله، فإن العبد إذا قال: سبحان الله وبحمده كتبت له بها عشر ومن عشر إلى مائة ومن مائة إلى ألف ومن زاد زاده الله، ومن استغفر الله غفر الله له". (ابن شاهين عن ابن عمر) ورواه (خط) وزاد، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن أعان على خصومة بغير علم فقد باء

---

(١) كذا.." [1]

"٤٤٤٢ - (رحم الله والدا أعان ولده على بره) بتوفيته ما له عليه من الحقوق فكما أن لك على ولدك حقا فلولدك عليك حق فمتى كان الوالد غأويا جافيا جر ولده إلى القطيعة والعقوق

(أبو الشيخ [ابن حبان]) بن حيان (في) كتاب (الثواب عن علي) أمير المؤمنين وكذا عن عمر وقال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف." [2]

"الراء مع الضاد المعجمة

٤٤٤٠ - " رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد". (ت ك) عن ابن عمرو، والبزار عن ابن عمر.

(رضا الرب) على الولد. (في رضا الوالد) عليه فإذا رضي الوالد على ولده فالله راض عنه. (وسخط الرب في سخط الوالد) وذلك أنه تعالى أمر بإكرام الأب وطاعته فمن امتثل أمره تعالى رضي عنه ومن خالف أمره

---

(١) كنز العمال المتقي الهندي ٤٤٣/١

(٢) فيض القدير المناوي ٢٩/٤

غضب عليه، والحديث دليل أن العقوق كبيرة. (ت ك) (١) عن ابن عمرو) قال الحاكم: على شرط مسلم، (البزار عن ابن عمر) قال الهيثمي: فيه عصمة بن محمد متروك.

٤٤٤١ - "رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما". (طب) عن ابن عمرو (صح).
(رضا الرب في رضاء الوالدين، وسخطه في سخطهما) قال الزين العراقي: أخذ من عمومه أنه تعالى يرضى عنه وإن لم يؤد حقوق ربه أو بعضها إذا **كان الوالد** مسلما، قال الغزالي: وآداب الولد مع والده: أن يسمع كلامه ويقوم بقيامه ويمتثل أمره ولا يمشي أمامه ولا يرفع صوته فوق صوته ويلبي دعوته ويحرص على طلب مرضاته ويخفض له جناحه بالصبر ولا يمتن بالبر له ولا بالقيام بأمره ولا ينظر إليه شزرا ولا يقطب وجهه في وجهه. (طب) (٢) عن ابن عمرو) قال الهيثمي: فيه عصمة بن محمد أيضا متروك والمصنف رمزه بالصحة.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، والحاكم (٤/ ١٦٨)، والبزار (٢٣٩٤)، والبخاري في الأدب (٢)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٦).
(٢) لم أقف عليه من الكبير، وأخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (١/ ٣٢٨)، وانظر فيض القدير (٤/ ٣٣)، والمجمع (٨/ ١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٧).." [1]

"أنت؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل قال: وأين أصبت؟ قال: في أخوالي قال: ومن أخوالك؟ قال طيىء قال: ما اسم أمك؟
قال: سعدي فالتزمه وقال: ابن حارثة ودعا أباه فقال: يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر إليه عرفه قال: كيف صنع مولاك إليك؟ قال: يؤثرني على أهله وولده فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له حارثة: يا محمد أنتم أهل حرم الله تعالى وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير ابني عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنك ابن سيد قومه وإنا سنرفع إليك في الفداء ما أحببت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيكم خيرا من ذلك قالوا: وما هو؟ قال أخيره فإن اختاركم فخذوه بغير فداء وإن اختارني فكفوا عنه فقال: جزاك الله تعالى خيرا فقد أحسنت فدعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا زيد أتعرف هؤلاء؟ قال: نعم هذا أبي وعمي وأخي فقال عليه الصلاة والسلام: فهم من قد عرفتهم فإن اخترتهم فاذهب معهم وإن اخترتني فأنا من تعلم قال له

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٢٥٧/٦

زيد: ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا أنت معي **بمكان الوالد** والعم قال أبوه وعمه: أيا زيد أتختار العبودية؟ قال: ما أنا بمفارق هذا الرجل فلما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرصه عليه قال: اشهدوا أنه حر وأنه ابني يرثني وأرثه

فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه عليه الصلاة والسلام فلم يزل في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم فدعي زيد بن حارثة، وفي بعض الروايات أن أباه سمع أنه بمكة فأتاه هو وعمه وأخوه فكان ما كان هو أقسط عند الله تعليل للأمر والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى: اعدلوا هو أقرب للتقوى [المائدة: ٨] ، وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل والمراد به البالغ في الصدق فاندفع ما يتوهم من أن المقام يقتضي ذكر الصدق لا العدل أي دعاؤكم إياهم لآبائهم بالغ في العدل والصدق وزائد فيه في حكم الله تعالى وقضائه عز وجل.

وجوز أن يكون أفعل على ما هو الشائع فيه، والمعنى أعدل مما قالوه ويكون جعله ذا عدل مع أنه زور لا عدل فيه أصلا على سبيل التهكم فإن لم تعلموا أي تعرفوا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم أي فهم إخوانكم في الدين ومواليكم أي وأولياؤكم فيه فادعوهم بالأخوة والمولوية بتأويلهما بالأخوة والولاية في الدين، وبهذا المعنى قيل لسالم بعد نزول الآية مولى حذيفة وكان قد تبناه قبل، وقيل: مواليكم أي بنو أعمامكم، وقيل: معتقوكم ومحرروكم وكأن دعاءهم بذلك لتطييب قلوبهم ولذا لم يؤمر بدعائهم بأسمائهم فقط.

وليس عليكم جناح أي إثم فيما أخطأتم به أي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل النهي ولكن ما تعمدت قلوبكم أي ولكن الجناح والإثم فيما تعمدتموه بعد النهي على أن ما في محل الجر عطفا على ما من فيما أخطأتم وتعقب بأن المعطوف المجرور لا يفصل بينه وبين ما عطف عليه، ولذا قال سيبويه في قولهم ما مثل عبد الله يقول ذلك ولا أخيه: إنه حذف المضاف من جهة المعطوف وأبقى المضاف إليه على إعرابه والأصل ولا مثل أخيه ليكون العطف على المرفوع. وأجيب بالفرق بين ما هنا والمثال وأن لا فصل فيه لأن المعطوف هو الموصول مع صلته أعني ما تعمدت على مثله أعني ما أخطأتم أو ولكن ما تعمدتم فيه الجناح على أن ما في موضع رفع على الابتداء وخبره جملة مقدرة، ونسبة التعمد إلى القلوب على حد النسبة في قوله تعالى: فإنه آثم قلبه [البقرة: ٢٣٨] وكون المراد في الأول قبل النهي وفي الثاني بعده أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وقيل: كلا الأمرين بعد النهي والخطأ مقابل العمد، والمعنى لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وعدم التعمد كأن سهوتم أو سبق لسانكم ولكن الإثم عليكم إذا قلتم ذلك متعمدين، وأخرج ابن جرير، وابن

المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة أنه قال في الآية: لو دعوت رجلا لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس ولكن ما تعمدت وقصدت دعاءه لغير أبيه.." (١)

"تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء كما قيل فإن إتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ومعرفته عليه السلام لما أخبر به مما لم تدل عليه الرؤيا إما بفراسة، وكثيرا ما تصدق فراسة الوالد بولده كيفما **كان الوالد**، فما ظنك بفراسته إذا كان نبيا أو بوحي؟ وقد يدعي أنه استدل بالرؤيا على كل ذلك إن ربك عليم بكل شيء فيعلم من يستحق المذكورات حكيم فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته، والجملة استئناف لتحقيق الجمل المذكورة.

لقد كان في يوسف وإخوته [يوسف: ٢٢] أي في قصصهم، والظاهر أن المراد بالإخوة هنا ما أريد بالإخوة فيما مر، وذهب جمع إلى أنهم هناك بنو علاته، وجوز أن يراد بهم هاهنا ما يشمل من كان من الأعيان لأن لبنيامين أيضا حصة من القصة، ويبعده على ما قيل: قالوا الآتي آيات علامات عظيمة الشأن دالة على عظيم قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها، أو للطالبين للآيات المعتبرين بها فإنهم الواقفون عليها المنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى: وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون [يوسف: ١٠٥] فالمراد بالقصة نفس المقصوص، أو على نبوته عليه الصلاة والسلام الذين سألوه عن قصتهم حسبما علمت في بيان سبب النزول فأخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك على ما هو عليه من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، فالمراد بالقصة اقتصاصها، وجمع- الآيات- حينئذ قيل: للإشعار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل:

لتعدد جهة الإعجاز لفظا ومعنى، وزعم بعض الجلة أن الآية من باب الاكتفاء، والمراد آيات للذين يسألون والذين لا يسألون، ونظير ذلك قوله سبحانه: سواء للسائلين [فصلت: ١٠] وحسن ذلك لقوة دلالة الكلام على المحذوف، وقال ابن عطية: إن المراد من السائلين الناس إلا أنه عدل عنه تحضيضا على تعلم مثل هذه القصة لما فيها من مزيد العبر، وكلا القولين لا يخلو عن بعد.

وقرأ أهل مكة وابن كثير ومجاهد- آية- على الإفراد، وفي مصحف أبي- عبرة للسائلين- إذ قالوا ليوسف وأخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من جانبي الأم والأب وهي أقوى من الأخوة من أحدهما، ولم يذكروه باسمه إشعارا بأن محبة يعقوب عليه السلام له لأجل شقيقه يوسف عليه السلام، ولذا

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٤٦/١١

لم يتعرضوه بشيء مما أوقع بيوسف عليه السلام واللام للابتداء، ويوسف- مبتدأ وأخوه عطف عليه، وقوله سبحانه: أحب إلى أبينا منا خبر ومتعلق به وهو أفعل تفضيل من المبني للمفعول شذوذا ولذا عدي بإلى حسبما ذكروا من أن أفعل من الحب والبغض يعدى إلى الفاعل معنى بإلى وإلى المفعول باللام، وفي تقول: زيد أحب إلي من بكر إذا كنت تكثر محبته ولي وفي إذا كان يحبك أكثر من غيره، ولم يثن مع أن المخبر عنه به اثنان لأن أفعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر وما يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف إذا أريد تفضيله على المضاف إليه وإذا أريد تفضيله مطلقا فالفرق لازم، وجيء بلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده أي كثرة حبه لهما أمر ثابت لا شبهة فيه ونحن عصبة أي والحال إنا جماعة قادرون على خدمته والجد في منفعته دونهما، والعصبة والعصابة على ما نقل عن الفراء: العشرة فما زاد سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم أي تشد فتقوى.

وعن ابن عباس أن العصبة ما زاد على العشرة وفي رواية عنه أنها ما بين العشرة والأربعين، وعن مجاهد أنها من عشرة الى خمسة عشرة.." (١)

"أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فإنه يكون المحرم المذكور إذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة، وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو أخذ فلسا أو شيئا يسيرا من مال أحد والديه فإنه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبرا كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فإن أخذ مالا كثيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من الوالدين بذلك فإنه يكون كبيرة في حق الأجنبي فكذلك هنا لكن الضابط فيما يكون حراما صغيرة بالنسبة إلى غير الوالدين، وخرج بقولنا: ما لو فعله مع غير أحد الوالدين كان محرما نحو ما إذا طالب بدين فإن هذا لا يكون عقوقا لأنه إذا فعله مع غير الوالدين لا يكون محرما فافهم ذلك فإنه من النفائس، وأما الحبس فإن فرعناه على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وإن فرعنا على من ع حبسه المصحح عند آخرين فالحاكم إذا كان معتقده ذلك لا يجيب إليه ولا يكون الولد بطلب ذلك عاقا إذا كان معتقدا الوجه الأول فإن اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لاعسار ونحوه فإذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقا لأنه لو فعله مع غير والده حيث لا يجوز كان حراما، وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء، وقد شكا بعض ولد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينهه عليه الصلاة والسلام وهو الذي لا

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٦/٣٨١

يقر على باطل، وأما إذا نهر أحد والديه فإنه إذا فعل ذلك مع غير الوالدين وكان محرما كان في حق أحد الوالدين كبيرة وإن لم يكن محرما، وكذا أف فإن ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر أن يكونا من الكبائر وقولنا أو أن يخالف أمره ونهيه فيما يدخل منه الخوف إلخ أردنا به السفر للجهاد ونحوه من الأسفار الخطرة لما يخاف من فوات نفس الولد أو عضو من أعضائه لشدة تفجع الوالدين على ذلك،

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو في الرجل الذي جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد أنه عليه الصلاة والسلام قال له: أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد

،

وفي رواية ارجع إليهما ففيهما المجاهدة

،

وفي أخرى جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان فقال: ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما، وفي إسناده عطاء بن السائب لكن من رواية سفيان عنه.

وروى أبو سعيد الخدري أن رجلا هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل لك أحد باليمن؟ قال: أبواي قال: أذنا لك قال: لا قال: فارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما. ورواه أبو داود وفي إسناده من اختلف في توثيقه، وقولنا: ما لم يتهم الوالد في ذلك أخرجنا به ما لو **كان الوالد** كافرا فإنه لا يحتاج الولد إلى إذنه في الجهاد ونحوه، وحيث اعتبرنا إذن الوالد فلا فرق بين أن يكون حرا أو عبدا، وقولنا: أو أن يخالفه في سفر إلخ أردنا به السفر لحج التطوع حيث كان فيه مشقة وأخرجنا بذلك حج الفرض وإذا كان فيه ركوب البحر يجب ركوبه عند غلبة السلامة فظاهر الفقه أنه لا يجب الاستئذان ولو قيل بوجوبه لما عند الوالد من الخوف في ركوب البحر وإن غلبت السلامة لم يكن بعيدا، وأما سفره للعلم المتعين أو لفرض الكفاية فلا منع منه وإن كان يمكنه التعلم في بلده خلافا لمن اشترط ذلك لأنه قد يتوقع في السفر فراغ قلب وإرشاد أستاذ ونحو ذلك فإن لم يتوقع شيئا من ذلك احتاج إلى الاستئذان وحيث وجبت النفقة للوالد على الولد وكان في سفره تضييع للواجب فللوالد المنع، وأما إذا كان الولد بسفره يحصل وقيعة في العرض لها وقع بأن يكون أمرد ويخاف من سفره تهمة فإنه يمنع من ذلك وذلك في الأنثى أولى، وأما مخالفة أمره ونهيه فيما لا يدخل على الولد فيه ضرر بالكلية وإنما هو مجرد إرشاد للولد فلا تكون عقوقا وعدم المخالفة أولى اه كلام البلقيني «وذكر بعض المحققين» أن العقوق فعل ما يحصل منه لهما

أو لأحدهما إيذاء ليس بالهين عرفا. ويحتمل أن العبرة بالمتأذي لكن لو **كان الوالد** مثلا في غاية الحمق أو سفاهة العقل فأمر أو نهى ولده بما لا يعد مخالفته فيه في العرف عقوقا لا يفسق ولده بمخالفته حينئذ لعذره وعليه فلو كان متزوجا بمن يحبها فأمره بطلاقها ولو لعدم عفتها فلم يمتثل أمره لا إثم عليه، نعم الأفضل طلاقها امتثالا." (١)

"سعيد ابن ملا قطب الدين الشهيد السهالوي، وينتهي نسبه إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرته في رسالتي التي ألفتها في ترجمة الوالد المرحوم المسماة بحسرة العالم في وفاة مرجع العالم، وتراجم كثير من أجدادي وأعزتي مبسوطة في رسالتي "إنباء الخلان أنباء علماء هندوستان" فلتطلب منها.

وكانت ولادتي في بلدة باندا، حين **كان والدي** مدرسا بمدرسة النواب ذي الفقار الدولة المرحوم، في السادس والعشرين من ذي القعدة، يوم الثلاثاء، من السنة الرابعة والستين بعد الألف والمائتين.

واشتغلت بحفظ القرآن المجيد من حين كان عمري خمس سنين، وقرأت في أثنائه بعض كتب الإنشاء والخط وغير ذلك، وفرغت من الحفظ حين كان عمري عشر سنين، وصليت إماما في التراويح حسب العادة عند ذلك، وكان ذلك في جونفور، حين **كان والدي** المرحوم مدرسا بها في مدرسة الحاج إمام بخش المرحوم.

ثم شرعت عى حضرة الوالد في تحصيل العلوم، ففرغت من تحصيلها منقولا ومعقولا حين كان عمري سبع عشرة سنة، ولم أقرأ شيئا من كتب العلوم على غيره إلا كتبا عديدة من العلوم الرياضية قرأتها على خال والدي وأستاذه مولانا محمد نعمت الله ابن مولانا نور الله المرحوم، المتوفى في بنارس في المحرم سنة تسعين.

وقد ألقى الله في قلبي محبة التدريس والتأليف من بدء التحصيل، فصنفت الدفاتر الكثيرة في الفنون العديدة، ففي علم الصرف: ١ - "امتحان الطلبة في الصيغ المشكلة"، ٢ - ورسالة أخرى مسماة بجاركل، ٣ - و "التبيان في شرح الميزان"، وفي علم النحو: ٤ - "خير الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام"، ٥ - و "إزالة الجمد عن إعراب أكمل الحمد"، وفي المنطق والحكمة: ٦ - تعليقا قديما على حواشي غلام يحيى المتعلقة بالحواشي الزاهدية المتعلقة بالرسالة القطبية مسمى بهداية الورى إلى لواء الهدى، ٧ - وتعليقا جديدا عليه مسمى بمصباح الدجى في لواء الهدى، ٨ - وتعليقا أجد مسمى بنور الهدى لحملة

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٥٩/٨

لواء الهدى، ٩ - و "التعليق العجيب لحل حاشية الجلال الدواني على التهذيب"، ١٠ - و "حل المغلق في بحث المجهول المطلق"، ١١ - و "الكلام المتين في تحرير البراهين" أي براهين إبطال." [١]

"كذا، وطريقة المشايخ كذا. فإن طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك إلا أنه يقول نشأت على هذا، وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج، ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة. فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له: ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم الغفير وقد أنكر بعض العلماء على الإمام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فكيف يحتج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع "عصر صاحب المدخل" مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والأعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال. انتهى كلامه.

وفي الحديث الصحيح "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن" ١.

١٧- ما يجب على العالم إذا خالط العامة:

ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة حال مجالستهم في بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ويزيد بيانا للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسأل عن شيء من العلم وهو يعلم أنهم محتاجون إليه ومضطرون له فإن علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال، والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علما وعملا فلا ينبغي للعلماء

---

١ حديث صحيح، مخرج في "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري، وله شاهد قوي من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه. أخرجه ابن ماجه "٣٩٩٤" وأحمد "٢: ٤٥٠: ٥٢٧" بإسناد حسن، وصححه الحاكم "١: ٣٧" على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وله في "المسند" "٢: ٣٢٧" طريق أخرى عن أبي هريرة وإسناده صحيح على شرط مسلم.." [٢]

"التفكر بأن من قدر على الإنشاء لا تعبيه الإعادة بل هو على الإعادة أقدر «من خلق جديد ١٥» بعد الموت، وقيل إن هذه الآية عامة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهي أن الله تعالى يعدم كل موجود

---

(١) التعليق الممجد على موطأ محمد اللكنوي، أبو الحسنات ١/١١٠

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد القاسمي ص/٣٨

في كل لحظة ويحييه وهذا معنى التجدد، وأما في الآخرة فإنه يحيي من أماته إلى الحساب والجزاء ولا يعظم هذا على الله، كيف وهو يقول «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه» من الخطرات والهواجس الحادثة الآن والتي ستحدث بعد في قلبه، لا يخفى علينا شيء من ضمائره، وكيف تخفى علينا «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ١٦» العرق الذي يجري فيه الدم المتصل بكل جزء من أجزاء الإنسان، وهو بين الحلقوم والمري، ولذلك سمي وريدا، واذكر لهم يا محمد «إذ يتلقى المتلقيان» الملكان الموكلان بكل نفس يكتبان ما تعمل من الخير والشر ويحفظانه إلى يوم الحساب أحدهما «عن اليمين» يكتب الحسنات «وعن الشمال» الآخر يكتب السيئات «قعيد ١٧» كل منهما بمحله لا يفارقه طرفة عين، وقد اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كقوله:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن أجل الهوان رماني

أي **وكان والدي** بريئا. وقوله:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف أي نحن راضون، وهنا يكون عن اليمين قعيد أيضا إذ الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وبالعكس من أبواب البلاغه وسمي احتباكا وهو فضلا عن أنه لا يخل بالمعنى فلا يخفى على بصير، ولفظ قعيد يدل على الملازمة فهو أبلغ من قاعد ولهذا قال تعالى «ما يلفظ من قول» يقوله الإنسان «إلا لديه رقيب» يراقبه لا يبرح عنه «عتيد ١٨» تهيأ لتدوين ما يخرج من فيه، وهذان الملكان لا يفارقان الإنسان إلا عند الغائط والجماع، ولذلك يكره الكلام في هاتين الحالتين لئلا يؤذيهما في كتابة ما يقع منه فيهما لأنهما لا يهملان شيئا حتى أنينه في المرض ليثيبه الله عليه. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:." [(١)]

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى آله وأصحابه الغز الميامين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم للدين، " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ".

أما بعد، فهذا هو المجلد السادس من "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة"، وسيليها قريبا إن شاء الله المجلد السابع، وكنا قد استلمنا أصولهما من الوالد الكريم منذ ثلاث سنوات تقريبا، وهيأنا له تجربة من كل منهما ليطلع عليهما ويراجعهما ويبدي ملاحظاته الأخيرة، كدأبه في كل مؤلفاته التي تأخذ طريقها نحو للطبع، **وكان الوالد** أثناءها منكبا بهمة وجلد عجيبين على المراجعة الأخيرة

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ١/٢٦٠

لـ " صحيح الترغيب وللترهيب " و " ضعيفه "- حتى أتمهما والحمد لله- ثم فاجأه المرض، ونال منه ما نال، واستمر به بين شدة واستقرار، وكان- شفاه الله وقواه، ومتعنا به ومتعه بقواه- يستغل كل وقت يجد في نفسه شيئا من قوة لينصرف إلى متابعة عمله في التحقيق والتأليف، وكنت آنست منه فترة طيبة من نشاط وهمة، فعرضت عليه أن يطلع على المئة الأولى من هذا المجلد قدر استطاعته، ولو كان يسيرا، فقام- والحمد لله- بمراجعتها كما يفعل دائما ودائما في مدد لا ينتهي مهما قدمنا له من تجارب متتابعة، ومده الله بتوفيقه، وبارك له في وقته، فأضاف عليها إضافات هامة، وهكذا ... كلما أنهى مئة أعطيته التالية حتى أتم هذا المجلد، ثم بدأ بالمجلد للسابع حتى وقف عند بداية المئة للرابعة، ولا زلت أنتظر فرصة ليتمه كاملا- إن شاء الله- وقد رافق ذلك الجهد فترات من ضعف وقوة، كنا بين مشفقين عليه داعين له بالشفاء والعافية، وبين مغتبطين لعمله وممارسته له؛ لعلمنا بشغفه به وإخلاصه له.

ثم زاده المرض وهنا- جعله الله طهورا- فانقطع فترة، رغم أنه ما فتىء يحاول الاستفادة من أي سانحة يجد فيها بعض النشاط- حتى لو كانت خمس دقائق، لا بل حتى لو كانت جملة أو كلمة كان قد وقف عندها، فيجلس ليتمها- متحاملا على ضعفه وأوجاعه ...." (١)

"السؤال (٥٠) : فضيلة الشيخ، ما هو الطاغوت، وما هي اشتقاقاته؟

الجواب: الطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: (إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية) (الحاقة: ١١) ، يعني لما زاد عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية، يعني في السفينة، وأحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم رحمه الله "أنه- أي الطاغوت- كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع".

فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، والعلماء - علماء السوء- الذين يدعون إلى الضلال من الطواغيت أيضا، الذي يدعون إلى البدع، وإلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو يزينون لولاة الأمور الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، لأن العلماء حقيقة هم ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علما وعملا وأخلاقا ودعوة وتعليما، فإذا تجاوزوا هذا الحد، وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت، لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ناصر الدين الألباني ٣/٦

وأما المطاع في قوله رحمه الله" أو مطاع"، فيريد بهم الأمراء الذين يطاعون شرعا أو قدرا، فالأمراء يطاعون شرعا إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله، فهم يطاعون هنا شرعا، كما يطاعون قدرا، فإن الواجب على الرعية إذا أمر ولي الأمر بأمر لا يخالف أمر الله الواجب عليهم السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمور في هذه الحال، وبهذا القيد طاعة لله عز وجل، ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمرت به الدولة مما تجب طاعتها فيه، أن نلاحظ أننا بذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل، وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك، لأن الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء: ٥٩) .

وأما طاعة الأمراء قدرا فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم، إن الناس يطيعونهم بقوة السلطان، وإن لم يكن بوازع الإيمان لأن طاعة ولي الأمر قد تكون بوازع الإيمان، وهذه هي الطاعة النافعة لهم أي لولاة الأمور، والنافعة للناس أيضا، وقد تكون طاعة ولاة الأمور برادع السلطان، بحيث يكون السلطان قويا يخشى الناس منه ويهابونه، لأنه ينكل بمن خالف أمره، ولهذا نقول: إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة ينقسمون إلى أقسام:

فتارة: يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني، وهذه أكمل المراتب وأعلاها، وتارة يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني، وهذه أدنى المراتب وأخطرها على المجتمع، على حكامه وعلى محكوميه، لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني، صارت الفوضى الفكرية والخلقية والعملية. المرتبة الثالثة: أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني، وهذه مرتبة وسطى، ينظر فيها أيها أكمل مما إذا قوي الرادع السلطاني وضعف الوازع الإيماني، فإنه في المظهر إذا قوي الرادع السلطاني يكون أصلح للأمة، لكن الأمة إذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حالها، وسوء عملها، لأن الوازع الإيماني ضعيف، أما إذا قوي الوازع الإيماني وضعف السلطاني فقد يكون المظهر أدنى من المظهر في المرتبة الأخرى، لكنه فيما بين الإنسان وبين ربه إذا اختفى الرادع السلطاني يكون أصلح.

على كل حال هذه مراتب أربع: قوة الإيمان والسلطان وضعف الإيمان والسلطان، وقوة الإيمان وضعف السلطان وضعف الإيمان وقوة السلطان.

فالمهم أننا نقول: أنه ينبغي لنا عند تنفيذ أوامر السلطان أن نعتقد أننا بذلك نقترب به إلى الله عز وجل، وإنما قال ابن القيم: " إن الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، لأن الأمير أو ولي الأمر الذي يطاع قد يأمر بما يخالف أمر الله ورسوله، فإذا أمر بما يخالف أمر الله ورسوله فإنه لا

سمع له ولا طاعة، ولا يجوز لنا أن نطيعه في معصية الله سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى جعل طاعتهم تابعة أو جعل طاعتهم تابعة لطاعة الله ورسوله كما يفهم من سياق الآية: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء: ٥٩) ، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر، فدل هذا على أن طاعتهم غير مستقلة، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الطاعة بالمعروف أو في المعروف، أي فيما أقره الشرع، وأما ما أنكره فلا يجوز أن يطاع فيه أي مخلوق، حتى لو **كان الوالد** أو الوالدة يأمرانك بمعصية الله، فإنه لا يحل لك أن تطيعهما، لأن طاعة الله مقدمة على كل طاعة، فإذا أطاع الإنسان أميره أو ولي أمره في معصية الله فقد تجاوز به حده.

عقيدة المسلمين في عيسى." (١)

"وفي قوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) استعارة. والمراد: أنه سبحانه أرسل البحرين طاميين، وأمارهما مائعين، وهما يلتقيان بالمقاربة، لا بالممازجة، فبينهما حاجز يمنعهما من الانحراف، ويصدهما عن الاختلاط.

ومعنى قوله تعالى: لا يبغيان (٢٠) أي لا يغلب أحدهما على الاخر، فيقلبه إلى صفته، لا الملح على العذب، ولا العذب على الملح. وكنى تعالى بلفظ البغي، عن غلبة أحدهما على صاحبه. لأن الباغي، في الشاهد، اسم لمن تغلب من طريق الظلم بالقوة والبسطة، والتطاول والسطوة.

وقد مضى الكلام على مثل هذه الاستعارة في ما تقدم. إلا أن فيها هاهنا زيادة، أوجبت إعادة ذكرها.

وفي قوله سبحانه: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (٢٧) استعارة. وقد تقدم الكلام على نظيرها. والمراد:

وتبقى ذات ربك وحقيقته. ولو كان محمولا على ظاهره، لكان فاسدا مستحيلا، على قولنا وقول المخالفين.

لأنه لا أحد يقول من المشبهة والمجسمة، الذين يثبتون لله سبحانه أبعاضا مؤلفة، وأعضاء مصرفة، إن وجه الله سبحانه يبقى، وسائره يبطل ويفنى. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ومن الدليل على أن المراد بوجه الله هاهنا، ذات الله، قوله سبحانه: ذو الجلال والإكرام (٢٧) ألا ترى أنه سبحانه، لما قال في خاتمة هذه السورة: تبارك اسم ربك قال: ذي الجلال والإكرام (٧٨) ولم يقل (ذو)

---

(١) فقه العبادات للعثيمين ابن عثيمين ص/٧٢

لأن اسم الله غير الله، ووجه الله هو الله، وهذا واضح البيان، وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم. وفي قوله سبحانه: سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١) استعارة. وقد **كان والدي** الطاهر الأوحد، ذو المناقب، أبو أحمد الحسين «١» ، ابن موسى

---

(١) . كان نقيب الأشراف في بغداد، وهو والد الشريفين: الرضي، والمرتضى، وقد تعرض للقبض عليه من قبل عضد الدولة بن بويه سنة ٣٦٩ هـ ثم أطلقه ابنه شرف الدولة ابن بويه، وعزل عن النقابة سنة ٣٨٤ هـ ثم أعيد إليها سنة ٣٩٤ هـ وأضيف إليه الحج والمظالم، فلم يزل على ذلك، الى أن توفي ضريرا سنة ٤٠٠ هـ، فرثاه ولداه كما رثاه أبو العلاء المعري، ومهيار الديلمي، وجماعة من الشعراء.." [1]

"﴿والذين عقدت أيمنكم فئاتوهم نصيبهم﴾ وقرأ الكوفيون: عقدت بتخفيف القاف من غير ألف، وشدد القاف حمزة من رواية علي بن كبشة، والباقون عاقدت بألف، وجوزوا في إعراب الذين وجوها. أحدها: أن يكون مبتدأ والخبر فآتوهم. والثاني: أن يكون منصوبا من باب الاشتغال نحو: زيدا فاضربه. الثالث: أن يكون مرفوعا معطوفا على الوالدان والأقربون، والضمير في فآتوهم عائد على موالي إذا **كان** **الوالدان** ومن عطف عليه مروثين، وإن كانوا وارثين فيجوز أن يعود على موالي، ويجوز أن يعود على الوالدين والمعطوف عليه. الرابع: أن يكون منصوبا معطوفا على موالي قاله: أبو البقاء، وقال: أي وجعلنا الذين عاقدت وراثا، وكان ذلك ونسخ انتهى. ولا يمكن أن يكون على هذا التقدير الذي قدره أن يكون معطوفا على موالي لفساد العطف، إذ يصير التقدير: ولكل إنسان، أو: لكل شيء من المال جعلنا وراثا. والذين عاقدت أيمانكم، فإن كان من عطف الجمل وحذف المفعول الثاني لدلالة المعنى عليه أمكن ذلك، أي جعلنا وراثا لكل شيء من المال، أي: لكل إنسان، وجعلنا الذين عاقدت أيمانكم وراثا. وهو بعد ذلك توجيه متكلف، ومفعول عاقدت ضمير محذوف أي: عاقدتهم أيمانكم، وكذلك في قراءة عقدت هو محذوف تقديره: عقدت حلفهم، أو عهدهم أيمانكم. وإسناد المعاقدة أو العقد للإيمان سواء أريد بها القسم، أم الجارحة، مجاز بل فاعل ذلك هو الشخص.

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض وبمآ أنفقوا﴾ والباء في بما للسبب، وما مصدرية أي: بتفضيل الله. ومن جعلها بمعنى الذي فقد أبعد، إذ لا ضمير في الجملة وتقديره محذوفا مسوغ لحذفه، فلا يجوز.

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين ١٠٦/٩

وبما أنفقوا من أموالهم: معناه عليهن، وما: مصدرية، أو بمعنى الذي، والعائد محذوف فيه مسوغ الحذف.." (١)

"سبب تأليفه:

وقبل أن تعرف سبب تأليف هذا الكتاب ينبغي أن تنظر إلى أصل القضية، وهو سبب اتجاه مؤلفه هذا الاتجاه العلمي، وهو سبب هام جدا لم أر فيما قرأت من أشار إليه من أن المؤلف نفسه يذكره نصا في تفسيره لهذا، ولأنه القاعدة التي أحسب أن يقوم عليها أصحاب التفسير العلمي التجريبي المتطرفون منهم خاصة؛ فإني رأيت أن أنقل هذا النص بطوله، فلعل فيه بيانا لسبب اتجاه صاحبه وغيره ... قال:

"كنت في أول أمري مجاورا بالجامع الأزهر، ثم قامت الحوادث العرابية ودخل الإنجليز بلادنا؛ فانقطعت ثلاث سنين عن العلم، وكنت في أثناء ذلك أزاول الأعمال الزراعية بيدي مع من يزرعون، وقد اعتراني مرض طويل في المعدة لازمني، وقد **كان والدي** في مرض أيضا، وفوق ذلك كله كنت أفكر في هذه الدنيا وأقوال: يا ليت شعري، ألها خالق؟ وهل الأنبياء كلموه؟ إني لا أصدق إلا إذا عرفت أنا بنفسي ولا أتكل على أحد.

إن هذه الطرق الحديدية تجري عليها القطارات وليست من صنع المسلمين، فيا ليت شعري، ماذا يقول الفرنجة الذين صنعوها؟ هل لهذا العالم إله؟ أنا لا أصدق إلا إذا عرف عقلي. إن هذا العالم ليس فيه شيء من النظام. إنه مبعثر. إنه مختل معتل. إنني أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحبات من الذرة توضع في الأرض، وهذا الماء الجاري فيها، وهذه المحاريث التي تشق الأرض، كل ذلك غير متناسب ولا منتظم؛ فالمرأة واقفة والرجل كذلك، والمحراث ممتد مستطيل من الأرض إلى أعلى، كأنه زاوية والثوران رءوسهما إلى أمام، والرجال والنساء رءوسهم إلى أعلى، والماء يجرى على الأرض لا يرفع رأسه مثلهما، فهذه الدنيا مضطربة مرتبكة مختلفة، لا أرى فيها نظاما ولا أحكاما، وإذا فقد النظام والأحكام فلا إله خالق إن هي إلا أحوال متغيرة وأمور مبعثرة، ولدها الاتفاق، وأظهرتها المصادفات.

فلما أحسست بهذه الخواطر، رجعت إلى نفسي وقلت: إن العلماء في الدين يقولون: إننا ننظر للعالم العلوي والسفلي، فهأنا ذا نظرت فلم أجد إلا خللا، ولم أزدد إلا شكا؛ فلم يبق عندي أمل إلا في أمر واحد؛ وهو أن أوجه قلبي إلى من صنعني، فإن كان موجودا." (٢)

---

(١) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٢٦٤/٣

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فهد الرومي ٦٤٠/٢

"قال: من أنفسهم؟ قال: لا. قال: فحر أنت أم مملوك؟ قال: بل مملوك.

قال: لمن؟

قال: لمحمد بن عبد المطلب. فقال له: أعرابي أنت أم أعجمي؟ قال: عربي.

قال: ممن أهلك؟.

قال: من كلب. قال: من أي كلب؟ قال: من بني عبدون. قال: ويحك ابن من أنت؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل. قال: وأين أصبت؟ قال: في أخوالي. قال:

ومن أخوالك؟ قال: طيء. قال: ما اسم أمك؟ قال: سعدى. فالتزمه وقال: ابن حارثة! ودعا أباه قال: يا حارثة هذا ابنك، فأتاه حارثة، فلما نظر إليه عرفه، كيف صنع مولاك إليك؟ قال: يؤثرني على أهله وولده، ورزقت منه حبا فلا أصنع إلا ما شئت، فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له حارثة: يا محمد أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، ابني عبدك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فإنك ابن سيد قومه، وإنا سندفع إليك في الفداء ما أحببت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيكم خيرا من ذلك؟» قالوا: وما هو؟ قال: «أخيره، فإن اختاركم فخذوه بغير فداء، وإن اختارني فكفوا عنه» .

فقالوا: جزاك الله خيرا فقد أحسنت.

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا زيد أتعرف هؤلاء» ؟ قال: نعم. هذا أبي وعمي وأخي.

فقال عليه الصلاة والسلام: «فهم من قد عرفتهم، فإن اخترتهم فاذهب معهم، وإن اخترتني فأنا من تعلم» .

فقال زيد: ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا، أنت معي **بمكان الوالد** والعم.

قال أبوه وعمه: أيا زيد أتختار العبودية؟ قال: ما أنا بمفارق هذا الرجل.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه قال: «اشهدوا أنه حر، وأنه ابني يرثني وأرثه» .

فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد عليه صلى الله عليه وسلم، فلم يزل في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ادعوهم لآبائهم فدعي زيد بن حارثة.

هو أقسط عند الله أي دعاؤهم لآبائهم، ونسبتهم إليهم بالغ في العدل والصدق، وزائد فيه في حكم الله تعالى وقضائه. فأفعل التفضيل ليس على بابه، بل قصد به الزيادة مطلقا، ويجوز أن يكون على بابه، جاريا

على سبيل التهكم بهم.

فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين أي فهم إخوانكم في الدين ومواليكم." (١)

"يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ [غافر: ٦٧] .

ومع الضعف يكون الشيب والدعاء غالبا، قال تعالى: ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ [مريم: ٤] ، والشيخوخة هي الثمرة الحقيقية لمرحلة الكهولة، فإن كانت الكهولة صالحة فينسحب عليها الصلاح ليصير الشيخ صالحا، يعرف ربه حق المعرفة، ويمتلئ قلبه بالرحمة والعطف والحنان والشفقة، والخوف من الله -عز وجل، والوجل من عذابه، وفي الأثر: "لولا الأطفال الرضع والشيوخ الركع لصببنا عليكم العذاب صبا"، وإن كانت الكهولة فسادا وهوى، وضلالا وتيها، فإن ذلك ينسحب على الشيخوخة، فيكون صاحبها في نقمة وعذاب، وقلق وآلام، وربما يبلغ أرذل العمر بلاء واختيارا ومحنة له، قال تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾ [يس: ٦٨] .

والشيخوخة أشد ما تحتاج إلى البر بالوالدين فيها، وضرورة الطاعة لهما، قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] ، فإن كان الوالدان في حاجة إلى النفقة والمال وجبت لهما، وإن كانا أغنياء، أهداهما وحقق لهما المطالب المحببة إلى نفوسهما من حين لآخر، وقد جعل الإسلام سعي الرجل على أبويه الشيخين الكبيرين ضربا من الجهاد في سبيل الله، فقال -صلى الله عليه وسلم: "ألك أبوان كبيران؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد"،." (٢)

"قال: اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة (١) ، وكان والدي محسوبا من أهل حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعمل المنطق في ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان (٢) ، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم من النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ

---

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس محمد علي السايس ص/٦٢٦

(٢) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية علي علي صبح ص/٢٥٥

الإنجيل ولغته ملازما ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهي مدينة كبيرة جدا، وهي مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف الذي هو صباغ الله، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل) ، وكانت منزلته فيهم في العلم والدين والزهد رفيعة جدا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك.

فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامه، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني من أخص خواصه، وانتهيت في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفع إلى مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه، وصير جميع ذلك على يدي، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تهدى إليه، والله أعلم.

فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يوما من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس إقرائه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله عز وجل - على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل -: (إنه يأتي من بعده نبي اسمه (البارقليط) (٣) ، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه، وعظم مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة، فأتيت مسكن القسيس، فقال: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم في اسم (البارقليط) وسردت له أجوبتهم، فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل. فقال لي: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا علي بمعرفة هذا الاسم.

فبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي، والله أنت لتعز علي كثيرا من أجل خدمتك لي وانقطاعك إلي، في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك، فتقتلك عامة النصارى في الحين. فقلت له: يا سيدي، والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به، لا أتكلم بشيء مما تسره إلي إلا عن أمرك.

فقال لي: إذن فاعلم يا ولدي أن البارقليط هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه نزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل.

فقلت: وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول، لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا.

---

(١) جزيرة في البحر الأبيض جنوب أسبانيا وتابعة لها (انظر تحفة الأريب، ص:٦١)

(٢) وهي مدينة في الأندلس (انظر تحفة الأريب، ص:٦٣) .

(٣) انظر: إنجيل يوحنا (١٥:١٤-١٧) ، والكلمة فيه (باركليتكس) وترجمتها في النسخة العربية (المعزي) ، والصحيح أن معناها (كثير الحمد) انظر تحفة الأريب (ص:٦٦،٢٦٧) .." [1]

"دل على أن المراد بهن الأمهات الزوجات.

ج - وقال آخرون: المراد بالوالدات العموم أي جميع الوالدات سواء كن مزوجات أو مطلقات، عملا بظاهر اللفظ فهو عام ولا دليل على تخصيصه وهو اختيار القاضي أبو يعلى، وأبو سليمان الدمشقي مع آخرين، ولعل هذا القول هو الأرجح وقد ذهب إليه أبو حيان في «البحر المحيط» .

الحكم الثاني: هل يجب على الأم إرضاع ولدها؟

ذهب بعض العلماء إلى أنه يجب على الأم إرضاع ولدها لظاهر قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ فهو أمر في صورة الخبر أي: (ليرضعن أولادهن) .

وهذا مذهب مالك أن الرضاع واجب على الأم في حال الزوجية فهو حق عليها إذا كانت زوجة، أو إذا لم يقبل الصبي ثدي غيرها، أو إذا عدم الأب، واستثنوا من ذلك الشريفة بالعرف، وأما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها، والرضاع على الزوج إلا أن تشاء هي إرضاعه فهو أحق، ولها أجرة المثل.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأمر هنا للندب، وأنه لا يجب على الوالدة إرضاع ولدها إلا إذا تعينت مرضعا بأن كان لا يقبل غير ثديها، أو **كان الوالد** عاجزاص عن استئجار ظئر (مرضعة) ترضعه، أو قدر ولكنه لم يجد الظئر، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ [الطلاق: ٦] ولو كان

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم = الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين عبد المحسن المطيري ص/

الإرضاع واجبا لكلفها الشرع به، وإنما ندب لها الإرضاع لأن لين الأم أصلح للطفل، وشفقة الأم عليه أكثر.." (١)

"هذا يقول: هل يلزم الحجج من الرجال والنساء زيارة المسجد النبوي؟ وما قولكم بمن يلزمون الحجاج بزيارة بعض المساجد؟

لا، لا يلزم زيارة المسجد النبوي، وإنما لو زاره لكان حسنا؛ لأنه إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد، وهو منها، وأما غيرها من المساجد فلا تشد الرحال إليها، ولا تشرع زيارتها.

هذه من مصر تقول: كيف يكون الحجاب بالنسبة للمحرمة؟ فالبعض يكشفه كله لقوله -عليه الصلاة والسلام-: ((لا تنتقب المرأة)) والبعض الآخر بعكس ذلك، نرجو بيان هذا الأمر لأهميته، وكثرة الجهل في مثل هذا؟

على كل حال إذا لم تكن بحضرة الرجال الأجانب تكشف كما لو كانت في بيتها، وإذا كانت في حضرة الرجال الأجانب لا بد من تغطيته، لا بد من تغطيته بأي غطاء غير ممنوع كالنقاب إنما تغطيه بما يستره.

ما حكم الأضحية؟

الأضحية عند عامة أهل العلم جماهير أهل العلم سنة مؤكدة، وقيل بوجوبها.

الوكيل في ذبح الأضحية هل له أن يأخذ من شعره وأظفاره؟

له ذلك؛ لأنه لم يضح.

وإذا **كان والدي** يضحي عنا هل فقط هو يمسك عن أظفاره وشعره أم أنه يجب على الجميع من يضحى عنه أن يمسك كذلك؟

المسألة خلافية عند أهل العلم، والأحوط الإمساك؛ لأن من ضحي عنه فقد ضحى، كما أن من حج به فقد حج.

يقول: ما هو أفضل كتاب يذكر فيه الفروق بين حرم مكة وحرم المدينة أفيدونا؟

تواريخ مكة وتواريخ المدينة ذكرت فيها هذه الفروق.

بعض العلماء يجيزون ذهاب المرأة في الحج بدون محرم مع الرفقة من بنات جنسها، فما قولكم؟

لا يجوز للمرأة أن تحج بلا محرم، وهو زوجها أو من تحرم عليه على التأبيد، ولا يكفي في ذلك رفقة من النساء، ولا أمن الفتنة ولا غير ذلك، إنما لا بد من محرم، وإذا لم يوجد المحرم لم يتجه الوجوب بالنسبة

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني ١/٣٥٣

لها.

طالب:. . . . .

لا، لا، لا تستطرد، الله يهديك.

طالب:. . . . .

لا، لا، أولا: المعتمد أنها ليست بواجبة، وننفك من هذا الإيراد.." (١)

"حقوق والدي الزوج على الزوجة

وكما أن على الزوج أن يحفظ حق والد الزوجة، كذلك على الزوجة الصالحة أن تحفظ حق والدي الزوج، وأن تعي وتدرك أن حنان الوالدين وأن ما في قلبي الوالدين من الرحمة والصلة بالولد فوق الخيال وفوق التصور، فينبغي أن تقدر هذه العاطفة، وأن تقدر هذه الرحمة التي قذفها الله في قلب الوالد والوالدة، ولا يكون هناك ما يبعث على الغيرة أو على قطع الولد عن والديه، ولتكن على علم أنها إذا أرادت أن يبارك الله لها في زوجها وأن يقر عينها به فلتعنه على بر والديه، وإذا **كان والدي** الزوج بحاجة إلى قرب الولد أن تكون قريبة منهما، وأن تقابلهما بالمحبة والإجلال والوفاء، ولقد أباح الله وجعل والد الزوج محرما لزوجة ابنه، حتى يحصل التواد والتراحم والتواصل، وتنظر المرأة لوالد زوجها وكأنه والد لها، فتشفق عليه، وترعى أموره، وتحسن إليه، وكذلك لوالدته.

وأكثر ما تقع المشاكل بين الزوجات والأمهات، والسبب في ذلك واضح وهو: أن أبلغ الحنان وأكمل ما تكون الرحمة من أمة لعبد أو من عبد لعبد أو من أمة لأمة إنما هو حنان الأم لولدها، ولا تلام في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم لما دمعت عيناه على ابنه إبراهيم قيل: (ما هذا يا رسول الله؟ قال: رحمة أسكنها الله في قلوب عباده) ، فالله أسكن في قلب الأم رحمة تحن بها إلى ولدها، وتصبح فارغة الهم إلا من ولدها، فما على الزوجة إلا أن تقدر ذلك، فإذا انطلقت من منطلق الغيرة أو وسوسة الشيطان لها بالوساوس والخطرات قطعت الوالدة عن ولدها، وقطعت الزوج عن أمه وأبيه، وعندها تتأذن بسخط الله -والعياذ بالله- وغضبه.

الله أعلم كم من قلب أم تقرح بسبب أذية الزوجة وإضرارها، وكم من عين بكت ودمعت بسبب ظلم الزوجة وأذيتها لوالد الزوج، الله الله! على المرأة المؤمنة أن تخاف الله وتتقيه، وإذا كانت تعين بعلها على الظلم وعلى القطيعة فلتعلم أنه سيأتي يوم يؤذنها الله هي وبعلها بالعقوبة، فالعقوق لا خير فيه، وإنه من الذنوب

---

(١) شرح منسك شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الكريم الخضير ٤/ ٢٥

التي يعجل الله به العقوبة، ويقول بعض العلماء: (إذا كانت المرأة تعين زوجها على عقوق الوالدين فإنها تجمع بين ذنبين وبين إساءتين، الذنب الأول: أنها شريكة له في عقوق الوالدين، والعياذ بالله! والذنب الثاني: أنها قاطعة للرحم) وجاء في الخبر أنه: (ما من ذنب أحرى أن تعجل عقوبته في الدنيا، مع ما ادخره الله لصاحبه من عقوبة في الآخرة من قطعية الرحم) ، فقطيعة الرحم عذابها عاجل؛ ولذلك قال الله في كتابه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد:٢٢-٢٣] ، يقول بعض العلماء: (من قطع رحمه ختم الله على قلبه، فمهما مرت عليه المواعظ ومرت عليه الآيات فلا يتعظ) ، نسأل الله السلامة والعافية! ولو اتعظ يتعظ إلى حين، ولذلك كان بعض العلماء: إذا اشتكى أحد من قسوة القلب سأله، وقال له: كيف أنت والرحم؟ فالمرأة التي تعين بعلها على قطيعة الرحم وعقوق الوالدين قاطعة لرحمها، لا تخاف الله عز وجل في زوجها، ولا تخاف الله في رحمها، وإذا كانت المرأة ترى من والدي الزوج أمورا توجب لها أن تضر بوالدي الزوج فما عليها إلا أن تبذل كل ما تستطيع بالصبر واحتساب الأجر، وعليها أن تسأل العلماء حتى تعلم ما الذي يجب عليها فعله، ففي بعض الأحيان يتدخل والد الزوج ووالدته أو يتدخل والد الزوجة ووالدتها في شئون البيت، الأمر الذي يحدث النفرة من الزوج أو يحدث النفرة عند الزوجة.

والواجب في مثل هذه المواقف أن ينظر الزوج والزوجة إلى المفاسد، فإن وجد الزوج مفسدة تدخل والدي الزوجة أعظم من مفسدة إبعادها عنهما، فحينئذ يبعدها عن والديها، ويأذن لها بالزيارة في حدود ضيقة، حتى تصلها وتقوم بحق البر مع الأمن من الأذية والإفساد والإضرار، وكذلك أيضا إذا كان والدا الزوج يتدخلان في شئون الزوجة وفي شئون البيت بالإفساد والإضرار والأذية فالمرأة مخيرة بين أمرين: إما أن تصبر وتحتسب الأجر، فهذا أحسن وأفضل وأكمل، وإما أن تنظر إلى المفاسد، فإن غلبت مفسدة التدخل سألت زوجها أن يبعدها عن والديه.

وعلى الأزواج أن يتقوا الله في زوجاتهم، فإذا نظروا أن تدخل الوالدين في شئون البيت يحدث للمرأة أذية وإضرارا لا يسعها الصبر عليهما فعلى الزوج أن يتق الله في زوجته، وأن ينصفها من أهله ووالديه، وإذا قام بإبعاد زوجته عن والديه فلا يعد عاقا لوالديه، ولو سكن بعيدا عن والديه في هذه الحالة المشتملة على الإضرار والأذية، مع تفقد الوالدين؛ لأن الله عز وجل لا يأمر بالظلم ولا يرضى به، فلا يأمر الله عز وجل بالظلم، فيقال للرجل: أبق هاهنا إرضاء لوالديك، والوالدان سوطا عذاب على المرأة في أذية وإضرار وظلم وإجحاف، والعكس كذلك.

وعليهما -على الزوج والزوجة- أن يتقي الله كل منهما في الآخر، وأن ينظر للأمور بمنظارها الشرعي، من حيث ترتب المفاسد ووجود المصالح، وإذا كانت المرأة ترى المفاسد عظيمة واختارت الصبر، فهذا أفضل وأعظم أجرا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر:١٧-١٨] ، قالوا: أحسنه أي: أحسن القرآن؛ لأن القرآن فيه حسن وفيه أحسن، فحسن القرآن أن ترد المرأة الإساءة بالإساءة، والرجل يرد الإساءة بالإساءة؛ ولكن الأحسن أن يرد الإساءة بالإحسان؛ وذلك لمن قال الله عنه: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت:٣٥] هذا من جهة والدي الزوجة ووالدي الزوج.." [١]

"حكم امتناع الولد عن إعطاء والده من ماله الخاص

Q أثابكم الله، فضيلة الشيخ هذا سائل يقول: هل يعد امتناع الولد عن إعطاء والده من المال الذي يجمعه لحاجة ضرورية، خاصة إذا كان والده ليس في حاجة ضرورية، وإنما لإيجاد كماليات؟ هل يعد هذا من العقوق؟

A إذا **كان الوالد** يسأل الولد المال، فإن الله عز وجل يبتلي الولد بهذا السؤال، وإذا أراد الولد أن يبارك الله له في ماله، وأن يبارك له في حاله، فليبر والديه، وليعلم أن الدنيا أهون من أن تكون أعز عليه من والده، وأن لوالده من الفضل والإحسان والبر ما لا يستطيع أن يكافأ إلا بالدعاء، وسؤال الله عز وجل أن يرد جميله وفضله عليه، فالدنيا أهون من أن تكون أعز عليك من والدك ووالدتك، بل على الولد أن يبادر، والله عز وجل يبتلي كل مؤمن على قدر ماله، فإذا كمل التزامه وطاعته لله عز وجل، ابتلاه بمثل هذه المواقف.

ذكروا عن رجل أنه كان من أبر الناس بوالده، جمع مالا من أجل الزواج، فجمع اثني عشر ألفا وهو في أشد ما يكون حاجة إليها، يقول: ففوجئت في يوم من الأيام وإذا بالوالد في ضائقة، وجاءه من يسأله دينا عليه، فاحتاج الوالد للمال، قال: فترددت أن أعطيه المال الذي عندي، أنظر إلى حاجتي للزواج، وأنظر إلى حاجته، وأتذكر ما في البر من الخير، وأتذكر ما أنتهي إليه لو أعطيته هذا المال، حتى وفق الله فقمت وأخذت الاثني عشر ألفا، وجئت إليه ووضعت المال بين يديه، فلما وضعته بين يديه، قال: لا آخذه، فقلت له: والله لتأخذنه.

قال: فأقسمت عليه أنه يأخذه، والله يعلم أني في أشد ما أكون حاجة إليه، قال: فلما وضعته بين يديه،

---

(١) فقه الأسرة محمد المختار الشنقيطي ٧/٢

وحلفت عليه أن يأخذه، ورأى مني الرضا، دمعت عيناه، وبكى وقال: أسأل الله عز وجل أن يفتح لك أبواب الخير، أو دعوة نحوها يقول: فشاء الله عز وجل أنني ما مضى أسبوع إلا وأنا أدعا في وليمة لصديق لي، فجئت إلى هذا الصديق على غداء، فجاء وإذا برجل تاجر عنده يسأله أثناء حديثهم وهم على الطعام، يقول له: هل تعرف إنسانا دينا أمينا يحفظ لي مالي هنا في المدينة، فقال له: لا أعرف لك خيرا من هذا الرجل، قال: فوكله على بعض أعماله، فكانت أول صفقة له قيمتها مائة وعشرون ألفا، فرد الله له عشرة أضعاف ما بذل، مع ما له من الرضا من الله، ومع ما فاز به من محبة الله عز وجل، يقول: فهو في رغد من العيش وفي غنى، فليبشر البار بكل خير عند التضحية، لما تكون أحوج ما تكون إلى المال، وأحوج ما تكون تأتي إلى الراحة والدعة، وتقف أمام بر الوالد أو الوالدة، أو حاجتهما، فهناك يكمل البر، وتنام العين وتقر بإرضاء الله عز وجل، وبرضا الوالدين.

فالشاب الصالح الموفق، لا يجلس يدقق في مثل هذه الأمور، لا تنظر إليها مسألة يجب أو لا يجب، يجوز أو لا يجوز، انظر إلى إنك مبتلى قبل كل شيء، ولو أن الله حاسبنا بما نعمل، لكان الإنسان من الهالكين، ولكن الله يوجب للعبد مثل هذه المواقف، التي يضحي فيها، فإن ضحى ووفى لله، وفى الله له، ولعل الله أن يفتح له بها باب خير في الدين والدنيا والآخرة.

وكان بعض الأخيار لا يسأله والده شيئا إلا أعطاه، حتى لربما يشتري الأرض بالألوف، فيأتيه والده يقول: اكتبها باسمي، والله لا يتراجع، ومع ذلك في غنى ويسار ورضا، حتى أرضا والده بالأموال، فمات والده وعنده الأموال الكثيرة، والابن عنده أضعافها، ثم ورث والده، ففاز بخير الدنيا والآخرة، فخير ما يوصى به بعد الإيمان بالله وتوحيده بر الوالدين، ومن بر والديه بشره بكل خير في دينه ودنياه وآخرته، لن يقرع بابا من الخير إلا فتحه الله في وجهه، ولا سلك سبيل بر إلا يسره الله له، ولذلك ينبغي للمسلم ألا يدقق في مثل هذه الأمور، واعلم رحمك الله أنه أفضل ما يكون من نفسك أن تنتظر الساعة التي يحتاج فيها والدك، بل قال بعض العلماء: أفضل ما يكون البر أن تنظر إلى حاجة والدك قبل أن يسألك، وتأتيه وتعطيه قبل أن يسألك، حتى كان بعض السلف ذكر عنه أنه كان لا تأتيه نعمة إلا عرض على والديه أن يأخذها قبل أن يأتي بها إلى بيته.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الرضا، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله على محمد وآله وسلم، وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.." (١)

---

(١) فقه الأسرة محمد المختار الشنقيطي ٣/٧

"حكم تزويج الوالد لولده أو العكس

Q فضيلة الشيخ! هل من حق الوالد على ولده تزويجه إذا كان مستطيعا أو العكس؟

A أما بالنسبة للولد فالأصل أنه إذا بلغ وقدر على السعي فإنه يقوم على نفسه، ويزوج نفسه هذا هو الأصل، لأنه مطالب بالقيام على نفسه إذا بلغ، وجزى الله الوالدين خيرا إذ قاما عليه حتى وصل إلى هذه السن؛ ولذلك لا يجب على الوالد أن يزوج ولده، ولا يجب عليه أن ينفق عليه حتى يزوجه، ليس بواجب؛ إنما هذا من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ومن فضائل الآباء على أبنائهم، إذا رزق الله الولد والدا فزوجه، فليجعل على نفسه لوالده دينا بعد دين، على هذا الفضل العظيم الذي قدمه له؛ فإذا أصبح الابن في حاجة ماسة؛ فإنه جرى العرف أن الوالد يحسن إليه، ويساعده على قدر الاستطاعة، أما أنه يجب فلا، ليس ذلك بواجب على الوالد.

واختلف العلماء إذا احتاج الوالد للزواج، هل يعينه الابن أو لا؟ فقال بعض العلماء: يعينه الابن، لكن بشرط أن لا تعلم الأم؛ لأنه يخشى أن يقع في عقوق الأم؛ ولذلك إذا أراد الزواج فإنه يساعده، وقال بعض العلماء: إذا **كان الوالد** فقيرا وخشي عليه الوقوع في الحرام، وكان الابن قادرا، فإنه يجب عليه؛ لأنه إذا أصبح الوالد يخاف الزنا وجب عليه الزواج؛ فإذا كان فقيرا تعينت هذه النفقة على الولد، فأصبحت نفقة تابعة للنفقة الأصلية؛ لكن بالشرط الذي ذكرناه والله تعالى أعلم.." [١]

"حكم ضرب الأبناء للتأديب وضوابطه

Q أثابكم الله وبارك الله فيكم، ونفع الله الجميع بما قلتم، هذا سائل يقول: هل يجوز ضرب الأبناء لتأديبهم وهل هناك ضوابط معينة في هذا الأمر؟

A باسم الله الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

أما بعد: فضرب الأولاد لتأديبهم عند الحاجة مشروع؛ ولكن لا يكون الضرب إلا بعد التوجيه، ولذلك قال الحكماء: إن أفضل ما تكون التربية بالضرب والزجر إذا سبقه نذير؛ فأول ما يبتدئ الوالد والوالدة أن يأمرا الصبي أو الصبية أو ينهياهما عن الشيء، فإذا لم ينته الولد أو البنت بينا لهما سوء العاقبة، وقالوا له: هذا يضركما لا خير فيه؛ حتى يصبح امتناعهما عن تعقل من ذاتهما، لا يعود الولد بمجرد ما يخطئ يضرب،

---

(١) فقه الأسرة محمد المختار الشنقيطي ٤/ ١٤

إنما أول ما يبتدئ أن يحذر الصبي ويقول له: لا تفعل كذا، فإذا انكف الحمد لله، فإذا فعل ثانية، يقول له: لا تفعل، هذا فيه كذا، فحينئذ إذا لم يمتنع من جهة أمر أبيه أو أمه، فإنه قد يمتنع من جهة الضرر الموجود في الشيء الذي يفعله.

فإذا لم يمتنع يقول له: لا تفعل، فإن فعلت سأضربك، فإذا قال له: إن فعلت سأضربك، ووعده أنه يضربه؛ فإنه إذا فعل يضربه ولا يتأخر؛ لأنه إذا وعده أن يضربه فجاء يريد أن يضربه فتعلق به، وقال: لا أعود فأخذته العاطفة فإن الولد سيفعل هذا ثانية، ويتكل على العاطفة، فقالوا: بمجرد أن يحذره بالضرب فإنه يضربه، فإذا ضربه أحس الابن أنه بمجرد تحذير الوالد أو الوالدة بالضرب بأنه سيقع ما وعدا به من العقوبة، لكن بعض العلماء يقول: لا ينبغي أن يبادر الوالدان بهذا الأسلوب؛ لأنه يعود الولد على اليأس والقنوط من رحمة الوالدين، بل ينبغي عليهما أن تكون عندهم مرونة، تختلف بحسب الأحوال، وما يكون من الصبي من الأخطاء، وأحوال الصبية والصبيان، فهذا صعب لا نستطيع أن نضع ضابطا فيه؛ ولكن الأمر يرجع إلى اجتهاد الوالدين.

أما الجواز فيجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الضرب وسيلة للتربية، فقال عليه الصلاة والسلام: (واضربوهم عليها لعشر) ، لكن ننبه على مسألة مهمة وهي: ضرب الصغار وهم في سن مبكرة، بحيث يكون الضرب قبل أن يكون عندهم نوع من التمييز؛ وهذا لا يجوز، ولذلك جعل الشرع الضرب بعد التمييز، وإنما يكون الضرب إذا أخطأ الصبي أو الصبية وكان عندهما شيء من التمييز؛ لأن الصبيان يختلفون، يقول بعض العلماء: ربما ميز الصبي وهو في الخمس سنوات، وقد يميز وهو ابن ست سنوات، وهذا يرجع إلى قوة الذكاء وعلى حسب طبيعة الصبي وقد يتأخر تمييزه إلى العاشرة؛ ولذلك إذا كنت تفهم أنه ميز، وأنه لا بد من زجره، وأنه مسترسل في هذا السوء، أو في هذا الخطأ، فحينئذ يضرب الإنسان بقدر، وإنما هو اجتهاد ومرده إلى الوالد والوالدة، فليتق الله كل منهما في هذه الطريقة.

وننبه -أيضا- على أمر وهو الخطأ في استعمال الضرب، فبعض الآباء تكون فيه عصبية شديدة فتراه يضرب أولاده بشدة، فهو يضرب ضربا مبرحا قويا وهذا لا يجوز، إنما يكون الضرب بقدر؛ لأن الضرب شرع لحاجة، والقاعدة: أن ما شرع لحاجة يقدر بقدرها.

فإذا كان الوالد عصبيا فالأفضل أن يترك الأمر للوالدة إذا كانت حكيمة عاقلة، إذا كان لا يأمن من نفسه أن يضرب أولاده برفق وبقدر، لكونه إذا ضرب أوجع وبالغ فيه، فحينئذ ينزع يديه؛ لأن مثله لا يصلح للتربية بهذا الأسلوب-أعني الضرب-، وهذا ينبه العلماء عليه في باب اتخاذ الأسباب؛ لأنه إذا كان منهيا عن

ظلم ولده وضربه بالضرب المبرح الذي لا يتحمله، فلا يجوز له أن يتعاطى أسباب ذلك، فإذا غلط الولد وكل إلى أمه التربية، فيحاول أن يترك الأمر للوالدة هي التي تضرب إذا كانت حكيمة عاقلة.

كذلك أيضا الوالدة إذا كانت سيئة في أسلوب التربية، وتضرب بشدة، وتبالغ في استخدام هذا الأسلوب، هنا ينبغي على الوالد أن يتدخل، وأن يكف يدها، وأن يمنعها ويزجرها ويخوفها بالله عز وجل.

قال أحد الصحابة: (يا رسول الله! إن لي موالي آمرهم فيعصونني، وأنهاهم فيخالفونني، فأضربهم وأسبهم فماذا تأمرني: قال: إذا كان يوم القيامة نظر في أمرك وعصيانهم، وضربك لهم، ثم اقتص منك ومنهم، فتولى يبكي وقال: أشهدك يا رسول الله: أنهم أحرار لوجه الله) .

فما دام الأمر فيه قصاصا، وفيه مسئولية وفيه محاسبة؛ (أشهدك أنهم أحرار لوجه الله) ؛ ولذلك لما مر عليه الصلاة والسلام على بعض أصحابه رضي الله عنهم، وهو يضرب مولى من مواليه، قال: فإذا بي أسمع صوتا وراء ظهري فقال: (اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك فنظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله! أشهدك أنه حر لوجه الله) .

فليعلم العبد أن الله يحاسبه عن هذه الذرية التي وصفها الله بأنها ذرية ضعيفة، فهذا رجل مولى قوي ويستطيع أن يصبر ويتحمل ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضربه، فكيف بالأبناء والبنات الضعفاء؟! يقول بعض الحكماء: إن الإغراق في الضرب يجعل عند الصبي شيء من الجنون؛ لأنه لا يستطيع أن يركز، قد تكون عنده شهوة قوية وقد يكون عنده فضول، وقد يكون عنده شيء من التوجه النفسي الذي لا يحسن فهمه، فينظر على أنه مجرم وأنه عاص، فيعاقب فيصبح في تيه، يرى شدة العقوبة، ويرى نفسه تبعثه لا شعوريا إلى الشيء، فيصبح في تيه، وقد يتولد عنده شيء من النفاق بحيث إذا وجدت العقوبة امتنع، وإذا زالت العقوبة فعل، فالأمر يحتاج إلى شيء من بعد النظر، يحتاج إلى شيء من تقوى الله، ويحتاج إلى شيء من الأخذ بالأسباب، ولا نستطيع أن نضع ضابطا في ذلك، حتى الذين يقومون على وضع برامج للتربية تحار عقولهم في مثل هذا، الناس يختلفون، والأوضاع تختلف، والبيئات تختلف، ولذلك من الصعوبة أن يوضع شيء معين، أما كون الضرب وسيلة، نعم وسيلة. ليعلم أن هناك حسابا وهناك مسئولية، وينبغي على الإنسان إذا أراد أن يستخدمه أن يتقي الله عز وجل وأن يسدد ويقارب، والله تعالى أعلم.." (١)

(١) فقه الأسرة محمد المختار الشنقيطي ١٥/٤

"الصبر، والدأب، وسعة الصدر وطول البال وهذه الأوصاف مجتمعة تثمر أزهى الثمار١ومما حفظ التاريخ من جهود السلف أن قالون "من أئمة القراء وقارئ أهل المدينة في زمانه" كان شديد الصمم، بحيث لو رفع إنسان صوته إلى غايته لم يسمع، فكان ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ!! ٢.

وينبغي ألا يرفع الطلاب أصواتهم فيؤذي بعضهم بعضا بذلك، ومن أدب طالب العلم مراعاة الوقار والاتزان وهو يتلو كتاب الله، وفي حديث أبي سعيد قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر، وقال: "ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع على بعض في القراءة" ٣.

---

١ نشرت جريدة المسلمون خبرا عن طفل في السابعة يحفظ كامل القرآن الكريم، يقول الطفل: **كان والدي** يقرأ أمامي بعض آيات القرآن وأرددها من خلفه وكنت أخطئ ولا يمل والدي من تصحيح الأخطاء لي حتى أنطق نطقا صحيحا وهكذا حفظت القرآن في ثلاث سنوات: جريدة المسلمون عدد ١٤٠٧/٨/٢هـ، ص ٦.

٢ معرفة القراء الكبار ١٢٩/١.

٣ رواه أبو داود ٨٣/٢ في كتاب الصلاة باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، حديث رقم ١٣٣٢.." (١)

"وقد لاحظ بعض الباحثين أن كثيرا من الأطفال يفطمون أنفسهم بالتدريج، وخاصة إن كان هناك أخ "أو أخت" أكبر منه يحاول تقليده، **وكان الوالدان** يشجعانه على تناول الطعام مستقلا، وفي جميع الحالات يجب أن يتنبه الوالدان "وخاصة الأم" إلى أن يتم ذلك بالتدريج، ودون عقاب أو تعسف أو قهر، وألا تحول الفطام إلى خبرة صدمية.

وأفضل طريقة لفطام الطفل دون تعرضه لمشكلات حادة أن تقوم الأم بإنقاص كمية الطعام الذي يتناوله الطفل عن طريق الرضاعة، حالما أن الطفل يستطيع الحصول على طعامه من مصادر أخرى، فإذا كان من الواجب توقف الطفل عن الرضاعة الطبيعية في سن مبكر "قبل سن ٦ شهور مثلا" فمن الأفضل أن يتحول إلى التغذية برضاعة صناعية "باستخدام الزجاجة" حتى تتوافر للطفل طريقة لإشباع حاجة المص لديه في هذا السن، وبعدئذ تبدأ الأم بملء الزجاجة بالماء دون المواد الغذائية المرغوب فيها "كاللبن أو العصائر"

---

(١) كيف تحفظ القرآن الكريم عبد الرب نواب الدين ص/٧٠

وذلك لتشجيعه على التوقف عن استخدام الزجاجة في تناول طعامه.

أما إذا كان علينا وقف الطفل عن الرضاعة الطبيعية في سن متأخر، فيجب أن يتم الفطام بتحويله تدريجيا إلى الشرب من الكوب، وإذا كان الطفل لا يزال يظهر حاجته إلى المص فيمكن أن تقدم مصادر بديلة كالمصاصات وألعاب الأسنان، ومن المعروف أن الحرمان المفاجئ من المص قد يؤدي إلى مص الأصابع حتى بعد انتهاء فترة الفطام، وقد يتحول بعد ذلك إلى لازمة عصبية يظهرها الأطفال "والكبار أحيانا" في مواقف التوتر والقلق.

٣- التسنين:

يعد التسنين إحدى المشكلات الهامة في طور الرضاعة، ويتمثل في ظهور الأسنان اللبنية "وعددها ٢٠ سنا"، ويعتبر هذا الحدث مشكلة للطفولة في هذا الطور لما يصاحبه من بعض مظاهر الاضطراب التي تعتري كلا من الطفل والوالدين.

ويختلف الرضع اختلافات جوهرية في موعد ظهور السن اللبنية الأولى، ويذكر "Smith 1886" أنه يولد طفل واحد من بين كل ألف وخمسمائة طفل وفي فمه سن لبنية واحدة، كما أن بعض الأطفال لا يظهرون سنهم اللبنية الأولى إلا بعد أن يبلغوا من العمر ١٥ شهرا، إلا أنه عند معظم الأطفال تبدأ هذه الأسنان في الظهور في الفترة العمرية بين ٦، ٧شهور.

ويعاني الأطفال أثناء التسنين من بعض آلام اللثة والفم وضعف الصحة، بل." (١)

"استخدامه دون حرج في هذه المرحلة، وهو يعني اعتراف المجتمع لهم بمستوى النضج اللازم لتحمل المسئولية، وفي اللغة الإنجليزية تشيع الإشارة إليهم بعبارة "أبناء العقد الثاني من العمر Teenagers 1، ولو أن هذا الوصف لا يوافق عليه الشباب أنفسهم -ونحن نوافقهم على ذلك؛ لأنه يعبر عن طور المراهقة المبكرة أو بلوغ الحلم أكثر مما يعبر عن طور بلوغ السعي.

ويتميز طور السعي بعدد من الخصائص العامة؛ فالتقلب وعدم الاستقرار الذي كان يسود المراهقة المبكرة يحل محله بالتدريج نوع من الاستقرار والثبات، ويظهر ذلك على وجه الخصوص في استقرار الميول المهنية واللامهنية "الهوايات"، وفي نوع الملابس، وفي أساليب الترويح، وفي اختيار المهنة، وفي الصداقات، وفي السلوك الانفعالي، وخاصة نقصان التقلب المزاجي، وفي الاتجاهات الاجتماعية التي لم تعد تتأثر بالدعاية أو الإعلان، أو آراء الآخرين، كما كان الحال في المراهقة المبكرة.

---

(١) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين آمال صادق ص/٢٢٣

وبسبب هذا الاستقرار المتزايد، يزداد تكيف الشاب على نحو أفضل لظروف الحياة، ويتوقف على البيئة التي يعيش فيه الفرد تحديد متى يحل الاستقرار محل التقلب، وكيف سينجح الشاب في تحقيق ذلك، فإذا كان عليه أن يعيش مع أسرته طول الوقت، وإذا **كان الوالدان** يميلان إلى المبالغة في حمايته، فإنه سيظل غير ناضج في هذه الناحية من النمو، أما إذا أتيحت له الرص أن يعيش بعيدا عن الحماية الزائدة للوالدين؛ في المعسكرات أو في المدارس الداخلية، أو في المدن الجامعية للكليات والمعاهد، أو في القوات المسلحة، فإن ذلك يدفعه إلى أن يتخذ قراراته بنفسه متحررا من ضغوط الوالدين، وسوف يؤدي ذلك به إلى مزيد من الاستقرار في سلوكه.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الآخرين خارج نطاق أسرته لا يقبلون منه السلوك المتقلب المتذبذب، فهم أقل من الوالدين تسامحا في هذا الصدد، وهذا يهيئ للشاب دافعا إلى مزيد من الاستقرار، والشاب الذي ينمو في عائلة كبيرة؛ حيث يتوقع منه أكثر مما يتوقع من الشاب الذي يعيش في أسرة صغيرة، أن يكون أكثر استقرارا في سلوكه؛ لأنه أقل تعرضا للحماية الزائدة من الوالدين، ونشير هنا إلى أن مقدارا معقولا من عدم الاستقرار في هذه المرحلة، هو علامة نضج اجتماعي وعقلي، فقد ينشأ عن الحماية الزائدة أثر مضاد، وهو الاستقرار الزائد، وهو ما يسبب للشباب نقصانا في الثقة في قدرته على التعامل مع مشكلات حياته بمفرده، ويؤدي به ذلك إلى أن يصبح جامدا متصلبا، وينمى لديه النمط التسلطي في الشخصية، أما ظهور بعض علامات عدم الاستقرار فقد يدل على أن الشاب يواجه بعض الصعوبات والمشكلات في محاولته تخطي عادات الطفولة، وإحلال العادات الأكثر نضجا محلها.

---

١ تعبير في اللغة الإنجليزية يشير إلى الأشخاص الذين تمتد أعمارهم بين ١٢-١٩سنة.." (١)

"الأطفال الصغار تؤثر في ارتباطاتهم ومن المهم أن نؤكد هنا أن التفاعل الاجتماعي المحدود يعمل على تعزيز الارتباط، أكثر من الفترات الممتدة الطويلة والتي تجري على وتيرة واحدة في نظام الطعام والعناية الجسمية.

جملة القول: فإن العناية المكثفة ليست ضرورية حتى يصبح الأطفال مرتبطين بالناس، فهذه الارتباطات لا تتكون نحو هؤلاء الذين يقضون أغلب الوقت مع الأطفال، ولكن مع هؤلاء الذين يكونون أكثر استثارة واستجابة للأطفال، فإن **كان الوالدان** يتسمان باللطف والانتباه الاجتماعي والاستجابية عندما يكونا مع

---

(١) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين آمال صادق ص/٣٣٠

أطفالهم فإنهم لن يكونوا في حاجة إلى القلق بشأن وليدهم، والحقيقة الجوهرية في هذا السبيل هي النوعية التي تعطي للطفل أكثر من كمية الاهتمام من الآباء للأبناء وعلى ذلك تكون المحدد الحاسم لسلوك الطفل الاجتماعي، ويشير Wallston؛ "١٩٧٣" بأنه لا يوجد دليل في أن الأطفال سوف يعانون من أي ضرر نفسي في حالة عمل كل من الأب والأم خارج المنزل ما داموا قد تمكنوا من توفير البديل المناسب والمستقر للعناية بالطفل عندما يكونا خارج المنزل للعمل فالعناية بالأطفال يمكن أن يتقاسم فيها أعضاء متعددون من الأسرة بدون أن يتعارض مع تكوين الارتباطات عند الأطفال.." (١)

"بالتهديد وعدم الطمأنينة، ويتعرضون للنبذ والعقاب وعدم إشباع الحاجات الجسمية والنفسية، مما يشيع لديهم حالة من التشتت وغموض الدور وعدم القدرة على اتخاذ قرارات فيما يختص بشئونهم الخاصة. وحتى بعد الطلاق يعيش الابن خبرات قاسية عندما يعيش مع أحد الأقارب، ويحرم من كلا الوالدين، أو يعيش مع أم غير مستقرة بعد طلاقها، أو مع أبيه وزوجته، ويتعرض لخبرات التفضيل والغيرة من إخوته لأبيه، أو يشعر بانعدام الأمن إذا تزودت أمه من آخر، فيدرك النبذ وعدم التقبل. "كمال مرسي: ١٩٧٩، ٢٨٢، حسن مصطفى: ١٩٩١".

وأخيرا: فإذا **كان الوالدان** أو أحدهما غير سوي ويعاني من اضطرابات سلوكية، فإنه لا يستطيع أن يثير الطفل ويوفر لديه التدعيمات المناسبة للسلوك الإيجابي، كما أن ردود فعل الآباء المنحرفة تعوق محاولات الطفل في التوافق فيما بعد، وتعوق اكتسابه الأساليب السلوكية الصحيحة، بل قد يكتسب الأساليب السلوكية المنحرفة الماثلة أمامه.

٤- المستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة:

يقصد به: جملة النشاطات والممارسات التي يقوم بها الوالدان كانعكاس لدرجة تعليمهما وعنايتهما بثقافة الأبناء، وتتجلى في تشجيع الأطفال على ممارسة النشاطات الثقافية، بالإضافة إلى مستوى دخل الأسرة وانعكاساته على تنمية قدرة الأسرة على اقتناء العديد من الأدوات الثقافية، وممارسة الأنشطة الثقافية، وقدرة الأسرة على الإنفاق المناسب على الأطفال في المستويات التعليمية المختلفة. "عبد الباسط خضر: ١٩٨٣".

ومن المعلوم أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ذات مستوى اقتصادي اجتماعي مرتفع، تتهيأ لهم إمكانات من الرعاية الجسمية والعقلية والانفعالية قد لا تتاح لأقرانهم الذين ينتمون إلى أسر أقل في المستوى

---

(١) علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة عادل الأشول ص/٢٥٠

الاقتصادي والاجتماعي:

– فالأبناء الذين ينتمون إلى أسر مرتفعة المستوى الاقتصادي والاجتماعي تتاح لهم فرص أكبر لممارسة الأنشطة التي تساعد على تفتح ونمو الشخصية؛ حيث تتعدد الخبرات وتتنوع ظروف التنبيه والاستثارة تبعا لما يتاح لهم من فرص للتعبير." (١)

"وفي محاولة من أحد الباحثين لتقديم الموضوع العام، أخذ يراقب ابنته، وعددا آخر من أطفال الصف الرابع، وهي ترسم خريطة لمدرستها. كان الأطفال في حجرة الدراسة، ومعهم قطعة كبيرة من الورق، أخذوا يحاولون في استماتة أن يرسموا تخطيطا معقولا لمدرستهم كانت المدرسة على شكل حرف H. ولخيبة أمل المدرسين والآباء، كانت الحصيلة النهائية للمحاولة سيئة للغاية: فقد جاء نصف موقع صالة الرياضة في داخل حجرة الناظر والنصف الآخر في فناء المدرسة. أما المقصف فجاء موقعه تقريبا داخل الفصل، وجاء مدخل المدرسة ملفوتا بمقدار ١٨٠ درجة. وبعد أن ترك الأب الحزين مبنى المدرسة ذهب إلى مكتبة وأقفل الباب ثم جلس أمام قطعة من الورق وأخذ يحاول أن يعرف إذا كان ذلك الواجب "تلك المهمة" بهذا القدر من الصعوبة حقا **كان الوالد** قد زار المدرسة ثلاث مرات فقط قبل ذلك. لم يكن الوالد ممتازا في مجال الفن، ولكنه استطاع أن يرسم خريطة معقولة للمدرسة. فلماذا إذن حدث ذلك الفرق؟

إن مادة هذه المناقشة مستمدة إلى حد كبير من رسالة حديثة قدمها سيجل وهوايت "١٩٨٩" Siegel & White، وفيها قدما عرضا تاريخيا للمفاهيم وتفسيرا للتمثيل "الإدراك" المكاني، وكذلك عرضا كاملا للأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع. ومن أهم السمات التي تبرز من هذا العرض أن نمو الإدراك المكاني واستخدامه يتصل اتصالا وثيقا بدرجة التحرك لدى الفرد في البيئة. فمع تزايد القدرة على الحركة لدى الأطفال، والحرية في استطلاع بيئتهم، فإن استطلاعاتهم تساعدهم على تكوين التمثيل المكاني لعالمهم. ويمكننا أن نظن أن تلميذة الصف الرابع وأقرانها أما إنهم لا يتحركون كثيرا "والواقع عكس ذلك" أو أن هذا التفسير ليس مناسبا.

والواقع أن سيجل وهوايت Siegel & White يؤكدان على أن أنواع المعلومات التي يحصل عليها الأطفال من استطلاع بيئاتهم تختلف عن معلومات الراشدين. إن الراشدين يلاحظون ويتذكرون العالم. علاوة على ذلك فإن معالم مختلفة تتم ملاحظتها. كما يؤكدان على أن الأطفال الصغار فيما يختص بخرائطهم التي

(١) علم نفس النمو حسن مصطفى عبد المعطي ١٤١/١

تمثل جوارهم، يميلون لرسم الأشياء الحقيقية، في حين أن الأطفال الكبار يمثلون نفس الأشياء برمزية أكثر. وبعبارة أخرى: فإن خرائط الأطفال الأكبر." (١)

"يميلون إلى أن يكونوا أقل إحساسا لهذا التمييز ومن المحتمل أن تكون استجابتهم خوفا ويصف "هب" Hebb" التغيرات النمائية في السلوك كما يلي:

"لقد اكتشفت من باب الصدفة أن بعض الشمبانزي في مستعمرة "Yerke" قد يكون لديها نوبات من الفزع عندما يعرض عليها نموذج لرأس إنسان أو رأس شمبانزي مفصولة عن الجسد، أما الصغار منها فلم تظهر أي خوف، أما الأكبر "نصف نمو" فقد بدت عليها إثارة بالغة، كما أن الحيوانات التي لم يبد عليها الفزع بوضوح فقد كانت في حالة إثارة بالغة.

وهذه الفروق الفردية لدى الكبار والفرق في الاستجابة في مختلف الأعمار تشبه تماما الذوق في الاتجاهات نحو الثعابين لدى الإنسان، ويزداد تكرار وشدة الخوف إلى سن ١٧ شهرا أو نحو ذلك لدى الأشخاص الذين لم يضاروا مطلقا من الثعابين".

وقد يكون من المفيد أن نروي هنا قصة سوية هي ابنة صديق لأحد الباحثين، لقد ذكر والدها أن ابنته البالغة من العمر ٦ سنوات كانت مقتنعة بأن ثمة "صوت" سوف يحضر إلى المنزل ويأخذها بعيدا، ولما كانوا يعيشون في مدينة صناعية كبيرة تبعد عدة مئات الأميال عن المحيط فإن خوفها هنا كان خياليا بدرجة كبيرة وغير معقول، وإن كان مع ذلك خوفا حقيقيا. ولما **كان الوالدان** ذكيان، فقد اشتريا للطفلة كتبا عن الحيتان، وشرحا لها أنه ما من حوت يحترم نفسه يقدم على مثل هذا العمل كما حاولا بعدة طرق أخرى التحقيق من خوفها بالوسائل العقلية، ومع ذلك فقد منيت كل هذه المحاولات بالفشل، وبعد أربعة أو خمسة شهور تلاشى الخوف. وعندما سؤلت الفتاة في المنطقة عن الحوت، قالت: إن الحيتان لا جود لها. ويسرنا أن نقدم هذه القصة وهي تختلف عن معظم قصص العلماء في علم النفس بنهايتها السعيدة، إن الفتاة أصبحت الآن امرأة متعلمة ناضجة لطيفة ولا تخاف من الحيتان.

وهذه القصة تدل ثانية على أنه في مرحلة العمر من "٥-٨ أو ٩" سنوات وهي فترة الانتقال من العمليات قبل الحسية إلى العمليات الحسية. تحدث تغييرات رئيسية في تفكير الأطفال وفهمهم. وعندما تولد مثيرات الخوف، فإن النتائج ليست سارة ولا مسلية، ولكنها طبيعية.." (٢)

---

(١) علم نفس النمو حسن مصطفى عبد المعطي ١٤٧/٢

(٢) علم نفس النمو حسن مصطفى عبد المعطي ٢٢٠/٢

"تربية الطفل وإساءة معاملته

تعريف إساءة معاملة الطفل

...

٢- تربية الطفل وإساءة معاملته:

لا يمكن أن تكون هناك أي مناقشة كاملة عن تربية الأطفال child rearing بدون اعتبار المشاكل الصعبة المعقدة التي تتعلق بإساءة معاملة الطفل child Abuse، وقد لا يوجد أي جانب لتربية الطفل يثير الرأي العام لدرجة أكبر مما أثاره هذا الجانب في العصر الحديث. وحيث أننا لا نستطيع أن نطرق سوى القليل من الموضوعات المتصلة بهذا الموضوع، فإن القارئ المهتم قد يحب الرجوع إلى آراء بعض الباحثين مثل "Collmer Park, 1972 Rigler, Spinetta Besharou, Fantana, 1975"

تعريف إساءة معاملة الطفل:

إن إساءة معاملة الطفل يرجع عادة إلى الإفراط في استخدام القوة المفروضة، وأساليب العقاب البدني "Collmer & Parke 1975"، غير أن ثمة تعريف مناسب لإساءة معاملة الطفل يجب أن يأخذ في الاعتبار عوامل أخرى علاوة على الأضرار الجسيمة التي يعاني منها الطفل. وحيث أن "٩٣٪" من الآباء يستخدمون العقاب البدني بدرجات متفاوتة "Mc Evaym Starle, 1970" فإن التعريفات التي تقتصر على استخدام العقاب البدني قد تكون غير تمييزية وذات أدلة عملية قليلة.

وثمة عامل إضافي يتضمن مفهوم القصد هل **كان الوالد** ينوي إلحاق ضرر جسمي بالغ بالطفل؟

إن إدماج القصد في تعريف إساءة معاملة الطفل ضروري لاستبعاد الحالات التي يحدث فيها الضرر على أنها شكل من أشكال نبذ الطفل. أن صعوبة الحكم على القصد من جهة الوالد يصبح موضوعا للبحث. وحيث أن الاستدلال على القصد يتسم بالصعوبة في محاولة الاعتماد عليه، فإن بعض الأخطاء في الحكم على القصد في نبذ الطفل لا بد وأن تحدث.." (١)

---

(١) علم نفس النمو حسن مصطفى عبد المعطي ٢٨١/٢